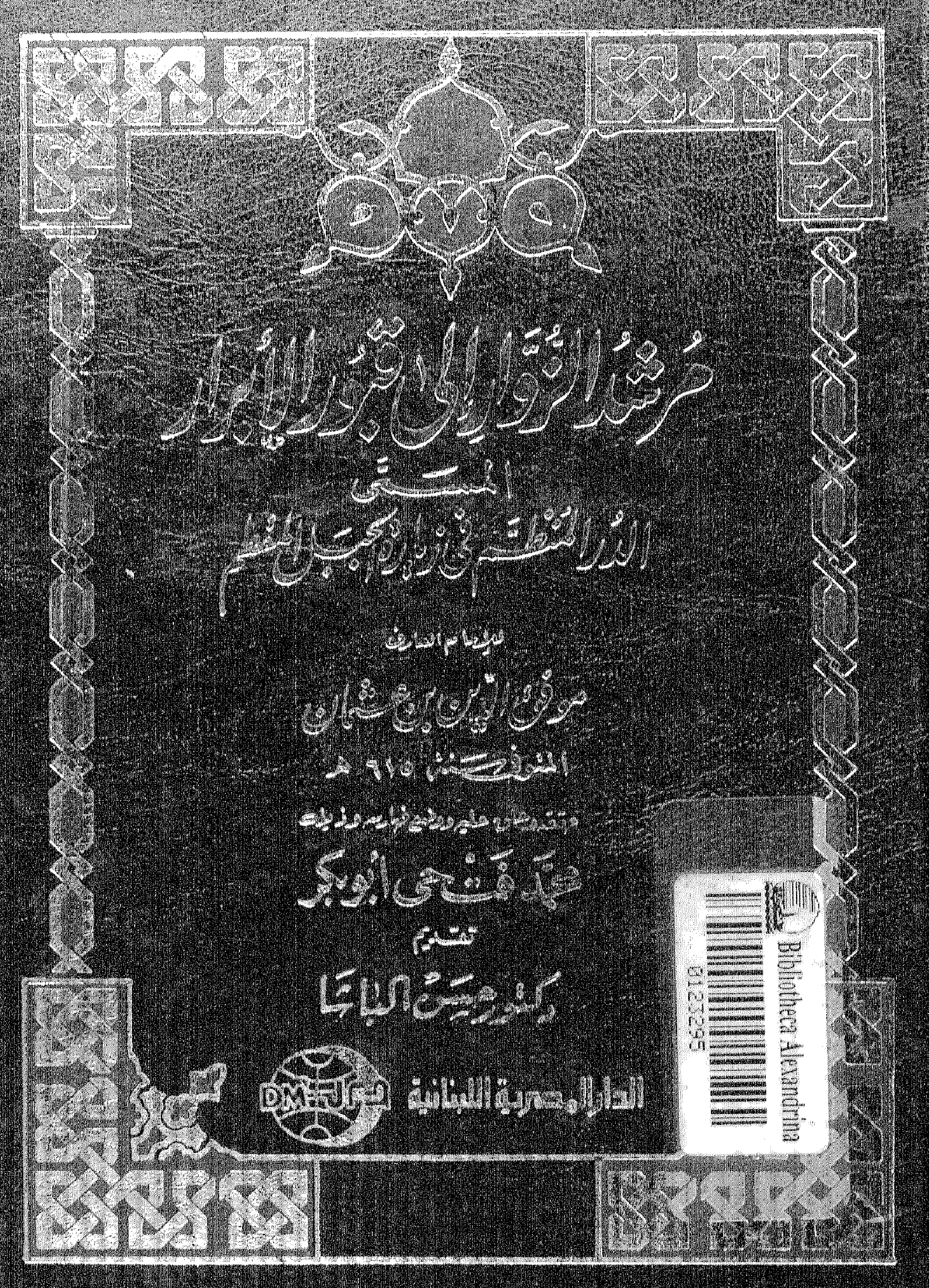
مرشد الزوار إلى قبور الأبرار
المسمى
الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم
للإمام العارف
موفق الدين بن عثمان
المتوفى سنة ٦١٥ هـ
وتحقيق وتعليق ووضع فهارسه وقدم له
محمد فتحي أبو بكر
تقديم
دكتور حسين الباشا
الدار المصرية اللبنانية
DM
Bibliotheca Alexandrina
0123295

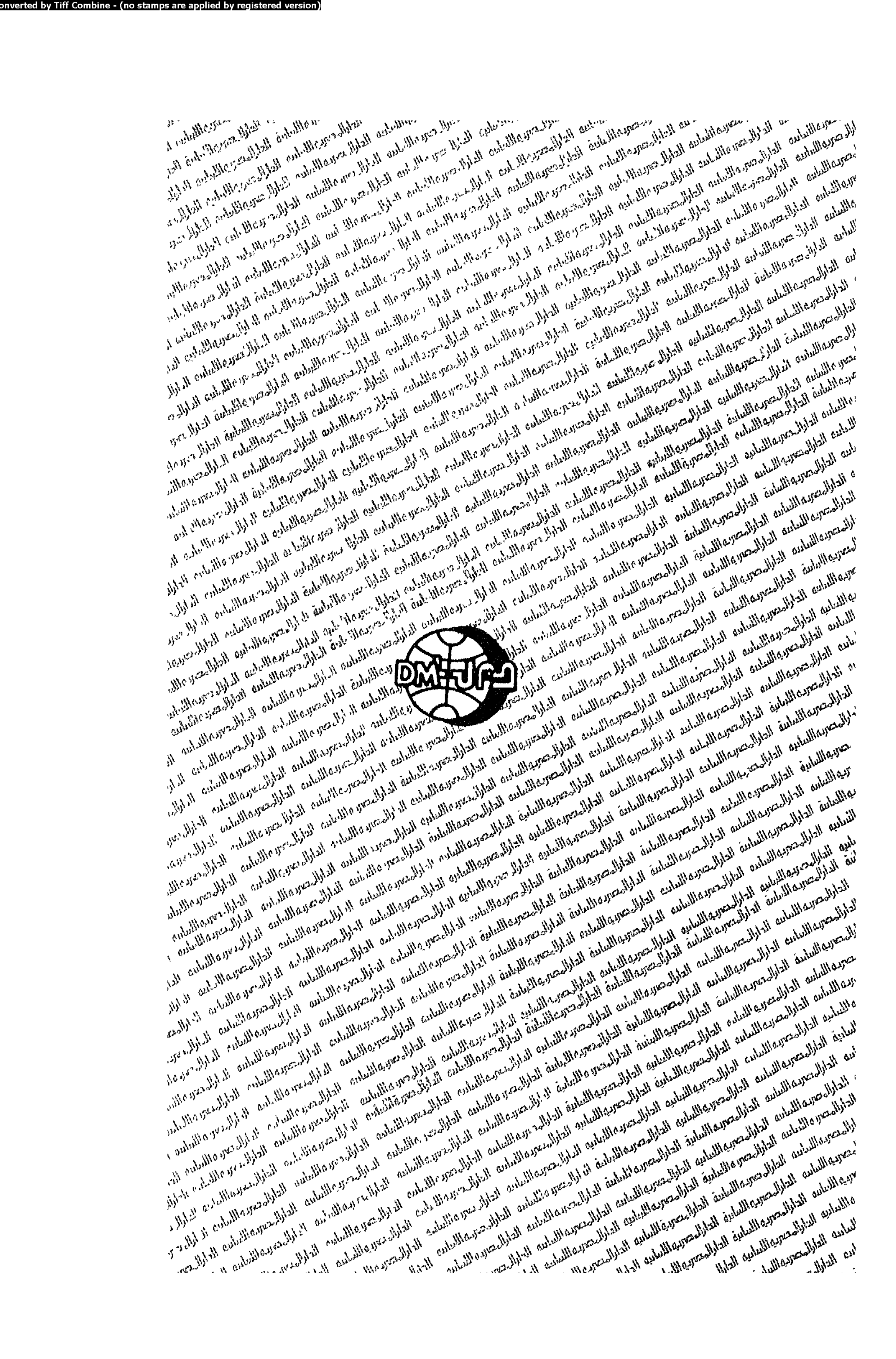

مُرشِدُ الزُّوَّارِ إلى قُبورِ الأبرار

المسمّى

الدُّرُّ المُنَظَّم في زيارة الجبل المُقطَّم

الناشر : الدار المصرية اللبنانية
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة .
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً . دار شادو
ص . ب : ٢٢ ٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٩٤/١١٣٦٠
الترقيم الدولى : 0 - 182 - 270 - 977
تجهيزات فنية : محمد الخانجى
العنوان : ١١ شارع عبد العزيز
ت : ٣٩١٥١٤٨
طبع : المدنى
العنوان : ٦٨ العباسية
تليفون : ٨٢٧٨٥١

الطبعة الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م
تجليد فنى مطبعة سيد عبد الحفيظ

مرشد الزوار إلى قبور الأبرار

المسمى

الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم

للإمام العارف

موفق الدين بن عثمان

المتوفى سنة ٦١٥ هـ

حققه وعلق عليه ووضع فهارسه وذيله

محمد فتحي أبو بكر

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقــديــم

بقلم الدكتور / حسن الباشــا

منذ أن أُسِّسَتْ مدينة الفسطاط على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه فى سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) صار سفح المقطم فى شرقيها مقبرة لموتى أهلها ، واتسعت الفسطاط بتأسيس مدينة العسكر سنة ١٣٥ هـ (٧٥٢ م) على يد الأمير « أبى عون » والى العباسيين ، ثم زاد اتساعها بتأسيس مدينة القطائع فى سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) على يد أحمد بن طولون ، واتصلت المدن الثلاث ، وصار يطلق عليها جميعًا مدينة الفسطاط ، أو مدينة مصر ، ثم أُسست القاهرة فى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) على يد جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى . ولم يلبث أن انتشر العمران خارج القاهرة وما بينها وبين الفسطاط ، وظهرت أحياء جديدة ، ثم شرع صلاح الدين الأيوبى فيما بين سنتى ٥٧٢ ، ٥٧٩ هـ (١١٧٦ - ١١٨٣ م) فى تشييد سُورٍ يضم كُلًّا من القاهرة والفسطاط وما حولهما من عمران ، وهكذا صارت كل هذه المدن مدينة واحدة هى القاهرة التى أصبحت عاصمة مصر حتى اليوم .

وبينما كان العمران ينتشر نحو الشمال والغرب ظل سفح المقطم فى الشرق جبانة لأهل القاهرة ، وكان حرص سكان القاهرة على اتخاذ سفح المقطم جبانة لهم يرجع إلى عامل روحى ، بالإضافة إلى العامل الجغرافى المتمثل فى صلاحية الموقع ، وطبيعة الأرض ، فقد جاء فى الأثر : « أن الله سبحانه وتعالى كَرَّمَ المقطم

حين أطاعَ أمر الله ، فجاد لجبل طور سيناء بكل ماكان عليه من شجر ونبات ومياه حتى صار أقْرَعَ ، فأوحى إليه لأُعَوِّضَنَّكَ عَمَّا كان على ظهرك ... لأَجْعَلَنَّ فى سَفْحِكَ غراس أهل الجنة » .

وقد ورد ذكر « غراس أهل الجنة » فيما حكاه الإمام الليث بن سعد عن وصف « المقوقس » لسفح المقطم من أنه يجد صفته فى الكتب القديمة أنه يُدْفَنُ فيه « غراس أهل الجنة » . وورد تفسير « غراس أهل الجنة » فى خطاب عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص – رضى الله عنهما – حين أخبره بما ذكره المقوقس ، إذ قال عمر : « أنا لا أعرف غِرَاسَ الجنة إلَّا للمؤمنين ، فاجعلها « أى أرض سفح المقطم » مقبرة لمن مات قِبَلَكَ من المسلمين » . ومنذ ذلك الحين صار سفح المقطم أرضًا مُسَبَّلَةً يُدْفَنُ فيها موتى المسلمين .

وقد اشتمل سفح المقطم – فيما اشتمل عليه من مدافن – على كثير من قبور الأبرار من الصحابة ، والتابعين ، والأشراف ، والأولياء ، والأئمة ، والفقهاء ، والقُرَّاء ، والعلماء ، والزُّهَّاد ، والقُضاة ، وكبار رجال الدولة ؛ وهكذا صار سفح المقطم بما يحويه من قبور الأبرار مزارًا ومَعْلَمًا من معالم مصر الإسلامية ، ومِنْ ثَمَّ استرعت مزارات المقطم على طول العصور نظر العشرات من العلماء الذين ألَّفوا عنها ، مثل : الكندى ، والقُضَاعى ، وابن يونس ، والقُرَشى ، والهروى ، والمسبحى ، وابن خلكان ، وابن الجباس ، وابن الملقن ، وابن الزيات ، والسخاوى ، والمقريزى ، وعلى مبارك ، وغيرهم من العلماء ، وخاصة علماء الآثار الذين عنوا بصفة خاصة بما بقى منها فى سفح المقطم ، وما يليه من أراض .

ومن الكتب التى تتصدر هذه المؤلفات هذا الكتاب الذى نقدم له : « كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ، المسمى الدر المنظم فى زيارة الجبل المقطم ، لموفق الدين بن عثمان ، المتوفى سنة ٦١٥ هـ » الذى يشمل فترة زمنية تمتد من فتح مصر حتى العصر الأيوبى ؛ والذى استوعب ما سبقه فى هذا الموضوع من مؤلفات .

يبدأ المؤلف موفق الدين بن عثمان بمقدمة يذكر فيها ما وَرَدَ عن جبل المقطم ورُوَّادِهِ ، وفضل جبانته ، والمقبور فيه من الصحابة ، والمساجد المشيدة عليه وأوديته ومساجد الوادى ؛ ثم يضمن مقدمته فصولًا فيما ورد فى زيارة القبور من الآثار ، واستماع الميت للحى إذا تولى عنه ، وكراهة المشى على القبور فى النعلين ، وفيما يقول الزائر إذا خرج إلى المقابر ... ثم يطنب فى ذكر آداب زيارة القبور ، ويختم المقدمة بالكلام عن إكرام الله تعالى بعض أوليائه بدوام طاعته فى قبورهم ، وغفرانه لآخرين بأمور لحقتهم بعد وفاتهم .

أما صلب الكتاب فيتضمن ذكرًا مفصلاً لما تشتمل عليه القرافة من قبور الأبرار : فيسرد أكثر من مائتى قبر ، يحدد موقع كل قبر منها ، ويصف مابه من نقوش ، ويسجل ماكتب على الشاهد ، ويصف الخط الذى كُتِبَتْ به ، ويورد ماجاء من وصف للقبر فيما سبقه من مؤلفات ، ويقدم لذلك كله بترجمة لصاحب القبر ، وَوَصْفٍ لخلاله ومزاياه ، ويستقصى ما ورد عنه من حكايات وشعر وكرامات ، وهو فى ذلك كله مؤرخ يتحرى الدقة فيما يورده من أخبار ، فيناقشها ، ويقارن بينها لكى يصل إلى الصحيح منها ، ويؤيدها بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وروايات المؤرخين إنْ وُجِدَتْ .

ومن القبور التى أطنب المؤلف فى وصفها وذِكْر خِلال أصحابها قبور من دُفِنَ فى سفح المقطم من الصحابة ، رضى الله عنهم : عمرو بن العاص ، وعقبة ابن عامر ، وعبد الله بن الحارث ، وأبو بصرة الغفارى ، ومسلمة بن مخلد الأنصارى . ومن قبور الأبرار ، والصالحين قبر السيدة نفيسة بنت الحسن ابن زيد ، والشريفة فاطمة ، والشريف الهاشمى ، وابنته السيدة زينب ، والأشراف من آل طباطبا ، ويحيى الشبيه ، والإمام الليث بن سعد ، والإمام الشافعى ، وذى النون المصرى ، وأبى الحسن الدينورى ، وعمر بن الفارض ، وعبد الله ابن لهيعة ، وأبى القاسم الشاطبى ، والإمام وَرْش المدنى .

والحق أن القارىء لهذا الكتاب يجد متعة تدفعه بشدة إلى الاستمرار فى

القراءة ، وهو مصدر ممتاز للدارسين على مختلف تخصصاتهم ، سواء فى مجال التاريخ ، أو الآثار والخطط ، أو التصوف ، أو الأدب ، وفى علوم الدين ، وكرامات الأولياء وحكاياتهم ، ومكارم الأخلاق .

ولا يقف المؤلف عند ما بقى فى عصره أو عهده من قبور ، بل يتطرق إلى ذكر ما اندثر من قبور الأبرار ومشاهدهم ومزاراتهم .

وإذا كان هذا الكتاب « مرشد الزوار إلى قبور الأبرار » قيمًا فى ذاته ، فقد زاد من قَدْرِهِ تحقيق الأستاذ محمد فتحى أبو بكر له : إذْ يُعد سيادته محققًا من الطراز الأول ، قد أثبت جدارته من قبل فيما حققه من كُتب مثل : كتاب « أدب الدنيا والدين » لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ) ، وكتاب « سراج الملوك » لأبى بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشي (٤٥١ - ٥٢٠ هـ) وغيرهما . ويتضح من تحقيق الأستاذ محمد فتحى أبو بكر أنه مُلِمٌّ بعلوم اللغة ، والدين ، والتصوف ، والتاريخ ، والآثار ، إلمامَ المتمكن الشغوف . كما يتضح من تعليقاته ما يتمتع به من صَبْرٍ وجَلَد ، وحُبٌّ لنفع القُرَّاء وإفادتهم .

وأشهد أن المحقق قد كَسَا كتاب « مرشد الزوار إلى قبور الأبرار » بتحقيقه ثوبًا قشيبًا ، وذلك بفضل ما أضفاه عليه ، إذ أنه قد قام بِنَسْخِ الكتاب كله بيده ، وضَبَط سِيَاقَهُ ونَصَّهُ ، ونَسَّق نَصَّهُ إلى فقرات ، دون الخروج على قواعد التحقيق المتبعة ، وقام بالمقابلة بين نصوص مخطوطتى الكتاب ، وأثبت الفروق فيما بينهما فى الحاشية ، ولم يكتفِ بذلك ، بل أكمل الكثير من النصوص التى سقطت سهوًا فى إحدى المخطوطتين ، معتمدًا على المصادر التى استمدَّ منها مؤلف الكتاب مادته ، وصحح الكثير من التصحيفات والتحريفات ، سواء فى النصوص ، أو أسماء الأعلام ، معتمدًا على أُمهات الكتب ، كما أكمل النصوص التى يستدعى السياق إكمالها من خلال المصادر التى استقى منها المؤلف مادته ، وقام بضبط الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشعر ، وبعض النصوص

والكلمات والأعلام ، وتخريج الآيات القرآنية ، وتصويب الأحاديث النبوية التى وردت وبها خَلْطٌ أو خطأ من الناسخ ، وقام بتخريجها ، كما ترجم لكثير من الأعلام التى لم يترجم لها المؤلف ، وأشار إلى المصادر المعتمدة للأعلام التى ترجم لها المؤلف ، وعُنِىَ بشرح الألفاظ الصعبة ، والعبارات المبهمة ، وتصويب المعلومات والتواريخ التى وردت خطأ ، ومراعاة قواعد اللغة ، نحوًا وصرفًا وإملاءً ، والقواعد العروضية فى الشعر ، ووضع علامات الترقيم بأنواعها المختلفة ، ووضع العناوين ، وحذف العبارات التى كررها الناسخ سهوًا . وفى كل ذلك كان المحقق ينص على ماقام به فى حاشية الكتاب ، حتى لا يلتبس ذلك مع نصوص الكتاب نفسه .

ومما يدل على حب المحقق لِنَفْعِ القُرَّاءِ وإفادتهم إعداده ذيلاً للكتاب ، وذَكَرَ فيه الأضرحة والمزارات التى مازالت قائمة إلى الآن ، والتى لم ترد فى كتاب « مرشد الزوار إلى قبور الأبرار » نظرًا لأن أصحابها لم يدركهم المؤلف ، كما أورد تراجم وافية لهم .

هذا وقد وَضَعَ المحقق فهارسَ تفصيلية للكتاب وكشافات وافية ، وثبتًا بمصادر ومراجع التحقيق ، كما قام بعمل فهارس تفصيلية للذيل الذى قام بإعداده على مثال فهارس الكتاب . هذا بالإضافة إلى الصور الإيضاحية للمشاهد والأضرحة الواردة فى الكتاب والذيل .

ولا شك أن الدار المصرية اللبنانية التى قامت بنشر الكتاب قد فطنت إلى قيمة الكتاب وتحقيقه ، فعنيت بنشره وإخراجه هنا الإخراج الجميل الذى تشكر عليه .

د . حسن الباشا

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله فاتحة كل خير ، وتمام كل نعمة ، فتح لأوليائه باب محبته ، ومَنَّ على قلوب أهل صفوته بالعلم والمعرفة ، وأمد عقولهم بنوره ، فعاينت عجائب قدرته ، وحَرَسَ قلوبهم من الأغيار ، ومَحَا منها صور الآثار حتى ظفرتْ بمعرفته ، وكشف لأرواحهم عن قُدس كماله ، ونعوت جلاله ، فَهُمْ سَبَايَا حضرته ، متَّعَ أسرَارَهم بقُربه بخطَفاتِ جَذْبِه ، فتحققوا بشهود أُحَدِيته ، فأَخَذَهُم منهم ، وأفناهم عنهم ، فغرقوا فى بحور هويته ، وفى ملكوت حكمته وقدرته ، ألا له الخَلْقُ والأمر ، تبارك الله ربّ العالمين .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، سيد الأنبياء ، والمبعوث رحمة للعالمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

تنويه :

يُعَدُّ عِلْم حكايات الصالحين فرعاً من فروع علم التواريخ والمحاضرة ، وقد اعتنى بأحوال الصالحين والأبرار طائفةٌ من العلماء والمؤرخين ، وأفردوها بالتدوين ، وبينوا فائدة هذا العلم ، وعَدُّوا منفعتَه من أَجَلِّ المنافع وأعظمها .

وقد أَلَّف فى هذا العِلْم وفى المزارات كثير من العلماء [1] ، وقد أحسن

(١) ممَّن ألف فى المزارات : أبو عمر الكندى ، وأبو عبد الله القضاعى ، وابن يونس ، والمتنانى ، والقرشى (صاحب المزارات) ، والضرَّاب ، وابن أخى عطايا ، وأبو محمد عبد الكريم بن عبد الله ، صاحب كتاب « هداية الراغبين فى زيارة قبور الصالحين » ، والحسن بن زولاق ، والحافظ السلفى ، =

كُلٌّ منهم فيما أَلَّفَ وجمع ، فمنهم من اقتصر على ذِكْر الصحابة والقرابة والتابعين ، ومنهم من اعتنى بذكر الشهداء والمجاهدين فى سبيل الله ، ومنهم مَنْ ذكر العلماء والفقهاء ، ومنهم مَنْ ذكر الحُفَّاظ المُحَدِّثِينَ ومشايخ القُرَّاء ، ومنهم من ذكر بعض القُضاة ، ومنهم من ذكر الخُطباء والمتصدرين ، ومنهم من ذكَر الفُصحاء وأصحاب المعروف من الوزراء والكُتَّاب وذوِى الأموال ، ومنهم من اختص بذكر المزارات ومعرفة الآثار ، ومنهم من ذكر فَضْل زيارة القبور .

ومنهم من ذكر للزيارة آداباً وشروطاً ، ومنهم من ذكَر الأولياء ، وجعلهم فى طبقات عَشْرٍ ، ومنهم من ذكر بعض فضائل مصر ونيلها وأهلها ، ومنهم من ذكر فضل المقطم ، ومنهم من جعل القرافة جهتين فى جزأين : جهة كبرى وجهة صغرى [1] .

وكتاب « مرشد الزوار إلى قبور الأبرار » هذا من كتب المزارات التى حَوَتْ وجمعت أكثر هذه المقاصد المتقدمة ، فقد ذكر فيه مؤلفه – ابن عثمان – فضل الجبل المقطم وأوديته ، ومساجده التى كانت به ، وقبورالصحابة ، والأشراف من آل البيت ، وذكر قبور الأولياء ، والزهاد ، والصالحين التى فى سفحه ، كما ذكر أيضاً قبور العلماء ، والفقهاء ، والحُفَّاظ ، والقُرَّاء ، والقُضاة ، ومن على شاكلتهم من أهل الفضل والمروءة والإحسان . كما ذكر بعض فضائلهم وكراماتهم التى تشوق القلوب إلى زيارتهم .

= وابن الربيع ، والهروى ، صاحب كتاب « الإشارة إلى ترتيب الزيارة » ، والأسعد النسَّابة ، وحرملة ، وابن سعد ، وابن بلّوه النسابة ، والمكى ، وابن فضيلة ، وابن عتر ، وابن الحمامية ، والمسبحى ، وابن خلكان صاحب وفيات الأعيان ، وابن عبد البر ، وابن غانم ، والحموى ، والشيخ موفق الدين بن عثمان صاحب كتاب مرشد الزوار ، والشيخ محب الدين الناسخ ، وبعدهم : الشيخ أبو عبد الله القرشى المعروف بابن الجباس ، والشيخ سراج الدين بن الملقن ، وابن الزيات ، والسخاوى رضى الله عنهم أجمعين [انظر الكواكب السيارة لابن الزيات ص ٤] .

(١) انظر المصدر السابق ، وانظر تحفة الأحباب للسخاوى ، ص ٤ .

مكانة الجبل المقطم :

لقد شَرَّفَ الله جبل المقطم بأن جعل غراسه أهل الجنة .

حكى الإمام الليث بن سعد ، أن المقوقس سأل عَمْرَو بن العاص رضى الله عنه أن يبيعه سفح جبل المقطم بسبعين ألف دينار ، فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فرد عليه عمر قائلاً : سَلْهُ لماذا أعطاك ما أعطاك فيه وهو لا يُزْرَعُ ولا يُستنبط منه ماء ؟ فسأل عَمرو بن العاص المقوقس عن ذلك ، فقال : إنَّا نجد صفته فى الكتب القديمة أنه يُدْفَنُ فيه غِراسُ الجنة .

فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين ، فَرَدَّ عليه قائلا : أنا لا أعرفُ غراسَ الجنة إلَّا للمؤمنين ، فاجعلها مقبرةً لمن مات قِبَلَكَ من المسلمين ولا تَبِعْهُ بشىء . فمنذ ذلك الحين صار أرضًا مُسَبَّلَةً يُدْفَنُ فيها موتى المسلمين إلى الآن .

لجوء الزهاد والمتصوفين إليه :

وكان طبيعياً أن يلجأ الزهاد والمتصوفون إلى جبل المقطم يتخذون من سفحه مقاماً ، ومن أوديته مناماً ، بعد أن عرفوا تقديس الديانات السماوية السابقة على الإسلام له ، وتكريم المسلمين أيضًا .

فقد جاء فى الآثار القديمة أن جبل المقطم كان أكثر الجبال أنهارًا وأشجارًا ونباتاً ، فلما كانت الليلة التى كلَّم الله فيها موسى عليه السلام ، أَوْحَى إلى الجبال : أنِّى مُكَلِّمٌ نَبِيًّا من أنبيائى على جبلٍ منكم .. فتطاول كل جبل وتشامخَ ، إلاَّ جبل طور سيناء ، فإنه تواضع وتصاغر ، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه : لِمَ فَعَلْتَ ذلك – وهو به أعلم – قال : إجلالاً لك يارب ! فأوحى الله تعالى إلى الجبال أن يجود كل جبل بشىء مِمَّا عليه ، فجاد كل جبل بشىء مما عليه ، إلا المقطم ، فإنه جاد له بجميع ما كان عليه من الشجر والنبات والمياه ، فصار كما ترون أَقْرَعَ . قال : فلما علم الله سبحانه وتعالى ذلك عنه ، أوحَى إليه : لأُعَوِّضَنَّكَ عَمَّا كان على ظَهْرِكَ .. لأجعلنَّ فى سَفْحِكَ غِراسَ أَهْلِ الجَنَّة .

من دُفن فيه من الصحابة وآل البيت وغيرهم :

وقد دُفِنَ بهذه البقعة المباركة **من الصحابة** : عمرو بن العاص فاتح مصر ، وعُقبة بن عامر ، وعبد الله بن الحارث بن جَزْء الزبيدى ، وأبو بَصْرَة الغِفَارِىّ ، ومَسْلَمَة بن مخلد الأنصارى [1] وغيرهم .

ومن الأشراف : السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد (رضى الله عنها) ، والشريفة فاطمة ، والشريف الهاشمى ، وابنته السيدة زينب ، والأشراف من آل طَبَاطَبا ، والشريف حيدرة ، ويحيى الشَّبِيه بن القاسم الطيب ، وأخوه عبد الله ، وزوجة القاسم الطيب أم يحيى الشبيه ، وكانت من الزاهدات العابدات ، وهى من الأشراف أيضًا ، وغير ذلك مما سيقف عليه القارىء فى هذا الكتاب .

ومن الأئمة والفقهاء : الإمام الليث بن سعد ، والإمام الشافعى ، وعبد الله بن الحَكَم ، والمُزَنِىّ ، وأَشْهَب ، وعبد الرحمٰن بن القاسم ، وأبو يعقوب البويطى ، وعبد الله بن وهب ، والطحاوى ، وغيرهم .

ومن الزهاد والصوفية : ذو النون المصرى ، ودينار العابد ، ومحمد بن جابار الزاهد ، وأبو الخير الأَقْطَع التِّينَاتِى ، وأبو على الرُّوذَبارِىّ ، وبُنان الواسِطىّ ، وابن عطاء الله السكندرى ، وعمر بن الفارض ، وغيرهم كثير .

---

(١) ذكر أهل العلم والمعرفة والرواية أنه دخل مصر فى فتحها ممن صحب رسول الله ﷺ مائة رجل ونيف ، وقال يزيد بن أبى حبيب : وقف على إقامة قبلة المسجد الجامع (أى مسجد عمرو بن العاص) ثمانون رجلاً من أصحاب رسول الله (ﷺ) منهم : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وفضالة بن عبيد ، وعقبة بن عامر ، وأبو ذر الغفارى ، ومحمية ابن جزء الزبيدى ، ونبيه بن صؤاب المهرى ، ورافع بن مالك ، وربيعة بن شراحبيل بن حسنة ، وسعد ابن أبى وقاص ، وعمرو بن علقمة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وخارجة بن حذافة ، وعبد الله بن سعد بن أبى السرح ، وأبو رافع مولى رسول الله (ﷺ) ، ومحمد ابن مسلمة ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو أيوب الأنصارى ، ورويفع بن ثابت الأنصارى ، وهبيب بن مغفل (بالهاء) ، وكعب بن ضنة (بالنون) ، ومعاوية بن خديج ، وعمار بن ياسر ، وعمرو بن العاص ، وأبو هريرة ، رضى الله عنهم أجمعين [انظر فضائل مصر للكندى ص ٣٧ - ٤٠] .

ومن القضاة : القاضى بَكَّار بن قُتيبة ، وعبد الله بن لَهِيعَة ، وابن دقيق العيد ، وغيرهم .

ومن القُرَّاء : أبو القاسم (الشَّاطبى) ، والإمام وَرْش المَدَنى ، وغيرهما .

وأكتفى بذكر هؤلاء الأعلام - إذْ أنهم من الكثرة بحيثُ يصعب حَصرهم فى هذا الموضع من المقدمة - كمثال لبعض مَنْ دُفِنُوا بهذه البقعة الطيبة .

أهمية هذا الكتاب :

وكتاب « مرشد الزوار » يُعَدُّ من المصادر المهمة التى تناولت المزارات إلى نهاية القرن السادس الهجرى تقريباً ، وهو من الكتب القديمة التى تسجل جانباً كبيرًا من آثار القرافتين الصغرى والكبرى فى تلك الفترة ، وما قبلها ، لذا فهو يمثل أهمية كبيرة للباحثين المهتمين بآثار هاتين القرافتين من الناحية التاريخية والمعمارية التى تتمثل فى المشاهد والأضرحة والقبور التى اندثرت ، والتى لا تزال قائمة حتى الآن .

وقد حدد ابن عثمان فى كتابه هذا مواقع أضرحة الصحابة والأشراف والعلماء والفقهاء والزهاد والصوفية وغيرهم من أعلام زمانهم بطريقة وَصْفِيَّة ، تقوم على ذِكْرِ الاتجاه الذى يسير فيه الزائر شرقاً أو غرباً أو شمالاً أو جنوباً ، أو على تحديد مقدار الخُطُوات التى يخطوها الزائر بالتقريب ، حتى يصل إلى القبر أو المشهد المَزُور ، أى أن وحدة القياس الغالبة فى وصفه هى الاتجاه ، أو الخطوة ، وأحيانًا يقول لك : « ثم تسير قليلاً » . أو : « ثم تمشى بضع خطوات نحو كذا » إلخ .

وقد سجل لنا هذا الكتاب الكثير مما كُتِبَ على شَواهِد تلك القبور ، فمثلاً يقول : كُتِبَ على قبر أحمد بن طولون كذا ، وَوُجِدَ على قبر فلان كذا ، وَوُجِدَ مكتوباً على قبرٍ بخط النسخ كذا ، ورأيتُ على ضريح فلانٍ كذا ، ووجد على قبر فقيهٍ كذا .. إلخ .

وسجل أيضاً كثيرًا من أقوال وأشعار العلماء والصالحين التى قالوها عند

وفاة عزيز لديهم ، فيورد أشعارًا لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، بعد أن قام بدفن فاطمة ، وأورد شعرًا لعبد العزيز الدِّرينّى قاله على قبر ابنته حين دفنها ، وإبراهيم الخَوّاص ، وسَمْنُون المُحِبّ وكثيرين غيرهم .

وقد سجل المؤلف كثيرًا من المشاهد والمزارات التى اندثرت واختفتْ رسُومها ومعالمها ولم يعد لها وجود الآن ، وقد قَدَّمَ لنا ابن عثمان تراجِمَ وافية لأصحاب هذه المزارات ، وذكر جوانب كثيرة عنهم لم ترد فى كثير من المصادر التى تترجم للأعلام ، هذا بالإضافة إلى تعاليمهم ، ومكانتهم العلمية ، ومأثورات أقوالهم ، وسُلوكيّاتهم ، وكراماتهم ، وغير ذلك .

كما ذكر ابن عثمان فى كتابه « ماوردَ فى زيارة القبور والآثار » ، وعَلَّم الزائرَ ما يقوله إذا خرج للمقابر . وعقد فصلاً كاملاً عن آداب الزيارة . ذكر فيه عشرين وظيفة أو صِفَةً أو خُلُقاً يجب على الزائر اتباعها والعمل بها ، وهذا فى ذاته من الأشياء المهمة التى يجب على الزائر المسلم الإلمام بها ومعرفتها والتحلى بآدابها .

كما أن هذا الكتاب يُحَبِّب المسلم فى زيارة قبور وأضرحة الأولياء والصَّالحِين ، ويذكر له ما يجب أن يلتزم به نحوهم من الآداب المذكورة آنفاً عند زيارتهم ، مستنكرًا ما يقوم به الجُهَّالُ وَالْمُتَنَطِّعُونَ من العوام عند زيارة هذه القبور ، من تقبيل الأضرحة ، أو مَسِّ الضريح باليدين ثم مَسْحِهم على الوجوه ، ونحو ذلك من الأفعال ، ذاكرًا أن ذلك من عادة النصارى ، ومن الأفعال غير اللائقة ، ولم يُنْقَلْ عن أحدٍ من المسلمين . ويذكر ابن عثمان أنّ على الزائرْ حينما ينوى زيارة هؤلاء الصالحين عليه أن يخلص النيه لله ، ويقصد بزيارته وجه الله وحده ، ليُصْلِحَ فسادَ قلبه ، ويجتنب المشى بين القبور ، والجُلوس عليها ، وأن يأتى الزائر من تلقاء وجه الميت ، كما لو كان يخاطبه وهو حىٌّ ، ويُسلم عليه كما يسلم على الأحياء ، ويتلو عنده ما تيسر من القرآن ، ويدعو له ، ولنفسه ، ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات .. وغير ذلك من الآداب المحمودة

التى أَمَرَنا بها ديننا الإسلامى الحنيف . فالقصد من الزيارة العِظَةُ والاعتبار ، والتذكير بالآخرة ، والتقرب إلى الله ، والاقتداء بهؤلاء الصالحين الذين أفاض الله عليهم من فضله ، وجزاهم أحسن الجزاء على طاعتهم ، وأكرم مثواهم ، فعَلَى الزائر أن يترسم خطاهم ، ويقتدى بهم فى حياته ، لعلَّه يصل إلى ما وصلوا إليه ، أو ينال ما نالوه من منزلة كريمة عند بارئهم .

مآخِذُ ابن الزيات على هذا الكتاب :

وقد ألَّفَ ابن الزيات كتابه « الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة » على منوال « مرشد الزوار » ، وأخذ الكثير من مادته من ابن عثمان ، وأشار إلى ذلك فى كثير من مواضع كتابه إليه . وقد أخذ على ابن عثمان فى كتابه قوله عن (شُكْرٍ الأُبْلَه) أنه « كان من عقلاء المجانين » فقال ابن الزيات : « وهذا غَلَط ، لأن الأولياء لا تُنسَب إلى الجنون ، وإنما الغالب عليه الوَلَهُ والجَذْبُ .. [1] » إلخ .

وأيضًا أخذ عليه قوله عن تربة مخروقة بغير سقف : « قال ابن عثمان هو قبر عبد الله بن الزبير ، وفى نسخة أخرى له أنه محمد بن أحمد ابن أخت الزبير ابن العوام .

وهذا خلاف الصحيح ، لما رواه مسلم والبخارى ، أنَّ عبد الله بن الزبير قَتَلَهُ الحَجَّاجُ وصَلَبَهُ بمكة فى قصة طويلة ، وإن قيل إنه عُرْوَة بن الزبير ، فلا يصح أيضاً ، ووفاة أولاد الزبير معروفة بغير مصر - وهذا القبر يُزار بِحُسْن النيَّة ، ولا أدرى كيف وقع للشيخ موفق الدين مثل هذا الغلط » [2] .

مؤلف الكتاب ونسبه [3] :

أما عن مؤلف كتاب « مرشد الزوار » فهو الشيخ الفقيه ، والإمام العالم ،

---

(١) انظر الكواكب السيارة ص ١٦٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٤١ .

(٣) انظر التكملة للمنذرى ، وتاريخ الإسلام للذهبى حوادث سنة ٦١٥ هـ ، ص ٧٧١ - ٧٨٠ ، والكواكب السيارة لابن الزيات ص ٣٠٩ وغيرها من الصفحات ، وتحفة الأحباب للسخاوى ص ٣٤٥ ، والخطط التوفيقية ج ٢ ص ٤٦٣ .

العارف بالله موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمٰن ، ابن الشيخ الفقيه أبي الحَرم مَكّي بن عثمان الشارعي الشافعي ، وينتهي نسبه إلى سعد بن عبادة الأنصاري (١) . ويُطلق عليه أيضاً زين الدين عثمان بن الموفق ، أو موفق الدين ابن عثمان ، أو عبد الرحمٰن الملقب بالموفق ، أو ابن عثمان ، وكل هذا وارد في ترجمته . هذا ولم أقف على ترجمة مفصلة عن حياته ، في المصادر التي تحت يدي ، وقد أهملته كتب التراجم المعروفة ، ولم يُذكَر عنه سوى أنه فقيه ، اشتغل بالوعظ ، وله شِعْر ، وكان صديقاً للحافظ المنذري .

وكان معاصرًا لأبي العباس شمس الدين بن خلكان ، صاحب وفيات الأعيان ، وعمر بن الفارض ، وأبي القاسم الشاطبي ، والقاضي الفاضل ، وغيرهم من الشخصيات الفذة الذين كانوا أعلام زمانهم ، وكان لهم صفحات مشرقة ، ونفحات صادقة من الناحية الروحية والعلمية .

وكانت وفاة عثمان بن الموفق في الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ٦١٥ هـ ، ودُفن بحوش بني عثمان مع جماعة من العلماء ، ذكر ذلك ابن الزيات في الكواكب السيارة وقال : حوش بني عثمان عليه هَيْبَة وجلالة ، والدعاء به مستجاب .

وحكى ابن الجَبَّاس أن النيل توقف في بعض السنين ، قال : فحملتُ على قلبي همًّا عظيمًا ، وضاق صدري مِمَّا نزَلَ بالناس ، فَنِمْتُ ، فرأيتُ إنسانًا لم أعرفه ، فقلت له : والله ما الناس إلاّ في شدة من توقُّف النيل ، فقال لي عليك بتربة بني عثمان فَادْعُ الله عندهم يُفَرِّج الله تعالى عن الناس .

---

(١) وقد ورد هذا النسب في الكواكب السيارة كما يلي :

هو موفق الدين بن عثمان بن تاج الدين أبي العباس بن شرف الدين محمد بن جمال الدين عثمان بن أبي الحرم مكي بن عثمان ، شافعي زمانه ، وهو ابن عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن شبيب بن غنائم ابن محمد بن عنان – ويقال خاقان – بن عبد الله بن عبيد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعيد بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري ، وله ذرية باقية إلى الآن صلحاء ، علماء نفعنا الله بهم .

[انظر المرجع المذكور ص ٣٠٩] .

قال الشيخ شرف الدين بن الجباس : فلما كانت ليلة الجمعة أخبرتُ الناس بذلك ، وخرجنا ومعنا جَمْعٌ من الرجال والصبيان والنساء ، فدعونا الله تعالى وتضرعنا إليه عند قبورهم - أى قبور بنى عثمان - فأصبح النيل وقد زاد زيادة جيدة ، ولطف الله بالناس فى بقية تلك السنة .

وبتربة بنى عثمان هذه الفقيه الإمام أبو الحرم مكى - والد صاحب مرشد الزوار - وكان يُلَقَّب بالشافعى الصغير ، وإلى جانبه قبر ولده عبد الرحمٰن الملقب بالموفق ، وله كرامات ومصنفات . وقد ورد فى كتابه - مرشد الزوار - كتابٌ له يسمى « غاية المدرسين بالمشارق والمغارب فى الأربعة مذاهب » . وإلى جانبه قبر أخيه الفقيه الإمام العالم أبى القاسم عبد المنعم ، ويقال : أبو البركات .

من هذا يتضح أن مؤلفنا من أسرة معروفة ، ولها باعٌ كبير فى العلم ، رضى الله عنهم أجمعين .

نسبة الكتاب إلى صاحبه :

أشار ابن الزيات إلى كتاب « مرشد الزوار » وإلى صاحبه موفق الدين ابن عثمان فى مواضع كثيرة من كتابه « الكواكب السيارة » ، فعلى سبيل المثال قال ابن الزيات فى كتابه عند الحديث عن الإمام أبى الطيب خروف : « قال ابن عثمان فى مرشد الزوار : سُمّىَ بأبى الطَّيِّبِ لِطيب أعماله .. » ونقل ما قاله ابن عثمان عن هذا العالم [1] .

وأشار إليه ابن تغرى بردى فى « النجوم الزاهرة » عند حديثه عن قبر عقبة بن عامر قائلًا « ... وقال الشيخ الموفق بن عثمان فى تاريخه المرشد ، ناقلًا عن حَرْمَلة - من أصحاب الشافعى -: إن البقعة التى دفن فيها عقبة ، بها قبر عمرو بن العاص ... » [2] .

---

(١) انظر الكواكب السيارة ص ٢٤٥ ، وانظر فهرس أسماء الأشخاص فى الكتاب المذكور ص ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٤٠٥ .

(٢) انظر النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٢٩ .

وأشار إليه أيضاً تقى الدين أحمد بن على المقريزى فى كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية » عند حديثه على قبر الإمام الليث بن سعد ، ونَسَبَهُ إلى صاحبه قائلاً : « .. وفى كتاب مرشد الزوار للموفق بن عثمان .. » إلخ .

بل أشار ابن عثمان فى كتابه « مرشد الزوار » إلى نفسه عند الحديث عن قبر فاطمة بنت جعفر الصادق ، قال : « حكى ابن عثمان صاحب هذا الكتاب عن المسكى : أنها كانت متزوجة برجل من آل بيت النبوة .. » إلخ .

هذا وهناك إشارات أخرى تثبت نسبة هذا الكتاب إلى صاحبه ، لا حاجة بنا إلى ذكرها ، فما ذكرناه هنا فيه الكفاية .

مخطوطات الكتاب :

توجد لهذا الكتاب صورتان بالفوتستات لمخطوطتين مختلفتين ، - إحداهما بالمتحف البريطانى بلندن ، والأخرى بمكتبة آيا صوفيا بتركيا - بمكتبة الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) .

الأولى : تحت رقم ٢٦٤٢٩ (تاريخ / ٥١٢٩) وهى عبارة عن صورة بالفوتستات مأخوذة عن النسخة الأصلية فى المتحف البريطانى بلندن ، تحت رقم 0R/4635 وتقع فى ٢٣٩ قطعة فى مجلدين :

الأول يبدأ من ق ١ - ١٧٢ .

والثانى من ق ١٧٣ - ٢٣٩ .

وكل قطعة صفحتان ، وكل صفحة تشتمل على ٢٣ سطرًا ، وعدد الكلمات فى السطر الواحد ما بين ٦ إلى ١١ كلمة تقريباً ، ما عدا أسطر العناوين ، والشعر ، وخاتمة كل فصل ، فهى تقل عن ذلك حتى تصل إلى كلمة واحدة فقط ، أو كلمتين اثنتين . وقد تم نسخها سنة ١٠١٥ هـ ، ولم يرد فيها اسم الناسخ .

والثانية : تحت رقم ٢٦٤٢٣ ، وهى أيضاً صورة بالفوتستات مأخوذة عن النسخة الأصلية ، بمكتبة آيا صوفيا بتركيا ، تحت رقم ٢٠٦٤ ، وعدد أوراقها ٢٢٧ قطعة ، وكل قطعة صفحتان ، والصفحة مسطرتها ١٥ سطرًا ، وعدد الكلمات فى السطر الواحد ما بين ٦ - ٨ كلمات تقريبًا ، ما عدا أسطر العناوين والشعر ، وقد تم نسخها فى سنة ٨٤٩ هـ وورد فى آخرها اسم ناسخها أحمد ابن محمد بن عثمان .

وبدار الكتب المصرية صورة بالفوتستات تحت رقم (٥١٢٩ تاريخ) وهى صورة طبق الأصل من المخطوطة الأولى الموجودة فى المتحف البريطانى ، والمشار إليها آنفاً ، وهى على « ميكروفيلم » يحمل رقم (٤٧٩٢٢) .

وبدار الكتب المصرية أيضاً صورة رابعة بالفوتستات تحمل عنوان « مرشد الزوار إلى قبور الأخيار » وهى صورة غير مكتملة من مخطوطة المتحف البريطانى أيضاً ، تحت رقم (١٤٠٨ / تصوف) وتقع فى ١٣٣ قطعة على ميكروفيلم يحمل رقم (٣٣٤٩٨) .

وبها أيضاً نسخة خامسة ليست لابن عثمان ، وإنْ كانت تحمل نفس العنوان « مرشد الزوار إلى قبور الأبرار » تحت رقم (٣٢٥ / تاريخ) على ميكروفيلم يحمل رقم (٣٦٠٢٨) نُسِخَتْ سنة ١٠٦٣ هـ ، وتقع فى ١٣٦ قطعة ، وتختلف فى محتواها عن المخطوطات السابقة ، وبآخرها - بعد البسملة والصلاة على النبى - « طلب العبد الفقير المُتَحبِّب إلى الخيرات الشيخ سليمان بن الحاج سالم بالزيارة بالقرافات من العبد الفقير خير الله ... وأجازه بذلك رغبة فى المثوبة فيها ، فلم يعارض ، لأنه صحبه فى الزيارة ، وأنه الآن رغبة منه ... » إلخ . وذكر فى آخرها تاريخ نسخها (ربيع الأول سنة ١٠٦٣ هـ) .

وصف نسختى التحقيق :

قمت بتحقيق هذا الكتاب على المخطوطتين الآتيتين :

المخطوطة الأولى :

وهى النسخة المودعة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٤٢٩ (تاريخ / ٥١٢٩) والمصورة بالفوتستات عن المخطوطة المودعة بالمتحف البريطانى بلندن

تحت رقم ٤٦٣٥ ، وهى تقع فى ٢٣٩ ورقة ، وكل ورقة بها صفحتان ، وكل صفحة تشتمل على ٢٣ سطرًا ، وعدد الكلمات فى السطر الواحد ما بين ٦ - ١١ كلمة تقريبًا ماعدا أسطر العناوين والشعر كما ذكرنا آنفاً .

وهى منسوخة فى سنة ١٠١٥ هـ ، أى فى بداية القرن الحادى عشر الهجرى . والصفحة الأولى من هذه المخطوطة تحمل عنوان الكتاب ، ومؤلفه ، هكذا : « كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ، تأليف العلّامة الرّحّالة الهمام زين الدين عثمان بن الموفق ، عَمّتْ بركاته ، ودام النفع » .

وهذا العنوان جاء على هيئة مثلث . وآخر صفحة منها تنتهى أيضًا بقوله : « وهذا ما انتهى إلينا من كتاب مرشد الزوار ، وحَسْبُنَا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، تم . » وهى - أى الخاتمة - على هيئة مثلث أيضًا ، وأغفل اسم ناسخه .

مميزات هذه المخطوطة وعيوبها :

ومن مميزات هذه المخطوطة أنها جاءت تامة كاملة ، وبخط واضح مقروء ، غير أنها أغفلت علامات الترقيم تماماً ، وجاءت خالية من الضبط ، وبها الكثير من التحريفات فى أسماء الأعلام والنصوص ، ولم تَخْلُ من بعض الاضطراب فى السياق والسقط فى كثير من المواضع ، وقد يكرر الناسخ بعض العبارات سهوًا منه ، ولم يهتم بقواعد اللغة والنحو والعَرُوض ، وغير ذلك مما سيتضح عند ذكر منهج التحقيق .

والمؤلف يُسَهِّل الهمزة فى جميع المخطوطة ، ويتبع قواعد الإملاء القديمة فى رسم الكلمات ، فمثلا يرسم : سفيان ، وعثمان ، والقاسم هكذا : سفين ، عثمن ، القسم ، وأحياناً يضع الناسخ ألفاً صغيرة تدل على الألف المحذوفة ، وقد يأتى بالشِّعر متداخِلاً مع النثر فى بعض المواضع وكأنه منه .

وهذه المخطوطة بها بعض إضافات كُتبت بعد وفاة المؤلف ، مثل ما كتب عن القاضى سَرِىّ الدين أبى الوليد المالكى ، المتوفى سنة ٧٧١ هـ والفقيه الزاهد أبى الفدا رشيد الدين الدمشقى المولود سنة ٦٢٣ هـ ، والمتوفى سنة ٧١٣ هـ ، وغيرهما من الشخصيات التى لم يدرك وفاتها الموفق بن عثمان ، مؤلف « مرشد

الزوار ، حيث إنه توفى سنة ٦١٥ هـ كما أشرنا إلى ذلك فى هذه المقدمة .. وقد أشرنا إلى تلك الإضافات فى موضعها من هذا الكتاب .

كما يكتب أحياناً الكلمة على سطرين ، جزء منها فى نهاية السطر وبقيتها فى أول السطر الذى يليه ، مثل كلمة « هٰؤلاء » ، « تأتى » « ها » فى آخر السطر ، و « ولاء » « هكذا بدون همز ، فى السطر الذى يليه ، ومثل كلمة « الهمدانى » نسبة إلى همدان ، جاءت « الهمد » فى نهاية السطر ، و « انى » فى أول السطر الذى يليه ، وهكذا .

ويضع الناسخ دائماً ألفاً بعد واو الفعل زيادة من عنده مثل « أنْجُوا » و « أدعُوا » و « أهْفُوا » وهذا من الأخطاء الإملائية المنتشرة فى المخطوطة كلها ، فليست الواو هنا واو الجماعة .

وفى بعض المواضع يخلط الناسخ فى كتابته ويأتى ببعض العبارات ركيكة المعنى نتيجة سقوط بعض الألفاظ ، أو غير ذلك ، مثل : « ... ذكر عندى مالك ابن أنس وابن القاسم فقال ابن وهب عالم وعبد الرحمٰن فقيه ... » هكذا .

وصواب العبارة : « ذُكِرَ ابنُ وَهْبٍ عند مالكِ بن أنسٍ ، وَابْنُ القاسم ، فقال : ابنُ وهبٍ عالمٌ ، وعبد الرحمٰـن فَقيه » إلخ ، وعبد الرحمٰن هذا هو ابن القاسم .

المخطوطة الثانية :

وهى النسخة المودعة بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٤٢٣ والمصورة بالفوتستات عن المخطوطة الموجودة بمكتبة آيا صوفيا بتركيا تحت رقم ٢٠٦٤ ، وعدد أوراقها ٢٢٧ ورقة ، وكل ورقة صفحتان ، والصفحة تشتمل على ١٥ سطرًا ، وعدد الكلمات فى كل سطر ما بين ٦ – ٨ كلمات تقريباً ، ماعدا أسطر العناوين ونهاية الفصول .

والصفحة الأولى منها تحمل عنوان الكتاب ، واسم مؤلفه بصورة أتم وأشمل مما على المخطوطة الأولى ، فقد جاء العنوان هكذا :

« كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ، تأليف الشيخ الفقيه الإمام العالم العامل العارف-موفق الدين أبى محمد عبد الرحمٰن بن الشيخ الفقيه أبى الحرم مكى ابن عثمان الشارعى الشافعى ، قَدَّسَ الله روحه ، ونور ضريحه » .

وعلى الصفحة نفسها ختمان يحملان اسم مَن امتلك هذه النسخة ، وكلام آخر على هيئة مثلث ، جاءت حروفه صغيرة ورديئة ، فلم أتمكن من قراءته .. وجاء في الصفحات الأربع الأخيرة اسم الناسخ ، وتاريخ الفراغ من تحريرها بعد تمام الكتاب ، هكذا :

« كتبه بيده الفانية أحمد بن محمد بن عثمان ، المُتَطَبِّب بالأبواب الشريفة ، لطف الله به ، ونفعه ببركة زوار من حوى هذا السِّفر وزيارتهم ، ورزقه بركتهم ، وختم له بخير ، ولوالديه ، وجميع المسلمين .

ووافق الفراغ من تحريره يوم الاثنين المبارك ، مستهل شهر ذى الحجة الحرام ، عام تسع وأربعين وثمانى مائة ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحَسْبُنَا الله ونِعْم الوكيل ، نِعْمَ المولَى ونعم النصير » .

وهذه المخطوطة أَقْدَمُ نَسْخًا من المخطوطة الأولى ، حيث تم نسخها - كما تقدم - سنة ٨٤٩ هـ ، وبها كثير من الاختصار ، حيث أُغْفِلَ فيها الكثير من الشعر ، وأُهْمِلَ ذكر بعض الحكايات والأخبار التى جاءت كاملة فى المخطوطة الأولى ، كما قدَّمَ الناسخُ فى هذه المخطوطة موضوعاتٍ وأَخَّرَ أخرى ، وقد أشرت إلى ذلك فى مواضعه .

وهذه المخطوطة كسابقتها ، لا تخلو من التحريفات والأخطاء المشار إليها آنفاً فى المخطوطة الأولى .

منهج التحقيق :

سيلمس القارىء لهذا الكتاب مدى الجهد المبذول فى تحقيقه ، برغم أننى تعمدتُ عدم التعليق على كثير مما قمت به من جهد ولم أُشِرْ إليه ، اكتفاءً بما ذكرته فى الهوامش ، لعدم تشتيت ذهن القارىء ، وإثقال النص بالتعليقات الكثيرة .
وقد اتبعتُ فى تحقيق هذا الكتاب نفس المنهج الذى اتبعْتُهُ فى تحقيق كتاب

« سراج الملوك » تقريباً ، فقمت بعمل الآتى :

أولاً : قمت بِنَسْخِ الكتاب كله بيدى ، وقمت بضبط سياقه ونصه ، وإخراجه بالصورة اللائقة ، من حيث عمل الفقرات ، هذا مع مراعاة قواعد التحقيق المتبعة ، وعدم الخروج عليها ، وقد استغرق ذلك وقتاً وجهدًا كبيرين .

ثانيًا : رمزُت إلى مخطوطة المتحف البريطانى بالرمز « م » وإلى مخطوطة مكتبة آيا صوفيا بالرمز « ص » ، وقمت بالمقابلة بينهما وإثبات الفروق فى الهامش .

ثالثاً : أكملت الكثير من النصوص التى سقطت سهوًا من الناسخ ووردَتْ فى إحدى المخطوطتين ولم تَرِدْ فى الأخرى ، بعد الرجوع إلى المصادر التى استمدَّ منها الكاتب مادته ، وأشرتُ إلى ذلك فى الهوامش .

رابعاً : قمت بتصويب الكثير من التصحيفات والتحريفات ، سواء فى النصوص أو أسماء الأعلام ، بعد التأكد من صحتها ، وبعد الرجوع للمصادر التى ترجمت لها وأُمّهَات الكتب ، فمثلاً من تحريفات الأسماء :

ورد فى « م » اسم « روح بن عقبة الكرابيسى » هكذا ، وفى « ص » : « روح بن عتبة الكرابيسى » . وكلاهما خطأ ، والصواب : « روح بن عبادة القيسى » .

وجاء أيضاً اسم « عبد الله بن يزيد » محرفاً فى « م » و « ص » معاً ، مرة بالصورة السابقة ، أو مرة يأتى كالآتى : « عبد الله بن بهدة » ، وكلاهما خطأ ، والصواب : « عبد الله بن بُرَيْدَة » . وقد يأتى العَلَمُ مُخْتَلَفاً فيه ومحرَّفاً بصور عدة ، فمثلا وَرَدَ اسم « مكى بن عبد السلام الرميلى – الإمام أبو العباسى » فى « ص » : « أبو القاسم مكى بن عبد السلام الرسلى » ، وفى « م » « أبو القاسم مكى بن عبد السلام الرميلى » وفى تحفة الأحباب للسخاوى : « أبو مكى وابن عبد السلام الرملى » وجعلهما شخصين ، وفى الكواكب السيارة لابن الزيات : « أبو القاسم وعن عبد السلام الرملى » .. وكل هذا خطأ ومحرف ، والصواب ما أثبتناه أولا بعد الرجوع إلى المصادر المعتمدة التى ترجمت له ، ومنها تذكرة الحفاظ للذهبى .

ومن التحريفات فى الأعلام أيضاً : « أبو تميم الجيشانى » حُرِّفَ إلى « أبى شيم الحلشانى » . و « ربعى خراش » أتى بالخاء المعجمة والراء المهملة ، ومرة ثانية « حراشى » بالحاء المهملة والراء ، ومرة ثالثة « خداش » بالخاء والدال . ومثله « أبو بكر محمد بن داود الدُّقِّى » جاء بِعِدَّةِ صُوَر أيضاً فى المخطوطتين ، وفى بعض المراجع ، فمرة يأتى العلم الأخير بالدال المهملة المشددة المضمومة ، ومرة « الزِّقِّى » بالزاى المعجمة المشددة المكسورة - كما فى تاريخ بغداد - نسبة إلى بيع « الزِّق » ومرة « الرَّقِّى » بالراء المهملة . ومن أمثلة السقط والتحريف أيضاً : جاء فى « م » قوله : « عن عون » وفى « ص » : « عن ميمون » ، وكلاهما خطأ ومحرف ، والصواب : « عن ابن عون » .. هذا ومثله كثير ، وقد تم ضبط مثل هذه النوعية من التحريفات فى الأعلام وغيرها ، وتمت الإشارة إليها فى مواضعها ، مع ذكر المصادر التى تم الاستعانة بها فى تصويب تلك التحريفات .

خامساً :

إكمال النصوص المهمة التى وردت فى إحدى المخطوطتين ناقصة المعنى ، والسياق يستدعى إكمالها لإتمام المعنى المراد منها ، ولم ترد فى المخطوطة الأخرى ، فإننى أقوم بإكمالها من مصادرها التى استقى منها الكاتب مادته ، كوفيات الأعيان - أو ممن جاء بعده - كابن الزيات والسخاوى وغيرهما - إذا ثبت أنهم استمدوا مادتهم من مصدر واحد ، وأضع المادة المزيدة بين معقوفتين مع الإشارة إلى ذلك فى موضعه .

سادسًا : قمت بضبط الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشعر ، وبعض النصوص والكلمات والأعلام التى يلتبس نطقها الصحيح على القارىء ، وحرصًا على وضوح معناها .

سابعًا : قمت بتخريج الآيات القرآنية بعد أن وضعتها بين قوسين مزهرين تمييزًا لها عن سائر الكلام ، كما قمتُ بتصويب الأحاديث النبوية التى وردت وبها خَلْطٌ أو خطأ من الناسخ ، وقمت بتخريجها والإشارة إلى ذلك .

ثامناً : ترجمتُ لكثير من الأعلام التى لم يترجم لها المؤلف ، كما أشرتُ للمصادر المعتمدة للأعلام التى ترجم لها المؤلف فى كتابه ، ليستعين بها من يريد الرجوع إليها من الباحثين .

تاسعًا : قمت بشرح الألفاظ الصعبة ، والعبارات المبهمة الغامضة التى قد يجد بعض القُراء صعوبة فى فهم مدلولها ، وذلك تيسيرًا عليهم ، وتوفيرًا لوقتهم فى البحث عنها فى المعاجم العربية وغيرها .

عاشرًا : قمت بتصويب المعلومات والتواريخ التى وردت خطأً ، مثل قوله عن السيدة نفيسة رضى الله عنها بأنها ولدت قبل الامام الشافعى بخمسين سنة ، وهذا مخالف للحقيقة ، فهى ولدت سنة ١٤٥ هـ والإمام ولد سنة ١٥٠ هـ ، أى أنها ولدت قبله بخمس سنين لاخمسين سنة .. وقوله : « ... وأقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين ... » وهذا مخالفٌ للحقيقة ، والصواب أنها أقامت بمصر خمس عشرة سنة لا سبع سنين كما ذكر ، حيث قَدِمَتْ إلى مصر فى ٢٦ من شهر رمضان سنة ١٩٣ هـ ، وتُوفيت بها سنة ٢٠٨ هـ ، كما أجمعت على ذلك المصادر التى ترجمت لها ، وقد أشرت إلى ذلك فى موضعه .

حادى عشر : قمت بمراعاة قواعد اللغة – نحوًا ، وصرفاً ، وإملاءً التى أُهملت فى هذا الكتاب ، خاصة همزات الوصل والقَطْع ، وأشرتُ إلى ذلك فى موضعه من هوامش التحقيق ، ما عدا همزات الوصل والقطع ، فإنها من الكثرة بحيث يصعب الإشارة إليها .

ثانى عشر : راعيتُ القواعد العروضية فى الشعر ، وذلك فى الأبيات التى جاءت غير مستقيمة الوزن ، فقمتُ بتصويب ذلك بالرجوع للمصدر الذى استمدّ منه الكاتب – إن وُجد – وإذا تعسر ذلك فإننى أضع « كلمة » من عندى أو « حرفاً » مناسباً للمعنى والسياق ، لاستقامة الوزن ، وأشرتُ إلى ذلك فى موضعه .

ثالث عشر : قمت بوضع علامات الترقيم بأنواعها المختلفة ، والتى أُهملت تماماً فى المخطوطتين ، كما وضعتُ الرمز « هـ » الذى أُهمل أيضاً للدلالة على السنة الهجرية .

رابع عشر : قمتُ بعمل فقرات للكتاب كله ، حيث أُهمل ذلك تماما فى المخطوطتين ، كما قمتُ بوضع بعض العناوين من عندى ، دفعًا للملل عن القارىء وتيسيرًا عليه ، وأشرتُ إلى كل عنوان قمت بوضعه فى الهامش .

خامس عشر : قمتُ بحذف العبارات التى كررها الناسخ سهوًا ، كما قمت بحذف العبارات التى لا معنى لها أيضًا ، أو كانت فاسدة المعنى ، منعاً لتشويش ذهن القارىء وبلبلة فكره ، وأشرت إليها فى موضعها . كما أننى أثبتُّ أكثر الجمل الدعائية التى وردت فى « ص » ولم ترد فى « م » مثل « رضى الله عنه » أو « عفا الله عنه » أو « رحمه الله » ونحوها ، ولم أشر إلى ذلك فى الهامش اكتفاء بهذه الإشارة هنا .

سادس عشر : قمت بإعداد ذيل لهذا الكتاب ، ذكرتُ فيه الأضرحه والمزارات التى مازالت قائمة ، والتى تُزار الآن فى القرافتين الصغرى والكبرى ، والتى لم تَرِدْ فى كتاب « مرشد الزوار » ، إذْ أن أصحابها من متأخرى الوفاة ولم يدركهم مؤلف الكتاب المذكور .
وذكرت أصحاب هذه الأضرحة ، وترجمتُ لكثيرٍ منهم ترجمة وافية ، وقدمتُ للقارىء بعض أقوالهم ومأثور كلامهم ، ليقف على بعض ما وصلوا إليه من عِلْمٍ ونورانية وفتوح ربانية .

ومن هؤلاء شيخ الإسلام وقاضى القضاة العز بن عبد السلام ، والعارف الزاهد أحمد بن عطاء الله السكندرى ، وذكرت مَنْ بِحَوْمَتِهِ من الأولياء والصالحين ممن لم يدركهم ابن عثمان ، وقاضى القضاء تقى الدين بن دقيق العيد ، والعالم العلاّمة كمال الدين بن الهُمَام ، والعالم الكبير عبد الله بن أبى جمرة ، ومن فى حومته من العلماء والأشراف ، والإمام محمد بن سيد الناس ، ومسجد السادة الوفائية بسفح المقطم وما به من الأضرحة ، وقدمتُ للقارىء تعريفًا بآل وفا ، وعددهم يقرب من عشرين شخصية ، بدءًا من جدهم الشيخ محمد النجم إلى آخر خليفة لهم ، وقدمتُ وصفًا لهذا المسجد من الناحية التاريخية والأثرية اعتمادًا على ما جاء فى الخطط التوفيقية ، وغيره من المصادر والمراجع .

كما ذكرت فيه قبر الشيخ الصالح سلامة أبى طرطور ، وضريح سيدى أبى السعود بن أبى العشائر ، ومن فى حومته من الأولياء والفقهاء والعلماء والصالحين ، وتربة الشيخ القطب أبى العباس البصير ، المعروف بابن غزالة ، ومن بتربته من الأولياء والصالحين ، والشيخ يحيى الصنافيرى ، والإمام عبد الله الغمازى ، وضريح العارف بالله صفى الدين أبى المواهب الشاذلى « التونسى » ، وضريح شمس الدين محمد بن اللبان « المعروف بالرازى » وضريح سيدى يوسف العجمى الكورانى ، وضريح ومسجد الشيخ شاهين الخلوتى الدمرداشى . وفى نهاية الذيل قدمت خُلاصة بالمزارات والآثار العربية الموجودة بالقرافة الجنوبية إلى سنة ١٣٥٦ هـ كانت موجودة فى آخر كتاب تحفة الأحباب للسخاوى مضافًا إليها مالم يدركه السخاوى ، وتشمل عدة جَبَّانات ، منها جبانة السيدة نفيسة وما بها من المزارات ، وجبَّانة سيدى جلال ، وابن الفارض ، وجبانة التونسى ، وجبانة الإمام الشافعى والليث ، وغيرهما . وذلك حتى تكتمل الفائدة المرجوة من الانتفاع بهذا الكتاب .

سابع عشر : قمت بوضع فهارس تفصيلية تشمل محتويات الكتاب ، والقرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأعلام ، والأماكن والبلاد والبقاع ، والجماعات والقبائل ، والأمم والطوائف ، وثبتاً بمصادر ومراجع التحقيق ، وذلك ليسهل على الباحث الاهتداء إلى ما يريده منها . كما قمت بعمل فهارس تفصيلية أيضاً للذيل الذى قمتُ بإعداده على مثال « مرشد الزوار » .

وأرجو بذلك أن أكون قد وُفِّقْتُ فى تقديم هذا الكتاب الذى يُحَقَّقُ للمرة الأولى ، بعد أن ظل أكثر من سبعة قرون بدون أن يقوم أحد بتحقيقه ، وأرجو أن ينال رضا قارئه ، وأن يستفيد مما جاء فيه بعد أن نَقَّيْتُهُ مما عَلِقَ به من شوائب التحريف والتصحيف ، وأدعو الله - عز وجل - أن يتقبل منى هذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وينفعنى به فى حياتى ، وعند مماتى ، ويوم أُبْعَثُ حيًّا ، وأرجو أن يتجاوز عن زلاَّتى وهفواتى وَجَهْلِى . وما توفيقى إلاَّ بالله ، عليه توكلتُ وإليه أنيب .

الفقير إلى رحمة ربه الودود

محمد فتحى أبو بكر

كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار

~~كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار~~

تأليف العلامة الرحلة الهمام

موفق الدين عثمان بن موفق

عممت بركاته ودام النفع

سـ ١ ربيع

١٢٠٩ هـ

كتاب مرشد الزوار الى قبور الابرار
تاليف الشيخ الفقيه الامام العالم
العامل العارف موفق الدين ابي محمد
عبد الرحمن بن الشيخ الفقيه ابي
الحرم مكي بن عثمان الشارعي الشافعي
قدس الله روحه ونور
ضريحه

[illegible]

الغازي ابن قيس الاموي القرطبي قرأ على نافع وضبط
عنه اختياره وسمع من ابن ابي ذئب وهو اول
من ادخل قراءة نافع وموطأ مالك الاندلس
وعنه رضي الله عنه قال عرضت مصحفي هذا
بمصحف نافع ابن ابي نعيم ثلاث عشرة مرة روى
عنه القراءة ابنه عبد الله وكان الشيخ رضي الله عنه
صالحا عابدا كثير التهجد بالليل رحمه الله توفي
مات سنة تسع وتسعين ومائة وذكره ابن يونس
في تاريخ المصريين فقال الغازي ابن قيس
الاندلسي من الموالي يكنى ابا محمد يروي عن مالك
وابن جريج والاوزاعي روى عنه عبد الملك
ابن حبيب وهو مشهور وكان عند المطلب [illegible]
وقد كان يحفظ [illegible]
[illegible]

خلت من صفر المذكور سنة وكان مولده عام
حجة الوداع وندته امه بالشجرة عند ذي الحليفة
حين احرم رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها
الى مكة ولما قتل اسر به معا وبه انتحب في الطريق
ومر به على باب دار عمرو ابن العاص لما يعلم من
كراهته لذلك ولما سحب حرق بالنار في
جيفة حمار ودفن في الموضع الذي قتل فيه
فلما كان بعد سنة جاء زمام غلامه فحفر عليه
فلم يجد سوى راسه قد فنه فحفر المسجد
وبها لان الراس في القبلة وكانت ولاية محمد على
مصر خمسة اشهر وكانت عايشة ام المومنين
رضي الله عنها قد اتفقت اخاها عبد الرحمن
الى عمرو بن العاص رضي الله عنه في شان محمد فاعلمه
بان الامر لمعاوية ابن حديج ولما قتل محمد ووصل
خبره المدينة امرت حبيبة ابي سفيان رضي
الله عنهما ان يشوى كبش فتشوي ثم ارسلته
الى عايشة رضي الله عنها وقالت هكذا شوي
اخوك بمصر فلم تاكل عايشة رضي الله عنها بعد
ذلك الشوي حتى ماتت ولما بلغ اسما خبر ولدها
جلست وكظمت الغيظ حتى شخصت ثدياها
دما ولما بلغ علي رضي الله عنه ما وقع له وجد
عليه وجدا عظيما وقام خطيبا فحمد الله واثنى
عليه ثم قال الا ان محمد ابن ابي بكر قد اصيب رحمه

الله

الله وعند الله نحتسبه اما والله ان كان لما علمت
لمن يومن بالقضا ويعمل للجزا ويحب هدى
المومن ويبغض شكل الفاجر وقيل لعلي
عليه السلام لقد جزعت على محمد جزعا شديدا
فقال اجل والله كان لي ربيبا وكنت اعده ولدا
وقيل انه لما بلغه قتله بكى عليه قال والله لقد
كان غلاما نافعا وكنا دافعا وسيفا قاطعا وحيا
لنا عدوا لهم ويجزي عليه شيما نتمم به ولما بلغه
اتهمه قال لو اكان ما قالوا لرجعنا والله لقد كان
بارا بوالديه وسار احتسبه عند الله وقال
لا احد يابى على ما في نفسه الا محمد ابن ابي
بكر فانه يابى على ما في نفسي وهذا ما انتهى اليه
من كتاب مرشد الزوار
وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه
وسلم
كم

مرشد الزوار إلى قبور الأبرار

المسمى

الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم

للإمام العارف

موفق الدين بن عثمان

المتوفى سنة ٦١٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلـــف (١)

الحمد لله الذى شرَّفَ الجبلَ المُقَطَّمَ بكل مسجدٍ شريف مُعَظَّم ، وجعَلَ فى سَفْحِه غِراسَ الجَنَّة ، وهو بهم مُكْرَمٌ (٢) .. نوره لا يَخْفَى ، ومِسْكُهُ لا يتكتَّم (٣) ، فهو كبُسْتَانٍ أزهاره تَتَبَسَّم (٤) ، ونسيمُه يُحْيى القلوبَ حين يَتَنَسَّم (٥) ، بل كان سَفْحُهُ سماءً ، وقبُورُهُ نُجومًا (٦) بينهما بُدُورٌ لا تَتَغَيَّم ، تزيد نورًا (٧) بقراءة القرآن عندها ويُرْحَمُ مَنْ يُرْحَم (٨) ، فقبورُ الصَّالحين خُيَّمٌ (٩) ، خواصُّ السلطان إليها يشتكى ويَتَظَلَّم ، فترى أرباب الحوائج يطوفون فى معسكر القبور على مَنْ له جَاهٌ (١٠) وَمَنْ بِحَرَمِهِ يَتَحَرَّم ، فيستغيثون عنده

---

(١) هذا العنوان من عندنا .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « يُكْرَم » .

(٣) لا يتكتَّم : لا يخفى ولا يستتر .. وفى « ص » : « لا يُكتم » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « تَتَنَسَّم » أى : تُشَمُّ وتُلْتَمس .

(٥) فى « ص » : « حين تَتَبَسَّم » . وما أثبتناه عن « م » هو المناسب للسياق والمعنى .

(٦) فى « م » و « ص » : « نجوم » وما أثبتناه بالنصب عطفًا على « سماء » الواقعة فى خبر « كان » ، والبدور : الأقمار .

(٧) تزيد نورًا : أى القبور .. وفى « ص » : « يزيد نورًا » أى : الجبل .

(٨) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « وترحم مَنْ يترحَّم » .. وجاء فى « ص » بعد هذه العبارة : « ... كأنها أصْدَاف فيها جواهر ، رؤاهم عَلَتْ كل قبر كزجاجة فيها مصباح ، إذا رآه العاصى بكى على ظُلْمَةِ قبره بين القبور وتندم ... » وهو ساقط من « م » .

(٩) خُيَّمٌ : أى : مُقَامَةٌ ثابتة . يقال : خَيَّمَ بالمكان ، أى : أقام به وفيه ، أو ضَرَّب خيمته فيه .

(١٠) أى : مَنْ له مكانة عند الله - عزَّ وجَلَّ - من الصحابة ، والعلماء ، والأولياء ، والصالحين ، يتوسلون بهم إلى ربهم .

أن يشفع ، وألْسِنَةُ الأحوال تجيب وتتكلم ، فلا تنظُرْ إلى شُعْثِ ظَواهِرها [١] ، فَبَواطِنُهَا رَوْضَاتٌ فيها أرواحُ الصالحين تَتَنعَّم .. فسبحان مَنْ أَوْقَفَ المُلوكَ عندها تتشفع بها ، وجعلها مَلاذَ الْخَلْقِ بِمَّا سبَقَ لها وَتَقَدَّم [٢] .. إذا أُجْدَبَتِ الأرضُ خرج الخلائقُ يَسْتَسْقُونَ بها [٣] ، فإذا السماء تَتَغَيَّم ، والقَطْرُ ينزل ويتَقَسَّم .. وتفِدُ إليها وتقصدها الوحوش ، فتعفر وجوهها فى تُرابها .. فسبحان مَنْ أَلْهَمَهَا وعَلَّم .. وإذا رَكَنَ إلى جانبها [٤] عاصٍ وَهَبَهُ الحقُّ لها ، وجادَ عليه وتَكَرَّم [٥] . هكذا هكذا .. وإلى تلالها [٦] أين مَنْ يتَقَدَّم .. وغدًا [٧] يركبون من قبورهم إلى قصورهم ، ويُكْشَفُ لكل واحدٍ منهم الحجاب ويُكَلَّم .. فترى هذا وقد تُوِّجَ ، وهذا قد زُوِّجَ ، وهذا قد أدناه ربه وعليه سَلَّم ، فَقِفْ [٨] على قبورهم بأَدَبٍ وتَحَشُّم .. وقُلْ : يا أَحْيَاءُ ، ترحَّمُوا على مَيِّت .. يا أغنياء ، جُودوا على مُفْلِسٍ .. وابْكِ على ضياع عمرك فى البطالة وتَنَدَّم ... وصَلَّى الله على سيدنا محمد وآلِه وصَحْبِه وسَلَّم [٩] .

وبعد ... فهذا الكتاب [١٠] قد ذكرتُ فيه فضل زيارة القبور وآدابها ، وذكرتُ فيه فَضْلَ الجَبَل المُقَطَّم وأوديته ، وقبور الصالحين التى فى سفحه – رضى الله عنهم – وذكرتُ بعض فضائلهم التى تُشَوِّقُ القُلوبَ إلى زيارتهم [١١] .

---

(١) شُعْث ظواهرها ، أى : مُتغيرة ، لا تَسُرُّ الناظر إليها .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « مِمَّا سَبَقَ لها وما تقدم » .

(٣) يستسقون بها ، أى : يتوسَّلُونَ بأصحابها إلى الله – سبحانه وتعالى – فى طَلَب السُّقْيَا ونُزُول الغيث .

(٤) فى « ص » : « وإذا دُفِنَ إلى جانبها » .

(٥) فى « ص » : « وتكيَّفَ » .

(٦) هكذا فى « م » ، والتلال : جمع تَلّ ، وهو ما ارتفع من الأرض عَمَّا حوله ، وهو دون الجبل .. وفى « ص » : « وإلّا فلالا » بالفاء ، والأخيرة تصحيف من الناسخ .

(٧) غَدًا : يريد يوم القيامة .

(٨) فى « م » و « ص » : « قف » .

(٩) فى « ص » : « وآله وسلم » .

(١٠) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فَصْلٌ . هذا كتابٌ ذكرتُ فيه ... » .

(١١) فى « ص » : « إلى رؤيتهم » .

فصـــل
فى ذكر الجبل [١]

هذا الجبل معروف بالمُقَطَّم ، مأخوذ من القَطْم [وهو القَطْعُ] [٢] ، وهو أنه لَمَّا كان منقطع الشجر والنبات سُمِّىَ بذلك مُقَطَّمًا ، ذَكَرَ ذلك الهُنَائِىُّ وغيره .. وقيل [٣] : إنَّ المقطم بن بيصر بن مصر بن حام بن نوح كان عبدًا صالحًا ، فَتَعَبَّدَ فى هذا الجبل فَسُمِّى باسمه ، ذكره أبو عبد الله اليمنى .. وقيل : لم يكن فى ولد نوح مَنْ اسمه « مقطم » .. والله أعلم .

وقد روى أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الحَكَم فى كتاب « فتوح مصر » قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثنا الليث بن سعد [٤] ، رضى الله عنه ، أنَّ المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار .. فعجب عمرو من ذلك ، وكَتَبَ إلى عمر بن الخطاب بذلك وبصفة السفح وماهو عليه .. فكتب إليه عمر وقال : سَلْهُ لِمَ [٥] أعطاك [به ما أعطاك] وهو لا يُزْرَعُ ولا يُستنبط به ماءٌ – أو قال : لا ينتفع به ؟!

---

(١) جملة « فى ذكر الجبل » وردت فى « م » كعنوان جانبى منفصل عن المتن ، وحرف الجر « فى » زيادة من عندنا .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٣) فى « م » : « قيل » بدون عطف .

(٤) من قوله : « وقد رَوَى أبو القاسم ... » إلى هنا عن « م » .. وفى « ص » : « وقد رَوَى الليث بن سعد » . وهو الليث بن سعد بن عبد الرحمٰن الفهمى ، إمام أهل مصر فى عصره حديثًا وفقهًا ، وكان كبير الديار المصرية ورئيسها ، وأمير مَنْ بها فى عصره . ولد فى قلقشندة – من قرى مصر – سنة ٩٤ هـ ، وتوفى فى القاهرة سنة ١٧٥ هـ . قال الإمام الشافعى : « الليثُ أَفْقَهُ من مالك ، إلَّا أن أصحابه لم يقوموا به » . وأخباره كثيرة .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٤٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٢٧ – ١٣٢ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣ – ١٤ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٩ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٣١٨ – ٣٢٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، وفضائل مصر للكندى ص ٤٠ وصفحات أخرى ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٢٣] .

(٥) فى « م » : « لِمَا » وحق الألف هنا الحذف . وما بين المعقوفتين – بعدها – عن =

فسأله ، فقال : إنَّا لَنَجِدُ هذه البقعة وصفتها فى الكتب ، وإنَّ فيها غِراسَ الجنة [١] .

فكتب عمرو إلى أمير المؤمنين [٢] . فكتب له عمر : « إنَّا لا نعلم غراسَ الجنة إلَّا للمؤمنين ، فاقْبُرْ بها مَنْ مات مِن قِبَلِكَ من المسلمين ، ولا تَبِعْهُ بشىء » .

ففعل له ذلك ، فغضب المقوقس من ذلك ، فقطع له عمرو قطيعًا نحو الحبش تدفن فيه النصارى ، وسُبِّلَتْ [٣] هذه المقبرة للمسلمين ، كما برز أمر أمير المؤمنين ، فكان أوَّلَ مَنْ دُفِنَ بها رجلٌ من المَعَافِرِ [٤] يقال له « عامر » ، فقيل : عَمَرتِ الجَبَّانَةُ [٥] . ووقفتْ ابنتُه على قبره تبكى ، فقيل فى ذلك :

قامتْ لتبكيه على قبره   مَنْ لِىَ مِنْ بَعْدكَ ياعامِرُ
تركْتَنِى فى الدَّار ذا غُربة   قد خابَ مَنْ ليس له ناصرُ

ورَوَى أبو سعيد عبد الرحمٰن بن أحمد بن يونس فى « تاريخ مصر » من حديث حَرْمَلَة بن عمران ، قال : حدثنى عمير بن مدرك الخولانى [٦] : قال سفيان بن وهب الخولانى : كنا [٧] مع عمرو بن العاص فى سفح هذا الجبل ومعنا المُقَوْقَسُ ، فقال له عمرو : يا مُقَوْقَسُ ، مابَالُ جَبلك أقرع ، ليس عليه نباتٌ ولا شجر ، على نحو من جبال الشام ؟! فَلَوْ شَقَقْنَا فى أسفله نهرًا من النيل

= « ص » ومعجم البلدان ، ولم يرد فى « م » .

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « إنَّا لَنَجِدُ صفتها فى الكتب أنَّ فيها غراسَ الجنة » .

(٢) فى « ص » : « فكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه » .

(٣) سُبِّلَتْ ، أى : جُعِلَتْ فى سبيل الله . ومن قوله : « ففعل له ذلك » إلى قوله : « أمير المؤمنين » عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) المعافرة : بلد باليمن .

(٥) الجبَّانة : المقبرة . وهى عن « م » ولم ترد فى « ص » وانظر ذكر مقابر مصر والقاهرة فى الخطط المقريزية ج ٢ ص ٤٤٢ وما بعدها .

(٦) من قوله : « رَوَى أبو سعيد » إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) فى « ص » : « بينا نحن » مكان « كُنَّا » .

وغَرَسْنَا نَخْلًا [١] . فقال : ما أدرى ، ولكن الله تعالى أغْنَى أهْلَهُ عن ذلك بهذا النيل [٢] ولكنَّا نجد تحته ماهو خيرٌ من ذلك .. قال : وماهو ؟ قال : يُدْفَنُ [٣] تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حسابَ عليهم .. فقال عمرو : اللهم اجعلنى منهم .

قال حَرْمَلَةُ : فرأيتُ أنا قبرَ عمرو بن العاص ، وقبْرَ أبى بَصْرَة [٤] الغِفَارِىّ ، وقبرَ عُقْبَة بن عامر الجُهَنِىّ ، رضى الله عنهم . وقطع عمرو للمقوقس الحَدَّ الذى كان بين المقبرة وبينهم .

وقد رُوِى فى بعض الأخبار أنَّ كَعْبَ الأَحْبَار [٥] سأل رجلًا يريد مصر ، فقال : أَهْدِ لى ترابًا من سفح مُقَطَّمِهَا ، فإنَّا نجد فى الكتب أن الله قَدَّسَه من القصير إلى اليَحْمُوم [٦] . فأَتَاهُ منه بجراب ، فلما حَضَرَتْ كَعْبَ الأَحْبار الوفاةُ ، أمَرَ به أنْ يُفْرَش تحت جنبه فى قبره .

---

(١) قوله : « فلو شققنا فى أسفله نهرًا من النيل وغرسنا نخلًا » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٢) قوله : « ما أدرى ، ولكن الله تعالى أغْنَى أهْلَهُ عن ذلك بهذا النيل » عن « ص » ولم يرد فى « م » .

(٣) فى « ص » : « لَيُدْفَنَنَّ » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وقبرًا فيه أبو بصرة » .

(٥) هو كعب بن ماتع الحميرى ، أبو إسحاق ، تابعىٌّ ، كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، وأسلم فى زمن أبى بكر ، وقَدِمَ المدينة فى عهد عمر ، فأَخَذَ عنه الصحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسُّنَّة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام ، فسكن « حمص » وتوفى بها سنة ٣٢ هـ عن مائة وأربع سنين .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٢٨ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٣٦٤ - ٣٩١ وج ٦ ص ٣ - ٤٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٢ ، ٥٣] .

(٦) اليحموم : الأسود المظلم ، وجمعه « يحاميم » . وهى هنا الجبال المتفرقة المُطِلَّةُ على القاهرة بمصر من جانبها الشرقىّ ، وبها جَبَّانة ، وتنتهى هذه الجبال إلى بعض طريق الجُبِّ ، وقيل لها « اليحاميم » لاختلاف ألوانها .

[انظر معجم البلدان ج ٥ ص ٤٣١] .

قال ابن لَهِيعَةَ [١] : المقطم مابين القصير إلى مقطع الحجارة ، وما بعد ذلك فاليحموم .

وفى بعض الكتب : يُحْشَر من تحته ثمانون ألف لواء إلى الجنة بغير حساب .

وروَى القُضَاعِيُّ [٢] : أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام ، مَرَّ على جبلِ مِصْرَ هو وأُمُّه ، وعليه جُبَّة من صوف ، فقال : يا أُمَّاه ، يُدْفَنُ هنا مِن أُمَّة محمد [٣] صلى الله عليه وسلم .

وقد رُوى أنَّ جبَلَ مصر كان أكثر الجبال أشجارًا ونبتًا وفاكهة ، وكان ينزله المُقَطَّم بن بيصر بن حام بن نوح ، فلما كانت الليلة التى كَلَّمُ اللهُ موسَى عليه السلام فيها ، أوحى الله إلى الجبال : أنِّى مُكَلِّمٌ عليكِ نبيًّا - أو قال : على جبلٍ منكن نبيًّا من أنبيائى - فَسَمَتِ الجبال كلها ، إلَّا جبل القُدس [٤] ، فإنه هَبَطَ وتصاغَر ، فأوحى الله إليه : لِمَ فَعَلْتَ ذلك ؟ - وهو به أعلم - فقال :

---

(١) هو عبد الله بن لَهِيعَة بن عقبة الحضرمى المصرى ، أبو عبد الرحمٰن ، قاضى الديار المصرية وعالمها ومُحَدِّثها فى عصره ، وثَّقَهُ أحمد بن حنبل وغيره . ولد سنة ٩٧ هـ ، وتوفى سنة ١٧٤ هـ ، وقيل سنة ١٦٤ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ١١٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٨ ، ٣٩ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠١ ، وفضائل مصر للكندى ص ٢٠ والولاة والقضاة ص ٣٦٨ - ٣٧٠ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٠٥ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٧٥ - ٤٨٣] .

(٢) هو محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى ، أبو عبد الله ، مُؤَرِّخ ، ومُفَسِّر ، ومن علماء الشافعية ، كان كاتبًا للوزير الجرجرائىّ (على بن أحمد) بمصر فى أيام الفاطميين ، وتولى القضاء بالديار المصرية ، روى عنه الخطيب البغدادى ، وقال عنه ابن ماكولا : كان مُتَفَنِّنًا فى عدة علوم . وتوفى بمصر سنة ٤٥٤ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٦ ص ١٤٦ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، وطبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ١٥٠ ، ١٥١ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٣] .

(٣) فى « ص » : « يُدفن هاهنا أُمَّةُ محمد » .

(٤) فى « ص » : « أنى مُكَلِّمٌ نبيًّا من أنبيائى على جبلٍ منكم ، فَسَمَتْ كلها إلَّا الجبل المقدس » . وَسَمَتْ ، أى : تطاوَلَتْ وارتَفَعَتْ عُلُوًّا وطموحًا . والجبل المقدس هو جبل الطور الذى كلَّم الله عليه موسى عليه السلام .

إجلالًا لَكَ يارب .. فأَمَرَ اللهُ الجبالَ أن يُتحِفَه (١) كل جبل بشيء مِمَّا عليه مِنَ النبت .. وجَادَ له المقطم بكل ماعليه ، حتى بقى كما ترى (٢) ، فأوحَى الله إليه : أنّى مُعَوِّضُكَ (٣) بشجر الجنة ، أو غَرْسِ الجنة ، يعنى المؤمنين .

وفى التوراة مكتوب : إذا فُتِحَ وادِى مَقْدِسِى (٤) – يريد وادِى موسى – فالمقطم عند مقطع الحجارة .. وأن موسى ، عليه السلام ، كان يناجى ربه بذلك الوادى .. ذكر ذلك القضاعى .

ورُوِى أنَّ موسى سَجَدَ فسجَدَ معه كل شجرة من المقطم إلى « طُوًى » (٥) . ويُرْوَى أنَّ « يهوذا » (٦) أقام فى ذروة هذا الجبل (٧) فى المحل المعروف الآن بمشهد إخوة يوسف ، عليه الصلاة والسلام .. وما زال هذا الجبل

---

(١) فى « ص» : « أن تَحْبُوَهُ » أى تعطيه وتمنحه . وتتحفه بمعناها أيضًا ، يقال : أتحفه بكذا ، أى جاد عليه وأعطاه شيئًا له قيمة .

(٢) قوله : « حتى بقى كما ترى » عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) فى « ص » : « إنى مُعَوِّضُك على فِعْلِكَ » .

(٤) فى « م » : « وادِى مقدس » .

(٥) طُوًى : هو الوادى المقدس الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، وهو يُنَوَّن ولا يُنَوَّن .

(٦) قيل : هو أكبر إخوة يوسف – عليه السلام – سِنًّا ، وأرشدهم رَأْيًا ، وهو الذى حكى القرآن الكريم قصته بعد أن يئس إخوة يوسف من إقناع يوسف بإطلاق سراح « بنيامين » أخيهم أو أخذ أحدهم مكانه – قال تعالى فى سورة يوسف من الآية الثمانين : ﴿ قال كبيرُهُم : ألَمْ تعلموا أنَّ أباكم قد أخذ عليكم مَوْثِقًا مِنَ الله ، ومِنْ قبلُ ما فَرَّطتُم فى يوسف ، فَلَنْ أَبْرَحَ الأرْضَ حتى يَأْذَنَ لى أبى أو يَحْكُمَ الله لى ، وهو خيرُ الحاكمين ﴾ فأقام بأرض مصر فى الموضع المذكور هنا .

[انظر تفسير الكشاف للزمخشرى ، المجلد الثانى ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ – وتفسير حمزة وبرانق وعلوان ج ١٣ ص ٢٢] .

(٧) إلى هنا ينتهى الفصل فى « ص » ، وما ورد بعد ذلك عن « م » .

العظيم ، والمقام الكريم منزلًا لأولياء الله الكرام ، ومنتزهًا لأحبابه العظام [1] .

* * *

(١) انظر مادة « المقطم » في معجم البلدان ج ٥ ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، وانظر فضائل مصر للكندى - فضائل مقبرة مصر ص ٦٣ - ٦٥ ، ط دار الفكر - بيروت ، وانظر الخطط المقريزية ، ذكر جبل المقطم ، ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٥ ، وانظر حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٩ ، وانظر مساجد مصر وأولياؤها الصالحون لسعاد ماهر ج ١ ص ٤٨ - ٥٠ ، وانظر الكواكب السيارة لابن الزيات ص ١٢ - ١٥ .

فصـــل
فى ذكر زُوَّاد هذا الجبل وفضل القرافة [١]

قال ذو النون المصرى [٢] : وُصِفَ لى رجلٌ بالجبل المقطم ، فقصدته ، فمكثتُ معه مدة تزيد على أربعين يومًا [٣] ، ثم استخرتُ الله فى سؤاله ، فقلت له : فِيمَ [٤] النجاة ؟ قال : فى التقوى والمُراقبة [٥] . قلتُ : زِدْنِى . قال : فِرَّ مِنَ الخَلْق ولا تأنسْ بهم [٦] . قلتُ : زِدْنِى . قال : إنَّ للهِ عبادًا خافوه ، فَسَقَاهُم كأسًا من محبته ، فَهُم فى شَرَبِهِمْ [٧] عِطَاش ، وفى عَطَشِهِم أَرْوِياء .. قلتُ : زدنى . قال : هم أقوياء فى تَوَكُّلهم [٨] .. ثم تركنى ومضى . قيل : إنما سُمِّيَتْ هذه البقعة المباركة « القرافة » [٩] لأن مَنْ قَصَدَ إليها يَلْقَ رأفة (انتهى) .

---

(١) هذا السطر من عندنا ولم يرد فى أىٍّ من المخطوطتين .

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمى المصرى ، أبو الفيض ، أحد الزُّهَّاد العُبَّاد المشهورين ، نُوبِىّ الأصل ، وأول مَنْ تكلَّم بمصر فى « ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية » ، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم .. واتهمه لَدَى المتوكل العباسىّ بالزندقة ، فاستحضره إليه فلمَّا دَخَلَ عليه وعَظَهُ ، فبكَى المتوكل ، ثم أطلقه ، فعاد إلى مصر ، وبها توفى سنة ٢٤٥ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٠٢ ، وطبقات الصوفية ص ١٥ – ٢٦ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٣٣١ – ٣٩٥ ، وج ١٠ ص ٣ ، ٤ ، والطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ٧٠ – ٧٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٥٨ – ٦١ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٥ – ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٩٣ – ٣٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٥٣٢ – ٥٣٦ ، وطبقات الأولياء ص ٢١٨ – ٢٢٧ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٣ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٠٧ ، ١٠٨] .

(٣) فى « ص » : « فمكثتُ معه أربعين يومًا » .

(٤) فى « ص » : « فيما » لانصح .

(٥) فى « م » : « فى التقوى والقرافة » والأخيرة تحريف .

(٦) قوله : « .. فِرَّ من الخلق ولا تأنسْ بهم .. » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٧) فى « م » : « شَرَبِه » . والشَّرَبُ : كثرةُ الشُّرْبِ .

(٨) فى « ص » : « بتوكُّلِهم » .

(٩) فى « ص » : « قيل : سُمِّيَتِ القرافة .. » .

فصــل
فى ذكر المقبور فيه من الصحابة [١]

إذا أردْتَ أن تعرف شرفَ الأرض ، فانْظُرْ إلى المدفونين بها .. قال الله تعالى : ﴿ مِنْها خَلَقْنَاكُمْ وفيها نُعِيدُكُمْ ومنها نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [٢] .

قال الإمام الجليل العالم عبد الله بن وهب [٣] رضى الله عنه : قُبِرَ فى مقبرة المقطم مِمَّنْ عُرِفَ مِنْ أصحاب رسول الله ، ﷺ ، خمسة نَفَرٍ : عمرو ابن العاص السَّهْمِىُّ ، وعبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ الزبيدىُّ ، وعبد الله بن حُذَافة السَّهْمِىُّ ، وأبو بَصْرَةَ الغِفَارىُّ ، وعُقبة بن عامر الجُهَنِىُّ ، رضى الله عنهم ، وحَشَرَنا فى زُمرتهم تحت لواء سيد المرسلين [٤] .

وقد رَوَى التِّرمِذِىُّ فى الحديث [٥] من طريق أبى طَيْبَةَ ، عن عبد الله بن

---

(١) هذا العنوان لم يرد فى « ص » وورد فى « م » كعنوان جانبى .

(٢) فى « ص » : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » ولم يكمل الآية ، وهى من سورة طه – الآية ٥٥ .

(٣) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى ، وُلد فى مصر سنة ١٢٥ هـ ، وهو من أصحاب الإمام مالك ، وكان يكتب إليه : « إلى عبد الله بن وهب فقيه مصر » . ولم يكتب الإمام مالك لأحد بالفقيه إلّا له ولأبى محمد المفتى .

وقد جمع ابن وهب بين الفقه والحديث والعبادة ، وله كتب ، منها : الجامع فى الحديث ، والموطّأ فى الحديث . وعُرِضَ عليه القضاء فَخَبَّأ نفسه ولَزِمَ منزله . وكانت وفاته بمصر سنة ١٩٧ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ١٤٤ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وفضائل مصر للكندى ص ٤٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠٤ – ٣٠٦ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، والعِبَر للذهبى ج ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢] .

(٤) من قوله : « رضى الله عنهم » إلى هنا ، عن « م » .

(٥) فى « ص » : « وقد رُوِىَ فى الحديث » . ولم يذكر رجال السند .

مسلم ، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ [١] ، عن أبيه ، رفعه : أنَّ رسول الله ، ﷺ ، قال : « ما مِنْ أحَد من أصحابى يموتُ بأرضٍ إلَّا بُعِثَ قائدَهُم [٢] يوم الجمع » – وفى رواية : يوم القيامة – . وفى رواية : قائدًا ونورًا [٣] .

ولله دَرُّ مَنْ قال :

هنيئًا لـزوَّارِ القَرَافَـةِ إنهم يَزُورُونَ أرضًا قد أُجِلَّتْ قُبُورُهَا
قُبـورٌ عـليها هَيْبَـةٌ وجَلالَـةٌ إذا جُبْتَها ليلاً بَدا لكَ نورُهَا
سَقَى اللهُ من ماءِ الجِنَانِ تُرَابَهَا ونَجّى بها مَنْ جَاءَ قَصْدًا يَزُورُهَا

وقال آخر [٤] :

يَمِّمْهُ تَحْيَا بالهُـدَى مَعْمُـورَا تَرْجِعْ بأنْواعِ العَطَا مَغْمُـورَا
زُرْ بالقرافَةِ كُلَّ حَيٍّ مُشْرِقٍ تَشْهَـدْ بحورًا إذْ تَـزُرْ وقبـورَا
سَفْحُ المُقَطَّمِ رَوْضَةٌ إنْ لم تَنَلْ ثَمَرَ المُنَى منها نَشِقْتَ زُهُورَا [٥]
هى ساحَةٌ حَلَّ الجلالُ بأرضِها وجَمَالُهـا البادِى تَزَايَـدَ نُـورَا

---

(١) فى « م » : « بهدة » خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وهو : عبد الله بن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب الأسلمى المروزى .. من ثقات التابعين ، وُلِدَ لثلاثٍ سنين خَلَوْنَ من خلافة عمر بن الخطاب ، وتوفى سن ١١٥ هـ .

[انظر ترجمته فى ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٩٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٢ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٧ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٣٩٧ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٤] .

(٢) فى « ص » : « قائدًا لهم يوم القيامة » .

(٣) من قوله : « وفى رواية » إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

ونَصُّ الحديث فى الترمذى : « ما مِنْ أحدٍ من أصحابى يموتُ بأرضٍ إلا بُعِثَ قائدًا ونورًا لهم يوم القيامة » رواه الترمذىُّ فى المناقب .

[انظر صحيح الترمذى ج ١٣ ص ١٤٥ بشرح ابن العربى] .

(٤) من قوله : « وقال آخر » إلى نهاية « الشعر » عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) نَشِقْتَ : شَمَمْتَ .

وقال آخر :

نـــورٌ تَلألأَ بالقَرافَـــةِ إذْ أَضَا وسَنَا بها ، عَمَّ الرِّحابَ مع الفَضَا [١]
بُشْرَى غِراسٍ جَنابِ جنَّاتِ الرِّضَا مِمَّنْ يَجِيء ، وسابق فيما مَضَى
بنَجَاتِهِ مِنْ حَرِّ نيرانِ الـغَضَا ونعيم خُلْدٍ لا يُشَابُ بِالانْقِضَا [٢]

وقال آخر :

سَفْحٌ تقـدَّسَ بالغِراس فنـــورهُ ملأَ البطاحَ وماله مِنْ مُشْبِهِ [٣]
فَتَرى بَرِيهِ وواردِيه ومَـنْ بِـه كُلَّ الهناءِ ، وكل ماقد يَشْتَهِى [٤]

وقال آخر :

قَرافُ مِصرَ صَانُها سَفْحُ الجَبَلْ قَدْ قُدِّسَ الوَادِى لِمَنْ قَدْ فيه حَلْ
يافَـوْزَ مَـنْ بِفِنَـاءِ ذيَّــاكَ الْمَحَــلْ حَطَّ الرِّحَالَ مَعَ الرِّجَالِ وَمَا ارْتَحَلْ [٥]

وأقام يعقوب عليه الصلاة والسلام بها ثلاث سنين ، ثم حُمِلَ إلى بيت المقدس ، فَدُفن عند آبائه [٦] . ودُفن يوسف عليه السلام بها ، وبالجيزة ، وبمحل المقياس ، نُقِلَ من القرافة إلى الجيزة ، ونُقل من الجيزة إلى رأس الروضة ، فى المَحَلِّ المعروف الآن بالمقياس ... وقد كان - صلى الله عليه وسلم - لَمَّا دُفن بالقرافة نَبَتَ العُشب والكلأ بالجهة القبلية ، ولم ينبت بالجهة البحرية شىء ،

---

(١) أضَا : أَضَاءَ . والفَضَا : الفَضَاء .

(٢) لا يُشابُ بالانقضا : لا يطرأ عليه ما يفسده مع مرور الزمن .. ونيران الغضا ، هى النيرانُ العظيمة ، فالغَضَا شجر من الأَثْلِ يبقى جَمْرُهُ ونيرانه زمانًا طويلًا لا ينطفىء .

(٣) الغِراسُ : ما يُغْرَسُ من شَجَرٍ ونحوه ، والمراد به هنا ما دُفِنَ فيه من الأموات .. والبطاح : المكان المُتَّسِع يمُرُّ فيه السَّيْل .

(٤) بَرِيهِ : خَلْقِهِ أو تُرابه .

(٥) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٦) فى « ص » : « ثم رَحَلَ إلى البيت المقدس ليجمعوا بينه وبين آبائه » . وما بعد ذلك عن « م » ولم يرد فى « ص » .

فَنُقِلَ ودُفن بالجيزة بمحلٍّ هناك ، فنبتَ العُشب والكلأُ على عادته بالجهة البحرية ، ولم ينبت بالجهة القبلية شيء ، فنُقِلَ ودُفن فى صندوق من الرخام بمحل المقياس ، وهو وسط النيل ، لتعم بركته الجانبين ، فأقام بهذا المحل مدة ، نحوًا من ثلاثمائة سنة ، إلى أن حمله موسى عليه السلام [بعد أنْ قال له بنو إسرائيل : إن يوسف] (١) ، لَمَّا حضرته الوفاة أخذ علينا موثقًا من الله ألَّا نخرج حتى ننقل عظامه معنا .. قال : فأين قبره ؟ قالوا : علمه عند امرأة عجوز من بنى إسرائيل .. فبعث إليها ، فأتَتْهُ ، فقال لها : دلينى على قبر يوسف .. فقالت له : لا أدلُّك على قبره حتى تسأل لى ربك أربعة أشياء : تسأله أنْ يُطْلِقَ لى رِجْلاَىَ ، وَيَرُدَّ علىَّ بصرى ، وشبابى ، وأن أكون معك فى الجنة ..

فكبر ذلك عليه ، فَأُوحِىَ إليه أنَّ الله أعطاها ماسألَتْهُ .. ففعَلَ ، وردَّ اللهُ عليها بصرَها ، وشبَابَها ، وإطلاقَ رجليها ، فتوجهت بهم إلى المحل المذكور ليلًا ، فاستخرجوا الصندوق ، فلما فتحوه طلع القمر وأضاء الأرض مثل النهار ، فحملوه معهم ، ودُفِنَ فى قَبْرٍ عند آبائه بالأرض المقدسة ، وكان هذا الأمر معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام .

* * *

حــكاية :

قال مالك بن دينار (٢) : مررت ببعض أودية الجبل المقطم ، فرأيتُ إنسانًا سائحًا ، فظننتُ أنه مجنون ، فنادانى هاتف من بين الجبال : ليس الأمر

---

(١) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا لاستقامة السياق والمعنى .

(٢) هو مالك بن دينار البصرى ، أبو يحيى ، من رواة الحديث .. كان وَرِعًا ، يأكل من كَسْبِه ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٣١ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣٥٧ – ٣٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٣٩ ، ١٤٠] .

كما ظنَنْتَ ، إنَّمَا هو ولِّى من أولياء الله تعالى ، عظُمَتْ زفرتُهُ ، واشتدت حسرتُه ، وارتفع صوته ، وعلا نحيبه .. قال مالك : فلما سمعتُ الهاتفَ الذى هتف لى هَدَأ روعى ، ورُدَّت إلَّى روحى ، وعدتُ إلى طريقى راجعًا ، وإذا أنا بشابٌ قد أذابته العبادة حتى عاد كالخِلَالِ [1] ، فسلمتُ عليه ، فَرَدَّ علَّى ، فأخبرتُه بعطشى ، وقد لحقنى منه هيبة عظيمة ، فنظر إلَّى وقال : يا مالك ، أما وَجَدْتَ فى البريَّة نُقطة ماء ؟ ثم قام إلى صخرة فى الجبل فضرب بها برجله وقال : اسْقِنَا ماءً بِقُدْرَةِ مَنْ يُحيى العظام وهى رميم ، فإذا أنا بالماء ، فشربتُ حتى رويتُ ، ثم قلتُ له : أَوْصِنِى بشىء أنتفع به .. فقال : يامولاى ، كُن لمولاك فى الخلوات حتى يسقيك الماء من الصخرة فى الفَلوات .. ثم أنشد وجعل يقول :

أَهْلُ المَحَبَّةِ ما نَالُوا الذى قصدوا	حتى لِمَوْلَاهُمْ فى الخَلْوَة انفردُوا
تراهُمُ الدَّهْرَ لا يمضُونَ مِنْ بَلَدٍ	إلَّا ويبكى عليهِمْ ذلكَ البلَـدُ
لا يعطفونَ على أَهْلٍ ولا وَلَدٍ	ولا ينامُونَ إنْ كانَ الورَى رَقَدُوا
فَالذِّكْرُ مَطْعَمُهُمْ ، والشُّكْرُ مَشْرَبُهُمْ	والْوَجْدُ مَرْكَبُهُمْ مِنْ أجْلِ ذَا سَعِدُوا
لا يَبْرَحُونَ على أَبْوابِ سَيِّدِهمْ	ولا يُرِيدُونَ إلَّا مَنْ له عَبَدُوا
فالشَّوْقُ يَضْرِمُ نارًا فى قُلُوبِهِمُ	ونَارُهُمْ فى ظَلامِ اللَّيْلِ تَتَّقِـدُ
مَساجِدُ اللهِ مَأْوَاهُمْ ومَسْكَنُهُـمْ	وعَيْشُهُمْ فى حِمَاهُ طَيِّبٌ رَغَـدُ

حُكِيَ عن ذى النون المصرى رضى الله عنه ، أنه قال : وُصِفَتْ لى جاريةٌ متعبدة ، فأحببتُ لقاءها ، فخرجتُ إلى الجبل أطلبها ، فَلَمْ أَرَهَا ، فلقيتُ جماعة من المتعبدين ، فسألتهم عنها ، فقالوا : تسأَل عن المجانين وتترك العُقَلاءَ ؟ قال ذو النون : فقلت لهم : دلُّونى عليها ، فإن كانت مجنونة تركتها . فقالوا : إنَّا نراها مَرَّةً تجوزُ بنا تقع ، ومرة تقوم ، ومرة تصيح ، ومرة تضحك ، ومرة

---

(١) أى : كالعود الرفيع .

تبكى .. قال ذو النون : فدلُّونى عليها .. فذهبتُ ، فلما أشْرَفْتُ على الوادى التى هى به ، سَمِعْتُ لها صوتًا ضعيفًا حزينًا .. قال : فتَتَبَّعْتُهُ ، فإذا أنا بجارية ماتكاد تَبِينُ مِنَ الجُوعِ والنُّحول ، وهى جالسة على صخرة عظيمة ، فسلمتُ عليها ، فقالت : ياذا النون ، مالَكَ وللمجانين ؟! فقلتُ لها : أنتِ مجنونة ؟! قالت : لم أكن كذلك ، إنما نُودِىَ علىَّ بالجنون . فقال ذو النون : وما الذى جَنَّنَكِ ؟ قالت : ياذا النون ، حُبُّه [١] جَنَّنِى ، حُبُّه هَيَّمَنِى ، وَوَجْدُهُ أقلقنى .

قال ذو النون : فقلتُ لها : ياجارية ، وأين مَحَلُّ الشوق منْكِ ؟ قالت : ياذا النون ، الحب فى الحشَا ، والشوق فى الفؤاد ، والوجد فى السر .. قال ذو النون : فقلت لها : ياجارية ، قالت : لبيك .. قلت : الفؤاد فى القلب ؟ قالت : نعم ، الفؤاد نوره القلب ، والسر نوره الفؤاد ، فالقلب يحب ، والفؤاد يشتاق ، والسر يجد الحق .. قال ذو النون : فقلت لها : وكيف يجد الحق ؟ قالت : ياذا النون ، وجدان الحق بلا كيف .. قال ذو النون : فقلت لها : أوصينى يا أَمَةَ الله بشىءٍ أنتفعُ به .. فقالت : ياذا النون ، حبَّ مولاك ولا تَبْتَغِ به بدلا .. قلتُ : زيدينى يرحمك الله .. قالت : ياذا النون ، إنْ قدرتَ أنْ تخطو إلى الآخرة خُطْوَة فافْعَلْ ولو أدركك فى ذلك مشقة ، فإن المنازل والدرجات لا يُوصَلُ إليها إلا بالمشَقَّات .. ثم قالت : ياذا النون ، إنْ كنتَ رجلًا فى محبتك صادقًا [٢] ، وفى عشقك لسيدك واثقًا [٣] فَمُتْ كما أموت .. ثم صرخَتْ صرخة عظيمة وقالت : هذا مَوْتُ الأخيار من المحبين الصادقين . فغشى عليها ، ووقعتْ على وجهها ، فتقدمتُ إليها ، وحرَّكْتُها ، فإذا هى ميتة ، فطلبتُ شيئًا أحفر به [٤] قبرًا ، فلم أجدْ شيئًا ..

---

(١) الضمير فى « حُبه » يعود على « الله » عَزَّ وجَلَّ .

(٢) فى « م » : « صادق » بالرفع .. لاتصح ، وأصل العبارة : « إنْ كُنْتَ رَجُلًا صادقًا فى محبتك » فهى صفة لمنصوب .

(٣) فى « م » : « واثق » لا تصح ، والنصب هنا على العطف .

(٤) فى « م » : « بها » .

قال ذو النون : فالتفتُّ إليها فلم أجدها ، فبقيتُ متحيرًا فى أمرى ، وإذا بهاتِفٍ يهتِفُ بى : ياهذا ، اذهب راشدًا ، فهو يتولى الصالحين .. فمضيتُ إلى حال سبيلى .. رضى الله تعالى عنها ، ونفعنا ببركاتها [1] .

* * *

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

فصل
فى ذكر المساجد التى على الجبل المقطم

المسجد المعروف بالتَّنُّور [١] :

قيل هو تَنُّور فرعون ، كان يُوقَدُ عليه [٢] بالطَّرْفَاء ، فإذا رأى النارَ أَهْلُ مصر عرفوا بركوبه ، فاجتمعوا واتخذوا له مايريد . وكذلك إذا ركب منصرفًا من عين شمس ، والله أعلم [٣] .. وقيل : كان يُوقَد عليها بالطَّرْفَاء ، واللُّبَان ، والصَّنْدَر [٤] ليرفع عن أهل مصر الوباء .

قال القضاعى : وجدتُ فى كتاب قديم أن يهوذا بن يعقوب أخا يوسف ، عليهم السلام ، لما دخل على أخيه يوسف مع إخوته – فى قصة الصُّوَاع – تأخر عن إخوته ، فأقام [٥] فى ذروة الجبل المقطم فى هذا المكان ، وكان مقابلاً لتنُّور فرعون الذى كان يُوقَد له فيه النار . [ثُم خَلاَ] [٦] ذلك الموضع إلى زمان أحمد بن طولون ، فَأُخبِرَ بفضل الموضع وبمقام يهوذا فيه ، فقام [٧] بعمارة هذا

---

(١) انظر ماكُتب عنه وعن سائر المساجد التى وردت فى هذا الفصل فى « الخطط المقريزية » ج ٢ ص ٤٥٥ ومابعدها ، فى « ذكر المساجد والمعابد التى بالجبل والصحراء » ومساجد مصر لسعاد ماهر ج ١ ص ٥٢ وما بعدها .

(٢) فى « م » : « عليها » . وأصل التَّنُّور : الفُرن يُخْبَزُ فيه ، والمراد به هنا : وعاءٌ من المعدن يُعَلَّق « كالنجفة أو المِشْكاة » .. والطَّرْفَاء : نبات من الفصيلة الطرفاوية .

(٣) من قوله : « وكذلك إذا ركب .. » إلى هنا .. عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « السندروس » بالسين .. أى : الصندل ، وهو شجرٌ خشَبُهُ طيب الرائحة . واللُّبان : نباتٌ من الفصيلة البخورية يفرز صمغًا ، ويُسَمَّى : « الكُنْدُر » .

(٥) فى « ص » : « وأقام » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٧) فى « ص » : « فأَمَرَ » . والجار والمجرور « فيه » عن « ص » وساقط من « م » .

المسجد والمنارة التى فيه ، وجعل فيه صهريجًا يخزنُ فيه الماء ، وأُوْقَفَ عليه « البيمارستان » [١] بمصر ، والعين التى بالمعافر [٢] ، وأنشأه أحمد فى شهر صَفَر بخير ، سنة ٢٥٩ هـ [٣] .

ويقال : إن تنور فرعون لم يزل فى الموضع بحاله إلى أن خَرَجَ إليه قائدٌ [٤] من قواد أحمد بن طولون يُقال له « وصيف » ، فهدمه ، وحفر تحته ، وقَدَّرَ أنَّ تحته مالًا [٥] فلم يجد شيئًا تحته ، وزال رسم التنور وذهب [٦] . ويُقال : إن ابن طولون وجد تحته كنزًا ، وأنه عَمَّرَ به الجامع ، ووجد فيه العُشارِيَّ (*) الذى على رأس منارته .

المسجد المعروف بمقام المؤمن :

قيل : إنه أقام فيه مؤمن آل فرعون ، ولم يوجد ذلك فى كتاب [٧] .

المسجد المعروف بالحرم :

قيل : إنَّ قومًا كانوا فيه تُطْوَى بهم الأرض ، كانوا يُحْرِمُونَ منه ثم يحجون ويعودون إليه ، وهو فى عُلْوِ مغارة ابن الفارض [٨] .

---

(١) البيمارستان : المستشفى (لفظة فارسية مُعَرَّبَة) .

(٢) فى « م » : « بالمعارف » تحريف من الناسخ ، والمراد بها : بئر بنى المعافر . [انظر الخطط المقريزية ج ٢ ص ٤٥٥ ، والكواكب السيارة ص ١٨٢] .

(٣) قوله : « وأنشأه أحمد .. » إلى هنا .. عن « م » ولم يرد فى « ص » ، وهو مذكور فى المصدر السابق .

(٤) فى « م » : « قائدًا » بالنصب .. خطأ .

(٥) فى « ص » : « أنَّ فيه مالًا » .. وسقطت « مالًا » من « م » .

(٦) جاء فى « م » بعد هذا : « وأنشأ القائدُ مكانه مسجدًا » . وهذه العبارة زيادة من الناسخ ، وهى لم ترد فى « ص » ، وساقطة أيضًا من المصدر السابق ولم يذكرها المقريزى .

(*) العشارى : وعاء أو إناء يوضع فوق المئذنة أو القبة ، وتوضع فيه الحبوب للطير . وانظر ص ٢٠٣ – الهامش رقم (٢) .

(٧) فى المصدر السابق : « وهذا بعيدٌ من الصحة » .

(٨) قوله : « وهو فى عُلْو مغارة ابن الفارض » عن « م » وساقط من « ص » .

أودية الجبل المقطم :

وأوديته – يعنى المقطم [١] : وادى المستضعفين ، وادى الملك ، وادى اللّبلابة [٢] ، وادى الدجلة القرقوبى ، وبه مسجد [٣] على قرنة الجبل المطل على كهف السودان ، بناه أبو الحسن القرقوبى الشاهد ، وكيل التجار بمصر [٤] سنة ٤١٥ هـ .

وكان فى موضعه محراب حجارة يُعرف [بمحراب ابن الفقاعى ، الرجل الصالح ، وهو] [٥] على يسار المحراب .. وقبة الخضر .. وكهف السودان [٦] مشهور هناك ، لا يُعْلَمُ مَنْ أحدثه ، ولا فى أى زمان أُحْدِث [٧] ، ويُقال إن قومًا من السودان نقروه وتعبدوا فيه ، ويقال له كهف العبادة [٨] ، ثم بناه الأندلسى البزاز [٩] ، وزاد فى أسفله مواضع نقرها ، وبَنَى عُلُوَّها [١٠] ، ويقال إنه أنفق فيه أكثر من ألف دينار ، ووضع [١١] المجاز الذى يُسْلَكُ إليه منه ،

---

(١) هكذا فى « م » ولم ترد هذه العبارة فى « ص » .

(٢) هكذا فى « ص » وهو الصواب .. وفى « م » : « البلاغة » تصحيف (انظر مساجد مصر ج ١ ص ٥٢) .

(٣) قوله : « وبه مسجد » عن « م » ولم يرد فى « ص » . وقد وَرَدَ ذكر هذا المسجد فى الجزء الثانى من الخطط المقريزية ص ٤٥٥ .

(٤) هكذا فى المصدر السابق .. وفى « م » : « الشاهد بمصر ، ووكيل التجار » . وجملة « وكيل التجار » لم ترد فى « ص » .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » والمصدر السابق .. وهو ساقط من « م » .

(٦) فى « م » : « قبة الخضر كهف السودان » . وفى « ص » : « على سائر قبة الحصن كهف السودان » ، وكهف السودان ذكره المقريزى فى خططه فى الجزء الثانى ص ٤٥٦ . وهو مغارٌ فى الجبل .

(٧) من قوله : « مشهور هناك .. » إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

(٨) فى « ص » : « كهف السّادة » .

(٩) هكذا فى « م » .. وفى المصدر السابق : « بناه الأحدب الأندلسى القزّاز » .

(١٠) هكذا فى « م » وفى مساجد مصر ج ١ ص ٥٢ .. وفى « ص » والخطط المقريزية : « عُلُوّه » .

(١١) هكذا فى « م » و « ص » .. وفى الخطط المقريزية : « وَوَسَّعَ » .

وعمل الدَّرَج (النُّقَر) التى يُصْعَدُ عليها إلى المسجد ، والدرج التى [١] يُصْعَدُ عليها إلى الوادى .

وكان ابتداؤه بالبناء مستهل المحرم سنة ٤٢١ هـ ، وفرغ منه فى شعبان من السنة المذكورة .

مساجد الوادى

المسجد المعروف بالجيوشى [٢] :

وهو المطل على وادى موسى المُنْشَأُ على قرنة الجبل البحرية .. أنشأهُ الإمام المستنصر بالله [٣] أمير المؤمنين ، فى أيام الجناب السيد الأَجَلّ أمير الجيوش سيف الإسلام ، رفق المستنصر [٤] فى شهر المحرم الحرام سنة ٣٨٧ هـ [٥] . والدعاء مجاب بهذا المكان ، وليس له نظير .

---

(١) فى « م » و « ص » : « الذى » .. ولم ترد هذه العبارة فى المصدر السابق .

(٢) هكذا فى « م » .. ولم يرد ذكر هذا المسجد فى « ص » ، وقد وَرَدَ فى الخطط تحت اسم « مسجد أمير الأمراء » ، والمراد به أمير الجيوش بدر الجمالى ، وزير الخليفة الفاطمىّ المستنصر بالله ، ويقع هذا المسجد على قمة جبل المقطم فى مواجهة قلعة صلاح الدين ، وهو فى موقعه هذا يشرف على منطقة القرافة الصغرى بالإمام الشافعى ، والجزء المُطِل على النيل من مصر القديمة ومنطقة البساتين . وقد ورد وصف تفصيلى لهذا المسجد فى الجزء الأول من مساجد مصر ، لسعاد ماهر ، ص ٢٨٢ – ٢٨٤ ولا يزال هذا المسجد باقيًا إلى اليوم .

(٣) فى « م » : « المنتصر بالله » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى الخطط المقريزية : « المستنصرى » نسبه إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمىّ .

(٥) هكذا فى « م » وهو خطأ ، والصواب أنه سنة ٤٧٨ هـ فقد ذُكِرَ تاريخ إنشاء هذا المسجد على لوحة من الرخام تعلو عتب المدخل الرئيسى له ، وتتكون من خمسة أسطرٍ جاء فيها : « أنشأ هذه الزاوية مولى أمير المؤمنين الإمام المستنصر بالله أمير الجيوش فى المحرم من سنة ثمانية وسبعين وأربعمائة » . [انظر مساجد مصر ج ١ ص ٢٨٤] .

مسجد موسى :

بناه الوزير جعفر بن الفرات [١] .

مسجد الصخرة :

يُرى عليه النور فى الليالى المظلمة .

مسجد الدَّيْلَمى :

وهو الذى بقرب مقام الليث بن سعد الفَهْمِىّ [٢] وقد خطب به زمانًا طويلاً ، ولم نقف على ترجمة بَانِيه .

مسجد الشريف الجرجانى [٣] .

مسجد الزبير [٤] **:**

هو الذى كان بيد الشريف أحمد الحسينى ، وهو أحد المسجدين المتقابلين فى أصل عَقَبَة موسى عليه السلام [٥] ، التى يُتَوَصَّل منها إلى مغارة ابن الفارض .. قال القضاعى : يقال لها مغارة ابن الفارض ، وهو أبو بكر أحمد بن مسلم القارئ ، الذى كان نَقَرَ المغارة وأنفق عليها ، ثم عمرت بأمر الحاكم بالله ، وأُنشئت فيها المغارة [٦] .

---

(١) فى الخطط المقريزية : « بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات » .

(٢) فى « م » : « الفهيم » تحريف من الناسخ .. وهذه التعريف عن « م » وساقط من « ص » إلى آخره .

(٣) فى الخطط المقريزية ج ١ ص ٤٥٤ : « مُصَلى الجرجانى » ، بناه علىّ بن أحمد الجرجانى .

(٤) فى « ص » : « الزبيرى » .

(٥) فى « ص » : « عقبة المسجد المعروف بصخرة موسى ، على محمد وعليه السلام » . وبعده اختلاف يسير حيث ذكر : « العارض » وقال : قال القضاعى : يقال لها مغارة ابن الفارض .. الخ .

[وانظر خطط المقريزى ج ٢ ص ٤٥٦] .

(٦) هكذا فى « م » .. ومن قوله : ثم عمرت بأمر الحاكم .. إلى هنا ساقط من « ص » .. وفى =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسجد اللؤلؤة [1] :

كان مسجدًا خرابًا ، مشهورًا بإجابة الدعاء ، فلما علم الحاكم ببركة الموضع بناه فى سنة ٤٠٦ هـ ، وسمَّاه اللؤلؤة [2] .

المسجد المعروف بالدعاء :

قال القضاعى : هو مابين اللؤلؤة ومسجد محمود [3] ، وهو مسجد قديم يُتَبَرَّك به وبالصلاة فيه والدعاء ، ويُعرف بمسجد الإجابة أيضًا .

مسجد اليسع وروبيل .
مسجد محمود .

وسنذكر قصة محمود عند ذكر قبره .

* * *

= الخطط المقريزية : « ثم عمرت بأمر الحاكم بأمر الله وأنشئت فيها « منارة » هى باقية إلى اليوم .. وتحت العارض قبر العارف عمر بن الفارض رحمه الله ... » .

(١) فى « م » : « اللؤلؤ » خطأ ، وما أثبتناه عن « ص » والخطط المقريزية ، ومساجد مصر ، والكواكب السيارة . ولا تزال آثار هذا المسجد باقية حتى الآن .

(٢) إلى هنا ينتهى ماكتب عن المسجد فى « ص » ، وزاد بعدها فى « م » : « وهو باق بالقرب من المسجدين المتقابلين المذكورين آنفاً » ولم يذكر هذين المسجدين .. وجاء فى مساجد مصر أن « هذا المسجد مقامٌ بالقرب من مقام اليسع وروبيل ... وهو من مشاهد الرُّؤيا ، لأنه من الثابت تاريخيًّا أنه لم يدفن بمصر إلَّا يوسف عليه السلام » . وفى الخطط المقريزية يذكر المقريزى أن المسجد فى سفح المقطم ، وأنه باقٍ إلى يومنا هذا – أى إلى عصره . [انظر مساجد مصر ج ١ ص ٥٢ ، ٥٣ ، والخطط المقريزية ج ٢ ص ٤٥٦] .

(٣) هو محمود بن سالم بن مالك الطويل ، من أجناد السَّرِىِّ بن الحَكَم ، أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة .

[انظر الخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وص ٤٥٦] .

فصــل

نذكر فيه ما وَرَدَ فى زيارة القبور من الآثار

رَوَى ابن بُرَيْدَة عن أبيه قال : قال رسول الله ، ﷺ : « كُنْتُ نَهَيْتُكم عن زيارة القبور ، فَزُورُوها .. ونهيتكم عن لحوم الأَضَاحِى فوق ثلاثٍ ، فَأَمْسِكُوا مابَدَا لكم .. ونهيتكم عن النَّبِيْذِ إِلَّا فى سقاءٍ ، فاشربوا من الأَسْقِيَةِ كلها ، ولا تشربوا مُسْكِرًا » [1] .

ورَوى أبو هريرة ، رضى الله عنه ، قال : « زار النبى ، ﷺ ، قبرَ أُمِّه ، فبكَى وأبكَى مَنْ حوله » . قال البغوى فى شرح السُّنَّة : « كان قبرُ أُمِّه بالأَبْوَاء ، فمرَّ به عام الحديبية ، فزارها » . وُرِوىَ أنه زار قبر أُمِّه فى ألف مُقَنَّع ، أى : فارسٍ مُغَطّى بالسلاح [2] .. وقال ﷺ : « استَأْذَنْتُ ربى فى أنْ أستغفر لها فلم يأْذَنْ لى ، واستأْذنتُه أنْ أَزُورَها فَأَذِنَ لى ، فَزُورُوا القبور ، فإنها تذكِّر الموت » [3] .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنائز ج ٧ ص ٤٦ ، وفى كتاب الأضاحى ج ١٣ ص ١٣٤ ، ١٣٥ بشرح النووى .. ورواه الترمذى فى أبواب الجنائز ج ٤ ص ٢٧٤ بشرح ابن العربى .. ورواه النسائىّ فى سُننه فى كتاب الجنائز ، فى زيارة القبور ج ٤ ص ٨٩ بشرح السيوطى .. ورواه ابن ماجه فى سننه فى كتاب الجنائز ، باب ماجاء فى زيارة القبور ج ١ ص ٥٠٠ ، ٥٠١ .

(٢) من قوله : « قال البغوى ... » إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنائز ، فى استئذان النبى ﷺ رَبَّهُ فى زيارة قبر أُمِّه ج ٧ ص ٤٥ ، ٤٦ بشرح النووى .. ورواه الترمذى فى الجنائز – باختلاف يسير فى لفظه – ج ٤ ص ٢٧٤ بشرح ابن العربى .. ورواه أبو داود فى سننه فى كتاب الجنائز ، باب فى زيارة القبور ج ٣ ص ٢١٥ ، ٢١٦] .

وعن سليمان بن بريدة [١] عن أبيه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « قد كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور ، فقد أُذِنَ لمحمد فى زيارة قبر أُمه فزوروها ، فإنها تُذَكِّرُكُم الآخرة » .

ورُوِى عن فاطمة رضى الله عنها ، أنها كانت تزور قبر عمها حمزة فى الأيام ، وتبكى عنده .

وقال عبد الله بن أبى مليكة [٢] : تُوفى عبد الرحمٰن بن أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنهما بالحبشة ، فَحُمِلَ إلى مكة ودُفن بها ، فلما قَدِمَتْ أُم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها ، أَتَتْ إلى قبره فقالت [٣] :

وكُنَّا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهرِ حتى قيلَ لن يتصَدَّعَا [٤]
وعِشْنَا بخَيْرٍ فى الحياةِ وقَبْلَنَا ... أصَابَ المنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعَا
فلما تَفَرَّقْنَا كأنِّى ومالكاً ... لِطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معَا

* * *

(١) فى « م » : « سليمان بريدة » خطأ .

(٢) هو أبو بكر ، وأبو محمد ، عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان القرشى ، قاضى مكة زمن ابن الزبير ، ومؤذن الحرم ، رَوَى عن جده ، وعائشة ، وأم سلمة ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وابن عباس وطائفة . وكان إمامًا فقيهًا ، وحجة فصيحًا ، مُتَفَقًا على ثقته . وتوفى سنة ١١٧ هـ . [انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢] .

(٣) أى : قالت مُتَمَثِّلَةً بشعر مُتَمِّم بن نُوَيْرَة اليربوعى التميمى ، المتوفى سنة ٣٠ هـ ، والذى قاله فى رثاء أخيه مالك بن نويره ، وكان شديد الحزن عليه .

(٤) فى « م » : « كَنَدْمَانَىْ خُزَيْمَة » ، والأخيرة تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، وهو : جَذِيمَةُ ابن الأبرش ، سُمِّىَ بذلك لِبَرَصٍ كان به ، وكان لا يُنادِمُ أَحَدًا ذهابًا بنفسه ، فلما أتاه مالكٌ وعقيل بابن أخته الذى استهوته الشياطين ، قال لهما : احتكما ، فقالا له : مُنادمتُك ، فنادماه أربعين سنة يُحادثانه فيها ، ما أعادا عليه حديثًا . وهما المعنيان بقوله : كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَة . وفى عيون الأخبار : حتى قيل لن نتصدعا — بالنون .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٧٤ ، وعيون الأخبار ج ١ ص ٣٨٧ ، والعقد الفريد ج ٧ ص ٧٥ ، وانظر الكواكب السيارة ، الفصل الرابع ص ١٤ وما بعدها] .

فصـــل

فى استماع الميت للحى إذا تولّى عنه

رَوَى أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ فى قبرِه وَتَوَلَّى عنه أصحابُهُ أنه ليَسْمَعُ قَرْعَ نعالِهم ، قال : فيأتيه مَلَكان فَيُقْعِدانِه ، فَيَقُولانِ له : ماكُنْتَ تقولُ فى هذا الرَّجُلِ ؟ فأمَّا المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله .. فيقال له : انْظُرْ مقعدك من النار ، قد أبدلَكَ الله مقعدًا من الجنة .. قال النبى ﷺ : فَيَراهُما جميعاً » [1] .

* * *

(١) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خَفْقَ النعال ، ج ٢ ص ١٣ ط الشعب ، وج ٣ ص ٢٠٥ من فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر .. ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنة ، باب عَرْض مقعد الميت عليه ، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ، ج ١٧ ص ٢٠٣ بشرح النووى .. ورواه النسائى فى كتاب الجنائز ، فى المسألة فى القبر ج ٤ ص ٩٧ .

فصـــل

فى كَرَاهَةِ المَشْيِ بَيْنَ القُبورِ فى النَّعْلَيْن

روى خالد بن سُمَيْرٍ [١] عن بَشِيرِ [٢] بن نَهِيك ، عن بَشِيرِ بن الخَصَاصِيَة [٣] ، قال : « كنتُ أمشى مع النبى ﷺ على قبور المسلمين ، فقال : لقد سَبَقَ هؤلاء خيرٌ كثير [٤] ، وحَانَتْ منه التفاتَةٌ ، فرأى رجلاً يمشى بين القُبور فى نَعلِه ، فقال : ياصَاحِبَ السِّبْتَيْنِ ، أَلْقِهما » [٥] .

قال البَغوِى [٦] فى شرح السُّنَّة : قيل إنَّ أهل القبور يرعدون [٧] بصوت

(١) فى « م » : « شمير » بالشين المعجمة ، وقد ورد اسمه فى « ص » وفى سنن النسائىّ وأبى داود بالسين المهملة ، وهو الصحيح ، وهو خالد بن سمير السدوسى .

(٢) فى « ص » : « بشر » خطأ ، وهو بشير بن نَهِيك ، أبو الشعثاء السدوسى .

(٣) فى « ص » : « بشر بن الخصاصة » تحريف من الناسخ ، والصواب ما أثبتناه . وكان اسمه « زحمًا » فسماه رسول الله ﷺ « بشيرًا » . وقيل له : ابن الخصاصية ، نسبة إلى أمه .
[انظر ترجمته فى أسد الغابة ج ١ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠]

(٤) فى « ص » : « خيرًا كثيرًا » خطأ ، والصواب بالرفع على الفاعلية .

(٥) السِّبْتَيْنِ والسِّبْتِيَّتَيْنِ : مُثَنَّى « سِبتية » نِسْبَةً إلى السِّبْتِ ، وهو جلود البقر المدبوغة بالقُرَظِ .. والحديث رواه النسائىُّ فى سننه فى كتاب الجنائز ، فى كراهية المشى بين القبور فى النعال السِّبتية ج ٤ ص ٩٦ بشرح السيوطى ، ورواه أبو داود فى كتاب الجنائز ، باب المشى فى النعل بين القبور ج ٣ ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٦) هو : علىُّ بن عبد العزيز بن المرزبان البَغوى ، أبو الحسن ، شيخ الحَرَم ، ومن حُفَّاظ الحديث ، كان ثقة مأمونًا ، جَاوَرَ بمكة ، وله مسند ، وكانت وفاته سنة ٢٨٦ هـ . ومن قوله : « قال البغوى ... » إلى نهاية هذا الفصل عن « م » ، وساقط من « ص » .

(٧) يرعدون : أى تضطرب أو تفزع أرواحهم وترتعد .

النعال .. قال : والعامة على أنه لا كراهة فى المشى بها ، والأمر بالنزع إنما كان على سبيل أنَّ أكثر أهل الجاهلية كانوا يلبسونها غير مدبوغة ، إلَّا أهل السَّعَة منهم ، فَأُمِرُوا بنزعها لنجاستها .

وقال أبو سعد : أراد أمْرَهُ بذلك لقَذَارَةٍ فى نعليه ، فَكَرِهَ منه أنْ يطأ بهما القبور .. كما كره أن يُحْدِثَ بين القبور .

وقال أبو سليمان الخطابى : يشبه أن يكون إنما كرهها لِمَا فيه مِنَ الخُيَلاء ، وذلك أنَّ النعال السِّبْتِيَّةَ من لباس أهل التَّرَفُّهِ والتنعيم ، فأحبَّ - ﷺ - أن يكون دخول المقابر على ذى التواضع ولباس أهلِ الخشوع . وقال بعضهم : على المحلوقة الشعر ، وقد قال ﷺ عن الميت : « إنه يسمعُ قَرْعَ نعالهم » .

* * *

فصــل

فيما يقول إذا خرج إلى المقابر

رَوَى القَعْنَبِيُّ [(١)] عن مالكٍ ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أنَّ رسول الله ، ﷺ ، خرج إلى المقبرة فقال : السلام عليكم دَارَ قومٍ مؤمنين ، وإنّا إنْ شاءَ الله بكم لا حِقُون » [(٢)] .

وعن سُليمان بن بُرَيْدَةَ [(٣)] عن أبيه ، قال : « كان رسول الله ، ﷺ ، إذا خرج إلى المقابر هو وأصحابه يأمرهم أن يقولوا : السلام عليكم أهْلَ الدِّيارِ من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا فَرَطٌ [(٤)] ، وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » [(٥)] .

---

(١) فى « ص » : « القعبى » تحريف . والقَعْنَبِىُّ هو : عبد الله بن مَسْلَمة بن قَعْنَب الحارثى ، من رجال الحديث الثقات ، من أهل المدينة ، وُلد بعد الثلاثين ومائة ، وسكن البصرة وتوفى بها أو بطريق مكة سنة ٢٢١ هـ . رَوَى عنه البخارى ١٢٣ حديثًا ، ومسلم ٧٠ حديثًا .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ١٣٧ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤] .

(٢) فى « ص » : « وإنّا إنْ شاء الله عن قريب بكم لاحقون » .. والحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الجنائز ، باب : مايقول إذا زَارَ القُبورَ أو مَرَّ بها ، ج ٣ ص ٢١٦ .. وانظر مايقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها فى كتاب الجنائز ، فى صحيح مسلم ج ٧ ص ٤٠ – ٤٥ بشرح النووى .

(٣) هكذا فى « م » ، وفى سُنن النسائىّ ج ٤ ص ٩٤ ، وفى السنن الكبرى للبيهقى ج ٤ ص ٧٩ ، وفى « ص » : « سلمان بن يزيد » تحريف .. وفى ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٩٧ قيل عنه : إنه ثقة ، وقال البخارى عنه : لم يُذكر أنه سَمِعَ أباه .

(٤) فَرَطٌ : متقدمون .

(٥) أخرجه النسائىّ فى كتاب الجنائز ، فى الأمر بالاستغفار للمؤمنين ، ج ٤ ص ٩٤ بشرح السيوطى ، وأخرجه البيهقى فى سننه فى كتاب الجنائز ، باب : مايقول إذا دَخَل مقبرةً ج ٤ ص ٧٩ .

٣١

وعن عبد الله بن مسعود قال : « كان رسول الله ، ﷺ ، إذا دخل الجبّانة يقول : السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية ، والأبدان البالية ، والعظام النخرة ، التى خرجت من الدنيا وهى بالله مؤمنة ، اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عليهم رَوْحًا منكَ وسلامًا مِنِّى » [(١)] .

* * *

(١) ل « ص » : « اللهم أَدْخِلْ عليها رَوْحًا منك وسلامًا منّا » والرَّوْح : الراحةُ والرَّحمة .

فصـــل
فى آداب الزيارة (*)

ينبغى لِمَنْ عَزَمَ على الزيارة أَنْ يتأَدَّبَ بآدابها ، ويحضر قلبه في إِعْمَالِ الفكر فيمن نزل بها ، وكيف حالهم بعد السابغة [1] والنعيم ، والحشَم ، والمراكب الفاخرة ، والخدم بالأساندة العبيد [2] ، ولا يَكُون حَظُّهُ الطواف [3] على الأجداث والجدران ، بل على آدابٍ [4] يجمعها عشرون وظيفة .

الوظيفة الأولى : إخلاص النية ، فيقصد بزيارته وجه الله تعالى ، وإصلاح فساد قلبه ، ونفع الميت [بما يتلوه عنده من القرآن ، والدعاء له ، ولا يتجدَّد قصده للحضور عند الميت] [5] فى مَحْفِلٍ من الناس ، ليحكى أَهلُ الميت وأقاربه بحضوره ، على وَجْهِ المُباهَاةِ ، ليستدعى بذلك حضورهم لزيارة مَنْ يموت مِن أقاربه ليكثر الجمع بهم ، وهذا هو الغالب على الناس للحضور فى صُحبته [6] .

(*) وانظر شروط الزيارة وآدابها فى الكواكب السيارة ، الفصل الرابع ص ١٤ – ١٨ .

(١) فى « ص » : « ويحضر قلبه فى آياتها ، ولا يكون حظه الطواف على الأجداث » . والسابغة : كمال النعمة وتمامها . وهذه الجملة ومابعدها لم ترد فى « ص » .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) فى « م » : « ولا تكون حُظْوَة الطواف » .

(٤) فى « ص » : « بل لها آدابٌ » .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وهذا هو الغالب على الناس اليوم ، فقد اشتهر حتى صرحوا به ، فصار أقارب الميت يدعون الناس للحضور فى صحبته .. » .

وثَالِثُهُ وتمامُ شَهْرِهِ على ما يتعارفه أهل كل بلد ، ويصرح الداعى بأنَّ قَصْدِى بحضوركم الجمال وطلب زينة الدنيا ، وهذا منهىٌّ [عنه] [١] شرعًا ، إذ الحالة لَيْسَتْ حالةَ زينة ولا مُباهاة .. والفاعلُ [٢] لذلك شَبَهُ الذين قال الله فيهم : ﴿ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحياة الدُّنيا وهُمْ يَحْسَبُونَ أنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [٣] إذْ قَدِمَ على عملٍ [٤] من أعمال البِرِّ فَقَلَبَهُ بِنِيَّتِهِ إلى أعمال الدنيا .

وكذلك أيضًا من يزور قبور الصالحين ليدعو على أحدٍ حتى يحصل له حَظُّ نفسه ، وشِفاءُ غَيْظِه .. وأيضًا أنْ يحضر الزيارة ونِيَّتُهُ حصول الأجر ، إلَّا أنَّ له رغبة فى رؤية الضجر ، أو الفُرجة والتلذُّذ والفرح ، فهذا كمَن [٥] توضَّأَ ونوى رفع الحدَث ، وأَضَاف [٦] إليه نِيَّةَ التبُّرد والتنظُّف [٧] ، وكمن حج ومعه تجارة [٨] .. وكمن يصوم لينتفع بالْحِمْيَةِ [٩] مع قَصْد التقرب ، أو يعتق عبدًا [١٠] ليتخلص من مُؤْنَتِه وسوء خُلُقه ، ويحج فيصح مزاجه بحركة السفر ، أو يتخلص من سوء يعرض له فى بلده ، أو يغزو ليباشر الحرب ويعرف أسبابه .. أو يصلى باللَّيْل وله غَرَضٌ فى دفع النعاس عن نفسه بالصلاة ليراقب أهْلَهُ أو ماله ، فهذا وأمثاله مِنَ المُبَاحات غَيْرُ مُبْطِلٍ للتقَرُّبَات ، نَعَم لا يكون ثوابُه كثواب من تَجَرَّدَتْ نِيَّتُهُ عن أمثال ذلك .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « قال : والفاعل ... » .

(٣) سورة الكهف - الآية ١٠٤ .

(٤) فى « ص » : « إذْ أقْدَمَ إلى عملٍ » .

(٥) فى « ص » : « فهذا كله كَمَنْ » .

(٦) فى « م » : « ويُضاف » .

(٧) بعد هذا فى « ص » : « إنَّ وضوءه صحيح » .

(٨) بعد هذا فى « ص » : « إنَّ حَجَّهُ صحيح » .

(٩) الحِمْيَة : الإقلال من الطعام ونحوه .

(١٠) مابعد قوله : « أو يَعتق عبدًا » عن « م » وساقط من « ص » .

الوظيفة الثانية : أن يعمد إلى الزيارة فى يوم الجمعة ، فإنه رُوِىَ عن محمد ابن واسع أنه كان يزور يوم الجمعة ، فقيل له : لو أخرت إلى الاثنين ، فقال : بلغنى أن المَوْتَى يعلمون بزوَّارهم يوم الجمعة وما قبله وما بعده .. ويحكى عن الضَّحَّاك ذلك .

وقد [1] استحبَّ أكثر الناس زيارة قبور الصالحين يوم الأربعاء ، لأن فيه تخلو الجبانة .. وقد صَحَّ عن رسول الله ، ﷺ : « أن الله خلق النور يوم الأربعاء » ، فزيارة القبور نورٌ ، والدعاء نورٌ ، فهذا نورٌ على نور يغشى القبور من الزائرين ..

ورَوَى جابرُ بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : « دعا رسول الله ، ﷺ بين الصَّلاتَيْن - الظهر والعصر - يوم الأربعاء ، فعرفنا السرور فى وجهه .. قال جابرٌ : فما نزل بى أمرٌ قط إلَّا تَرَجَّيْتُ تلك الساعة من ذلك اليوم ، فدعوتُ فعرفت الإجابة » .

ورُوِىَ عن رجل من آلِ عاصِم الجَحْدَرىِّ ، قال : رأيتُ عاصمًا فى منامى بعد موته بسنتين ، فقلت : أليس قد مُتَّ ؟ قال : بَلَى . قلتُ : فأين أنتَ ؟ قال : أنا والله فى روضة من رياض الجنة ، أنا ونفرٌ من أصحابى ، نجتمع كل ليلة جمعة وصبحتها إلى بكر بن عبد الله المزنى[*] فنتلاقَى أخبارَكُم ، قلت : أجسامكم أم أرواحكم ؟ فقال : هيهات ، بَلِيَتِ الأجسامُ ، وإنما نتلاقَى بالأرواح .. فقلت : هل تعلمون بزيارتنا ؟ قال : نعم ، عشية الجمعة ويومها ، وليلة السبت [2] إلى طلوع الشمس .. قلت : كيف ذاكَ دُونَ الأيام ؟ قال : لِفَضْلِ يوم الجمعة وعِظَمِهِ .

---

(١) هنا كلمة غير مقروءة ، وضعنا مكانها « وقد » لمناسبة المعنى والسياق .

(*) فى (م) أبى بكر بن عبد العزيز ، وهو خطأ والتصويب من طبقات المناوى ج ص ٩٠ .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

ورأى بعض الصالحين رجلًا ميتًا ، فقال : كيف أنتم ؟ فقال : نجتمع كل ليلة جمعة عند قبر « عُقبة » كما يجتمع الفقراء على باب الغَنِيِّ .

الوظيفة الثالثة : اجتناب المشى بين القبور والجلوس عليها ، كما رَوَى أبو هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « لأنْ يجلس أحَدُكُم على جَمْرَةٍ فتحترق [1] ثيابه حتى تخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر » . فَثَبَتَ ذلك [2] فى الجلوس على القبر ، وَقِسْنَا مَشْيَهُ عليه ، لأنه فى معناه ، فإن لم يكن له طريقٌ إلى قبرِ مَنْ يزوره إلّا بالدَّوْسِ ، جازَ ، لأنَّه موضع عبور .

وعن عقبة بن عامر ، رضى الله عنه : « لأَنْ أطَأَ جَمْرَةً حتى تبرد ، وسيفًا حتى تنقطع رجلى ، أحبُّ إلَيَّ من أنْ أمشى على قبر رجل مسلم » [3] .

وقد تأوَّلَ بعض العلماء : الجلوس على القبر فى الحديث المتقدم بقضاء الحاجة [4] ، فقال : ومِمَّا ينبغى أيضًا خَلْعُ النَّعْلَين ، فقد تقدم أن النبى ، ﷺ ، التفت التفاتة ، فرأى رجلاً يمشى بين القبور فى نعليه ، فقال : ياصاحب السِّبْتِيَّتَيْنِ [5] أَلْقِهِما – أو قال : انزعهما .. قال البَغَوِيُّ : كانت نعال أكثر أهل الجاهلية غير مدبوغة ، لأَهْلِ السَّعَة ، ويحتمل أن يكون رأى فيها قَذَرًا .. وقيل : إن النعال السِّبتية كانت مدبوغة بالقَرَظِ ، محلوقَةَ الشَّعَر ، تُلْبَسُ للزِّينة ، فكأنَّه كرهها ، لأن ذلك الموضع لا يُدْخَلُ إليه إلّا على زِيِّ التواضع ولباسِ أهل الخشوع .. وقيل : إن أهل القُبور يُؤْذيهم صوتُ النِّعَال .. والله أعلم بالصواب [6] .

---

(١) فى « ص » : « فيحرق ثيابه حتى يخلص .. » .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « فالحديث ذلك .. » .

(٣) هذا الحديث عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٤) فى « ص » : « لقضاء الحاجة » . وما بعدها عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) فى « م » : « السِّبْتَيْن » سبق التعليق عليها .

(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

الوظيفة الرابعة : تَوَخّى قبور الأنبياء والصحابة والقرابة [١] ، فقد لَزِمَ قوم كثير زيارتهم [٢] ، فَرَأَوْا من عجائب صُنْعِ الله بهم ورحمته ببركة الزيارة [٣] مما لا يسعه كتاب .

الوظيفة الخامسة : أَنْ يأتى من تلقاء وَجْهِ الميت [٤] ، فإنك فى زيارته كمخاطبته حيًّا ، فلو خَاطَبْتَهُ حيًّا استَقْبَلْتَهُ بوجهك [٥] ، وكذلك هاهنا .

الوظيفة السادسة : أن تُسَلِّمَ على الميت كما تُسلم على مَنْ تزوره من الأحياء ، فقد كان ابن عمر ، رضى الله عنه ، لا يمر بقبر إلّا وقف وسلّم عليه .. وقال نافع : كان ابن عمر ، رضى الله عنه ، يجىء إلى القبور الشريفة فيقول : السلام على رسول الله ، ﷺ ، السلام على أبى بكر ، السلام على أبى ، وينصرف ، رأيته يفعل ذلك أكثر من مائة مرة .

وقال سليمان بن سُحيم [٦] : رأيت النبى ﷺ فى المنام ، فقلت :

---

(١) تَوَخّى الأَمْرَ : القَصْدُ إليه ، وتَعَمُّد فِعْلِه ، والمراد به هنا : قَصْدُ زيارة قبورهم .

(٢) أى : داوموا عليها .. وفى « ص » : « كرم » مكان « لَزِمَ » .

(٣) فى « ص » : « صُنْع الله تعالى ببركة الزيارة » .

(٤) هكذا فى « م » ... وفى « ص » : « أَنْ يقف تلقاء وجه الميت مُستدبر القبلة ، مستقبلًا وَجْه الميت ... » .

(٥) فى « م » : « بوجهه » .

(٦) فى « م » : « سليمان بن منجم » .. وفى « ص » : « سلمان بن سحيم » . وما أثبتناه هو الصواب . وهو سليمان بن سُحيم ، أبو أيوب الهاشمى ، المدينى ، مولى آل حنين ، ويقال : مولى لبنى كعب بن خزاعة . وَثَّقَهُ النَّسَائىُّ وابن سعد وابن حبّان وغيرهم . [انظر ترجمته فى رجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٧٠] .

يارسول الله ، هؤلاء الذين يأتونك [١] ويسلمون عليك ، أتفقه سلامهم [٢] ؟ قال : نعم ، وأرد عليهم .. وقال أبو هريرة ، رضى الله عنه : إذا مَرَّ الرجل بقبر الرجل يعرفه ، فسلم عليه ، رَدَّ عليه السَّلام [٣] ، وإذا مر بقبر لم يعرفه فسلم عليه ، رَدَّ عليه السلام [٤] . وإن لم يصل إلى القبر يسلم من بعيد .

وقال بعضُهم على لسان مَيِّتٍ :

وَادْنُوا لِلسلام فَإِن أَبَيْتُمْ ... فَأَوْمُوا بالسلام عَلَى بِعَادِ
فإن طال المَدَى وصفا حبيبٌ ... سوانا ، فاذكروا صَفْوَ الوداد [٥]

الوظيفة السابعة : اجتناب مس القبر وتقبيله ، ومسحه على وجهه للتبرك ، فإن ذلك من عادة النصارى ، لم يُنْقَل عن أحد من علماء المسلمين .. قال أبو أُمامة : رأيت أَنَسَ بن مالكٍ أتى إلى قبر النبيِّ ، ﷺ [فوقف ، فرفعَ يديه حتى ظننتُ أنه افتتح الصلاة ، فَسَلَّمَ على النبى ﷺ] [٦] ، ثم انصرف .

وكذلك يجتنب إلقاءَ نفسه على القبر والتَّمَعُّكَ بترابه [٧] ، فإن ذلك ليس من الأدب .. بلغَنَا أن رجلًا ألقى نفسه على قبر النبى ، ﷺ ، فناداه شاب من ناحية المسجد : يابن أخى ، لو كان رسول الله ﷺ حيًّا ثم أتيتَ تزوره ، ماكنت صانعًا ؟ قال : أَقِفُ بين يديه وأُسَلِّمُ عليه .. قال : كذلك فافعل .

---

(١) فى « م » : « يأتوك » .
(٢) فى « ص » : « أتُسَلِّمُ عليهم » ؟ .
(٣) قوله : « رَدَّ عليه السلام » عن « ص » .
(٤) ما بعد هذا عن « م » وساقط من « ص » .
(٥) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٦) مابين المعقوفين عن « ص » ولم يرد فى « م » .
(٧) التَّمَعُّكُ بالتراب : التَّمَرُّغُ والتَّقَلُّب فيه .

الوظيفة الثامنة :القراءة ، فلا بأس بقراءة القرآن على القبر ، قال المروزى : سمعت أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ، يقول : إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، والمُعَوِّذَتَيْن ، واهدوها لهم ، فإنها تصل إليهم . قال الحافظ عبد الغنى ، رحمه الله تعالى : والذى رأيناه فى أمصار الإسلام ، شاهدناهم حيث يموتون – أو يموت الميت منهم – يقرءون القرآن عنده قبل دفنه ، وعلى قبره إذا دُفِنَ ، ويجتمعون على ذلك ويحرصون عليه ، ومن قدر على ذلك بنفسه فَعَلَهُ ، أو استعان بمن يمكنه الاستعانة به على ذلك .. ومنهم من يقرأ القرآن على قبر قريبه ، راجين من الله تعالى فى ذلك المثوبة والإحسان لهم ولميتهم ، ومَنْ لم يفعل ذلك رَأَوْهُ مُقَصِّرًا ، ولا ينكر ذلك منكر ، بل يحبونه ويستحبونه ، والله أكرم من أن يَرُدَّ قصدهم ، أو يُخَيِّبَ ظنهم ، أو يمنعهم ماطلبوا .

وقد سمعتُ الحافظ أبا العز [١] عبد المغيث بن زهير الحربى يقول : لما قُتل القاضى الشهيد أبو الحسن محمد بن محمد بن الفراء البغدادى ، رحمه الله ، خُتم على قبره فى يوم واحد زيادة عن مائة ختمة ، وهذا لايكون إلّا من جَمٍّ غفير [٢] ، ولتطَابُق [٣] مثل هذا القَدْرِ الكبير من الناس على مِثْلِ هذا وفِعْلِهم له ، ولا منكر ولا عائب ، يصير كالإجماع .

رُوى عن عاصم ، عن زيد بن عبد الله ، قال : إنَّ الله تعالى نظر فى قلوب العباد فوجَد قلبَ محمد ﷺ خَيْرَ قُلوبِ العباد ، فاصطفاه لنفسه ، وبعثه [٤] برسالته ، ثم نظر قلوب العباد بعد قلبه [فوجد قلوب أصحابه خيرَ قلوب العباد بعد قلبه] [٥] ،

---

(١) فى « ص » : « العزيز » تصحيف .

(٢) الجَمُّ الغفير : الجمع الكثير .

(٣) فى « ص » : « ويطابق » .

(٤) فى « ص » : « وابتعثه » .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

فجعلهم وزراء نَبِيِّهِ ، ﷺ ، يقاتلون عن دينه ، فما رآه المسلمون حَسَنًا فهو عند الله حَسَنٌ ، وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سَيِّيء .

قال أحمد بن عبد الجبار [١] : قال ابن عباس ، وأنا أقول : إنهم رأوا أن يُوَلُّوا أبا بكر بعد رسول الله ، ﷺ .. وعن أبي مسعود البدريّ [٢] أنه خرج أصحابه معه يُشيعونه إلى القادسية [٣] ، فلما ذهبوا يفارقونه قالوا : رحمكَ الله ، قد رأيتَ خيرًا ، وشهدتَ خيرًا ، حَدِّثْنَا حديثًا ، عسى الله أن ينفعنا به .. قال : أجَلْ ، رأيتُ خيرًا ، وشهدتُ خيرًا ، وقد رَجَوْتُ أن أكون أُخِّرْتُ لهذا الزمان لِسُوءٍ يُرادُ بي ، فَاتَّقُوا الله ، وعليكم بالجماعة ، فإن الله لم يجعل أُمَّة محمد ﷺ على ضلالة [٤] ، فاصبروا حتى يستريح بَرٌّ ، ويُسْتراح من فاجر .

وقد رُوى عن سليمان التيمى ، عن أبي عثمان ، وليس بالنهدى [٥] [عن أبيه] [٦] ، عن معقل بن يسار ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرءوا سورة يس على موتاكم » . أخرجه الترمذى فى السنن ، كذا ورواه أبو القاسم الطبرانى فى سُننه .

---

(١) هو أحمد بن عبد الجبار العُطاردى الكوفى ، المتوفى سنة ٢٧٢ هـ . روى عن أبى بكر بن عيَّاش وطبقته . [انظر ترجمته فى ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١٢ ، ١١٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٨٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٦٢ ، والكواكب السيارة ص ١٥٧] .

(٢) فى « م » : « المنذرى » تصحيف من الناسخ . وهو : أبو مسعود الأنصارى ، صحابىٌّ ، واسمه عقبة بن عمرو بن ثعلبة ، ويُعرف بالبدرى ، لأنه سكن أو نزل ماءَ بدر ، وشهد العقبة و لم يشهد بدرًا عند أكثر أهل السير ، وقيل شهدها . وتوفى سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ، وقيل : مات بعد سنة ستين من الهجرة .

[انظر أسد الغابة ج ٦ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧]

(٣) فى « ص » : « حتى بلغ القادسية » .

(٤) فى « ص » : « فى ضلالة » .

(٥) فى « م » : « وليس بالمهدى » – وفى « ص » : « بالنبدى » .. وكلاهما تحريف ، والصواب ما أثبتناه عن تهذيب التهذيب لابن حجر ، المجلد الرابع ص ٢٠١ ط دار الفكر العربى عن ط حيدر آباد .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » .

وَرَوى الإمام أحمد فى مسنده عن معقل بن يسار ، أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « البقرة سنامُ القرآن وذِرْوَتُه ، نَزَلَ مع كل آية منها ثمانون ملَكًا ، واستخرجت ﴿ الله لا إله إلّا هو الحىُّ القيوم ﴾ من تحت العرش ، فَوَصَلَتْ بها - أى : سورة البقرة .. ويس قلب القرآن ، لا يقرؤُها رجلٌ يريد الله تعالى والدَّار الآخرة إلَّا غَفَر الله له ، فاقرءوها على موتاكم » .

قال الحافظ عبد الغنى : وقد روينا عن أبى المحاسن عبد الرزَّاق بن إسماعيل ابن محمد بن عثمان القَرْمَسَانِيّ بهمذان ، أخبرنا الحافظ أبو شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمى ، قال : سمعتُ أبا على أحمد بن مسعود [١] العجلى يقول : رأيتُ أُمِّى ، أمَّ الفرج بنت محمد بن عثمان القَرمسانى ، فى المنام فى قبرها ، فقلت لها : أخبرينى ما رأيتِ .. كُنْتِ تقولين أخاف [٢] مِنْ أوَّلِ ليلة فى القبر .. كيف كُنتِ تلك الليلة ؟ فقالت : رأيتُ من الخير والراحة مالم أكن رأيته فى أيام حياتى .. فقلتُ لها : ما أَبعَثُهُ إليكِ من الصَّدَقَة ، وما أدعو به ،

---

(١) فى « ص » : « ابن سعد » .

(٢) فى « م » : « كنت تقولى أخوف » .. وفى « ص » أقحم الناسخ فى هذا الموضع كلامًا لا صلة له بهذه الحكاية ، وغير مناسب للسياق ، وبعد ثلاث صفحات أتى ببقية الحكاية التى نحن بصددها ..

ونورد هنا - للأمانة - ما ذُكر عن أيام الزيارة المستحبة للقبور ، والتى جاءت بعد عشرة أسطر من قوله : « كُنْتِ تقولين .. » قال :

« وروى عن محمد بن واسع أنه كان يزور يوم الجمعة ، فقيل له : لو أخَّرْتَ إلى الاثنين .. فقال : بَلَغَنِى أنَّ الموتى يعلمون مَنْ يزورهم يوم الجمعة ، ويومًا قبله ، ويومًا بعده » .

وُروِىَ عن الضَّحَّاك ذلك . وإنما استحبَّ الناسُ زيارة قبور الصالحين يوم الأربعاء ، لأن فيه تخلو الجبَّانة .

وقد صَحَّ عن رسول الله ، ﷺ ، أنَّ الله خَلَقَ النور يوم الأربعاء ، فزيارة القبور نورٌ ، وقراءة القرآن نورٌ ، والدعاء نورٌ ، فهذا نورٌ على نور ، والذى يغشَى القبور من الزائرين نورٌ .

ورَوَى جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : « دعا رسول الله ، ﷺ ، يوم الأربعاء بين الصلاتين : الظهر والعصر ، فَعَرَفْنَا السُّرورَ فى وجهه ، قال جابر : فما نزل بى أمرٌ قطُّ إلَّا تَوَخَّيْتُ تلك السَّاعة من ذلك اليوم ، فَدَعَوْتُ ، فعرفتُ الإجابة » .

هل يصلُ إليكِ فى القبر [١] ؟ قالت : نعم ، الكل يصل إلىَّ ، لكن لم يكن ذلك مثلما تقرأ [٢] على رأس قبرى ﴿ يٰسٓ ﴾ ، فإنى أَجِدُ راحة من ذلك أكثر من الصَّدَقة والدعاء [٣] .

وحُكِيَ عن محمد بن محمد المدنى ، قال : مات قَرِيبٌ [٤] لى ، فرأيت فى المنام كأنَّ وجْهَهُ نورٌ يَتَلألأُ ، فقلت له : ماهذا النور ؟ فقال : جارنا فلان - وسمَّاهُ باسمه - زارنا وقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات ، وقسم ثوابها بين أهل القبور [٥] ، فأصابنى من النور ماترى .

ورَوَى أبو محمد السَّمْنَانِيُّ قال : سمعت عبد الرحمٰن بن جمعة الكوفى يقول : رأيتُ فيما يرى النائم كأنى أَمُرُّ فى مقبرة من المقابر [٦] ، فرأيتُهم فى جَلَبَة وتشويش ، فقلت : ماهذا الذى أَرَى بكم ؟ فقالوا : مَرَّ عبدٌ من عباد الله فقرأ ثلاث مرات سورة الإخلاص ، فقال : يارب ، قد جعلتُ أَجْرَها لِمَنْ فى هذه المقبرة ، فنحن نقتسمُ أجرها منذ أربعة أشهر فيما بيننا .

وَرُوِىَ عن الطَّلائعى قال : كنتُ أزور قبر إبراهيم بن شَيْبَان [٧] كل يوم

= ورُوِىَ عن رَجُلٍ من آلِ عاصمٍ الجَحْدرِىّ ، قال : رأيتُ عاصمًا فى منامى - بعد موته بسنتين - فقلتُ : أليس قد مِتَّ ؟! قال : بَلَى . قلتُ : فأين أنت ؟ قال : أنا - والله - فى رَوْضَة من رياض الجنة ، أنا ونَفَرٌ من أصحابى ، نجتمع كُلّ ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد العزيز فنتلاقَى أخباركم .. قلتُ : أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال : هيهات .. بَلِيَتِ الأجسامُ ، وإنما نتلاق بالأرواح . فقلت : هل تعلمون زيارتنا ؟ قال : نعلم بها عشية الجمعة وليلة الجمعة كله ، وليلة السبت » . (انتهى) .

(١) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « ما أبعثه من الصَّدَقة يصل إليكِ فى القبر ، وما أدعو به ؟ » .

(٢) فى « ص » : « لا مثلما يُقرأ » .

(٣) فى « ص » : « ما أجدُ من الصدقة والدعاء » .

(٤) فى « م » و« ص » : « قرابة » .

(٥) فى « ص » : « أهل القبر » .

(٦) فى « م » : « من بعض المقابر » .

(٧) هو إبراهيم بن شيبان القِرْمِيسِينِىُّ ، أبو إسحاق ، له مقامات فى الورع والتقوى يعجز عنها =

وأقرأ جزءًا من القرآن ، وأَهَبُ ثواب ذلك الجزء له ، فَجئْتُ يومًا وجلستُ عند قبره ، وتفكرتُ فى حاله ودرجته عند الله تعالى ساعةً ، ثم قمتُ وما قرأتُ شيئًا ، فلمَّا جَنَّ علىَّ الليل رأيتُ فى المنام إبراهيم (١) فقال : يا أبا علىٍّ ، كُنْتَ تقرأ شيئًا وتجعل ثوابه لنا ، فَلِمَ تركتَ اليوم ؟ فقلت : ياشيخ ، ومثلك يحتاج إلى ثواب قراءَتنا ؟ فقال : يا أبا علىٍّ ، ومَنْ يشبع من رحمة الله تعالى ؟! .

قال الحافظ عبد الغنى (٢) رحمه الله ، سمعتُ أخى أبا إسماعيل بن إبراهيم ابن عبد الواحد بن على المقدسىّ يقول : رأيت خالى الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى فى النوم ، وكان عِدَّةٌ من أصحابنا (٣) كل ليلة جمعة يختمون القرآن ، ويجعلون ثوابه لأمواتنا وأموات المسلمين ، فقلت له : ما نقرؤه يصل إليكم ؟ فقال : نعم ، ولكنكم تستعجلون فيه ، كأنه أشار إلى استحباب الترتيل والتَّثَبُّتِ فى القراءة .

وَرُوِىَ أيضًا بإسناده إلى عائشة ، رضى الله عنها ، عن أبى بكر الصِّدِّيق ، رضى الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ زارَ قبرَ والديه كل جمعة ، أو أحدهما ، فقرأ عندهما ، أو عند أحدهما ، سورة « يٰس » ، غَفَر الله له بِعَدَدِ كُل آية أو حرف » .

= الخلق ، إلا مثله . صَحِبَ أبا عبد الله المغربىَّ ، وإبراهيم الخوَّاص .. وكان شديدًا على المُدَّعينَ ، متمسكًا بالكتاب والسُّنَّة ، وكانت وفاته سنة ٣٣٦ هـ .

[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، والطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ١١٣ ، ١١٤ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٧٤ ، وطبقات الصوفية ص ٤٠٢ - ٤٠٥] .

(١) فى « ص » : « إبراهيم بن شيبان » .

(٢) هو الإمام عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسىّ الحنبلى ، الحافظ ، أوحد زمانه فى عِلْم الحديث والحفظ ، صاحب « العمدة » و« الكمال » وغير ذلك من التصانيف ، نزلَ مصر فى آخر عمره ، ومات بها سنة ٦٠٠ هـ ، وله تسع وخمسون سنة .

[انظر حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥٤ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٣٧٢ - ١٣٨١] .

(٣) عِدَّة ، أى : عدد .. وفى « ص » : « وكان عادة أصحابنا كل جمعة .. » .

قال الحافظ رحمه الله : حدثنى بعض أصحابنا من أهل الفقه والعلم ، قال : ماتت أمّى ، وكانت صَوّامَةً قَوّامَة ، وكنتُ أقرأ كل ليلة ألف مرة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وأقول : اللهم إنّى أسألك قبول ما قرأتُهُ ، وأن تَجْعَلَ ثوابه هدية مِنى لأمّى ، أو والدتى [١] . فأقمتُ على ذلك خمس سنين ، وكنت أشتهى أن أراها ، فقرأت ليلة خمسمائة مَرَّة [٢] ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وأهديتُ ثوابها لها ، فرأيتها فى منامى وعليها ثيابٌ جُدُدٌ ، وهى فى أحسن صورة ، فقلتُ لها : سلامٌ عليكِ يا أمّاه ، ماذا لقيتِ [٣] مِنَ الله ؟ قالت : كل خير ، جزاك الله عنى خيرًا ياولدى ، والله ياولدى [٤] لقد وَصَلَتْ إلَىَّ هديتك ، بالله يابُنَىَّ ، [لا تسمعْ من هؤلاء الذين يقولون لا تصل الهدية إلى الأموات ، والله لقد وصَلَتْ وخَفَّفَ عَنّى بها شيئًا كثيرًا ، فبالله يابُنَىَّ] [٥] إنْ لم يكن الكثير فليكن القليل ، ولا تقطع عنى هديتك .

وكان لها ولد عندنا يقال له عبد الرحمٰن ، فقالت : والله لا أتركه عندكم ، فأخَذَتْهُ وحملَتْهُ ومَضَتْ .. قال : فاستيقظتُ على أثَرِ [٦] ذهابها ، فما أقام الصبى إلّا ثلاثة أيام ثم مات ، رحمه الله .

قال رسول الله [٧] ، ﷺ : « إذا مات ابن آدم [٨] انقطع عمله إلّا من

---

(١) فى « ص » : « وَاجْعَلْ ثوابه هدية منى إلى والدتى » .
(٢) « مرّة » عن « م » .
(٣) فى « ص » : « مالقيتِ » .
(٤) « يا ولدى » عن « م » .
(٥) مابين المعقوفين عن « ص » وساقط من « م » .
(٦) هكذا فى « م » ، ويقال : جاء فى إثْرِهِ وفى أثَرِهِ ، أى : فى عَقِبِهِ .. وفى « ص » : « فاحتملَتْهُ ومضَتْ ، واستيقظتُ ، فما أقام الصبى إلّا ثلاثة أيام ثم مات » .
(٧) هنا فى « ص » : « وأمّا قوله » ، ولم يأت بعدها بجواب « أمّا » ، وهو سهو من الناسخ .
(٨) فى « ص » : « إذا مات العبد » وكلاهما مروى .

ثلاث : صدقة جارية ، أو عِلم يُنْتَفَعُ به ، أو ولد صالح يدعو له » . رواه مسلم والنسائى ، ورواه أبو داود والترمذى .. وليست قراءة القارئ من بعده والهدية له من عمله ، لأن الخبر يدل على انقطاع عمله ، لا عمل غيره ، ولا يمتنع أن يصل إليه من عمل غيره إذا عمله وجعل ثوابه إليه [(١)] . وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وأنْ ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ فقال [(٢)] ابن عباس : نَسخَها قوله تعالى : ﴿ والذين آمَنُوا واتَّبَعَتْهُم ذُرِّيَّتُهم .. ﴾ [(٣)] . فأُدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء .

وقال عكرمة : كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى ، ألا ترى إلى قوله فى أول الآية : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بما فى صُحُفِ مُوسَى * وإبراهيم الذى وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وأنْ ليس للإنسان إلَّا ما سَعَى ﴾ [(٤)] . فأمَّا هذه الآية فلهم ما سَعَوْا وسَعْىُ غيرهم ، لخبر سعد بن عبادة ، رضى الله عنه ، أنه سأل النبى ، ﷺ : هل لأُمِّى أجْرٌ إنْ تَطَوَّعْتُ عنها ؟ قال : نعم . وفى حديثٍ أنَّهُ حفر بئرًا وقال : ياربِّ ، هذه لأُمِّ سعد [(٥)] . وخبر المرأة التى سألَتْ : إنَّ أبى مات ولم يحج .. فقال : حُجِّى عنه .

وقال الربيعُ بن أنَسٍ ، رضى الله عنه : ﴿ وأنْ ليس للإنسان إلَّا ما سَعَى ﴾ يعنى : الكافر .. فأما المؤمن فله ما سَعَى غيرُه .. قال مضارب بن إبراهيم : دعا عبد الله بن طاهر والى خراسان ، الحسن بن الفضل ، فقال : أُشْكِلَتْ علىَّ

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « .. ولا يمنع أن يتصل إليه من غيره عملٌ إذا عمله وجعل ثوابه إليه » .

(٢) فى « م » و « ص » : « قال » .. والفاء هنا واقعة فى جواب « أمَّا » والآية التى قبل الفعل هى الآية رقم ٣٩ من سورة النجم .

(٣) سورة الطور – من الآية ٢١ .. وقد وردت الاية فى « ص » محرفة من الناسخ .. والآية بتمامها : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذُرِّيَّتَهُمْ وما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِم من شىء ، كُلُّ امرىءٍ بما كَسَبَ رَهِين ﴾ . ومعنى « ما ألتناهم » ، أى : ما نَقَصْنَاهُم .

(٤) سورة النجم – الآيات من ٣٦ – ٣٩ .

(٥) فى « م » : « لأبى سعد » .

ثلاث آيات [١] : قوله فى وصف ابن آدم : ﴿ فأصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [٢] ، وقد صح الخبر بأن الندم توبة .. وقوله : ﴿ كُلَّ يومٍ هو فى شَأْن ﴾ [٣] ، وصح الخبر بأن القلم قد جَفَّ بما هو كائن إلى يوم القيامة .. وقوله : ﴿ وأنْ ليس للإنسان إلَّا ماسعى ﴾ فما بال الإضعاف ؟ [٤] .. فقال الحسن بن الفضل : يجوز أن يكون الندم توبة لهذه الأمة [٥] فإن الله سبحانه خَصَّهَا بخصائص لم يُشْرِك فيها غيرهم . وقيل : إنَّ نَدَم قابِيلَ لم يكن على [قَتْلِ] [٦] هابِيلَ ، وإنما كان على جَهْلِه [٧] . وقوله [عَزَّ وجلَّ] [٨] : ﴿ وأنْ ليس للإنسان إلَّا ما سَعَى ﴾ يعنى : من طريق العدل .. وأما قوله : [عز وجلَّ] : ﴿ كل يومٍ هو فى شأن ﴾ فإنها شئونٌ يُعِيدُها لِلاَشْئُون يُبِيدُها [٩] ، وَمَحا سَوْق المقادير إلى المواقيت .. فقام عبد الله بن طاهر فقَبَّلَ رأسه وسَوَّغَهُ خَراجَهُ [١٠] .

وَرَوَى مُبَشِّر بن إسماعيل [١١] عن عبد الرحمٰن بن العلاء [١٢] أنه أَوْصَى

---

(١) « آيات » عن « ص » .

(٢) سورة المائدة ، من الآية ٣١ .

(٣) سورة الرحمٰن ، من الآية ٢٩ .

(٤) الإضعاف والأضعاف : المُضاعفة والكَثرة .

(٥) أى : أمَّة محمد ، ﷺ .. وفى « ص » : « يجوز أن يكون الندم توبةً له ، [أى لقابيل على قَتْله أخيه هابيل] ويكون ندمُ هذه الأمة توبة لها » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٧) فى « م » : « حَمْله » .

(٨) مابين المعقوفتين عن « ص » فى الموضعين .

(٩) فى « م » : « يبديها » .

(١٠) سَوَّغه خَراجَهُ : سَهَّلَهُ وأباحَهُ له .

(١١) فى « م » : « ميسر » تصحيف من الناسخ . وهو : مُبَشِّر بن إسماعيل الكلبى ، أبو إسماعيل ، من أهل حلب ، عالم مشهور ، صَدُوق ، سمع الأوزاعى ، وخَرَّج له البخارى مقرونًا بآخر ، ووثقه ابن حبَّان وابن سعد . ومات بحلب سنة ٢٠٠ هـ .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٣٣ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٨٨٣ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٨٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٥٩]

(١٢) هو عبد الرحمٰن بن العلاء بن اللَّجْلاج ، شامىّ الأصل ، روى عن أبيه ، وما رَوَى عنه =

إذا دُفِنَ أن يُقْرَأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها ، وقال : سمعتُ ابن عمر رضى الله عنهما يُوصِى بذلك .. والله أعلم .

الوظيفة التاسعة : الدعاء للمَزُورِ ، لأنَّ الدعاء تُحْفَةُ الميت من زائريه .. رُوِىَ عن النبى ، ﷺ ، أنه قال : « ما الميت فى قبره إلا كالغريق المُتَغَوِّث [1] ينتظر دعوة تلحقه ، أو صدقة تلحقه من ابنه [2] ، أو أخيه ، أو صديق له [3] ، فإذا لَحِقَتْهُ كانتْ أَحَبَّ إليه من الدنيا وما فيها » .

[فإذا جُزْتَ على المقابر فلا تبخلْ بقراءة آيتين ، فإنها صدقة سهلة] [4] قال العلماء : هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار .

قال بشَّار بن غالب النجرانى : رأيت رابعة العدوية فى النوم ، وكنتُ كثيرَ الدعاء لها ، فقالت : يا بشَّار بن غالب [5] ، رأيتُ هداياكَ تأتينا على أطباق من نور ، مُخَمَّرَةً [6] بمناديل الحرير !! قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : هكذا دعاء المؤمنين الأحياء ، إذا دَعَوْا للموتى يُؤْتَى به إلى الميت على أطباق من نور ، مُخَمَّر بمناديل الحرير ، فَيُقَالُ [7] له : هذه هدية فلان .

= سوى مبشر بن إسماعيل الحلبى [انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٥٧٩] .

(١) أى : الذى يطلب الإغاثة والمعونة .. وفى رواية « المُغَوِّثُ » ، وهى بمعناها . وفى « ص » : « كالغريق المتعذب » .

(٢) فى « م » : « من أبيه » .

(٣) « له » عن « ص » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » . وقوله : « قال العلماء » بعد ذلك عن « ص » .

(٥) فى « م » : « يا بشَّار بن غالب النجرانى » .

(٦) مُخَمَّرَة ، أى : مَلْفُوفَة ومُستترة .

(٧) فى « م » : « يُقال » .

قال بشر بن منصور : لمَّا كان زمنِ الطاعون كان رجلٌ يختلف إلى الجبانة [١] فيشهد الجنائز فيصلى عليهم ، وإذا أَمْسَى [٢] وقف على المقابر فقال : « آنسَ اللهُ وَحْشتَكُم ، ورحِمَ غُربتكم ، وتجاوَزَ عن سَيِّئَاتِكُم ، وقَبِلَ حسناتكم » ، لا يزيد على هذه الكلمات .. قال الرجل : فأمسيتُ [٣] ذات ليلة فانصرفتُ إلى أهلى ولم آتِ المقابر فأدعو بما كنت أدعو به ، فبينما أنا نائم إذا بخَلْق كثير قد جاءونى ، فقلت : مَنْ أنتم ؟ وما حاجتكم ؟ قالوا : إنك كُنْتَ تدعو فى كل يوم عند انصرافك إلى أهلك بدعوات دَعَوْتَ لنا بها .. قلت : فإنى أعود . فما تركتُهن بَعْدُ [٤] .

وعن عبد الرحمٰن بن العلاء [٥] عن أبيه ، أنه قال لولده : إذا أنا متُّ وأدخلتمونى فى اللحد فَهِيلُوا [٦] عَلَىَّ التراب وقولوا : بسم الله ، وعلى مِلَّةِ رسول الله ، ﷺ ، وسَوُّوا عَلَىَّ التراب ، واقْرَءُوا عند رأسى بفاتحة الكتاب وفاتحة البقرة ، إلى قوله : [تعالى] [٧] : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ [٨] ، وخاتمتها [٩] من قوله تعالى : ﴿ للهِ مافى السمٰوات وما فى الأرض ﴾ [١٠] ، فإنى سمعت ابن عمر ، رضى الله عنه ، يستحب ذلك .. رواه الطبرانى فى معجمة [١١] .

---

(١) يختلف إلى الجبَّانة : يأتى إليها .

(٢) هكذا فى « م » وفى الكواكب السيارة ص ١٧ – وفى « ص » : « فإذا مشى » .

(٣) هكذا فى « م » والمرجع السابق – وفى « ص » : « فأُنْسِيتُ » .

(٤) هكذا فى « م » وفى « ص » باختلاف يسير فى بعض الألفاظ .. وفى الكواكب السيارة : « .. فقالوا : إنكَ عَوَّدْتَنا عند انصرافك بهدية تهديها إلينا . فقلتُ : وماهى ؟ قالوا : الدعوات اللاتى كُنْتَ تدعو بهنَّ عند انصرافك إلى أهلك . قال : فما زلتُ عليهنَّ ما دُمْتُ حيًّا » .

[انظر المصدر السابق ص ١٨] .

(٥) سبق التعريف به . وهذه الفقرة عن « م » ولم ترد فى « ص » .

(٦) أى : فَصُبُّوا وأرسلوا .. وفى « م » : « فَهَيِّئُوا » .

(٧) مابين المعقوفتين من عندنا .

(٨) سورة البقرة – من الآية الخامسة . أى : يقرأ الآيات الخمس الأولى منها .

(٩) فى « م » : « وخَاتِمِها » .

(١٠) سورة البقرة – من الآية ٢٨٤ . والمراد قراءة الآيات الثلاث الأخيرة من السورة المشار إليها .

(١١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » ..

وقال الشعبى [١] : سُنَّةٌ كانت فى الأنصار : إذا مات الميت لم يُدْفَن حتى يُقْرَأ عند رأسه سورة البقرة . وبعد هذا ، فكل ما يفعله الإنسان من أنواع البِرِّ والخير يصل إليهم ، قال الله تعالى : ﴿ والذين جاءوا مِن بَعْدِهِمْ يقولون ربنا اغْفِرْ لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ [٢] .. وقوله تعالى : ﴿ الذين يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وَسِعْتَ كُلَّ شيءٍ رحمةً وعِلْمًا ، فاغْفِرْ للذين تابوا واتَّبَعُوا سبيلك وَقِهِمْ عذاب الْجَحِيم ﴾ [٣] .. فلو لم تكن الصلاة والدعاء [٤] يصلان إليهم ، وكذلك الاستغفار ، لم يخبر الله عنهم بذلك ، فكذلك الصدقة وقراءة القرآن والدعاء ، ينفعهم ويصل إليهم . وقد صلى النبى ﷺ على جماعة من الصحابة والنجاشى ، وهو غائب [٥] - ﷺ - وهو بالمدينة لمَّا صلى عليه .. وكذلك لمَّا صَلَّى على خُبَيْب [٦] بن عَدِيٍّ ، أحد أصحابه - ﷺ - حين صُلِبَ بمكة ، والنبى ﷺ بالمدينة ، والأدلة أكثر من أن تُحْصَى .

---

(١) هو عامر بن شراحيل بن عبد ، الشعبى ، الحميرى ، من التابعين ومن رجال الحديث الثقات . ولد سنة ١٩ هـ ، ويضرب المثل بحفظه ، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . وكان وفاته سنة ١٠٣ بالكوفة ، واختلف فى سنة وفاته من سنة ١٠٣ - ١٠٧ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٢٥١ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٢٧ - ٢٣٤ وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣١٠ - ٣٣٨ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢ - ١٦ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٤٩ - ٤٥١] .

(٢) سورة الحَشْر - من الآية ١٠ .

(٣) سورة غافر - الآية ٧ .

(٤) فى « ص » : « الصلاة والدعاء والاستغفار » وستأتى لفظة « الاستغفار » بعد ذلك .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وهو غائب ، والبحر متعرضٌ بينهم ، فلو لم يصل ثواب صلاته إلى الميت لَمَا صَلُّوا عليه وهُمْ بالمدينة » .

(٦) فى « م » و « ص » : « حبيب » بالحاء المهملة ، خطأ ، والصواب بالخاء المعجمة . [انظر ترجمته فى أسد الغابة ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢٢] .

وعن إبراهيم بن محمد بن سلامة المُوصِلِّى قال : سمعتُ بعض الصالحين من مشايخ الرحبة يقول : إنه رأى فى منامه كأنه اجتاز بمقبرة الرحبة ، فرأى أهل المقبرة جلوسًا فى أكفانهم وعليهم النور والبهاء ، وهم يتَشَاجَرُونَ وقد ارتفعت أصواتُهم كأنهم يقتسمون شيئًا ، فسألتهم عن ذلك ، فقالوا : اجْتَازَ بنا [بالأمس] [١] فلانٌ - وسَمَّاهُ لى رَجُلٌ من الصالحين من أهل الرحبة - فعثر فى رِجْلِهِ [٢] ، فانقطعَ ظفرُ إصبعه الإبهام ، فأُغمى عليه ، وَوَجَد لذلك ألمًا شديدًا ، فقال : اللَّهُمَّ إنْ كان فى هذه العَثْرَةِ وهذا الألم ثوابٌ [٣] فقد أهديته لأهل هذه المقبرة .. فكُلُّنا من أمس نقتسم ثواب ذلك وما فَنِىَ .. قال : فلما أصبحتُ أتيتُ إلى دُكَّانِهِ فى السوق ، فسلمتُ عليه وسألته أن يُرِيَنِى رِجله ، فأبى وقال : رِجْلِى مثل أَرْجُلِ الناس ، ما عليك منها ؟! فقلتُ : لى فيها غَرَضٌ ، فكشف لى عن رجله الصحيحة ... فقلتُ : أريد أن تكشف لى عن الأُخرى ، فأبى ، فأقسمتُ عليه حتى كشفها لى ، وأصبعه الإبهام مشدودة بخرقة ، فقلتُ : هذا قصدى .. فسألنى عن ذلك ، فحدثتُه بما رأيتُ فى منامى .. فأقْسَمَ عَلَىَّ ألاَّ أُحَدِّثَ بذلك فى حياته ، وحتى مات - رحمه الله .

ويشهد لصحة هذه الرؤيا ، ما رُوِىَ عن النبى ﷺ أنه قال : « يُثاب المؤمن [٤] حتى بالشوكة تُصيبه ، وبالعثرة يعثرها » .

وحَدَّثَ بعض شيوخ الحَرَم أنه زار المقبرة التى بأم القرى [٥] وَقَرأَ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ إحدى عشرة مرة ، ثم أهدى إليهم ثوابها ، ثم إنه رأى

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٢) فى « ص » : « برجله » .

(٣) « ثواب » عن « م » ولم ترد فى « ص » .

(٤) فى « ص » : « إن الله يثيب المؤمن » .

(٥) فى « م » و « ص » : « برسم القرى » . وأم القرى : مكة المكرمة .

حفّارين يحفرون قبرًا [(١)] ، فسألهم عن القبر ، لِمَنْ هو ؟ قالوا : لرجل غريب ، فقلت فى نفسى : أقف حتى يأتوا [(٢)] بالجنازة وأُصَلِّى عليها ، وأغتنم الأجر والثواب فى ذلك ، لِمَا رُوِىَ عن النبى ، ﷺ ، أنه قال : « مَنْ صلى على جنازة كُتِبَ له قيراط [(٣)] من الأجر ، فإن تبعها كُتب له قيراطان .. » الحديث .

فاستندتُ إلى قبرٍ من تلك القبور ، فَنِمْتُ ، فرأيتُ أهل المقبرة جلوسًا وهم يتشاجرون فيما بينهم ، ورأيت صاحب ذلك القبر الذى كنتُ مستندًا إليه شيخًا على وجهه نور [(٤)] وهو يكلمنى ويقول : يا أخى ، تَتَّكِىءُ على القبر وقد قال رسول الله : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ جَلَسَ على جَمْرَةٍ فتحرق ثَوْبَهُ حتى تصل إلى جِلْدِهِ لكانَ أَهْوَنَ عليه مِنْ أَنْ يَطَأَ قبر مسلم » . فقلتُ : اجعَلْنِى فى حِلٍّ [قال : أنت فى حِلٍّ] [(٥)] .. فسألته عن مشاجرة أهل المقبرة ، فقال : إنهم يقتسمون ثواب إحدى عشرة [(٦)] مرة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ التى [(٧)] قرأتَهَا .. فقلتُ : وكم أصاب كل واحد من ثوابها ؟ فقال : خير كثير .. فقلت : ما الذى أصابك ؟ فقال : أنا آثرتهم بحصتى ، لأنهم ليس لهم أحدٌ يهدى إليهم [(٨)] ،

---

(١) « قبرًا » عن « ص » .

(٢) فى « م » و « ص » : « يأتون » خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، فالفعل هنا منصوب بحذف النون ، لأنه من الأفعال الخمسة .

(٣) فى « م » : « قيراطان » . والحديث رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائىّ ، والدارمى ، وابن ماجه ، وابن حنبل ، وغيرهم ، فى الجنائز .

(٤) فى « م » و « ص » : « نورًا » بالنصب ، وكلاهما له وجه ، فالرفع على أنه مبتدأ مؤخر ، والنصب على الوصفية ، والرفع هنا أَوْجَهُ .

(٥) مابين المعقوفين عن « ص » .

(٦) فى « م » : « إحدى عشر » خطأ .. فهنا تجب المطابقة للمعدود تذكيرًا وتأنيثًا ، تقول : « رأيتُ أَحَدَ عشر كوكبًا » فى حالة التذكير ، و « إحدى عشرة فتاة » فى حالة التأنيث .

(٧) فى « م » و « ص » : « الذى » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٨) فى « ص » : « فقال : أنا قد آثرتهم بسهمى ، لأن هؤلاء ليس لهم أحد ، وأنا لى ولد صالح ... » .

وأنا لى ولدٌ صالحٌ خَيَّاط [1] بباب الندوة يتصدق [عنى] [2] كل يوم بدَانِقَيْن ، ويهدى إلَىَّ كل ليلة قبل أن ينام إحدى عشرة [3] مرة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .. فقلت : وما اسمه ؟ قال : محمد .. فقلت له : أتأذن لى أن أُبَشِّرَهُ ؟ قال : إنْ فَعَلْتَ ذلك فَلَكَ علىَّ مِنَّةٌ كبيرةٌ .. سَلِّمْ عليه وقل له : يقول لك [4] أبوك : ياولدى لِمَ تركتنى الليلة أَوَّلَ الليل ؟ [ولكن] لما انتبهتَ [5] وقرأتَ وبكيتَ وأهديتَ ، وصَلَ إلَىَّ .. فجزاك الله خيرًا ، ورضى الله عنك برضاىَ [6] .

قال : فمضيتُ إليه ، وعَرَّفْتُهُ الحال ، فقال لى : مَنْ أنت ؟ إن والدى له – منذ مات – عشرون سنة [7] ! فحَدَّثْتُه بما رأيتُ وقلتُ : الساعة جِئْتُ [8] من عنده .. فقال : صدَقْتَ [9] ، كذا كان ، وفرح بذلك .

وقد حُكِىَ [10] أنَّ قافلةً مَرَّتْ بمقبرة فى الليل ، فأخرج رجل رأسه من المحمل وقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ إحدى عشرة [11] مرة وأهداها لأهل المقبرة ، فنام فرأى رجلًا وهو يقول له : جزاك الله خيرًا .. كنتُ فى أَشَدِّ العذاب ، فلما أهديتَ لنا هذه الهدية نابنى منها ثوابُ بعضِ حُروفٍ ، فَنَجَوْتُ .

---

(١) فى « م » : « خياطًا » لا تصح بالنصب إلَّا على إضمار فِعْلٍ ، أى : يعمل خياطًا . والرفع هنا على الوصفية .

(٢) مابين المعقوفين عن « ص » .

(٣) فى « م » : « إحدى عشر » خطأ ، وسبق التعليق عليه .

(٤) فى « م » : « يقولك » .

(٥) هكذا فى « م » . ومابين المعقوفين ساقط من « ص » .

(٦) فى « ص » : « برضاى عنك » .

(٧) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « والدى مات منذ عشرون – هكذا – سنة » وقوله « عشرون » هنا خطأ ، والصواب : « منذ عشرين سنة » .

(٨) فى « م » : « خرجتُ » .

(٩) فى « ص » : « صَدَقَ » أى : والده .

(١٠) من قوله : « وقد حكى » عن « م » وساقط من « ص » إلى قوله : « لمَّا قرأتها » .

(١١) فى « م » : « إحدى عشر » خطأ ، سبق التعليق عليه .

وقد رُوِىَ أنَّ رجلاً كان يخص ابنه بالهدية ، فجاء يومًا إلى قبره وقرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وقال : اللهم اجعل ثوابها لولدى .. فنام ، فرأى فى النوم رجلاً من جيران ولده وهو يقول : كأنَّكَ بَخِلْتَ علينا .. لقد نزل ثوابها فَعَمَّنَا لمَّا قرأتها [١] .

قال الشافعى – رحمه الله تعالى – فى الأم [٢] : يلحقُ الميتَ من فِعْل غيره الحجُّ إذا أدَّاهُ [٣] عنه ، والدَّيْن إذا قَضاهُ عنه ، والدعاء إذا دَعَا له .. فأمَّا الحج [٤] ، فإن مات وعليه حجٌّ واجبٌ وله مال ، حُجَّ عنه مِنْ صُلبِ مالِه ، وإنْ لم يخلف شيئًا يجب على الوارث أن يحج عنه ، فإن تطوَّعَ أجنبىٌّ فحجَّ عنه أجْزَاهُ ، وأمَّا التطوع فإنْ لم يكن بوصية لم يُجْزِ فعله ، وإنْ أوْصَى ففيه قولان .. وأمَّا الدَّيْن فيجب قضاؤه من صلب ماله ، فإن لم يكن له مال فتطوَّعَ وارِثُه ، أو غيره فقضاه ، أَجْزَاه .. وأمَّا الصَّدَقة ، فإذا تصَدَّقَ الوارثُ أو غيره عن الميت لحقه ثوابُ الصَّدَقة .. وواسع من فضله – تعالى – [٥] أنْ يُثِيبَ المتصدق .. وأما الدعاء ، فإذا دعا للميت ولده أو غيره ، وصل ثوابه .

قال صاعِدٌ [٦] : كنتُ مِمَّنْ [٧] حضر جنازة عبد الله بن الفرج ، فرأيته

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) فى « م » و « ص » : « الإملا » . تصحيف من الناسخ . وكتاب « الأم » أشبه بموسوعة فى أبواب الفقه الشافعى ، جمعه البويطى – أحد تلاميذ الشافعى – فى سبعة مجلدات ، وبَوَّبَه الربيع بن سليمان ، وهو من تلاميذ الإمام أيضًا .

(٣) فى « م » : « ادعاه » تحريف من الناسخ .

(٤) فى « ص » : « وقال » مكان « فأمَّا الحج » .

(٥) فى « م » « من فضل مقالى » تصحيف .. وفى « ص » : « قال الشافعى رحمه الله : وواسعٌ فى فَضْل الله أن يُثيبَ المتصدق » .

(٦) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « صاغور » . لم أقف عليه .

(٧) فى « ص » : « فيمن » .

فى النوم كأنه جالس على قبره ومعه صحيفة ، فقلتُ : ما فَعَل الله بك ؟ قال : غفر لى ولكل من تبع جنازتى [١] .. فقلت : أنا مِمَّنْ تَبِعَ جنازتك ، فقال : هذا اسمك فى الصحيفة .

وقد بلغنا أنَّ أرواح المؤمنين يأتون كل جمعة إلى سماء الدنيا فيقفون بحذاء قبورهم ، وينادى كُلُّ واحدٍ منهم : يا أهلى ، ياجيرانى ، اعطفوا علينا بشىء يرحمكم الله ، وَاذْكُرونا [٢] ولا تنسونا ، فنحن قد بقينا فى سجن وثيق ، وغَم طويل ، ووهن شديد ، فارحمونا قبل أن تصيروا أمثالنا .. الأموالُ [٣] التى فى أيديكم أموالنا ، والدور دورنا .

فإذا تصدق الإنسان عن ميته جاء مَلَكٌ من الملائكة بطبق من نورٍ ، والهدية على ذلك الطبق ، ولها نور ساطع فى سبع سمٰوات ، فيقوم على شفير القبر وينادى : عليك [٤] السلام ياصاحبَ هذا القبر الغريب ، إنَّ أهلَكَ أهدوا إليك هذه الهدية ، فَاقْبَلْهَا .. فَيُدْخِلُهَا فى قبره ، فَيَنَوَّرُ له قبره ، ويوسع عليه .

قال عثمان بن سَوْدَة ، وكانت أُمُّه من العابدات ، يقال لها « راهبة » لكثرة عبادتها : لَمَّا احتضرتْ رفَعَتْ رأسها إلى السماء وقالت : يا ذُخْرِى وذخيرتى ، لا تَفْضَحْنِى عند الموت ، ولا تُوحِشْنِى فى قبرى .. فكنتُ آتِى قَبْرَهَا فأقرأُ كُلَّ ليلة جمعة [٥] وأستغفر لها .. فرأيتها ليلةً فى منامى ، فقلتُ : يا أُمَّاهُ ، كيفَ أنتِ ؟ قالت : يابُنَىَّ أنا بحمد الله فى بَرْزَخٍ محمودٍ ، نتوسَّدُ فيه الريحانَ والسُّنْدُسَ .. فقلتُ : أَلَكِ حاجة ؟ قالت : نعم ، لا تَدَعْ زيارتَنَا والدُّعاء لنا ، فإنى آنَسُ بمَجِيئِكَ يوم الجمعة ، إذا أقْبَلْتَ مِن أهْلِكَ يُقال لى : هذا ابْنُكِ قد أقبل ، فَأُسَرُّ ، ويُسَرُّ مَنْ حَوْلى من الأموات .

---

(١) فى « م » : « جنازة » .
(٢) فى « م » : « فاذكرونا » .
(٣) فى « م » : « فأمَّا الأموال » .
(٤) فى « م » : « عليكم » .
(٥) فى « ص » : « كل جمعة » .

وقد [1] نُقِلَ عنه ، عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « مَن قال : ﴿ فَـلله الحمدُ رَبِّ السمٰواتِ وَرَبِّ الأرض ربِّ العالمين * ولهُ الكبرياءُ فى السمٰواتِ والأرضِ وهو العزيز الحكيم ﴾ [2] وقال : اللهم اجعل ثواب هذه الآية [3] لأَبَوَىَّ ، فقد أدَّى حقهما » .

وقد نُقِلَ عن الشيخ أبى القاسم بن الحباب أنَّ الأرواح ترجع إلى الأجساد يوم الجمعة من بعد العصر ، ويوم السبت ، ويوم الاثنين ، ويوم الخميس ، ويوم الجمعة ، ويوم السبت إلى طلوع الشمس [4] .

وقد أحسن مَنْ قال :

زُرْ وَالِدَيْكَ وقِفْ على قَبْرَيْهِمَا ... فكأنَّنِى بِكَ قد نُقِلْتَ إليهمـا
بُشْرَاكَ لَـوْ قَـدَّمْتَ فِعْـلاً صالحاً ... وقَضَيْتَ بعض الحقِّ مِنْ حَقَّيْهِمَا [5]
وقرأْتَ مِنْ آيِ الكتابِ بِقَدْرِ ما ... قد تستطِعْ وَبَعَثْتَ ذاكَ إليهما [6]
لو كُنْتَ حيثُ هُمَا وكَانَا فى البَقَا ... زَارَاكَ حَبْوًا لاعَلَى قَدَمَيْهِمَـا [7]
مـاكان ذنبهمـا إلـيكَ فطـالما ... مَنَحَاكَ صَفْوَ الودِّ مِنْ نَفْسَيْهِمَا
كانَا إذا [ما] أبصرَا بِكَ عِلَّةً ... جَزِعَا لِمَا تَشْكُو وشقَّ عليهما [8]
كانَـا إذا سَمِعَـا أنِينَكَ سَبَّـلاَ ... دَمْعَيْهِما أسَفًا على خَدَّيْهِمَـا [9]
فَلَتَلْحَقَنَّهُمَـا غـدًا أو بعـده ... حتماً كما لَحِقَـا هُمَـا أبَوَيْهِمَـا

---

(١) من هنا إلى قوله : « طلوع الشمس » عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) سورة الجاثية – الآيتان : ٣٦ و ٣٧ .

(٣) هما آيتان . وربما يقصد ثواب « القراءة » .

(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٥) الشطرة الأولى فى « م » : « بشراك قد قدَّمْتَ ... »

(٦) الصواب لُغَةً : « تستطيع » وحذفت الياء من الفعل لاستقامة الوزن .

(٧) « حيث هما » : أى مكانهما فى الدار الآخرة .. وفى « م » : « لو كنت جئتهما » .. والأنسب للسياق ما ورد فى « ص » . « وكانا فى البقا » : أى على قيد الحياة .

(٨) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٩) فى « ص » : « أسْبَلا دمعيهما » .

ولتقْدَمَـنْ على فِعَـالِكَ مثلمـا قَدِمَا هما [أيضًا] على فِعْلَيهما [(١)]
فَاحْفَظْ حُفِظْتَ وَصِيَّتى واعْمَلْ بها فَعَسَى تَنَالُ الفَوْزَ مِنْ بِرَّيْهِمَـا

وتُكثر من قراءة القرآن .. ومن الدعاء ، دعاء الزيارة .. وينبغى إذا عَزَمْتَ على الزيارة فى بُكْرَةِ [(٢)] الجمعة أن تبتدئ بركعتين عند طلوع الشمس ، تقرأ فيهما ما تيسر من القرآن [(٣)] ثم تقول : « اللهم صَلِّ على محمد وعلى آله ، وَاعْزِمْ لى على خيرٍ عَزَمْتَ فيه على أحدٍ من عبادك الذين دَعَوْتَهُمْ فأجابوكَ ، وأمَرْتَهُمْ فأطاعوكَ ، وعملوا عملاً صالحًا ولم يشركوا بعبادتكَ أحدًا .

اللهم مَنْ تأهَّبَ فى هذه الساعة فأخذَ زينَتَهُ ، وأظهرَ لِبْسَتَهُ [(٤)] لِقَصْدِ أحدٍ من عبادك ، فإننى خارجٌ إليك ، ووافدٌ عليك [(٥)] ، وطالبٌ مَالَدَيْكَ .. لمْ أَخْرُجْ أشِرًا [(٦)] ، ولا بَطِرًا ، ولا رياءً ، ولا سُمْعَةً ، [وإنَّما] [(٧)] خرجْتُ زائرًا لِمَنْ أحببتُهُ فيكَ [(٨)] ، وأحسنتُ الظَّنَّ به لِمَا عَلِمْتُهُ مِن طاعَتِهِ لك ..

اللهم فَعَرِّفْنِى بَرَكَةَ هذا المَخْرَجِ ، ويَسِّرْ لى نُجْحَ هذا المَقْصِدِ ، وشَفِّعْ فِىَّ عبادَكَ الصَّالحين ، واجعلنى محسنًا ، فإنك مع المحسنين . وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ ، إمام الأتقياء ، وشافع الشفعاء ، وعلى آلِهِ الطاهرين » .

ثم تأخُذُ فى طريقِ ، وتحرص على ألَّا يجفَّ لسانُكَ من تلاوة كتاب الله ، فإنْ عاقَكَ عائقٌ عن التلاوة – مِنْ رفيقٍ يشغلك ، أو من تقصير فى حفظ ما تحفظه

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .
(٢) البُكْرَة : أول النهار .
(٣) فى « م » : « ماتيسر قراءته » .
(٤) فى « م » : « لِبسَتَهُ » أى : ما يُلْبَسُ .
(٥) فى « م » : « خارج ووافد لديك » .
(٦) فى « م » : « شرًّا » تحريف . والأشِرُ : المتكبر ، والبَطِرُ مثله .
(٧) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا .
(٨) « فيك » عن « ص » .

- فأكْثِرْ مِنَ التسبيح والتحميد والتهليل (١) ، ولو فى أثناء كلام مُسَايِرِيكَ (٢) ، وتجعل ذلك عادةً لِلِسَانِكَ ، وَاعْلَمْ أنك إنما تهدم سيئة وتبنى حَسَنَة ، فلا تُقَصِّرْ .

وعليك بالاستغفار والتحميد ، فإنَّ العبد بين أمرين : بين ذنب يستغفر الله منه (٣) ، وبين نعمة يحمد الله عليها .

وتبدأ فيمن تزور بأهل بيت النبى ، ﷺ ، والمشاهد الصحيحة النسب إلى أهل البيت الطاهرين ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وتدعو بحاجتك مِنْ أمْرِ الدنيا والآخرة ، وتجتهد (٤) فى أن تستفتح قبل هذا الدعاء بسورة من القرآن ، صغيرة كانت أو كبيرة (٥) .. ثم تزور مَنْ فى الجَبَّانَة من السادة الأخيار ، والصُّلَحاء الأبرار ، فإن قبورهم مَظِنَّةُ الدعاء والإجابة (٦) .. تقعد عند كل قبر وتقرأ سُورَةً ، وتدعو بدعوة صالحة : إمَّا محفوظة أو ما يفتح (٧) الله به على قلبك .

وكلما دخَلْتَ الجَبَّانَةَ تستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وتُسلم عليهم ، وتقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وتهديها لأهل الجبَّانة ، فقد وَرَدَ فى ذلك خبرٌ ، أنه إذا فَعَلَ ذلكَ عَمَّهُم بالزيارة ، وتقول : سلامٌ عليكم أهل الدِّيار مِنَ المؤمنين (٨) - أو : السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين - وإنَّا إنْ شاء الله بكُم لاحقون .. اللهم [ارحَمْ] (٩) المستقدمين مِنَّا والمستأخرين ، عبيدَكَ الفقراء النازلين بِكَ ،

---

(١) التهليل ، هو قول : « لا إله إلَّا الله » .

(٢) أى : الذين يسيرون معك . وفى « ص » : « مسايرك » على الإفراد .

(٣) فى « م » : « فيه » .

(٤) فى « ص » : « وتحرص » .

(٥) فى « ص » : « قصيرة أو طويلة » .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « كل هؤلاء قبورهم مظنة للدعاء والإجابة » . ومَظِنَّة الشىء : مَوْضِعُهُ ومَألَفُهُ .

(٧) فى « م » : « وإمَّا ما يفتح » .

(٨) فى « ص » : « ويقول : سلامٌ عليكم أهْلَ دارِ قومٍ مؤمنين » .

(٩) مابين المعقوفين عن « ص » .

الراحلين [١] إليكَ .. رحلوا من طيب الدنيا ونعيمها إلى ظُلمة القبر وما هم لاقُوهُ : ﴿ ووجدوا ماعملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا ﴾ [٢] . أطاعوك فى أحَبِّ الأشياء إليكَ ، وهى شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله ، وأنَّ محمدًا عبدك ورسولك [٣] .. اللهم فاغفر لهم ماسِوَى ذلك مِنْ فَوارِطِ الغفلة [٤] ، وبَوادِرِ الغِرَّة [٥] ، فإنهم فقراء إلى رحمتك ، وأنت غَنِيٌّ عن عذابهم ، فأَعْطِهِم ماهُم فقراءُ إليه ، وسامِحْهُم مِمَّا أنت غَنِيٌّ عنه ، واجْعَلْهُم فَرَطًا [٦] وسَلَفًا لنا إذا صِرْنَا إلى ما صاروا إليه ، وقَدِمْنَا على ماقَدِمُوا عليه ..

وتختمُ بزيارَةِ أَهْلِكَ [٧] ، فإنْ كان فيهم أحدٌ من وَالِدَيْكَ فقد عَلَّمَكَ اللهُ ما تقول : ﴿ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صغيرًا ﴾ [٨] .. وإنْ كانوا من أهل بيتك فدعوة نوح عليه السلام : ﴿ ربِّ اغْفِرْ لى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَنْ دخل بَيْتِىَ مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تَزِدِ الظالمين إلاَّ تَبَارًا ﴾ [٩] .

وأَكْثِرْ من قراءة القرآن عند الأهل ، وخُصَّ كُلَّ قبرٍ بسورة ، وتَمَثَّلْ أحوالهم التى هُم عليها فى قبورهم ، من تقطيع أكفانهم ، وبلاء أبدانهم ، وتَفَرُّقِ أَوْصَالِهِم ، وتَغَيُّرِ ماكان يُعْهَدُ من أحوالهم [١٠] ، وتعلم أنك لا محالةَ حيث صَارَ

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « النازلون .. الراحلون » . ويجوز الرفع هنا على الابتداء ، والنصب على الوصفية .

(٢) سورة الكهف – من الآية ٤٩ .

(٣) فى « ص » : « وأنَّ محمدًا رسول الله » .

(٤) فوارِط الغَفْلَة : ما تقدَّمَ منها وما سَبَق .

(٥) الغِرَّة : الغفلة .. وفى « ص » : « العِزَّة » .

(٦) واجْعَلْهُمْ فَرَطًا ، أى : أجرًا مُتقدمًا .

(٧) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « وتختم بالزيارة لأهلك » .

(٨) سورة الإسراء – من الآية ٢٤ .

(٩) سورة نوح – الآية ٢٨ . ومعنى « تبارًا » : هلاكًا ودمارًا .

(١٠) فى « ص » : « ماكان يُعْهَدُ منهم ومن أحوالهم » .

القوم صَائِرٌ إليهم ، وأنك إنْ لم تنزل بالمَحَل فأنت على الطريق سائر .. وتغتنم ما يودُّهُ كُلُّ مُقَصِّرٍ منهم فلا يقدر عليه ، من زيادة حَسَنَة لا يقدر عليها ، ومن نقص سيئة لا يصل إليها [١] . ثم أشَدّ تَلَهُّفِهِمْ على كلمة تسبيح لا يقدرون أنْ ينطقوا بها ، أو على ركعة لا يقدرون [٢] أن يحصلوا عليها .

فاستَكْثِرْ ما أمكنك مِنَ الخير [٣] ، ومن الصلاة على النبى ، ﷺ ، فإنَّ مع كل صلاة دعوةً مُستجابة ، وكانوا يستحبُّون أن يكون الدعاء بين صلاتين على النبى ، ﷺ ، فيستفتح بالصلاة ، ثم يسأل الحاجَة ، ثم يختم بالصلاة .. جاء فى الخبر أنَّ الله سبحانه وتعالى يسمع الصلاتين فَيَسْتَحْيِى - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - ألّا يجيب الدعوة بينهما .. وأبواب الخير كثيرة ، ومن فُتح عليه باب خيرٍ فقد أُرِيدَ به خيرٌ كثير ، ودُفِع عنه شر غزير .

قال بَشَّارُ بن غالب [٤] : مات لى أَخٌ ، فرأيته فى المنام ، فقلت له : كيف حالُكَ حين وُضِعْتَ فى قبرك ؟ فقال : أتَانِى [٥] آتٍ بشهاب من نار ، فلولا أنَّ داعيًا دَعَا لى لَرَأَيْتُ أنه سَيضْرِبُنِى به [٦] .

الوظيفة العاشرة : الصلاة على النبى ﷺ بين المقابر .

حُكِيَ أنَّ امرأة جاءت إلى الحسن البصرى فقالت : إنَّ ابنتى ماتت وأُحِبُّ [٧]

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « ... من زيادة حسنة ولا نقص سيئة ، فإنه لايصل إلى شيء من ذلك » .

(٢) فى « م » و « ص » : « لا يقدروا » . خطأ ، والصواب ثبوت النون .

(٣) فى « ص » : « فاستكْثِرْ من الخير ما استطعت » .

(٤) هنا فى « ص » : كرر الناسخ ماسبق أن ذكره سهوًا منه .

(٥) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « أتَى » .

(٦) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « سَيُغْرِينى به » أى : يُلْقِينى به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فأغْرَيْنَا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ أى : ألقينا .

(٧) فى « م » : « فأحببتُ » . ومابين المعقوفتين بعد ذلك عن « ص » وساقط من « م » .

أنْ أراها [فَعَلِّمْنِي صلاةً أُصَلِيها لَعَلِّي أراها] ، فعلَّمها صلاةً ، فرأَتْ ابنتها وعليها لِبَاسُ القَطِرَانِ ، وَالغُلُّ فى عُنُقها [1] ، فارتاعتْ لذلك ، وأخبرت الحسن ، فَاغْتَمَّ لذلك ، فلم تمضِ مدة حتى رآها الحسن وهى فى الجنة على سَرِيرٍ ، وعلى رأسها تاج ، فقالت له : ياشيخ ، أَمَا تعرفنى ؟ قال : لا .. قالت : أنا بنت تلك المرأة التى عَلَّمْتَهَا الصلاة ورأتنى فى المنام ... فقال لها [2] : ما سَبَبُ أَمْرِكِ ؟ قالت [3] : مَرَّ بمقبرتنا رجلٌ فصَلَّى على النبى ، ﷺ ، وكان فى المقبرة خمسمائة وخمسون إنسانًا فى العذاب ، فَنُودِىَ أَنْ قِفُوا العذاب عنهم ببركة الصلاة على النبى [4] ﷺ .

الوظيفة الحادية عشرة [5] : الدعاء لنفسه .

وينبغى للزائر أنْ يدعو لنفسه عند قبور الأنبياء والصالحين ، فقد أُمِرْنا بالدعاء عند رقة القلب ، وهاهنا يرقُّ القلب غالبًا .

ومِنْ أبلغ الأدعية : « اللهم إنِّى أسألك بما سألك نَبِيُّنا محمد ، ﷺ ، وأعوذُ بك مِمَّا استعاذ [6] منه نبيُّكَ محمد ، ﷺ ، وأسألُكَ العَفْوَ والعافية ، فَعافِنِى وَاعْفُ عنى [7] . اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العَفْوَ فَاعفُ عنى » . فهذه الدعوات مروية عن النبى ، ﷺ ، وصحيحة ، والأدعية كثيرة .

---

(١) القَطِرَان : مادة سوداء سائلة لزجة شديدة الاشتعال ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ سرابيلهم من قطران ﴾ . أمَّا الغُلّ ، فهو طَوْقٌ من حديد أو جلد يُجْعَلُ فى عُنق الأسير أو المجرم أو فى أيديهما .

(٢) فى « م » : « فقالت » خطأ .. وفى « ص » : « أنا تلك المرأة التى علَّمْت أُمِّى الصلاة فرأتنى فى المنام . قال : فقلتُ » .

(٣) فى « م » : « قلت » خطأ .

(٤) فى « ص » : « ببركة صلاة الرجل على النبى » .

(٥) فى « م » : « الوظيفة الحادية عشر » وسيأتى اسم العدد – فى الوظائف الآتية – على وزن « فاعل » من « الثانى عشر » إلى « التاسع عشر » غير مطابق لموصوفه ، وهى « الوظيفة » ، وجاء مخالفًا لقواعد اللغة التى تقرر أن اسم العدد المُصَاغ على وزن « فاعل » يُطابق مَوْصُوفَهُ تذكيرًا وتأنيثًا ، وقد قمنا بتصويب ذلك ، لذا فلن نشير إلى ذلك فى موضعه ، اكتفاءً بما ذكرناه هنا .

(٦) فى « ص » : « استعاذَكَ » .

(٧) قوله : « فعافنى وَاعْفُ عنى » عن « م » .

وكان من أدعية عطاء السَّلمى [١] رضى الله عنه : « اللّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتى فى الدنيا ، ومَصْرَعِى عند الموت ، وَوَحْدَتى فى القبرِ ، ومُقَامِى [٢] بين يَدَيْكَ » .

قال بعضهم :

وَإنّى لأدْعُو اللهَ والأمْرُ ضَيِّقٌ عَلَىَّ فما يَنْفَكُّ أَنْ يَتَفَرَّجَا
ورُبَّ فَتَى سُدَّتْ عليه وجُوهُه أصابَ لها لَمَّا دعا الله مَخْرَجَا

وإيَّاكَ أنْ تَستَبْطِىءَ الإجابة ، وَارْجِعْ إلى إصلاح نفسك .

وما أَحْسَنَ قول القائل :

نحن ندعو الإله فى كل كَرْبٍ ثُمَّ نَنسَاهُ عند كَشْفِ الكُروبِ

ولا يحملنّكَ التقصير على ترك الدعاء .

الوظيفة الثانية عشرة : ذِكْرُ مَحاسِنِ الميت [٣] عند قبره .. ففى ذلك نشرٌ لمَحاسِنِه ، وترغيبٌ للسامعين فى زيارته ، وتشويقٌ للطالبين فى الدخول فى زُمْرَة العالمين .

الوظيفة الثالثة عشرة : الإكثار من زيارة الأقارب ، فقد رُوِى أنَّ الرجل يموت والداه وهو عاقٌّ لهما ، فيدعو لهما بعدهما ، ويزورهما كل جمعة ، فَيُغْفَر له ويُكتب بارًّا .

---

(١) فى « ص » : « من دعاء عطاء السلمى » . وفى حلية الأولياء وميزان الاعتدال « السليمى » ، وهو من زُهَّاد أهل البصرة ، وله كلام دقيق فى الزهد ، وكان من كبار الخائفين .. بقى إلى حدود الثلاثين ومائة ، وأدرك عطاء السليمى أنس بن مالك وأيامه ، ولقى الحسن ، ومالك بن دينار ، وغيرهم .
[انظر حلية الأولياء ج ٦ ص ٢١٥ – ٢٢٦ ، وانظر ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٧٧ ترجمة عطاء الشامى ، وص ٧٨ عطاء السليمى] .

(٢) فى « ص » : « ومقامنا » .

(٣) فى « م » : « إيراد محاسن أخبار الميت » .

الوظيفة الرابعة عشرة : التَّصبُّر عند مُعَايَنَة قبر أقاربه [١] وترك الجزَع .. عندما مات [٢] ذَرٌّ ، مَرَّ أبوه على قبره فقال : أَمَا واللهِ ياذرُّ لقد شَغَلَنا الحزنُ لَكَ عن الحزن عليك ، ليتَ شِعْرِى ، ما الذى قُلْتَ ؟ وماذا قِيلَ لك [٣] ؟!

ولقد أحسن القائل :

لَسْتُ أبكيكَ لِنَفْسِى إنَّمــا أبكـــيكَ لَكْ
ليتَ شعرى ما الـذى قُلْتَ وماذا قيــل لَكْ

وفى الحديث [٤] : « لا يموت لأحدٍ ثلاثةٌ من الوَلَد فَيَحْتَسِبُهُم إلاَّ كانوا له جُنَّة [٥] من النار .. فقالت امرأة : واثنان ؟ ... » [٦] .

وفى حديثٍ آخر عن النبى ، ﷺ ، أنه قال : « لا يموت لأَحَدٍ من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فَيَحْتَسِبُهُم فتمسَّهُ النَّارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ » [٧] .

---

(١) فى « ص » : « التصبُّر عند موت أقاربه » .

(٢) فى « ص » : « لمَّا مات » .

(٣) فى « ص » : « ما قلتَ ؟ وما قيل لك ؟ » .

(٤) فى « ص » : « وقد وَرَدَ فى الحديث » .

(٥) جُنَّة : وقاية .

(٦) أى : وإذا مات اثنان فالحُكم كذلك ؟ وفى رواية : قال : واثنان .

[انظر فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، كتاب الجنائز باب مَنْ مات له ولدٌ فاحتَسَبَ ، ج ٣ ص ١١٨] .

(٧) تَحِلَّة القَسَمِ ، أى : ماتَنْحَلُّ به القَسَم ، أو قَدر ما يُحَلِّل به اليمين .. وقيل : معناه : التقليل ورودها .. وقيل : ما تَحِلَّةُ القَسَمِ ؟ قيل : قوله تعالى : ﴿ وإنْ منكم إلَّا وَارِدُها ﴾ .. وقال الخطَّابِىُّ : معناه : لا يدخل النارَ لِيُعَاقَبَ بها ، ولكنه يدخلها مُجتازًا ، ولا يكون ذلك الجواز إلَّا قَدْرَ ما يُحَلِّل به الرَّجُلُ يمينه .

[انظر المصدر السابق ، وانظر الموطأ ج ١ ص ٢٣٥ كتاب الجنائز ، باب الحسبة فى المصيبة ط عيسى الحلبى] .

الوظيفة الخامسة عشرة : تَرْكُ النِّيَاحَة ، ولَطْم الخدود ، وشَقّ الجيوب ، والدعاءِ بدعوى الجاهلية . [قال رسول الله ، ﷺ : « النِّيَاحَة مِنْ عَمَل الجاهلية » ورَوَى ابن مسعود ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا مَنْ لَطَمَ الخدود ، وشَقَّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »] (١) .

نَعَم يجوزُ البكاء على الميت من غير نَدْبٍ ولا نياحة .. ورَدَ أنَّ النبى ﷺ زار قبر أُمّه فبكَى وأبكَى مَنْ حَوْلَهُ .. [ورُوِىَ أنه قيل له : يارسولَ الله ، أتبكى وقد نَهَيْتَ عن البكاء ؟ فقال : إنما نهيتُ عن النَّوحِ] (٢) . ورَوَى جعفر بن محمد عن أبيه ، عن فاطمة بنت رسول الله ، ﷺ ، أنها كانت تزور قبرَ عَمِّهَا حمزةَ فتبكى عنده .

الوظيفة السادسة عشرة : الجلوس عند قبر مَنْ يعرفه مِنْ أخٍ أو صديق ، وقراءة القرآن ، وإهداء ذلك له ، والسلامُ عليه إذا حَضَرْتَ وإذا انْصَرَفْتَ (٣) . فقد رُوِىَ أنه : مَنْ زَارَ قبر أخيه وجلس عنده استأنس به ، وَرَدَّ عليه ، حتى يقوم .

الوظيفة السابعة عشرة : الكَفُّ عن الشماتة إذا رأى قبور أعدائه ، وَلْيَمْنَعْهُ مِن ذلك أنه لا حِقٌ بهم وَإنْ طالت الأيام .

رُوِىَ عن بعض الحكماء أنه قال عند موت الإسكندر : سيَلْحَقُكَ مَنْ سَرَّهُ مَوْتُكَ أيها الملك ، كما لَحِقْتَ مَنْ سَرَّكَ موتُهُ .

قال الشَّاعِرُ (٤) :

إذا ما الموتُ حَلَّ بدارِ قومٍ ... فأَفْنَاهُم أَنَاخَ بآخَرِينَا
فَقُلْ للشَّامِتِينَ بنا أَفِيقُوا ... سَيَلْقَى الشامِتُونَ كما لَقِينَا

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » سهوًا من الناسخ .
(٢) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .
(٣) من قوله : « الجلوس عند قبر مَنْ يعرفه » .. إلى هنا .. عن « م » وساقط من « ص » .
(٤) فى « م » : « وقال آخَرُ » .

الوظيفة الثامنة عشرة : الإعراض عن الضحك فى المقابر ، فإنَّ البكاء بهذا الموضع أَلْيَقُ ، ووضع الشىء فى غير موضعه نهاية فى النقصان ، وكذلك فى الجنائز ، كما رُوِىَ عن بعض الصالحين أنه رأى رجلاً يضحك فى جنازة ، فحلف ألّا يكلمه ثلاثة أيام .

الوظيفة التاسعة عشرة : لا يُصَلّى فى المقبرة ، لِمَا رُوِىَ عن ابن عمر ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « سبعة مواطن لا تجوز فيها الصلاة : فى المزبلة ، والمجزرة ، والمقبرة ، وقارعة الطريق ، والحمّام ، ومَعاطِنِ الإبل ، وفوق الكعبة » [1] . وروى عن أبى سعيد الخُدْرِىِّ ، رضى الله عنه ، أنَّ النبى ﷺ قال : « الأرضُ كُلُّها مسجدٌ ، إلّا المقبرةَ والحمّامَ » [2] . فإن فَعَلَ فى المقبرة فله ثلاثة أحوال [3] :

الحالة الأولى : أن تكون قد تكرر نَبْشُها ، فلا تصح صلاته ، لاختلاط صَدِيد الموتى بالأرض .

الحالة الثانية : أن تكون جديدة ، فقد فَعَلَ مكروهًا ، لأنها مدفنٌ للنَّجاسة [4] ، وصلاتُه صحيحة ، لأن الذى باشَرَ الصَّلاةَ طاهر .

الحالة الثالثة : أن يَشُكَّ : هل نُبِشَتْ أم لا ؟ فالأصل فيها طهارة الأرض ، ولكن عارَضَهُ الشك فى نجاستها .. وللشافعى فى هذه المسألة ونظرائها مِمَّا يعارض الأصل فيها الظاهر قَوْلان :

---

(١) هذا الحديث ورد فى « ص » ناقصًا ، وساقط من « م » ، وقد أكملناه وصَوَّبْنَا مابه ، وقد رواه الترمذى فى أبواب الصلاة ، ورواه ابن ماجه فى كتاب المساجد ، باب المواضع التى تكره فيها الصلاة ج ١ ص ٢٤٦ [الحديث رقم ٧٤٦] ومعنى معاطِن الإبل ، أى : مَبارِكها حول الماء ، والحديث مروىٌّ عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى الكتاب السابق – الصفحة نفسها [الحديث رقم ٧٤٥] .

(٣) الحال : صِفَةُ الشىء ، يُذَكَّر ويُؤَنَّث .

(٤) فى « م » : « مدفن النجاسة » .

أحدهما : بُطلان الصَّلاة ، لأن بقاء الفرض فى ذمَّتِه وهو شَاكٌّ فى إسقاطه ، والفرض لا يسقط بالشك [١] .

والثانى : عدم بطلان الصلاة ، لأن الأصلَ فيها طهارةُ الأرض ، فلا يُحْكَمُ بنجاستها بالشك .. وقال أحمد : لو صَلَّى فى المقبرة لَمْ تصح .. وقال مالك : لا تُكْرَهُ الصلاة فيها ... وقد استوفيتُ الكلامَ فى كتابى الذى سَمَّيْتُهُ « غاية المدرسين بالمشارق والمغارب فى الأربعة مذاهِب » [٢] .

ويُكْرَهُ أن يُبْنَى القبر مسجدًا ، بحيث يكون وَجْهُ المُصَلِّى إليه ، لِمَا رَوَى أبو مَرْثَدٍ [٣] – بفتح الميم والثاء المثلثة – أَنَّ النبىَّ ﷺ نَهَى أنْ يُصَلَّى إليه .. وقال ﷺ : « لا تَتَّخِذُوا قَبْرِى مسجدًا [٤] ، فإنما هَلَكَ بنو إسرائيل لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .. وفى بعضها : « لا تجلسوا على القبور ولا تُصَلُّوا إليها » . قال الشافعى – رحمه الله تعالى : « وأَكْرَهُ أنْ يُعَظَّمَ مَخْلُوقٌ حتى يُجْعَلَ قبره مسجدًا ، مخافَةَ الفتنة عليه ، وعَلَى مَنْ يَعُودُه من الناس » .

واختلف أصحاب الشافعى فى وقت جواز الصلاة على القبر على أربعة أَوْجُهٍ:

أحدها : يُصَلَّى عليه إلى شَهْر ، لما رُوِىَ أنَّ النبىَّ ، ﷺ ، صَلَّى على أُمِّ سعد ابن عُبادَة بعدما دُفنت بشهر .

---

(١) من قوله : « بطلان الصلاة » إلى هنا .. عن « ص » وساقط من « م » .

(٢) فى « ص » : « غاية المدرسين » فقط .

(٣) فى « م » : « ابن مَرْثد » خطأ . وهو أبو مَرْثد الغَنَوِىّ ، واسمه : كَنَّازُ بن حُصَيْن بن يربوع ، صحابى ، كان حليف حمزة بن عبد المطلب ، وكان تِرْبَهُ .. وشهد هو وابنه مرثد بدرًا ، وقُتِل ابنه مرثد يوم الرجيع فى حياة رسول الله ، ﷺ ، ومات أبو مرثد سنة ١٢ هـ فى حياة أبى بكر رضى الله عنه ، وهو ابن ست وستين سنة .

[انظر أسد الغابة ج ٦ ص ٢٨٢] .

(٤) فى « ص » : « وثنًا » .

والثانى : يُصَلَّى عليه مالَمْ يَبْلَ ، لأنه إذا بَلِىَ لَمْ يُصَلَّ عليه .

والثالث : يُصَلَّى عَلَى [١] مَنْ كان مِن أهل الفَرْضِ عند موته ، لأنه كان من أهلِ الخطاب بالصلاة .

والرابع : يُصَلَّى عليه أبدًا ، لأن القصد من الصلاة على الميت الدعاء ، والدعاء جائزٌ فى كل الأوقات .

الوظيفة العشرون : أن يُسَطَّحَ القبر ويُوضَع عليه الحصباء [٢] ، لأن النبى ﷺ سَطَّحَ قبر إبراهيم ووَضَعَ عليه من حَصْبَاء العَرَصَة [٣] .

وقال أبو على الطبرى : الأَوْلَى فى زماننا أن يُسَنَّم [٤] ، لأَنَّ التسطيح صار من شعار الرافضة ، وهذا لا يصح ، لأن السُّنَّةَ فيه قد صَحَّتْ ، فلا تصير بموافقة الرافضة فيه بِدْعَة [٥] .

وقال أبو حنيفة ، ومالك ، وأحمد : السُّنَّةُ التسنيم ، فإنْ قيل : قد رُوِىَ عن النخعى أنه قال : أَخْبَرَنى مَنْ رَأَى قبرَ النبى ﷺ وصاحِبَيْهِ مُسَنَّمَة ، قُلنا : هو مُرْسَلٌ [٦] . وقد سَطَّحَ النبى ، ﷺ ، قبر إبراهيم ، وَرَشَّ عليه الماء ، لِمَا رَوَى جابرٌ ، أن النبى ﷺ رَشَّ على قبر إبراهيم – عليه السلام – الماء ، ولأنه إنْ لم يرش عليه الماء زال أثره فلا يُعْرَف .

ويُسْتَحَبُّ أن يُجْعَلَ عند رأسه علامةٌ ، مَنْ حَجَرٍ أو غيره ، لأَنَّ النبى ،

---

(١) فى « ص » : « عليه » .

(٢) فى « م » : « ويضع عليه الحصباء » .. والحصباء : صِغَارُ الحجارة .

(٣) العَرَصَة : البقعة الواسعة بين الدُّور ، لابناء فيها .

(٤) يُسَنَّم : يُرْفَع عن وجه الأرض .

(٥) فى « ص » : « فلا يَضُرّ موافقة الرافضة فيه » .

(٦) المُرْسَلُ فى مصطلح الحديث هو ماسقط من إسناده الصحابىُّ ، كأَنْ يقول التابعىُّ : قال رسول الله ﷺ ... ولا يذكرُ الصَّحَابِىَّ الذى أَخَذَهُ عنه .

صلى الله عليه وسلم ، دفن عثمان بن مظعون ، رضى الله عنه ، ووَضَعَ عند رأسه حَجَرًا ، وقال : أُعَلِّمُ بهذا قبر أخى ، وأَدْفِنُ عنده من مات من أَهْلى [(١)] .

ويُكْرَهُ أن يُجَصَّصَ القبر [(٢)] ويُكْتَبَ عليه ، سواء كان [(٣)] فى المقبرة المُسَبَّلَة [(٤)] أو المِلْك ، لِمَا رَوَى جابرٌ ، أنَّ النبى ﷺ نَهَى أنْ يُجَصَّصَ القبرُ ، وأن يُعْقَدَ عليه [(٥)] ، وأن يُكتب عليه ، لأن ذلك من الزينة ، وليس الحالُ حالَ زينَة . وأمَّا ما يُبْنَى [(٦)] على رأس القبر من بيتٍ أو قُبة ، فإنْ كان فى المقبرة المُسَبَّلَة لم يَجُزْ للخبر . قال الشافعى ، رضى الله عنه : وقد رأيتُ من الولاة بمكة مَنْ يهدم ما يبنى بها .. قال : ولم أَرَ الفقهاءَ يعيبون عليه ذلك . ولأن فيه تحجيرًا [(٧)] على الناس وتضييقًا .. وإن بَنَى فى مِلْكٍ جاز ، كما يجوز أن يبنى لغير ذلك . ورأى ابن عمر على قبر عبد الرحمٰن فُسْطاطاً [(٨)] ، فقال : انزعه ياغلام ، فإنما يُظِلُّهُ عملُهُ .

وقد رخَّصَ قومٌ فى تَطْيِينِ القبر [(٩)] ، منهم الحسن البصرى .. وقال الشافعى : لا بأس أنْ يُطَيَّنَ القبر ، حكي ذلك البغوى فى شرح السُّنَّة [(١٠)] .

---

(١) فى « م » : « مِنْ أَهْلِى » .
(٢) أى يُبْنَى بالجِصّ .
(٣) فى « ص » : « سواء إنْ كان » .
(٤) المُسَبَّلَة : المجعولة فى سبيل الله « صَدَقَة » .
(٥) يُعْقَدُ عليه : يُبْنَى عليه . وفى « ص » : « يُقْعَدُ عليه » .
(٦) فى « ص » : « وأما البناء » .
(٧) تحجيرًا : تضييقًا . وفى « ص » : « تحجرًا » .
(٨) الفسطاط : بيت يُتَّخذُ من الشَّعَر .. ومن قوله : « ورأى ابن عمر » إلى قوله : « فى شرح السُّنَّة » عن « م » وساقط من « ص » .
(٩) أى : فى طلائه بالطِّين .
(١٠) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

ويُحْكَى أنَّ سَفْحَ المقطم سَبَّلَهُ عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، و لم يوجد لفظ التَّسْبِيل فى كتاب يُوثَق به ، وإنْ وُجِدَ لفظٌ فليس هو اللفظ الذى يشترطه الفقهاء .. والله أعلم .

* * *

وقد كان الأوائل يكتبون على التُّرَب [١] مافيه موعظة للميت ومنفعة لِلأَرِيب [٢] .

وقد وُجِدَ مكتوبًا [٣] على قبر :

يا أيها الناسُ كان لى أَمَلٌ قَصَّرَ بى عن بُلوغه الأَجَلُ
فَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ رَجُلٌ أَمْكَنَهُ فى حياته العملُ [٤]
ها أنا مَثَلٌ نُقلْتُ حيثُ ترى كُلٌّ إلى مِثْلِه سينتقلُ [٥]

وَوُجِدَ على قبر مكتوبًا :

نزلتُ بجارٍ لا يُخَيِّبُ ضَيْفَهُ أُرَجِّى نَجاتى مِنْ عذابِ جهنمِ
وإنِّى على خوفٍ من الله واثقٌ بإنعامه واللهُ أكرمُ مُنْعِمِ

وَوجِدَ على قبر [٦] :

قالتْ لِىَ النفسُ أتاكَ الرَّدَى وأنتَ فى بحرِ الخطايا مُقيمْ
فأيْنَ حُسْنُ الزَّادِ ؟ قلتُ اقصِرِى فهل يُعَدُّ الزَّادَ ضيفُ الكريمْ ؟

---

(١) فى « م » : « التراب » .

(٢) الأَرِيب : العاقل الفَطِن .. وفى « م » : « ومنفعة للآرِب » ، أى : المحتاج إليها .

(٣) فى « م » و « ص » : « مكتوبٌ » خطأ ، والصواب بالنصب .. وسيتكرر هذا الخطأ كثيرًا ، وسنكتفى بالإشارة إليه هنا .

(٤) فى وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٧٣ : « أمكنه قبل موته العمل » .

(٥) الشطرة الأولى من البيت فى « ص » : « ما أنا وَحْدِى نُقِلْتُ حيث ترى » وهى مطابقة لما ورد فى المصدر السابق . والشطرة الثانية من البيت فى الوفيات : « كلٌّ إلى ما نُقلت ينتقل » .

(٦) فى « ص » : « ووجد على قبر مكتوب » .

وَوُجِدَ على قبر (١) :

يَمُــرُّ أقــاربى بِجَنَــابِ قبرى كــأنَّ أقاربى لَــمْ يَعْرِفُــونى (٢)
ذَوُو الميراثِ يقتسمــونَ مـــالى ومـا يَأْلُـونَ أَلَّا يذكــرونى (٣)
وقـد أخـذوا سِهَامَهُـمُ وعـاشوا فيـاللهِ أسْرَعَ مـا نَسُونِـــى (٤)

وَوُجِدَ أيضًا على قبر مكتوبًا (٥) :

هَـذِى منـازلُ أقوامٍ عَهِدْتُهُـمُ فى ظلِّ عَيْشٍ عجيبٍ ماله خَطَرٌ
صاحَتْ بهم حادثاتُ الدهرِ فَارْتَحَلُوا إلى القبور ، فلا عينٌ ولا أَثَرٌ (٦)

وَوُجِدَ أيضًا على قبر بعض الكرام (٧) :

النـاس للمَـوْتِ كَخَيْلِ الطِّـرادْ فالسَّابق السَّابـق منها الجِيَـادْ (٨)

---

(١) فى « ص » : « وَوُجِدَ على قبر مكتوب » . وقبل هذا .. ورد بيتان من الشعر ، كان أحد العراقيين قد نذر بأن يزور قبر الشافعى فى مصر ويقرأ على قبره أربعين ختمة ، فوفى بنذره وجاء وقرأها على القبر .. والبيتان يتحدثان عن ذلك ، وقيل إنهما مكتوبان على قبره ، وهما :

وفَيْنَـــا بِنَذْرِنَـــا يَاابْـــنَ إِدْرِ يسَ وجئنـاكَ مـن بـلاد العـراقِ
وقَرَأْنَـــا علـــيك ماقـــد نَذَرْنَـــا مـــن كـــلام المهيمـــنِ الخلّاقِ

(٢) فى « ص » : « جَنَبات » مكان « بِجَنَاب » .

(٣) ذوو الميراث : أصحاب الميراث .. وفى « م » و « ص » : « وذو الميراث » بالإفراد .. ويألون : يُقصِّرُونَ ويتخلفون .

(٤) فى « ص » : « فيالله ما أسرع ما نسونى » الميم الأولى هنا مقحمة من الناسخ ، فبدونها يستقيم وزن البيت .

(٥) فى « م » : « على قبر بعض الكرام » .

(٦) فى « ص » : « فانتبهوا » مكان « فارتحلوا » وما ورد فى « م » هو المناسب والأوجه فى هذا المقام .

(٧) هكذا فى « م » . ولم يرد هذا العنوان ومابعده من شعر فى « ص » إلى قول ابن المعتز : « وقل لاجتماع الشَّمل لابد من شتٍّ » .

(٨) خيلُ الطِّراد : هى التى تُتَّخَذُ للصَّيْد والمطارَدَة .

والله لا يدعـــــو إلى داره ... إلّا مَنِ استَصْلَح مِنْ ذِى العبادْ
العُمْــرُ كالظِّــلِّ لابــدَّ أنْ ... يَزُولَ ذاكَ الظِّلُّ بعد امتـدادْ
والموتُ نَقَّــادٌ على كَفِّــهِ ... جواهِـرٌ يَخْتَـارُ منها الجِيَـادْ
أَرْغَمْتَ يامَوْتُ أُنُوفَ الرَّدَى ... كأنَّمَا فى كُلِّ قَـلْبٍ رَمَـادْ
طَرَقْتَ يامَـوْتُ كريمًـا فَلَـمْ ... يَقْنَعْ بغيرِ النَّفسِ للضَّيْـفِ زادْ
قَصَفْتَـهُ مِـنْ سِدْرَةِ المُنْتَهَـى ... غصنًا ، فَشُلَّتْ يَدُ أهْلِ العِنَادْ

وَوُجِد على قبر :

ذَهَبَ الذيـن تكمَّلُوا آجالَهُـمْ ... وَمَضَوْا ، وحَانَ لآخَرِين ورودُ
يمضِى الصغيرُ إذا انْقَضَتْ أيّامُه ... إثْرَ الكبيرِ ، ويُولَـدُ المَوْلُـودُ
والناسُ فى قَسْمِ المَنِيَّةِ بينهم ... كالزَّرْعِ ، منه قائمٌ وحصيـدُ

[ووُجِد على قبرٍ] غيره :

لابُـدَّ مِنْ فَقْـدٍ ومِـنْ فَاقِـدِ ... هيهات مافى الناس من خالدِ [1]
كُنِ المُعَزَّى لا المُعَزَّى بـه ... إنْ كان لابـد مِـنَ الواحـدِ

وقال ابن المعتز [2] :

أَلَمْ تَرَ أنَّ الدَّهْرَ يـومٌ وليلـةٌ ... يكرّانِ مِنْ سَبْتٍ عليكَ إلى سَبْتِ
فقُلْ لجديدِ العيش لا بُدَّ مِنْ بلًى ... وقُلْ لِاجْتِماعِ الشَّمْلِ لابُدَّ مِنْ شَتّ [3]

---

(١) فى « م » : « فاقة » مكان « فاقِدِ » تحريف . والتصويب من وفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) هو : عبد الله بن محمد المعتز بالله ، ابن المتوكل ، ابن المعتصم ، ابن الرشيد العباسى ، ولد فى بغداد سنة ٢٤٧ هـ وأُولع بالأدب ، فكان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم . وصنفَ كُتُبًا منها : الزهر والرياض ، والبديع ، وطبقات الشعراء . وبويع بالخلافة ولُقِّبُوهُ « المرتضى بالله » فأقام يومًا وليلة ، وغلب عليه غلمان « المقتدر » فخلعوه ، وعاد « المقتدر » فقبض عليه وسلّمه إلى خادمٍ له فخنقه سنة ٢٩٤ هـ وللشعراء فيه مراثٍ كثيرة ، وله ديوان شعر مطبوع من جزأين .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ١١٨ و ١١٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٧٦ – ٨٠ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٩ – ٢٤٦ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ – ١٠١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٢١ – ٢٢٤ ، وطبقات الشعراء ص ٨ وما بعدها ، وثمار القلوب للثعالبى ص ١٩١ – ١٩٤] .

(٣) الشَّتُّ : التَّفَرُّق .. وإلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

وَوُجِدَ على قبر مكتوبًا (١) :

حَمَلُوهُ على الرِّقَابِ ابتـدارًا   ثم وَارُوهُ فى التـرابِ دَفِينَـا
أَىُّ نجمٍ هَوَى أصاب به الدَّهْـ   ـرُ قُلوبًا منكوبـةً وعُيُونـا (٢)
كَـمْ رأَيْنـاهُ مُعْطِيًـا ومُنِيـلاً   ثُمَّ أَضْحَى مِنْ بعد ذَاكَ رَهِينَا

وعلى آخر مكتوب :

تُناجِيكَ أَجْداثٌ وهُنَّ سُكُـوتٌ   وسُكَّانُهَا تحت التراب خُفُوتُ (٣)
أَيا جامِعَ الدُّنيا لغير بَلاَغَـةٍ   لِمَنْ تَجْمَعُ الدنيا وأنت تموتُ

وعلى آخر مكتوب (٤) :

قـد أنـاخَتْ بِكَ رُوحِـى   فَاجْعَـلِ العَفْـوَ قِرَاهَـا (٥)
هـى تَرْجُـوكَ وتَـخْشَا   كَ فـلا تَقْطَـعْ رَجَاهَـا

ورأيتُ على ضريح سعد بن عُبَادة (٦) - بدمشق المنيحة - رضى الله تعالى عنه ، مكتوبًا :

ولَمَّا أَتَيْنَا قَبْرَ سَعْدٍ نَزُورُهُ   عَرَفْنَاهُ لَمَّا فَاحَ طِيبُ تُرَابِهِ
سَقَى اللهُ مِنْ ماءِ الجِنَانِ تُرَابَهُ   وَنَجَّى بِهِ مَنْ زَارَهُ مِنْ عذابِهِ (٧)

---

(١) فى « ص » : « وقال آخر » .
(٢) فى « ص » : « قلوبًا مكبوتة » .
(٣) الأَجْدَاثُ : القبور . مفردها : جَدَث .
(٤) هذا وما بعده ساقط من « ص » .
(٥) القِرَى : ما يُقَدَّمُ إلى الضيف .
(٦) هو : سعد بن عُبادة بن دُلَيْم بن حارثة الخزرجى ، صحابىٌّ من أهل المدينة ، كان سيد الخزرج ، وأحد الأمراء الأشراف فى الجاهلية والإسلام . شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وشهد أُحُدًا والخندق وغيرهما ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر . وكانت وفاته سنة ١٤ هـ بحوران بالشام . وفى أسد الغابة : أَنَّ قبره بالمَنِيحة - قرية من غوطة دمشق ، وهو مشهور ويُزار .
[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٥٦ - ٣٥٨ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١٣ - ٦١٧] .
(٧) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

وَوُجِدَ على قبر فقيه (١) :

أبَا حُجَّةَ الإسلام مُذْ غِبْتَ بَغْتَةً غَدَتْ للأعادِى حجَّةٌ ومناقِبُ (٢)
ألَمْ تَرَ أنَّ الشمس إنْ غابَ ضَوْؤُها تلألأُ فى جَوِّ السماءِ الكواكبُ (٣)

ووُجِدَ على قبر آخر (٤) :

وعُمْرِى كل يومٍ فى انتقاص وذاكَ النَّقْصُ لُقِّبَ بازْدِيادِ
وَلِى خَطٌّ وللأيام خَطٌّ وبَيْنَهُمَا مُبَايَنَةُ المِدَادِ (٥)
فأكْتُبُه سَوادًا فى بياضٍ وَتَكْتُبُه بياضًا فى سوادِ (٦)

وَوُجِد على قبر بخط النسخ (٧) :

وَقَفْتُ على الأحِبَّةِ حِينَ صُفَّتْ قُبورُهُمُ كأفْراسِ الرِّهَانِ
فلمَّا أنْ بَكَيْتُ وَفَاضَ دَمْعِى رَأتْ عيناىَ بَيْنَهُمُ مكانى

وَوُجِدَ على قبر آخر (٨) :

يا هاجرى إذْ جِئْتَنِى زائرًا ما كان مِنْ عاداتك الهَجْرُ (٩)
يا صاحِبَ القبر الجديد ومَنْ قد حَالَ دُونَ لقائِه القبرُ
دَعْنِى أُعَلِّلُ فِيكَ جَارِحَةً ثَكْلَى وقَلْبًا مَسَّهُ الضُّرُّ
جُزْنَا عليكَ فإنْ تَطَاوَلَ بِى مِنَ الفراقِ فحالَتِى نُكْرُ (١٠)

---

(١) فى « ص » : « وعلى قبر فقيه » .
(٢) فى « ص » : « عددت الأعادى » تصحيف .
(٣) تَلألأ : تتلألأ وتلمع .
(٤) هذا السطر والأبيات الثلاثة التى بعده عن « م » ولم ترد فى « ص » .
(٥) المباينة : الاختلاف ، والمداد : ما يُكْتَبُ به .
(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٧) فى « ص » : « وعلى آخر » .
(٨) فى « ص » : « وعلى آخر » .
(٩) فى « م » : « ياهاجرى إذ جئت زائره » .
(١٠) هذا البيت عن « ص » ولم يرد فى « م » .

وكُتِبَ على قبر أحمد بن طولون (١) :

عَبَرْتُ على قبر ابن طولون مَرَّةً ... فَأَنْكَرْتُ فيما كان من عظم قَدْرِهِ
ولم أَرَ مِمَّا كان يملكُ كُلّه ... تَبَقَّى له شيئًا سِوَى لَوْحِ قبرِهِ
وما ينفعُ الإنسانَ مِمَّا يَحُوزُهُ ... إذا فَارَقَ الدُّنيا سِوَى طِيبِ ذِكْرِهِ

وَوُجِدَ على قبر مكتوبًا :

وما الدَّهْرُ والأيَّامُ إلَّا كما تَرَى ... رَزِيَّةَ مالٍ أَوْ فِرَاقَ حَبِيبِ
وإنَّ امرءًا قد جَرَّبَ الدَّهْرَ لم يَخَفْ ... تَقَلُّبَ عَصْرَيْهِ لَغَيْرُ لبيبِ

وعلى آخر مكتوب :

أَيَا مَوْتُ ماهذا التَّفَرُّقُ عَنْوَةً ... رُوَيْدَكَ لا تُسْرِعْ لكل خليلِ (٢)
أَرَاكَ بصيرًا بالذين أُحِبُّهُمْ ... أَظُنُّكَ تمضى نحوهم بدليلِ

وعلى آخر مكتوب :

قَبْرٌ عزيزٌ علينا ... لَوْ أَنَّ مافيه يُهْدَى
أَسْكَنْتَ قُرَّةَ عَيْنِى ... ومُنْيَةَ النَّفْسِ لَحْدَا
ماجَارَ خَلْقٌ علينا ... ولا القضاءُ تَعَدَّى
والموتُ أَحْسَنُ ثَوْبٍ ... بِهِ الفَتَى يَتَرَدَّى (٣)

وعلى آخر مكتوب :

وقُلْتُ : أخى ، قالوا : أَخٌ من قَرَابَةٍ ؟ ... فقلتُ : نعم ، إنَّ الشُّكُولَ أقاربُ (٤)
نَسِيبِىَ فى عِزِّى وَرَأْيِى ومَنْصِبِى ... وإنْ بَاعَدَتْنَا فى الدِّيارِ المَنَاسِبُ (٥)

---

(١) هذا السطر وما بعده إلى بداية « فصل فى إكرام الله تعالى بعض أوليائه بدوام طاعته .. » عن « م » وساقط من « ص » .
(٢) عَنْوَةً : قسرًا .
(٣) تَرَدَّى بالرداء : لبسه .
(٤) الشُّكول : جمع شكل ، وهو الشِّبهُ والمثل .
(٥) النسب : المُناسِب .. والمَنَاسِب : الأصول والأحساب .

عجيبٌ لصبرى بعده وهو مَيِّتٌ   وقد كُنْتُ أبكيه دمًا وهو غائبُ
على أنَّمَا الأيَّامُ قد صِرْنَ كلها   عجائب حتى ليس فيها عجائبُ

وعلى قبر مكتوب :

أمَّـا القبـورُ فإنَّهُـنَّ أَوَانِسُ   بجوارِ قَبْـرِكَ والدِّيـارُ قبـورُ
عَـمَّتْ مُصِيبَتُهُ فَعَـمَّ هلاكُهـا   فالنـاسُ فيـه كلهـم مَأْجُـورُ [1]
رَدَّتْ صنائعـه إليـه حياتـه   فكـأنها مِـنْ نَشْرِهَـا مـنشورُ [2]

وتَمَثَّلَ سيدنا عليٌّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وقد دفَنَ فاطمة ، رضى الله عَنَّا بها ، وصَلَّى وسَلَّمَ على أبيها سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وَعِتْرَتِه أجمعين :

أَقُولُ وقد فاضَتْ دُمُوعى غَزِيرَةً
أخِلاَّئَى لو غيرُ المَماتِ أصابكم

وقال أيضًا ، رضى الله عنه :

ذكرتُ وما أدرِى فَبِتُّ كأننى   بِـرَدِّ الأُمُـورِ الماضيـاتِ وكيـلُ
لِكُلِّ اجتماعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ   وكُلُّ الذى قبل الفـراق قليـلُ
وإنَّ افتقادِى واحدًا بعد واحدٍ   دليـلٌ على ألاَّ يَـدُومَ خليـلُ
أرَى عِلَلَ الدُّنيا علَىَّ كـثيرةً   وصاحبها بعـد الممـات عليـلُ

وأنشد عبد العزيز الدِّيرينى [3] على قبر ابنته حين دفنها :

أُحِبُّ بُنَيَّتِـى وَوَدِدْتُ أنِّـى   دفَنْتُ بُنَيَّتِى فى قَعْرِ لَحْـدِى
وما بى أنْ تَهُونَ علَىَّ لَكِـنْ   مَخافَةَ أنْ تَذُوقَ البؤسَ بَعْـدِى

---

(١) فى « م » : « فَعَمَّ هلاكها » مكان « فعم هلاكه » ، وما أثبتناه عن عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٧٦ .

(٢) الصنائع : جمع صنيعة ، وهى كل ما عمل من خير أو إحسان .

(٣) هو عبد العزيز بن أحمد الدِّيرينى ، أحد مشاهير العلماء والأولياء ، ولد بِدِيرِين ، وهى بلدة =

وأنشد آخر :

الموتُ أخفى سترة للبنات ودفنهم يُرْوَى من المَكْرُمات
أما ترى الله - تعالى اسمه قد وضع النعش بجنب البنات ؟

و[قيل] في المعنى أيضًا (١) :

لِكُلِّ أبي بنتٍ على كُلِّ حالةٍ ثلاثةُ أصْهارٍ إذا ذُكِرَ الصِّهْرُ
فَزَوْجٌ يُرَاعِيها ، وَخِدْرٌ يَصُونُهَا وَقَبْرٌ يُوَارِيها ، وخَيْرُهُمُ القبرُ

وقيل في هذا المعنى أيضًا (٢) :

ولَمْ أَرَ نِعْمَةً سَتَرَتْ كَرِيمًا كَنِعْمَةِ عَوْرَةٍ سُتِرَتْ بقبرِ

وقال إبراهيم الخوّاص (٣) في الصبر على المكروه :

صبرتُ على بعض الأذَى خوفَ كُلِّهِ فَدَافَعْتُ عن نَفْسِي لِنَفْسِي فَعَزَّتِ
وجَرَّعْتُها المَكْرُوهَ حَتَّى تَأَدَّبَتْ ولَوْ لَمْ أُجَرِّعْهَا أَذَى لاَ شْمَأَزَّتِ
ألا رُبَّ ذُلٍّ سَاقَ للنفسِ عِزَّةً ويَارُبَّ نَفْسٍ بالتَّعَزُّزِ ذَلَّتِ

= بالغربية واقعة في شرق نبروه من الوجه البحرى بمصر سنة ٦١٢ هـ ، وأخذ العِلْم عن العز بن عبد السلام وغيره . وله كرامات ومصنفات كثيرة في الفقه والتفسير ، وكان الناس يقصدونه للتبرك من سائر الأقطار . وكانت وفاته سنة ٦٩٧ هـ ، وقبره بديرين ظاهر يُزار .

[انظر ترجمته في طبقات الشعرانى ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ ، وطبقات الأولياء ص ٤٤٧ ، وكرامات الأولياء ج ٢ ص ١٧٣ ، وطبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٣١٠ - ٣١٢ ، وطبقات الشافعية للسبكى ج ٨ ص ١٩٩ - ٢٠٨ ، وحُسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٤٢١ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٤٥٠] .

(١) مابين المعقوفين من عندنا .

(٢) العنوان في « م » : « وفي المعنى أيضًا مفرد » ، أى : بيت مفرد من الشعر .

(٣) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخوّاص ، وكنيته أبو إسحاق ، من أهل « سُرّ مَنْ رَأى » وهو أحد شيوخ الصوفية ، وكان أوحد المشايخ في وقته ، ومن أقران الجنيد والنورى ، وله في السياحات والرياضات مقامات يطول شرحها .. توفي بالرَّيِّ سنة ٢٩١ هـ .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٢٥ - ٣٣١ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٧ - ١٠ ، وطبقات الصوفية ص ٢٨٤ - ٢٨٧ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٧ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٩٧ و ٩٨] .

إذا ما مَدَدْتُ الْكَفَّ التمِسُ الغِنَى ... إلى غيرِ مَنْ قال اسألونى فَشُلَّتِ
سأصبرُ جهدى ، إنَّ فى الصبر عِزَّةً ... وأَرْضَى بِدُنْيَاىَ وَإِنْ هِىَ قَلَّتِ

وقال آخر أيضًا :

سَأَصْبِرُ كَىْ تَرْضَى وأتلفُ حَسْرَةً ... وحَسْبِىَ أَنْ تَرْضَى فَيُفْرِحَنِى صَبْرِى
صبرتُ ولمْ أُطْلِعْ هَوَاكَ على الصبر ... فأخفيتُ ما بى منكَ عن موضع السِّرِّ
مَخَافَةَ أن يَشْكُو ضميرى صَبَابَتِى ... إلى أَدْمُعِى سِرًّا فَتَجْرِى وما أَدْرِى

وقال سمنون المحب ، رضى الله عنه [1] :

تَـدَرَّعْتُ صبرى وَالْتَحَفْتُ صُروفَـهُ ... وقُلْتُ لنفسى : الصبرُ أَوْفَى ولو أَسَا [2]
خطوبٌ لو انَّ السُّمْرَ زَاحَمَ خَطَّهَا ... لماتَ ولم يُدْرِكْ لها الكَفُّ مَلْمَسَا [3]

وقال آخر ، عفا الله عنه :

ما أَحْسَنَ الصَّبْرَ فى الدنيا وَأَجْمَلَهُ ... عند الإله وأَنْجَاهُ مِـنَ الْجَـزَعِ
مَنْ شَدَّ بالصَّبْرِ كَفًّا عند مُؤْلِمَةٍ ... أَلْوَتْ يَدَاهُ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ [4]

---

(١) فى « م » : « سحنون المحب » ، تصحيف ، والصواب ما أثبتناه . وهو : سمنون بن حمزة ، أبو الحسن الخواص ، صوفى ناسك من أهل البصرة ، وأكثر كلامه فى المحبة ، وله مقطوعات شعرية غاية فى الجودة . وكان كبير الشأن ، سكن بغداد ، وتوفى بها سنة ٢٩٠ هـ تقريبًا .
[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ١٤٠ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٠٩ – ٣١٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٣٣ و ١٣٤ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٣٤ – ٢٣٧ ، وطبقات الصوفية ص ١٩٥ – ١٩٩ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٨٩] .

(٢) تَدَرَّعْتُ صبرى ، أى : ارتديت وتَجَمَّلْتُ برداء الصبر واتخذته كالدرع التى تحمى صاحبها وتقيه من تقلبات الدهر ونوائبه . والتحفتُ صروفه ، أى : اتخذتها كاللحاف أو الدثار أتغطى بها . والصروف : الأحداث والأحوال . وأسا : أساء .

(٣) السُّمْرُ : الرماح .. خَطَّهَا : الخَطُّ : موضع بالبحرين تُنْسَبُ إليه الرماح الخَطِّيَّة (باليمامة) .

(٤) المؤلمة : النازلة تُصيب الإنسان وتؤلمه – وألْوَى بالشىء : ذَهَبَ به .

وقال آخر :

إذا لم تُسامِحْ فى الأمورِ تعَسَّرتْ ... عليكَ ، فَسَامِحْ وامزج الصبرَ بالسرِّ
فَلَمْ أرَ أوْفَى للبلاءِ مِنَ الشِّفَا ... ولم أرَ للمكروهِ أشفَى مِنَ الصبرِ

وقال آخر :

يَنَالُ الرِّضَا عبدٌ يُقابِلُ نِعْمَةً ... بشُكْرٍ ، وَيَلْقَى الصبرَ فى العُسْرِ نَاصِرَهْ
ومَنْ رَضِىَ الرَّحْمَنُ عنه فإنَّهُ ... سعيدٌ بِفَضْلِ اللهِ دُنْيا وآخِرَهْ

وقال آخر – وهو عبد الله بن المعتز :

هُوَ الدَّهْرُ قد جَرَّبْتُهُ وعَرَفْتُهُ ... فَصَبْرًا على مَكْرُوهِهِ وتَجَلُّدَا
وما النَّاسُ إلَّا سابقٌ ثم لاحِقٌ ... نَعَمْ وَابْنُ مَيْتٍ سَوْفَ يلحقُهُ غَدَا

وقال آخر :

لابُدَّ للانْسَانِ مِنْ ... فَرَجٍ بأفْرَاحٍ وغَمْ
ومِنَ التَّقَلُّبِ لِلْفَتَى ... فى رَاحَةٍ وفى سَأَمْ
فإذا فَرِحْتَ بِرَاحَةٍ ... فَاشْكُرْ لِوَهَّابِ النِّعَمْ
وَافْزَعْ إلى الصَّبْرِ الجميـ ... ـلِ إذا أَلَمَّ بِكَ الأَلَمْ

وقال آخر :

ثِقْ بالذى يحكم بين الوَرَى ... وَاصْبِرْ ، ففى الصبر حديثٌ غريبْ
لَعَلَّ يأتيكَ على بَغْتَةٍ ... نَصْرٌ مِنَ اللهِ وفتحٌ قريبْ

وقال آخر :

تَلَقَّ الأُمُورَ بِصَبْرٍ جميلٍ ... وصَدْرٍ رحيبٍ وخَلِّ الحَرَجْ
وَسَلِّمْ لِرَبِّكَ فى حُكْمِهِ ... فَإمَّا المَمَاتُ وَإمَّا الفَرَجْ

وقال آخر :

الصبرُ مفتاحُ كُلِّ خيرٍ ... وكُلُّ صَعْبٍ بِهِ يهونُ
فاصْبِرْ وَإنْ طَالَتِ اللَّيالى ... فَرُبَّمَا أُسْعِدَ الحَزِينُ
ورُبَّمَا نِيلَ بِاصْطِبَارٍ ... ماقيلَ هَيْهَاتَ لا يكونُ

وقال آخر (١) :

غَـرَّ جَهُـولًا أَمَلُـهْ ... يموتُ مَنْ جا أَجَلُهْ (٢)
ومَنْ دَنَا مِنْ حَتْفِهِ ... لَمْ تُغْنِ عَنْهُ حِيَلُهْ
وكَيْفَ يَبْقَى آخرٌ ... قد ماتَ عنه أوّلُهْ (٣)

وقال آخر :

تَفَكَّرْ فى مَشِيبِكَ والمَآبِ ... وَدَفْنِكَ بَعْدَ عِزِّكَ فى التُّرَابِ
وفى قبرٍ إذا أُلْقِيتَ فِيهِ ... تقيم به إلى يوم الحسابِ
وفى أَوْصَالِ جِسْمِكَ كيف تَبْقَى ... مُقَطَّعَةً مُمَزَّقَةَ الإِهَابِ
وأَنَّ الدُّودَ يَرْعَى منكَ جِسْمًا ... أَرَمَّ بغير شَكٍّ وَارْتِيَابِ (٤)
فما لكَ بالتَّعَلِّى والتَّعَدِّى ... ومالكَ بالتَّغافُلِ والغيابِ
وَطَلِّقْ هذه الدنيا ثلاثًا ... وَبَادِرْ قَبْلَ مَوْتِكَ بالْمَتَابِ
فَإِنَّكَ رَاحِلٌ عنها قَرِيبًا ... وَظَنِّى أَنَّ رِجْلَكَ فى الرِّكَابِ (٥)
وَعَظْتُكَ فَاسْتَمِعْ وَعْظِى ونُصْحِى ... وَمِثْلُكَ مَنْ يُدَلُّ إلى الصَّوابِ
إذا لاحَ المشيبُ على شبابٍ ... فقد قَرُبَ الرَّحِيلُ إلى التُّرَابِ
خُلِقْتَ مِنَ التراب بغير ذنبٍ ... وتَرْجِعُ بالذُّنُوبِ إلى الترابِ

وقال آخر :

سَأَسْكُتُ صَبْرًا واحْتِسَابًا فَإِنَّ لى ... إلى الصبر سَيْفًا ليس فيه فُلولُ (٦)

---

(١) هو الإمام على بن أبى طالب ، وقد وردت الأبيات فى ديوانه ، وفى أدب الدنيا والدين ص ١١٥ ، وفى غيرهما منسوبة إليه .

(٢) فى « م » : « غَرَّ جهولًا أجله » وما أثبتناه عن أدب الدنيا والدين للماوردى .. وفى الديوان : « غرَّ جهولٌ » .. وجا : جاء .

(٣) هكذا البيت فى « م » .. وفى المصدرين السابقين :

« وما بقاءُ آخرٍ ... قد غاب عنه أوله »

وبعد هذا البيت :

« والمرءُ لا يصحبُهُ ... فى القبر إلا عَمَلُهْ »

(٤) فى « م » « بغير شَكْل » تحريف .. ومعنى أَرَمَّ ، أى بَلِىَ .

(٥) الرِّكاب للسَّرج : ما تُوضع فيه الرِّجْل . ويقال : هو يمشى فى ركابه ، أى يتبعه . وهو هنا كناية عن قرب الرحيل من الدنيا .

(٦) الفُلُول : جَمْعُ فَلّ ، وهو الكسر فى حَدّ السيف ، ويُقال : فَلّ السيفُ : تَثَلّم حَدُّهُ .

وإنَّ امرءًا يشكو إلى غير نافعٍ ... ويَشْكُو بما فى قلبه لَجَهُولُ

وقال آخر :

الدَّهْرُ لا يَنْفَكُّ عَنْ حَدَثَانِهِ ... والمَرْءُ مُنْقَادٌ لِحُكْمِ زمانِهِ (١)

فَدَعِ الزَّمَانَ فإنَّهُ لم يعتمد ... لِجَلاَلِهِ أَحَدٌ ولا لهَوَانِهِ

لَكِنْ لِبَارِيهِ بَوَاطِنُ رَحْمَةٍ ... فى ظَاهِرِ الأَضْدَادِ مِنْ أَلْوَانِهِ (٢)

وقال آخر :

إذا نَزَلَتْ بِسَاحَتِكَ الرَّزَايَا ... فَلاَ تَجْزَعْ لها جَزَعَ الصَّبِىِّ

فَإِنَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ عَزَاءً ... بِمَا قد كانَ مِنْ فَقْدِ النَّبِىِّ

وقال آخر :

بُنَىَّ إنْ عَدِمْتُكَ فى حَيَاتِى ... فَلَمْ أَعْدَمْكَ ذُخْرًا فى المَعَادِ

وكُنْتَ حُشَاشَتِى وَجِلاءَ هَمِّى ... وَإِلْفِى والْمُفَرِّجَ عن فُؤَادِى (٣)

وَلَذَّةَ عِيشَتِى وَأَنِيسَ نَفْسِى ... وقد أُبْلِيتُ بَعْدَكَ بِانْفِرَادِى

وقَدْ أَيْقَنْتُ أَنِّى غَيْرُ سَالٍ ... ولو رُدَّ اليفاعُ إلى التَّنَادِ (٤)

أعيشُ بِعِلَّةٍ وغَلِيلِ صَدْرٍ ... وقَلْبِى يابُنَىَّ عليكَ غَادِى

إذَا شُبَّانٌ اجتمعوا لِلَهْوٍ ... كُوِيتُ بِجَمْرَةٍ ذَاتِ اتِّقَادِ

---

(١) حَدَثَانُ الدَّهْر : نوائبه وحوادثه .

(٢) لباريه : لخالقه – سبحانه وتعالى .

(٣) الحُشَاشَة : بقية الروح فى المريض .

(٤) فى « م » : « اليفا » خطأ ، والصواب : اليفاع ، والمراد بها : الغلمان والشباب . ومعنى « غير سالٍ » أى : لن أنساك .. والتناد : إشارة إلى يوم القيامة ، ومنه قوله تعالى فى سورة غافر : ﴿ وياقومِ إنِّى أَخافُ عليكم يوم التناد ﴾ . ومعنى البيت : أننى قد أيقنْتُ وتحققتُ أننى لن أنساك ماحييت ، وإلى أن يبعث اللهُ الخلق يوم القيامة .

وقال آخر :

وَإِنِّى لَصَبَّارٌ على ما يَنُوبُنِى ... وَحسْبُكَ أَنَّ اللهَ أَثْنَى على الصَّبْرِ
ولَسْتُ بِنَظَّارٍ إلى جانبِ الغِنَى ... إذا كانتِ العَلْيَاءُ فى جَانِبِ الفَقْرِ

وقال آخر :

اصْبِرْ لِدَهْرٍ نَالَ مِنْـ ... ـكَ فهكَذَا مَضَتِ الدُّهُورْ
فَرَحٌ وحُزْنٌ مَرَّةً ... لا الحُزْنُ دَامَ ولا السُّرُورْ

وقال آخر :

كُنْ عَنْ هُمُومِكَ مُعْرِضًا ... وَكِلِ الأُمُورَ إلى القضا
وَأبشِرْ بخَيْرٍ عَاجِلٍ ... تَنْسَى بِهِ ماقَدْ مَضَى
فَلَرُبَّ أَمْرٍ مُسْخِطٍ ... لَكَ فى عَواقِبِهِ الرِّضَا
ولَرُبَّمَا اتَّسَعَ المَضِيـ ... ـقُ ورُبَّمَا ضاقَ الفَضَا
اللهُ يَفْعَلُ ما يشا ... ءُ فلا تَكُنْ مُتَعَرِّضًا [١]

وقال آخر :

قَدُمَ العَهْدُ وأَبلاَنِى الزَّمَنْ ... إنَّ فى اللَّحْدِ لَمِثْلِى وَالْكَفَنْ
وَكَما تَبْلَى وُجُوهٌ فى الثَّرَى ... فَكَذَا يَبْلَى عَلَيْهِنَّ الحَزَنْ

وقال آخر :

كُلَّمَا أَبْلَى الثَّرَى أَوْجُهَهُمْ ... يَبْلَى الحُزْنُ عَلَيْهِمْ فَالْتَشَعْ

وقال آخر :

مُقِيمٌ إلى أَنْ يَبْعَثَ اللهُ خَلْقَهُ ... لِقَاؤكَ لا يُرْجَى وأَنْتَ قَرِيبُ
تَزِيدُ البِلَى فى كُلِّ يومٍ وَلَيْلَةٍ ... وتَبْلَى كما تَبْلَى وأنت حبيبُ

---

(١) مُتَعَرِّضًا : مُتَصَدِّيًا ، أو مُنْكِرًا فِعْلَهُ .

وَوُجِدَ على قبر – مكتوبًا – قد دُفنت فيه أنثى :

أَلاَ يامَوْتُ كُنْتَ بنا حَفِيًّا فجَدَّدْتَ السُّرورَ لنا بِزَوْرَهْ
حَمَدْتُ لِسَعْيِكَ المَشْكُورِ لَمَّا كَفَيْتَ مَئُونَةً وسَتَرْتَ عَوْرَهْ
فَأَنْكَحْنَا الضَّرِيحَ بلا صَدَاقٍ وَجَهَّزْنا الْعَرُوسَ بِغَيْرِ شَوْرَهْ [1]

وقال آخر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ أَدْرَكَ مَنْ مَضَى فلَمْ يَنْجُ منه ذو جناحٍ ولا ظفرِ
فلا مَلِكًا أَبْقَى ولَمْ يُبْقِ سُوقَةً ولا ذَا غِنًى أَبْقَى ولا ظَاهِرَ الفَقْرِ
أَبَادَ على الدَّهْرِ القُرُونَ التى خَلَتْ وَجَرَّعَهُمْ كَأْسًا أَمَرَّ مِنَ الصَّبِرِ
وأَخْرَجَهُمْ منها كأَنْ لم يكن بها لَهُم ما اشْتَهَوْا فيها مِنَ المالِ والوَفْرِ [2]
وَسَلَّهُمْ مِمَّا حَوَوْهُ جَمِيعَهُ كَمَا مِنْ عَجِينٍ سُلَّ وَاحِدَةُ الشَّعْرِ
فلم يُغْنِ عَنْهُمْ مَا اقْتَنَوْا مِنْ مَتَاعِهَا غَداةَ أَتاهُم مِنْهُ قاصِمَةُ الظَّهْرِ
كَأَنْ لَمْ يكونوا زينةَ الدَّهْرِ مَرَّةً ولا أَهْلَكُوا الأعداءَ بالذُّلِّ والقَهْرِ
ولا فَاخَرُوا فيها زمانًا لأَهْلِهَا ولا وَضَعُوا فَخْرَ المُفَاخِرِ بالفَخْرِ
ولا أَكَلُوا مِمَّا اشْتَهَوْهُ تَنَعُّمًا ولا قطعوا الأَوْقَاتَ بالشُّرْبِ وَالخَمْرِ

وقال آخر :

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ واعْلَمْ بأَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
أَوْ مَا تَرَى أَنَّ المَصَائِبَ رَحْمَةٌ وتَرَى المَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرْصَدِ
مَنْ لا يُصَبْ مِمَّنْ تَرَى بِمُصِيبَةٍ هذَا طريقٌ لَسْتَ فيه بِأَوْحَدِ
وإِذا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لها وَاذْكُرْ مُصَابَكَ بالنبِيِّ مُحَمَّدِ

[وبينما كان] سيدنا حسان بن ثابت ، رضى الله عنه ، [جالس] [3] وفى حِجْرِهِ صبىٌّ له يطعمه الزبد والعسل إذْ شَرِقَ الصبىُّ بهما فمات ، فقال :

---

(١) الشَّوْرَةُ : الزِّينة واللِّباس الحَسَن .

(٢) الوَفر : الوَقَار ، والرزانة ، والحلم ، والعظمة .

(٣) مابين المعقوفتين – فى الموضعين – من عندنا لا ستقامة المعنى وحسَّان بن ثابت هو : أبو الوليد =

٨١

اعْمَلْ وأنت صَحِيحٌ مُطْلَقٌ فَرِحٌ ما دُمْتَ وَيْحَكَ يامَغْرُورُ فى مَهَلِ
يَرْجُو الحياةَ صَحِيحٌ رُبَّمَا كَمَنَتْ له الْمَنِيَّةُ بَيْنَ الزُّبْدِ والعَسَلِ [1]

* * *

= حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجىّ الأنصارىّ ، شاعر الرسول ﷺ ، وهو أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة فى الجاهلية ومثلها فى الإسلام ، وتوفى سنة ٥٤ هـ بالمدينة المنورة .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٧٥ و ١٧٦ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥ – ٧ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٠٥ – ٣٠٨ ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ج ٤ ص ١٣٤٨ – ١٣٨٤ ط دار الشعب] .

(١) كَمَنت : توارَتْ واختفت .. والمنيَّة : الموت .

فصل

ورَدَ فى الحديث المرفوع : « كَسْرُ عَظْمِ الميت بعد مَمَاتِهِ كَكَسْرِهِ فى حَيَاتِه » [١] .. وقال زيد بن أسلم [٢] : كان يمضى فى الزمن الأول أربعمائة سنة وما يُسْمَعُ بجنازة .. وعن ميمون بن مهران [٣] قال : شهدتُ جنازة ابن عباس بالطائف ، فلما وُضِعَ لِيُصَلَّى عليه جاء طائر أبيض حتى وقع على أكفانه ، ثم دَخَلَ فيها ، وَالْتُمِسَ فلم يُوجَد ، فلما سُوِّىَ عليه التراب سَمِعْنا مَنْ نسمع صوته ولا نرى شخصه : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارْجِعى إلى ربِّكِ راضية مرضية * فَادْخُلى فى عبادى * وادْخُلى جَنَّتِى ﴾ [٤] .

وقال محمد بن مهران بن مخلد :

كَأَنِّى بإخْوانى على حَافَتَىْ قبرى ... يُهِيلُونَها فَوْقِى وَأَدْمُعُهُمْ تَجْرِى

---

(١) هذا الحديث رُوِىَ عن عائشة ، مرفوعاً إلى النبى ، ﷺ [وقد أخرجه مالك فى مُوَطَّئِهِ فى كتاب الجنائز ، باب ماجاء فى الاختفاء [يعنى نبش القبور] ج ١ ص ٢٣٨ ط الحلبى .. وأخرجه أبو داود فى كتاب الجنائز ، باب فى الحفَّار يجد العَظم ، هل يتنكَّب ذلك المكان ؟ ج ٣ ص ٢٠٩ و ٢١٠ ، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الجنائز ، باب النهى عن كسر عظام الميت ج ١ ص ٥١٦] .

(٢) هو زيد بن أسلم العدوى ، مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقيه ومُفسر من أهل المدينة ، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته ، وكان ثقة ، كثير الحديث ، وكانت له حلقة فى المسجد النبوى ، وله كتاب فى التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمٰن . وكانت وفاته سنة ١٣٦ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٥٦ و ٥٧ ، وتذكرة الحفَّاظ ج ١ ص ١٣٢ و ١٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٩٨ ، وطبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ١٨٢ و ١٨٣] .

(٣) هو ميمون بن مهران الرَّقِّى ، أبو أيوب ، وُلد سنة ٣٧ هـ ، واستوطَن الرَّقَّة (من بلاد الجزيرة الفراتية) فكان عالمَ الجزيرة وسيدها . واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها ، وكان ثقة فى الحديث ، كثير العبادة ، وكانت وفاته سنة ١١٧ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ٣٤٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٨ و ٩٩ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٨٢ – ٩٧ ، والمُحَبر لابن حبيب ص ٤٧٨ ، وفيه : أنه من أشراف المعلمين وفقهائهم ، وهو مؤدب وَلَد عمر بن عبد العزيز] .

(٤) سورة الفَجر – الآيات من ٢٧ – ٣٠ .

فَيَا أَيُّهَا المُذْرِى عَلَىَّ دُمُوعَـهُ ... سَتُعْرِضُ فى يَوْمَيْنِ عَنِّى وعَنْ ذِكْرِى
عَفَا اللهُ عَنِّـى يَـوْمَ أُتْـرَكُ ثَاوِيًـا ... مُزَارًا فلا أُدْرَى ، وَأُجْفَى فَلا أُدْرِى (١)

ووجدت فى مقبرة : قال الضَّحَّاكُ بْنُ سُليمان :

مَـا أَنْعَـمَ اللهُ عَلَـى عَبْـدِهِ ... بِنِعْمَـةٍ أَوْفَـى مِـنَ العَافِيَـهْ
وكُـلُّ مَنْ عُوفِى فى جِسْمِهِ ... فَإِنَّـهُ فى عِـيشَةٍ رَاضِيَـهْ
وَالمَـالُ حُلْـوٌ حُسْنُـه جيـد ... عَلَـى الفَتَـى لَكِنَّـهُ عَارِيَـهْ
وأسعـد العالـم بِالمَـال مَـنْ ... أَدَّاهُ لِلآخِـرَةِ البَاقِيَـهْ
مَـا أَحْسَنَ الدُّنْيَـا وَلَكِنَّهَـا ... مـع حُسْنِهَـا غَـدَّارَةٌ فَانِيَـهْ

وتوفى رجلٌ من بَلدةٍ ، فكُتِبَ على قبره :

يَاوَاقِفِيـنَ أَلَـمْ تَكُونُـوا تَعْلَمُـوا ... أَنَّ الحِمَامَ بِكُمْ علينا قَـادِمُ (٢)
لا تَسْتَعِـزُّوا بالْحَيَـاةِ فإِنَّكُـمْ ... تَبْنُـونَ وَالْمَـوْتُ الْمُفَرِّقُ هَـادِمُ
لَـوْ تَنْزِلُـونَ بِشِعْبِنـا لَعَرَفْتُـمُ ... أَنَّ المُفَرِّطَ فى التَّزَوُّدِ نَـادِمُ (٣)
سَاوَى الرَّدَى ما بَيْنَنَا فَأَحَلَّنَـا ... حَيْثُ المُخَدَّمُ وَاحِدٌ وَالْخَادِمُ (٤)

وقال الحسن بن الحسن البصرى : حُقَّ لِمَنْ عَلِمَ أَنَّ المَوْتَ مَوْرِدُهُ ، ويوم القيامة مشهده ، وبين يَدَى الله - عَزَّ وجَلَّ - مَوْقِفُهُ ، أَنْ يطول فى الدنيا حُزْنُه .

وقال شرف الدين بن أسد ، رحمه الله ورضى عنه :

يَامَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لا بَقَاءَ لـه ... حَمَّلْتَ نَفْسَكَ آثَامًـا وَأَوْزارَا
وَمَا الْحَيَاةُ مَدَى الدُّنْيَا وَإِنْ عَذُبَتْ ... إِلَّا كَطَيْفِ خَيالٍ فى الكَرَى زَارَا (٥)

---

(١) ثاويًا : ثَوَى بالمكان أقام فيه واستقر .

(٢) الحِمَامُ : قضاءُ الموت وقَدَرُه .

(٣) الشِّعْبُ : الطريق ، وقيل : الطريق بين الجَبَلَيْن .. والتزوُّد : ما يُتَّخَذُ من الزاد ليُستعان به عند الحاجة إليه .

(٤) الرَّدَى : الموت والهلاك .. والمُخَدَّمُ : الغَنِىُّ الكثير الخَدَم .

(٥) الكَرَى : النوم والنُّعاس .

وقال آخر – يعنى شرف الدين :

عَنْ قَلِيلٍ أَصِيرُ مَثْوَى تُـرَابِى ... ويقـولُ الرِّفَـاقُ هَـذَا فُـلاَنُ
صَارَ تَحْتَ التُّرابِ عَظْمًا رَمِيمًا ... وَجَفَـاهُ الأَحْبَـابُ وَالـخِلاَّنُ

وقال أيضًا :

وغَايَةُ هَذِى الدَّارِ لَـذَّةُ سَاعَـةٍ ... وَيَعْقُبُهَا الأَحْزَانُ وَالْهَـمُّ وَالنَّـدَمْ
وَهَاتِيكَ دَارُ الْعِزِّ والأَمْنِ وَالتُّقَى ... وَرَحْمَةُ رَبِّ الناسِ وَالْجُودِ والكَرَمْ

ووجدت على قبر ما صُورَتُهُ : ابْنَ آدم ، أين الماضُونَ منَ الأَوَّلين والآخرين ؟! أين نوح شيخ المرسلين ؟! .. أين إدريس رفيعُ ربِّ العالمين ؟! .. أين عيسى روح الله وكلمته ، رأس الزاهدين ، وإمام السائحين ؟! .. أين محمد خاتم النبيين ؟! .. أين أصحابه الأبرار ؟! .. أين الأولياء الأخيار ؟! .. أين الأمم الماضية ؟! .. أين الملوك السالفة ؟! .. أين القرون الخالية ؟! .. أين الذين نُصِبَتْ على مفَارِقِهم التيجان ؟! .. أين الذين قهروا الأبطال والشجعان ؟! .. أين الذين دانَتْ لهم المشارق والمغارب ؟! .. أين الذين تمتعوا باللَّذَّاتِ والمشارب ؟! .. أين الذين تاهُوا على الخلائق كِبْرًا وعِتِيًّا ؟! .. أين الذين راحوا فى الحُلَلِ بُكْرَةً وعَشِيًّا ؟! .. أين الذين اعْتَزُّوا بالأجنادِ والسُّلطان ؟! .. أين أصحاب السطوة والأعوان ؟! .. أين أصحاب الإِمْرَةِ والولايات ؟! .. أين الذين خَفَقَتْ على رءوسهم الألوية والرَّايات ؟! .. أين الذين قادوا الجيوش والعساكر ؟! .. أين الذين عمروا القصور والدَّساكر [1] ؟! .. أين الذين أعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف ؟! .. أين الذين أَمَّنُوا بسَطْوَتِهم كُلَّ خائف ؟! .. أين الذين مَلَئُوا مابين الخَافِقَيْنِ [2] فخرًا وعِزًّا ؟! .. أين الذين تَضَعْضَعَتْ بهم

---

(١) الدَّساكر : جمع دَسْكَرة ، وهى لفظة مُعَرَّبَة ، وتُطلق على بناءٍ كالقصر حوله بيوت للأعاجم ، فيها الشراب والملاهى ، تكون للملوك .. وتُطلق أيضًا على القُرى العظيمة .

(٢) الخافِقَيْن : مُثَنى الخافق ، وهو الأُفُق ، والمراد هنا أُفُق المشرق ، وأُفق المغرب ، أى : مابين المشرق والمغرب .

الأرض هَيْبَةً وهَزًّا ؟! .. هل تُحِسُّ منهم من أحدٍ أو تَسْمَعُ لهم رِكْزا [١] ؟! .. أَفْنَاهُم – واللهِ – مُفْنِي الأُمَمِ ، وأَبَادَهُم مُبِيدُ الرِّمَم ، وأخرجهم من سعة القصور ، وأسْكَنَهُم فى ضيق القبور ، تحت الجنادل والصخور ، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ، لم يَنْفَعْهُم ما جَمَعُوا ، ولا أغْنَى عنهم ما اكتسبوا .. أَسْلَمَهُمُ الأَحِبَّةُ والأولياء ، وجَهَّزَهُم الإخوان والأصفياء ، ونَسِيَهُم القُرَباءُ والبُعَدَاء ، فَأُنْسُوا وأُبعِدُوا ، ولو نَطَقُوا لأَنْشَدُوا [٢] :

مُقِيمٌ بالحَجُونِ رَهِينُ رَمْسٍ ... وأَهْلِي رَاحِلُونَ بكل وَادِ [٣]
كأنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُمُ حَبِيبًا ... ولا كانوا الأَحِبَّةَ فى السَّوَادِ [٤]
فعُوجُوا بالسَّلامِ فإنْ أَبَيْتُمْ ... فَأَوْمُوا بالسَّلامِ على بِعَادِ [٥]
وَإِنْ طَالَ المَدَى وصَفَا خليلٌ ... سِوَانَا فَاذْكُرُوا صَفْوَ الودادِ [٦]

وقيل : لا فَخْرَ فيما يزول ، ولا غِنى فيما لا يبقى ، وهل أهل الدنيا إلَّا كما قال الأَوَّل : قِدْرٌ يَغْلِي ، وكنيفٌ [٧] يَمْتَلِي ؟

---

(١) الرِّكْزُ : الصَّوْتُ الخَفِيّ .. وفى آخر آية من سورة « مريم » يقول الله تعالى : ﴿ وكَمْ أهْلَكْنَا قبلهم من قَرْنٍ هل تُحِسُّ منهم من أَحَدٍ أو تسمعُ لهم رِكْزًا ﴾ .

(٢) الكلام السابق والشعر أيضًا ورد فى كتاب أبى بكر الطُّرطُوشى « سراج الملوك » فى الباب الأول ، فى مواعظ الملوك .

(٣) الحَجُون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .. والرَّمْسُ : القبر .

(٤) السَّوَاد ، بفتح السين : يُطْلَق على معظم الناس . وسواد الأمير : حاشيته ، وسواد القلب : حَبَّته . وبكسر السين : المُسَارَّةُ ، وهى المناجاة ، يقال : سَارَّهُ مُسارَّةً ، أى : ناجاه وأعلمه بِسِرِّهِ .

(٥) فعوجوا بالسَّلامِ : أى عودوا ومُرُّوا علينا من أجل السلام . ويقال : عاج بالمكان : أقامَ به ، أو ألَمَّ به ومَرَّ عليه ، وأَوْمُوا ، أى أشيروا .

(٦) صَفَا خليل ، أى : صَدَق صاحبٌ فى إخائه ومَوَدَّته . وفى رواية : جفا خليل ، أى : نَبَا وسَاء خُلُقه ، وكلا المعنيين له وجه .

(٧) الكنيف : المرحاض .

وقد قال بَعْضُهُم : أيُّهَا الشَّابُّ ، لا تَغْتَرَّ بِشَبَابِكَ ، فإنَّ أكثر مَنْ يموتُ الشباب .. أيها الشاب ، كم حَمَلٍ فى التَّنُّورِ وأبُوهُ يَرْعَى ، وكم من طفل فى التراب وجَدُّهُ يسعى .

وَرُوِىَ أنَّ داود – عليه السلام – بينما هو يسيح فى الجبال إذْ وَافَى غارًا عظيمًا ، فنظر ، فإذا فيه رَجُلٌ عظيم الخلقة من بنى آدم مُلْقًى ، وعند رأسه حَجَرٌ مكتوب محفورٌ ، يقول فيه : أنا « دوسيم » الملك ، مُلِّكْتُ ألف عامٍ ، وفتحتُ ألف مدينة ، وهزمتُ ألف جيش ، وَافْتَضَضْتُ ألف بِكْرٍ من بنات الملوك ، ثم صِرْتُ إلى ماترى ، فصار التراب فراشي ، والحجارة وسادى ، فمن رآنى فلا تغُرُّهُ الدنيا كما غرَّتنى .

ولمّا مات الإسكندر قال أرسطاطاليس الحكيم [1] : أيها الملك ، لقد حَرَّكْتَنَا بسكونك .. وقال بعض الحكماء من أصحابه : لقد كان الملك أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أعظم منه أمس ..

ونظمه أبو العتاهية فقال :

كَفَى حُزْنًا بِدَفْنِكَ ثم أنِّى ... نَفَضْتُ تُرابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّا
وكانَتْ فى حَيَاتِكَ لى عِظَاتٌ ... وأَنْتَ اليومَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا [2]

---

(١) الإسكندر هو الإسكندر الأكبر المقدونى ، المُلَقَّب بذى القرنين ، ولد سنة ٣٥٦ قبل ميلاد المسيح – عليه السلام – وتوفى سنة ٣٢٤ قبل الميلاد وكان من أعظم الغُزاة والفاتحين وأشجعهم .. أمَّا أرسطا طاليس ، أو أرسطو ، فهو أستاذ الإسكندر الأكبر ومؤدبه ، وهو فيلسوف يونانى كبير ، ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد ، وتوفى سنة ٣٢٢ قبل الميلاد .. وقد تأثرت بوادر التفكير العربى بتآليفه التى نَقَلَها إلى العربية النَّقَلَةُ السِّرْيان ، وعلى رأسهم إسحاق بن حنين ، مؤسس مذهب المَشَّائين .

[انظر خبرهما فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٥٨١ وما بعدها ، ومعجم البلدان ج ١ ص ١٨٢ وما بعدها « مادة إسكندرية » ، وغير ذلك من المصادر] .

(٢) وفى رواية « أَنْطَقَ منك حَيًّا » مكان « أوْعَظ .. » .

[انظر الأبيات فى ديوان أبى العتاهية ص ٤٩١ و ٤٩٢ ط دار صادر] .

وقال عبد الله بن المعتز :

نَسِيرُ إلى الآجَالِ فى كُلِّ سَاعة وأيَّامُنَا تُطْوَى وهُنَّ مَرَاحِلُ (١)
ولَمْ أَرَ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا كأنَّهُ إذا ما تَخَطَّتْهُ الأَمَانِىُّ باطِلُ (٢)
وما أَقْبَحَ التَفْرِيطَ فى زَمَنِ الصِّبَا فكيفَ به وَالشَّيْبُ فى الرَّأْسِ شاغِلُ (٣)
تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنيا بزادٍ مِنَ التُّقَى فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ

وقال عبد الله بن المعلم [٤] : خرجنا من المدينة حُجَّاجًا نُريد المدينة بغداد ، التى هى مدينة المنصور ، فإذا أنا بِرَجُلٍ من بنى هاشم من بنى العبَّاس ابن عبد المطلب ، قد رَفَضَ الدنيا وأَقْبَلَ على الآخِرَة ، فجَمَعَتْنِى وإيَّاهُ الطَّرِيق ، فَأَنِسْتُ به ، وقلتُ : هل لَكَ أنْ تُعَادِلَ [٥] ، فإنَّ معى فَضْلًا من راحلتى ؟ فجزانى خيرًا وقال : لو أردتُ هذا لَكَانَ لى مُعَدًّا .. ثُمَّ أَنِسَ إلَىَّ ، فجعل يُحدثنى ، فقال : أنا رجلٌ من ولَدِ العباس ، كنت أسكنُ البصرة ، وكنتُ ذا كِبْرٍ شديد ، وبَذَخٍ ، وأنّى أمَرْتُ خادِمًا إلى أنْ يَحْشُوَ لى فراشًا من حرير ،

---

(١) المراحل : جمع مَرْحَلة ، وهى المسافة يقطعها السَّائر فى نحو يوم ، أو هى مابين المنزلَيْن .

(٢) فى « م » : « ولَمْ أَرَ مثل الموت حَتَّى كأنه » مكان « حقًّا كأنه » وما أثبتناه هنا عن ديوان ابن المعتز ، وعن سراج الملوك .

[انظر ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٤١٢ و ٤١٣ ط دار المعارف ، وانظر سراج الملوك ، الباب الأول ط الدار المصرية اللبنانية] .

(٣) هكذا البيت فى « م » .. وفى الديوان : « شامل » مكان « شاغل » .. وفى سراج الملوك : « شاعل » بالعين المهملة .. وكلها تفيد معنى انتشار الشيب فى الرأس .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن فضلويه المعلم .. مُحَدِّثٌ وراوية ، سمع من عبد الله بن محمد بن منازل ، وعبد الله الرازى ، وأبى العباس الدينورى ، وغيرهم .

[انظر الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٨٠ وغيرها من الصفحات ، وانظر طبقات الصوفية ص ١٢٧ وغيرها من الصفحات] .

(٥) فى سراج الملوك : « هل لك أن تُعادلنى » ؟ وعَادَلَ بين الشيئين : وَازَنَ بينهما . وعادَلَ فلانًا فى المَحْمَل : رَكِبَ معه ، وهو المراد هنا .

[انظر الحكاية فى الباب الأول من المصدر السابق] .

ومخدَّة بِوَرْدٍ نثِيرٍ ، فَفَعَل ، فبينما أنا [1] نائم إذا بقمع وردة قد نَسِيَها الخادمُ ، فقمتُ إليه ، فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا ، ثم عُدْتُ إلى مَضْجَعِي بعد إخراج القمع من المخدة ، فآتانى آتٍ فى منامى فى صورة فظيعة ، فَهَزَّنِى وقَالَ : أَفِقْ من غَشْيتِكَ [2] ، وَانْتَبِهْ من رَقْدَتِك ، ثم أَنْشَأَ يقول :

يا خِلُّ إنَّكَ إنْ تُوَسَّدَ لَيِّنًا ... وُسِّدْتَ بعد الموت صُمَّ الجَنْدَلِ [3]

فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ صالحاً تَسْعَدْ بِهِ ... فَلَتَنْدَمَنَّ غَدًا إذا لَمْ تَفْعَلِ [4]

فانتبهتُ من نَوْمِى مرعوبًا ، فخرجتُ من ساعتى هاربًا إلى ربِّى .. فأعجبنى قوله .

وأنشد غيره يقول [5] :

مَنْ كانَ يعلمُ أَنَّ المَوْتَ يُدْرِكُهُ ... والقبرَ مَسْكَنُهُ والبَعْثَ مَخْرَجُهُ [6]

وأَنَّــهُ بَيْــنَ جَنَّــاتٍ مُزَخْرَفَــةٍ ... يَوْمَ القيامَةِ أو نَارٍ سَتُنْضِجُهُ [7]

فكُلُّ شيءٍ سوى التقوى به سَمِجٌ ... وَمَا أَقَامَ عليه منه أَسْمَجُـهُ [8]

تَرَى الذى اتَّخَذَ الدُّنْيَا له وَطَنًا ... لَمْ يَدْرِ أَنَّ المَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ [9]

---

(١) فى « م » : « فأنا » . وفى سراج الملوك : « وإنى لنائم » ..

(٢) فى « م » : « عيشتك » .. وما أثبتناه مطابق لما ورد فى سراج الملوك ، وهو الأنسب للمعنى هنا .

(٣) الخِلُّ : الصديق .. وفى سراج الملوك : « يا خدُّ » مكان « يا خِلُّ » ، فهو هنا يخاطبه قائلًا : إنك إن اتخذتَ لك فى الدنيا وسادةً ناعمة لَيِّنَةً فسوف تكون وسادتك بعد الموت حجارةً صَمَّاء .

(٤) فامْهَدْ لنفسك صالحاً ، أى : هَيِّئْ ومَهِّدْ لنفسِك فراشًا من العمل الصالح فى الدنيا لِتَسْعَد به فى الآخرة .

(٥) فى « م » : « فأنشد يقول » .

(٦) وفى سراج الملوك : « أن الموتَ مُدْرِكُهُ » .

(٧) فى المصدر السابق : « بين جنات ستُبْهِجُه » .

(٨) فى المصدر السابق : « وما أقام عليه فهو أسْمَجُهُ » . والسَّمِجُ : القبيح .

(٩) فى المصدر السابق : « سكنًا » مكان « وطنًا » .

وقال **الهَيْثَمُ بنُ عَدِيٍّ** [١] : وجدوا غارًا فى جبل لُبنان [٢] فى زمان الوليد ابن عبد الملك بن مروان [٣] ، وفيه رَجُلٌ مُسَجًّى على سريرٍ من ذهب ،

---

(١) هو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمٰن الثعلى الطائى الكوفى ، أبو عبد الرحمٰن ، ولد فى سنة ١١٤ هـ ، وكان مؤرخًا وعالمًا بالأدب والأنساب ، وأصله من « منبج » ، نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها الكثير ، واختص بمجالسة المنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشيد ، ورَوَى عنهم ، وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم ، فأورد فى بعض كُتُبه معايبهم وأظهرَها ، فَكُرِهَ لذلك وطُعِنَ فى نسبه ، وقيل فيه :

إذا نَسَبْتَ عَدِيًّا فى بنى ثُعَلٍ فَقَدِّمِ الدَّالَ قبل العينِ فى النَّسَبِ

ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب بشىء ، فَحُبِسَ عدة سنين . وقال عنه ابن قتيبة وغيره : إنه كان يرى رأى الخوارج . وهو عند بعض علماء الحديث من المُدَلِّسِين ومن غير الثقات . وله الكثير من المصنفات والتآليف ، منها : كتاب المثالب ، وكتاب المُعَمَّرِين ، وكتاب تاريخ العجم وبنى أُمية ، وكتاب مَنْ تزوج من المَوالى فى العرب ، وخطط الكوفة ، وطبقات الفقهاء والمحدِّثين ، وتاريخ الأشراف الصغير ، وكتاب النوادر ، وغيرها . وكانت وفاته فى « فم الصلح » قرب « واسط » سنة ٢٠٧ هـ . وقيل سنة ٢٠٩ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٨ ص ١٠٤ و ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٠٦ – ١١٤ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٣٧ – ٥٣٩ ، وكتاب الضعفاء الصغير للإمام البخارى ص ٢٤٧ ، وكتاب الضعفاء الكبير لأبى جعفر العقيلى ج ٤ ص ٣٥٢ و ٣٥٣ ، وطبقات المُدَلِّسِين لابن حَجَر العسقلانى ص ٨٦ ، وطبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ٣٥٥ و ٣٥٦ ، والبيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٥٦ و ٣٤٧ وغيرهما من الصفحات ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٥٠ – ٥٤] .

(٢) فى « م » : « لبنيان » تحريف . والتصويب من « سراج الملوك » .

(٣) هو : أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان ، من ملوك الدولة الأموية فى الشام ، وُلد سنة ٤٨ هـ ، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ هـ ، فَوَجَّهَ القواد لفتح البلاد ، وكان من رجاله موسى ابن نصير ، ومولاه طارق بن زياد ، وامتدت فى زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند والتركستان وأطراف الصين شرقًا . وكان ولوعًا بالبنيان والعمران ، وهو أول من أحدث المستشفيات فى الإسلام ، وجعل لكل أعمى قائدًا يتقاضى نفقاته من بيت المال ، وأقام لكل مُقْعَدٍ ، ورتَّبَ للقُرَّاء أموالًا وأرزاقًا ، وأقام بيوتًا ومنازل يأوى إليها الغرباء . وهدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به ثم بناه بناءً جديدًا . وصَفَّحَ الكعبة والميزاب فى مكة ، وبنى المسجد الأقصى ، ومسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموى . وكان نقش خاتمه « ياوليد إنك ميت » .. توفى – رحمه الله تعالى – سنة ٩٦ هـ ، ودفن بدمشق ، وكانت مدة خلافته ٩ سنين و٨ أشهر .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٢١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٦٥ – ٢٦٨ ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٤٢٣ وغيرها من الصفحات] .

وعند رأسه لَوْحٌ من ذهب مكتوب فيه بالرومية : أنا سَبَأُ بن نُوَاس ، خدمتُ عِيص بن إسحاق بن إبراهيم ، خليل الرَّبِّ الأكبر [١] ، وعشتُ بعده دهرًا طويلاً ، ورأيتُ عجبًا كثيرًا ، ولم أرَ فيما رأيتُ أعجبَ من غافلٍ عن الموت وهو يرى مَصارِعَ آبائِهِ ، ويقفُ على قبور أحِبَّائِهِ ، ويعلم أنه صائرٌ إليهم ثم لا يتوب .. وقد عَلِمْتُ أنَّ الأجلافَ الجُفَاة سَيَنْزِلُونَنِي [٢] عن سريرى ، ويَتَوَلَّونَ ذلك حين يتغير الزمان [٣] ويَتَرَأَّسُ الصبيان [٤] ، ويكثر الهَذَيان ، فَمَنْ أدْرَكَ هذا الزمان عاش قليلًا ، ومات ذليلًا .

وعن عمرو بن ميمون قال : افْتَتَحْنَا مدينة بفاس ، فَدُلِلْنَا على مغارة فيها بيتٌ ، فيه سرير من ذهب ، عليه رجل عند رأسه لَوْحٌ مكتوب فيه : أنا بهرام ابن بهرام ملك فارس ، كنتُ أعْتَاهُم بطشًا ، وأقسَاهُمْ قلبًا ، وأطْوَلَهُم أمَلًا ، وأحْرَصَهُم على الدنيا .. قد ملكتُ البلاد ، وقتلتُ الملوك ، وهزمتُ الجيوش ، وأذْلَلْتُ الجبابرة ، وجمعتُ فى الدنيا مالم يجمعه أحدٌ قبلى ، ولم أستطع أن أفتدى به من الموت إذْ نزل بى .

ورُوِىَ فى الإسرائيليات أن عيسى - عليه السلام - بينا هو فى سياحة إذْ مَرَّ بجُمجمة نَخِرَة [٥] ، فأمرها أن تتكلم ، فقالت : ياروح الله ، أنا بلوان ابن حفص [٦] ، ملك اليمن ، عشتُ ألف سنة ، وَوُلِدَ لى [٧] ألف ذكر ،

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى سراج الملوك : « الرب الدَّيَّان الملك الأكبر » .

(٢) فى « م » : « سينزلونى » . والأجْلاف : جمع جِلْف ، ويطلق على الأحمق والغليظ الجافى .

(٣) هكذا فى « م » : .. وفى سراج الملوك : « ويتمولونه ، وذلك حين يتغير الزمان » . ومعنى يتموَّلونه ، أى : يَقْتَنُونَهُ بعد موته .

(٤) يترأس الصبيان : يتولون الرئاسة ويصيرون رؤساء .. وفى المصدر السابق : « وتتأمَّر الصبيان » أى : يصيرون أُمَرَاء .

(٥) نَخِرَة : بَالِيَة مُفَتَّتَة .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى سراج الملوك : « بلوام .. » بالميم .

(٧) فى « م » : « وولدت » . وما أثبتناه عن « سراج الملوك » .

وافْتَضَضْتُ ألف بِكْرٍ ، وهزمتُ ألف عَسْكَرٍ ، وقتلتُ ألف جَبَّارٍ ، وافتتحْتُ ألف مدينة ، فمن رآنى فلا يغتر بالدنيا ، فما كانت إلَّا كحُلْم النَّائم .. فبكى عيسى عليه السلام بكاءً شديدًا .

وَوُجِدَ مكتوبًا على قصرٍ قد بَادَ أَهْلُهُ ، وأقفرت ناحيته (١) :

هَـذِى مَنَـازِلُ أَقْوَامٍ عَهِدْتُهُـمُ   يُوفُونَ بِالْعَهْدِ مُذْ كانوا وبالذِّمَمِ
تبكى عليهمْ دِيَارٌ كان يُطْرِبُهَـا   تَرَنُّمُ المَجْدِ بين الحِلْمِ والكَرَمِ

وأنشد القاضى أبو العباس أحمد الجرجانى (٢) :

قَدْ شَابَ رَأْسِى ورَأْسُ الْحِرْصِ لم يَشِبِ   إنَّ الْحَرِيصَ عَلَى الدنيـا لَفِـى تَـعَبِ
بالله رَبِّكَ كَمْ قَصْرٍ مَرَرْتَ به   قد كان يُعْمَرُ باللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ
طَارَتْ عُقَابُ المَنَايَا فى جَوانِبِهِ   فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ (٣)

وله أيضًا :

أَيُّهَـا الرَّافِـعُ البِنَـاءَ رُوَيْـدًا   لن تَذُودَ المَنُونَ عَنْكَ المَبَانِـى
إنَّ هَـذَا البِنَـاءَ يَبْقَى وَتَفْنَـى   كُلُّ شَىْءٍ أَبْقَى مِنَ الإنْسَانِ (٤)

---

(١) فى المصدر السابق : « وأقفرت ساحته » .

(٢) هو على بن عبد العزيز بن الحسن الجُرْجَانى ، أبو الحسن ، قاضٍ ، من العلماء بالأدب ، وُلد بجُرجَان ، وولى قضاءها ، واقتبسَ من أنواع العلوم والآداب ماصار به فى العلوم عَلَمًا ، وفى الكلام عالمًا ، وكانت وفاته بنيسابور سنة ٣٩٢ هـ - على الأرجح - وهو دون السبعين . ومن كتبه : الوساطة بين المتنبى وخصومه ، وتهذيب التاريخ ، وتفسير القرآن ، وله ديوان شعر ، ورسائل مُدَوَّنة .
[انظر نماذج من أدبه فى يتيمة الدهر للثعالبى ج ٣ ص ٢٣٨ - ٢٥٩ ، وسير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٧ ص ١٩ - ٢١ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ١٤ ص ١٤ - ٣٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧٨ - ٢٨١ ، وطبقات المفسرين ج ١ ص ٤١٤ و ٤١٥ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٥٠ ، والأعلام ج ٤ ص ٣٠٠] .

(٣) العُقَاب : طائر من كواسِرِ الطير ، قوى المخالب .. والحَرَبُ ، بفتح الحاء والراء المهملتين : الهلاك . يقسم الشاعر أنه مَرَّ بكثير من القصور التى كانت عامرة بما يلذ من الطيبات ، ويُطرب الأسماع ، فإذا به الآن يراها وقد خَيَّمَ عليها الخرابُ والدمار بعد أن اختطف الموتُ ساكنيها وبَادُوا .

(٤) يعنى : يامَنْ تُبالغ فى رفع البناء ، تَمَهَّلْ ، فإنَّ ماتشيده لن يدفع عنك الموت ، وسترحل عنه وتتركه لغيرك .

وأنشد بعضهم (١) :

قِــفْ بِالدِّيَــارِ فَهَــذِهِ آثَارُهُــمْ   تَبْكِى الأَحِبَّةَ حَسْرَةً وَتَشَوُّقَــا
كَمْ قَدْ وَقَفْتُ بها أُسائِلُ أَهْلَهَا   عَنْ حَالِهَا أَوْ رَاحِمًا أو مُشْفِقَا (٢)
فَأَجَابَنِى دَاعِى الهَوَى فى رَسْمِهَا   فَارَقْتَ مَنْ تَهْوَى فَعَزَّ الْمُلْتَقَى

وأنشد آخر :

أَيُّهَا الرَّبْعُ الذى قَــد دَثَــرا   كان عَيْنًا ثم أَضْحَى خَبَــرًا (٣)
أَيْــنَ سُكَّــانُكَ ، مَــاذَا فَعَلُــوا   خَبِّرًا عَنْهُــم سُقِــيتَ الْمَطَــرَا
وَلَقَــدْ نَــادَى مُنَــادِى دَارِهِــمْ   رَحَلُــوا وَاسْتَوْدَعُــونى عِبَــرا (٤)

ورُوِىَ أَنَّ علىَّ بن أبى طالب ، كَرَّم الله وجهه ، لَمَّا رجع من صِفِّين (٥) ودَخل أوائل الكوفة ، فإذَا هو بقبر ، فقال : [قبر] (٦) مَنْ هذا ؟ قالوا : قبر خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ (٧) . فوقف عليه وقال : رَحِمَ اللهُ خَبَّابًا ، أَسْلَمَ راغبًا،

---

(١) الأبيات الثلاثة وردت فى « حلية الأولياء » ج ١٠ ص ٣٤٨ فى ترجمة أبى محمد الجريرى .. وفى « تاريخ بغداد » ج ٤ ص ٤٣٣ .. وفى « طبقات الصوفية » ص ٢٦٤ . وفى سراج الملوك – الباب الأول .

(٢) فى « م » : « مرحمًا » مكان « راحمًا » . والبيت فى سراج الملوك :

كَم قــد وقَــفْتُ بها أُسَائِــلُ مُخْبِــرًا   عــن أهلهــا ، أو ناطِقًــا أو مُشْفِقَــا

وفى طبقات الصوفية : « أو صادقًا » مكان « أو ناطقًا » .

(٣) فى سراج الملوك : « ثم أضحى أثَرًا » .

(٤) فى المصدر السابق « ولقد نَادَى مُنَادِيهم لنا ... » .

(٥) فى « م » : « من حين » تحريف . والتصويب من « سراج الملوك » .

(٦) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق ، وساقط من « م » .

(٧) هو خَبَّاب بن الأَرَتّ بن جَنْدَلَة التميمىُّ ، أبو يحيى ، أو أبو عبد الله ، صحابىٌّ ، وهو عربىٌّ لَحِقَهُ سباءٌ فى الجاهلية ، فَبِيعَ بمكة ، وكان يعمل السيوفَ بها ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، كان سادِسَ ستة فى الإسلام ، وهو أولُ مَنْ أظهر إسلامه .. استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه ، فصبر ولم يُعْطِ الكُفَّارَ ما سألوا ، إلى أنْ كانت الهجرة ، فهاجَرَ ، وَشهِدَ بدرًا وأُحُدًا والمشاهِدَ كلها مع رسول الله ، ﷺ .. ونَزَلَ الكوفة ، ومات بها سنة ٣٧ هـ ، وهو أول مَنْ دُفِنَ بظَهر الكوفة =

وهاجر طائعًا ، وعاش مجاهدًا ، وَابْتُلِىَ فى جسمه آخِرًا ، ألا ولن يُضيعَ اللهُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عملاً .. ثم مَضَى ، فإذا قبورٌ ، فجاء حتى وقف عليها فقال : السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والمَحَالِّ المُقْفِرَة ، أنتم لنا سَلَفٌ ، ونحن لكم تَبَعٌ ، وَبِكُمْ عَمَّا قليل لا حِقُونَ .. اللهم اغفرْ لنا ولهم ، وتجَاوَزْ عنا وعنهم ، طُوبَى لمن ذَكَر المعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكفاف ، ورضى عن الله تعالى .

ثم قال : يا أهل القبور ، أمَّا الأزواجُ فقد نُكِحَتْ ، وأمَّا الديارُ فقد سُكِنَتْ ، وأمَّا الأموالُ فقد قُسِّمَتْ .. فهذا خَبَرُ ماعندنا ، فما خبر ما عندكم ؟ .. ثم التفت إلى أصحابه فقال : أمَا إنهم لو تَكَلَّمُوا لَقَالُوا : وَجَدْنا خيرَ الزَّادِ التقوى .

وخَطَبَ رَضِىَ الله عنه مرة فقال : أيها الناس ، اعلموا أنكم ميتون ، ومبعوثون من بعد الموت ، ومَوْقُوفُونَ على أعمالكم ، ومَجْزِيُّونَ عليها ، فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدنيا ، فإنها بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ، وكُلُّ مافيها زَوَالٌ ، وهى بين أهلها دَوَالٍ وسِجَال [1] ، لا تدوم أحوالها ، ولن يسلم مِن شَرِّها نُزَّلُهَا ، بَيْنَا أهْلُها منها فى رَخاءٍ وسُرور إذْ هُمْ منها فى بلاءٍ وغرور ، أحوال مختلفة ، العيشُ فيها مذموم ، والرخاء فيها لا يدوم ، وإنما أهلها فيها أغراضٌ مُسْتَهْدَفَة ، ترميهم بسهامها ، وتقصدهم بِحِمَامِها ، وكلُّ حَتْفٍ فيها مقدور ، وحظه فيها موفور ، واعلموا عباد الله ، وما أنتم فيه مِنْ هذه الدنيا على سبيل مَنْ قد مَضَى ، مِمَّنْ كان أطْوَلَ منكم أعمارًا ، وأشدَّ منكم بطشًا ، وأعْمَرَ ديارًا ، وأبْعَدَ آثارًا ، فأصبحت أصواتهم خامدة ، وأجسامهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية .. استبدلوا القصور المشيدة ، والنمارق

= من الصحابة .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ٣٠١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ١١٤ - ١١٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٤٣ - ١٤٧ ، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٣ و ٢٧٤] .

(١) دوالٍ وسِجَال ، أى : تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ، تنتقل من حالٍ إلى حال .

الممهدة بالصخور والأحجار [١] المسندة ، فكأنكم وقد صرتم إلى ماصاروا إليه من البلاء والوحدة ، وارتهنتم فى ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لو عاينتُمُ الأمُورَ ، وبَعْثَ القبور ، وحُصِّلَ مافى الصدور ؟! جَعَلَنا الله وإيَّاكم عاملين بكتابه ، متبعين لأوليائه وأحبابه حتى يُحِلَّنا وإياكم دار المُقَامَةِ من فضله ، إنه حميد مجيد .

وعن النبى ﷺ أنه قال لِعَلِىٍّ : « ياعلىُّ ، أربع خصال من الشقاء [٢] : جُمود العين ، وقَسَاوَة القلب ، وبُعْد الأمل ، وحُب الدنيا » .

ورُوِىَ عن ابن عباس ، رضى الله عنهما أنه قال : « يُؤْتَى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء ، زُرْقٌ أنيابها ، بادية مُشَوَّهَةُ الخَلْق ، لا يَرَاها أحد إلا كرهها ، فتشرف على الخلائق أجمعين ، فيقال لهم : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه !! فيقال : هذه الدنيا التى تفَاخَرْتُم بها وفيها ، وتقاتلتم » .

وكان يزيد الرقاشى [٣] يقول : « إخوانى ، مَنْ كان الموت موعده ، والقبر بيته ، والثَّرَى مسكنه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر ، كيف تكون حالته ؟ ثم يبكى حتى يُغْشَى عليه » .

---

(١) هكذا فى « م » .. وكان يجب أن يقال : « استبدلوا بالقصور .. الصخور والأحجار » فتدخل الباء على المتروك وفقًا لقواعد اللغة .

(٢) فى « م » : « المشقا » تصحيف من الناسخ .

(٣) هو يزيد بن أبان الرقاشى البصرى ، أبو عمرو ، زاهد ، عابدٌ ، بكَّاء ، ومُحَدِّث . رَوَى الحديث عن أنس بن مالك ، والحسن ، وغنيم بن قيس .. وَرَوَى عنه أبو الزناد ، ومحمد بن المنكدر ، والأعمش ، وغيرهم . وقد ضُعِّفَ وجُرِّح .

[انظر حلية الأولياء ج ٣ ص ٥٠ – ٥٤ ، وكتاب الضعفاء الكبير للعقيلى ج ٤ ص ٣٧٣ و ٣٧٤ ، والجرح والتعديل للرازى ج ٩ ص ٢٥١ و ٢٥٢ ط حيدرآباد ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤١٨] .

فعلى العاقل أنْ يُحَاسِبَ نفسه على مافات [١] من عُمره ، ويستعدَّ لعاقبة أمره ، ويتزوَّدَ صَالِحَ العمل ، ولا يَغْتَرَّ بالأمل ، فإنَّ مَنْ عَاشَ مَاتَ ، ومَنْ مَاتَ فَاتَ ، وكل ماهو آتٍ آتٍ ، نسأل الله أن يلهمنا رُشْدَنَا ، ويوقظنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه .

ولمَّا ماتَ « ذَرٌّ الهَمَدانِيُّ » المذكور آنِفًا فى الوظيفة الرابعة عشرة [٢] ، لكنْ فى ذِكْرِه الأول اختصار ، وهذا الكلام أوسع ، فلا بأس بذكره ، وكان موته - أى : ذَرٌّ - فجأةً [فَجَاءَ] [٣] أبوه فوجد أهل بيته يبكون حوله ، فقال : مالكم ؟! فَواللهِ ما ظلمناه ولا قهرناه ، ولا ذَهَبَ لنا بحقٍّ ، ولا أصابنا فيه ما أخطأَ مَنْ كان قَبْلَنَا فى مثله .

فلما وَضَعَهُ فى حُفْرَتِهِ قال : رَحِمَكَ الله يابُنَىَّ ، وجَعَل أجْرِى فِيكَ لَكَ ، واللهِ ما بكيتُ عليك ، وإنما بكيتُ لكَ . فَواللهِ لقد كنتُ بك بارًّا ، وكنتُ لكَ مُحِبًّا ، وما بى إليك من وَحْشَةٍ ، وما بى إلى أَحَدٍ غير الله من فاقة ، وما ذهبت لنا بِعزَّة ، وما أَبْقَيْتَ لنا من ذُلٍّ ، وقد شَغَلَنِى الحُزْنُ لك عن الحُزن عليك .. يا « ذَرُّ » ، لولا هَوْلُ المَطْلَع لَتَمَنَّيْتُ ماصِرْتَ إليه [٤] .. فَلَيْتَ شِعْرِى ، ماذا لَقِيتَ ؟ ومَاذا قِيل لك ؟ ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إنك وَعَدْتَ الصَّابرين على المصيبة ثوابَكَ ورحمَتَكَ .. اللهم وقد وهبت ما جَعَلْتَ لى من أجر على « ذَرٍّ » له ، صِلَةً منى له ، فلا تُعَرِّفْهُ قبيحًا ، وتَجاوَزْ عنه ، فإنك رحيم بى وبه .

اللهم وقد وَهَبْت له إساءَتَهُ فَهَبْ لى إساءته إليك ، فإنك أَجْوَدُ مِنِّى وأكرم ... اللهم إنك جَعَلْتَ لكَ على « ذَرٍّ » حقًّا ، وجَعَلْتَ لى عليه حقًّا قَرَنْتَهُ بِحَقِّكَ ،

---

(١) فى « م » : « ما فرض » تصحيف .

(٢) فى « م » : « الرابعة عشر » خطأ ، سبق التعليق عليه .

(٣) مابين المعقوفين زيادة من عندنا لاستقامة السياق ، والمعنى .

(٤) فى « م » : « عليه » .

فَقُلْتَ : ﴿ اشكُرْ لى وَلِوَالِدَيْكَ إلَىَّ المَصِيرِ ﴾ [(١)] .. اللهم إنِّى قد غفرتُ لِذَرٍّ ماقَصَّرَ فيه من حقى ، فَاغْفِرْ له ما قَصَّرَ فيه من حقك ، فإنك أَوْلَى بالجُود وأكرم .. فلمَّا أراد الانصراف قال : يا « ذَرُّ » قد انْصَرَفْنَا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك ، والسلام .

أوحى الله إلى داود ، عليه السلام : ياداود ، لو يعلم المُدْبِرُونَ كيف انتظارى إلى تَرْكِ معاصيهم لَمَاتُوا شوقًا إلَىَّ ، وتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُم من مَحَبَّتِى .. ياداود ، هذه إرادتى فى المدبرين عنى .. فكيف إرادتى فى المقبلين علَىَّ ؟!

وأَنْشِدَ فى ذلك [(٢)] :

أسِيءُ فيَجْزِى بالإسَاءَةِ إفْضَالاً — وَأَعْصِى فُيولِينِى إِلٰهِى إمْهَالا [(٣)]
فَحَتَّى مَتَى أَجْفُوهُ وهو يَبَرُّنِى — وَأَبْعُدُ عنه وهو يبذُل إيصالا [(٤)]
وكَمْ مَرَّةٍ قد زُلْتُ عن نَهْجِ طَاعَةٍ — وَمَا حَالَ عَنْ سَتْرِ القَبِيحِ ومازَالا [(٥)]

* * *

---

(١) سورة لقمان — من الآية ١٤ .

(٢) فى « م » : « وأنشد فى ذلك يقول شعر » .

(٣) فى « م » : « فضلا » مكان « إفضالًا » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .. والإِفْضَال : الإحسان .. والإمهال : الإِنْظَارُ والتُّؤَدَةُ والرفق .

(٤) يَبَرُّنى : يُحْسِنُ إلَىَّ .. إيصالًا ، أى : يبذل مايبذله من أجل الوِصَال وعدم الهَجْر .

(٥) زُلْتُ : تَحَوَّلْتُ وانتقلتُ .. وما حَالَ : وما تَغَيَّرَ .. والسَّتْر : الإخفاء والمداراة .. وإلى هنا ينتهى الساقط من « ص » والذى أشرنا إلى بدايته فى ص ٧٢ الهامش رقم ١ من الفصل السابق .

وأغلب الظن أن هذا الجزء المشار إليه قد أُضيف إلى كتاب « مرشد الزوار » بعد وفاة مؤلفه ، الذى توفى سنة ٦١٥ هـ ، وقد أثبت هنا شعر لعبد العزيز الدرينى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ ، ولم يدرك الموفق بن عثمان وفاته [انظر ص ٧٣ و ٧٤ ، والهامش رقم ٣] .

فصـــل

فى إكرام الله تعالى بعض أوليائه بدوام طاعته فى قبورهم ، وغفرانه لآخرين بأمورٍ لَحِقَتْهم [١] بعد وفاتهم

قال ابن عباس : ضَرَبَ بعض أصحاب النبى ، ﷺ ، خِبَاءً على قبر ، وهو لا يدرى به ، فإذا هو بإنسان يقرأ سورة ﴿ تَبَارَكَ الذى بيده المُلْكُ ﴾ حتى خَتَمها .. فَأَتَى النَّبِىَّ ، ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ ، فقال رسول الله ﷺ : « هى المانعة المنجية ، تنجيه من عذاب القبر » رواه الترمذى فى جامعه .

وقال سنان بن حسين ، عن أبيه : كنتُ فيمن أُدْخَلَ ثابتًا البُنَانِىَّ [٢] فى قبره ، فَوَقَعَتْ لَبِنَةٌ [٣] ، فَأَصْلَحْتُهَا ، فإذا هو قائم يُصلى [٤] ، فأَطْبَقْتُ اللَّبِنَةَ

---

(١) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « بالأمور التى لحقتهم » .

(٢) هو الإمام العابد ، والحُجَّة القدوة ، ثابت بن أسلم البُنَانِىّ البصرى ، أبو محمد ، ويُقال : بُنَانَة الذين منهم ثابت هم بنو سعد بن لُؤَىّ بن غالب .. كان - رحمه الله تعالى - ثقة ، كبير القَدْر ، قيل عنه : مَنْ أراد أنْ ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظُرْ إلى ثابت البُنَانِىّ ، وما أدركنا أعبد منه .. وقال شُعْبَةُ : كان ثابت يقرأ القرآن فى كل يوم وليلة ، ويصوم الدَّهر . وقال حمّاد بن زيد : رأيتُ ثابتًا يبكى حتى تختلف أضلاعه .. وقال جعفر بن سليمان : بكى ثابت حتى كادت عينه تذهب .

وكان - رحمه الله - راوية للحديث ، رَوَى عن أنس بن مالك ، وعبد الرحمٰن بن أبى لَيْلَى ، وأبى عثمان النهدىّ ، وغيرهم .. وقد وَثَّقَهُ العجلىّ ، والنَّسائىّ ، وأبو حاتم ، وابن عدىّ ، وابن سعد ، وغيرهم . وتوفى ثابت سنة ١٢٣ هـ - وقيل : سنة ١٢٧ هـ - وكان قد جاوز الثمانين .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٥ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ١٣٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٠٩ و ١١٠ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٦٣ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣١٨ - ٣٣٣ ، وكرامات الأولياء للنبهانى ج ١ ص ٦٢٢ و ٦٢٣] .

(٣) اللَّبِنَة : واحِدَةُ اللَّبِن ، وهو المضروب من الطين يُبْنَى به .

(٤) فى « ص » : « فإذا ثابتٌ فى القبر وهو قائم يُصلى » .

ثم سألتُ أَهْلَهُ فقلتُ : أَخبِرُونِي ماكان ثابتٌ يسأل [١] رَبَّهُ تعالى .. قالوا : « كان يقول : اللهم إنْ كُنتَ أَعْطَيْتَ أحدًا الصَّلاةَ فى قبره فَأَعْطِنِى ذلك » .

وقال إبراهيمُ بن الصِّمَّة المُهَلَّبِىُّ : حَدَّثَنِى الذين كانوا يَمُرُّونَ بجنباتِ قبر ثابت البنانى بالأسحار ، أنهم كانوا يسمعون منه قراءة القرآن .

قال عِكْرِمَةُ : إذا ماتَ المؤمنُ رُفِعَ له مصحفٌ يقرأُ فيه القرآنَ .. وقال عيسى بن محمد المكى : رأيتُ أبابكر [٢] بن مجاهد فى النوم كان يقرأ القرآن ، فقلت له : ياسيدى ، إنك مَيِّتٌ وتقرأ القرآن ؟ قال : كنتُ أدعو الله عَقِبَ كُلِّ صلاةٍ وخَتْمَةٍ [٣] أن يَجْعَلَنِى مِمَّنْ يقرأ القرآن فى قبره .

وحَكَى عبد الله الموصلى قال : رأيتُ فى المنام كأنِّى فى الصحراء ، فرأيتُ بساتين وقصورًا [٤] ، فقصدتُ إلى قصر لِأَدْخُلَهُ ، فَمَنَعَنِى الحاجب على باب القصر [وقال : لا تَدْخُلْ حتى أستأذنَ لكَ ، فدخَلَ الحاجبُ ثم خرج] [٥] فأَخَذَ بيدى وأدخلنى إليه ، ثم أدخلنى دارًا [٦] أُخرى ، فإذا مالك بن أنس ، رضى الله عنه ، جالس فى البُستان فى وسط الدار وفى يده مصحف ، فسلمتُ عليه وقُلت : يا أبا عبد الله ، بِمَ نِلْتَ هذه الكرامة ؟ قال : بعَفْو الله وغُفرانه [٧] وسَعَةِ رحمته لا بعلمى .

قال معاذ بن رفاعة : مَرَّ يحيى بن زكريا بقبر دانيال النبى ، ﷺ ،

---

(١) فى « م » : « يُسائل » .

(٢) فى « م » : « أبى بكر » خطأ لغوى .

(٣) فى « ص » : « عقب كل ختمة » .

(٤) فى « م » و « ص » : « وقصور » خطأ ، والصواب بالنصب .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » سهوًا من الناسخ .

(٦) فى « م » : « دار » ، خطأ ، والصواب بالنصب .

(٧) فى « ص » : « فقال : بعفو الله وتجاوزه » .

فسمع صوتًا من القبر : « سُبحان مَنْ تَعَزَّز بالقُدْرَة وقهر العباد بالموت » ... ومضى ، فسمع من السماء : « أنا الذى تَعَزَّزْتُ بالقُدْرَة ، وقهرتُ العبادَ بالموت .. مَنْ قالها استغفرتْ له السَّمواتُ السبعُ والأَرَضُونَ السبعُ ومَنْ فِيهِنَّ » .

وقال أبو هريرة : كان لى جارٌ ، وكان يؤذينى ، فخرجتُ يومًا فإذا أنا بجنازة .. فقلتُ : [جنازة] [١] مَنْ هذه ؟ قيل [٢] : جنازة فلان .. قلتُ : بعيدةٌ من رحمة الله .. قال : فرأيت فى منامى كأنه ذُهِبَ بى [٣] إلى الجنة ، فلما دخلتُ مِنْ بابها إذا أنا بالرجل ، قلتُ : فلان ؟! قال : نعم .. قلتُ مَنْ أَدْخَلَكَ الجنة ؟ قال : كَلِمَتُكَ يا أبا هريرة !

قال مبارك السّندى – وكان أحد النُّسَّاك : سمعتُ أبا محمد الضرير – وكان جليلاً فى همذان – قال : كان فى جوارى مخنث مُفْسِدٌ فمات ، فقعدتُ حتى أُحْضِرَ جنازته [٤] ، فمرت بى جنازتُه فلم أَقُمْ إليها [٥] ، فرأيته تلك الليلة فى النوم ، فقلتُ له : ما فعلَ الله بِكَ ؟ قال : غَفَرَ لى .. قلتُ : بماذا ؟ قال [٦] : اعلم أننى لمَّا متُّ كنتُ من أهل النار ، وغُسِّلْتُ وأنا من أهل النار ، وحُمِلْتُ [٧] وأنا من أهل النار ، فَمَرَّتْ بِكَ جنازتى فَأَنِفْتَ [٨] أَنْ تَقُومَ لها ، فَغَفَرَ الله لى .

وحُكِيَ عن أبى عثمان الغسَّال قال : دخلتُ على ميت لأغسله ، فلما وضعتُهُ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٢) فى « م » : « قيل لى » .

(٣) فى « ص » : « به » . وما أثبتناه عن « م » هو المناسب للسياق .

(٤) فى « م » : « فقعدت فى حضور جنازته » .

(٥) فى « ص » : « لها » .

(٦) فى « م » : « قال لى » .

(٧) فى « ص » : « وحُمِلْتُ على الجنازة » .

(٨) أَنِفَ : استنكف واستكبر .

على المُغْتَسَلِ [١] سمعتُهُ يقول : النار .. النار .. ففزعتُ وخرجتُ ، وقُلتُ ذلك للناس .. فدخلوا ، وعُدْتُ إليه [٢] فسمعته يقول : النعيم .. النعيم .. الجنة .. فدفناه ، فلما كان فى الليل رأيته فى المنام ، فقلتُ له : مافعل الله بكَ ؟ قال : غَفَرَ لى وَقْتَ فَضَحْتَنِى [٣] وقال : أنا لا أجمع على عبدى فضيحتين ، وأباحَنِى الجنة .

وقال يحيى بن معين [٤] : قال لى حَفَّارٌ [٥] : أعجبُ مارأيتُ [٦] فى هذه المقابر أننى سمعتُ من قبرٍ أنينًا كأنين المريض .. وسمعتُ من قبر : وَالْمُؤَذِّنُ يُؤَذِّنُ ، وهو يُجيبه [٧] من القبر .

وقال إبراهيم بن أدهم [٨] : رَفَعْتُ جنازةً بالسَّاحل فقلتُ : بَارَكَ الله

---

(١) المُغْتَسَل : مكان الاغتسال .

(٢) فى « ص » : « وعُدْتُ إلى غسله » .

(٣) فى « م » : « فضيحتى » .

(٤) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد ، من أئمة الحديث ، ومؤرخى رجاله ، نعته الذهبىُّ بأنه « سيد الحُفّاظ » . وقال عنه العسقلانى : « إمام الجُرْح والتعديل » .. وقال ابن حنبل : « أعلَمُنا بالرجال » .. وُلد يحيى بن معين سنة ١٥٨ هـ بقرية « نقيا » قرب الأنبار ، وكان أبوه على خراج « الرِّىِّ » ، وخلف له ثروة كبيرة ، فأنفقها فى طلب الحديث ، وعاش ببغداد ، وتوفى بالمدينة حاجًّا سنة ٢٣٣ هـ ، وصلى عليه أميرها .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٧٢ و ١٧٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٧٧ - ١٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٢٩ - ٤٣١] .

(٥) فى « ص » : « حفار مقابر » .

(٦) فى « ص » : « أريتُ » .

(٧) فى « ص » : « وهو يجيب » أى : يُرَدِّدُ مايقوله المؤذِّن .

(٨) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمى البَلْخى ، أبو إسحاق ، زاهد مشهور ، كان أبوه من أهل الغِنَى فى بَلْخ - وقيل : كان من أبناء الملوك - فتفقَّه ورَحَل إلى بغداد ، وجَالَ فى العراق والشام والحجاز ، وأخذ العِلْم عن كثير ممن فى الأقطار الثلاثة ، وكان من أهل الزهد والورع ، صَحِبَ أبا سفيان الثورى ، والفُضَيْل بن عياض ، وكان يأكل من عمل يده ، ولم يعبأ بمال أبيه ، وكانت وفاته سنة ١٦١ هـ . وأخباره كثيرة .

=

لى فى الموت ، فقال قائل من السرير [١] : « وما بعد الموت » .. قال إبراهيم : فَدَخَلَ عَلَىَّ منه رُعْبٌ حتى ما قدرتُ أحمِلُ قائمةً من السرير ، فَدُفِنَ الميتُ ، وانصرف الناس ، فقعدتُ عند القبر مفكرًا فى القائل من السرير ، فغلَبَتْنِى عيناى ، فنمتُ ورأسى على رُكبتى عند القبر ، وإذا بشخص قد خرج من القبر أَحْسَنَ الناس وجهًا ، وأَطْيَبَهم ريحًا ، وأَنْقَى ثيابًا ، وهو يقول : يَابْنَ أدهم [٢] ، قلت : لبيك ، مَنْ أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا القائل من السرير : « وما بعد الموت » .. فقلت له : بِاللهِ الذى فَلَقَ الحبة ، وبَرَأَ [٣] النَّسْمَةَ ، وتَرَدَّى بالعظمة [٤] ، إِلَّا قُلْتَ لى مَنْ أنت ؟ قال أنا السُّنَّةُ [٥] ، أكون لصاحبى فى الدنيا حافظًا ، وعليه رقيبًا ، وفى القبر نورًا ومؤنسًا ، وفى القيامة سائقًا وقائدًا إلى الجنة .

وحَدَّثَ إِدْرِيسَ الحفّار شَيْخٌ [٦] قال : لما وُضِعَ الشَّيْخُ العارف أبو الحسن الدِّينَورِى ، المعروف بابن الصائغ [٧] فى قبره ، سمعته يقول : ﴿ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلًا مُبارَكًا وأنتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ [٨] .

= [انظر الأعلام ج ١ ص ٣١ ، وطبقات الصوفية ص ٢٧ – ٣٨ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٣٦٧ – ٣٩٥ ، وج ٨ ص ٣ – ٥٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٥٤ – ٥٧ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٦٩ و ٧٠ ، وفوات الوفيات ج ١ ص ١٣ و ١٤ ، والتاريخ الكبير للبخارى ج ١ ص ٢٧٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ ووفاته فيها سنة ١٦٢ هـ] .

(١) السرير : النعش الذى يُحمل عليه الميت .

(٢) فى « ص » : « يا إبراهيم » .

(٣) فى « م » : « خَلَقَ » مكان « فَلَقَ » . ومعنى بَرَأَ : خَلَقَ وأَوْجَدَ .

(٤) تَرَدَّى بالعظمة : لَبِسَ رِدَاءَ العَظَمَة .

(٥) يريد : سُنَّة محمد ﷺ ، أو العمل بها .

(٦) الفعل « حدَّث » من عندنا لاستقامة المعنى ، وهذه الفقرة عن « م » ولم ترد فى « ص » .

(٧) هو علي بن محمد بن سهل ، المعروف بابن الصائغ الدينورى ، كان من كبار المشايخ ، وكان كبير الهيبة ، يهابه كُلُّ مَنْ رآه ، وكان من المخلصين فى معاملة الله تعالى ، أقام بمصر ، ومات بها سنة ٣٣٠ هـ .

[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٥٣ ، وطبقات الصوفية ص ٣١٢ – ٣١٥ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ١٠٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٥٣ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٠ وفيها توفى سنة ٣٣١ هـ] .

(٨) سورة « المؤمنون » – الآية ٢٩ . وإلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

وقال أحمد بن الخواص [١] : رأيتُ يحيى بن أكثم [٢] فى المنام فقلت له : ما فَعَلَ اللهُ بك ؟ وكيف وجَدْتَ ربَّكَ ؟ فقال : وجَدْتُ ربى جوادًا كريمًا ، أقامنى بين يديه مقام العبد الذليل بين يَدَىْ سَيِّدِه الجليل ، ثم قال لى : ياشيخ السوء ، تأتينى بتخاليط كثيرة ! لولا شَيْبَتُكَ لأحرقتُكَ بالنار [٣] . قال : ثم قلت : إلٰهى ، ماهكذا بلغنى ياسيدى عنك .. قال : وما الذى بلَغَكَ عنى ؟ قلت : حَدَّثَنى عبد الرَّزَّاق [٤] ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن أنس بن مالك ، عن نبيِّك ، ﷺ ، عن جبريل ، عنك أنك قُلْتَ : « لا يشيب عَبْدٌ فى الإسلام فأحرقه بالنار » .. فقال : صَدَقَ عبد الرَّزَّاق ، [صَدَقَ] [٥] معمر ، صَدَقَ الزهرى ، صدق أَنَسُ بن مالك ، صدق نَبِيِّى ، صدق جبريل ، انطلقوا بعبدى إلى الجنة .

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « أحمد الخواص » . وقد ورد اسمه فى الرؤيا المذكورة هنا فى تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢٠٣ أنه الشيخ الصالح محمد بن سلم الخواص .

(٢) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قَطَن بن سَمْعَان ، من ولد أكثم بن صيفى التميمى ، يُكْنَى أبا محمد ، كان عالماً بالفقه ، بصيرًا بالأحكام ، ولّاه المأمون القضاء ببغداد ، وكان أديبًا شاعرًا .. وكانت وفاته فى سنة ٢٤٢ هـ بعد منصرفه من الحج ، ودُفن بالرَّبذة (من قرى المدينة) .

[انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٩١ – ٢٠٤ ، وطبقات الصوفية « حاشية » ص ٤٠ ، والأعلام ج ٨ ص ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٧ – ١٦٥ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٦١ و ٣٦٢ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٣٤٥ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٥ – ١٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٠١ و ١٠٢] .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ص » اختلاف يسير فى الألفاظ لا يخل بالمعنى ، وفى تاريخ بغداد أيضًا . [انظر المصدر السابق ج ١٤ ص ٢٠٣ و ٢٠٤] .

(٤) فى « م » : « عبد الرازق » فى كل المواضع ، تصحيف ، والصواب ما أثبتناه عن المصدر السابق وغيره ، وهو : عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى ، أحد الأعلام الثقات ، ولد سنة ١٢٦ هـ ، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة ، وجالس معمر بن راشد سبع سنين ، وسمع من ابن جُرَيْج ، وعبيد الله بن عمر ، وعبد الله بن سعيد ، وثور بن يزيد ، والأوزاعى ، وغيرهم . وكانت وفاته فى شوال سنة ٢١١ هـ .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٠٩ – ٦١٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٤٩٦ و ٤٩٧ ، وفيه أنه ولد سنة ١٣٦ هـ وهو خطأ . وانظر رجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٨ و ٩] .

(٥) مابين المعقوفين عن « ص » .

وفى رواية أخرى [١] أنه قال : قلت : إلٰهى ، ماهكذا بلغنى عنك .. قال : وما الذى بلغك ؟ قلت : سمعتُ عبد الرَّزَّاق [يقول : سمعت] معمرًا [٢] يقول : سمعت الزهرى يقول : سمعت أنسًا يقول : سمعتُ رسول الله ، ﷺ يقول : سمعت جبريل عليه السلام يقول : سمعت رَبَّ العِزَّةِ يقول : « مَنْ شَابَ شَيْبَةً فى الإسلام فأنا أَستَحِى أَنْ أُعَذِّبَهُ بنار جهنم » . قال : فقال رَبُّ العِزَّةِ : هو كما بلغَكَ عنى وسَمِعْتَ ، صدق عبد الرَّزَّاق ، ومعمر ، والزهرى ، وأَنس ، ومحمد نَبِيِّى ، وجبريل : « مَنْ شَابَ شَيْبَةً فى الإسلام ولقينى وهو يشهد أَنْ لا إلٰه إِلَّا الله ، وأَنَّ محمدًا رسول الله ، فإنِّى لا أعذبه بنار جهنم .. أَبْشِرْ ، فقد غفرتُ لَكَ جميع معاصيك بتَوَسُّلِكَ إلَىَّ بِشَيْبَتِكَ فى الإسلام » .

وفى رواية أخرى نقلها العلَّامة الغزالى فى الدُّرَّةِ الفاخرة ، فقال : روى يحيى بن أكثم القاضى – وقد رُئِىَ فى النوم ، فقيل له : مافَعَلَ الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه الكريمتين وقال لى : ياشيخ السوء ، فَعَلْتَ وصَنَعْتَ .. فقلت : يارب ، مابهذا حَدَّثْتُ عنك .. فقال : بِمَ حَدَّثْتَ عنى يايحيى ؟ فقلت : حدثنى الزهرى ، عن مَعْمَر ، عن عُروة ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، عن محمد ، ﷺ ، عن جبريل ، عنك ، أنك قُلْتَ : « إنى أَستَحِى أَنْ أُعَذِّبَ شَيْبَةً شابتْ فى الإسلام » .. قال : صَدَقْتَ يايحيى ، وصدق الزهرى ، وصدق معمر ، وصدق عروة ، وصدقَتْ عائشة ، وصدق محمد ، ﷺ ، وصدق جبريل ، وصَدَقْتُ ، اذْهَبْ فقد غفرتُ لَكَ .

---

(١) هذه الرواية وما بعدها عن « م » ولم ترد فى « ص » .

(٢) فى « م » : « عمرا » تصحيف .. وهو الإمام معمر بن راشد البصرى ، أحد الأعلام وعالم اليمن ، حَدَّث عن الزهرى ، وقتادة ، وعمرو بن دينار ، ويحيى بن كثير ، وغيرهم ، وكانت وفاته سنة ١٥٣ هـ [انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٩٠ و ١٩١ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٥٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٢٢ و ٧٢٣] . ومابين المعقوفين من عندنا لاستقامة المعنى .

وعن ابن نُباتة [١] : أنه رُئِيَ فى النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : أوقفنى بين يديه الكريمتين فقال : أنت الذى تُخلص كلامك [٢] لِيُقَالَ ما أفْصَحَه ؟! قلتُ : سبحانك ، إنى كنتُ أصِفُكَ .. فقال لى : قُلْ كما كُنْتَ تقولُ فى دار الدنيا .. قال : قلتُ : أَبَادَهُم الذى خَلَقَهُمْ ، وأسْكَتَهُم الذى أَنْطَقَهُمْ ، وفَرَّقَهُم الذى جَمَعَهُمْ ، وسَيُعِيدُهُم كما خَلَقَهُمْ ، ويجمعهم كما فَرَّقَهُم .. قال لى : اذْهَبْ فقد غفرتُ لك .

وعن منصور بن عَمَّار [٣] ، رضى الله عنه : أنه رُئِيَ فى النوم ، فقيل له : ما فَعَلَ الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه الكريمتين وقال : بِمَ جِئْتَنِى يامنصور ؟ قال : بِسِتٍّ [٤] وثلاثين حَجَّة .. قال : ماقَبِلْتُ منها حَجَّةً واحدة .. فَبِمَ جئتنى يا منصور ؟ قال : بثلاثمائة وستين ختمة .. قال : ماقبلتُ منها واحدة .. فماذا جئتنى يامنصور ؟ قلتُ : بصيام ستين سنة .. قال : ماقبلتُ منها واحدة .. فماذا جئتنى يامنصور ! فقلت : جئتُكَ بفضلك – أو قال : جئتُك بك – فقال : الآن جئتنى بشىء .. اذهب فقد غفرتُ لَكَ .

---

(١) هو عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل الخطيب ، ابن نباته الفارق ، أبو يحيى ، صاحب الخطب المنبرية ، ولد فى « ميافارقين » بديار بكر سنة ٣٣٥ هـ ، ونسبته إليها ، وسكن حَلَبَ ، فكان خطيبها ، وأجمعوا على أنَّ خُطَبَه لم يُعمل مثلها فى موضوعها .. وكان تقيًّا صالحًا . وكانت وفاته بحلب سنة ٣٧٤ هـ .
[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٤٧ و ٣٤٨ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٦ – ١٥٨ ، والعبر للذهبى ج ٢ ص ١٤٣ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٨٣ و ٨٤] .

(٢) أى تجعله خالصًا من الشوائب ومن الحشو .

(٣) هو منصور بن عَمَّار بن كثير ، أبو السرىّ السلمىّ الواعظ ، من أهل مرو ، أقام بالبصرة ، وسكن بغداد وحَدَّثَ بها ، وإليه كان المُنْتَهَى فى بلاغة الوعظ وترقيق القلوب وتحريك الهِمَم ، وعَظَ ببغداد ، والشام ، ومصر ، وبَعُدَ صيتُه ، واشتهر اسمه ، وتوفى ببغداد سنة ٢٢٥ هـ ، وقبره بباب حرب معروف .
[انظر تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٧١ – ٧٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١١٢ و ١١٣ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٨٣ و ٨٤ ، وطبقات الصوفية ص ١٣٠ – ١٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٨٧ و ١٨٨ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٣٢٥ – ٣٣١] .

(٤) فى « م » : « بستة » خطأ .

حكاية من إبراهيم بن أدهم ، رضى الله عنه ، فيما شاهد فى نجاة صاحب الشعر الأبيض إذا مات على الإسلام

حُكى عن إبراهيم بن أدهم ، رحمه الله ، أنه مَرَّ بِرَجُلٍ سكران وهو مُلْقًى والخمر يطفحُ مِنْ فِيهِ [1] وهو يقول : الله الله ، فرفع إبراهيم طرفه إلى السماء وقال : إلٰهى ، لسانٌ يذكُركَ لا يكون هكذا .. ثم دعا بماءٍ فَغَسَّلَ به فَاهُ ، وتَرَكَهُ ومضَى .. فلما أفاق من سُكره أُخْبِرَ [2] بما فَعَلَهُ إبراهيم بن أدهم ، فخجل وَاستَحْيَا ، ولام نفسه ووبَّخَهَا ، وقال : يانَفْسُ ، إنْ لم تَسْتَحِى من الله ومن أوليائه ، فَمِمَّن تستحين [3] ؟! ثم لَحِقَهُ الندم والأسف على مامضى من عمره فى الذنوب وسَلَفَ .. فلما كان تلك الليلة رأى إبراهيم بن أدهم قائلًا [4] يقول : يا إبراهيم ، ربك يقول لك : أنت طَهَّرْتَ فَاهُ لِأَجْلِنَا ، ونحن طَهَّرْنا قلبه لأجلك !

فلما أصبح إبراهيم قال : لَأَمُرَّنَّ بالرجل وأَنْظُرُ حاله ، وأُعْلِمُهُ بما رأيتُ ، لعل الله أن يشرح صدره بقبول التوبة .. فلم يَزَلْ إبراهيم يطلبه حتى وجَدَهُ فى مسجدٍ خَرِبٍ خارجَ المدينة ، وهو معتكفٌ فى عبادة ربه .. فقال إبراهيم : يأأخى ، اليوم كله وأنا فى طَلَبِكَ .. ما حَالُكَ ؟ فقال : هذا عَجَبٌ منك يا إبراهيم .. تسأل عنى كيف حالى وقد أَخْبَرَكَ الكريمُ سُبحانه أنه طَهَّرَ قلبى لِأَجْلِكَ ! . ثم قال : أَرِنى هذا الكف الذى طَهَّرْتَ فمى به .. فأَخَذَهُ وقَبَّلَهُ ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : بِحُرْمَةِ هذا الكف ، وبِقَدْرِ صاحبه عندك ، وبالجود الذى غَمَرْتَ به عِبَادَكَ ، جُدْ على عبدك الفقير بفضلك وإحسانك ، وإنْ لم يكن يستحق ذلك ..

---

(١) أى : فَمِه .

(٢) فى « م » : « أخبره » .

(٣) فى « م » : « تستحى » .

(٤) فى « م » : « قائل » خطأ . والصواب ما أثبتناه .

قال له إبراهيم : يا أخى ، ما أَعْلَمَكَ ؟ قال : أَعْلَمَنِى مَنْ طَهَّرَ قلبى مِن حُبِّ سِوَاهُ ، فلا أريد الآنَ مِنَ الدَّارَيْنِ إلَّا إيَّاه .. يا إبراهيم ، إنَّ لله عبادًا نَظَرَ إليهم بعين لُطْفِه فَرَفَعَ عنهم خبالَهُم (١) ، وأَظْهَرَ لهم ما خَبَّأَ لهم ، ورَفَعَ عنهم أَغْلالهم (٢) ، ورفع لهم ماهو أعلى لهم .. ثم بعد ذلك قال : يا إبراهيم ، امضِ (٣) إلى حال سبيلك لئلَّا تشغلنى عن عبادة العَلَّام ، فقد قَدَمَتْ (٤) منى ذُنوب وسيئات عظام ، وَدَعْنِى أُقْبِل عليه عَساهُ أَنْ يُقْبِلَ علَيَّ ، فما مُرادِي بعد رِضَاهُ شيء .. قال إبراهيم : فقلت : يا أخى أَقْبِلْ عليه فإنه كريم ، وكُنْ ذا ثقة بعفوه ، فإنه غفور رحيم .. ثم وَدَّعَنِى وانصرف وهو ينشد ويقول :

قد أَقْبَلَ الْمَوْلَى الذى أَعْـرَضَا   وجَـادَ لى منـه بِعَيْـنِ الـرِّضَا
وقَـالَ لى لَمَّـا رَأَى زَلَّتِـى   أَبْشِرْ فَقَدْ سامَحْتُ ماقَدْ مَضَى
يـا أَيُّهَـا الخائِـفُ مِـنْ ذَنْبِـهِ   سَلِّمْ لنا وَارْضَ بِمُرِّ الْـقَضَا (٥)
فى طَاعَةٍ شِئْتَ إِذًا كيـف لا   أَرْحَـمُ هَـذَا الشَّعْـرَ الأَبْـيَضَا

وقد نُقِلَ فى بستان الواعظين (٦) لابن الجوزى : قال أحمد بن الشيخ : رأيتُ بِشْرًا فى المنام وهو قاعد فى بستان ، وبين يده مائدة وهو يأكل منها ، فقلت له : يا أبا نصر ، مافعل الله بك ؟ قال : غفر لى ورحمنى وأباحَنِى الجنة

---

(١) الخبال : الهلاك والعناء والنقصان .

(٢) أى : ما يُقَيِّدُهُم . وفى « م » : « غلالهم » . وربما يريد : « غِلًّا لهم » .

(٣) فى « م » : « قال : أنا لهم يا إبراهيم ، امضى » هكذا ، والأخير فِعْل أَمْر مبنى على حذف حرف العلة .

(٤) أى : تَقَدَّمَتْ .

(٥) فى « م » : « وارضى » بالياء ، خطأ ، والصواب بحذفها . والقضا : القضاء .

(٦) فى « م » : « بستان العارفين » ، ولعله وَهْمٌ من الكاتب ، فقد ورد فى كشف الظنون هذا الكتاب منسوبًا للإمام الفقيه أبى الليث نصر بن محمد السمرقندى الحنفى ، المتوفى سنة ٣٧٥ هـ . وورد مرة أخرى للإمام محيى الدين بن شرف النووى الشافعى ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ . أما كتاب ابن الجوزى – المتوفى سنة ٥٩٧ – فهو يحمل عنوان : « بستان الواعظين ورياض السامعين » .

[انظر كشف الظنون ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧] .

بأسرها وقال : كُلْ من جميع ثمارها ، وتمتع بجميع مافيها ، كما كُنْتَ تحرم نفسك الشهوات فى دار الدنيا [١] .

وقال على بن محمد النيسابورى النزيل بمكة : رأيتُ أيوب السَّرَّاج فى النوم ، فقلت : مافعل الله بك ؟ فقال : وقفتُ بين يدى الله تعالى فقال : ياشيخ السوء ، تحمل العِلْم إلى هؤلاء السلاطين وتنال من دنياهم ؟! فقلتُ : يارب ، كانت الدنيا علَىَّ مُكَدَّرَةً [٢] ، وكُنْتُ مُثْقَلاً بالعيال .. فأَمَرَ بى إلى النار .. فقلتُ : يارب ، ماكان هذا ظنى ! قال : وما كان ظنك ؟ قلتُ : حدثنى يحيى ابن سعيد [٣] ، عن شعبة ، عن قتادة [٤] ، عن أنس ، عن نَبِيِّكَ ، ﷺ ، عن جبريل عليه السلام ، عنك ، ياذا الجلال والإكرام أنك قُلْتَ : « أنا عند ظن عبدى بى ، فَلْيَظُنَّ بى ماشَاء » [٥] . فقال : صَدَقْتَ عبدى ، صدق يحيى ابن سعيد ، صدق شعبة ، صدق قتادة ، صدقَ أنس ، صدقَ نَبِيِّى ، صدقَ جبريلُ ، أنا قُلْتُ ذلك [٦] . فَطُيِّبْتُ ، وأُلْبِسْتُ سبعين حُلَّةً ، وَوُضع على رأسى تاجٌ ، ومَشَى بين يَدَىَّ الوِلْدَانُ المُخَلَّدونَ إلى الجنة .

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » والذى أشرنا إليه فى ص ١٠٣ – الهامش رقم (١) من هذا الفصل .

(٢) مُكَدَّرَة ، أى : قاسية غير صافية العيش . وفى « م » : « مكورة » تحريف .

(٣) هو يحيى بن أبان بن سعيد الأموى الكوفى ، مُحَدِّثٌ ثقة ، رَوَى عن أبيه ، وعن شعبة ، والثورى ، وغيرهم ، ورَوَى عنه ابنه سعيد بن يحيى صاحب المغازى ، وأحمد بن حنبل ، وحميد بن الربيع ، وغيرهم .. سكن بغداد ، وتوفى فى شعبان سنة ١٩٤ هـ .

[انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٨٠ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٣٢ – ١٣٥] .

(٤) فى « م » : « ابن قتادة » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « أنا عند ظَنِّ عبدى [بى] فَلْيَظُنَّ بى [خيرًا] أو قلت : ماشاء » . أى : فليظن ماشاء . ومابين المعقوفتين أهمله الناسخ سهوًا ولم يذكره ، ووضعته هنا استكمالًا للحديث لِيُفْهَمَ المعنى المراد .

(٦) فى « م » : « صدقت ، أنا قلت ذلك » .

وقال **محمد بن يحيى الحرّانى** : رأيتُ فى النوم كأنَّ القيامة قد قامت ، فبينا أدور فى عَرَصَاتها رأيتُ منبرًا منصوبًا وفوقه رجل يُثنِى على الله أحسنَ الثَّناء ، فقلتُ : من هذا ؟ فقيل لى منصور بن عمار (١) ، أمَرَ الله أنْ يُثنى عليه بين أهل الجنة كما أثْنَى عليه بين أهل الدنيا .

ثم جُزْتُ ، فرأيتُ رَجُلًا بين يديه مائدة ، فقلت : مَنْ هذا ؟ فقيل لى : هذا بِشْر بن الحارث (٢) ، جَوَّعَهُ اللهُ فى الدنيا وأباح له الأكل فى الجنة (٣) .

ورأيتُ رَجُلًا شاخصًا بعينيه إلى السماء ، فقلت : مَنْ هذا ؟ قيل : مَعْرُوفُ الكَرْخِىُّ (٤) ، مات اشتياقًا إلى الله تعالَى ، قد أُبيحَ له النظر .

ورأيت رَجُلًا بيده مفاتيح ، فقلت : مَنْ هذا ؟ فقيل : أحمد بن حنبل ، الساعة بايع الله على أنْ يقفَ على باب الجنة فَيُدْخِلَ أهل السُّنَّة ، ويَمْنَعَ أهل البدع .

---

(١) سبق التعريف به . انظر ص ١٠٤ - الهامش رقم (٣) من هذا الفصل .

(٢) هو بِشْر بن الحارث بن على بن عبد الرحمٰن المروزى ، أبو نصر ، المعروف بالحافى ، من كبار الصالحين ، له فى الزهد والوَرَع أخبار كثيرة ، وهو من ثقات رجال الحديث ، من أهل مرو ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، وسكن بغداد ، وتوفى بها سنة ٢٢٧ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ٥٤ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٤٦٩ - ٤٧٧ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٣٤٢ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٧ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٢٥ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٣٣٦ - ٣٦٠ ، وطبقات الصوفية ص ٣٩ - ٤٧ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٦٧ - ٨٠ ، وطبقات الأولياء ص ١٠٩ - ١١٨ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٧٢ - ٧٤ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٥٦ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٣١٣ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٧٣ - ٧٧ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٦٠ - ٦٢] .

(٣) فى « ص » : « وقد أباح له الأكل فى الآخرة » .

(٤) هو معروف بن فيروز الكَرْخِىُّ ، أبو محفوظ ، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين ، كان من موالى الإمام على الرِّضا بن موسى الكاظم ، واشتهر بالصلاح ، وقصده الناسُ للتبرك به ، حتى كان الإمام أحمد ابن حنبل فى جملة من يختلفُ إليه ، ولابن الجوزي كتاب فى « أخباره وآدابه » .. وتوفى معروف ببغداد سنة ٢٠٠ هـ .
=

ورَأى ابنُ محمدٍ المنقرىّ يَزِيدَ بن هارون (١) فى المنام ، فقال له : مافعل الله بك ؟ قال : تَقَبَّلَ منى الحسنات وتجاوَزَ عن السيئات ، ووهب لى التَّبِعَات (٢) .. قلتُ : وما كان بعد ذلك ؟ قال : وهل يكون من الكريم إلّا الكرم ؟! غَفَرَ لى ذنبى وأَدْخَلَنِى الجنة .. قُلْتُ : بِمَ نِلْتَ هذه المَنْزِلَةَ ؟ قال : بمجالس الذِّكْرِ ، وقول (٣) الحق ، وصِدْقِى فى الحديث ، وطول قيامى فى الصلاة ، وصبرى (٤) .. قلتُ : ومنكر ونكير .. حق ؟ قال : واللهِ الذى لا إله إلّا هو ، لقد أَقْعَدَانِى وسَأَلَانِى وقالا (٥) لى : ما دينك ؟ ومَنْ نَبِيُّكَ ؟ فجعلتُ أنفض التراب عن لحيتى (٦) وقلت : لِمِثْلِى يُقَالُ هذا ؟ أنا يزيد بن هارون الواسطى ، كنتُ فى دار الدنيا سبعين سنة أُمْلِى أحاديثَ رسولِ اللهِ ، ﷺ .. قال أَحَدُهُما (٧) : صَدَقَ ، وهو يزيد بن هارون ، [وقال له] (٨) : نَمْ نَوْمَةَ العروس ، فلا رَوْعَةَ بعدها عليك .

= [انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ٢٦٩ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٣١ - ٢٣٣ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٣٦٠ - ٣٦٨ ، وطبقات الصوفية ص ٨٣ - ٩٠ ، وطبقات الأولياء ص ٢٨٠ - ٢٨٥ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٦٥ - ٦٨ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٧٢ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٢٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٣٣٩ - ٣٤٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٦٠] .

(١) هو يزيد بن هارون السُّلمىّ ، أبو خالد الواسطى ، أحد الأعلام الحفاظ المشاهير ، ولد سنة ١١٨ هـ ، وكان حافظًا مُتقنًا ، ثقة ، ثبْتًا ، اجتمع فى مجلسه سبعون ألف رجل .. وتوفى سنة ٢٠٦ هـ .
[انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٧ - ٣٢٠ ، وطبقات الصوفية ص ٥٧ « حاشية » عن خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٧٤] .

(٢) التبعات : جمع تَبِعَة ، وهى ما تطلُبُه من ظُلَامَة ونحوها . وفى « م » : « النعمات » . والأولى هى الأوجه والمناسبة للسياق .

(٣) فى « ص » : « وقَوْلى » .

(٤) فى « ص » : « وصبرى على الحق » .

(٥) فى « م » : « وقال » خطأ من الناسخ .

(٦) فى « ص » : « ... أنفض لحيتى البيضاء من التراب » .

(٧) فى « م » : « إحداهما » خطأ من الناسخ .

(٨) مابين المعقوفين لم يرد فى « ص » .

فصـــل
فى الثناء على الميت

عن أبى الأسود الدِّيلى (١) قال : « قَدِمْتُ المدينة ، وقد وقع بها مرضٌ ، فَجَلَسْتُ إلى عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فَمَرَّتْ بِى جنازة ، فَأُثْنِىَ على صاحبها خَيْرًا ، فقال عمر : وَجَبَتْ .. ثم مَرَّتْ أُخرى ، فَأُثْنِىَ عليها شَرًّا .. فقال : وَجَبَتْ .. قال أبو الأسود : فقلت : وما وَجَبَتْ يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ كما قال رسول الله ﷺ : « أيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ له أربعون – وفى رواية أربَعَة – بخيرٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ .. قُلنا : وثلاثة ؟ قال وثلاثة .. قلنا : واثنان ؟ قال : واثنان .. قال : ثم لم نسأله عن الواحد » (٢) . أخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

---

(١) فى « م » : « الديلمى » تحريف . والتصويب من سنن النسائى ج ٤ ص ٥١ ، والترمذى ج ٤ ص ٢٨٠ و ٢٨١ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٣٧٩ و ٣٨٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٣٣ . وهو : ظالم بن عمرو بن سفيان ، وكنيته أبو الأسود الدِّيلى ، ويُقال : الدُّؤَلى – الأولى بياء من غير همزٍ مع كسر الدال ، والثانية بالضَّمِّ مع الهمزة المفتوحة – وقد حَدَّث عن عمر بن الخطاب ، وأبى ذرٍّ ، وأبى موسى الأشعرى ، وعمران بن حصين ، وهو أول من تكلم فى النحو ، وشهد مع علىٍّ « صِفِّينَ » ، وكان مُتَشَيِّعًا ، وكان ذا فهم وذكاءٍ وعقلٍ ولسانٍ وحَزْمٍ .

(٢) هكذا فى « ص » .. والحديث فى « م » فيه اضطراب وخلط من الناسخ .. وقد رُوِىَ بعدة روايات [وأخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب ثناء الناس على الميت ج ٢ ص ١٢١ و ١٢٢ ط الشعب ، وأخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنائز ، باب مَنْ أُثْنِىَ عليه خيرًا أو شرًّا من الموتى ج ٧ ص ١٨ و ١٩ بشرح النووى ، ورواه النسائى فى سُننه فى كتاب الجنائز ، باب الثناء ج ٤ ص ٤٩ – ٥١ بشرح السيوطى ، ورواه الترمذى فى صحيحه فى أبواب الجنائز ، باب ماجاء فى الثناء الحسَن على الميت ج ٤ ص ٢٧٩ – ٢٨١ ، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الجنائز ، باب ماجاء فى الثناء على الميت ج ١ ص ٤٧٨ ، وأخرجه أبو داود فى كتاب الجنائز ، باب فى الثناء على الميت ج ٣ ص ٢١٥] .

وفى خبرٍ آخر : فقال له عمر : يارسول الله ، ماوَجَبَتْ ؟ فقال عليه السلام : « أنتم شهداء الله فى الأرض ، فَمَنْ أثْنَيْتُم عليه خيرًا وَجَبَتْ له الجنة ، ومَنْ أثْنَيْتُمْ (١) عليه شرًّا وجبت له النار » .

وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، عن النبى ، ﷺ ، فيما يرويه عن رَبِّه عَزَّ وجَلَّ ، أنه قال : « ما مِنْ عبد مسلم يشهدُ له ثلاثةٌ أو اثنان (٢) بخير إلَّا قال الله تعالى : قد قبلتُ شهادةَ عبادى على عبدى ما عَلِمُوا (٣) ، وغفرتُ له ما أعلم » . [وفى رواية « .. يشهد له ثلاثة بيوت من جيرانه الأدنين بخير إلَّا قال : قد قبلتُ شهادة عبادى .. »] (٤) . رواه أحمد ، رضى الله عنه ، فى مُسنده . وفى حَدِيثٍ (٥) :

« إنَّ المسلمين شهداءُ الله فى الأرض ، والملائكة شهداءُ الله فى السماء » .

وعن رَوْح بن عبادة القيسى (٦) قال : حَدَّثَنى ابنُ عَوْن (٧) قال : كان

---

(١) فى « م » : « أثنيت » تصحيف . وما أثبتناه هنا عن البخارى ومسلم وغيرهما .

(٢) فى « ص » : « اثنان من جيرانه الأدنين » .

(٣) فى « ص » : « على ما علموا » .

(٤) مابين المعقوفين عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) من قوله : « رواه أحمد » إلى هنا عن « ص » وساقط من « م » .

(٦) فى « م » : « روح بن عقبة الكرابيسى » .. وفى « ص » : « روح بن عتبة الكرابيسى » . وكلاهما تحريف ، والصواب ما أثبتناه عن ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٥٨ - ٦٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ . وهو روح بن عبادة القيسى البصرى ، أبو محمد ، سمع ابن عَوْن ، وحسينًا المعلم ، وابن أبى عروبة وطبقتهم . وكانت وفاته سنة ٢٠٥ هـ .

(٧) فى « ص » : « ميمون » . وفى « م » : « عون » بدون « ابن » . والصواب ما أثبتناه عن المصدرين السابقين ، وهو : عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى البصرى ، أبو عون ، سمع القاسم ابن محمد ، ونافعًا ، وابن سيرين ، ومجاهدًا ، والشعبى ، وإبراهيم النخعى ، وموسى بن أنس بن مالك ، وسعيد ابن جبير وغيرهم . وكانت وفاته سنة ١٥١ هـ ، وكان من سادات أهل زمانه عبادة وفضلاً وورعًا ونسكًا .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٦ و ١٥٧ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٤١٩ و ٤٢٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٢ و ٣٥٣] .

عندنا دَاعِرٌ فمات ، فتحاماه الناس [(١)] ورموا به على ظَهْرِ الطريق ، قال : فجلستُ أُفكر فيه ، فَنِمْتُ ، فإذا أنا بطائِرَيْنِ أَبْيَضَيْنِ ، فقال أحدهما لصاحبه : اُدْخُلْ فَانْظُرْ هل تَرَى خيرًا ؟ قال : فدخل من يافوخه ثم خرج وهو يقول : مارأيتُ خيرًا .. قال : فلا تَعْجَلْ .. فدخل الثانى فى يافوخه ثم خرج من أَخْمَصِ [(٢)] قَدَمَيْهِ وهو يقول : الله أكبر ، كلمة لاصِقَةٌ بطحاله ، وهو يشهد أَنْ لا إله إلّا الله .. فقلتُ للناس : هَلُمُّوا ، فإنى رأيتُ كَيْتَ وَكَيْتَ [(٣)] .

* * *

---

(١) تحاماه الناس : تَجَنَّبُوهُ . وقوله « فمات » .. قبلها – عن « ص » .

(٢) ف « م » و « ص » : « خمصان » . والأخمص : باطن القدم الذى يتجافى عن الأرض .

(٣) كيت وكيت : كناية عن القصة والأحدوثة ، وقد تُكسَر التاء ، ولا تُستعملان إلّا مكررتين .

فصـــل

فى حياة الشهداء

قال الأَعْمَش [(١)] : قال عبد الله بن مُرَّة [(٢)] : أَمَا إِنَّا قد سأَلْنَا عن أرواح الشهداء ، فقال : « جُعِلَتْ فى أجواف [طُيُورٍ] [(٣)] خُضْرٍ تأْوِى إلى قناديل تحت العرش ، تَسْرَحُ من الجنة حيث شَاءَتْ ، فَاطَّلَعَ عليهم ربهم [(٤)] اطِّلاعَةً فقال : هل تشتهون شيئًا فأزيدكم ؟ قالوا : وما نشتهى ونحن فى الجنة نَسْرَحُ منها حيثُ نَشَاءُ ؟ [ثم اطَّلَعَ إليهم الثانية فقال : هل تستزيدون شيئًا فأزيدكم ؟ فلما رَأَوْا أنهم لن يُتْرَكُوا ، قالوا : تُعِيدُ أَرْوَاحَنَا فى أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فَنُقْتَل فى سبيلك مرة أُخرى] [(٥)] وتُقْرِئَ نَبِيَّنَا مِنَّا السَّلام ، وتخبر قومنا أنْ قد رضينا ، ويُرْضَى عنا » [(٦)]. رواه الترمذى وقال : هذا حديث حَسَنٌ صحيح .

---

(١) هو سليمان بن مِهْران الأسدىّ الكاهلىّ ، أصله بن بلاد الرىّ ، ولد سنة ٦٠ أو ٦١ هـ ، رأى أنسَ بن مالك وحفظ عنه ، ورَوَى عن خلق كثير ، وكان عالمًا بالقرآن والحديث والفرائض ، وكان رأسًا فى العلم النافع والعمل الصالح ، نشأ بالكوفة وبها توفى سنة ١٤٨ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ١٣٥ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣ - ١٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٤ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٢٤ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٠ - ٤٠٣ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٤٢ - ٣٤٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٣١١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٦] .

(٢) هو عبد الله بن مُرَّة الخارق الهَمْدانى الكوفى ، محدث ثقة ، وثقهُ ابن معين وأبو زرعة والنسائىّ وابن سعد والعجلى وابن حبان ، رَوَى عن عبد الله بن عمر ، والبراء بن عازب ، ومسروق وغيرهم ، وَرَوَى عنه الأعمش ومنصور . وكانت وفاته سنة ١٠٠ هـ . وقال ابن سعد : توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز .

[انظر رجال صحيح البخارى ج ١ ص ٤٢٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٩١] .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » ولم ترد فى « م » .

(٤) فى « م » : « ربك » . وفى « ص » : « فاطَّلَعَ ربُّك عليهم » . وما أثبتناه عن رواية الترمذى .

(٥) مابين المعقوفتين ساقط من « م » سهوًا من الناسخ ، وقد أثبتناه عن المصدر السابق .. وفى « ص » : « قالوا : تردّ أروَاحَنَا فى أجسادنا فَنُقْتَل فى سبيلك مرة أخرى ... » .

(٦) فى « ص » : « أنْ قد رضينا ورُضِىَ عنا » .

=

وقال جابر : « لَمَّا قُتِلَ أَبِى عبدُ الله بنُ عَمْرو بن حَرَام (١) يَوْمَ أُحُدٍ ، لَقِيَنِي رسول الله ، ﷺ فقال : ياجابرُ ، أَرَاكَ منكسرًا (٢) !! فقلتُ : يارسول الله ، ﷺ ، استُشْهِدَ أَبى وتَرَكَ عيالًا (٣) وَدَيْنًا .. قال : أَلَا أُبشِّرك بما لَقِىَ (٤) اللهُ به أَبَاكَ ؟ قلتُ : بَلَى يارسول الله .. قال : ما كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاء حجاب ، وكَلَّمَ أَبَاكَ كفاحًا (٥) فقال : ياعبدى ، تَمَنَّ (٦) عَلَىَّ أُعْطِكَ .. قال : تُحْيِينى فَأُقْتَلُ فى سبيلك (٧) ثانية .. فقال الرَّبُّ تعَالَى : إنه قد سَبَقَ منى أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ . قال : يارَبِّ ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِى (٨) فَأَنْزَلَ الله تعالى : ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُوا فى سبيل الله أمواتًا ، بل أحياءٌ عند ربهم يُرْزَقُون ﴾ (٩) . رواه ابن ماجه فى السنن كذلك .

* * *

= [انظر نص الحديث فى صحيح الترمذى ، فى أبواب التفسير – تفسير سورة آل عمران ، تفسير قوله تعالى : ﴿ بل أحياء عند ربهم يُرْزَقُون ﴾ . ج ١١ ص ١٣٩ و ١٤٠ بشرح ابن العربى] .

(١) هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة ، أبو جابر الأنصارىّ الخزرجىّ السَّلَمىّ ، من أَجِلَّاء الصحابة ، كان أَحَدَ النقباء الاثنى عشر ، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وشهد بدرًا ، واستُشْهِدَ يوم أُحُد سنة ٣ هـ ، ودُفِنَ هو وعمرو بن الجموح – رضى الله عنهما – فى قبر واحد .. قال النبى ﷺ : « ادفنوهما فى قبر واحد ، فإنهما كانا مُتَصَافِيَيْن مُتَصَادِقَيْن فى الدنيا » .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١١١ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٦ و ٣٤٧ ، والمُحَبَّر لابن حبيب ص ٢٧٠ و ٢٨٠] .

(٢) فى « م » : « منكسر » خطأ ، والصواب بالنصب .

(٣) فى « م » : « عائلا » تصحيف .

(٤) فى « م » : « أبشرك الله مالقى » تصحيف من الناسخ . وفى « ص » : « مالقى » .

(٥) كفاحًا ، أى : مُوَاجَهَةً ، ليس بينهما حجابٌ ولا رسول .

(٦) فى « م » : « تمنى » خطأ ، والصواب حذف الياء .

(٧) فى « ص » : « فَأُقْتَلُ فيكَ » .

(٨) فى « م » : « فَأَبْلِغْ من وراء حجاب » . وما أثبتناه هنا عن « ص » وابن ماجه .

(٩) سورة آل عمران – الآية ١٦٩ ، والحديث رواه ابن ماجه فى سُننه ، فى كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة فى سبيل الله ، ج ٢ ص ٩٣٦ – الحديث رقم ٢٨٠٠ .

فصــل

فى تلقين الميت بعد موته

قال سعد بن عبد الله : شهدتُ أبا أُمَامَةَ وهو فى النزع فقال : إذا مِتُّ فاصنعوا كما أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أنْ نصنع بِمَوْتَانا .. قال : « إذا مات أحدُكُم فَسَوَّيْتُمْ على قبره ، فَلْيَقِفْ أحدكم على رأس قبره وَلْيُقُلْ : يافلانُ ابنُ فُلانَة ، فإنه يسمعُ [1] ولا يُجيب .. ثم يقول : يافلان ابن فلانة ، فإنه يقول : أَرْشِدْنا – يرحمك الله [2] . ولكن لا تشعرون [3] ، فَلْيَقُلْ : اذكُرْ ما خَرَجْتَ عليه من الدُّنْيَا : شهادَةَ أنْ لا إله إلّا الله ، وأنَّ محمدًا رسولُ الله ، ﷺ – أو قال : عبده ورسوله – وأنَّكَ رَضِيتَ بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ، وبالقرآن إمامًا .. فإنَّ مُنْكَرًا ونكيرًا يأخذُ [4] كُلُّ واحدٍ منهما بيد صاحبه ويقول : انْطَلِقْ ، ما نَصْنَعُ عند مَنْ لُقِّنَ حُجَّتُهُ » .. رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء .

* * *

---

(١) فى « ص » : « يسمعه » .

(٢) فى « م » : « الله يرحمك » .

(٣) فى « م » : « لا يشعرون » .

(٤) فى « م » : « فأما منكر ونكيرًا يأخذ » هكذا . لا تصح لُغَةً .

فصــل
فى الأضحيّة على الميت

رَوَى أبو طلحة [١] عن النبى ، ﷺ : « أنَّهُ ضَحَّى بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ ، وقال عند ذبح الأول : عن محمد وآلِ محمد .. وقال عند ذبح الثانى : عَمَّنْ آمَنَ بِى وصَدَّقَنِى من أُمَّتِى » .

وفى حديث آخر : « كان إذا ضَحَّى يشترى كَبْشَيْنِ سَمِينَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ ، فإذا صَلَّى وخطبَ للناسِ أَتَى [٢] أحدهما فذبحه بنفسه ويقول : عن محمد وآل محمد ، فيطعمهما جميعًا للمساكين ، ويأكل وأهله فيهما ، فمكثنا سنين ليس رجل من بنى هاشم يُضَحِّى ، قد كفاه اللهُ المُؤْنَةَ برسول الله ، ﷺ » . [رواه أحمد بن حنبل فى مسنده] [٣] .

---

(١) هو الصحابى زيد بن سهل بن الأسود ، وهو مشهور بكنيته (أبى طلحة الأنصارى) من النقباء والبدريين ، وهو زوج أم سُلَيم بنت مِلْحان أم أنس بن مالك ، وهو الذى حفر قبر رسول الله ﷺ ، وَلَحَّدَهُ . وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى عبيدة بن الجَرَّاح ، وكان يرمى بين يدى رسول الله ﷺ يوم أُحُد ، ورسول الله ﷺ خلفه ، فكان إذا رَمَى رفع رسول الله ﷺ شخصه لينظر أين يقع سهمه ، فكان أبو طلحة يرفع صدره ليقى رسول الله ويقول : « هكذا يارسول الله ، لا يصيبك سهم ، نحرى دون نحرك ، ونفسى دون نفسك » . وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يقول : « صوتُ أبى طلحة فى الجيش خيرٌ من مائة رجل » . وقد قتَلَ يوم « حُنَيْن » عشرين رجلًا وأخذ أسلابهم . ورُوِىَ عن أنسٍ أن أبا طلحة قرأ سورة براءة – التوبة ، [بعد أن تقدمت به السن] – فأتى على هذه الآية : ﴿ انْفِرُوا خفافًا وثقالًا ﴾ قال : أَرَى ربى يستنفرنى شابًا وشيخًا ، فقال جَهِّزُونِى ، فقال له بنوه : قد غزَوْتَ مع رسول الله ﷺ حتى قُبِضَ ، ومع أبى بكر ، ومع عمر ، فنحن نغزو عنك . فقال : جَهِّزُونِى ، فجهَّزُوهُ ، فركب البحر فمات ، فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلَّا بعد سبعة أيام ، فلم يتغيَّر . وقيل : توفى بالمدينة وهو ابن سبعين سنة . وقال المدائنى : مات أبو طلحة سنة إحدى وخمسين . وفى تاريخ وفاته اختلاف . [انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ ، وج ٦ ص ١٨١ و ١٨٢] .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » سقط منها قوله : « فإذا صلى » وفيها : « وخطَبَ الناس ثم أتى ... » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » .

وفى حديث آخر : « هذا عَنِّى وعَمَّنْ لم يُضَحِّ من أُمَّتى » . وُرُوِىَ عن علىّ بن أبى طالب ، كَرَّمَ الله وجهه ، أنه كان يُضَحِّى عنه أبدًا .. وقال يحيى : فأنا أُضَحِّى عنه إلى اليوم . [رواه] أبو داود [1] .

وعن عبد الله بن بريدة [2] عن أبيه ، قال : « مَنْ ضَحَّى عن وَالِدَيْهِ – أو عن أَبَوَيْهِ – مَيِّتَيْنِ ، فله أجره كاملاً وأجر الميت ، ويقال لروحه : إنَّ فلانًا ضَحَّى عنك – أو تَصَدَّقَ عنك » .

وقال أبو العباس بن السراج [3] : سمعتُ عَلِيَّ بْنَ الموفق [4] يقول : حَجَجْتُ عَلَى رِجْلَىَّ ستين حَجَّة ، ثلاثون منها عن رسول الله ﷺ . [قال أبو العباس : وأنا أقتدى بعلىّ بن الموفق ، حَجَجْتُ عن رسول الله ﷺ] [5] سَبْع حجج ، وقرأتُ عنه سبعمائة ختمة ، وجعلت أعمالى كلها له .

---

(١) مابين المعقوفتين من عندنا – والحديث رواه أبو داود فى سُننه فى كتاب الضحايا ، باب الأضحيّة عن الميت ، ج ٣ ص ٩٤ .

(٢) فى « م » و « ص » معًا : « عبد الله بن يزيد » تحريف ، والصواب ما أثبتناه . وهو عبد الله ابن بُرَيْدَة بن الحُصَيْب الأسلمىّ المروزىّ ، من ثقات التابعين ، حَدَّثَ عن أبيه ، وعن عائشة ، وسمرة ابن جندب ، وعمران بن حُصين ، وأبى موسى الأشعرى ، وغيرهم ، وكانت وفاته سنة ١١٥ هـ ، وقد عاش مائة سنة ، بعد أن نشر علمًا كثيرًا .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٢ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٩٦ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٠٩ – ترجمة بريدة بن الحُصَيْب] .

(٣) هكذا فى « م » و « ص » . وقد ورد الحديث بنصه فى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١١١ عن أبى العباس محمد بن « إسحاق » الثقفى – وليس ابن السراج كما هو هنا – قال : سمعت على بن الموفق .. الخ .

(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « عن أبى الموفق » تحريف . وهو أبو الحسَن على بن الموفق ، من كبار العُبَّاد ، حج نيفًا وخمسين حجة . وحَدَّث عن منصور بن عمَّار ، وأحمد بن أبى الحوارى ، ورَوَى عنه أحمد بن مسروق الطوسى ، وعباس بن يوسف الشكلى ، وجعفر بن عبد الله بن مجاشع ، وغيرهم . وكانت وفاته سنة ٢٦٥ هـ .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١١٠ – ١١٢ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣١٢ ، وطبقات الأولياء ص ٣٤٠ – ٣٤٢ ، وجامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٣١٤] .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » وتاريخ بغداد وساقط من « م » .

وقال معروف الكرخى : جاءَنى شابٌ فقال : يا أبا محفوظ ، رأيت فى النوم أبى ، فقال : يابُنَىَّ ، ما يمنعك أن تهدى إلَىَّ كما تهدى الأحياء إلى أمواتهم ؟ فقلتُ له : يا أَبتِ ، ما أُهْدِى إليك ؟ قال : تقول : يا عليم ، ياقدير ، اغْفِرْ لى ولوالدى ، إنك على كل شيء قدير . قال : فجعلتُ أقولها ، فرأيتُ أبى فى النوم ، فقال : يابُنَىَّ ، وصَلَتْ إلَىَّ هديتك .

وعن عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، قال : « كان النبى ﷺ إذا فرغ مِنْ دَفْنِ الميت قال : استغفروا لأخيكم [وسَلُوا الله له التَّثبُّتَ] (١) فإنه الآن يُسْأَل » .

وفى حديث آخر : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَتْبَعُهُ أمثال الجبال من الخير فيقول : إنَّ هذا لم أَعْمَلْهُ !! قيل : هذا استغفار وَلَدِكَ لَكَ (٢) من بعدك » .. وقد وَرَدَ : « مَنْ دَخَلَ المقابر واستغفرَ لهم [فكأنَّمَا] (٣) شَهِدَ جنائِزَهُم » .

* * *

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٢) فى « ص » : « ولد لك » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » .. ولم ترد فى « م » .

فصــل
فى الصَّلَاةِ على الميت

رَوَى أبو هريرة قال : قال رسول الله ، ﷺ : « ما مِنْ مُسلم يُصَلِّى عليه مائة إلَّا أُدْخِلَ الجنة » .. وعن عائشة ، رضى الله عنها ، أنَّ النبى ﷺ قال : « ما مِنْ مَيِّتٍ يموت فَيُصَلِّى عليه أُمَّةٌ من المسلمين يَبْلُغُونَ [١] مائةً يَشْفَعُونَ له [٢] إلَّا شُفِّعُوا فيه » رواه مسلم [٣] .

ورُوِىَ عن ابن عباس أنه مات ابن له بِقُدَيْدٍ أو بِعُسْفَانَ [٤] ، فقال لبعض أصحابه : انْظُرْ ما اجْتَمَعَ [٥] من الناس .. قال : فخرجتُ فإذا ناسٌ قد اجتمعوا [له] [٦] فأخبرتُهُ ، فقال : تَقُولُ هُمْ أربعون ؟ قلتُ : نعم .. قال : أَخْرِجُوهُ ، فإنِّى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما مِنْ رَجُلٍ مسلم يموت ، فيقوم على جنازَتِهِ أربعون رجلاً لا يُشْرِكون بالله شيئًا إلَّا شَفَّعَهُم الله فيه » . رواه مسلم [٧] .

وعن أبى المليح [٨] أنه فَسَّرَ الأُمَّة بأربعين رَجُلًا .. وورد أيضًا فى حديثٍ : خمسون ..

---

(١) فى « م » و « ص » : « يبلغوا » . خطأ فى اللغة .

(٢) فى صحيح مسلم : « كلهم يشفعون له » .

(٣) « رواه مسلم » عن « م » . والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنائز ، باب مَنْ صلى عليه مائة شُفِّعُوا فيه ، ج ٧ ص ١٧ بشرح النووى .

(٤) فى « م » : « بقديد وعسفان » خطأ من الناسخ .

(٥) فى رواية مسلم : « ما اجتمع له » .

(٦) مابين المعقوفتين من المصدر السابق ولم يرد فى « م » أو « ص » .

(٧) الحديث رواه مسلم فى كتاب الجنائز ، باب مَنْ صلى عليه أربعون شُفِّعُوا فيه ، ج ٧ ص ١٨ بشرح النووى .

(٨) فى « ص » : « أبى المبلح » تصحيف ، والتصويب من ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٥٧٦ . وهو أبو المليح الهذلى .

فصـــل
فى عِلْم الميت

عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، أنَّ رسول الله ، ﷺ قال : « إنَّ العبد إذا وُضِعَ فى قبره وتَوَلَّى [١] عنه أصحابه يسمع [٢] قَرْعَ نِعَالِهم إذا وَلَّوْا عنه مدبرين » رواه البخارى ومسلم [٣] .

وعن أنس بن مالك ، رضى اللهُ عنه : « أنَّ رسولَ الله ، ﷺ ، كان يُرِينَا مَصْرَعَ أهل بَدْرٍ ، يقول : هذا مصرع فلان غدًا ، وهذا مصرع فلان غدًا إنْ شاء الله تعالى .. قال عمر : فَوَالَّذِى نَفْسِى بيده [٤] ما أَخْطَئُوا الحدود التى حَدَّها رسول الله ، ﷺ ، فَجُعِلُوا فى قَبْرٍ [٥] بعضهم على بعض ، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم ، فقال : يافُلان ابن فلان ، ويافُلان ابن فلان ، هل وجَدْتُم ما وَعَدَ الله ورسوله حقًّا ؟ .. فقال عمر : يارسول الله ، كيفُ تكلم أجسادًا لا أرواحَ فيها ؟! فقال : ما أنتم بأَسْمَعَ لِمَا أقول منهم ، ولكنهم [٦] لا يستطيعون الجواب » [٧] .

---

(١) فى « م » : « فى قبر به وتولوا » وما أثبتناه عن « ص » وهو موافق لرواية مسلم .

(٢) فى « ص » : « لَيَسْمَعُ » .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خَفْقَ النِّعال ، ج ٣ ص ٢٠٥ من فتح البارى . ورواه مسلم من كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت عليه ، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ، ج ١٧ ص ٢٠٣ بشرح النووى . كما رواه أيضًا أبو داود فى كتاب الجنائز ، باب المَشْىِ بين القبور . ورواه النَّسَائىّ فى كتاب الجنائز ، ج ٤ ص ٩٦ بشرح السيوطى .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فَوَالذى بعَثَهُ بالحق » .

(٥) فى « ص » : « فى بئر » .

(٦) فى « م » : « ولكن » .

(٧) فى « ص » : « لا يستطيعون أن يردُّوا شيئًا » .

وعن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، رضى الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ المَيِّتَ يعرف مَنْ يغسله ، ومَنْ يحمله ، ومَنْ يدليه فى قبره » . رواه أحمد فى المسند .

وقد حُكِىَ أن امرأةً كانت تخرج لقبر زوجها ومعها أولادها ، فتخليهم فى المقبرة ، فيكشفون وُجُوهَهُنَّ .. قيل [1] : فرأته فى المنام وهو يقول لها : لا تُكْشِفِى وُجُوهَ بناتى على أهل المقابر .. أَمَا تَعْرِفِينَ أنهم حَوْلى كالأحياء ؟!

وَرُوِىَ أنَّ رجلاً أراد أن يقضى حاجته فى المقبرة ، فكشف عورته ، فصاح به إنسانٌ : استَتِرْ .. أَمَا تَسْتَحِى أن تكشف عَوْرَتَكَ بين أهل القبور [2] ؟!

* * *

(١) فى « م » : « قال » .. ومن قوله : « وقد حُكِىَ ... » إلى نهاية هذا الفصل ، عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

فصـــل
فيمن ظهر عذاب الله له فى القبر

عن عبد الله بن محمود [(١)] قال : كُنت عند ابن عباس ، رضى الله عنهما ، فأتاه رَجُلٌ فقال : أَقْبَلْنَا حُجَّاجًا ، حتى إذا كنا بِالصِّفَاحِ [(٢)] تُوُفِّىَ صاحبٌ لنا ، فحفرنا له قبرًا ، فإذا فيه أَسْوَدُ [(٣)] قد أخذ اللَّحْدَ كُلَّهُ ، ثم حفرنا قبرًا آخر ، فإذا فيه أَسْوَدُ قد أخذ اللحد كله ، فتركناه وآتيناك نسألك فيما تأْمُرُنا به [(٤)] .. قال : ذلك عملُه الذى كان يعمل به ، فادفنوه فى بعضها ، فَوَاللهِ لو حَفَرْتُمُ الأرض كلها لوجدتم ذلك .. قال : فألقيناه فى قبر منهما [(٥)] ، فلما قضينا سفرنا أتينا امرأته ، فسألناها عنه ، فقالت : كان يبيع الطعام فيأخذ قوت أهله كل يومٍ ، ثم ينظر مثله من الشعير والقصب فيقطِّعه فيجعله فى طعامه .

وقال عمرو بن دينار [(٦)] : كان لرجل من أهل المدينة أختٌ فماتت ،

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « عبد الحميد بن محمود » . وكلاهما لم يرد لهما ذكر فى تراجم المُحَدِّثين ، ولعله يريد « عبد الله بن حنين » مولى العباس بن عبد المطلب ، وهو مدنىٌّ ثقة ، وقد رَوَى عن ابن عباس ، وأبى أيوب الأنصارى والمسور بن مخرمة وغيرهم .
[انظر رجال صحيح البخارى ج ١ ص ٤٠١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٨] .

(٢) الصِّفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحَرَم ، على يسرة الداخل إلى مكة من مُشاش . [انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٤١٢ مادة صفاح] .

(٣) الأسود : العظيم من الحَيَّات .

(٤) فى « ص » : « فما تأمرنا ؟ » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « منها » وهى تدل على أنهم حفروا له أكثر من قبرين .

(٦) هو : عمرو بن دينار ، الجُمَحى بالولاء ، أبو محمد الأثرم ، فقيه ، كان مفتى أهل مكة ، وهو فارسىُّ الأصل وُلد بصنعاء سنة ٤٦ هـ ، وتوفى بمكة سنة ١٢٦ هـ . قال شعبة : مارأيتُ أثبت فى الحديث منه . وقال النسائىّ عنه : ثقة ثَبتٌ ، وله خمسمائة حديث . =

فدفنها ورجع ، فذكَرَ أنَّ كيسًا سقط منه فى القبر (١) ، فاستعان برجل من أصحابه ونبشا القبر ، فوَجَدَ الكيس ، فقال للرجل : تَنَحَّ (٢) حتى أنظر على أى حالٍ أختى .. فرفع بعض ماكان على اللَّحْد ، فإذا القبر يشتعل نارًا ، فَرَدَّهُ وسَوَّى القبر ورجع إلى أُمِّه ، فقال : أخبرينى ماكانت تصنع أختى (٣) — أو قال : ماكان حال أختى ؟! قالت : كانت أُخْتُكَ تُؤخر الصلاة ولا تصلى ، وتأتى أبواب الجيران إذا ناموا فتجعل أُذُنَهَا فى أبوابهم لتسمع حديثهم .

وقال عبد المؤمن بن عبد الله القرشى : قيل لِنَبَّاش ، وقد تَابَ (٤) : ما أعجب مارأيت ؟! قال : نبشتُ قبر رَجُلٍ (٥) فإذا هو مُسَمَّرٌ بالمسامير فى سائر جسده ، ومسمار فى رأسه ، وآخر فى رجليه .. وقيل : ما أعجب مارأيتَ ؟ قال : رأيتُ جمجمة إنسان مصبوب فيها الرصاص .

وقيل لآخر (٦) : ماكان سببُ توبتك ؟ فقال : عامَّةُ من كنتُ أنبشه كُنتُ أراه مُحَوَّلَ الوَجْهِ عن القِبْلَة .

وقال أبو المصرخىّ : خرجتُ غازيًا ، فمررتُ ببعض حصون الشام ليلًا ، فوجدتُ بابَ الحصنِ مُغلقًا ومقبرة على الباب ، فجئت بجنب المقبرة بالقُرْب من

= [انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٧٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٣ و ١١٤ ، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٠ ، وفيه تاريخ وفاته سنة ١٢٥ هـ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٦٠] .

(١) فى « ص » : « فذكر أنه نسى كيسًا كان معه فى القبر » .

(٢) فى « ص » : « تنحَّ عنى » أى : ابتعد ومِلْ إلى ناحية .

(٣) فى « ص » : « ماكان حال أختى » وستأتى .

(٤) فى « م » : « ثاب » . وكلاهما بمعنى واحد ، يقال : ثاب إلى الله ، أى : تاب ورجع إليه . والنَّبَّاش : هو الذى يفتش القبور عن الموتى ليسرق أكفانهم وحُلِيَّهم .

(٥) فى « ص » : « نبشتُ رَجُلًا » .

(٦) من هنا إلى قوله : « .. ومن ظلمة القبور علينا » عن « ص » وساقط من « م » .

بئرٍ محفورة ونِمْتُ ، وإذا بهاتِفٍ من القبر يقول : « .. عجبًا ! ما عَجِبْتَ مِنْ ثِقَلِ التُّربِ ومِنْ ظُلْمَةِ القبور علينا ؟ » [١] .

وقال محمد بن خَلَف : حَدَّثنى صديقٌ لى قال : رأيتُ فى منامى كأننى مُجْتَازٌ بمقبرةٍ ، ورأيتُ صديقًا لى جالسًا عند قبره [٢] ، فقلت : يافلان ، ماخبرك ؟ .. فأَخْرَجَ يده فإذا أَثَرُ كِتَافٍ [٣] فيها ، فقلتُ : ماهذا ؟ .. فقال : كنتُ مكتوفًا فاجتاز فلانٌ فوقف على المقبرة وقرأ إحدى عشرة مرة [٤] ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وجعل ثوابها لأهل المقبرة ، فأصابنى ما حَلَّ كِتَافِى ، وهذا أَثَرُهُ .

* * *

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « م » .

(٢) فى « ص » : « عند قبرٍ » .

(٣) الكِتَافُ : ما شُدَّ به من حَبْلٍ ونحوه .

(٤) فى « م » و « ص » : « أحد عشر مرة » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

فصـــل
فى مغفرة [١] الله تعالى للوالد يُحَفِّظُ ولده القرآن

يَرْوِى بُرَيْدَةُ [٢] قال : كنتُ عند رسول الله ، ﷺ ، فسمعتُه يقول : « إنَّ القرآن يَلْقَى صاحبه يوم القيامة كالرجل الشَّاحِب [٣] ، فيقول له : هل تعرفنى ؟! فيقول : ما أعرفك .. فيقول : أنا صاحِبُكَ الذى أظمأتُكَ فى الهواجِر [٤] ، وأسْهَرْتُ لَيْلَكَ [٥] .. قال : فَيُعْطَى المُلْكَ بيمينه والخُلْدَ بشماله ، ويُوضَعُ تاج الوقار على رأسه ، ويُكْسَى والداه [٦] حُلَّتَيْنِ لا يُقَوَّم لهما

---

(١) فى « م » : « فى معرفة » .

(٢) هو بُرَيْدَة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث الأسلمى .. من أكابر الصحابة ، أسلم قبل بدر ولم يشهدها ، وشهد خيبر وفتح مكة ، واستعمله النبى ﷺ على صَدَقَاتِ قومه ، وسكن المدينة ، وانتقل إلى البصرة ، ثم إلى مَرْوٍ فمات بها سنة ٦٣ هـ . وله ١٦٧ حديثًا .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ٥٠ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٠٩ و٢١٠ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٢ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٦٩ - ٤٧١ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٤١ - ٢٤٣ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٢ ص ٤٢٤ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٧٠ ، وفيها توفى سنة ٦٢ هـ] .

(٣) فى « م » : « الصاحب » . تصحيف ، والتصويب من نص الحديث الذى رواه الدارمى فى سُننه ، فى كتاب فضائل القرآن ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٥١ ط دار إحياء السُّنَّة النبوية ، ولفظ الحديث : « إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر كالرجل الشاحب .. » .

(٤) فى الدارمى : « أنا صاحبك القرآن .. » . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى نصف النهار عند اشتداد الحَرِّ .

(٥) بعد هذا فى « ص » : « إنَّ كل تاجر مِنْ وراء تجارته ، وإنّى اليومَ من وراء كل تجارة » . وفى الدارمى : « وإنَّك اليوم من وراء كل تجارة » .

(٦) فى « م » و « ص » : « والده » وما أثبتناه مطابق لنص الحديث .

أهل الدنيا ، فيقولان : بِمَ كُسِينَا هذا ؟ فَيُقَال لهما : بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا القرآن .. ويُقال له : اقْرَأْ وَارْقَ [١] واصْعَدْ فى درَج الجنة وغُرَفها .. فهو فى صعود مادام يقرأ حَذْرًا أو ترتيلًا » [٢] .

وقد أُثبت فى هذا الحديث أنه بمجرد تعليم ولدهما [٣] القرآن يحصل لوالديه مِنْ تعَلُّمِهِ هذا الثواب الجزيل ، فإذا قَرَأَهُ [٤] قاصدًا وصول الثواب إليهما ، كان من طريق التنبيه ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [٥] . وحُصُولٌ بعُمُومِهِ أن يلحقهما ثواب تعلُّمه القرآن ، وإنْ كان التعليم بعد موتهما ، إذْ لم يَخُصَّ [٦] حالَ الحياة دون الممات ، بل عمومُه [٧] شامِلٌ لجميع الحالات .

* * *

---

(١) فى « م » : « وارق » خطأً ، والصواب حذف الياء .

(٢) فى « م » : « هدرًا » تصحيف ، والحَذْرُ : الإسراع فى القراءة . وفى « ص » : « هَذًّا » وهى بمعنى الحَذْرُ .. وفى الدارمى : « مادام يقرأ هَذًّا كان أو ترتيلًا » . والهَذُّ فى القراءة غير محمود أو مُستَحَبّ .

(٣) فى « م » : « ولدكما » .

(٤) فى « م » : « قرأتَ » .

(٥) سورة الإسراء – من الآية ٢٣ .

(٦) فى « م » : « إذ لم يحصل فى حال الحياة » .

(٧) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « بعد عمومه » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فصـــل

فيمن أُجِيزَتْ وصيتُه بعد مماته

لَمَّا كان يوم اليمامة [١] خرج ثابت بن قيس [٢] مع خالد بن الوليد إلى مُسَيْلِمَة [٣] ، فلما لقوا العَدُوّ وانكشفوا ، قال ثابتٌ وسالمٌ مولى أبي حذيفة :

---

(١) فى « م » و « ص » : « يوم القيامة » تصحيف من الناسخ .

(٢) هو ثابت بن قيس بن شَمَّاس الخزرجيّ الأنصارى ، صحابيٌّ كان خطيبَ رسول الله ﷺ ، شَهِدَ أُحُدًا وما بعدها من المشاهد .. وعن أنس بن مالك ، أن رسول الله ، ﷺ ، افتقدَ ثابتَ بن قيس ، فقال : « مَنْ يعلم لى علمه ؟ فقال رجل : أنا يارسول الله ، فذهب فوجده فى منزله مُتَكِّسًا رَأْسَهُ . فقال : ما شأنك ؟ قال : شرٌّ ، كُنْتُ أرفعُ صوتى فوق صوت رسول الله ﷺ ، فقد حَبِطَ عَمَلِى ، وأنا من أهل النار ! فرجع الرجلُ إلى رسول الله فأعلمه - فرجع إليه ببشارة عظيمة - فقال رسول الله ، ﷺ للرجل : اذْهَبْ فَقُلْ له : لَسْتَ من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة » .

واستُشْهِدَ ثابتٌ يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصِّدِّيق سنة ١٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٩٨ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٧٥ و ٢٧٦] .

(٣) فى « م » : « مسلمة » . وفى « ص » : « مسيلة » وكلاهما تحريف .

وهو مُسَيْلِمَةُ الكذّاب ابن ثمامة بن حبيب الحنفى الوائلى ، مُتنبِّئٌ وُلِدَ ونشأ باليمامة ، وهو من المعمرين . ويضرب بكذبه المثل فيقال : « أكذب من مسيلمة » . وقد جاء فى وَفْدٍ من بنى حنيفة فأسلموا - وذلك بعد فتح مكة - ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبى ﷺ : « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلامٌ عليك ، أمَّا بعد ، فإنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معك ، وإنَّ لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكنَّ قريشًا قوم يعتدون » .. فأجابه : « بسم الله الرحمٰن الرحيم : من محمد رسول الله ، إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهُدَى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يُورثها مَنْ يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » . وكان ذلك فى أواخر سنة ١٠ هـ ، وتوفى النبى ﷺ قبل القضاء على فتنته ، فلما انتظم الأمرُ لأبى بكر انتدبَ له أعظم قواده « خالد بن الوليد » على رأس جيش قوى ، هاجم ديار بنى حنيفة ، وصمد هؤلاء ، فكانت علّة من استُشهد من المسلمين - على قِلَّتِهم فى ذلك الحين - ألفًا ومائَتَى رجلٍ ، منهم أربعمائة وخمسون صحابيًا .. وانتهت المعركة بظفر المسلمين ومقتل مسيلمة سنة ١٢ هـ .. ولا تزال إلى اليوم آثار قبور الشهداء من الصحابة ظاهرة فى قرية « الجبيلة » بقرب « العيينة » =

ما هكذا [١] كنا نقاتل مع رسول الله ، ﷺ ، فحفر كل واحد منهما حفرة وثَبَتَا فيهما ، وقَاتَلا حتى قُتِلاَ ، وعَلَى ثابت يومئذ درع ثمين [٢] – أو قال : نفيس – فمر به رجل من المسلمين فأخذه ، فبينما رجل من المسلمين نائم إذْ أتاه ثابت فى منامه فقال : إنى مُوصِيكَ بوصية ، فإيَّاك أنْ تقول إنه حلم [٣] .. إنى لمَّا قُتِلْتُ أمس مَرَّ بى رجل من المسلمين فأخذَ دِرْعِى ، ومَنْزِلُه فى أقصى النَّاس ، وعند خبائه فَرَسٌ يَسْتَنُّ فى طِوَلِه [٤] ، فَأْتِ خالد بن الوليد فَمُرْهُ أنْ يبعث درعى فيأخذه منه ، فإذا قَدِمْتَ [٥] المدينة على خليفة رسول الله ، ﷺ ، فَقُلْ [٦] له إنِّى عَلَىَّ من الدَّيْنِ كذا وكذا ، وفلان من رقيقى عتيق ، وفلان .. فَأَتَى الرَّجُلُ خالدًا [٧] وأخبره ، فبعث إلى الدرع وأُتِى به [٨] ، وحَدَّث أبا بكر برؤياه .. فلا يُعْلَمُ أحدٌ [٩] أُجِيزَتْ وصيتُه بعد موته غير ثابت ، واسْتُشْهِدَ باليمامة .

= حيث كانت الواقعة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢٦ ، ونسب قريش ص ٣٢١ ط دار المعارف ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٩٤ ومابعدها ، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٣ – ٢٤٩ وصفحات أخرى متفرقة ، وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٨١ – ٣٠١ وصفحات أخرى متفرقة ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٢٨ – ٣٣١ وصفحات أخرى متفرقة ، وفيها عدد ما قُتل من أتباع مسيلمة من عشرة آلاف قتيل إلى واحدٍ وعشرين ألفًا ، ومن المسلمين من خمسمائة إلى ستمائة شهيد ، والله أعلم بذلك . وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٣] .

(١) هنا اضطراب فى السياق فى « م » . والتصويب من أسد الغابة و « ص » .

(٢) فى « ص » : « درع له نفيس » وستأتى . وفى أسد الغابة : « درع نفيسة » والدرع مؤنثة فى الغالب ، وقد تُذَكَّر . وهى قميص من حلقاتٍ من الحديد متشابكة ، يُلْبَسُ وقاية من السلاح .

(٣) فى أسد الغابة : « فإيَّاكَ أن تقول هذا حلم فتضيعه » .

(٤) هكذا فى « ص » والمصدر السابق .. وفى « م » : « يبين » . تصحيف . واسْتَنَّ الفرسُ : عَدَا لِمَرَحِهِ ونشاطه شوطًا أو شَوْطَيْن ولا راكبَ عليه . والطِّوَلُ : الحبل الطويل يُشَدُّ أحد طرفيه فى وتد أو غيره ، والطرف الآخر فى يد الفَرَس ليدور فيه ويرعَى ولا يذهب لوجهه .

(٥) فى « ص » : « قَدِمَ » . أى « خالد » .

(٦) فى « ص » : « فَيَقُلْ » .

(٧) فى أسد الغابة : « فاستيقظ الرجل فأتى خالدًا فأخبره » .

(٨) فى « ص » : « وأخذه » .

(٩) فى « ص » : « فلا نعلم أحدًا » .

فصــل
فى صلاة الأنبياء فى قبورهم
وفيمن فُتح قبره من الشهداء فلم يُرَ تغيُّرًا
فى جسمه ، وَوُجِدَ لم يَبْلَ ودمه يسيل

روى أنس بن مالك قال ، قال رسول الله ﷺ : « مررتُ على موسى عليه السلام ليلة أُسْرِىَ بى فى الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره .. » وقد ذكرنا فيما تقَدَّمَ حديث ثابت البنانى أنه رُئِىَ فى قبره وهو يصلى .. فالحمد لله الذى جعل مِنْ أُمَّة محمد ، ﷺ ، كَنَبِىٍّ .

وقال جابر بن عبد الله : كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أنْ يجرى عَيْنًا إلى « أُحُد » [١] . وكتب إليه عامله أنها لا تجرى إلَّا على قبور الشهداء ، فكتب إليه أنْ أنفذها [٢] ، قال : فسمعت جَابِرَ بن عبد الله ، رضى الله عنه ، يقول : فرأيتُهُم يُخرجونَ عَلَى أَرْطَابَ الرجال [٣] كأنهم رجالٌ نُوَّمٌ ، حتى أصابت المسحاة [٤] قدم

---

(١) أى : جبل أُحُد .. وفى « م » : « أن يجرى عينًا إلَّا على قبور الشهداء » وقد سقطت منها كلمات سهوًا من الناسخ .

(٢) أى : احفرها .

(٣) أى : رجال أجسادهم رطبة كأنهم ماتوا بالأمس ولم تبل أجسادهم : وفى « م » و « ص » : « رقاب » مكان « أرطاب » . وما أثبتناه عن أسد الغابة ج ٢ ص ٥٥ (ترجمة حمزة بن عبد المطلب » . وهو الأوجه .

(٤) فى « م » : « المساحة » تصحيف ..والمسحاة : المجرفة التى يُسْتَخَى بها الطين أو التراب ، اى : يُجْرَف .

حمزة بن عبد المطلب [١] ، فانبعثت دمًا ، وكان له مقدار أربعين سنة [٢] .

وجماعة فى [٣] جبانة مصر من الصالحين حُفِرَ عليهم بعد سنين ، فَوُجِدُوا لم يَبْلَوْا ، وفاح من قبر أحدهم مِسْكٌ أَعْبَقَ الجَبَّانَة [٤] .. وبعضهم وُجِدَتْ أكفانه جديدة

وحَكَى لنا بعضُ الحفَّارين بمصر ، قال : حفرتُ على فقيه بعد سبعين سنة ، فوجدتُ جَسَدَهُ [٥] أبيضَ لم يَبْلَ .. وقيل إنه الشافعى ، رضى الله عنه .

وكان بعض الصالحين [يقول] [٦] : لو حفروا عَلَىَّ بعد مائة سنة لَوُجِدْتُ لم أَبْلَ ، فاتفق أنه مات وَلَدُ وَلَدِهِ بعد مائة سنة ، فَحُفِرَ عليه فَوُجِدَ لم يَبْلَ .. وحُفِرَ على ابن شمعون الواعظ بعد أربعين سنة ، وكان دُفِنَ فى بيته ، وحُوِّل إلى مقبرةِ أحمد بن حنبل ، رضى الله عنهما ، وأكفانه تقعقع [٧] .. ولمّا دُفِنَ أحمد بن حنبل – رحمه الله – رَأى رجلٌ [٨] فى النوم كأنَّ قائلاً يقول : هذا ثواب « أحمد » قد فُرِّقَ على أهل المقابر .

---

(١) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو عمارة ، عم النبى ﷺ ، وأخوه من الرضاعة ، أرضعتهما « ثُوَيبة » مولاة أبى لهب ، وهو أسَنُّ من رسول الله ﷺ بسنتين ، وقيل بأربع ، والأول أصح ، ولد سنة ٥٤ قبل الهجرة بمكة ، وكان أحد صناديد قريش وسادتهم فى الجاهلية والإسلام .. شَهِدَ بدرًا ، وكان يقاتل فيها بسيفين ، واستُشْهِدَ يوم أُحُد ، سنة ٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٧٨ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥١ – ٥٥] .

(٢) فى « ص » : « فانبعث دمًا بعد أربعين سنة » .. والرواية فى أسد الغابة : « قال جابر : استصرخنا على قتلانا يوم أُحُد ، يوم حفر معاوية العين ، فوجدناهم – أى الشهداء – رطابًا يتثنون – زاد عبد الرحمٰن : وذلك على رأس أربعين سنة – وزاد جرير بن حازم ، عن أيوب : فأصاب المرُّ (أى المسحاة ، أو مقبضها) رِجْلَ حمزة ، فطار منها الدم » . [المصدر السابق ص ٥٥]

(٣) فى « م » : « عن » .

(٤) أى : ملأها برائحة الطِّيب والمِسْك .

(٥) فى « ص » : « خدّه » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » ولم يرد فى « م » .

(٧) أى : جديدة يصدر منها صوت ، أو لم تبل أو تتأثر بمرور الزمن . وأصل القعقعة : صوت السلاح ونحوه .

(٨) فى « م » : « رجلا » خطأ ، والصواب بالرفع .

ذكر قبور الصحابة والقرابة والتابعين والعلماء والأولياء الصالحين والأقطاب العارفين بالقرافة ... وذكر ما ورَدَ من أحوالهم ، وذكر إيابهم ، رضى الله عنهم أجمعين [١]

عَمْرو بن العاص [٢] :

هو أبو عبد الله عَمْرِو بنِ العَاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيْد – بضم السين وفتح العين – بن سهم [٣] بن عمرو [٤] بن كعب بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان السَّهْمى القُرَشِى ، أحد أُمراء رسول الله ، ﷺ ، يُكْنَى أبا عبد الله ، وقيل أبا محمد ، وأُمُّه النابغة [٥] بنت حرملة – وقيل حُرَيْمِلَة .

---

(١) فى « م » : « قبر » مكان « قبور » .. وقد كرر الناسخ لفظ « العلماء » و « الأولياء » سهوًا منه .

(٢) هذا العنوان من عندنا . [وانظر ترجمة عمرو بن العاص فى الأعلام ج ٥ ص ٧٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٤٤ – ٢٤٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٤ – ٧٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٥٤ – ٢٦١ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٨٥ و ٢٨٦ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٤ ، والحُلَّة السيراء ج ١ ص ١٣ – ١٧ ط دار المعارف ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٥٣ ، ووفيات الأعيان ج ٧ ص ٢١٢ – ٢١٥ ، ونسب قريش ص ٤٠٩ – ٤١١ ، وجمهرة أنساب العرب ص ١٦٣] .

(٣) فى « م » : « سعيد بن سعد بن سعد بن سهم » . وما أُثبتناه عن أُسد الغابة ونسب قريش وجمهرة أنساب العرب . وسُعَيد وسَعد أخوان . وجاء ذِكْر عمرو بن العاص ونسبه فى « ص » مختصرًا عما ورد فى « م » .

(٤) فى « م » : « عمر » وقد سقطت الواو سهوًا من الناسخ . وفى أُسد الغابة : « سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب » .

(٥) لم يرد لها ذِكْر فى « ص » .. وفى « م » : « النابتة » تصحيف ، والصواب ما أُثبتناه ، وهى : سلمى بنت حرملة ، وتُلَقَّبُ بالنابغة ، من بنى عَنَزة ، أصابتها رماح العرب وأُخِذَتْ سَبِيَّة ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جُدْعَان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل ، فولدت له فأنجبتْ .

[انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٢٤٤ ، وجمهرة أنساب العرب ص ١٦٣ ، ونسب قريش ص ٤٠٩ ، وغيرها من المراجع المذكورة بالهامش رقم « ٢ »] .

قَدِمَ على النبى ﷺ فى سنة ثمانٍ قبل الفتح بأشْهُرٍ مع خالد بن الوليد ، وسلمان بن طلحة - كما سيأتى بيانه - مُسْلِمًا - وقيل : بل أسلم بين الحُدَيْبِيَة وخَيْبَر .. وَاخْتُلِفَ فى قبره ، فذكر حَرْمَلَة [١] صاحب الشافعى أنه فى قبر عقبة ابن عامر [٢] .. وذكر قَوْمٌ أنه غربى الخندق وشرق المشهد .. ولم يَبْلُغْنَا فى تاريخ مصر [٣] أن عَمْرو بن العاص خرج من مصر بعد أن وليَهَا لِمُعَاوية ، رضى الله عنهما ..

وكان عَمْرو بن العاص تاجرًا [٤] فى الجاهلية ، وكان يختلف بتجارته إلى مصر من الأدَمِ [٥] والعِطْر .. فَقَدِمَ مَرَّةً بذلك ، فأتى الإسكندرية ، فوافق عيدًا لهم يجتمعون فيه ويلعبون ، فإذا هَمُّوا [٦] بالانصراف اجتمع أبناء الملوك وأحضروا كُرَةً لهم [٧] فَتَرَامَوْا بها بينهم ، وكان من فعالها [٨] المتعارف عندهم : مَنْ وقَعَتْ فى حجره مَلَكَ الإسكندرية ، أو قالوا : مَلَكَ مصر .. فجعلوا يترامون [٩] بها وعمرو فى النَّظَّارَة [١٠] إذ طارت

---

(١) هو حَرْمَلَة بن يحيى التُّجيبِىُّ بالولاء ، نسبة إلى قبيلة « تُجيب » - وقيل اسم امرأة نُسِبَ إليها أولادها - كان إمامًا جليلًا رفيعَ الشأن ، وُلِدَ فى مصر سنة ١٦٦ هـ ، وكان حافظًا للحديث ، رَوَى عن الإمام الشافعى ، وعبد الله بن وهب ، وغيرهما ، وتوفى فى مصر سنة ٢٤٣ هـ .
[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٧٤ ، وطبقات الشافعية ج ٢ ص ١٢٧ - ١٣١ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٤ و ٦٥ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٧٢ و ٤٧٣] .

(٢) هو الصحابى الجليل عقبة بن عامر الجهنى ، وستأتى ترجمةٌ مفصلة له .

(٣) فى « ص » : « فى تاريخ من تواريخ مصر » .

(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « وكان عمر تاجر » . لا تصح .

(٥) الأدَم : الجلود . وبضم الهمزة والدّال : جمعُ إدَامٍ ، وهو ما يُستَمْرَأُ به الخبز ، وما يُؤْتَدَمُ به .

(٦) فى « م » : « هو » ، تصحيف .

(٧) فى « م » و « ص » : « أحضروا أُكَرَة لهم عملها حكما » هكذا - والأُكرة هى الكرة أيضًا . وقد تكررت بهذا اللفظ الأخير مرتين فى « م » و « ص » وأيضًا فى حُسن المحاضرة للسيوطى .

(٨) فى « ص » : « من شأنها » .

(٩) فى « م » : « يتراموا » خطأ لغوى .

(١٠) فى « م » : « فى العطارة » تصحيف من الناسخ . والنَّظَّارة : القوم ينظرون إلى الشىء .

الكرة [١] فسقطت فى حجره ، فعجبوا من ذلك وقالوا : ما كَذَبَتْنَا هذه الكرة قَطُّ إلّا هذه المرة .. وأنّى لهذا الأعرابىّ أنْ يملك الإسكندرية ؟! هذا مالا يكون [٢] .

فلما فَتَحَ المسلمون الشام ، خَلَا [٣] عَمْرو بأمير المؤمنين عُمر بن الخطّاب ، رضى الله عنهما ، واستأذنه فى المسير إلى مصر ، وقال : إنّى عالمٌ بها وبطُرُقِهَا ، وهى أقل شىء مَنَعَةً ، وأكبر أمرًا .. فكَرِه أمير المؤمنين عمر الإقدام على مَنْ فيها مِنْ جموع الروم ، وجعل عَمْرو يُهَوِّنُ أمْرَها ، وقد أمَرَ أصحابه أن يتسلّلوا [٤] فى الليل ، ثم اتبعهم ، فبعث إليه عمر أنْ كُنْ قريبًا منى [٥] حتى أستخير الله تعالى ، وذلك سنة ١٨ من الهجرة النبوية [٦] .

---

(١) فى « م » : « غارت الأكرة » .. وفى « ص » : « عادت » والأخيرة صواب .

(٢) فى « م » : « وأنّى لهذا الرجل الأعرابى بِمُلْك الإسكندرية ؟ هذا مايكون » . والصواب : « هذا مالا يكون » . وقد أثبتناه عن « ص » .. وهذه القصة انفرد بها السيوطى – فى حُسن المحاضرة – وحده من دون المؤرخين ، وتناقلتها بعض كتب التاريخ الحديثة على أنها قصة صحيحة ، وهى لا تثبت للنقد والتحليل العقلى والمنطقى ، وليس لها أصل صحيح ، وعَدّها بعض الكُتّاب حديثُ خرافة من خرافات المؤرخين الأولين ، وهى من وضع القصّاصين والوضّاعين الذين حشروها وحشروا الكثير غيرها بين ثنايا التاريخ الإسلامى لغاية فى نفوس أعداء الإسلام .

[انظر حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٩٤ و ٩٥ ، وفضائل مصر للكندى ص ٥٠ . وانظر « عمرو بن العاص » لصابر عبده إبراهيم من ص ١٤ – ٢١ سلسلة أعلام الصحابة] .

(٣) فى « م » : « فلما مضيت » .. وفى « ص » : « فلما مضَتْ فتح المسلمين للشام فَخلا .. » .

(٤) فى « م » : « يتسلسلوا » . تحريف .

(٥) فى « م » : « فبعث إليه عمرك قريبًا منى » . قوله « عمرك » تصحيف .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « سنة سبع وعشرين » ولا يصح ذلك ، وقد اختلفت الروايات فى فتح مصر ، فابن كثير وابن الأثير يقولان سنة ٢٠ هـ ، والبلاذرى ذكر مسير عمرو إلى مصر فى سنة ١٩ هـ ، والطبرى مابين ١٩ – ٢٥ . وأصح الروايات أنه اخترق صحراء سيناء حتى وصل إلى العريش ، وصادف يوم وصوله العاشر من ذى الحجة سنة ١٨ هـ . وهو الموافق للثانى عشر من ديسمبر سنة ٦٣٩ م .

[انظر فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢١٩ ومابعدها – فتوح مصر والمغرب . وانظر عمرو بن العاص لصابر عبده إبراهيم ص ٧٣] .

ورَوَى راشد ، مَوْلَى حبيب بن أوس الثقفى [١] قال : حدثنى عمرو بن العاص [٢] قال : لمَّا انصرفنا يوم الأحزاب نحو الخندق ، جمعتُ رجالًا من قريش كانوا يرون برأيى ، ويسمعون منى ، فقلت لهم : تعلمون والله أنّى أرَى أمْرَ محمد يعلو الأمور عُلُوًّا كبيرًا [٣] .

وأنّى قد رأيتُ أمرًا ، فما تأمرون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيتُ أنَّ ٱلْحَقَ بالنَّجَاشِيِّ [٤] – أو قال : نلحق بالنجاشي – فنكون عنده ، فإن ظَهَرَ محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشى ، فإن نكون تحت يده أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن ظَهَرَ قومنا فنحن مَنْ قَدْ عَرَفُوا بأنْ يأتينا منهم خير [٥] . قالوا : إنَّ هذا [هو] [٦] الرأى .. قلتُ : فَاجمعوا له أُدَمًا [٧] كثيرًا ، فجمعوه ، فخرجنا حتى قَدِمْنَا عليه ، فَوَاللهِ إنَّا لعنده إذْ جاء عمرو بنُ أُمَيَّة الضَّمْرِىّ [٨] وكان رسول الله ﷺ قد بعثه [٩] إليه فى شأن جعفر والصحابة ، فدخل عليه ومعه كتابان [١٠] ، يدعوه فى أحدهما

---

(١) هو راشد بن جندل اليافعى ، مُحَدِّثٌ مصرى ، رَوَى عن مولاه حبيب بن أوس ، وعن أبى أيوب فى بَرَكة الطعام مع التسمية ، ورَوَى عنه يزيد بن أبى حبيب .. وَثَّقَه ابن حِبَّان . وقال : يروى المراسيل .
[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٥ ، وحُسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٧] .

(٢) فى « م » و « ص » : « حدثنى .. مِنْ فيه » أى : من فمه شفاهة .

(٣) فى « م » : « عُلُوًّا منكرًا » .

(٤) فى « ص » : « رأيت بأن نلحق بالنجاشى » وستأتى .

(٥) فى « م » : « خيرًا » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) مابين المعقوفتين من عندنا .

(٧) فى « م » : « واجمعوا أُدَمًا » والأَدَمُ : الجلود المدبوغة ، وقد مَرَّتْ .

(٨) هو عَمْرو بن أُمَيَّة بن خُوَيْلد الضَّمْرِىّ ، صحابىٌّ ، أسلم قديمًا وهاجَرَ إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة ، وأول مَشَاهِدِه « بئر معونة » .. وأرسله رسول الله ﷺ إلى النجاشىّ يدعوه إلى الإسلام سنة سِتٍّ ، وكتب على يده كتابًا ، فأسلم النجاشىُّ ، وأمَرَهُ أن يُزَوِّجَهُ أُمَّ حبيبة ويرسلها ويرسل مَنْ عنده من المسلمين .. وعاش عمرو بن أمية أيام الخلفاء الراشدين ، وشهد وقائع كثيرة عَلَتْ بها شهرته . وكانت وفاته بالمدينة فى خلافة معاوية ، نحو سنة ٥٥ هـ .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٣ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩٣ و ١٩٤] .

(٩) فى « م » : « وكان دعاه رسول الله وبعثه » .

(١٠) فى « م » : « كتابين » خطأ فى اللغة ، والصواب ما أثبتناه . ومن قوله : « ومعه كتابان .. » =

إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن ، فأخذ النجاشى كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه ، ونزل عن سريره فجلس على الأرض ، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامه ، وشهد شهادة الحق وقال : لو كنتُ أستطيع أنْ آتِيه لآتيتُهُ .. وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه ، وإسلامه لله ربِّ العالمين على يد جعفر بن أبى طالب . وكان جعفر مِمَّنْ هاجر إلى الحبشة .. وفى الكتاب الثانى يأمره أن يُزَوِّجَهُ بأُمِّ حبيبة ، بنت أبى سفيان ، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسَدِىّ ، فتنصَّر هناك ، وأمَرَهُ رسول الله ﷺ أن يبعث إليه مَنْ قِبَلَهُ مِنْ أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة ، وأن يحملهم ، ففعل ، وَزَوَّجَ رَسُولَ الله ﷺ أمَّ حَبِيبَةَ ، وأَصْدَقَها أربعمائة دينار ، وأَمَرَ بجهازها وما يصلحهم ، وحملهم فى سفينة مع عمرو بن أُمَيَّة ، وجعل كِتَابَىْ رسول الله ﷺ فى حُقٍّ من عاج وقال : لن تزالَ الحبشةُ بخيرٍ ماكان هذان الكتابان بين أظْهُرِهَا .

فلما دخل عمرو بن أمية عند النجاشى لم نكن عنده ، ولم نَدْرِ ما وَقَع كما ذُكر ، ثم خرج من عنده لمحل الضيافة كعادة الرُّسُل [١] ، فقلت لأصحابى : هذا عمرو بن أمية قد خرج من عند النجاشى [٢] ، فلو دخلتُ على النجاشى فسألته إيَّاه فأعطانيه فضربتُ عُنقه ، فإذا فعلت ذلك رَأَتْ [٣] قُرَيشٌ أنّى قد أجزأتُ عنها حين قَتَلْتُ [٤] رسولَ محمد ﷺ .. قال : فدخلتُ على النجاشى فسجدتُ له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبًا بصديقى .. أهْدَيْتَ [٥] لى من بلادك شيئًا ؟ قال : قلتُ : نعم أيها الملك ، أهديتُ لك أدمًا كثيرًا .. قال : ثم قربتُه إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلتُ له : أيها الملك ، إنى قد رأيتُ رَجُلًا

= إلى قوله : « كعادة الرسل » عن « م » وساقط من « ص » .

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) قوله : « قد خرج من عند النجاشى » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٣) فى « م » : « رأيت » تصحيف .

(٤) فى « م » : « قلت » لا تصح .

(٥) فى « م » : « هديت » .

خرج من عندك ، وهو رسول رَجُلٍ عَدُوٌّ لنا [١] ، فَأَعْطِنيهِ لأَقْتُلَهُ !! فغضب .. ثم مَدَّ يده وضربَ بها أَنْفَهُ ضربةً [٢] ظننتُ أنه كَسَرَه [٣] ، فلو انشقت [٤] الأرض لَدَخلْتُ فيها خوفًا منه [٥] .. فقلت : أيها الملك ، والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتُكَ عنه [٦] .. قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رَجُلٍ يأتيه النّامُوسُ الأكبر الذى كان يأتى [٧] موسى لتقتله ؟! فقلت : كذلك هو ؟! قال : ويحك ياعمرو ! أَطِعْنِى واتَّبِعْهُ [٨] ، فإنه .. والله - لَعَلَى الحق ، وَلَيَظْهَرَن على مَنْ خالفه كما ظهر موسى عليه السلام على فرعون وجنوده .. قال : فقلت : أتبايعنى على الإسلام ؟ قال : نعم .. فبسط يده - أو قال : يديه - فبايعته على الإسلام ، ثم خرجتُ إلى أصحابى . وقد حال رأيى عَمَّا [٩] كنتُ عليه ، وكتمتُ إسلامى عن أصحابى [١٠] ، وخرجتُ عامدًا إلى رسول الله ، ﷺ ، فلقيتُ خالدَ بن الوليد ، وذلك قُبَيْلِ الفتح ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام القَسْمُ [١١] ، وإنَّ الرجلَ لَنبِىٌّ ، اذهبْ واللهِ فأَسْلِمْ ، فحتى متى [١٢] ؟ قال : قلتُ : والله ماجئتُ إلَّا لأُسْلِمَ .

---

(١) فى « ص » : « هو عدو لنا » .

(٢) فى « م » : « ضرة » ، تصحيف .

(٣) فى « ص » : « قد كَسَرَه » .

(٤) فى « ص » : « اتسعت » .

(٥) فى « ص » : « فَرَقًا منه » وهى بمعناها .

(٦) فى « ص » : « فيه » .

(٧) فى « م » : « كايأتى » ، تصحيف .

(٨) فى « م » : « أعطنى واتبه » ، تصحيف .

(٩) فى « م » : « كما » تحريف . وحَالَ : تغيَّر .

(١٠) فى « ص » : « وكتمت أصحابى إسلامى » .

(١١) القَسْم : الرأى .

(١٢) فى « ص » : « لأسْلم » . وحتى متى ، أى : حتى متى تظل على الشِّرك .

قال : فَقَدِمْنَا على رسول الله ، ﷺ ، المدينة ، فَتَقَدَّمَ خالد بن الوليد فأسلمَ وبايَعَ ، ثم دنوتُ فقلتُ : يارسول الله ، إنى أُبايعك أنْ يُغْفَرَ لى ما تقدَّمَ من ذنبى ولا أذكر ما تأخر .. فقال رسول الله ﷺ : « ياعمرو ، بَايِعْ ، فإن الإسلام يَجُبُّ ماقبله [١] – وفى رواية محمد بن إسحاق : يهدم ماكان قبله – وإنَّ الهجرة تجبُّ ماكان قبلها » . قال : فبايعتُه ثم انصرفتُ .

ورُوِىَ عن عمرو بن العاص ، رضى الله عنه ، أنه قال : بعَثَ إلَىَّ رسول الله ﷺ فقال : « خُذْ عليك ثيابك وسلاحَك » .. قال : فأخَذْتُ علَىَّ ثيابى وسلاحى ، ثم أقبلتُ إلى رسول الله ، ﷺ ، فوجدتُه يتوضَّأُ ، فَصَوَّبَ النظر ثم طأطأهُ ، ثم قال : « ياعمرو ، إنى أُريد أنْ أبعثك على جيش يغنمك الله ويسلمك [٢] ، وأرغب إليك رغبة من المال صالحة » . فقلت : والله يارسول الله ما أسلمتُ للمال ، ولكن أسلمت رغبة فى الإسلام ، وأن أكون معك .. فقال : « ياعمرو [٣] ، نِعْمَ المال الصَّالح مع الرجل الصالح » [٤] .

فَوَجَّهَهُ رسول الله ﷺ إلى السلاسل [٥] من بلاد قُضَاعَة فى ثلاثمائة ، فكتب إلى رسول الله ﷺ يستمدُّهُ ، فأَمَدَّهُ بجيش فيه مائتا فارس من المهاجرين والأنصار من أهل الشرف ، منهم أبو بكر وعمر ، رضى الله عنهم .

---

(١) « ما قبله » عن « م » . ويَجُبُّ : يقطع ويمحو .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « وسلمك » . تصحيف .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فقال عمرو » والقائل هنا الرسول .

(٤) قوله : « مع الرجل الصالح » عن « ص » ولم ترد فى « م » .

(٥) السلاسل : ماء بأرض جُذَام ، وبذلك سُمِّيت غزاة « ذات السلاسل » .. وقال أبو حاتم ابن حِبَّان : غزوة « السلاسل » كانت فى أيام معاوية ، وغزوة « ذات السلاسل » كانت فى أيام النبى ﷺ .. وفى غزوات الرسول وسراياه لابن سعد أن « ذات السلاسل » وراء وادى القرى ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمانٍ من مُهاجَر رسول الله ﷺ .

[انظر غزوات الرسول وسراياه لابن سعد ص ١٣١ سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، وانظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢٣٣ مادة « السلاسل »] .

ورُوِىَ عن عمرو بن العاص ، رضى الله عنه ، أنه كان يقول : يا أيها الناس ، ما أَبْعَدَ هَدْيَكُم من هَدْيِ رسول الله ﷺ !! كان نبيكم ﷺ أزهد الناس فى الدنيا ، وأنتم أرغب الناس فى الدنيا .. وكان يقول : مَنْ عاتب رَجُلًا بأكثر من عقله فقد ظلمه .

ورَوَى عُقبة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أسلمَ الناسُ وآمَنَ عَمْرو بن العاص » .. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى الرَّجُلَ يتلجلج فى كلامه قال : خالقُ هذا وخالقُ عَمْرو بن العاص واحدٌ .

وفاة عمرو بن العاص – وقبره :

ولَمَّا حضرتْ عَمْرَو بنَ العاص الوفاةُ دَمَعَتْ عيناه ، فقال له ولده عبد الله : يا أبتِ ، أَجَزَعٌ مِنَ الموتِ يَحْمِلُكَ على هذا ؟! قال : لا ، ولكن مِمَّا بعد الموت .. وذكر له عبد الله مواطِنَهُ التى كانت مع رسول الله ، ﷺ ، والفتوح التى كانت بالشام ، فلما فرغ عبد الله من ذلك ، قال : قد كنتُ على طِبَاق [1] ثلاثة ، لوْمِتُّ على بعضها علمت ماتقول .. بعث الله محمدًا ﷺ وكنتُ أَكْرَهَ الناسِ لِمَا جاء به ، أتمنَّى لو أنى قتلتُه [2] ، فلو مِتُّ على ذلك لقَالَ النَّاسُ مات عمرو مُشركاً [3] ، عَدُوًّا لله ورسوله ، من أهل النار ، ثم قذف اللهُ الإسلامَ فى قلبى ، فأتيتُ رسول الله ، ﷺ ، فبسطَ إلَىَّ يده يُبايعنى ، فقبضتُ يدى [4] ثم قلتُ : أُبايعك على أنْ يُغْفَر لى ماتقدم من ذنبى ، وأنا أظن حينئذٍ أنّى لا أُحْدِثُ حدثًا فى الإسلام . [فقال رسول الله ﷺ : إنّ الإسلام] [5]

---

(١) طباق : أحوال .. وفى طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٥٨ : « كنت على أطباق ثلاث » وهى بمعناها ، والحال تُذكَّر وتُؤنَّث .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « وكنتُ أكره الناس إليه [الصواب : له] فلو أنى قتلته .. » والأخيرة تصحيف من الناسخ .

(٣) فى « م » : « مشكرا » ، تصحيف .

(٤) فى « م » : « يده » ، تصحيف .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

يَجُبُّ ماقبله من خطيئة ، وإنَّ الهجرة تُحْبِطُ [ما] [(١)] بينها وبين الإسلام ، فلو متُّ على هذا الطريق لقال الناس : أسلم عمرو وجاهد مع رسول الله ﷺ ، نرجو لعمرو عند الله كثيرًا ، ثم أَصَبْتُ إماراتٍ ، وكانتْ فِتَنٌ ، وأنا مُشْفِقٌ من هذا الطَّبَق [(٢)] ، راجٍ لرحمة الله ، فإذا أخرجتمونى فأسرعوا بى ، ولا تَتْبَعْنِى نائحة ، ولا نادٍ ، وشدُّوا علىَّ إزارِى فإنى مخاصمٌ ، وسنُّوا عَلَىَّ التراب سنًّا [(٣)] ، فإن يمينى ليست بأحق بالتراب من شمالى ، ولا يدخلن القبر خشبة ولا طوب ، ثم إذا دفنتمونى [(٤)] فامكثوا عندى قَدْرَ نَحْرِ جَزُورٍ وتقطيعها [فإنِّى] [(٥)] أستأنس بكم .

وكان عَمْرو بن العاص أولَ أمير على مِصْرَ فى الإسلام من حين افتتحها سنة عشرين إلى مَقْتَل عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وولى أيضًا لعثمان حين فُتحت الإسكندرية ، وولى أيضًا لمعاوية بن أبى سفيان من ذى القعدة الحرام سنة ثمانٍ وثلاثين إلى أن توفى بمصر ليلة الفطر ، سنة ثلاثٍ وأربعين [وقيل سنة إحدى وخمسين] [(٦)] ، ذكره ابن يونس فى تاريخه ، وصلى عليه ولده عبد الله [صَبِيحَة الفطر قبل أن يصلى صلاة العيد ، وكان أبوه استخلفه على الصلاة ، ورَوَى له النَّسَائىُّ ، والتِّرمِذِىُّ ، وابن ماجَه ، وأبو داود] [(٧)] .. ودُفن بالمقطم من ناحية الفج [(٨)] وكان طريقَ الناس يومئذ إلى الحجاز ، فأحب أن يدعو له

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » . وتُحبط : تُبْطِلُ .

(٢) أى : من هذا الحال .

(٣) أى : صبُّوا علىَّ التراب صبًّا سهلًا .

(٤) فى « م » : « دفنتونى » .

(٥) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا .. والجَزُور : مايصلح للذبح من الإبل ، ولفظه أنثى ، يُقال للبعير : هذه جَزُورٌ سمينة .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٨) فى « م » : « ناحية الفتح » تصحيف من الناسخ ، وما أثبتناه عن « ص » وحسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٢٢٤ . وعن وفاته قال ابن الجوزى : « إنه دُفِنَ بالمقطم فى ناحية الفج ، وكان طريق =

كُلُّ مَنْ يمر [(١)] به .

قال أبو عبد الله محمد بن جعفر القضاعي ، قاضي مصر ، في كتابه : لا يُعْرَفُ لواحد منهم [(٢)] قبر ، يعني الخمسة الذين ماتوا بمصر ، غير قبرين ، أحدهما [(٣)] : قبر عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، ذكر قومٌ أنه غربي الخندق ، وشرق المشهد ، والآخر عقبة بن عامر الجهني ، ذُكر أنَّ أبا حَفْص ابن غزال الحضرمي [(٤)] دَلَّ عليه الناسَ ، وذكَرَ أنه قبل [(٥)] قبر ذي النون المصري مما يلي الشرق ، وهو أشهر من قبر عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، ولم يبلغنا في تاريخ من تواريخ مصر أن عمرَو بن العاص خرج من مصر بعد أن وَلِيَهَا لمعاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما . وذُكِرَ أنَّ ثلاثةً [(٦)] في قبرٍ واحِد .

وقد رُوِيَ أنه لَمَّا ذَكَرَ [(٧)] « المُقَوْقَسُ » جبلَ المقطم وقال لَيُدْفَنُ تحته ماهو خيرٌ من الشجر .. لَيُقْبرنَّ قومٌ يبعثهم الله يوم القيامة لا حسابَ عليهم ، فقال عمرو : « اللَّهُمَّ اجعلني منهم » قال حَرْمَلَة : فرأيتُ أنا قبر عمرو بن العاص ،

= الناس إلى الحجاز » . وفي وفيات الأعيان ج ٧ ص ٢١٥ اقتصر على أنه دُفن بسفح المقطم ولم يحدد المكان الذي دُفن فيه من هذا السفح . وفي كتاب كنز الجوهر في تاريخ الأزهر ص ١٥ ذُكِرَ أنه مدفون بحوش أبي عليٍّ ، بقرب الإمام اللَّيْث . وفي كتاب عمرو بن العاص لصابر عبده ص ١٢٤ أنه – أي عمرو بن العاص – دُفِنَ بجوار المقطم ، قريبًا من قبر الإمام الشافعي ، في مكان لا يزال مجهولًا إلى الآن .. وانظر مابعده .

(١) في « ص » : « مَرَّ » .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ص » : « وما يُعْرَف لواحدٍ من هؤلاء » .

(٣) في « م » : « إحداهما » خطأ لغوي .

(٤) في « م » : « أبا جعفر » تصحيف . وهو العالم العلَّامة المقرىء ، شيخ مصر أبو حفص ابن غزال بن عمر الحضرمي . [انظر الكواكب السيارة ص ٢٨٧] .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ص » : « قِبْلي » .

(٦) في « ص » : « الثلاثة » . وهم : عمرو بن العاص ، وأبو بصرة الغفاري ، وعقبة بن عامر ، رضي الله عنهم ، وسيأتي هذا بعد قليل .

(٧) في « ص » : « وعن عمرو بن العاص أنه لمَّا مَدَح ... » .

وقُبِرَ فيه أبو بَصْرَة الغِفَارِىّ (١) ، وعُقْبَة بن عامر الْجُهَنِى (٢) ، رَضِىَ الله عنهم (٣) أجمعين .. [ولأهل مصر [عن] عمرو بن العاص عشرون حديثًا .

* * *

---

(١) هو أبو بصرة الغفارى ، اخْتُلِفَ فى اسمه ، فقيل : حُمَيْل ، بضم الحاء المهملة ، وقيل : جميل : بالجيم المعجمة ، وقيل غير ذلك ، والمشهور : حُمَيْل بن بصرة بن وقاص بن حبيب بن غفار ، صحابىٌّ ، لقيه أبو هريرة ، ورَوَى عنه ، وذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة . وفى أسد الغابة : حَدَّثَ عنه عمرو بن العاص ، وأبو هريرة ، وأبو تميم الجَيْشَانى ، وغيرهم . وقد سكن مصر ، وله بها دار . وسيأتى ذكره بعد قليل .

[انظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٥٠ ، وج ٢ ص ٦١ و ٦٢ ، وج ٦ ص ٣٤ و ٣٥ ، وانظر الإكمال لابن ماكولا ج ٢ ص ١٢٦ و ١٢٧ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٦ ، وفضائل مصر للكندى ص ٤٤] .

(٢) هو عقبة بن عامر بن عَبْس بن مالك الجُهَنى ، أميرٌ من الصحابة ، كان رديف النبى ﷺ ، وشهد صِفِّين مع معاوية ، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وولى مصر سنة ٤٤ هـ ، وعُزِلَ عنها سنة ٤٧ هـ .. كان شجاعًا ، فقيهًا ، شاعرًا ، قارئًا ، من الرُّماة .. وهو أحَدُ مَنْ جَمَعَ القرآن ، قال ابن يونس : ومصحفه بمصر إلى الآن (أى إلى عصر ابن يونس) بخطه ، وفى آخره : وكتبه عقبة ابن عامر بيده .. وتوفى عُقبة بمصر سنة ٥٨ هـ . وفى القاهرة « مسجد عقبة بن عامر » بجوار قبره ، وله ٥٥ حديثًا ، وسيأتى ذكره بعد قليل .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤٠ ، وحُسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٠ ، وفضائل مصر ص ٣٨ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٥٣ و ٥٤ ، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٦٧ – ٤٦٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٣٤٣ و ٣٤٤ ، والتاريخ الكبير ج ٦ ص ٤٣٠ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٨ و ٩ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٤] .

(٣) فى « م » : « عنهما » . وما بعد ذلك ، من قوله : « ولأهل مصر ... » عن « م » وساقط من « ص » إلى آخر ترجمة عقبة بن نافع .

عقبة بن نافع (١) :

ولعمرو هذا أخٌ لأمِّه (٢) ، وهو : عقبة بن نافع بن فهر بن مالك ، وَلَّاهُ إفريقية – ذكره عبد البر – وهو من أعيان الصحابة ، رضى الله عنهم (٣) ، دخل مصر واختط بها ، ثم خرج منها غازيًا ، فقتله البربر سنة ٦٣ من الهجرة .

ومما روى فى الصحيح أنَّ النبى ، ﷺ ، رأى كأنه فى دار عقبة بن نافع ، فَجِيءَ إليه برطب يُسَمَّى « طابًا » (٤) وهو نوع معروف بالمدينة ، فأَوَّلْتُهَا « الوقعة » ، وأنَّ ديننا قد طاب لنا (٥) .

وحكى صاحب تاريخ إفريقية أن عقبة بن نافع لمَّا دخل إلى إفريقية ، وهو مُقَدَّمٌ على الجيش ، قيل : إنَّ الوادى [كان] (٦) مملوءًا بالسِّباع

---

(١) هذا العنوان من عندنا و لم يرد فى « م » وجاء مكانه فى « ص » ترجمة « عقبة بن عامر الجهنى » . وستأتى .

وعقبة بن نافع هذا هو : عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموى الفهرى ، فاتح ، من كبار القادة فى صدر الإسلام ، وهو بانى مدينة القيروان ، ولد فى حياة النبى ﷺ سنة ١ قبل الهجرة ، وشهد فتح مصر ، ووجهه عمرو بن العاص إلى إفريقية سنة ٤٢ هـ واليًا ، فافتتح كثيرًا من تخوم السودان ، وكُوَرِها فى طريقه ، وعلا ذِكْرُه ، فولَّاه معاوية إفريقية استقلالًا سنة ٥٠ هـ ، وسيَّر إليه عشرة آلاف فارس ، فتوغل فى بلاد إفريقية ، ففتح حصونًا ومُدُنًا . وكان – رحمه الله – مُجابَ الدعوة – استشهد سنة ٦٣ هـ ، ودُفن بِالزَّاب عند « تهودة » بالمغرب الأقصى .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤١ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٥٩ و ٦٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٣٢ – ٥٣٤ ، والتاريخ الكبير ج ٦ ص ٤٣٥ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٠ ، وتاريخ الطبرى ج ٥ ص ٢٤٠] .

(٢) وقيل : ابن خالته [انظر المصادر السابقة] والمرجح أنه أخوه لأمِّه .

(٣) وقيل : لا تصح له صُحْبَة [انظر بعض المصادر السابقة] .

(٤) فى « م » : « طاب » خطأ ، والصواب بالنصب ، وهو نوع من تمر المدينة منسوب إلى « طاب » – رجل من أهل المدينة .

(٥) لم أقف على هذا الحديث فيما لدىَّ من مصادر .

(٦) مابين المعقوفين سقط سهوًا من الناسخ ، وإلَّا لجاءت « مملوءًا » بالرفع على أنها خبرٌ لإنَّ ، لا بالنصب كما وردتْ هنا .

والحيَّات ، فَصَلَّى ثم دعا ، فرأينا السِّبَاعَ تحملُ أشبالَها ، ورأيتُ الحيَّاتَ تخرج من تحت الشجر .. وكان مُجَابَ الدعوة .. وكان ينزل إلى الوادى وما فيه ماءٌ ، فيدعو الله سُبحانه وتعالى ، فيسقيهم ببركة دعائه .. وفى بعض الآثار أن رسول الله ، ﷺ دعا له فقال : اللهم أجب دعوته ، فكان لا يدعو الله إلَّا استجاب له .. وكان الناس يسألونه الدعاء لِمَا يَرَوْنَ من بركة دعائه .. ولأهل مصر عنه أحاديث ، وله عَقِبٌ بالقرافة .

صفة عمرو بن العاص [١] :

وكان من صفته – يعنى عمرو بن العاص – أنه أسمر ، نحيف [٢] ، كبير الرأس ، أَدْعَجُ ، أَبْلَجُ [٣] ، وقد تقدم طرف يسير من أخباره ..

وترك عمرو بن العاص لولده بعد موته مائة قنطار ذهب ، وسبعة [٤] قناطير فضة ، فَتَوَرَّعَ عنها عبد الله بن عمرو ، ولم يلتمس [٥] منها شيئًا .

وكان عبد الله بن عمرو المذكور – رضى الله عنهما – إمامًا زاهدًا ، عالمًا ، وَرِعًا ، وهو أحد العبادلة الذين [٦] يدور عليهم العلم .. والعبادلة أربع : عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ، وعبد الله بن عباس الهاشمى ، عَمّ النبى [٧] ، وعبد الله بن الزبير بن العَوَّام الأَسَدِى ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص بن وائل السَّهْمِىّ ، ومناقبه غير محصورة ، والله تعالى أعلم] [٨] .

---

(١) هذا العنوان من عندنا .

(٢) فى « م » : « نحيفًا » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) أَدْعَجُ ، أى : شديد سواد العين فى شدة بياضها .. وأَبْلَج ، أى : وضَحَ مابين حاجِبَيْه فلم يقترنا ، يعنى : لم يكن مقرون الحاجبين .

(٤) فى « م » : « وسبع » خطأ فى اللغة والصواب ما أثبتناه .

(٥) هكذا فى « م » ، وهو بمعنى « يطلب » .. وتورَّع عنها : تركها تَوَرُّعًا .

(٦) فى « م » : « الذى » تصحيف .

(٧) يريد : عباس بن عبد المطلب بن هاشم .

(٨) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

قبر عقبة بن عامر الجهنى [١] :

[هو عُقبة بن عامر بن عَبْس بن عمرو [٢] بن عدى بن رفاعة بن مودوعة – وقيل مودعة – ابن عَدِىّ بن غَنْم بن الرَّبْعَة بن رَشْدَان [بن] [٣] قَيْس بن جُهَيْنَة] صاحب رسول الله ، ﷺ .. [يُكْنَى] [٤] أبا حَمَّاد ، وقيل أبا أُسيد [٥] ، وقيل أبا عمرو [٦] ، وقيل أبا سعاد ، وقيل أبا الأسود ، وقيل أبا عمَّار ، وقيل أبا عامر .. شهد فتح مصر واخْتَطَّ بها ، وَوَلِىَ الجُنْدَ بمصر لمعاوية بن أبى [٧] سفيان بعد عُتْبَة بن أبى سفيان [٨] سنة أربعين .. ثم أغزاه [٩] معاوية البحر سنة سبع وأربعين ، وكتب إلى مَسْلَمَة بن مُخَلَّد الزُّرَقِى [١٠]

---

(١) هذا العنوان عن « ص » ولم يرد فى « م » . وقد مَرَّ التعريف به . انظر ص ١٤١ – الهامش رقم (٢) من هذا الفصل .

(٢) فى « م » : « عمر » خطأ ، والتصويب من أسد الغابة ج ٤ ص ٥٣ . ومابين المعقوفتين من قوله : « هو عقبة » إلى « جهينة » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٣) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق ، وساقط من « م » .

(٤) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا لاستقامة المعنى .

(٥) فى « م » : « سيد » خطأ من الناسخ .

(٦) فى « م » : « عمر » خطأ من الناسخ .

(٧) فى « م » : « أبا » خطأ فى الموضعين .

(٨) فى « م » : « عقبة بن أبا سفيان » خطأ ، والصواب ما ورد فى « ص » .

وهو : عتبة بن أبى سفيان ، صخر بن حرب بن أمية .. وَلِىَ إمارة مصر من قِبَل أخيه معاوية ، فَقَدِمَهَا سنة ٤٣ هـ ، ثم خرج إلى الإسكندرية مُرابطًا ، فابْتَنَى دارًا فى حصنها القديم ، وتوفى بها سنة ٤٤ هـ . وكان فصيحًا مَهِيبًا ، شهد مع عثمان يوم الدار ، وشهد يوم الجمل مع عائشة وفُقِئَتْ عينه ، وحَجَّ بالناس سنة ٤١ وسنة ٤٢ هـ . قال الأصمعى : الخطباء من بنى أمية : عُتبة بن أبى سفيان ، وعبد الملك ابن مروان .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٠٠ و ٢٠١ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٦٠ ، ونسب قريش ص ١٢٥] .

(٩) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « اعتراه » تصحيف من الناسخ .

(١٠) فى « ص » : « مسلم » ، تصحيف . وهو مَسْلَمَة بن مُخَلَّد بن الصامت الأنصارىّ الخزرجىّ ، من كبار الأمراء فى صدر الإسلام ، وُلِدَ مَقْدَم النبىّ ﷺ المدينة ، وحينما قُبِضَ النبى كان له من العمر عشر سنين ، ووفَدَ على معاوية قبل أن يستتبَّ له الأمر ، وشهد معه معارك صِفِّين ، فولَّاه مصر سنة =

بولايته على مصر ، فلم يُظهر مَسْلَمة (١) ولايته [حتى دفع عقبة غازيًا في البحر ، فأظهر مَسلمة ولايته] (٢) ، فبلغ ذلك عُقْبَة فقال : ما أنصَفَنا معاويةُ ، عَزَلَنا وغزَّانا (٣) .

ولأهل مصر عنه نحو مائة حديث ، اتفق البخارى ومسلم منها على سبعة أحاديث ، وانفرد البخارى عنه بحديث واحد (٤) ، وانفرد مسلم عنه بتسعة (٥) أحاديث ، ورَوَى عنه من أهل مصر جماعة .. قال عقبة : « سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : الجاهِرُ بالقرآن كالجاهر بالصَّدَقة ، والمُسِرُّ بالقرآن كالمُسِرِّ بالصَّدَقة » . وقال : « سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لا يدخل الجنَّة صاحب مَكْسٍ » (٦) يعنى العَشَّار .. وقال عقبة : « سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إنّى راكب غدًا إلى يَهُودٍ ، فلا تَبْدَءُوهُمْ بالسَّلام ، فإذا سَلَّمُوا عليكم فقولوا : وعليكم » .. وروى عقبة عنه - عليه السلام : « مَنْ تَوَضَّأَ فأَحْسَنَ (٧) وضوءه ثم صَلَّى غير ساهٍ ولا لاهٍ (٨) كُفِّرَ عنه ماكان قبلها من سيئاته » .. وَرَوَى عنه - عليه السلام - قال : « تَعَجَّبَ رَبُّكَ مِنْ شابٍّ لَيْسَتْ له صَبْوَة » (٩) .

= ٤٧ هـ ، ثم أضافَ إليها المغرب ، فأقام بمصر ، وسَيَّرَ الغُزاةَ إلى المغرب فى البر والبحر ، ولمَّا توفى معاوية أقرَّه يزيد ، فاستمر فى الإمارة إلى أن تُوفى بالإسكندرية - وقيل بالمدينة - سنة ٦٢ هـ . وهو أول مَنْ جعل بُنيان المنائر - التى هى محل التأذين - فى المسجد . [انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٢٤ - ٤٢٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ١٧٤ و ١٧٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٦٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٥٠٤] .

(١) فى « م » : و« ص » : « مسلم » تصحيف .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ص » وسقط من « م » سهوًا من الناسخ .

(٣) غَزَّاهُ ، وأغْزَاه : أعَدَّهُ وجَهَّزَهُ للغزو .

(٤) قوله : « وانفرد البخارى ... » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٥) فى « م » : « بتسع » خطأ فى اللغة .

(٦) المَكْس : الضريبة يأخُذها المُكَّاسُ مِمَّنْ يدخل البلد من التجار . والعَشَّار : هو الذى يأخذ عُشْرَ المال مَكْسًا .

(٧) فى « م » : « فأمن » تصحيف .

(٨) فى « م » : « ثم صَلَّى « على » غير ساهٍ .. » . وما أثبتناه عن « ص » ، وهو موافق لرواية ابن حنبل لهذا الحديث .

(٩) الصَّبْوَة : الميل إلى اللهو .

وذكر ابن يونس فى تاريخه أن عقبة بن عامر توفى سنة ٥٨ بمصر ، وقُبِرَ بمقبرتها بالمقطم [وكانت داره بدمشق بناحية قنطرة سنان من باب « توما »] [١] . وكان قارئًا ، عالمًا بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان ، شاعرًا ، وكانت له السابقة والهجرة ، وكان كاتبًا ، وكان أَحَدَ مَن جَمَعَ القرآن ، ومُصْحَفُهُ بمصر بخطِّه ، على غير التأليف الذى فى مصحف عثمان [٢] ، وفى آخره : كتبه [٣] عقبة بيده .. قال ابن يونس : ورأيتُ له خطًّا جيدًا ، ولم أزل أسمع شيوخنا يقولون « مصحف عقبة » لا يشكُّون فيه .. وكانت ولايته على مصر سنتين وثلاثة أشْهُر [٤] . وقبره ظاهر يُتَبَرَّكُ به ويُعرف بالإجابة .. كان يأخذ بزمام بغلة رسول الله ﷺ ، قال – رحمة الله عليه : « بينا كنتُ آخُذُ [٥] بزمام بغلة رسول الله – ﷺ فى نَقَبٍ [٦] من تلك النقاب ، إذ قال لى : ياعقبة [٧] ، ألا تركب ؟ فأشفقتُ أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول الله ، ﷺ ، وركبتُ هُنَيْهَةً [٨] ، ثم رَكِبَ ، ثم قال لى : ياعقبة ، ألا أُعَلِّمُكَ سورتين مِنْ خيرِ سورتين قرأ بهما الناسُ [٩] ؟ قلت : بلى يارسول الله .. قال : فأقرأنى : ﴿ قُلْ أعوذُ بربِّ الفَلَق ﴾ و ﴿ قل أعوذ بربِّ الناس ﴾ .. ثم أُقيمت الصلاة ، فتقدم رسول الله ﷺ فَقَرَأَ بهما [١٠] ، ثم مَرَّ بى فقال : كيف رأيت

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .. وباب توما : هو أحد أبواب دمشق من الجانب الشرقى .

(٢) أى : على غير ترتيب السور فى المصحف العثمانى .

(٣) فى « م » : « كتب » .

(٤) فى « م » : « وثلاث شهور » خطأ .

(٥) فى « ص » : « بينا أنا أقود برسول الله ﷺ » .

(٦) النَّقَب : الطريق . وفى « م » : « لقب » تصحيف .

(٧) هكذا فى « ص » .. وفى « م » حُذفت « يا » النداء ، وهذا جائز فى اللغة .

(٨) الهُنَيْهَةُ : القليل من الزمان . وفى « م » و « ص » : « هنية » .

(٩) هنا اضطراب فى سياق الحديث فى « م » .. وفى « ص » : « قرأتهما » . وما أثبتناه هنا عن النَّسَائى .

(١٠) هكذا فى « ص » والنسائى .. وفى « م » : « فقرأتهما » .

ياعقبة ؟ اقرأهُمَا [١] كُلما نِمْتَ وقُمْتَ » رواه أحمد فى مسنده .

وقَبْرُهُ [٢] القبرُ المُسَنَّمُ الكبير عند تُربة بنى العوام ، وعند رأسه بلاطة كدان فيها اسمه ، وضعها أبو حفص عمر بن محمد بن غزال بن محمد المقرىء شيخ مصر ، تلميذ الإمام ابن رشيق العسكرى [٣] شيخ مصر ، يتداوله السلف والخلف ، والدعاء عنده مُجاب ، وليس فيه اختلاف ، ولم يكن فى الجبانة قبرٌ أثبتَ منه ، رضى الله عنه ، ونفع ببركاته .. (آمين) [٤] .

* * *

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « اقرأ بهما » .

(٢) أى : وقبر عُقبة .. ومن هنا إلى قوله : (آمين) عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) هو الإمام المُحَدِّث الحسن بن رشيق ، أبو محمد العسكرى ، حَدَّث عن أبى عبد الرحمٰن النسائى ، وأحمد بن زغبة ، ومحمد بن عثمان بن سعيد السراج ، وغيرهم . ورَوَى عنه الدارقطنى ، وعبد الغنى بن سعيد ، وأبو محمد بن النحاس ، وخَلق كثير من المصريين والمغاربة ، ولد فى صفر سنة ٢٨٣ هـ . ومات فى جمادى الآخرة سنة ٣٧٠ هـ

[انظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٩٥٩] .

(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزبيدى (١) :

صاحب رسول الله ، ﷺ .. سكن مصر بعد أن عمّر عمرًا طويلاً ، وبقى بها ، وكانت وفاته سنة ثمانٍ وثمانين ، وقيل سبع وثمانين ، وقيل خمس وثمانين (٢) .. وَرَوَى عنه جماعة من المصريين ، منهم يزيد (٣) بن أبى حبيب ..

قَدِمَ على رسول الله ﷺ فى فداء أُسَارَى من بنى المُصْطَلِق ، وغَيَّبَ فى بعض الطريق ذَوْدًا (٤) كُنَّ معه وجاريةً سوداء ، فكلَّمَ رسولَ الله ﷺ فى فَكِّ الأُسَارَى ، فقال رسول الله ، ﷺ : « نَعَمْ .. ما جِئْتَ به ؟ قال : ما جِئْتُ بشىءٍ !! قال : فأين الزَّوْدُ والجارية السوداء (٥) الذى غَيَّبْتَ بموضع كذا وكذا ؟! قال : أشهد أنك رسول الله ، والله ماكان معى مِنْ أَحَدٍ ، ولا سبَقَنِى أحدٌ إليك .. فقال رسول الله ﷺ : لك الهجرة » .

قال عبد الله بن الحارث : « ما رأيتُ أَحَدًا أكثر تَبَسُّمًا من رسول الله ، ﷺ » . وقال : « أنا أول مَنْ سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يَبُلْ أَحَدُكُم مُسْتَقْبِلَ القِبْلَة » ، وأنا أولُ مَنْ حَدَّثَ الناس بذلك » . وقال : « أَكَلْنَا مع رسول الله ﷺ ، ثم صَلَّيْنا ولم نتوضأْ » .

---

(١) هو عبد الله بن الحارث بن جَزْء بن مَعْدِيكَرِب الزبيدى ، صحابىٌّ ، سكن مصر ، وعَمِىَ قبل وفاته ، وهو آخر من مات بمصر من الصحابة ، وكانت وفاته سنة ٨٦ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ٧٧ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٢ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٠٤ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٨٧ و ٣٨٨] .

(٢) فى شذرات الذهب أنه توفى سنة ٨٦ هـ على الصحيح .

(٣) فى « م » : « زيد » ، تصحيف . وهو أبو رجاء يزيد بن أبى حبيب ، واسمه سويد ، الأزدى بالولاء ، فقيه مصر وشيخها ومُفْتيها فى صدر الإسلام ، وأول مَنْ أظهر علوم الدين والفقه بها ، وهو أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبد العزيز الفتيا بمصر . وقال الليث : يزيد عالمنا وسيدنا . ولد سنة ٥٣ هـ وتوفى سنة ١٢٨ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٨ ص ١٨٣ و ١٨٤ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٥١٣ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٩٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٩ و ١٣٠ ، وطبقات الحفاظ ص ٥٩] .

(٤) الزَّوْدُ : القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العَشر (مؤنث) .

(٥) « السوداء » عن « ص » .

وعبد الله (١) آخِرُ مَنْ دخل مصر من الصحابة ، وآخر من مات بها .. وعمر عمرًا طويلاً .. قال الإمام أبو حنيفة ، رضى الله عنه : حَجَجْتُ مع أبى سنة من السنين ، فرأيتُ الناس يزدحمون ، فسألتُ عن ذلك ، فقيل لى : هذا مِنْ أصحاب النبى ﷺ ، فأخذ أبى بيدى ثم أجلسنى أمامه وقال : يابُنَىَّ ، سَلْهُ أنْ يَمُرَّ بيده على رأسك .. فمر بها ، ودعا لى ، فأنا أجد بركة دعائه .

وقال القضاعىُّ فى خُططه : قال الكندى : مات عبد الله بن الحارث بقرية يُقال لها « قَرْنَفِيلَ » (٢) ، ذكر ذلك الجُند العَربى ، فَلَعَلَّهُ حُمِلَ ودُفِنَ فى مقبرة الفسطاط .. وقيل : بل (٣) مات بمصر ، ولا يُعْرَفُ قبره .

عبد الله بن حُذافة السَّهْمِىّ (٤) :

صاحب رسول الله ، ﷺ ، يُكْنَى أبا حُذَافة – أسلم قديمًا ، وكان من المهاجرين الأولين .. دُفن بمصر .. هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية مع أخيه قيس بن حُذافة .. وهو أخو أبى الأَخْنَس بن حُذافَة ، وخُنَيْسُ بن حُذافَة زَوْجُ حفصة بنت عمر قبل النبى ، ﷺ .. وهو من أصحاب بدر .. رَوَى ذلك عمر بن الحَكَم عن [أبى] سعيد الخدرى (٥) . وكان رسول الله ﷺ بعثه

(١) من هنا إلى نهاية الترجمة عن « م » وساقط من « ص » .. وفى « ص » ختم الترجمة بقوله : « مات عبد الله بن الحارث بمصر ، ولا يُعرف قبره » وستأتى .

(٢) قَرْنَفيل : قرية بمصر ، جاء ذكرها فى معجم البلدان ج ٤ ص ٣٣١ .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٤) هو عبد الله بن حُذافة بن قيس السَّهْمِىُّ القُرَشِىُّ ، أبو حُذافة ، صحابى ، أسلم قديمًا ، وبعثه النبى ﷺ إلى كسرى .. وهاجر إلى الحبشة ، وقيل : شهد بدرًا – ولم يصح – وأَسَرَهُ الروم فى أيام عمر ، ثم أطلقوه .. شهد فتح مصر ، وتوفى بها سنة ٣٣ هـ فى أيام عثمان . وكانت فيه دعابة ، وعَدَّه الجُمَحِى من شعراء مكة .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ٧٨ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢١١ – ٢١٣ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٢ ، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ ، والمُحَبر ص ٧٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١١ – ١٦] وقد وردت ترجمته فى « ص » مختصرة ، وما أثبتناه هنا عن « م » .

(٥) مابين المعقوفتين من عندنا ، وقد سقطت سهوًا من الناسخ . وقد ورد فى أسد الغابة ، قال =

إلى كسرى عظيم الفُرْس يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه الكتاب ، قال عبد الله : فرفعتُ إليه كتاب رسول الله ، ﷺ ، فَقُرِئَ عليه ، ثم أَخَذَهُ فمزَّقَهُ ، فلما بَلَغَ ذلك رسول الله ﷺ قال : « اللَّهُمَّ مَزِّقْ مُلْكَهُ » .

وكَتَبَ « كسرى » إلى « باذان » عامله باليمن أن ابْعَثْ مِنْ عندك رَجُلَيْن جَلْدَيْنِ إلى هذا الرَّجُل الذى بالحجاز فليأْتيانى [١] بخبره . فبعث « باذان » قهرمَانَهُ [٢] ورجلاً آخر ، وكتبَ معهما كتابًا ، فَقَدِمَا المدينة ، فَدَفَعَا إليه كتاب « باذان » ، فتبسَّم رسول الله ﷺ ، ودَعَاهُما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد [٣] ، وقال : ارجعا عنى يومكما هذا فأْتيانى الغد فأُخبركما [٤] بما أُريد .. فجاء الغد ، فقال لهما : أبلغا صاحبكما أنَّ الله قَتَلَ كِسْرَى [٥] فى هذه الليلة ، لِسَبْعِ ساعات [٦] مَضَتْ منها ، وهى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مَضَيْنَ من جُمادَى الأُولى [٧] ، سنة سبع من الهجرة النبوية ، وأنَّ الله تعالى سَلَّطَ عليه ابنه « شِيرَوَيْه » .. فرجعا إلى « باذان » بذلك ، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن [٨] .

وفى رواية أنَّ النبى ﷺ بعثه [٩] بكتابٍ إلى كسرى ، فَمَزَّق كسرى

= ابن الأثير : « ... ولم يصح – أى شهوده بدرًا – ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا ابن شهاب ، ولا ابن إسحاق فى البدريين » .

(١) فى « م » : « فليأْتنا » . وما أثبتناه هو الموافق لقواعد اللغة ، وقد أورده الطبرى هكذا فى تاريخه [انظر تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٥٥] .

(٢) فى « م » : « قهرمان » خطأً ، والتصويب من المرجع السابق . والقهرمان : من أُمَنَاء الملك وخاصته .

(٣) الفرائص : جمع فَرِيصَة ، وهى لَحْمَةٌ بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع ، وهما فريصتان .

(٤) فى « م » : « فأخبرهما » ، تصحيف .

(٥) فى « م » : « قتل ربه كسرى » . وما أثبتناه هنا عن الطبرى .

(٦) فى الطبرى : « لِسِتِّ ساعات » .

(٧) فى « م » : « الأول » . وما أثبتناه هو الصحيح .

(٨) يعنى : الأبناء الذين معه من الفُرْسِ المقيمين باليمن .

(٩) الضمير فى « بعثه » يعود إلى عبد الله بن حذافة .

الكتاب ، فقال رسول الله ﷺ : « مَزَّقَ الله مُلْكَهُ ، إنْ ماتَ كسرى فلا كِسْرَى بعده » قال الواقدى : فتسلط على كسرى شِيرَوَيْهِ فقتله .

وروى عبد الله بن حذافة أن النبى ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يُنَادِى فى أيام التشريق (١) أَنَّها أيام أَكْلٍ وشُرب .. وكانت فيه دُعابَة [فحين قال رسول الله ﷺ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يسأل عن شيء فليسألْ عنه ، فو الله لا تسألونى عن شيء إِلَّا أخبرتكم به مادمْتُ فى مقامى هذا . فسأله عبد الله بن حُذافة فقال] (٢) : مَنْ أَبِى يارسول الله ، ﷺ ؟ فقال : أبوك حذافة بن قيس .. فقالت أُمُّه : ماسمعتُ بِابْنٍ أَعَقَّ منك ، أمنت أن تكون أُمك فارقت ما يفارق أهل الجاهلية فتفضحها على أَعْيُنِ الناس ؟! فقال : واللهِ لو أَلْحَقَنِى بِعَبْدٍ أسودَ لَلَحِقْتُ به .

وهو الذى أسره الروم فى زمن عمر بن الخطاب ، فأرادوه (٣) على الكفر ، فَأَبَى ، فقال له ملك الروم : قَبِّلْ رَأْسِى وأُطْلِقُكَ .. قال : لا .. قال : قَبِّلْ رَأْسِى وأطلقك ومَنْ معكَ مِنْ أَسْرَى المسلمين .. فَقَبَّلَ رَأْسَه ، فأطلق معه ثمانين أسيرًا .

رَوَى له مسلم حديثًا واحدًا ، ورَوَى له النسائىُ ، والله أعلم ..

ومات (٤) فى خلافة عثمان بن عفان بمصر ، ودُفِنَ بها فى سنة تسع عشرة (٥) .

---

(١) أيام التشريق : ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، قيل : سُمِّيَتْ بذلك لأن لُحومَ الأضاحى « تُشَرَّقُ » فيها ، أى تُقَدَّدُ فى الشَّرُقَةِ ، وهى الشمس . وقيل : تشريقها : تقطيعها وتشريحها .

(٢) هذا الحديث ورد فى « م » وبه اضطراب فى السياق ، ولم يرد فى « ص » .. والتصويب من أسد الغابة ج ٣ ص ٢١٢ نقلًا عن مسند أحمد .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فراودوه » وكلاهما صحيح .

(٤) فى « م » : « إنه مات » .

(٥) هكذا فى « م » و « ص » .. وهذا التاريخ لا يصح ، فالمعروف أن عثمان – رضى الله عنه – وَلِىَ الخلافة بعد مقتل عمر – رضى الله عنه – سنة ٢٣ هـ ، وكانت وفاته – أى عثمان – سنة ٣٥ هـ ، فقوله : « مات سنة تسع عشرة » غير صحيح . والذى ذكرته المراجع المعتمدة أنه توفى سنة ٣٣ هـ ، وهو الأرجح والصواب . والله أعلم .

أبو بَصْرَةَ الغِفَارِىُّ [١] :

صاحب رسول الله ﷺ ، واخْتُلِفَ فى اسمه فقيل : حُمَيْل ، وقيل : جميل ، غير مضبوط ، وأصحه : حُمَيْل بالضم [٢] . وقيل : إنَّ « عزَّةَ » التى يَتَسَبَّبُ إليها « كُثَيِّر » هى بنت ابنه [٣] .

رَوَى عن رسول الله ﷺ اثْنَىْ [٤] عَشَرَ حديثًا .. وَرَوَى له مسلم حديثًا واحدًا .. رَوَى عنه عمرو بن العاص ، وأبو هريرة ، وأبو تميم الجيشانى [٥] ، وغنم بن فرع المهدى ، وأبو الخير مرثد بن عبد الله اليَزَنِىّ [٦] المصرى ، نزيل مصر .. ورَوَى له البخارى فى الأدب ، ومسلم وأبو داود [٧] .

---

(١) سبق التعريف به – انظر ص ١٤١ – الهامش رقم (١) من هذا الفصل .

(٢) جاء السياق هنا فى « م » مضطربًا ، وبه جُمل مقحمة من الناسخ ، وبه تكرار . وقمنا بتصويب ذلك وضبطه بالاعتماد على « ص » والمراجع المعتمدة التى ترجمت له .

(٣) هكذا فى « ص » . وربما يريد : يَتَشبَّبُ بها » أى : يُعَرِّضُ بهواها وحُبِّها ، وهو الأنسب للمقام هنا .. وقد نَفَى ابن الأثير هذا فقال : « وهذا عندى غير صحيح ، لأن نَسَبَهَا – أى – عَزَّة – مشهور ، وليس لأبى بصرة فيه ذِكر » والله أعلم .
[انظر أسد الغابة ج ٦ ص ٣٥] .

(٤) فى « م » : « اثنا » خطأ ، والصواب ما أثبتناه . ولم يرد هذا فى « ص » إلى قوله : « وأبو داود » .

(٥) فى « م » : « أبو شيم الحلشانى » تصحيف ، والصواب ما أثبتناه ، وهو : أبو تميم الجيشانى الرعينى المصرى ، وأصله من اليمن ، وُلِدَ فى حياة النبى ﷺ . واسمه : عبد الله بن مالك بن أبى الأسحم .

(٦) من كبار التابعين ، تفقه على عقبة بن عامر ، وكان مفتى أهل مصر فى وقته ، وكان عبد العزيز ابن مروان يُحضره فيُجلسه للفُتيا . وكانت وفاته سنة ٩٠ هـ .
[انظر ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٨٧ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٩٦ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٧٤ و ٢٧٥ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٣٣] .

(٧) وروى له أيضًا النسائى وابن حنبل . وإلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

روى أبو بصرة قال : « صَلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ، فلما انصرفَ قال : إنَّ هذه الصلاة عُرِضَتْ على مَنْ كان قبلكم فَتَراخَوْا [(١)] فيها وتركوها ، فمن صَلَّاها منكم ضُعِّفَ له أجْرُه ضعفين ..ولا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد .. وهو النجم » [(٢)] .

سكن أبو بصرة الحجاز ، ثم تحول إلى مصر ، فمات بها ودُفِنَ بالمقطم .

قال ، رضى الله عنه : « أتيتُ [(٣)] رسول اللهِ ﷺ لمَّا [(٤)] هاجرتُ - وذلك قبل أن أسلم - فحلب لى شُوَيْهَةً [(٥)] كان لا يحلبها لأهله ، فشربتها [(٦)] فلما أصبحتُ أسلمت » .

قال أبو بصرة : « لقيتُ أبا هريرة وهو يسير إلى مسجد الطُّور ليُصَلِّى فيه ، قال : فقلتُ له : لو أدركتُكَ قبل أن ترحل ما ارتحلت .. قال : ولِمَ ؟ قُلْتُ [(٧)] : إنِّى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تُشَدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » .

* * *

---

(١) فى « ص » : « تَوانَوْا » وهى بمعناها .

(٢) الحديث رواه النسائى فى سُننه فى كتاب المواقيت ج ١ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ بشرح جلال الدين السيوطى ، باختلاف يسير فى بعض ألفاظه ... وقوله : « حتى يرى الشاهد » كناية عن غروب الشمس ، لأن بغروبها يظهر الشاهد .

(٣) فى « م » و « ص » : « سمعتُ » وليس ها هنا سماعٌ ، وما أثبتناه عن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث نقلًا عن رواية أحمد فى مُسنده .

(٤) هكذا فى « ص » ... وفى « م » : « يقول : لمَّا .. » .

(٥) فى « م » : « شويهة » تصحيف . وشُوَيهة : تصغير « شاة » .

(٦) أى : شَرِبْتُ الحَلْبَة .

(٧) فى « م » : « قال » .

ذكر الأشراف الذين قَدِمُوا مصر ومَنْ دُفِنَ بها منهم

السيدة سكينة بنت الحسين (*) :

قال ابن زولاق (١) : أولُ مَنْ دخل مصر [مِنْ] (٢) وَلِد علىٍّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، سُكَيْنَةُ بنت الحسين بن على بن أبى طالب (٣) ، حُمِلَتْ إلى الأَصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان (٤) ليدخل بها ، فوجدته قد نُعِىَ (٥)

(*) العنوان من عندنا .

(١) هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن ، من ولد سليمان بن زولاق ، الليثى بالولاء ، مؤرخ مصرى ، ولد سنة ٣٠٦ هـ ، وزار دمشق سنة ٣٣٠ هـ ، وولى المظالم فى أيام الفاطميين بمصر ، وكان يُظهر التشيع لهم . له عدة كتب ، منها : خطط مصر ، وأخبار قضاة مصر ، ومختصر تاريخ مصر ، وغيرها . وكانت وفاته سنة ٣٨٧ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ج ٧ ص ٢٢٥ - ٢٣٠ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٩١ و ٩٢ ، وحُسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٣ و ٥٥٤] .

(٢) مابين المعقوفين عن « ص » ولم يرد فى « م » .

(٣) هى : آمنة (أو أمينة ، أو أُميمة) وسكينة لَقَبٌ لَقَّبَتْها به أُمها الرباب بنت امرىء القيس ابن عدى .. كان سيدة نساء عصرها وأجملهن ، وأحسنهن أخلاقًا ، وكانت تُجالس الأجِلَّةَ من قريش ، وتجمع إليها الشعراء ، فتجلس بحيث تراهم ولا يرونها ، فتسمع كلامهم وتُفاضل بينهم ، وتناقشهم ، وتجيزهم ، ولها معهم - ومع غيرهم - حكايات ونوادر ظريفة ..وكانت شَهْمَة مَهِيبَة ، ولها نَظْمٌ جيد . وكانت وفاتها بالمدينة سنة ١١٧ هـ .

[انظر ترجمتها فى الأعلام ج ٣ ص ١٠٦ ، وسير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٦٢ و ٢٦٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٧٥ ، والمحبر ص ٤٣٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٤ ، ونسب قريش ص ٥٩] .

(٤) كانت لأبيه إمْرَةُ مصر ، واستخلفه عليها مُدَّة ، وتُوفى شابًا بالإسكندرية قبل وفاة أبيه .

(٥) أى : مات .. وفى « م » والكواكب السيارة : « بغى » ، تصحيف . وفى « المحبر » : « تزوجها الأصبغ فلم يصل إليها ، فارقها قبل ذلك » أى : قبل الدخول بها . وما ورد هنا موافق لما جاء فى نسب قريش (ص ٥٩) حيث ذكر أنها حُمِلَت إليه - إلى الأصبغ - بمصر فوجَدَتْهُ قد مات .

فرجَعَتْ إلى المدينة .. وقيل إنها قالت لأخيها : والله لا يكون لى بعل ، فماتت وهى بكر – رضى الله عنها [١] .

مشهد السيدة سكينة ومن به من الأشراف : (*)

وبهذا المشهد – أى مشهد سكينة – [٢] السيد الشريف إبراهيم بن يحيى ابن بللوه [٣] النَّسَّابة ، والسيد الشريف حيدرة [٤] . وبه جماعة من الأشراف – وهو مشهد معروف مشهور ، به قبر السيدة الشريفة زينب [٥] بنت الحسن ابن إبراهيم بن يحيى بن بللوه النسابة ، رضى الله عنهم [٦] .

---

(١) من قوله : « وقيل إنها قالت لأخيها .. » إلى قوله : « وبجوار جامع ابن طولون ..) عن « م » وساقط من « ص » . وقوله : « فماتت وهى بكر » غير صحيح ، فمن المعروف أنها تزوجت مصعب بن الزبير فَهَلَكَ عنها ، ثم تزوَّجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، ثم تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ، ففعل ، وذكرت المراجع التى ترجمت لها ذلك ، ومع اختلاف الرواة والمؤرخين فى عدد أزواج السيدة سكينة ، فقد قَصَرت المراجع الشيعية زواجها على ابن عمها عبد الله بن الحسن .

(*) العنوان من عندنا .

(٢) يقع ضريح السيد سكينة بحى الخليفة بالقاهرة ، بالشارع المسمى باسمها ، وقد اختلف المؤرخون فى صحة وجودها به ، وأنها مدفونة بالمدينة – وهو قول الأكثرين – وكُلٌّ منهم يدلل على صحة رأيه .. وعلى أى حالٍ كان موضعُ هذا الجسد الطاهر فإنه أهلٌ للتعظيم والتشريف .

[لمزيد من الاطلاع انظر : مساجد مصر لسعاد ماهر ج ١ ص ٩٨ – ١٠٣ ، والخطط التوفيقية ج ٥ ص ٤٢ – ٤٥ ، وتحفة الأحباب للسخاوى ص ٩٤ و ٩٥ ، والكواكب السيارة ص ٣٠ و ٣١] .

(٣) فى « م » : « بللومى » فى الموضعين ، تصحيف ، والتصويب من تحفة الأحباب ص ٩٤ و ٩٥ ، موالكواكب السيارة ص ٣٠ .

(٤) فى « م » : « وهو السيد الشريف حيدمرة » تصحيف من الناسخ ، والتصويب من المصدرين السابقين ، وهو الشريف الطاهر الفاطمى حيدرة بن ناصر بن حمزة ، أبى الحسن بن سليمان المثنى بن سليمان الأول بن الحسن الأصغر بن على زين العابدين بن الإمام الحسين ، رضى الله عنه ، وهو من الأشراف الفواطم .

(٥) فى « م » : « ذينة » تصحيف . والتصويب من تحفة الأحباب ص ٩٥ ، وفيه أن وفاتها كانت فى ١٧ من شوال سنة ٦٤٦ هـ .

(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

وبجوار جامع ابن طولون مشهد على يسار السَّالك [١] ، مكتوب عليه « سكينة » يُذكر أنها من أهل البيت ..

ثم دخلها على بن محمد [٢] بن عبد الله بن الحسَن بن علىّ بن أبى طالب ، دخل إلى مصر ، ويقال إنه توفى فى ريفها ، وقيل ذهب إلى الديلم ، والله أعلم .

الحسن بن زيد (والد السيدة نفيسة) [٣] :

ومِمَّن دخَلَهَا أيضًا الحسَن بن زيد بن الحسن [٤] بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وابنته نفيسة ، وكان إمامًا ، شيخًا ، عالمًا ، من كبار أهل البيت ، معدودًا [٥] من التابعين .. وَلِىَ المدينة من قِبَل عبد الله أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى [٦] .. وكانت له دعوة مجابة [٧] وكان يُسَمَّى شيخ الأشياخ ، ومُدِح بقصائد كثيرة لكرمه وحلمه ، وهو مِمَّنْ قد انتهت إليه الرياسة فى زمنه من بنى الحسن .

---

(١) فى « ص » : « على يسار سالك المحجة إلى مصر » . وفى الكواكب السيارة : « على يسار السالك إلى المحجر فى طريق مصر » .

(٢) هكذا فى « م » و « ص » .. وفى الكواكب السيارة : « محمد بن على .. » وما أثبتناه هو الصواب [انظر نسب قريش – ولد الحسن بن الحسن بن على ص ٥٣] .

(٣) هذا العنوان من عندنا .

(٤) فى « م » : « زيد بن على بن أبى طالب » . وما أثبتنا عن « ص » والكواكب السيارة ص ٣١ ، وهو الصحيح [انظر نسب قريش ، ص ٤٩] .

(٥) فى « م » : « معدود » ولها وجه فى اللغة ، خبر لمبتدأ محذوف ، أى : « وهو معدودٌ » .

(٦) فى « م » : « المنصور بن أبى عامر العباسى الخليفة » خطأ ، والصواب ما أثبتناه عن « ص » والكواكب السيارة . أما المنصور بن أبى عامر فهو أمير أندلسى كانت وفاته سنة ٣٩٢ هـ .

(٧) من قوله : « وكانت له دعوة مجابة » إلى نهاية الترجمة عن « م » وساقط من « ص » (ماعدا الفقرة التى تحكى عن أبيه حينما مات وترك دَيْنًا عليه يزيد على خمسة آلاف دينار ... الخ ، فقد وردت خاتمة للترجمة فى « ص ») .

والأشراف أنواع ، وأجَلُّ الأشراف الحُسَيْنِيُّونَ وَالْحَسَنِيُّون [١] . والجعافرة قد نُسِبُوا إلى جعفر الطيّار ابن أبى طالب ، وله ذُرِّيَّةٌ بالقرافة .

وأمّا من يُسمُّون بالزّينبيين [٢] فنُسِبوا إلى عبد الله الجواد ابن جعفر الطيّار ، وذلك أنه تزوج بفاطمة بنت زينب ، أو زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ – على إحدى [٣] الرّوايتين – فولدت له محمد بن عبد الله بن جعفر الطيار .

وأما الأشراف الحنفية الذين عُرِفوا بالمحمديين فيَنْتَسِبُون [٤] إلى محمدٍ المعروف بابن الحنفية ابن على بن أبى طالب .. وله عقبٌ بالقرافة منهم .

وأمّا الذين يُنسبون [٥] إلى العباسيين فهم من نَسْل عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وأخيه الفضل بن العباس .. وأجَلُّ أولاد العباس عبد الله ، ومن أولاده الخلفاء .. وأولاد العباس أربعة [٦] : عبد الله ، والفضل ، وقُثَم ، ومَعْبَد [٧] .

وأمّا الأشراف الذين يُعرفون [٨] بالميمونيين فيَنْتَسِبُونَ [٩] إلى الميمون بن

---

(١) فى « م » : « الحسينيين والحسنيين » خطأ ، والصواب ما أثبتناه بالرفع – وهم الذين ينتسبون إلى الحسين والحسن ابْنَى علىٍّ من فاطمة بنت رسول الله ، ﷺ .

(٢) فى « م » : « يُسموا بالنونيين » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) فى « م » : « أحد » خطأ فى اللغة ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) فى « م » : « ينسبوا » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) فى « م » : « ينسبوا » خطأ .

(٦) فى أسد الغابة (ج ٣ ص ١٦٧) : « له – أى للعباس – من الولد عشرة ذكور ، سوى الإناث ، وهم : الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقثم ، وعبد الرحمٰن ، ومعبد ، والحارث ، وكثير ، وعون ، وتمّام » . وفى نسب قريش (ص ٢٥ – ٢٧) لم يذكر عبد الرحمٰن وعون ، وذكر الإناث ، أم حبيب ، وآمنة ، وصفية بنات العباس .

(٧) فى « م » : « وسعيد » تحريف . وقد مات « معبد » هذا شهيدًا بإفريقية .
[انظر نسب قريش ص ٢٧]

(٨) فى « م » : « يعرفوا » خطأ فى اللغة ، والصواب بثبوت النون .

(٩) فى « م » : « ينسبون » وأثبتنا الفاء فى جواب « أمّا » .

حمزة بن عبد المطلب الهاشمي [١] .. ومنهم طائفة بالقرافة .

ولمّا وَلِيَ الحَسَن بن زيد المذكور – والد السيدة نفيسة ، رضى الله عنها – المدينة كان بها رجل فقير يقال له ابن أبى ذُوَيْب ، فَقَرَّبَهُ الحسن ، وأحسَنَ إليه ، وكثر مال الرجل وتَرأّس ، وقَرَّبَهُ المنصور [٢] ، فلما عظم عند المنصور شرع يتكلم فى حق الحَسَن وينمُّ عليه بما ليس فيه ، حتى إنه قال للمنصور عنه إنه يريد الخلافة ، فأحضره المنصور وسَلَبَ نعمته ، وبَعْدَ قليل [٣] ظَهَرَ للمنصور الكَذِبُ من القائل المذكور ، فردَّ على الحسن أمواله ، وأنعم عليه إنعامًا بليغًا ، وأرسله [٤] إلى المدينة على عادته ، فلما قدم المدينة أرسل إلى ابن أبى ذُوَيْب هدية عظيمة ، وأَمَرَ له بمالٍ جزيل ، ولم يَعْتِبْه [٥] فى ذلك ، ولم يَقُلْ له فى يوم من الأيام فَعَلْتَ كَيْتَ وكَيْت .

وحُكِيَ عنه أنه كان يصلى بالأَبْطَحِ [٦] فى يوم من الأيام ، وإذا بامرأة مارّة وعلى يديها طفل ، فاختطفه عُقاب منها ، فحصل لها عليه وَجْدٌ [٧] عظيم ، والتهبت بالنار ، وجاءت إلى الحسن وتعلقت به ، وسألته الدعاء أنْ يَرُدَّ لها ولدَهَا ، فدعا لها ، فمِن ساعته نزل العُقاب به إلى الأرض ، ورَدَّهُ الله عليها ببركته وبركة دعائه .

---

(١) فى جمهرة أنساب العرب (ص ١٧٠) أن حمزة بن عبد المطلب له من الأولاد : عُمَارة ، ويعلى ، وعامر ، وابنة تزوجها سَلَمة بن أبى سَلَمة . وقد انقرض عقب حمزة ، رضى الله عنه .

(٢) فى « م » : « وقربه إلى المنصور » .

(٣) فى « م » : « فعمّا قليل » .

(٤) فى « م » : « إنعامًا وأسلمه » وما أثبتناه عن الكواكب السيارة ص ٣١ .

(٥) يَعْتِبْه : يلومه – من الفعل « عَتَبَ » الثلاثى .

(٦) الأَبْطَح : مكان بمكة ، هو المُحَصَّب . ويطلق أيضًا على كل مكانٍ مُتسع .

(٧) وَجْدٌ : حُزْن .

قال الطبرى : لمَّا مات أبو الحَسَن ، رضى الله عنه ، ترك عليه ما يزيد على خمسة آلاف دينار [١] دَيْنًا للناس ، فحلف الحسن أنه لا يستظلّ بسقف حتى يقضى دَيْنَ أبيه ، فلم يزل كذلك حتى قَضَى دَيْنَهُ ، رضى الله عنه .

وكانت له دعوة مجابة ، وسُمِّىَ فى زمانه بصفى الأسخياء .. قال عبد الله بن يعيش : كان الحسَنُ بنُ زيد يُعَدُّ بألْفٍ من الكرام .. وإليه انتهت الرياسة فى بنى الحسن

وَجِىءَ له بشابٍّ شارِبٍ متأدِّبٍ ، فقال له : يابن بنت رسول الله ، أَطْلِقْنِى وأنا لا أعود ، وقال رسول الله ﷺ : « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم » ، وأنا ابن [أبى] أُمامة بن سَهْل بن حُنيف [٢] ، وقد كان أبى مع أبيك كما علمت .. قال : صَدَقْتَ ، فهل أنت عائدٌ ؟ قال : لا والله .. فأقاله ، وأمَرَ له بخمسين دينارًا وقال : تَزَوَّج بها وعُدْ إلَىَّ .. فتاب الشابُّ ، فكان الحسن بن زيد المذكور يُجرى عليه النفقة . نفع الله تعالى به فى الدنيا والآخرة (آمين) .

السيدة نفيسة ، رضى الله عنها ، ونفع ببركاتها [٣] :

هى السيدة العابدة ، الزاهدة ، المجتهدة ، الوَرِعَة ، صاحبة الكرامات المتنوعة ، نجيبة دهرها ، وفريدة عصرها ، المُرتقية بِجِدِّهَا [٤] المُفْتَخِرَةُ بأبيها

---

(١) هكذا فى « م » وفى الكواكب السيارة .. وفى « ص » : « أربعة آلاف دينار » .

(٢) مابين المعقوفين من « المعارف » لابن قتيبة ، ولم ترد فى « م » أو « ص » أو الكواكب السيارة .. وأبو أمامة بن سهل مُحَدِّث ، وأبوه سهل بن حنيف صحابىٌّ من الأنصار من بنى عمرو بن عوف ، شهد مع على بن أبى طالب « صِفِّين » ، وكان يسكن الكوفة ، ومات بها سنة ٣٨ هـ ، وصلى عليه على ابن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وكبَّر عليه ستًّا ، وقال : إنه بدرىٌّ . [انظر المرجع المذكور ص ٢٩١] .

(٣) فى « م » : « ابنته نفيسة » أى : ابنة الحسن بن زيد ، رضى الله عنهما . وقد وردت ترجمتها فى « ص » مختصرة ، وأُهمل فيها الكثير مما ورد فى « م » ، لذا اقتصرنا فى هذه الترجمة على ماجاء فى « م » مع مقارنته بما جاء فى « ص » - إن وجد - وبما ورد فى الكواكب السيارة ، وتحفة الأحباب . [انظر ماكتب عنها فى الخطط المقريزية ج ٢ ص ٤٤٠ - ٤٤٢ ، والخطط التوفيقية ج ٥ ص ٣٠٣ - ٣١٢ ، ومساجد مصر ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٨ لسعاد ماهر ، وانظر الكواكب السيارة ص ٣١ - ٣٤ ، وتحفة الأحباب ص ١٠٤ - ١١٤] .

(٤) أى : باجتهادها وبعملها الذى وفقها الله تعالى له .

وجَدُّها ، السيدة الرئيسة ، السيدة نفيسة ابنة الحسن الأنور ، المذكور آنفًا ، ابن زيد الأبلج ، ابن حسن السبط ، ابن الإمام الأنزع [١] على بن أبى طالب [ابن عبد المطلب] [٢] بن هاشم بن عبد مناف ، وبقية النسبة معروفة .

ولدت هذه السيدة فى سنة ١٤٥ من الهجرة النبوية فى خلافة أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، المعروف بالمنصور بالله تعالى ، وذلك بعد ولادة الإمام الليث بن سعد بإحدى [٣] وخمسين سنة ، تقريبًا ، وقبل ولادة الشافعى بخمس سنين .. [وعند] [٤] ولادتها أمر المنصور بعمارة بغداد ، وكانت تحب العبادة من صغرها ، ونشأت بالمدينة النبوية ، وصحبت كثيرًا من نساء الصحابة ، وكانت تلازم حرم النبِّى ، ﷺ .

وحكى الحافظ أبو محمد عبد الله بن برغش النَّسَّابة فى كتابه « تحفة الأشراف » أنَّ الإمام زيد الأبلج ، رضى الله عنه ، كان يأخذ بيد ولده الحسَن الأنور ، والد السيدة نفيسة ، رضى الله عنها ، ويدخل إلى قبر النبى ﷺ ويقول : ياسيدى يا رسول الله ، هذا ولدى الحسَن ، أنا راضٍ عنه ، ثم يرجع وينصرف ، فلمَّا كان فى بعض الليالى نام فرَأى النبى ﷺ فى المنام وهو يقول : يازيد ، إنِّى راضٍ عن ولدك الحسن برضاك عنه ، والحق - سبحانه وتعالى - راضٍ عنه برضاى عنه .. فلما نشأ الحسن وجاء بالسيدة نفيسة إلى المدينة الشريفة ، كان يأخذ بيدها ويدخل بها إلى القبر الشريف ويقول : يارسول الله ، إنِّى راضٍ عن ابنتى نفيسة ، ويرجع ، فما زال يقول ذلك حتى رأى النبى ﷺ فى المنام وهو يقول : ياحسن ، إنى راضٍ عن ابنتك نفيسة برضاك عنها ، والحق - سبحانه وتعالى - راضٍ عنها برضاى .

---

(١) الأنزع والنزيع : الشريف من القوم ، الذى نَزَعَ إلى عِرْقٍ كريم .

(٢) مابين المعقوفتين ساقط من « م » .

(٣) فى « م » : « بأحد » خطأً ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) مابين المعقوفتين زيادة يتطلبها السياق . وجاء فى « م » أنها ولدت قبل ولادة الشافعى بخمسين سنة ، وهذا وهمٌ وتحريف من الناسخ ، والصواب ما أثبتناه ، إذ أن « الشافعى » ولد سنة ١٥٠ هـ .

وما أحسن قول بعضهم [(١)] :

بِكُمُ الْمَدائِحُ تُسْتَلَذُّ وتُعْشَقُ	ولَنَا بِكُمْ يا آلَ أَحْمَدَ رَوْنَقُ
وَإِذَا نَظَمْتُ مَدَائِحًا لِعُلَاكُمُ	صَدَقَ الْحَدِيثُ ، وغَيْرُهُ لا يَصْدُقُ
وَإِذَا كَتَبْتُ حُرُوفَهَا وَرَقَمْتُهَا	قَالَ الْوَرَى : تَاللهِ إِنَّكَ مُوفَّقُ
وَالْغَيْرُ إِنْ عَلِمَ الْحَدِيثَ لِغَيْرِكُمْ	هُوَ كَاذِبٌ فِيمَا نَحَاهُ وَأَحْمَقُ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَانُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ	وَقَبِيلِهِ ، وَأَظُنُّهُ لا يَخْلُقُ

* * *

قال الرَّازى النَّسَّابة : لمَّا بلغت السيدة نفيسة من العمر سِتَّ عَشْرَةَ سنة [(٢)] رغب الناس فى خطبتها ، لما علموا من خيرها ودينها ، وما نشأت عليه من العبادة ، ووالدها الحسن يأبى ذلك .. ثم جاء رجل إلى أبيها من بنى حسن فخطبها ، فأَبَى والدها ، ثم جاء السيد إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن محمد بن على بن زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب فخطبها من أبيها ، فلم يردَّ عليه جوابًا ، فقام من عنده ودخل إلى حجرة النبى ﷺ ، وقال عند الحجرة : يارسول الله ، إنى خطبتُ نفيسة ابنة الحسن منه فلم يردَّ جوابًا علىَّ ، وإنِّى لم أخطبها إلا لخيرها ودينها وعبادتها ، فلما كان تلك الليلة رأى أبوها الحسنُ الأنورُ النبىَّ ﷺ فى المنام يقول له : ياحسن ، زَوِّجْ نفيسة لإسحاق المؤتمن .. فلما أفاق دعا بإسحاق وعقد له على ابنته ، وذلك فى سنة إحدى [(٣)] وستين ومائة ، وهى بنت عمه .

ووَلِىَ إسحاق المدينة بعد والد السيدة نفيسة من قِبَلِ أبى جعفر المنصور ، ورُزِقَتْ منه وَلَدَيْن : القاسم ، وأم كلثوم .. وحَجَّتْ ثلاثين حجة ، وكان الغالب

---

(١) فى « م » : « ما قال بعضهم فى المعنى شعر » .

(٢) فى « م » : « ستة عشر سنة » خطأ فى اللغة ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) فى « م » : « أحد » .

عليها فيهم [المشى على قدميها] [١] .. وكانت تتعلق بأستار الكعبة عند الطواف وهى تبكى وتقول : إلٰهى وسيدى ومولاى ، مَتِّعْنِى وفَرِّحْنِى برضاك عنى ، فلا تُسبِّبْ لى سبباً يحجُبُنى عنك .

وحُكِىَ عن السيدة زينب بنت أخيها سيدى يحيى المُتَوَّج [قالَتْ : خدمتُ عمتى السيدة نفيسة أربعين سنة فما] [٢] رأيتُها نامت ليلًا ولا أفطـرت نهارًا إلّا العيدين وأيام التشريق ، فقلتُ لها : أمَا ترفقين [٣] بنفسك ؟ فقالت : كيف أرفق بها وأمامى عقبات لا يقطعها إلّا الفائزون !!

وكانت كثيرة التلاوة للقرآن وتفسيره .. وكانت تبكى وتقول : إلٰهى سَهِّلْ علَىَّ زيارة قبر خليلك ونبيِّك إبراهيم ، عليه السلام ، فلما حَجَّتْ هى وزوجُها ، آخِر حَجِّها ، قَصَدَا [٤] زيارة الخليل عليه السلام ، فلما أنْ زارته هو وإيَّاها عَزَما [٥] المَجِىءَ إلى « مصر » ، وتَوَجَّهَا إلى أنْ جَاءَا إليها ، وكان قدومهمـا إلى مصر [لِخَمْسٍ] [٦] بقين من شهر رمضان سنة ١٩٣ ، وقيل : سنة ١٩٦ على خلافٍ فى التاريخ .. ولمَّا سمع أهل مصر بقدومها – وكان لها ذِكْرٌ شائع عندهم – تَلَقَّتْهَا النساء والرجال بالهوادج من « العريش » ، ولم يزالوا معها إلى أنْ دخلَتْ « مصر » ، فَأنْزَلَها عنده [٧] كبير التجار بمصر ، وهو جمال الدين عبد الله بن الجصَّاص – بالجيم ، وقيل بالحاء ، والأول أصح [٨] – وكان من

---

(١) مابين المعقوفتين أثبتناه عن المصادر التى ترجمت لها ، وساقط من « م » .

(٢) مابين المعقوفتين سقط سهوًا من الناسخ فى « م » وأثبتناه عن المصادر السابقة .

(٣) فى « م » : « أما ترفقى » خطأ ، وما أثبتناه هو الصحيح فى اللغة .

(٤) فى « م » : « قصدوا » .

(٥) عَزَمَ الأمْرَ ، وعليه : أرادَ فِعْلَه وعقد عليه نِيَّتَه .. وفى « م » : « زعما » تحريف من الناسخ .

(٦) فى « م » : « وتوجهوا إلى أن جاءوا إليها ، وكان قدومهم .. » بصيغة الجمع ، ومابين المعقوفتين عن تحفة الأحباب للسخاوى ص ١٠٤ ولم يرد فى « م » .

(٧) هكذا فى السخاوى .. وفى « م » « عند » .

(٨) فى « م » : « أفصح » ، تصحيف .

أصحاب المعروف والبر والمحبة والصَّدَقَة للفقراء ، والصالحين ، والعلماء ، والسادة الأشراف .. فنزلَتْ عنده فى داره ، وأقامت بها عدة [١] شهور ، والناس يأتون إليها من سائر الآفاق يتبركون بزيارتها ودعائها .

وقيل : بل نَزَلَتْ هى وبعلها بالمصاصة [٢] فى دارِ امرأة تُعْرَفُ بأمِّ هانىء فى التاريخ المذكور ، وهو سنة ١٩٣ ، بعد وفاة الإمام الليث بثمانى عشرة سنة [٣] . وكان بجوار هذه الدار امرأة يهودية لها ابنة مُقْعَدَةٌ ، فأرادت [٤] الأم أن تتوجَّهَ إلى الحمَّام ، فقالت لها : يابُنَيَّتى ، ما أصنع فى أمْرِكِ ؟ هل لَكِ أنْ نَحْمِلَكِ معنا إلى الحمَّام ؟ قالت [البنت] [٥] : يا أُمَّاهُ ، اجعلينى عند هذه الشريفة التى بجوارنا حتى تَعُودِى . فجاءت أُمُّهَا إلى السيدة نفيسة ، وسألتها واستأذنتها فى ذلك [٦] ، فَأَذِنَتْ لها ، فَأَتَتْ بها إليها ، ووضَعَتْهَا فى جانب البيت ، ومضت ، فجاء وقت صلاة الظهر ، فقامت السيدة نفيسة فتوضَّأَتْ إلى جانب الصبية ، فجرَى الماء إليها [٧] ، فألْهَمَها الله تعالى أن أخذَتْ من ماء الوضوء وجعلت تمُرُّ به على أعضائها ، فَشُفِيت [٨] بإذن الله تعالى ، وقامت تمشى كأنْ لم يكن بها شىء ، فلما جاء أهلُها خرجتْ إليهم تمشى ، فسألوها عن شأنها ، فأخبرتهم ، فأسلموا .

---

(١) فى « م » : « مدة » .

(٢) هكذا فى « م » ، وهى غير « المصيصة » . وفى الكواكب السيارة (ص ٣٢) ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج ١ ص ١٢٣ (نقلًا عن المقريزى) : « المصوصة » .

(٣) فى « م » : « بثمان سنين » وهو خطأ ، فالثابت والصحيح أن الإمام الليث توفى سنة ١٧٥ هـ . [انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٢٧] .

(٤) فى « م » : « وكان بجوار هذه الدار رجل يهودى ولد بنت ولها أم فأرادت ... » فيها اضطراب فى سياقها ، وما أثبتناه عن المصادر السابقة .

(٥) مابين المعقوفين من عندنا .

(٦) فى « م » : « وسألتها فى ذلك » . والعبارة هنا للسخاوى فى تحفته .

(٧) فى « م » : « لها » .

(٨) فى « م » : « فمت » .

وفى رواية أخرى ، على صفة أخرى ، وهى : أنَّ الصَّبِيَّةَ لَمَّا أنْ تَمَسَّحَتْ بماء السيدة نفيسة ، رضى الله عنها ، قامت تمشى كأنْ لم يكن بها شىء من الأمراض ، هذا والسيده [نفيسة] مشغولة بالصلاة لم تعلم بما جَرَى ، ثم أنَّ البنت لمَّا سَمِعَتْ [١] بِمَجِىء أُمِّهَا مِنَ الحمَّام خرجَتْ من دار السيدة نفيسة حتى أتت إلى دار أُمها ، فطرقت الباب ، فخرجت الأم لتنظُرَ مَنْ يطرقُ البابَ ، فبادَرَت البنتُ واعتنقت أُمها ، [فلم تعرفها] [٢] وقالت لها : مَنْ أنْت ؟! قالت : أنا بِنْتُكِ .. قالت لها : وكيف قِصَّتُكِ ؟ فأخبرتها بما فعلت ، فبكت الأم بُكاءً شديدًا وقالت : والله هذا [هو] [٣] الدين الصحيح .. ثم دخلت إلى السيدة نفيسة ، وأقبلتْ تُقَبِّلُ قَدَمَهَا وقالت : مُدِّى يَدَيْكِ ، فأنا أشهد أنْ لا إله إلَّا الله ، وأنَّ جدَّكِ محمدًا [٤] رسولُ الله .. فشكرت السيدة [نفيسة] لها ذلك ، وحمدت الحق - سبحانه وتعالى - الذى أنقذها مِنَ الضَّلالِ .. ثم مضت المرأة إلى منزلها ، فلما حَضَرَ أبو البنت - وكان اسمه أيُّوبَ ، ولَقَبُه صابرًا ، وكُنْيَتُه أبا السَّرَايا [٥] ، وكان من أعيان قومه - ورأى ابنته على تلك الحالة ، ذُهِلَ ، وطار عقله من الفرح ، وقال لامرأته : كيف الخبر والقصة ؟! فأخبرته بقصتها مع السيدة [نفيسة] .. فرفع اليهودى طرفه إلى السماء وقال : سبحانك ، هَدَيْتَ مَنْ شِئْتَ ، وأَضْلَلْتَ مَنْ شِئْتَ .. هذا والله هو الدِّينُ الصحيح ، ولا دينَ غير دين الإسلام .. ثم أتى إلى باب السيدة [نفيسة] ومَرَّغَ خَدَّيْهِ على عتبة بابها ونَادَى : يا سيدتى ، ارْحَمِى واشْفَعِى فيمن هو فى ضلال الكفر [٦] قد تاه ، ومَنْ دينه قد أبعده وأقصاه .. فَرَفَعَتْ طرفها إلى السماء ودعَتْ له بالهداية ، فأسلم ونطق بالشهادتين .

---

(١) فى « م » : « لمَّا أنْ سمعت » .. ومابين المعقوفتين - قبلها - من عندنا .
(٢) مابين المعقوفتين عن « تحفة الأحباب ص ١٠٦ » .
(٣) مابين المعقوفتين زيادة يتطلبها السياق .
(٤) فى « م » : « محمد » خطأ ، والصواب بالنصب على البَدَل . ومابين المعقوفتين بعد ذلك من عندنا .
(٥) فى « م » : « .. صابر ، وكنيته أبو السرايا » . وما أثبتناه - بالنصب - على إعمال « كان » .
(٦) فى التحفة : « فى ظلام الضلال » .

ثم شاع خبر البنت ، وخبر إسلام أمها وأبيها وجماعتهم ، فأسلم فى هذه الواقعة ما يزيد على سبعين [١] من اليهود ، وهم أهل تلك الحارة .

ثم إنها خرجت من « المصاصة » [٢] إلى درب الكوريين فى دار أبى السرايا أيوب .. قال الحسن بن زولاق : ولمّا شاعت هذه الكرامة بين [الناس] [٣] لم يبق أحد إلّا قَصَدَ زيارة السيدة نفيسة ، وعظم الأمر ، وكثر الخلق على بابها ، فطلبت عند ذلك الرحيل إلى بلاد الحجاز عند أهلها ، فشق ذلك على أهل مصر ، فسألوها فى الإقامة فأبَتْ ذلك ، فاجتمع أهلُ مصر ودخلوا على السَّرِىّ بن الحَكَم أمير مصر وأخبروه أنها عزمت على الرحيل ، فاشتد ذلك عليه ، وبعث لها كتابًا ورسولًا يأمرها بالرجوع عمَّا عزمت عليه ، فأبت ، فركب بنفسه وأتى إليها ، وسألها فى الإقامة ، فقالت : إنى كنتُ نويت الإقامة عندكم ، وإنى امرأة ضعيفة ، والناس قد كثروا على الإتيان إلىَّ وشغلونى عن عبادتى [٤] وجَمْعِ زادِى لمعادى ، ومكانى هذا صغير وضاق بهذا الجمع الكثيف .. فقال لها السَّرِىّ : إنى سأزيل عنكِ جميع ما شكوتيه .. وأُمَهِّدُ لكِ الأمر على ما ترتضينه [٥] ، أمّا ضِيقُ المكان فإن لى دارًا واسعة بدرب السباع ، وأُشهد الله أنى قد وهبتُها لك ، وأسألك أنْ تقبليها منى ولا تخجلينى بالردِّ علىَّ .. قالت : قد قَبِلْتُها منكَ .. ففرح السَّرِىّ بقبولها منه ، فقالت : كيف [أصنع] [٦] بهذه الجموع الوافدين علىَّ ؟ : قال : تُقَرِّرين [٧] معهم أن يكون لهم يومان فى الجمعة ، وباقى أيامك تتفرغين [٨] لخدمة مولاكِ .. اجْعَلِى يوم السبت

---

(١) فى « م » : « مايزيد عن سبعين » . وفى رواية : « تسعين » .
(٢) سبق التعليق عليها – انظر ص ١٦٣ – الهامش رقم (٢) .
(٣) مابين المعقوفتين عن « التحفة » وساقط من « م » .
(٤) فى « م » : « ويشغلونى عن إردافى » . والعبارة هنا للسخاوى .
(٥) فى « م » : « ترتضيه » .
(٦) مابين المعقوفتين عن « التحفة » .
(٧) فى « م » : « تقررى » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .
(٨) فى « م » : « أن يكون للناس فى كل جمعة يومين ، وباقى أيامك تتفرغى فيهم » . قوله : « يومين » و « تتفرغى فيهم » خطأ فى اللغة ، والصواب ما أثبتناه .

والأربعاء .. فَفَعَلَتْ ذلك فى حال حياتها ، واستمر الأمر على ذلك إلى أن توفيت بهذا المكان – على ما سيأتى ذكره فيه .

مِنْ كرامات السيدة نفيسة [١] :

وكراماتها كثيرة ، ومن كراماتها ماحكاه سعد بن الحَسَن ، قال : تَوَقَّفَ النيل فى زمانها إلى حين وقت الوفاء ، فجاء الناس إليها وسألوها الدعاء ، فأعطتهم قناعها ، فجاءوا به إلى البحر وطرحوه فيه ، فما رجعوا حتى ، وَفَى [٢] البحر ، وزاد على ذلك زيادة كثيرة ببركاتها .

وكان كُلما نزل بالناس أمرٌ جاءوا إليها وسألوها الدعاء ، فيكشف الله عنهم ذلك البلاء .. وكان الناس يزدحمون عندها ، فلما رأى ذلك زوجها قال لها : ارْحَلِى بنا إلى الحجاز .. فقالت لا أستطيع ، لأنى رأيتُ رسول الله ﷺ فى المنام ، وقال لى : لا تَرْحَلِى من « مصر » ، فإن الله سبحانه وتعالى مُتَوَفِّيكِ بها .. ففى ذلك دلالة أنها ما أقامت بمصر إلَّا بإشارة النبىِّ ﷺ ، وعلى جميع المرسلين والأنبياء والأولياء .

قال القُضاعىُّ ، رَحِمَهُ الله تعالى : قلتُ لزينب [٣] بنت أَخِى السيدة نفيسة ، رضى الله عنهم : ماكان قُوتُ عمتك ؟ قالت : كانت تأكل فى كل ثلاثة أيام أُكْلَة . وكانت لها سَلَّةٌ مُعَلَّقَة أمام مُصَلَّاها ، وكانت كلما طَلَبَتْ شيئًا للأكل وَجَدَتْهُ فى تلك السَّلة ، وكانت لا تأكل لأحدٍ شيئًا [٤] غير زوجها ،

---

(١) هذا العنوان من عندنا .

(٢) وَفَى ، أى : تَمَّ وزادَ .

(٣) هى زينب بنت يحيى المتوّج بن الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن حسن السبط بن على بن أبى طالب ، شريفة علوية ، كانت عابدةً صالحة يتبرك بها الناس . توفيت بمصر سنة ٢٤٠ هـ ، ودفنت فى المشهد المجاور لقبر عمرو بن العاص ، وكان الظافر الفاطمى يأتى إلى زيارتها ماشيًا [انظر الأعلام ج ٣ ص ٦٧] .

(٤) فى « م » : « شىء » خطأً .

فالحمد لله الذى جعل لها نصيبًا مِمَّا حصل للسيدة « مريم » ابنة عمران ، فإن الله تعالى قال فى كتابه المبين حاكيًا عنها : ﴿ كُلما دخَلَ عليها زكريا المحرابَ وجَدَ عندها رزقًا ، قال يامريمُ أنَّى لكِ هذا ، قالت هو من عند الله ، إنَّ الله يرزقُ مَن يشاء بغير حساب ﴾ [١] .. وقد فعل الله ذلك بالسيدة نفيسة كما فعل ذلك بالسيدة مريم ، صلوات الله عليهما .

وما أَحْسَنَ قَوْلَ بعضهم [٢] :

بِتَقْـوَى الإِلٰـهِ نَجَا مَنْ نَجـا ... وصَارَ بـذاكَ إلى مَـا رَجَـا
ومَـنْ يَتَّـقِ اللهَ يَجْعَـلْ لـه ... كَمَا قَالَ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجَـا
ويَرْزُقْـهُ حَـيْثُ لا يَحْـتَسِبْ ... وإِنْ ضَاقَ أَمْـرٌ بِـه فَرَّجَـا
وإِنْ كانَ فِيمَـا مَضَى مُذْنِبًـا ... فَعَفْـوُ الإِلٰـهِ غَـدًا يُرْتَجَـى

كيف لا يكون لها ذلك وهى البضعة الشريفة المحبوبة ، صلى الله على روح جدها وعليها .

وما أَحْسَنَ ماقال بعضهم :

إِلَيْكُـمْ كُـلُّ مَكْرُمَـةٍ تَئُـولُ ... إِذَا ماقِيلَ جدُّكُـمُ الـرَّسُولُ [٣]
أَبُوكُمْ خَيْرُ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ... وأُمُّكُـمُ الْمُعَظَّمَـةُ الْبَتُـولُ [٤]
إِذَا افْتَخَرَ الأَنَامُ بِمَـدْحِ قَـوْمٍ ... بِخِدْمَتِكُـمْ تَشَرَّفَ جَبْرَئِيـلُ [٥]

ومِن كراماتها أنَّ امرأةً عجوزًا [٦] كان لها أربع بنات أيتام كُنَّ يَتَقَوَّتْنَ

---

(١) سورة آل عمران – من الآية ٣٧ .
(٢) فى « م » : « ما قال بعضهم شعر » .
(٣) المَكْرُمَة : فعل الخير .
(٤) فى « م » : « أباكم » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .. والبتول من النساء : العذراء المنقطعة عن الزواج إلى الله .
(٥) الأنام : الخَلْق .. وجبرئيل : جبريل عليه السلام ، وحُذفت الألف هنا للوزن .
(٦) فى « م » : « عجوز » خطأ .

من غَزْلِهِنَّ (١) من الجمعة إلى الجمعة ، وفى آخرها تأخذ العجوزُ الغزلَ وتمضى به إلى السوق وتبيعه ، وتشترى منه (٢) كتَّانًا ، ومِمَّا فضل تشترى ما يَتَقَوَّتْنَ (٣) به من الجمعة إلى مثلها .. فأخذت العجوزُ الغزل فى خرقة حمراء وذهبت به إلى السُّوق على عادتها ، فبينما هى فى أثناء الطريق إذا بطائر انقضَّ على الخرقة الحمراء التى فيها الغزل واختطفها من العجوز ، فسقطت العجوز إلى الأرض مغشيًا عليها (٤) ، فلما أفاقت قالت : كيف أصنع بأيتام ضعفاء قد أجهدهم الجوع والفقر (٥) ؟! وَشَكَتْ ، فاجتمع عليها الناس وسألوها عن خبرها ، فأخبرتهم بالقصة ، وكانت قريبة من منزل السيدة نفيسة فَدَلَّهَا الناس (٦) عليها وقالوا لها : امْضِى إليها واسأليها الدعاء ، فإن الله يزيل عنكِ ما تجدينَهُ مِنَ الهَمِّ .. فلما جاءت إلى السيدة [نفيسة] (٧) أخبرتها بما جرى لها مع الطير ، وبَكَتْ ، وسألتها الدعاء ، فرحمتها السيدة [نفيسة] رضى الله عنها ، ورفعت رأسها إلى السماء وقالت : اللَّهُمَّ يامَنْ عَلَا (٨) فاقْتَدَرَ ، ومَلَكَ فَقَهَر ، اجْبُرْ (٩) مِنْ أَمَتِكَ هَذِه ما انْكَسَر ، فإنها هى وأطفالها عيالك .. ثم قالت : اقْعُدِى على الباب ، فإن الله على كل شىء قدير .. فقعدت المرأة عند الباب وفى قلبها لهيب النار على الأطفال ، فما كان إلَّا أنْ جلسَتْ ساعة يسيرة ، وإذا بجماعة

---

(١) فى « م » : « يتقوَّتون من غزلهم ، وكانوا يغزلون » خطأ فى الصياغة اللغوية ، والصواب ما أثبتناه عن « تحفة الأحباب » .

(٢) أى : من ثَمَنِه .

(٣) فى « م » : « مايقتاتون » خطأ .

(٤) فى « م » : « غما عليها » تصحيف . والعبارة هنا للسخاوى .

(٥) فى « م » : « الجوع والقل » .. ومعنى القُلّ : الشىء القليل .

(٦) فى « م » : « فدلُّوها الناس » .

(٧) مابين المعقوفتين من عندنا — فى الموضعين .

(٨) فى « م » : « على » لاتصح بهذا الرسم الإملائى .

(٩) أى : أصْلِحْ .

قد أقبلوا واستأذنوا عليها [(١)] ، فَأَذِنَتْ لهم ، فدخلوا وسَلَّمُوا عليها ، وقالوا لها : قد جئناكِ لنُخبركِ بأمرٍ عجيب ، نحن قومٌ تُجَّارٌ ، لنا مُدة فى السفر فى البحر ، ونحن بحمد الله سالمون [(٢)] آمنون ، فلما وصَلْنا إلى هذه البلدة انفتحت المركب ودخلها الماء وأشرفنا على الغرق ، وجعلنا نسدُّ المكان المنفتح ، وبقيتْ قطعة صغيرة لم نجد لها ما نسدها به ، فاستغثنا بكِ ، فجاء طائر كأنه حِدَأَةٌ ، وألْقَى علينا خرقة حمراء فيها غزل ، فأخذناه ووضعناه فى المكان المفتوح ، فَسَدَّهُ بإذْن الله تعالى ، وقد جئناكِ بخمسمائة درهم شكرًا لله تعالى على السلامة .. فلما سمعت السيدة [نفيسة] [(٣)] كلامهم بكت وقالت : إلٰهى ، ما أرْأَفَكَ وما ألْطَفَكَ بعبادك !! ثم دعَت [(٤)] العجوز وقالت لها : بِكَمْ تبيعين [(٥)] غزلك فى كل جمعة ؟ قالت : بعشرين درهمًا .. فقالت لها : أبشِرى ، فإنَّ الله تعالى ضاعَفَ لكِ الثمن أضعافًا .. ثم أخبرتها بالقصة وأعطتها الدراهم ، فأخذتها [(٦)] المرأةُ وجاءت إلى بناتها وأخبرتهن [(٧)] بما جَرَى لها ، وكيف رَدَّ الله لَهْفَتَها ببركة هذه السيدة ، رضى الله عنها ، ونفع ببركاتها .

ومن كراماتها أنَّ رَجُلًا من أهل المعافر تزوَّجَ بامرأة ذِمِّيَّة فجاء منها بولد ، فأُسِرَ فى بلاد العَدُوّ ، فأخذت المرأة تكد فى البحث عنه ، حتى أعياها الأمر [(٨)] ، فقالت لزوجها : بَلَغَنِى أنَّ بين أظْهُرِنا امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن ، اذْهَبْ إليها لعلَّها تدعو لولدى ، فإذا جاء آمنتُ بدينها .. فجاء [(٩)]

---

(١) أى : ليدخلوا على السيدة نفيسة .

(٢) فى « م » : « وبحمد الله سبحانه إذ نحن سالمون ... » .

(٣) زيادة من عندنا .

(٤) فى « م » : « ثم إنها دعت » .

(٥) فى « م » : « تبيعى » خطأ فى اللغة .

(٦) فى « م » : « فأخذتهم » .

(٧) فى « م » : « إلى أولادها وأخبرتهم » .

(٨) فى « م » : « وجعل يدخل البلد من الأسارى وولدها لا يأتى » مكان « فأخذت المرأة تكد .. » وما أثبتناه هنا عن المصادر التى ترجمت لها .

(٩) فى « م » : « قال : فجاء » .

الرجل إلى السيدة نفيسة وقص عليها القصة .. فدعت له أنْ يَرُدَّهُ الله تعالى عليه [١] .. فلما كان الليلُ إذا بالباب يُطْرَقُ ، فَخَرَجَت المرأة فوجدت ولَدَهَا واقفًا بالباب [فصاحت من فرحتها واحتضنت ولدها ودموع الفرح تسيل على وجنتيها .. وبعد أن فرح الجميع بهذا الجمع سألته أُمُّه عن أمره] [٢] فقالت له : يابُنَيَّ ، أَخْبِرْنى بأمرك كيف كان ؟ فقال : يا أُمَّاه ، كنت واقفًا [على باب المعتقل] [٣] فى الوقت الفلانى – وهو الوقت الذى دعت فيه السيدة نفيسة له – فى خدمتى ، فلم أشعر إلَّا ويَدٌ وقَعَتْ على القيد ، وسَمِعْتُ مَنْ يقول : أطلقوه ، فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن . فَأُطْلِقْتُ من الغل والقيد ، ثم لم أشعر بنفسى إلَّا وأنا داخل من رأس محلتنا إلى أن وقفتُ على الباب .. فَفَرِحَتِ الأُمُّ ، وشاعت هذه الكرامة ، فأسلم فى تلك الليلة أهل سبعين دارًا ببركتها ، وأسلمت أُمه ووهبَتْ نَفْسَها لخدمة السيدة نفيسة – رضى الله عنها [٤] .

وحكى بعض المشايخ أنه كان فى زمنها أميرٌ ، وكان الغالب على أحواله الظلم ، وأنه طلب إنسانًا ليعذبه ظُلمًا ، فقبضَ على الرَّجُل أعوانُ الأمير ، فبينما هو سائر معهم إذ مَرَّ على السيدة [نفيسة] [٥] فاستجار بها ، فدَعَتْ له بالخلاص ، وقالت له : حَجَبَ الله عنك أبصارَ الظالمين .. فمضى ذلك الرجل حتى وقف بين يدى الأمير ، فلَم يره الأمير ، فقال لأعوانه : أين فلان [٦] ؟

---

(١) فى « م » : « أن الله تعالى يرده عليها » .

(٢) مابين المعقوفتين عن كتاب السيدة نفيسة لتوفيق أبى علم ص ١٥٥ ، وكتاب السيدة نفيسة لمحمد شاهين ص ٨٧ نقلًا عن المصادر التى ترجمت لها ، ولم يرد فى « م » .

(٣) مابين المعقوفتين عن المصدر الأخير .

(٤) فى « م » : « وأسلمت أمه وصارت من الخدام للسيدة رضى الله عنها » والعبارة هنا لأبى علم ص ١٥٦ .

(٥) زيادة من عندنا .

(٦) فى « م » : « أين الرجل فُلان » .

قالوا : إنه واقفٌ بين يديك .. فقال الأمير : والله ما أراه !! فقالوا له : إنه مَرَّ بالسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد ، رضى الله عنها ، وسألها الدعاء ، فقالت : حَجَبَ اللهُ عنك أبصار الظالمين !! فقال : أَوَ بَلَغ [١] مِنْ ظُلْمى هذا ؟ يارب ، إنى تائب إليك .. ثم بكى [٢] واستغفر .. فلما تاب ونصح فى توبته وأخلص فى نيته إذا به يرى الرجل [٣] وهو واقف بين يديه ، فدعاه ، وقَبَّل رأسَهُ ، وأَلْبَسَهُ أثوابًا سنية ، وصرفه من عنده شاكرًا ، ثم إنه جمع ماله وتَصَدَّقَ ببعضه على الفقراء والمساكين .. وذهب إلى السيدة [نفيسة] [٤] رضى الله عنها ومعه مائة ألف درهم وقال : خذى هذا المال [٥] شكرًا لله تعالى بتوبتى .. فأخذته وصَرَّتْهُ صررًا بين يديها ، وفَرَّقَتْهُ عن آخِرِه [٦] .. وكان عندها بعض النساء [٧] ، فقالت لها : ياسيدتى ، لو تركتِ لنا شيئًا [٨] من هذه الدراهم لنشترى به شيئًا نفطر عليه !! فقالت لها : خُذِى غزلَ يدى بيعيه بشىء نفطر عليه .. فذهبت المرأة وباعت الغزل ، وجاءت لها بما أَفْطَرَتْ به هى وإيَّاها ، ولم تأخُذْ من المال شيئًا [٨] .

الإمام الشافعى والسيدة نفيسة وصحة تاريخ رابعة العدوية [٩] :

وحَكَى صاحب كتاب المُشْرِق فى تاريخ المَشْرِق أَنَّ « الشافعى » سمع منها الحديث .. وقيل إنه كان مع جلالة قَدْرِه كان يأتى إليها ويسألها الدعاء ..

---

(١) فى « م » : « وَبَلَغ » .

(٢) فى « م » : « ثم إنه بكى » .

(٣) فى « م » : « ونصح فى توبته ، ونظر الرجل ... » . وما أثبتناه عن المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٤) زيادة من عندنا .

(٥) فى « م » : « وقال : هذا المال » .

(٦) فى « م » : « فأخذتهم وصرّتهم .. وفرقتهم على آخرهم » .

(٧) أى : مِمَّنْ يَخْدُمْنَهَا .

(٨) فى « م » : « شىء » فى الموضعين ، خطأ فى اللغة .

(٩) هذا العنوان من عندنا .

وسماع الشافعي منها الحديث وهو (١) الصحيح ، خلافًا لمن قال إنه قرأ عليها – وهو صاحب التحفة الأنيسة . وكان إذا أتى لزيارتها هو أوصحابه تأدَّبوا معها غاية التَّأدُّبِ ، وكذلك كان الشيخ الإمام العالم سفيان الثورى مع السيدة رابعة (٢) العدوية ، رضى الله عنها ، لَمَّا كان يتردد إليها لسماع كلامها .. وقد ادَّعَى قوم أنَّ رابعة العدوية والسيدة نفيسة ، رضى الله عنهما [كانتا] (٣) متعاصرتين ، وليس الأمر كذلك ، فإن السيدة رابعة ، رضى الله عنها ، أم الخير ابنة إسماعيل المصرى ، وقيل البصرى ، توفيت سنة ١٣٥ هـ فى خلافة السَّفَّاح ، وكان مولد (٤) السيدة نفيسة رضى الله عنها فى سنة ١٤٥ هـ ، فبين مولد السيدة نفيسة (٥) رضى الله عنها ، ووفاة رابعة عشر (٦) سنين ، فبطل قول المُدَّعِى ذلك .

واسمُ « رابعة » كثيرٌ ، غير أنَّ الأعيان منهن ثلاثة (٧) : رابعة العدوية هذه ، والثانية رابعة ابنة إسماعيل الدمشقية القدسية ، وقد شاركت الأولى فى اسمها واسم أبيها ، والثالثة رابعة بنت إبراهيم بن عبد الله (٨) البغدادية ، وتسمى رابعة بغداد .. وقبر رابعة العدوية رضى الله عنها فى البصرة معروف هناك مشهور .. ورابعة الدمشقية تُوفيت بالقدس ، ودُفنت على رأس جبل هناك بالطور (٩) ، وإنما عُرفت بالقدسية لدفنها هناك ، وأكثر العامة يظنون أنه قبر رابعة العدوية ، فَلْيُعْلَم ذلك .. ورابعة البغدادية دُفنت فى بغداد ، وكانت وفاتها يوم الأحد ، حادى عشر شهر ذى القعدة سنة ٥١٨ هـ .

---

(١) فى « م » : « هو » .

(٢) فى « م » : « ربيعة » تصحيف .

(٣) مابين المعقوفتين عن « التحفة » وساقط من « م » .

(٤) فى « م » : « ولد » تحريف من الناسخ .

(٥) فى « م » : « مولد نفيسة » .

(٦) فى « م » : « عشرة » خطأ .

(٧) هنا اضطراب فى « م » والتصويب من التحفة (ص ١٠٨) .

(٨) فى « م » : « عبد البر » خطأ ، والتصويب من المصدر السابق ، وفيه أن وفاتها كانت ببغداد سنة ٥١٨ هـ .

(٩) فى « م » : « بالطوف » ، تصحيف .

انعطاف [١] :

وكان الشافعى رضى الله عنه إذا مرض يرسل لها – أى السيدة نفيسة رضى الله عنها – إنسانًا مِنْ تلاميذه [٢] كالربيع الجيزى ، والربيع المرادى ، وغيرهما ، فيسلم المُرْسَلُ عليها ويقول لها : إنَّ ابن عمك الشافعى مريض ويسألك الدعاء .. فتدعو له ، فلا يرجع له القاصد إلَّا وقد عُوفِىَ من مرضه .. فلما مَرِض [٣] مَرَضَهُ الذى مات فيه أرسل لها على جارى العادة يلتمس منها الدعاء .. فقالت للقاصِدِ : « مَتَّعَهُ الله بالنظر إلى وجهه الكريم » .. فجاء القاصدُ له ، فرآه الشافعى فقال : ماقالت لك ؟ قال : قالت لى كيت وكيت : فَعَلِمَ أنه ميت ، فأَوْصَى – وسيأتى ذِكْرُ وصيته عند ذكر قبره ، رضى الله عنه – وأَوْصَى أنْ تُصَلِّى على جسده ، فلما مات فى سنة ٢٠٤ هـ كما هو مشهور ، مَرُّوا به على بيتها ، فَصَلَّتْ عليه مَأْمُومَةً ، وكان الذى صلى عليه بها إماماً أبا يعقوب [٤] البويطى ، أحد أصحاب الشافعى ، رضى الله عنه .. وكان جواز نعش الشافعى رضى الله عنه على بيتها بأمر السَّرى الأمير ، والله أعلم ذكر ذلك ، لأنها سألته فى ذلك إنفاذًا لوصية الشافعى ، لأنها كانت لا تستطيع الخروج إلى جنازته لضعفها عن الحركة من كثرة العبادة .

وقد قال بعض الصالحين مِمَّنْ حضر جنازة الإمام الشافعى : سمعتُ بعد انقضاء الصَّلاتَيْنِ أن الله غَفَرَ لكل مَنْ صَلَّى على الشَّافعى بالشَّافعى .. وغَفَرَ للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه ، رضى الله تعالى عنها ، ونفع ببركاتها (آمين).

---

(١) هكذا فى « م » ومعناه : عَوْدٌ إلى الحديث السابق .

(٢) فى « م » : « من خدمته » .

(٣) فى « م » : « فلما أن مرض » .

(٤) فى « م » : « أبو يعقوب » .

ذكر وفاتها – رضى الله عنها – ومَا وقع من الكرامات بعد وفاتها ، ومَنْ رأى قبرها من الأولياء والصلحاء والعلماء والفقهاء والأعيان – رضى الله عنهم ونفع ببركاتهم فى الدنيا والآخرة :

قال القضاعى ، رضى الله عنه ، ولِمَا ذُكِرَ آنفًا : إنَّ السيدة [نفيسة] [١] انتقلت عن المنزل الذى كانت تنزل به إلى دار أبى جعفر خالد ابن هارون السلمى ، وهى الدار التى [٢] وهبها لها أمير مصر السَّرِىُّ بن الحَكَم فى خلافة المأمون ، وأقامت بهذه الدار إلى حين وفاتها ، بعد أنْ حفَرَتْ قبرها بيدها ، وقَرَأَتْ فيه ألْفَىْ ختمة ، وقيل : ألفًا [٣] وتسعمائة ختمة .

قالت زينب بنت أخيها : تألَّمَتْ عَمَّتِى فى أول يوم من رجب ، وكَتَبَتْ إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتابًا ، وكان غائبًا بالمدينة ، تأمره بالمجىء إليها ، ومازالت [٤] كذلك إلى أن كان أول جمعة من شهر رمضان زاد بها الألم وهى صائمة ، فدخل عليها الأطباء الحُذَّاق وأشاروا بأَسْرِهم [٥] عليها أن تفطر لحفظ القوة ، لما رأوا من الضعف الذى أصابها ، فقالت : واعجبًا ! لى ثلاثون [٦] سنة أسأل [٧] الله عز وجل أن يتوفَّانى وأنا صائمة وأفطر ؟! معاذ الله تعالى – ثم أنشدت عند ذلك [٨] :

---

(١) مابين المعقوفتين من عندنا .

(٢) فى « م » : « الذى » .

(٣) فى « م » : « ألف » وله وجه فى اللغة ، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره : ما قرأْتُهُ ألْف .. أما النصب فعَلَى المفعولية وهو الأوجه .. وفى الكواكب السيارة (ص ٣٣) جاء على لسان القضاعى أيضًا أنها « قرأت فيه – أى فى قبرها – مائة وتسعين ختمة » وليس ألفًا وتسعمائة كما جاء فى « م » .

(٤) فى « م » : « ولا زالت » .

(٥) بأَسْرِهم ، أى : جميعهم .

(٦) فى « م » : « ثلاثين » لا تصح ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) فى « م » : « أسألك » ، تصحيف .

(٨) فى « م » : « ثم أنشدت تقول عند ذلك شعر » .

اصْرِفُـــوا عَنِّـــى طَبِيبِـــى ودَعُونِـــــى وَحَبِيبِـــــى
زَادَ بِـــى شَوْقِـــى إليـــه وغَرامِـــى فى لَهِـــيبِ (١)
طَـابَ هَتْكِـــى فى هَـــوَاهُ بَيْـــنَ وَاشٍ وَرَقِـــيبِ (٢)
لا أُبـــالى بِفَـــواتٍ حَيْثُ قَـدْ صَارَ نَصِيبِـــى (٣)
لَـــيْسَ مَـــنْ لامَ بِعَـــذْلٍ عَنْـــهُ فِيـــهِ بِـــمُصِيبِ
جَسَدِى رَاضٍ بِسُقْمِـــى وَجُفُونِـــى بِنَحِيبِـــى

قلتُ : ومِنَ الناس من يروى هذه الأبيات لمحمد بن إبراهيم بن ثابت بن فرج الكيزانى الشيعى ، الذى دُفِنَ بقُبَّة الشافعى قبل بنائها ، ونُقِلَ فى زمن البناء إلى مَشْهدٍ بالقرب من « تُربة » أبى الفضل بن الفرات الوزير .. والله أعلم .

العطاف :

ثم إنها بقيت كذلك إلى العشر الأواسط (٤) من شهر رمضان ، فاشْتَدَّ بها المرض واحتضرت (٥) ، فَاسْتَفْتَحَتْ بقراءة سورة الأنعام ، فمازالت (٦) تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى : ﴿ .. قل لله ، كَتَبَ على نفسه الرَّحْمَةَ ﴾ (٧) ففاضت روحها الكريمة .. وقيل : إنها قرأت : ﴿ لَهُمْ دارُ السَّلام عند ربهم وهو وَلِيُّهُم بما كانوا يعملون ﴾ (٨) فَغُشِىَ عليها .. قالت زينب : « فَضَمَمْتُهَا إلى

(١) فى « م » : « لهيبى » .
(٢) فى « م » : « ورقيبى » .
(٣) فى « م » : « لا أبال » ..
(٤) فى « م » : « الأوسط » .
(٥) فى « م » : « فاحتضرت واشتد بها المرض » .
(٦) فى « م » : « فلا زالت » .
(٧) من الآية ١٢ من سورة الأنعام ، وأول الآية : ﴿ قُل لِمَنْ مافى السموات والأرض ، قل لله ، كتب على نفسه الرحمة ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه .. ﴾ .
(٨) سورة الأنعام – الآية ١٢٧ .

صدرى ، فَشَهِدَتْ شَهَادَةَ الحق ، وقُبِضَتْ - رضى الله عنها - سنة ٢٠٨ هـ وذلك بعد موت الشافعى بأربع سنين » .. حُكِىَ ذلك عن البُوَيْطى .

وما أحسن ماقال بعضهم فى خروج روحها - رضى الله تعالى عنها :

رَوْحٌ دَعَاهَا لِلْـوِصَالِ حَبِيبُهَـا فَـأَتَتْ إِلَيْـهِ مُطِيعَـةً وَمُجِيبَـهْ
يا مُدَّعِى صِدْقَ المَحَبَّة هَكَـذَا فِعْلُ الْمُحِبِّ إِذَا دَعَاهُ حَبِيبُهُ [1]

وأَوْصَت السيدة [نفيسة] [2] رضى الله عنها أَلّا يتولى أمرها غير بعلها - وكان مسافرًا كما قدمنا - فلما ماتت قَدِمَ فى ذلك اليوم ، فلما قدم اجتمعت الناس من البُلدان والقُرَى ، وأُوقِدَت الشموع فى تلك الليلة ، وسُمِعَ البكاء من كل دار بمصر ، وهَيَّأَ لها بعلها تابوتًا وقال : لا أدفنها إلّا بالبقيع عند جدها .. فَتَعَلَّقَ به أهل مصر وسألوه بالله أن يدفنها عندهم ، فأَبَى ، فاجتمعوا وجاءوا إلى أمير البلد وتوسَّلُوا به إليه ليدفنها عندهم وليرجع عَمَّا أراده .. فسأله الأمير [3] فى ذلك وقال له : بالله لا تحرمنا مشاهدة قبرها ، فإنَّا كُنَّا إذا نَزَلَ بنا أمرٌ [4] أتينا إلى دارها وهى حَيَّة فنسألها الدعاء ، فإذا دعت لنا رُفِعَ عنا مانزل بنا ، فَدَعْهَا تكون فى أرضنا ، إذا نزل بنا أمرٌ أتينا إلى قبرها ، فنسأل الله عنده . فَلَمْ يَرْضَ [5] ، فجمعوا له مالًا كثيرًا ، وَسْقَ [6] بعيره الذى أتى

---

(١) وفى رواية : « صِدْقُ المُحِبِّ إذا دعاه حبيبه » .
[انظر السيدة نفيسة لأبى علم ص ١٨٧ ط دار المعارف] .

(٢) زيادة من عندنا .

(٣) فى « م » : « قال : فسأله » وهو عبد الله بن السَّرِىّ بن الحكم أمير مصر . وكان السَّرِىُّ وبنوه يُجلُّون السيدة نفيسة ويعظمونها ، وقد أمر عبد الله بأن يُبْنَى لها مقام على قبرها إعلامًا لعلو شأنها ورفعة قدرها .

(٤) فى « م » : « أمرًا » بالنصب ، خطأ ، والصواب ما أثبتناه (فاعل مرفوع) فى الموضعين .

(٥) فى « م » : « قال : فلم يرض » .

(٦) وَسْق : حِمْل .

عليه ، وسألوه ، فأَبَى ، فَباتُوا منه فى أَلَمٍ عظيم ، وتركوا المال عنده ، فلمَّا أصبحوا جاءوا إليه فوجدوا منه مالم يَرَوْهُ من قبل ، فإنهم لمَّا قَدِمُوا أَنْعَمَ عليهم [1] بدفنها ورَدَّ عليهم المال ، فسألوه عن ذلك ، فقال لهم : رأيتُ رسول الله ﷺ فى المنام وقال لى : « رُدَّ على الناس أموالهم وادفنها عندهم » .. ففرحوا بذلك ، وصَلُّوا على رسول الله ﷺ كثيرًا .

ثم إنه دفنها بمنزلها المذكور آنفًا بدرب السباع بين مصر والقاهرة ، وكان يومًا مشهودًا ، وازدحمت الناس فيه ازدحامًا عظيمًا ، وجعل الناس يأتون إلى قبرها من البلاد البعيدة ، ويُصَلُّونَ عليه ، وصلى عليه جماعة من علماء مصر وعوامها ورؤسائها .. وخرج زوجها رضى الله عنه بعد أيام قلائل ومعه ولداه [2] منها - القاسم وأُم كلثوم - إلى المدينة ، وماتوا بها ، وفيهم خِلافٌ - أعنى الثلاثة - فى دفنهم بالبقيع ، وليس فى قبر السيدة [نفيسة] [3] رضى الله عنها خلاف .. ذَكَرَ ذلك الشريف أبو إسحاق إبراهيم بن بللوه النَّسَّابَة ، والشريف محمد بن الأسعد بن على الحسينى النسابة .

قال القضاعى - رحمه الله تعالى : أقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين [4] ، وحفرت قبرها بيدها فى البيت الذى كانت قاطنة به ، وهو المشهد ، ولعلها لم تفعل ذلك - يعنى حفر القبر - إلا بأمر النبى ، ﷺ ، ولولا ذلك

---

(١) فى « م » : « أنعم لهم » .

(٢) فى « م » : « ولَدَيْه » خطأً ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) من عندنا .

(٤) هكذا فى « م » وفى طبقات الشعرانى أيضًا ، وهو مخالف للحقيقة ، فمن المعروف أنها أقامت بمصر خمس عشرة سنة ، حيث قَدِمَتْ إلى مصر فى ٢٦ رمضان سنة ١٩٣ هـ . وكانت وفاتها بها سنة ٢٠٨ هـ . [انظر الأعلام ج ٨ ص ٤٤ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٥١١ ، وتحفة الأحباب للسخاوى ص ١٠٤ - ١١٤ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٢٣ و ٤٢٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢١ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٦٨ ، والخطط التوفيقية ج ٥ ص ٣٠٣ - ٣١١ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ١٠٦ و ١٠٧] .

لَمَا رأى زوجُها [١] ، وربما يفهم ذلك من قوله [٢] : « إنَّ الله مُتَوفِّيكِ بمصر » كما قَدَّمْنَاه آنفًا ، ولم يخالف ذلك [٣] أحدٌ من المؤرخين إلَّا مَنْ ليس له معرفة بالتاريخ ، وجاهلٌ لا يحسن ذلك .. ومن قال إنها [٤] بالمسجد الذى بالمراغة فهو جَهْلٌ مِنْ قائله .. فالمدفونة بذلك المكان هى [٥] السيدة نفيسة بنت زيد الأبلج ابن حسن السبط [٦] ، عَمَّة السيدة نفيسة أخت أبيها الحسن ، فإنها دخلت إلى مصر قبلها ، وكانت تحت الوليد بن عبد الملك بن مروان [٧] ، ودخولها إلى مصر مشهور ، ولكن مُخْتَلَفٌ فى دفنها : هل هى ها هنا أو بالشام ؟ ولَعَلَّها [٨] هاهنا ، فلم يَرِدْ فى كتابٍ خروجها من مصر بعد دخولها .. فلعلّها تُوفيت [٩] بمصر ودُفِنَتْ بهذا المشهد الذى بالمراغة .. وكانت من الصالحات ، وتوفيت قبل وفاة [١٠] بنت أخيها - رحمهم الله تعالى .

العطاف :

قال بعض المؤرخين : لَمَّا حفرت السيدة نفيسة - المذكورة آنفًا - قبرها بعد عمتها ، كانت تنزل إليه ليلًا ونهارًا وتُصَلِّى فيه ، وقيل [١١] إنها قرأت فيه ستة آلاف ختمة ، والصحيح ما ذُكر سابقًا .

---

(١) أى : الرؤيا التى رآها آنِفًا يَرُدّ أموال الناس ودفنها فى مصر .
(٢) أى : قول النبى ﷺ .
(٣) فى « م » : « ولم يتخلف فى ذلك » .
(٤) أى : السيدة نفيسة .
(٥) فى « م » : « نعم التى مدفونة بذلك المكان فهى ... » .
(٦) فى « م » : « الصبط » بالصاد ، خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، ومعناه : ولد الابن والابنة ، والمراد به هنا الحسن بن على بن أبى طالب .
(٧) أى : كانت زوجته .
(٨) فى « م » : « ولعل أنها » .
(٩) فى « م » : « توفت » .
(١٠) فى « م » : « وتوفت قبل وفات » . ولمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع ، انظر : « قبر السيدة الشريفة نفيسة بنت زيد ، فى تحفة الأحباب ص ١٠١ » .
(١١) فى « م » : « قيل » بدون عطف .

وقال بعض العلماء الأكابر من المتأخرين - وهو الشيخ كمال الدين الدميرى ، وكان عالمًا بفنون كثيرة عديدة ، منها فن التاريخ ، وأسماء الصحابة ، وأهل البيت ، وكان عالمًا بالأنساب : إنَّ السيدة نفيسة كانت أُمِّيَّةً لا تقرأ شيئًا ، إلَّا أنها كانت سمعت الحديث كثيرًا . وكانت من أهل الخير والصلاح ، وكانت فى آخر عمرها إذا عجزت عن الصلاة قائمة صَلَّتْ قاعدة ، وذلك من كثرة القيام والصيام وضعف قواها .

بعض من زار قبرها من الأولياء والعلماء والفقهاء والصالحين [١] :

وزَارَ قَبْرَهَا جماعةٌ من الأولياء والصُّلحاء والعلماء ، ومشايخ الرسالة ، ولم يذكر أحدهم هذا القبر .

وَمِمَّنْ زارها بهذا المشهد فى حياتها وبعد وفاتها الأستاذ الأكبر أبو الفيض ثوبان ذو النون بن إبراهيم المصرى الإخميمى ، أحد رجال الطريقة المعتبرين ، وأبو الحسن الدِّينورى ، وأبو على الرُّوذبارى ، وأبو بكر أحمد بن نصر الزَّقَّاق ، وبنان بن محمد بن أحمد بن سعيد الحمال الواسطى ، وشقران بن عبد الله المغربى ، وإدريس بن يحيى الخولانى ، والمفضل بن فضالة ، وبكَّار بن قتيبة ، والإمام إسماعيل المُزَنِى ، وعبد الله بن عبد الحَكَم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى ، وولداه الإمام محمد ، صاحب تاريخ مصر ، وأخوه عبد الرحمٰن ، والإمام أبو يعقوب البويطى ، والربيع بن سليمان المرادى ، وحرملة بن يحيى التجيبى الشافعى ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفى ، والفقيه عبد الله بن وهب ابن أبى مسلم [٢] القُرَشِى المالكى ، وأبو جعفر بن محمد بن عبد الملك بن

---

(١) فى « م » : الكلام مستأنف ، وهذا العنوان من عندنا .

(٢) فى « م » : « ابن أبى مسلمة » خطأ ، وقد مر التعريف به .

سلامة الطحاوى ، والإمام عبد الرحمٰن بن قاسم العُتَقى المالكى الزاهد ، والحسين ابن بشرى بن سعيد الجوهرى ، المتكلم على الخاطر ، وأبو جعفر النحوى المعروف بالنحاس المقرئ ، وأبو بكر المعروف بالأدفوى ، وأبو نصر سراج الدين الزاهد المعافرى ، وأبو بكر الحداد ، الفقيه الشافعى ، صاحب الفروع فى الفقه ، وأبو الحسن على الفقاعى [١] ، وابن هاشم المقرئ ، وسحنون المالكى ، وأبو القاسم حمزة بن محمد الكنانى ، والإمام أبو الحجاج الأشبيلى ، وأبو عبد الله ابن الوشاء ، والإمام يوسف بن يعقوب اللغوى ، وأبو الحسن على الكعكى [٢] ، وأبو سهل الهروى ، والإمام اليمنى ، والإمام الحافظ عبد الغنى بن سعيد الأزدى ، وأبو عبد الله بن سلامة القضاعى ، وأبو زكريا السخاوى [٣] ، وأبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحَبَّال [٤] ، والإمام أبو الحسن بن الحسن الخلعى ، وأبو الحسن الشيرازى ، وأبو الحسين الخشاب ، وأبو الحسن الفرَّاء ، وأبو صادق ابن مرشد المدنى ، وسلطان بن رشا [٥] الشافعى ، وأبو بكر محمد ابن داود الدّقّى القنالى ، والفقيه بن مرزوق المالكى ، والإمام ورش المقرئ ، والفقيه الجليل عبد الله ، وقيل عبد الرحمٰن بن عمر التجيبى ، والفقيه أبو الحسن على بن إبراهيم الحوفى ، صاحب التفسير ، والفقيه طاهر بن بابشاذ النحوى [٦] ، والشيخ

---

(١) فى بعض النسخ ورد اسم « القضاعى » مكان « الفقاعى » والثانى هو الصواب . وهو : أبو الحسن على بن محمد بن أحمد الفقاعى ، من الحُفَّاظ . والفُقَّاعى : بضم الفاء وفتح القاف المشددة ، وفى آخرها العين المهملة ، وهذه النسبة إلى بيع الفُقَّاع وعمله ، وهو شرابٌ يُتَّخذُ من الشعير ، يُخمَّر حتى تعلو فُقَّاعاته .

[انظر طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٥٢] .

(٢) فى « م » : « الحككى » ، تصحيف .

(٣) فى « م » : « السنجارى » ، تصحيف .

(٤) فى « م » : « الحيال » ، تصحيف .

(٥) فى « م » : « ذشا » ، تصحيف . والصواب ما أثبتناه . [انظر ترجمته فى طبقات الشافعية ج ٧ ص ٩٤] .

(٦) فى « م » : « بابشاد » بالدال المهملة ، وله ترجمة فى الأعلام ، وشذرات الذهب ، وكشف الظنون ، وغيرها من المراجع التى تترجم للأعلام .. وانظر : « إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين ص ١٥١ » وكلمة « بابشاذ » تتضمن معنى الفرح والسرور ، وهى كلمة أعجمية .

أبو زكريا البخارى ، والفقيه ابن الوردى ، والفقيه أبو عبد الله التميمى ، وابن نظيف المُحَدِّث العالم الكبير ، والفقيه العالم عبد القوى ، وعبد الباقى بن فارس [١] المحدث ، والفقيه عبد الله أبو محمد عبد الله بن داود الفارسى ، والفقيه أبو الحسن الشيرازى ، والشيخ المُحَدِّث أبو القاسم اليحمودى [٢] ، والفقيه أبو المعالى الشافعى ، والفقيه أبو عبد الله محمد المحدث ، وأبو الحسن الكعكى [٣] ، وأبو القاسم بن الحباب ، وأبو الطيب بن غلبون ، وابن بنت أبى سعيد الأنصارى ، وأبو المعالى على ، وأبو محمد عبد الله بن رفاعة ، وأبو الفضائل ، ويونس بن محمد المقدسى ، وأبو عبد الله الحموى النحوى ، وأبو الحسن على الحضرى ، وأبو طاهر [٤] السلفى الحافظ ، وأبو العباس أحمد ابن الحَطية اللخمى المالكى ، وأبو الفوارس الجيزى الذى كان يختم القرآن فى ركعتى الفجر .

هذا مَنْ عُرِفَ من الأماثل الأعيان ، وأمَّا من لم يُعرف فكثير .. قال [٥] السيد الشريف محمد بن أسعد الأنصارى : وأبو طاهر السلفى ، والفقيه أبو عبد الله بن رفاعة السعدى ، والفقيه والإمام ابن أبى الطيب ، والشيخ أبو الحسن الحضرى ، والفقيه أبو الفضل يونس بن محمد المقدسى إمام جامع عمرو ، والفقيه أبو الحسن على بن الحسين الموصلى ، والفقيه الحافظ أبو الحسن الشيرازى .. وقد تقدم ذكر هؤلاء الجماعة ، غير أنَّا قد أحببنا ذكر لفظ الشريف النَّسَّابة بتمامه وكماله .

---

(١) فى « م » : « فارث » خطأ .

(٢) فى « م » : « اليخمورى » لم أقف عليه ، وما أثبتُّه هنا ورد فى كتاب « السيدة نفيسة » لمحمد شاهين ص ١٩٥ .

(٣) كرر الناسخ – أو الكاتب – هذا الاسم واسم أبى الحسن الشيرازى سهوًا ، فقد ذكره هنا منذ قليل [انظر الهامش رقم ٢ فى ص ١٨٠] .

(٤) فى « م » : « الطاهر » . وهو ابو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى الحافظ .

(٥) أى : « قال تكملة لما سبق .. » وقد كرر هنا أعلامًا ورد ذكرها من قبل وأشار إلى ذلك .

وقد عُرِف هذا المكان [١] بإجابة الدعاء ، كل ذلك مع الإخلاص ، من غير رياءٍ ولا سمعة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

ذكر كرامات ظهرت بعد وفاتها :

قال بعض المؤرخين : كان رجل بمصر يُسَمَّى عفان بن سليمان المصرى ، قد وَجَدَ فى داره مالًا مدفونًا ، فصار عَفَّانُ هذا يتصدَّق من المال على الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام – كما سيأتى فى ترجمة المذكور فى آخر الكتاب – وأمعن فى الصدقة حتى كان لا ينام كل ليلة حتى يطعم خمسمائة بيت من أهل مصر [٢] ، وكان يَلْقَى الحاج [٣] فى كل عام من العقبة ، ويحمل المنقطع [منهم] [٤] ، واشترى أحمد بن سهل بن أحمد أمير مصر ألف حمل بُرٍّ ، فاشتراها عفَّانُ منه ، فلما كان بعد أيام قلائل وقع غلاءٌ [٥] بمصر ، فزاد ثمن البُرِّ أضعافًا ، فقال البائع الأول : تبيعنى هذا الذى اشتريته بهذا السعر الآن [٦] . فقال له عَفَّانُ : لا أفعل ذلك .. ثم خرج عفان من داره وجلس على الباب ، فجاء إليه الناس وقالوا : انظر ما الناس فيه [٧] ومهما طَلَبْتَ فى البُرِّ الذى عندك من ثمن [٨] أعطيناك .. فقال لهم : لا والله ، إنما أدَّخِرُ الثمن عند الله تعالى .. وفَرَّقَ ذلك على الفقراء والأرامل ، فبلغ ذلك « تكين » [٩]

---

(١) أى : مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها .

(٢) أى : من الفقراء والمساكين .

(٣) أى : الحُجَّاج .

(٤) مابين المعقوفين من عندنا .

(٥) فى « م » : « حصل الغلاء » .

(٦) وفى رواية : « خُذْ ثمن البُرِّ الذى اشتريته منى ، وَازْدُدِ البُرّ ، أو ادفع ثمنه بالسعر الحاضر » . و[انظر السيدة نفيسة لأبى علم ص ١٦٠ وما بعدها] .

(٧) أى : مِنْ جَدْبٍ وغلاء .

(٨) فى « م » : « من الثمن » .

(٩) هو تكين بن عبد الله الحربى .

أمير مصر – وكان قد صال على أهل مصر حتى لقبوه بالجبَّار ، وشكاه أهل مصر إلى العارف بالله تعالى بنان بن محمد الحمَّال الواسطى الواعظ ، فدخل عليه ووعظه وقال : ارجع عن أهل مصر .. فلم يسمع ، وأمر بإخراج بنان [١] إلى بلاد المغرب [٢] .. وشكاه أهل مصر إلى الشيخ العارف بالله تعالى أبى الحسن الدينورى ، فدخل عليه ووعظه ، فلم يرجع ، وأمر بإخراجه من مصر إلى بيت المقدس .. وأمر « تكين » الجبار بأَخْذِ أموال عَفَّان [٣] .. فلما بلغ ذلك عفان ذهب إلى السيد الشريف على بن عبد الله [٤] وقال له : ياسيدى أريد أن أخرج من مصر وأسكن غيرها من البلاد [٥] .. فقال له الشريف : « قُمْ بنا إلى ضريح السيدة نفيسة وندعو الله عندها أن يشغل هذا الجبار عنك » .. فجاء عفَّان والشريف « عَلِىّ » إلى ضريح السيدة نفيسة ، رضى الله عنها ، وجلس عفَّان من جانب ، والشريف من جانب آخر ، وقَرَأا شيئًا من القرآن ، وسألا الله تعالى أن يجعل ذلك واصلًا إلى السيدة نفيسة ، وأَنْ يُفَرِّجَ عن عفَّان ماهو فيه من ضيق وكرب [٦] .. فَأَخَذَتْهُمَا سِنَةٌ من النوم ، فناما ، فرأى السيد الشريف السيدة [نفيسة] وهى تقول له : « خُذْ عفان معك واذهبْ إلى تكين فقد قضيت حاجته » [٧] .. فلما استيقظ الشريف أخذ عفان معه ، ودَخَلا على « تكين » .. فقام « تكين » إلى الشريف وهو يرعد [٨] ، وقد حُمَّ لوقته ، وقال : رأيت

---

(١) فى « م » : « بنات » ، تصحيف .

(٢) فى « م » : « الغرب » ، تصحيف .

(٣) هكذا فى المصدر السابق .. وفى « م » : « أن يأخذ من عفان مالًا كثيرًا » .

(٤) هو : على بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن جعفر الصادق ، رضى الله عنه .. من أهل التقوى والصلاح والعبادة ، وله مشهد جليل بناه الظافر ، الخليفة الفاطمى ، وكان يُحمل إليه النذور .

(٥) أى : فرارًا من الظلم ومن بَغْى « تكين » .

(٦) فى « م » : « من الضيقة » .

(٧) فى « م » : « الحاجة » .

(٨) أى : أصابته رِعْدَةٌ ، وهى اضطراب فى الجسم من فَزَعٍ أو حُمَّى أو غيرهما .

السيدة نفيسة وهى تقول لى : « ياتكين » أكرم الشريف « على » وارجع عن « عفان » فإنه استجار بنا .. فقال له الشريف : هذا [١] عفان بين يديك .. فقال « تكين » : « والله ما رأيته .. يارب إنِّى تائب » فتاب « تكين » من الظلم ، وأخلص فى توبته .. فرأى عفان [٢] ، وقال : أنت عتيق السيدة نفيسة .. وتصدق « تكين » على الفقراء بمال كثير ، وصار يُحسن إلى أهل مصر ويقول : كل أهل مصر يخافوننى [٣] ، وأنا أخاف من دعوة عفان عند ضريح السيدة نفيسة – وقد أحسن « تكين » شأنه مع أهل مصر ، ولازَمَ زيارة مشهد السيدة نفيسة ، رضى الله عنها ، إلى أنْ تُوفى بمصر يوم السبت المبارك ، لستة عشر خَلَوْنَ من شهر ربيع الأول سنة ٣٢١ وهو مُتَوَلٍّ [٤] عليها ، وأَوْصَى أن يُدْفَنَ ببيت المقدس ، فحُمل ودُفن هناك ، وترك ولدَهُ محمدًا ، فأقام على طريقة أبيه فى الإحسان .. وتُوفى سيدى « عَفّان » فى زمن ولايته فى سنة ٣٢٢ هـ ودُفن فى طريق مصر بمكان معروف – رحمة الله عليه ، ونَفَعَ ببركاته .

وَحُكِيَ عن رجل اسمه أبو العز اليمانى قال : كنتُ فى قومى عزيزًا ، وكنتُ [٥] أكثرهم مالًا وعملًا وحسبًا ، فطَالَتْ علىَّ النفس حتى صرتُ لها مطيعًا ، ونظرتُ إلى الخَلْقِ بعين الاحتقار ، وأَنْسَتْنِى النفسُ القدومَ على الملك الجبار ، وشغلتنى عن عذاب النار ، فذهَبَ منى المال ، ونقص منى العمل بالطاعة ، التى هى أشرف بضاعة ، وانخفض قَدْرِى ، واشتد كربى ، وعزّانى الصديق ، وفرح فِىَّ الحَسُود ، فقلت لصديق كان مُشْفِقًا عَلَىَّ : يا أخى ،

---

(١) فى « م » : « ها » وهى حرف للتنبيه لا عمل له ، ويتصل غالبًا بأسماء الإشارة فتسقط ألفه خطًّا ، مثل : هذا ، وهذه ، وهؤلاء ، الخ .

(٢) أى : عندما أخلص النيّة فى توبته أبْصَرَهُ فى الحال بعد أن كان محجوبًا عن رؤيته .

(٣) فى « م » : « يخافونى » لاتصح ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) فى « م » : « متولى » خطأ .

(٥) فى « م » : « إلّا أنى كنت » .

ما تَرى فيما (١) نَزَلَ بى ؟! فقال لى : عليك ياأخى أنْ تسأل الله بأوليائه الصالحين المُقَرَّبين ، عَسَى الله أن يُذْهِبَ عنك هذا الأمر الذى قد نزل بك .. قال : فاعتزلتُ عن الناس (٢) فى مكان ، فلما كنت فى بعض الليالى نائمًا متفكرًا فى أمرى ، وإذا بى (٣) أرى كأنى فى فضاء واسع (٤) ، ونور ساطع ، تارة يظهر وتارة يختفى (٥) ، فأخذنى العجب من هذا النور الذى يظهر ويختفى (٦) ؟ فإذا أنا أسمع قائلًا يقول لى : هذا نور السيدة نفيسة .. فقلت : عسى الله أن يجمع بينى وبينها فأسألها (٧) الدعاء بزوال هذه الكربة .. فقيل لى : إنها ميتة .. فقلتُ : أغتنم بركة زيارتها .. فما أتممتُ القول حتى سمعتُ (٨) من يقول : أنا السيدة نفيسة يافلان .. فَارِقْ نفسَك .. فقلتُ : أنا فارقتها فرقة لا عودة لى إليها (٩) ، وإنى تائب إلى الله تعالى .. فقالت لى : « قُبِلَتِ التوبةُ إن شاء الله تعالى ، وزالت الحَوْبَةَ » .. فأصبحتُ فَرِحًا بما رأيتُ فى منامى ، وانصلح حالى بعد قليل ، وزادنى الله أضعاف ماكنتُ فيه ، كل ذلك ببركتها ، رضى الله عنها .

وكان الأستاذ المكنى بأبى المسك بن عبد الله الإخشيدى (١٠) لا يدع

---

(١) فى « م » : « ما » .

(٢) اعتزَلَ الشّىءَ ، وعنه : بَعُدَ وتَنَحَّى .

(٣) فى « م » : « أنى » ، تصحيف .

(٤) فى « م » : « واسع الفناء » .

(٥) فى « م » : « يخفى » .

(٦) فى « م » : « فقلت : يا ألله ، ياللعجب ، ماهذا النور الذى يظهر ويخفى ؟! » .

(٧) فى « م » : « واسألها » .

(٨) فى « م » : « إلّا وأنا أسمع » .

(٩) فى « م » : « فارقتها لاعوة (هكذا) لى فيها » .

(١٠) هو أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدى ، الأمير المشهور ، صاحب المتنبى ، كان عبدًا حبشيًا اشتراه الإخشيدى ملك مصر سنة ٣١٢ هـ فنُسِبَ إليه ، وأعتقه ، فترق عنده حتى ملك مصر سنة ٣٥٥ هـ . وكان فَطِنًا ذكيًا ، حسن السياسة ، وكانت مدة إمارته على مصر اثنتين وعشرين =

زيارة السيدة نفيسة ، رضى الله عنها فى كل خميس ، ويسأل الله عند ضريحها فى قضاء حَوائِجَ له ، فَتُقْضى له ببركتها .. وكان إذا قُضِيَتْ حوائجه يوفى بنذرها ، ويأتى بالمسك والزّعفران والطِّيب والشمع والزيت والقناديل الفضية ، وكان يُحْسِنُ للخدّام كثيرًا .. وكان إذا قصد زيارتها يترجَّل حين ينظر الباب الأول من بعيد ، ويدخل حاسِرَ الرأس .. وبقى كذلك إلى أن توفى بمصر سنة ٣٥٧ هـ رحمة الله تعالى عليه .

وفضائل السيدة [نفيسة] (١) كثيرة ، ومناقبها أكثر من أنْ تُحْصَرَ ، فالله تعالى ينفع ببركاتها فى الدنيا والآخرة ، بجاه سيد المرسلين محمد ، صلى الله [عليه] (٢) وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

أدعية الزيارة وآدابها (٣) :

ومما ينبغى للزائر إذا دخل إلى ضريحها أن يقول : ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ (٤) .. ﴿ إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ (٥) اللَّهم إنك قد نَدَبْتَنِى (٦) إلى أمرٍ قد فهمتُه وقلتُه وسمعتُه وأطعتُه واعتقدتُه وجعلتَهُ أجرًا (٧) لنبيك ، ﷺ ، إذْ هديتنا به إليك ، ودَللتَنا به عليك ، وكان كما قلت : ﴿ بالمؤمنين رحيمًا ﴾ (٨) .. حبيبٌ

= سنة ، وتوفى سنة ٣٥٧ هـ .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢١٦ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١ - ١٠] .

(١) زيادة من عندنا .
(٢) زيادة من عندنا يتطلبها السياق .
(٣) هذا العنوان من عندنا .
(٤) سورة هود - من الآية ٧٣ .
(٥) سورة الأحزاب - من الآية ٣٣ .
(٦) أى : دَعَوْتَنِى .
(٧) فى « م » : « أمرًا » . وما أثبتناه عن المصادر التى ترجمت لها .
(٨) سورة الأحزاب - من الآية ٤٣ .

إليه ما هديتنا ، عزيز عليه ما عَنِتّا [١] وتلك الفريضة التى سألتها له [وهى المَوَدَّة] [٢] فى القُرْبَى ، اللَّهُمَّ إنى مُؤَدِّيها بلسانى ، معتقدها بقلبى ، ساعٍ إليها بقدمى ، راجٍ للنفع بها فى دنياى وأُخْرَاى [٣] ، متوسِّل إليك بها يوم انقطاع الأسباب والأنساب سببًا ونسبًا ، وصَلِّ [٤] على نبيك ، ﷺ .

اللَّهُم فهأنذا [٥] نازلٌ بفنائهم ، متقربٌ إليك بولائهم ، متذرع [٦] بالطاهرين والطاهرات من نسائهم .. اللهم زِدْهُم شَرَفًا وتعظيمًا ، شَرِّفْهُم شرفًا حادثًا وقديمًا ، وَهَبْ لنا من زيارتهم مغفرة وأجرًا عظيمًا .. السلام عليكم يا آل بيت المصطفى ، يابنى فاطمة الزهراء ، يابنى على المرتضى ، يابنى الحسن والحسين ، أهل النبى ، أنتم القوم لا يُحْرَمُ من خيركم إلّا محروم ، ولا يُطْرَدُ عن بابكم إلّا مطرود ، ولا يواليكم إلّا تقىٌّ ، ولا يعاديكم [٧] إلّا شقى .. اللّهم صَلِّ على محمد ، وعلى آلِ محمد ، وعلى أصحاب محمد ، وعلى أزواج محمد ، وعلى ذُرِّيَّة محمد ، وأَنِلْنِى مارجوتُ بهم ، وبَلِّغْنِى ما أَمَّلْتُ فيهم ، وأَعِدْ عَلَىَّ من بركات السفر إليهم ، وهَوِّنْ عَلَىَّ موقفى بين يديك بالوقوف بين أيديهم .. وتدعو بحاجتك من أمر الدنيا والآخرة .

وكان من دعاء بعض السلف عند ضريح السيدة نفيسة – رضوان الله عليها – عند زيارتها يقول : السلام والتحية ، والإكرام والرضوان من العَلِىِّ الأعلى الرحمٰن ، على السيدة نفيسة ، الطاهرة المطهرة ، سلالة نبى الرحمة ، وشفيع

---

(١) أى : صعبٌ وشاقٌ عليه عَنَتُنا ومَشَقَّتُنا – أو مانقع فيه من الشدة والمشقة .

(٢) مابين المعقوفين زيادة من المصادر التى ترجمت لها ، ولم ترد فى « م » .

(٣) فى « م » : « وأخرى » تحريف .

(٤) فى « م » : « وصلى » خطأ ، والصواب حذف الياء (فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة) .

(٥) فى « م » : « فهأنا » .

(٦) فى « م » : « متدرع » بالدال المهملة ، ومعناها : مُحْتَمٍ ، وبالذال المعجمة تعنى : متشفع . فكلاهما صحيح .

(٧) فى « م » : « يهادنكم » تحريف من الناسخ .

الأُمَّة ، خير الأنبياء البَرَرَة ، وابنةُ عَلَم العشيرة [١] الإمام حَيْدَرَة .. السلام عليكِ يَابْنَةَ الإمام الحسَن المسموم ، أخى الإمام الحسين الشهيد المظلوم .. السلام عليك يابنت فاطمة الزهراء ، وسلالة خديجة الكبرى ، رضى الله عنك وعن أبيكِ وجَدِّكِ وعَمِّكِ وابنكِ ، وحَشَرَنا فى زُمرتهم [٢] أجمعين .. اللّهم بما كان بينك وبين جدِّها محمد رسولك ليلة المعراج ، اجعل لنا من هَمِّنَا الذى نزل بنا بابَ انفراج ، وَاقْضِ حوائجى - وإنْ كانوا جمعًا يقولوا : وَاقْضِ حوائجنا فى الدنيا والآخرة بمحمد وآلِهِ وصَحْبِه أجمعين .

وكان بعض السلف يقول أيضًا : السلام والتحية والإكرام على أهل بيت النبوة والرسالة .. السلام عليكِ يابنت حسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن [٣] السبط ابن الإمام على بن أبى طالب .. السلام عليكِ يابنت فاطمة الزهراء ، وياسلالة خديجة الكبرى .. أنتم يا أهل البيت غياثٌ لكل قوم فى اليقظة والنوم ، فلا يُحْرَمُ من فَضْلِكُم إلَّا محرومٌ ، ولا يُطْرَدُ عن بابكم إلَّا مطرود ، ولا يواليكم إلَّا مؤمن تقى ، ولا يعاديكم إلَّا منافق شقى .. اللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آله ، وأَعْطِنى خَيْرَ مارَجَوْتُ بهم ، وَبَلِّغْنِى خَيْرَ ما أملتُ فيهم ، واحفظنى بذلك فى دينى ودنياى وآخرتى ، إنك على كل شىء قدير .

ثم تقول [٤] :

يابنى الزَّهراء والنور الذى ظَنَّ موسى أنه نارُ قَبَسْ [٥]
لا أُوَالى قَطُّ مَنْ عاداكُمُو إنه آخِرُ سَطْرٍ فى عَبَسْ [٦]

---

(١) فى « م » : « العشرة » لعلها تحريف من « العترة » وهى تعنى : نسل الرجل وعشيرته .
(٢) فى « م » : « فى زمرة أوليائك وزائريك » وما أثبتناه عن المصادر التى ترجمت لها .
(٣) فى « م » : « حسن » .
(٤) ورد الشعر فى « م » متداخلًا بين الأسطر على هيئة النثر .
(٥) فى « م » : « أنها نار قبس » وكلاهما صحيح المعنى ، فالهاء فى « أنه » تعود على « النور » والثانية على « النار » ، وما أثبتناه أَوْجَه .
(٦) يريد بقوله : « آخر سطر فى عبس » قول الله تعالى - فى آخر سورة « عبس » : ﴿ أولئك هُمُ الكَفَرةُ الفَجَرَة ﴾ .

وقد مدح بعض الفضلاء ، رضى الله عنهم ، هذه السيدة ، رضى الله عنها بأعظم الرضوان ، وعن سائر أهل البيت الطاهرين بأبيات أحببنا ذكرها هاهنا ، فقال رضى الله عنه [(١)] :

يا مَنْ له فى الكَوْنِ مِنْ حَاجَةٍ ... عليك بالسيدة الطاهره
نفيسة والمصطفى جدها ... أسرارها بين الورى ظاهره
فى الشرق والغرب لها شهرة ... أنوارها ساطعة باهره [(٢)]
كم من كرامات لها قد بدت ... وكم مقامات لها فاخره
بنفسها قد حفرت قبرها ... حال جاءت يالها حافره
حَجَّتْ ثلاثينًا على رجلها ... صائمة عن أكلها قاصره
كانت تصلى وتقوم الدُّجا ... دَوْمًا على أقدامها ساهره
عابدة زاهدة جامعة ... للخير فى الدنيا وفى الآخره
[تتلو كتاب الله فى لحدها ... وهى لِمَن قد زارها ناظره] [(٣)]
فى كل قُطر قد سما ذكرها ... عاملة فائقة ماهره [(٤)]
يسقى بها الغيث إذا ما القُرَى ... قد أجدبت من سُحبها الماطره [(٥)]
والناس قد عاشوا بها فى صفا ... عيش بأيام لها زاهره
والشافعى قد كان يأتى لها ... سعيًا إلى دارها العامره [(٦)]
يرجو بأن تدعو له دعوة ... فيالها من دعوة وافره
صَلَّتْ عليه بعد موت وقد ... أَوْصَى بذا فهى له شاكره

---

(١) فى « م » : « فقال ... شعر » .
(٢) فى « م » : « والشرق » .
(٣) هذا البيت سقط من « م » سهوًا من الناسخ وقد أثبتناه من المصادر التى ترجمت لها [وانظر كتاب السيدة نفيسة لحمزة ص ١٢٨]
(٤) فى « م » : « عالمة فائقة » .
(٥) فى « م » : « أجذبت » تحريف .
(٦) فى « م » : « عامرة » .

سُبحان مَنْ أعلى لها قَدْرَها لأنها بين الوَرَى نادره
ياحبذا سيدة شرفت بها أراضى مصر والقاهره

ومِنْ أحسن ماقال أبو الفضل بن الجوهرى (١) :

حُبُّ آل النبىِّ خالَطَ عَظْمِى وجَرَى فى مَفاصِلى فاعذرونى
وأنا – والله – مُغْرَمٌ بِهَواهُم عَلِّلُونى بِذِكْرِهم عَلِّلُونى (٢)

وما أحسَنَ [قول] بن الوردى – ناظم البهجة (٣) :

يا آل بَيْتِ النَّبِىِّ مَنْ بُذِلَتْ فى حُبِّكُمْ رُوحُهُ فما غُبِنَا (٤)
مَنْ جاءَكُم يطلبُ الحديثَ لَهُ قُولُوا له البيتُ والحديثُ لَنَا (٥)

وقال بعض أهل الفضل ، رضى الله عنهم (٦) :

لِآل بيت رسول الله قد ظَهَرَا فَضْلٌ وشاعَ بفضل الله واشْتَهَرَا
محمدٌ المُصْطَفَى والمُرْتَضَى بهما فخار كل شريف أصْلُهُ ظَهَرا
وإنَّ فاطمة الزهراء أُمُّهُم وهى البَتُولُ التى جَلَّتْ على النُّظَرَا
أهلُ العِبَادِ الكرامِ الخمسة النُّجَبَا ما مثلهم فى جميع العالمين يُرَى
جبريلُ سَادِسُهُم فى نَوْمِهِم وكَذَا فى ظِلِّ حَضْرَتِهِمْ بالأُنْسِ قد حَضَرَا
والبِضْعَةُ الخَيِّرَةُ السِّتُّ المُشَارُ لها نفيسَةُ القَدْرِ كم سِرٌّ لها ظَهَرا
لها مقامٌ عَلِىُّ القَدْرِ مرتفعٌ بالذِّكْر والعِلم والقرآن قد عمرا
لها رباطٌ أمينٌ يالَه حَرَمٌ يأوى المساكين والأيتام والفقرا
لها رواق تروق العين رؤيته ياناظِرِينَ تَمَلَّوْا فَازَ من نَظَرَا
لها فخارٌ وإجلال بنسبتها حَسِيبَةٌ ، حَسْبُهَا الفَخْرُ الذى اشْتَهَرَا

---

(١) فى « م » : « أبو الفضل الجوهرى » .
(٢) فى « م » : « عللونى بذهم » الأخيرة تصحيف .
(٣) مابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة الأسلوب والسياق .
(٤) فما غُبِنَ : فما ظُلِمَ .
(٥) أى : لله البيت – وقد يكون المراد « بيت الشعر » السابق .
(٦) فى « م » : « شعر » .

لها الكراماتُ فى الأقطار قد ظهرت ... وسِرُّها قد فَشَا بين الوَرَى وسَرَى

لها فَزُورُوا ، وفاها قد تحقق فى ... وفائها بالأمانى للذى نَذَرَا [١]

لها مشايخ علمٍ يحضرون لها ... فى كل أربعة ياسَعْدُ مَنْ حَضَرَا

لها طوائفُ زُوَّارٌ ، طريقتُهُم ... وظائف الذِّكْرِ ، والبُشْرَى لمن فكرا

لها ضريحٌ وخُدَّامٌ كأنَّهُمُ ... مُلوكُ سَادُوا على السَّاداتِ والأُمَرَا

تُرابها زعفرانٌ والمُسوكُ به ... فَاحَتْ ، وكَمْ وَجْهُ حُرٌّ فيه قد عَفَرا

قناعها طاهرٌ والسِّتْرُ مُنْسَبِلٌ ... فالمُخْتَمِى بجميل السِّترِقد سُتِرَا

أضْحَتْ كَرَامَاتُهَا كالشمس وَاضِحَةً ... وليسَ يُنْكَرُ ضَوْءُ الشَّمْسِ حينَ يُرَى

كَمْ أَظْهَرَتْ عجبًا ، كم أَبْرَأَتْ وَصِبًا ... كم فَرَّجَتْ كُرَبًا ، كم أطلقت أُسَرَا [٢]

كم بَلَّغَتْ أَرِبًا ، كم أَذْهَبَتْ نَصَبًا ... كم زَوَّلَتْ تَعَبًا ، كم سَهَّلَتْ خَطَرَا [٣]

غَنِيَّةٌ بالذى نَالَتْهُ مِن كَرَمٍ ... سُلطان مصرَ لها مازال مُفْتَقِرَا [٤]

يا أهلَ بيتِ رَسُولِ الله مَادِحُكُمْ ... كَسِيرُ قَلْبٍ ، ولكنْ كَسْرُهُ جُبِرَا

لَعَلَّ يُحْشَرُ فى إقبالِ زُمْرَتِكُمْ ... طُوبَى له فى جنانِ الخُلْدِ إنْ حُشِرَا [٥]

إنشاء المشهد النفيسي وتجديده [٦] :

قيل : ولَمَّا أنْ تُوفيت السيدة نفيسة ، رضى الله عنها – كما ذُكِرَ آنفًا – ودُفِنَتْ بهذا المشهد المعروف بها – كما تقدم ذِكْرُ ذلك – رغب الناس فى البناء على القبر ، فشرع السَّرِىُّ بن الحكَم أمير مصر فى البناء ، فبنَى على قبرها حاجزًا ، ثم تَهَدَّم البناء وجُدِّدَ أيضًا ، كما هو مكتوب على ألواح الرخام على باب ضريحها ،

---

(١) وَفَاهَا : وفَاؤُهَا .

(٢) أُسَرَا : جمع أسير .

(٣) أَرِبًا : محتاجًا .. نَصِبًا : تعبًا .. زَوَّلَتْ : أزَالَتْ .

(٤) فى « م » : « مازلا » تصحيف .

(٥) فى « م » : « انحل » مكان « إنْ حُشِرَا » تحريف من الناسخ .

(٦) هذا العنوان من عندنا .

وهو الذى كان مُصَفَّحًا بالحديد ، وسُورُه مكتوب ما مثاله – بعد البسملة الشريفة : نصرٌ من الله وفَتْحٌ قريب .. لعبد الله وولده مَعَدّ ، المكنى بأبى تميم ، الإمام المُستَنْصر [١] بالله ، أمير المؤمنين وعضد الدين ، وفارس المسلمين ، مَتَّعَ الله ببقائه ، وأعلى كلمته ، وشد عضده بولده الأمير الأَجَلّ الأفضل ، جلال الدين ، ناصر الإسلام ، خليل ، أمر بإنشاء هذا المشهد الشريف النفيسى ، مولانا أمير المؤمنين المشار إليه على يد ولده المشار إليه ، أَجْرَى الله الخير على يديه ، وضاعف من يد البركات عليه ، فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٨٢ هـ .

وأمَّا القبة التى على ضريحها فالذى جَدَّدَها الخليفة الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى الفاطمى ، وذلك بعض شهور سنة ٤٨٢ .. وهو الذى [أمر] [٢] بعمل الرخام فى المحراب .. ثم أخذ أرباب الدولة فى العمارة بجوار ضريحها تَبَرُّكًا بها ..

وكان مكتوبًا على باب ضريحها ماصورته [٣] :

يا آلَ طٰه وحَقِّ الله حُبُّكُـمُ فرضٌ من الله فى القرآنِ أَنْزَلَهُ
يكفيكمُ مِنْ عَظِيمِ القَدْرِ أنكمُ مَنْ لمْ يُصَلِّ عليكم لا صَلَاةَ لَهُ

قبر يحيى بن زيد بن الحسن ، رضى الله عنه [٤] :

وقيل : إن يحيى بن زيد بن علىّ ، وأخته نفيسة هى التى بالمراغة ، عَمَّةُ السيدة نفيسة بنت الحسن ، وقبرها تجاه القبر الطويل .. فَلْيُعْلَمْ ذلك .

---

(١) فى « م » : « المنتصر بالله » ، والتصويب من « التحفة » ص ١١٢ ، وفيها « منقد » مكان « معد » خطأ . [وانظر وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٩ – ٢٣١] .

(٢) مابين المعقوفتين عن التحفة ص ١١٢ ولم ترد فى « م » .

(٣) فى « م » : « ماصورته شعر » .

(٤) هذا العنوان عن « ص » ولم يرد فى « م » .. وقد أثبتنا هنا ماجاء فى « م » ، حيث لم يرد فى « ص » عن « يحيى بن زيد » سوى سطر واحد بعد العنوان المذكور . ويحيى هو : يحيى بن الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب ، وهو أخو السيدة =

وحُكِيَ عن بعضهم قال : دخلتُ على قبر يحيى فلم أُحْسِنِ الأدب ، فسمعتُ من القبر قائلاً يقول : قل : ﴿ إنَّمَا يريد الله لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرًا ﴾ [1] .

وحُكِيَ أنه قال [2] : كان لى عبدٌ إذا أذنب قلتُ له : غفر الله لك .. فنمتُ ليلة ، فرأيت كأنَّ القيامة قد قامت ، والناس قد حُشِرُوا ، وكأنى قائم بين يدى الله عَزَّ وجَلَّ ، فقال لى : يايحيى قد غفرتُ لكَ لكثرة عفوك عن عبدك .

وَحَكى العبد لى عن محمد بن جعفر الحسينى ، قال : حَجَجْنا سنَةً من السنين ، وكان معنا سيدى يحيى المُتَوَّج ، فَضَلَلْنا عن الطريق ، فَتَعَلَّقْنَا به ، فصَلَّى ركعتين ثم رفع يديه وقال : سيروا على بركة الله وعَوْنه .. فَسِرْنَا خطوات يسيرة فإذا نحن على الجادَّة .. فعطشنا عطشًا شديدًا ، فشكونا له ذلك ، فبسط يديه ودعا ، فما أتم دُعاءه حتى نَزَلَ سيلٌ عظيم من الجبل ، فَفرحَتِ الناس وشربوا منه ، وحملوا معهم حتى اكتفوا ، فما رأيتُ أسرع من دعائه .

وحَكَى عنه الحسن الوليدى أنه قال : ماعَصَى الله من شرف نسبه .. وقال له رجل : أَلَسْنَا مِنْ آل محمد ؟! فقال : اعملْ صالحًا ، فإنه بلغنى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ مِنْ أصحابى مَنْ لَمْ يَرَنِى [3] بعد أن يفارقنى ، وإنه لَيُقَالُ يوم القيامة : اليوم أضعُ الأنسابَ وأرفعُ نَسَبِى ﴿ إنَّ أكرمَكُم عند الله أتقاكم ﴾ [4] أين أنتَ مِنْ جدِّكَ [5] ياشريف حين كان يشد

= نفيسة – المدفونة بالمراغة – رضى الله عنها .. قال القرشى : وليس بمصر من إخوتها أحدٌ سواه . ولا عَقِبَ له .

[انظر الكواكب السيارة ص ٩٥ ، وتحفة الأحباب ص ٢١١] .

(١) سورة الأحزاب – من الآية ٣٣ .

(٢) القائل هو يحيى بن زيد .

(٣) ف « م » : « لم يرانى » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) سورة الحجرات – من الآية ١٣ .

(٥) يريد النبىَّ ﷺ .

مِئْزَرَهُ ويُوقِظُ أَهْلَهُ ويقوم لعبادة ربه ويقول : « أعوذُ برضاكَ مِنْ سَخَطِك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبكَ منكَ ، لا أُحْصِى ثناءً عليك أنت كما أَثْنَيْتَ على نفسك ؟ » .

وتوفى سيدنا يحيى ؛ ولم أقف له على تاريخ وفاة ، ولعله توفى بعد أخيه بقليل ، والله أعلم .

وما أحسن قول بعضهم (١) :

أنتم تَرَاجِمَةُ الكتاب وعندكم يا آل بيتِ المصطَفَى تأويلُهُ
العِلْمُ نورٌ أَنْتُمُ مشكاتُهُ والشَّرْعُ تاجٌ أَنْتُمُ إكليلُهُ (٢)

مشهد القاسم الطيب (٣) :

[هو السيد الشريف الإمام العالم] القاسم الطيب بن محمد المأمون (٤) ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين – سُمِّىَ بذلك (٥) لأنه ظَهَر له بوجهه بين عينيه سواد ، وكبر حتى صار كالليمونة العظمى الكبرى ، وبركبتيه كعُقدد البعير ، كل ذلك من كثرة عبادته ، وكان كالشَّنِّ البالى (٦) ، إذا مَرَّ فى طُرُق المدينة تُميله الرياح يمينًا وشمالًا .. وهو أحد الأئمة الاثنى عشر ، على مذهب الإمامية ، ومِنْ سادات التابعين ..وقال الزهرى : « ما رأيتُ قُرَشِيًّا أَفْضَلَ منه » .

---

(١) فى « م » : « قال بعضهم شعر » .

(٢) فى « م » : « العلم نورًا فأنتموا شكاته » هكذا ، وهو تحريف وتصحيف من الناسخ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) العنوان من عندنا .. وما سيأتى عن « م » أيضًا وساقط من « ص » .

(٤) فى « م » : « القاسم الشيخ بن محمد المأمونى » . ومحمد المأمون هذا يُلقب بالديباج .. ومابين المعقوفتين عن الكواكب السيارة ص ٩٦ ، وتحفة الأحباب ص ٢١٢ .

(٥) أى : زين العابدين ، وسيعود إلى ذِكْرِ القاسم بعد قليل .

(٦) كالشَّنِّ البالى : كالقِرْبَة الخَلَق الصغيرة .

وكان كثير البِرِّ بأُمّه ، حتى قيل له : إنك من أبَرِّ الناس بِأُمّكَ ولسنا نراك تأكل معها فى صحفة .. فقال : « أخاف إنْ تسبق يدى إلى ما تسبق إليه عَيْنُهَا ، فأكون قد عَقَقْتُها » .

ومِمَّا رُوِىَ عن زين العابدين دعاء الاستخارة : « اللَّهُمَّ إنك تُنِيلُ الرَّغائبَ ، وتُعْطِى المواهبَ ، وتتم [1] المطالبَ ، وتُطَيِّب المكاسبَ ، وتهدى إلى أحمد العواقب ، وتقى النوائب .. اللهم وقد استخرتُكَ فيما عزَمَ أمْرِى عليه ، وقادنى [2] هواى إليه ، فَسَهِّلْ منه ما تَوَعَّرَ ، ويَسِّرْ منه ما تَعَسَّرَ ، واكفِنى فيه المهم ، وَادْفَعْ عنى كُلَّ مُلِمٍّ ، واجْعَلْ ياربِّ عاقبته غُنْمًا ، ومَحْذُورَهُ سِلْمًا ، وبُعْدَهُ قُرْبًا ، وَجَدْبَه [3] خصبًا ، وأَنِلْنِى لِواءَ الظَّفَرِ فيما رَجَوْتُ ، وعوائدَ الإنْعَامِ فيما دعوتُ ، وفوائدَ الإكرام فيما سألتُ ، فإنكَ تَقْدِرُ ، ولا أَقْدِرُ ، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ ، وأنت علّام الغيوب » .

وفوائده [4] كثيرة . وكان ولادته يوم الجمعة فى بعض شهور سنة ٣٨ من الهجرة .. وتوفى سنة ٩٤ .. وقيل : سنة ٩٩ .. وهو وَلَدُ الحُسَين [5] الشهيد المقتول ابن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم .

رجعنا إلى ذكر القاسم ، رضى الله عنه :

قال المؤرخون : هو والد سيدى يحيى – كما سيأتى ذكر ذلك الشَّبيه الآتى ذكره – قَدِمَ من الحجاز مع ولده سيدى يحيى – كما سيأتى ذكر ذلك فى ترجمة ولده – قال بعضهم : كان من عباد الله الصالحين الأخيار ، وكان له قَدَم صِدْق ، وكان كثيرًا ما ينشد ويقول :

---

(١) فى « م » : « وتغنم » .

(٢) فى « م » : « وتقاولى » ، تصحيف .

(٣) فى « م » « وجذبه » .

(٤) أى : وفوائد هذا الدعاء .

(٥) فى « م » : « الحسن » خطأ .

متى أنوحُ بدمعٍ واكِفٍ جارى ... مَتَى أَقْضِى مع الأحباب أَوْطارِى [١]
متى أفوزُ مع الأحباب فى غُرَفٍ ... متى أكونُ نقيًّا بين أَخْيَارِى
متى أُعاتِبُ نفسى ثم أَزْجُرُها ... وقد كَسَتْنِى ثيابَ الذُّلِّ والعَارِ
يارَبِّ ، إنك ذو عَفْوٍ وذو كَرَمٍ ... جسمى ضعيف ، فما يَقْوَى على النارِ

وكانَ من أحفظ الناس لحديث رسول الله ، ﷺ ، ولقد كُتِبَتْ عنه أربعمائة محبرة ، وكان من الأشراف الأجواد .. قال الرازى [٢] فى نسبه : كان أولاده يُعْرَفُونَ بالطَّيَّارة ، ويُعرفون أيضًا بالكلشميين .. قال أبو عمر : رأيت القاسم بمكة يدعو الله وقد اقْشَعَرَّ جسده ، فقلت : ماهذا يابنَ بنتِ رسولِ الله ، ﷺ ؟ فقال : « لأنى أستحى من الله أن أدعوه بلسانٍ ما أَدَّيْتُ به حَقَّ شُكره » ومناقبه كثيرة ، والله أعلم .

ودُفِنَ بالقرب من مشهد ولده يحيى هناك .. وقد كُتِبَ على قبره من نَظْم [ابن] سناء المُلْك الوزير [٣] :

يامَنْ إذا سألَ المُقَصِّرُ عَفْوَهُ ... فهو المُجيبُ بِفَضْلِهِ لسؤالِهِ
مالى سِوَى فقرى إليكَ وسيلةٌ ... وتَشَفُّعِى بِمُحَمَّدٍ وبآلِهِ

يحيى الشبيه بن القاسم [٤] :

هو يحيى الشبيه بن القاسم الطيب بن محمد المأمون المُلَقَّبِ بالديباج بن جعفر

---

(١) الدمع الواكف : السَّيَّال المنهمر . والأوطار : جمع وَطَر ، وهو : الحاجة والبُغْيَة .

(٢) فى « م » : « الراوى » . وما أثبتناه عن الكواكب السيارة ص ٩٦ . وهو المعروف بالرازى النَّسَّابة .

(٣) مابين المعقوفتين ساقط من « م » سهوًا من الناسخ – وابن سناء المُلك هو : هبة الله بن جعفر بن سناء المُلك ، أبى عبد الله محمد بن هبة الله السعدى ، أبو القاسم القاضى .. شاعر من النبلاء ، ولد فى مصر سنة ٥٤٥ هـ ، وتوفى بها سنة ٦٠٨ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٨ ص ٧١ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٣٥ و ٣٦] .

(٤) العنوان من عندنا ، وسُمِّىَ « الشبيه » لشبهه برسول الله ﷺ فى صورته . [انظر جمهرة أنساب العرب ص ٦٠ ، والكواكب السيارة ص ٩٥ ، وتحفة الأحباب ص ٢١٠] .

الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين [١] بن الحسين بن على أبى طالب ، المعروف بعبد مناف بن عبد المطلب القرشى الهاشمى الحسنى ، رضى الله عنه وعن والديه (آمين) .

كان [٢] شبيهًا بالنبى ﷺ فى كثير من أوصافه ، حتى إنه كان له فى موضع الخاتم [٣] شامة عظيمة ، وكان إذا دَخَل الحمَّام ورأى الناسُ ذلك كَبَّروا وصَلّوا على رسول الله ، ﷺ .. وكان أحمد بن طولون أحضره من أرض الحجاز فى مُصادرة الرَّسِّيِّين [٤] من بنى طباطبا ، وهم عبد الله بن القاسم ، وابنه القاسم ابن عبد الله ، وأبو جعفر بن القاسم [٥] .. ولمَّا وصل إلى مصر وسمع [٦] أهل مصر بقدومه خرجوا إلى لقائه ، وخلت دور [٧] مصر ليلة قدومه ، فلما قَدِمَ كان مُبَرْقَعَ الوجه ، وخرج مِنْ جُملة مَنْ خرَجَ له مع الناس أبو إسرائيل اليهودى ، وكان قد عَمِىَ ، فقال لابنته : خُذِى بيدى ، وإنْ رأيتِ هذا الرجل فأخبرينى به [٨] .. فلما رأته قالت له : هاهنا يا أبتِ [٩] .. فقال : اللّهم إنْ كان هذا شبيهًا بنبيِّك فى شىء من خُلُقِهِ ، وهو على الحق ، فَارْدُدْ عَلَىَّ بصرى ، فما أتَمَّ [١٠] كلامه حتى ردَّ الله بَصَره عليه ، فما عاد إلى مصر إلَّا وهو يمشى مع الناس بصيرًا ، فأسلم وحَسُنَ إسلامه .

---

(١) فى « م » : « ابن على بن زين العابدين » خطأ ، فزين العابدين لَقَبٌ لعلىٍّ وليس ابنًا له .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » . وبها اختلاف يسير فى بعض المواضع وتقديم وتأخير ، ونحن هنا اقتصرنا على ماجاء فى « م » مع الإشارة إلى الاختلاف فى المواضع والألفاظ .

(٣) فى « ص » : « خاتم النبوة » .

(٤) فى « م » : « الوسيين » تصحيف . والرَّسِّيِّين نسبة إلى الرَّسِّ : مكان بِنَجْد . وما أثبتناه هنا عن « ص » .

(٥) إلى هنا يَنتهى ماكُتب عن يحيى الشبيه فى « ص » . وما سيأتى عن « م » .

(٦) فى « م » : « وسمعت » .

(٧) فى « م » : « دورة » تصحيف . والدُّور : جَمْعُ دار .

(٨) فى « م » : « وإنْ رأيتى – هكذا – هذا الرجل أخبرينى .. » .

(٩) فى « م » : « أبتى » .

(١٠) فى « م » : « تم » .

وكان لسيدى يحيى الخطوة التّامّة بديار مصر ، إلى أن توفى فى شهر رجب لليلتين بقيتا منه سنة ٢٦٣ هـ . وقبره بمشهد يحيى ، أخى نفيسة ، وسيأتى ذكره بعد ذلك فى المشاهد ، وفى مشهده – أى يحيى الشبيه – كَتَبَ ابن سناء المُلْك من نَظْمِه فى مَدْحَ الأشراف [١] :

مالى إذا عُرِضَ الحسابُ وَسيلَةٌ أنجو بها من هَوْلِ يوم المَوْعِدِ
إلّا اعتـراف بالذُّنـوب وإننـى مُتَـمَسِّكٌ بـولاء آلِ مُحَمَّـدِ

أبو الحسن على بن الحسن [٢] :

هو أبو الحسن على بن الحسن بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم – طباطبا .. كانت له النقابة [٣] والتقدم إلى أن توفى سنة ٢٨٠ هـ فَرَدَّ أمير الجيش [٤] « خُمارَوَيْه » بن أحمد بن طولون أمر النقابة إلى أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم ، أبى محمد [٥] عبد الله بن أحمد بن على بن الحسن بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهم أجمعين ، وسنذكر فضائله عند ذكر قبره فى ترتيب الزيارة [٦] .

---

(١) فى « م » : « شعر » .

(٢) هذا العنوان من عندنا . وإلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) أى : نقابة الأشراف بمصر ، وطباطبا لَقَبٌ لجده إبراهيم .

(٤) فى « م » و « ص » : « أبو الجيش » .

(٥) فى « م » : « أبو محمد » ولم يرد فى « ص » .

(٦) فى « ص » : « عند ذكره فى ترتيب القبور للزيارة » .

مشهد رأس زيد بن علىّ بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهم أجمعين [(١)] :

قال الكندى : قُدِمَ برأس زيد بن علىّ يوم الأحد لِعَشْرٍ خَلَوْنَ من جُمادَى الآخِرَة [(٢)] سنة ١٢٢ هـ ، وبنوا عليه هذا المشهد [(٣)] .. والدعاء فيه مستجاب ، والأنوار تُرَى عليه بالليل نَازِلَةً .

مشهد رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على ، رضى الله عنهم [(٤)] :

قُدِمَ به فى سنة ١٤٥ هـ ، وبنوا عليه المشهد المعروف بمسجد التبن —

---

(١) هذا العنوان عن « م » و « ص » .. وهو : الإمام زيد بن على (زين العابدين) بن الحسين ابن على بن أبى طالب . ويقال له : زيد الشهيد ، ولد سنة ٧٩ هـ . وقال عنه أبو حنيفة : مارأيت فى زمانه أفقه منه ، ولا أسرع جوابًا ، ولا أَبْيَنَ قولًا .. وعَدَّهُ الجاحظ من خُطباء بنى هاشم .. كانت إقامته بالكوفة . وقرأ على واصل بن عطاء (رأس المعتزلة) واقتبس منه علم الاعتزال .. ورحل إلى الشام ، فَضَيَّق عليه هشام بن عبد الملك وحبسه خمسة أشهر ، فعاد إلى العراق ، ثم إلى المدينة ، فلحق به بعض أهل الكوفة يحرضونه على قتال الأمويين ، ورجعوا به إلى الكوفة سنة ١٢٠ هـ ، فبايعه أربعون ألفًا على الدعوة إلى الكتاب والسُّنَّة ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المظلومين ، وإعطاء المحرومين ، وردِّ المظالم ، ونصر آل البيت ، وكان العامل على العراق يومئذٍ يوسف بن عمر الثقفى ، فكتب إلى الحكَم بن الصَّلْت وهو بالكوفة أنْ يقاتل زيدًا ، ففعل ، ونشبت معارك انتهت بمقتل زيد فى الكوفة سنة ١٢٢ هـ ، وُحمِلَ رأسه إلى الشام ، فَنُصِبَ على باب دمشق ، ثم أُرسل إلى المدينة فَنُصِبَ عند قبر النبى ﷺ يومًا وليلة ، وحُمِلَ إلى مصر ، فَنُصِبَ بالجامع ، فسرقه أهل مصر ودفنوه .

[انظر تاريخ الطبرى ج ٧ ص ١٨٠ — ١٩١ ، والأعلام ج ٣ ص ٥٩ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ١٢٢ و ١٢٣ ، وج ٦ ص ١١٠ و ١١١] .

(٢) فى « م » : « الآخر » . وفى « ص » « جماد الآخرة » وما أثبتناه هو الصحيح .

(٣) فى « ص » : « هذا المشهد المعروف بمشهد التبن ، بحرى القاهرة » . وجاء فى وفيات الأعيان — ج ٥ ص ١٢٣ : « .. وهو — أى زيد — صاحب المشهد الذى بين مصر وبركة قارون ، بالقرب من جامع ابن طولون .. » والله أعلم .

(٤) ماهنا عن « م » ولم يرد فى « ص » إلى قوله : « والله أعلم بالصواب » . وإبراهيم هذا هو : =

ويقال : التبر – بمسجد بحرى القاهرة بظاهر رأس الطالبية .. شرَّفَهُ [١] أهل مصر ودفنوه فى التاريخ المذكور .. والمشهد معروف بإجابة الدعاء – والله أعلم بالصواب [٢] .

مشهد الإمام محمد بن الإمام الصِّدِّيق أبى بكر ، رضى الله عنهما [٣] :

بناه غلامه « زمام » ورأسه فيه [٤] تحت المنارة ، وقيل فى عُلبة من

= إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، أحد أمراء الأشراف الشجعان ، ولد سنة ٩٧ هـ ، وخرج بالبصرة على المنصور العباسى ، فبايعه أربعة آلاف مقاتل ، وخافه المنصور ، فتحول إلى الكوفة .. وكثرت شيعة إبراهيم ، فاستولى على البصرة ، وسيَّر الجموع إلى الأهواز ، وفارس ، وواسط ، وهاجم الكوفة ، فكانت بينه وبين المنصور وقائع هائلة ، إلى أن قتله حميد بن قحطبة سنة ١٤٥ هـ ، وحَزَّ رأسه وأرسله إلى أبى جعفر المنصور ، ودُفِنَ بدنه الزكى بباخمرى .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٤٨ ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥ – ٢٠ ، وتاريخ الطبرى ج ٧ ص ٦٢٢ وما بعدها] .

(١) فى « م » : « شرقه » تحريف .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « مشهد رأس محمد بن أبى بكر » .

وهو : محمد بن أبى بكر الصِّدِّيق ، وُلد سنة ١٠ هـ ونشأ بالمدينة فى حجر علىّ بن أبى طالب (وكان قد تزوج أُمَّهُ أسماء بنت عُمَيْس بعد وفاة أبيه) . وشهد مع علىّ وقعة الجمل وصفّين ، وولّاه على إمارة مصر بعد موت « الأشتر » ، فدخلها سنة ٣٧ هـ . ولما اتفق علىّ ومعاوية على تحكيم الحكَمَيْن فات عليًا أنْ يشترط على معاوية ألّا يقاتل أهل مصر ، وانصرف علىّ يريد العراق ، فبعث معاوية عمرو ابن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر ، فدخلها حربًا بعد معارك شديدة ، واختفى ابن أبى بكر ، فعرف معاوية بن حُدَيْج مكانه ، فقبض عليه وقتله سنة ٣٨ هـ ، وأحرقه لمشاركته فى مقتل عثمان بن عفّان – وقيل لم يُحْرَق . ودُفنت جثته مع رأسه فى مسجد يُعرف بمسجد « زمام » مولى محمد بن أبى بكر ، وهذا المسجد خارج مدينة الفسطاط . وكانت مدة ولايته خمسة أشهر .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢١٩ و ٢٢٠ ، والكواكب السيارة ص ١٩ و ١٠٣ و ١٨٦ ، وتحفة الأحباب ص ١٢٦ و ١٢٧] .

(٤) « فيه » عن « ص » .

نحاس فيها رمادٌ [١] ، وهو الصحيح .. والدعاء فيه مُستجاب .

انقَضَى ذِكْر قبور الصحابة والأشراف ، رضى الله عنهم ، ولم يبق إلَّا مَنْ سنذكره [٢] فى ضمن الزيارة مِمَّن هو فى غير هذا الصُّقْع [٣] .. وبالله التوفيق .

* * *

(١) فى « ص » : « فيها رمادٌ وهو فيها » . أى : الرأس .
(٢) فى « ص » : « إلَّا مَنْ يَرِد ذكره منهم » .
(٣) الصُّقْع : الناحية ، وجمعها : أصقاع .

فصـــل
فى ذكر جامع أحمد بن طولون

وذُكِرَ هاهنا لأنه طريقٌ للقاصد [١] إلى جَبَّانَة مصر من القاهرة ، ولأنَّ منه ابتداء الزيارة .

اعلمْ أولًا أن الجبل الذى عليه جامع أحمد بن طولون يُسَمَّى « جبل يشكر ابن جديلة » .. وقال الكندى : جديلة [٢] من لَخْم .. وقيل : جبل شكر ، وكان شكر رجلاً صالحًا ، وكان الصالحون يُصَلُّونَ على القطعة البارزة من هذا الجبل ، الخالية من البناء الذى فى الحدّ القبلى منه ، المجاورة للباب ، وهو مكانٌ الدُّعاءُ فيه مُسْتجاب .

وكان أحمد بن طولون لما رغب فى إنشاء جامعٍ ليحسن ذكره ، أشار عليه جماعة من الصالحين أن يبنى الذى قَصَدَهُ على هذا الجبل ، وذكروا له مِن فضائله عِدَّةَ أشياء .. فَقَبِلَ [٣] منهم ، وبَنَى الجامع على الجبل ، وأدخَلَ بيت « يشكر » [٤] العبد الصالح فيه ، فلما كمل [٥] بناؤُهُ تقدَّم أن يعمل بِدَائِرِه منطقَةَ عَنْبَرٍ معجون ، ليفوح ريحها على المُصَلِّين به ، وأشْعَرَ الناسَ بالصلاة فيه [٦] ، فلم يجتمع فيه أحدٌ من الناس ، واعتقدوا أنه بناه من مالٍ لا يعرفون

---

(١) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « لأنه طريق القاصد » وسقط منها قوله : « وذُكرها هنا » فى أول الفقرة .

(٢) فى « م » : « جزيلة » تحريف ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) فى « م » و « ص » : « وأنه قبل » .

(٤) فى « م » : « شكر » .

(٥) فى « ص » : « تكَمَّلَ » .

(٦) أى : أمَرَهُم بالصلاة فيه .

أصله ، فَعَزَّ ذلك على أحمد بن طولون ، فطلع المنبر يوم جمعة ، فخطب خطبةً بحضور جماعة من أصحابه وجُنده ، وكان أَخَذَ على أيديهم بالحضور إليه ، وأقْسَمَ فى أثناء خطبته بالله العظيم مابَنَى هذا الجامعَ – ويده تُشير إليه – من ماله ، وإنَّما بناه بكنزٍ ظَفِرَ به فى الجبل الثالث [١] – وبَيَّنَ طريق وجوده – وأن العُشَارِىَّ [٢] الذى نصبه على مئذنته وجده فى الكنز ، وأن جميع مابناه فى القرافة من المصانع والمجارى بِرَسْمِ الماء ، وما جَدَّدَه فى السور – من الكنز المذكور .. وكَمَّلَ الخُطْبَة .. وصَلَّى هو وأصحابه ، فلما سمع الناسُ ذلك ، اجتمع خَلْقٌ كثير فى الجامع وصَلُّوا الجُمُعة .

ثم كتب قوم منهم رُقْعَةً يسألونه أن يُوَسِّعَ فى قِبْلَةِ الجامع ، فأمر بإحضارهم ، فلما حضروا أعلمهم أنه [٣] عندما شرع فى إنشاء الجامع على هذا الموضع اختلف المهندسون فى تحديد [٤] قِبْلَتِه ، فَرأَى النَّبِىَّ ، ﷺ ، فى المنام وهو يقول له : يا أحمد ، إنَّ قِبْلَةَ هذا الجامع على هذا الموضع ، وخَطَّ له فى الأرض صورة مايعمل .. فلما كان الفَجر مضَى مُسرعاً إلى الموضع الذى أَمَرَهُ رسول الله ﷺ بِوَضْعِ القبلة فيه ، فَوَجَد صُورَةَ القبلة [٥] فى الأرض مُصَوَّرَةً ، وأنه بَنَى المحراب على ذلك ، وأنه لا يسعه أَنْ يُوَسِّعَ فى المحراب لِأَجْلِ

---

(١) هكذا فى « م » و « ص » .. وفى الكواكب السيارة : « ... وإنما بناه من كنز وجده فى الجبل المقطم » .

(٢) العُشَارِىُّ فى اللغة : القطعة من كل شىء .. وقد تُوضع فوق المئذنة أو القبة لوضع الحبوب للطيور فيها ، كما قال بذلك المؤرخون والأثريون فى تفسير وجود « العشارى » فوق قبة الإمام الشافعى ، فقد كان يعلوها « عشارى » على صورة مركب أو سفينة طولها متران ونصف .
[انظر مساجد مصر لسعاد ماهر ص ٢٧ – المجلد الأول] .

(٣) فى « م » و « ص » : « أنه كان » .

(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » والكواكب السيارة : « فى تحرير » أى : فى إنشاء وإقامة .

(٥) فى « م » : « صُورة للقِبْلَة » .

ذلك .. فَمَضَوْا [١] من عنده وأشاعوا ذلك عن أحمد بن طولون ، فَعَظُمَ شأنُ الجامع وضاق بالمُصَلِّين [٢] ، وقالوا لأحمد : نريد فى الجامع زيادة ، فزاد فيه . ورَأَى رجلٌ فى المنام كأنَّ فاطمة الزهراء [٣] عليها السلام تصلى فى مكانٍ فى هذا الجامع [٤] ، فأصبح وأخبَرَ الناس بالرُّؤْيَا ، فَصَلُّوا فيه ، وهو الآن [أى : المكان] [٥] يُسَمَّى بمقام « فاطمة » ، وعليه مقصورة ، والدعاء فيه مستجاب .

وقيل : إن موسى عليه السَّلام كان يُناجِى رَبَّهُ فى هذا المكان .. والصَّخرات التى ظاهر الجامع [٦] يقال إنَّ هارون تَعَبَّدَ فيها ، ويقال فيها قبره .. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب [٧] .

* * *

---

(١) فى « م » و « ص » : « وأنهم خرجوا » .

(٢) فى « ص » : « على المصلين » .

(٣) فى « م » : « الزهرى » ، تصحيف .

(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « تصلى فيه فى مكانٍ » .

(٥) مابين المعقوفين عن « م » .

(٦) أى : بِظَهْر الجامع (خلفه) .

(٧) قوله : « والله أعلم بالصواب » عن « م » .

ذكر ابتداء الزيارة لقبور الصالحين من التابعين والعلماء والزُّهَّاد
خلا مِمَّنْ تقدم ذكرهم ممن استحقَّ التقديم
وهم أهل بيت رسول الله ﷺ وصحابته

قبر عنبسة [1] :

على ترتيب الزيارة لِمَنْ قَصَدَ [2] خارجًا مِنْ مصر من باب « الصفا » على الدرب المعروف بالشَّعَّارين [3] ، فَلْيَسْلُكْ عن يمينه طالبًا القِبْلَة والشرق إلى باب السور الجديد [4] إلى مُصَلَّى بنى مسكين القديم [يجد] [5] قَبْرَ رجل من الصالحين التابعين ، يُقال إنَّ اسمه « عنبسة » [6] . الدعاء عنده مُستجاب ، وهو رجلٌ من الدَّفْنِ الأول .

---

(١) هذا العنوان من عندنا .

(٢) فى « ص » : « لِمَن قصدهم » .

(٣) فى « م » : « بالشُّعَّارين » ولم أقف عليه . وقد ذكر ابن الزيات فى الكواكب السيارة أن الشيخ موفق الدين بن عثمان ابتدأ بالزيارة من هذه الكيمان – أى المواضع والنواحى – لما فيها من المساجد والمدافن المعروفة بإجابة الدعاء . أمَّا درب الصفا فهو درب كان يصل إلى مدينة القاهرة ، وهو الآن يُعْرَف بشارع الأشرف والسيدة نفيسة .

(٤) فى « م » : « باب السرور » . وفى الكواكب السيارة : « الباب الجديد » . [انظر المصدر السابق ص ١٨٥] .

(٥) فى « م » : « القديمة » . ومابين المعقوفين من عندنا لاستقامة المعنى . ومصلى بنى مسكين القديم كان يعرف بكوم المنامة ، وبنومسكين ذرية مباركة ، كبيرهم الشيخ الإمام العالم القاضى الحارث ابن مسكين ولد سنة ١٥٤ هـ وقيل سنة ١٥٥ ، وكان فقيهًا على مذهب الإمام مالك ، وانتهت إليه الرياسة فى زمنه . وقد عاصر محنة خَلْق القرآن وحُمِلَ إلى بغداد ، فأوقفه الخليفة المأمون بين يديه وقال له : ما تقول بخلق القرآن ؟ قال : إيَّاىَ تعنى ؟ قال : نعم . قال : مخلوق ! قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد : فكفاه الله كيده ، وحسب أنه قال بخلق القرآن ، وليس الأمر كذلك . وكان رضى الله عنه إمامًا فى علوم شتى ، وله مصنفات فى علم التاريخ ، وعلم الميقات ، وعلم الآلات والساعات ، وولى قضاء مصر ١٢ سنة . وتوفى سنة ٢٥٠ هـ . ودُفن بمُصَلَّاه المذكور تحت كوم المنامة ، وبهذه التربة نحو عشرين إمامًا من ذريته .

[انظر الكواكب السيارة ص ٤٧ ، والولاة والقضاة للكندى ص ٥٠٢ – ٥٠٥ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠٨] .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « رجل من التابعين » . ذكره ابن الزيات فيمن دخل مصر من الصحابة ، واختلف فيه ، فقال : هو عنبسة بن عدىّ ، وهو صاحب القبر المعروف بعنبسة ، =

قبر الفقيه عبد الله بن وهب – صاحب الإمام مالك [١] :

ثم تمشي إلى الشرق مقدار مائة خطوة ، تجد قبرين لطيفين [٢] ، أحدهما مما يلي القبلة ، فيه أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القُرَشي [٣] صاحب مالك بن أنس ، أحد الأئمة المشهورين ، سمع من مالك بن أنس ، وابن أبي ذؤيب [٤] ، وروح عبد الله الجبار ، وحَيْوَة بن شُرَيْح ، ومَنْ في طبقتهم ، ورَوَى عنه جماعة ، وله أحاديث عن رسول الله ﷺ ، تركنا ذكرها لشهرتها ، وقصدنا الاختصار ..

ومن أحاديثه التي رواها [٥] : « أنه – ﷺ – نَهَى عن أكلِ كُلِّ ذي نابٍ من السباع » . ومن أحاديثه التي رواها عن رسول الله – ﷺ – من طريق أبي هريرة : « أن الله عز وجل أعدَّ لعباده الصالحين مالا عين رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سمعت ، ولا خَطَرَ على قلب بَشَر » الحديث [٦] .

قال أبو داود [٧] : سمعت ابن وهب يقول : « جعلتُ على نفسي إن

= وذكر أنه مِمَّنْ بايع تحت الشجرة .. وقال السيوطي : .. بايع تحت الشجرة ، وشهد فتح مصر ، ورجع إلى الحجاز ، قاله : ابن الربيع ، وابن يونس والذهبي . غير أن ابن الزيات ذكر في ص ١٨٥ أنه رجل من الدفن الأول . وهو فيه خلاف ، والمرجح أنه رجل من الصالحين . [انظر الكواكب السيارة ص ٢٧ و ٤٦ و ١٨٥ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٥] .

(١) هذا العنوان من عندنا . وقد مر التعريف به .

(٢) في « م » و « ص » : « قبرين لطاف » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) قوله « القرشي » لم ترد في « ص » .. وفي « م » : « بن أبي القرشي » خطأ ، والصواب ما أثبتناه عن المراجع التي ترجمت له .

(٤) هكذا في « م » وفي طبقات الفقهاء .. وفي « ص » : « ابن أبي ذئب » وكلاهما صحيح . وهو : أبو الحارث محمد بن عبد الرحمٰن بن مغيرة بن الحارث ، من فقهاء التابعين بالمدينة ، مات سنة ١٥٩ ، وقيل سنة ١٥٨ هـ .

(٥) هذه الفقرة عن « م » ولم ترد في « ص » إلى قوله : « ولا خطر على قلب بشر » .

(٦) إلى هنا ينتهي الساقط من « ص » .

(٧) في « ص » : « ابن داود » . وفي الكواكب السيارة (ص ٤٥) : « وحكى أبو داود قال : سمعت » وهي مطابقة لما جاء في « م » .

اغْتَبْتُ رجلًا أنْ أصومَ يومًا ، فما هالنى ذلك ، فرأيت أنْ أشْتَدَّ [١] علىَّ ، أنْ أجعل على نفسى أنْ أتصدق بدرهم ، فَاشْتَدَّ علىَّ ذلك » .

وعن يوسف بن عَدِىٍّ قال : « أدْرَكْتُ الناسَ فقيهًا [٢] غير مُحَدِّثٍ ، ومُحَدِّثًا غير فقيه ، خلا ابن وهب ، فإنى رأيته فقيهًا ، مُحَدِّثًا ، زاهدًا ، عابدًا » [٣] .

قال بشر بن قعنب : « رأيتُ ليلةَ مَاتَ ابن وهب كأنَّ مائدة العِلْم قد ارتفعت » .

قال ابن مسلم : « كانت الهدية تأتى مالكًا بالنهار يهديها لابن وهب بالليل » – وعن محمد بن مسلم المرادى قال : « سمعتُ ابن القاسم [٤] يقول : « لو ماتَ ابنُ عُيَيْنَة لضُرِبَتْ لابن وَهْب أكبادُ الإبل ، مادَوَّنَ أحدٌ تدوينه » [٥] .

قيل لسُفيان بن عيينة : مات ابن وهب .. فقال : « إنَّا لله ، وإنَّا إليه راجعون ، أُصِيبَ به المسلمون عامة ، وأنا خاصة » [٦] .

قال هارون الإيلى : « سمعتُ ابن وهب يقول : ماتمر بى ليلة إلَّا وأنا أستمع لها وأذكُر فيها الآخرة وهَوْلَها » .

ورَوَى أبو الحسن قال : « قال لى ابن وهب : كنتُ أتمنى على الله ثلاثمائة دينار أُنفقها فى طلب الحديث ، فبينا أنا ذات ليلة قائم أُصَلِّى إذا برجل قد أقبل ومعه قرطاس مربوط ، فوضعه على نعلى ، ثم ذهب [٧] ، فصليتُ العشاء الآخِرَة

---

(١) فى « ص » : « أشْتَدَّ » .
(٢) فى « م » : « فقهًا » تحريف .
(٣) قوله : « عابدًا » عن « م » .
(٤) من أصحاب الإمام مالك .
(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « ما دَوَّن العلم تدوينَهُ أَحَدٌ » .
(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وأُصِبْتُ أنا به خاصة » .
(٧) فى « ص » : « ثم ذهبتُ » .

ثم أخذتُ القرطاسَ فوجدتُه ثقيلًا ، فظَنَنْتُ أنه دُقَّةٌ (١) أهداها إلَيَّ أخٌ في الله ، فجئتُ إلى البيت ففتحته ، فإذا فيه ثلاثمائة دينار لا تزيد ولا تنقص ».

ورَوَى خالد بن خِدَاش (٢) قال : « قُرِئ على عبد الله بن وهب كتاب أهوال (٣) يوم القيامة ، فَخَرَّ مغشيًّا عليه ، فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيَّام ، وذلك بمصر سنة ١٩٧ هـ » .

قال أحمد بن سعيد الهمداني : « أراد ابن وهب دخول الحمَّام ، فلما دخل سمع لَغَطَ أهلها (٤) ، ورأى شِدة حُمُوِّهَا ، فخطَر بقلبه ﴿ وإذْ يتحاجُّون في النار ﴾ (٥) [فَخَرَّ مَغْشِيًّا عليه] فلما أفاقَ سُئل عن ذلك ، فذكر هذا » (٦) .

وَرَوَى أحمد (٧) عن عبد الرحمٰن بن وهب قال : « طَلَبَ عَبَّادُ بن محمد (٨) عبدَ الله بن وهب للقضاءِ ، فَتَغَيَّبَ في منزل حَرْمَلَةَ بن يحيى ، وهدمَ

---

(١) هكذا في « ص » وهي من التوابل .. وفي « م » : « دَفَّة » وهي الجانب من أي شيء .

(٢) في « م » : « ابن حراش » تحريف . وهو : خالد بن خداش المهلبي ، أبو الهيثم ، حَدَّث عن مالك بن أنس ، وحمَّاد بن زيد ، وابن وهب ، وغيرهم . وثَّقه يحيى بن معين ، وابن سعد . وكانت وفاته سنة ٢٢٣ هـ .

[انظر رجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٨٦ ، والإكمال لابن ماكولا ج ٢ ص ٤٢٨] .

(٣) في « م » : « أحوال » تحريف .

(٤) هكذا في « م » و « ص » أي : سمع أصوات أهل الحمَّام المُبهمة المختلطة التي لا تُفْهم . والحمَّام يُذَكر ويؤنث ، والغالب عليه التأنيث ، فيقال : هي الحمَّام .

(٥) سورة غافر – من الآية ٤٧ .

(٦) مابين المعقوفين عن « ص » وساقط من « م » .

(٧) هو أحمد بن عبد الرحمٰن بن وهب . ابن أخي عبد الله بن وهب . وفي الكواكب السيارة أن أحمد هذا وأبيه عبد الرحمٰن مدفونان معًا في قبر بجوار عبد الله بن وهب . [انظر المصدر المذكور ص ٤٥] .

(٨) هو عَبَّاد بن محمد بن حيَّان البلخي ، من موالي كندة ، والٍ ، من ضحايا فتنة الأمين والمأمون ، كانت إقامته بمصر ، ووليَهَا للمأمون سنة ١٩٦ هـ ، فأقام بالفسطاط ، وكتب الأمين إلى ربيعة بن قيس الحوفي بالولاية على مصر ، وأن يحارب عَبَّادًا ، فنشبت معارك بين الأمويين وأنصارهما انتهت بالقبض على عَبَّاد وإرساله إلى الأمين ، فقتله ببغداد سنة ١٩٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٥٧] .

عبَّادٌ بعض ديارنا [١] ، فقال له رجلٌ : إنما طمع هذا لكذا وكذا أنْ يلي القضاء حتى تَغَيَّبَ [٢] فبلغ قوله عَمِّي ، فدعا عليه [بالعَمَى] [٣] ، فَعَمِيَ بعد جُمعة » .

قال حجاج بن راشد بن محمد : « سمعته ذات ليلة يبكي ويصيح حين أُكْرِهَ على القضاء ، وتَغَيَّبَ ، فأشرفتُ عليه من غرفتي [٤] ، فَسَلَّمْتُ عليه وقلتُ له : ماشأنُك يا أبا محمد ؟ فقال لي : يا أبا الحسن ، إنَّ القُضَاةَ يُحْشَرُونَ مع الملوك ، وإنهم يُحْشَرُونَ كالذَّرِّ [٥] ، وإنَّ العلماء يُحشرون مع الأنبياء » . ثم تَغَيَّبَ [٦] بعد ذلك ، وطُلِبَ فلم يُوجَدْ .

وقال حَرْمَلة : « رأيتُ كتاب مالك بن أنس إلى عبد الله بن وهب مفتي أهل مصر » .

ورَوَى زيد بن أبي الغمر قال : حَدَّثني أبي قال : « سمعتُ ابن وهب يقول : حَجَجْتُ أربعًا وعشرين حَجَّةً أَلْقَى فيها مالكَ بن أنس - قال أبي : وكنَّا نُسَمِّيه ديوانَ العلم .. وكان يقول : الذي تَعَلَّمْنَاهُ مِن أدب مالك أكثر مما تعلمناه من علمه » .

---

(١) في « ص » : « بعض دارنا » .

(٢) في « ص » : « في أن يلي القضاء حتى يتغيب » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٤) في « ص » : « فعرفني » .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ص » : « فقال : يا أبا الحسن ، بينا أنا أرجو أن أُحْشَرَ في زمرة العلماء أُحْشَرَ في زُمْرَةَ الولاة ؟ والله لا يكون هذا أبدًا » . وفي الكواكب السيارة : « إنَّ القضاة يحشرون مع الملوك ، والملوك يُحشرون كالذَّرِّ ، والعلماء يُحشرون مع الأنبياء ، فأحببتُ أن أُحْشر مع الأنبياء » . والذَّرُّ : صغار النمل .

(٦) « ثم » عن « ص » .

وحَدَّثَ عبد الله بن وهب قال : « قال لى مالك بن أنس : ما خَلَّفَكَ عَنَّا مُذْ [١] ليالٍ ؟! فقال له : كنت أَرْمَدَ [٢] . قال : أحسب هذا من كتابة الليل .. قال : فقلت : أَجَلْ .. فصاح مالك بالجارية وقال : هاتى [٣] من ذلك الكحل لأخى وصديقى المصرىّ – يعنى ابن وهب » [٤] .

وَرَوَى محمد بن عمر الأندلسى قال : « ذُكِرَ ابن وهب وابن القاسم عند مالك بن أنس [٥] فقال : ابنُ وَهْبٍ عالمٌ ، وعبد الرحمٰن [٦] فقيه » .

وذكر أبو الطاهر بن عمر بن السراج قال : « أَخْبَرَنى خالى .. وكان من المجتهدين من أهل العلم – قال : رأيت فى المنام قائلاً يقول : لا يُفْتِى الناسَ إِلَّا ابنُ وَهْبٍ وابنُ القاسم المهذب » .

قال حَرْمَلة : « سمعت ابن وهب يقول : إذا أَرَدْتَ الدخول على السلطان فَقُلْ : اللَّهُمَّ رَبَّ السمٰوات السبع وما أَظْلَلْنَ ، ورَبَّ الأَرَضِينَ وما أَقْلَلْنَ ، وربَّ الرِّياح وما ذَرَّيْنَ ، وربَّ الشياطين وما أَغْوَيْنَ ، كُنْ لى جارًا [٧] من فُلان أَنْ يَفْرُطَ علَىَّ أَوْ أَنْ يَطْغَى » .

قال ابن بكير : « وُلِدَ ابن وهب فى ذى القعدة سنة ١٢٥ هـ ، وتوفى يوم الأحد لأربع بقيت من شعبان سنة ١٩٧ هـ » .

---

(١) فى « ص » : « منذ » .

(٢) يعنى : أُصِيبَتْ عينى بالرَّمَد .

(٣) يقال للرجل : هاتِ يارجل – بكسر التاء – أى : أعطنى ، وللمرأة : هاتى – بالياء . [انظر لسان العرب – مادة هيت] .

(٤) فى « ص » : « وصديقى المصرى ابن وهب » .

(٥) فى « م » : « ذكر عندى مالك بن أنس وابن القاسم » وسقط منها ابن وهب . والعبارة فيها خلط من الناسخ وغير مستقيمة ، والتصويب من وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٣٦) ومن « ص » بتصرف يسير .

(٦) يعنى عبد الرحمٰن بن القاسم .

(٧) فى « م » : « جار » خطأً ، والصواب بالنصب . والمعنى : كن لى مُنقذًا وحاميًا .

قبر الشريفة فاطمة بنت محمد بن الحسن [١] :

عند رِجْلَيْهِ [٢] بمقدار ثلاثين خطوة قبرٌ رُخام فيه الشريفة فاطمة ابنة محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب . وقد تُوفيت [٣] فى سنة ٣٨٣ هـ ، والدعاء عندها مُستجاب .

قبور جماعة من الصالحين [٤] :

ثم تستقبل القبلة تجد قبر **عبد الرحمٰن الخواص** [٥] ، حَدَّث عن جماعة ، وحدَّث عنه صاحبٌ له أنه كان يخرج معه فى الليل فيفتح له باب مصر ، فيخرج منه إلى الجبانة ويزور الشيخ أبا الحسن الدينورى ويعود فى الليل .

وتمشى وأنت مستقبل القبلة تحت الكوم تجد قبر **مقبل الحبشى** [٦] وغيره .

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) أى : عند رِجْلَى ابن وهب .

(٣) فى « م » : « توفت » .

(٤) العنوان من عندنا .

(٥) وتقول العوام : إبراهيم الخواص ، وليس هذا بصحيح ، فإنه لم يمت بمصر . وكان عبد الرحمٰن هذا يُسمى « واعظ المقبرة » قيل إنه أقام عشرين سنة يقف كل يوم على المنامة ويقول :

أيها العـــالم معم مثلنـــا بـــالأمس كـــنتم
ليت شعـــرى فى سفـــركم هـــل ربحتم أم خسرتم ؟

فأقام تلك المدة ولم يجبه أحد ، فبينا هو فى يوم من الأيام يتكلم على عادته إذْ سمع قائلًا يقول :

قـــد وجَدْنـــا ماعملنـــا وكـــذا تلقـــون أنتم

فلما كان من الغد مات رضى الله عنه ، وكانت وفاته بعد الستين وخمسمائة . [انظر الكواكب السيارة ص ٤٣ و ٤٤] .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « تجد حومة فيها قبور تعرف بالقاضى بكار » . وسيأتى ذكر هذا . ومقبل هذا رجل من الصالحين ، قال صاحب المصباح : لم أرَ أحدًا من أصحاب التواريخ ذكره . وقبره داثر . [انظر الكواكب السيارة ص ٤٦ و ٢٤١] .

ثم تأتى إلى حَوْمَة فيها قبر يُعْرَف بالقاضى بكّار [١] ، تدخل وأنت مستقبل القبلة تجد قبرًا تحت رجليه وقبرًا [٢] عند رأسه ، فالذى عند رأسه يقال لهم **أصحاب قضبان الذهب** [٣] وهم ثلاثة : إبراهيم ، وهو أكبرهم ، وعبيد الله ، ومحمد .. قيل : إن إبراهيم رُئِىَ فى المنام وهو يقول : مَنْ زارنا فكأنما تصدَّق بقضبان الذهب ، وكانت فى يده ..

والذى عند رجليه يُقال له قبر **أبى العباس أحمد بن المشجرة** [٤] كان من أحسن الناس قراءة ، وكان من قُرَّاء الأفضل بن أمير الجيوش [٥] ، وكان ذات يوم عند قبر الشيخ أبى الحسن الدينورى يزوره ، فاختاره أحد الفقراء [٦] أنْ يقرأ له آية من كتاب الله تعالى ، فامتنع ولم يقرأ ، فَمُنِع القراءة .. فلما حضر مجلس الأفضل بن أمير الجيوش طلب منه القراءة ، فلم يستطع ، فقال له الأفضل : مايمنعك من القراءة ؟ فقال له : لن أستطيع . فأَمَرَ أن يأخذ [٧] له من خزانة الشراب مايُصلح موضع القرآن .. فَقَصَّ عليه قِصَّتَهُ [٨] مع الفقير ، فقال :

---

(١) سيأتى ذكره بالتفصيل بعد قليل .

(٢) فى « ص » : « عند رجليه » . وجاءت كلمة « قبر » مرفوعة فى « م » و « ص » خطأ ، والصواب بالنصب .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فالقبر الذى عند رأسه يقال له : قبر صاحب قضبان الذهب ، قيل إنه رُئِىَ فى المنام ... » الخ .

(٤) فى « م » : « يقال له أبو العباس أحمد بن الشجرة » والأخيرة تحريف . والتصويب من « ص » والكواكب السيارة .

(٥) سقط « ابن » من « ص » . وهو : الأفضل شاهنشاه أحمد بن بدر الجمالى ، خلف أباه فى إمارة الجيوش المصرية ، وكان جيد السياسة ، وَطَّد دعائم الحكم للآمر بأحكام الله العبيدى صاحب مصر ، ودبَّر شئون دولته . نقم عليه الآمر أمرًا فدَسَّ له مَنْ قتله على مقربة من داره فى القاهرة سنة ٥١٥ هـ . وكانت ولايته ثمانيًا وعشرين سنة .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٠٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٨ - ٤٥١] .

(٦) هذه الجملة فيها اضطراب فى « م » . وفى الكواكب السيارة ص ٤٨ : « ... فرأى فقيرًا فسأله أن يقرأ شيئًا من كتاب الله .. » وفى « ص » : « فاقتضى عليه بعض الفقهاء أن يقرأ آية .. » .

(٧) فى « ص » : « يُؤْخَذَ » .

(٨) فى « م » : « فقصَّ له القصة » .

اخْرُجْ واطلُبْه (١) يدعو لك ، فليس لكَ خَلاصٌ إلّا بدعائه (٢) [فلما عاد إليه وجده قد تغير من مكانه ، فسأله الدعاء وتَمَرَّغَ بوجهه على أقدامه .. فقال له : اقْرَأْ فَتَحَ الله عليك] (٣) . فَفَعَل ، فانطلق فى القراءة .

وإلى جانبه من القبلة قبر الرجل الصالح **أبو العباس أحمد بن على بن إسماعيل الجميزى** (٤) صاحب الدرب المشهور بمصر .. كان رجلا صالحًا يبيع الجميز فى مَبْدَأ أَمْرِهِ بباب الجامع ، فدخل رجلٌ من العلويين إلى مصر .. فاشتد به الجوع ، ومنعه الحياء من السؤال ، فدخل الجامع لصلاة الظهر ، فرآه الجميزى فأعجبه سَمْتُهُ (٥) ، ثم دخل خلفه ، وأَحْرَمَ فى الصف الذى فيه العلوى بِالصَّلاةِ (٦) ، فإذا بالعلوى قد سقط فى الصف من شدة جوعه ، فلما فرغ الجميزى من صلاته حَقَّقَ النَّظَرَ فى وجهه فعرف مابه ، فذهَبَ وجَاءَهُ بطعام إلى منزله ، فلما كان من الغد خرج العلوى فرآه رجلٌ فعرفه ، فذهب إلى السلطان فأخبره ، فأرسل إليه بما يركب ، وأمر الغلمان أنْ يمشوا بين يديه إلى حضرة السلطان ، فلما حضر إلى حضرته أخبره بفعل الجميزى معه ، فأمر السلطانُ بإحضاره ، فلما حضر إليه (٧) أَمَرَ له بألف دينار ، فأخذها وانصرف ، ثم إنه اتَّجَر حتى صار ذا مال كثير ، ثم نفد منه المال مدة حتى لم يبق له شىء .

---

(١) فى « ص » : « واطلب الفقير » .

(٢) فى « ص » : « فليس يُخَلِّصك إلّا دُعاؤه » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) كان - رضى الله عنه - يبيع الجميز بباب جامع مصر ، وكان فقيرًا لا يملك شيئًا ولا يجد ما ينفق ، وكان - رحمه الله - عفيفًا جدًّا ، مشهورًا بالخير والصلاح . وقصته مع العلوى وردت فى « م » ولم ترد فى « ص » .

(٥) سَمْتُهُ : هَيْئَتُهُ ووقاره .

(٦) أحرَمَ بالصلاة : دَخَلَ فيها .

(٧) فى « م » : « إلى عنده » .

وسافرَ إنسانٌ أَوْدَعَ عنده أَلفًا من الذهب (١) ، فلما جاء من سَفَره رآه على تلك الحالة ، بعد العِزِّ والغِنَى ، فظن أن الجميزى فرّط فى ماله ، فسَلَّمَ على الجميزى وقال : أين (٢) مالى ؟ قال : موجود .. فأخذه وجاء به إلى منزله ، وحفر مكانًا فى داره ، وطلع بالكيس مختومًا بختم صاحبه .. فقال له صاحب المال : خُذْ منه ماتريد .. فقال : لا آخُذُ أجْرًا على أمانتى ، سِرْ مع السلامة .. ثم عاد الجميزى إلى بيع الجميز على جارى العادة السابقة .. ثم إنَّ الرجل الذى أَوْدَعَ عنده المال مَرِضَ بعد مُدَّة ، فأرسل إلى الجميزى ، فلما حضر إليه (٣) قال له : ياسيدى قد حضر من أمر الله ماترى (٤) ، فَخُذْ هذا المال عندك ، وهذا الولد ولدٌ صغير ، عَلِّمْهُ واصرف عليه من هذا المال الباقى ، وإلَّا فَأَنْفِقْهُ عليه بالمعروف .. ثم مات .. فكان ينظر فى وجه الطفل كل يوم نظرة إلى أن كَبِرَ وآنسَ رُشْدَهُ (٥) ضَمَّ إليه ماله ، والجميزى فقير لا مال له ، يقيم اليوم والليلة لا يجد ما يتَقَوَّتُ به ، ولم يأخذ من مال الطفل شيئًا .

مشهد القاضى بكار بن قتيبة (٦) :

وفى مقابل قبره من جهة القبلة قبر القاضى الإمام ، الولىّ الهُمام **بَكَّار** (٧) **بن قتيبة** بن أسد بن أبى برذعة بن عبيد الله بن بشير بن عبيد الله بن

---

(١) هكذا فى « م » .. وهذه أيضًا لم ترد فى « ص » بهذه الصورة بل وردت مختصرة السياق .

(٢) فى « م » : « أى » ، تصحيف .

(٣) فى « م » : « إلى عنده » .. وفى « ص » : « وكان له صاحبٌ له مالٌ ، وكان له طفل صغير ، فلما حضرته الوفاة أَوْصَى صاحبه بولده وسلم إليه المال .. » الخ .

(٤) فى « م » : « حضر فى أمر الله كما ترى » .

(٥) أى : عَلِمَ وتبيَّنَ منه اهتداءً لحُسْنِ التصرف فى المال .

(٦) هذا العنوان من عندنا .

(٧) فى « م » : « أبى بكرة » وهى كنيته . وهو : بَكَّار بن قتيبة بن أسد الثقفى ، من ولد أبى بكرة الصحابىّ ، فقيه ومُحَدِّثٌ ، وقاضى الديار المصرية ، ولَّاه المتوكل القضاء بمصر سنة ٢٤٦ هـ ، وله أخبار فى العدل والعِفَّة والنزاهة والورع ، وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ٢٧٠ هـ . =

أبى بكرة نُفَيْع بن الحارث ، مولى رسول الله ، ﷺ ، [1] ابن كَلَدَةَ بن عمرو ابن علاج بن أبى سلمة وهو عبد العُزَّى [2] بن غِيَرَةَ ، بكسر الغين المعجمة وفتح الياء ، ابن عوف بن قَسِيّ بن هبنة الثقفى .. وقيل : نُفَيْع بن مسروح ، وكَانَ عَبْدَ الحارِثِ بن كَلَدَةَ [3] ، فاستَلْحَقَهُ ، وأُمُّه سُمَيَّة ، جارية الحارث بن كَلَدَة [4] ، وهى أم زياد بن أبيه .. وإنَّما كُنِيَ أبًا بكرة لأنه تَدَلَّى إلى رسول الله ﷺ ببكرة من حِصنْ [5] الطائف ، وكان قد أسلم وعَجَزَ عن الخروج فكُنى بذلك ، وأعتقه رسول الله ﷺ .

ورَوَى عن رسول الله ﷺ مائةَ حديثٍ واثنين وثلاثين [6] حديثًا ، اتُّفِق على ثمانية أحاديث ، وانفرد البخارى بخمسة ، ومسلم بحديث واحد .. رَوَى عنه ابناه عبد الرحمٰن ، ومسلم [7] ، ورِبْعِى بن حِرَاش [8] ، والحسن

= [انظر ترجمته فى كتاب الولاة والقضاة لمحمد بن يوسف الكندى ص ٤٧٦ – ٤٧٩ وغيرها من الصفحات . والأعلام ج ٢ ص ٦٠ و ٦١ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٩ – ٢٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٥٩٩ – ٦٠٥ ، وحُسن المحاضرة ج ١ ص ٤٦٣] .

(١) ما سيأتى عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى أسد الغابة (ج ٦ ص ٣٨) : « أبى سلمة بن عبد العُزَّى » .

(٣) فى « م » : « جلدة » تصحيف .

(٤) فى « م » : « أم الحارث بن جلدة » خطأ ، والتصويب من المرجع السابق .

(٥) فى « م » : « ابن حصين » تصحيف من الناسخ .

(٦) فى « م » : « واثنان وثلاثون » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) فى سير أعلام النبلاء (ج ٣ ص ٥ و ٦) : « حَدَّث عنه بنوه الأربعة : عبيد الله ، وعبد الرحمٰن ، وعبد العزيز ، ومسلم » وأضاف إليهم : الحسن البصرى ، ومحمد بن سيرين ، وعقبة ابن صهبان ، وربعى بن حِرَاش ، والأحنف بن قيس ، وغيرهم .

(٨) فى « م » : « خداش » تحريف . وهو : ربعى بن حِراش الغطفانى . وحراش : بحاء مهملة مكسورة ، وراء ، وإعجام شين : [انظر ترجمته فى رجال صحيح البخارى ج ١ ص ٢٥٢ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٠٨ ، والإكمال لابن ماكولا ج ٢ ص ٤٢٦] .

البصرى ، والأحنف بن قيس ، وكان من الفضلاء الصالحين ، كثير العبادة ، وكان مِمَّن اعتزل يوم الجمل و لم يُقاتل مع واحد من الفرقتين ، ومات – رضى الله عنه – بالبصرة فى سنة إحدى [١] وخمسين من الهجرة ، وقال [٢] خليفة بن خياط : مات فى سنة اثنتين [٣] وخمسين ، وصَلَّى عليه أبو بَرْزَةَ الأسلمىّ .. وكان أولاده أشرافًا فى البصرة بكثرة المال والعلم والولايات [٤] .. قال الحسن : لم يكن بالبصرة من الصحابة [٥] أفضل مِنْ عمران بن الحُصَيْن [٦] وأبى بكرة [٧] .. رَوَى له جماعة [٨] . والحارث هو مولى رسول الله ، ﷺ .

وَوُلِدَ [٩] بكّارٌ هذا بالبصرة سنة ١٨٢ هـ . وتفقه على ابن يحيى بن مسلم ، المعروف بهلال الرازى ، أحد أصحاب أبى يوسف ، وزُفَر بن الهُذَيْل [١٠] ، وأخذ عنه علم الشروط أيضًا [١١] .. وَحَدَّثَ بمصر عن أبى داود الطيالسىّ ، ويزيد بن هارون [١٢] ، وعبد الصمد بن عبد الوارث ، وصفوان

---

(١) فى « م » : « أحد » خطأ .

(٢) فى « م » : « وكان » . تحريف .

(٣) فى « م » : « اثنين » . خطأ .

(٤) هذه العبارة وردت فى « م » بها عدة تحريفات ، والتصويب من أسد الغابة (ج ٦ ص ٣٨) ترجمة أبى بكرة الثقفى .

(٥) فى « م » : « بالصحابة » .

(٦) فى « م » : « هو ابن الحصين » .

(٧) فى « م » : « وأبا بكرة » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٨) فى « م » : « الجماعة » .

(٩) فى « م » : « وولده » تصحيف .

(١٠) فى « م » : « وتفقه ابن يحيى » والصواب ما أثبتناه ، فقد جاء فى وفيات الأعيان (ج ١ ص ٢٨٠) : « أنه أخذ الفقه عن هلال بن يحيى بالبصرة .. » . وجاء فى « م » : « أبو الهزيل » تحريف ، وهو : زُفَرُ بن الهُذَيْل العنبرى ، أحد الفقهاء والعُبَّاد ، صَدُوقٌ ، وَثَّقَهُ ابن معين وغيره ، وكانت وفاته سنة ١٥٨ هـ . أمَّا أبو يوسف فهو : القاضى أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، صاحب الإمام أبى حنيفة ، وصاحب كتاب الخراج ، وقد ولد سنة ١١٣ هـ وتوفى سنة ١٨٢ هـ .

(١١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(١٢) « يزيد بن هارون » عن « م » وبعده عدة أسماء أخرى لم ترد فى « ص » .

ابن عيسى الزهريّ ، وأبي عامر بن إسماعيل ، وإبراهيم بن الوزير ، وسعيد بن عامر ، وأبي أحمد الزبيريّ ، وأبي عاصم الضَّحَّاك ، وجماعة من طبقتهم .

وقَدِمَ مصرَ [١] قاضيًا عليها ، وكان ذلك مِنْ قِبَلِ المتوكل [٢] : سنة سِتٍّ وأربعين ومائتين ، قبل ولاية [٣] ابن طولون لثمانٍ خَلَوْن من جمادى الآخرة [٤] .

وكان مُحَدِّثًا جليلًا من أفاضل المُحَدِّثين .. ومن جُملة ماروى بإسناده إلى أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفَذِّ بخمس [٥] وعشرين درجة » ، وفي رواية : بسبع وعشرين [٦] .. قال أبو جعفر الطحاوى : سمعتُ أبا العَلىّ [٧] الكوفيّ يقول : « حضرتُ يومًا عند بكّار بن قتيبة ، فدخل عليه رَجُلان يتخاصمان ، أحدُهُما أبُو الآخَرِ ، فنظر إليهما وأَنْشَدَ [٨] :

تعاطَيْتُما ثَوْبَ العُقوقِ كِلاكُما ... أَبٌ غيرُ بَرٍّ وَابْنُهُ غيرُ واصِلِ [٩]

ويقال : إنَّ المتوكل لَمَّا بلغه ماهو عليه من العلم والزهد والفضل والورع ، أرسل إليه كتابًا بتقْليد القضاء مع نجاب [١٠] ...

---

(١) في « ص » : « وكان من أهل البصرة وقَدِمَ إلى مصر ... » .

(٢) في « م » : « وذلك من قِبَلِ المتوكل ، ويقال سنة ثمانٍ وأربعين ، ويقال تسعة وأربعين ، ويقال .. » إلخ . وما أثبتناه هنا عن « ص » .

(٣) في « م » : « ولادة » تحريف . فابن طولون وُلِدَ سنة ٢٢٠ هـ وولي إمرة مصر سنة ٢٥٤ هـ من قِبَلِ الخليفة المتوكل .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٤٠ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٩] .

(٤) التاريخ عن « م » ولم يرد في « ص » .

(٥) في « م » : « بخمسة » خطأ . والفَذُّ : الفرد .

(٦) قوله : « وفي رواية : بسبع وعشرين » عن « م » ولم يرد في « ص » وورد في الكواكب السيارة (ص ٤٩ و ٥٠) .

(٧) في الكواكب السيارة « أبا العلا » .

(٨) في « م » « وأنشأ يقول بيت » . وما أثبتناه عن المرجع السابق .

(٩) في « م » : « العقوب » مكان « العقوق » ، تصحيف .

(١٠) أى : بتولّى القضاء ، يقال : قَلَّدَ فلانًا الأمْرَ : وَلاهُ وفَوَّضَهُ إليه .. والنجاب : رسول الخليفة .

وسأل عنه ، فَدُلَّ على داره ، فلما طلبه قيل له : قد مَضَى إلى الفُرن يَخْبِزُ خُبْزَهُ ، فتعجب النجاب من ذلك ، واستحقره للقضاء ، ولم يكن بُدٌّ [١] من انتظاره ، فجلس عند داره إلى أن جاء من الفرن ومعه الخبز ، فلمَّا رآه النجاب قيل له : هذا « بكّار » ، فقام إليه ، وسَلَّم عليه ، وقال : أنا رسول الخليفة إليك ، فَقِفْ حتى أُبلغك رسالته .. فقال له « بكار » : ما أقدر على الوقوف معك .. قال : ولِمَ ذلكِ ؟ قال : لأَنَّ الرِّداء الذى علىَّ استعرتُه من والدتى لأمضى حتى أخبزَ الخُبز وأعود ، فَقِفْ حتى أستأذنها فى الوقوف معك فيه [٢] ، فدخل داره وأَعْلَمَ والدته بالقصة ، فَأَذِنَتْ له فى الوقوف معه واستماع ماجاء به .. فخرج إليه ووقف ، فقال له النجاب : الخليفةُ يُسلم عليك ، وقد قَلَّدَكَ قضاء مصر ، ولا بُدَّ [٣] من امتثال أمْرِ الخليفة . ثم دَفَعَ إليه تقليد القضاء ، فدَخَلَ إلى داره وأخرج رغيفين من خبزه فدفعهما إليه وقال : امضِ فى حفظ الله تعالى .. فتعجب النجاب من ذلك ، ولم يمكنه أن يقول شيئًا ، واستحقر الرغيفين من خبزه ، ولم يمكن رَدُّهُما ، ورماهما فى مخلاة معه ، وتهاوَنَ بهما [٤] وقال : وَاخَيْبَةَ طَرِيقِى ! ثم مَضَى حتى أتى الخليفةَ ، فأَعْلَمَهُ بتسليم التقليد إليه [٥] وقبوله ، وحكَى له الخبر من أَوَّله إلى آخره ، فقال : وما أَجَازَكَ ؟ فَضحِكَ وقال : أجَازَنى رغيفين من خُبزه الذى خبزه [٦] . فقال له : ائْتِنِى بهما — وكان قد فَرَّطَ [٧] فى أحدهما — فقال : فَرَّطْتُ فى واحد منهما .

---

(١) فى « م » و « ص » : « بدًّا » خطأ ، والصواب بالرفع ، اسم « يكن » .

(٢) « فيه » عن « ص » .

(٣) فى « ص » : « ولا بُدَّ لك » .

(٤) « بهما » عن « ص » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فأعلمه بتسليم التقليد إلى الشيخ بكار ، فقال : وما أجازك .. » .

(٦) فى « م » : « الذى كان خبزه » .

(٧) فَرَّطَ : ضَيَّعَ وبَدَّدَ .

فقال : ائتِنِى بالآخر – فلما جاء به دفَعَ له مائة دينار [١] ويُقال : ألف دينار ، وقال : لو جئتَنِى بالرَّغِيفين أعْطَيْتُكَ ألْفَيْن ، ويقال : مائتين [٢] فبعد مُدة رَمِدَ النجاب رمدًا عظيمًا أشرف فيه على العَمَى ، ثم أراد الخليفة أنْ يُرسله برسالة [٣] أُخرى ، فاعتذر برمده ، فأمَرَ الخليفةُ بإحضار مُكْحُلَة فيها كُحْل ، فكحله منها ، فَبَرِئَ من ساعته ، ومَضَى فى رسالة الخليفة [٤] ، فلما عاد قال : يا أمير المؤمنين ، أُريد ذلك الكحل تُعْلِمَنِى [٥] إيَّاهُ ، فقد وجدتُ فيه شفاءً عظيمًا [٦] . فقال الخليفة : هو الرغيف الذى أُتِيتَ به من عند القاضى « بَكَّار » ، جَعَلْنَا منه فى أكْحَالِنَا وأدويتنا ، فنحن نُعَافَى ببركته ! فندم النجاب على ما فَرَّط .

وكانت ولايته القضاء يوم الجمعة ، فى جمادى الآخرة سنة ٢٤٦ هـ . وكان أحد الفقهاء على مذهب الإمام أبى حنيفة رحمة الله عليه [٧] . أخذ الفقه عن هلال بن يحيى بالبصرة . وكان من البَكَّائين والتَّالين لكتاب الله تعالى . وكان إذا فرغ من الحكم خَلَا بنفسه وعَرَضَ عليها جميع ما حكم به ، ثم يبكى ويقول : يا « بكَّار » تقدم إليكَ رَجُلانِ فى كذا وكذا ، وحكمتَ بكذا وكذا ، فما جوابك غدًا إذا وقفت بين يدى الله سبحانه وتعالى ؟

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فلما أتاه بالرغيف الباق دفع له ألف دينار ... » .

(٢) قوله : « ويقال : مائتين » عن « م » ولم يرد فى « ص » . وفى « طبقات الأولياء » لابن الملقن أن المتوكل جعل الرغيف فى الكُحل والأدوية ليستشفى به .

[انظر المصدر المذكور ص ١١٩ ، والكواكب السيَّارة ص ٤٩] .

(٣) فى « م » : « رسالة » . وفى « ص » : « فى رسالة » .

(٤) فى « ص » : « ومضى فى رسالته » .

(٥) فى « ص » : « أنْ تعلمنى » .

(٦) فى « م » : « شفاء عظيم » خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وفى « ص » : « شفاءً عظيمًا لم [أجده] فى غيره » .

(٧) فى « م » : « وكان أحد الفقهاء على مذهب أبى حنيفة » .

وكان يُكثر الوَعْظَ للخصوم ، ويتلو عليهم قوله تعالى : ﴿ إنَّ الذين يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وأيْمَانِهِم ثَمَنًا قليلاً أُولئك لاخَلاَقَ لهم فى الآخرة ، ولا يُكلمهم الله ولا يَنْظُرُ إليهم يومَ القيامة ولا يُزَكِّيهم ولهم عذابٌ أليم ﴾ (١) . وكان يفعل هذا مع كُلِّ حَالِف ، فمنهم مَنْ يخاف (٢) ويرجع عن اليمين ، ومنهم من يحلف .

وحُكِيَ أيضًا عنه أنه كان إذا أراد أن يُحَلِّفَ شخصًا أَمَرَهُ (٣) أن يقرأ : ﴿ والطُّورِ * وكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فى رَقٍّ مَنْشُور ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إنَّ عذَابَ ربِّكَ لَوَاقِعٌ * مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ (٤) . ثم يقول له احلفْ بعد ذلك (٥) .

وحُكِيَ عنه أنَّ رَجُلًا قال له ذلك ، فقرأ وحلف ، وكان كاذِبًا (٦) فى يمينه ، فبرزت عيناه من وجهه ، فامتنع – بعد ذلك – الفاجرُ أن يحلف . وكان يُحاسب أُمَنَاءَهُ فى كُل وقتٍ ، ويسأل عن الشهود .

وكان أحمد بن طولون يُجيزُه (٧) فى كل سنة بألف دينار [زيادة على القَدْرِ المقرر له] (٨) ، فلما جرى بينه وبينه ماجرى ، قال له ابن طولون : أين جوائزى ؟ يُجاءُ بها .. فأرسل إليه ابن طولون ، فوجد فى منزله ستة عشر كيسًا (٩) مامَسَّها « بكَّار » ، فحملها إليه ، فلما نظر أحمد خَجِلَ

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٧٧ .

(٢) فى « م » : « يخالف » .

(٣) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « أنه أراد أن يحلف شخصًا فيأمره .. » .

(٤) سورة الطور – الآيات من ١ – ٨ .

(٥) فى « م » : « فيقرأ الخصم ذلك [فيتوب] من وقته » . وفيها « تاب » مكان « فيتوب » . وما أثبتناه هنا عن « ص » .

(٦) فى « ص » : « وحلفَ كاذِبًا » .

(٧) أى يعطيه جائزة .

(٨) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٩) هكذا فى « م » وفى « ص » .. وفى سير أعلام النبلاء (ج ١٢ ص ٦٠٣) ، ووفيات الأعيان (ج ١ ص ٢٧٩) : « وطَالَبَهُ – أى : ابن طولون – بجملة المبلغ الذى كان يأخذه – أى : بكار – كل سنة ، فحمله إليه بختمه ، وكان ثمانية عشر كيسًا » .

واستَحَى [١] وظَنَّ أن فَرَّط فيها ، وأنه يعجز عن القيام بها ، فلهذا طالبه .

ولمَّا اعتقله أمَرَهُ أنْ يسلم القضاء إلى محمد بن شَاذَان الجوهرى ، ففعل ، وجعله كالخليفة له والنائب عنه [٢] . وقال الحسن اللَّيْثى : حَدَّثَنى بعضُ شيوخ مصر قال : مررتُ فى أول اللَّيل و « بكَّار » فى غرفته يبكى ويُصلى ويقول : ﴿ كلَّا إنها لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وتَوَلَّى ﴾ [٣] يرددها ما تجاوزها .

وَرَوَى أبو حاتم ابن أخى « بَكَّار » قال : قَدِمَ على عَمِّى « بكار » رَجُلٌ من البَصْرَة ، [عنده عِلْمٌ وزهادةٌ وفَضْلٌ ونُسُكٌ ، فأكرَمَهُ عَمِّى وقَرَّبَهُ] [٤] وأدناه ، وذَكَر أنه كان معه فى المكتب [٥] فى البصرة ، ومضت به الأيام حتى جاء الرجلُ فى شهادةٍ ، ومعه شاهدٌ من شهود مصر ، فَأَدَّوُا الشهادة عند عَمِّى ، فما قَبِلَ شهادة ذلك الرَّجُل ، فلما خرج وهو مُتَكَسِّرُ القلب قلتُ لعمى : هذا رجلٌ زاهدٌ ، عالم ، وأنت تعرفه . فقال : يابن أخى ، مارَدَدْتُ شهادَتَهُ ، إلَّا أنَّا لَمَّا كنا صغارًا فى المكتب جلستُ أنا وإيَّاه على مائدة فيها أُرزٌ وَحَلْوَى [٦] ، فنقبتُ الأُرْزَ بأُصبُعِى ، فقال لى : ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [٧] [فقلت له] : أتهزأُ [٨] بكلام الله على الطعام ؟! ثم أمسكتُ عن كلامه مُدَّةً ، فما أقدر على قبوله وأنا أذكرُ ذلك منه .

---

(١) استَحَى واستَحْيَا : خجل . ومن قوله : « فلما نظر أحمد .. » إلى قوله : « والنائب عنه » عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) سورة المعارج – الآيات من ١٥ – ١٧ . والمراد بلَظَى : جهنم والعياذ بالله ، ونَزَّاعَةً لِلشَّوَى ، أى : قَلَّاعَةً للأَطْرَافِ أو جلد الرأس .

(٤) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٥) المكتب : مكتب تحفيظ القرآن (الكُتَّاب) .

(٦) فى « م » : « وحُلْوٌ » .

(٧) من الآية ١٧ من سورة الكهف .

(٨) مابين المعقوفتين عن « ص » .. وفى « م » : « أتهزئ » .

ودخل على « بكار » قومٌ من أهل « الرملة » فقال قومٌ مِمَّنْ حوله : كيف حال قاضيكم ؟ فقالوا : عفيفٌ ! فالتفت « بكَّار » إليهم وقال : لقد غَمَمْتُمُونى [1] يقال : قاضٍ [2] عفيفٌ ، فَسَدَتِ الدُّنيا !!

وقال محمد بن أحمد بن سلامة : ما تَعَرَّضَ أحَدٌ لبكَّار فَأَفْلَحَ [3] .. لقد تعرض إليه غُلام من بنى يزد يُقال له : عامر بن محمد ، وكان قد دُسَّ عليه وقيل له : تَظَلَّم فيه ، وكان فى حِجْرِ « بكَّار » [4] ، وكان يُقَرِّبُه لِيُتْمِهِ ، فرآه « بكَّارٌ » فى مجلس المَظَالم [5] ، فقال له : ما تصنُع هاهُنَا ؟ فقيل له : هو يرفع فيك [6] !! فقال : عَلَى أَىِّ شىء ياعامر [7] ! قال : أَنْفَقْتَ مالى [8] . قال : أنا ياعامر ؟! قال : نعم [9] . قال : إنْ كُنْتَ كاذبًا فلا نَفَعَكَ الله بعقلك ولا جسمك . قال أبو محمد : أخبرنى مَنْ رآه وهو شيخ ذَاهِل العقل ، يسيل لُعَابُه من فَالِجٍ [10] ويسبُّ الناسَ ويرميهم بالحجارة ، وهم يقولون [11] : هذه دعوةُ الكبير المقدار [12] القاضى « بكَّار » .

---

(١) هكذا فى « ص » . وفى « م » : « عَمَمْتُمُونى » بالعين المهملة ، يُقال : عَمَّ القومُ فلانًا أمرَهُم ، أى : قَلَّدُوهُ إيَّاه ، فصار ملجأً للعامَّة .

(٢) فى « م » : « قاضى » . لا تصح .

(٣) فى « م » : « وأَفْلَحَ » أى : فاز وظَفِرَ بما يريد .

(٤) أى : فى كنفه ورعايته .

(٥) فى « م » : « مجلس الظلم » .

(٦) أى : يرفع شكواه فيك إلى الحاكم .. وفى « ص » : « يرفع عليك » .

(٧) فى « ص » : « على أى شىء تقول ياعامر ؟ » .

(٨) فى « ص » : « أتْلَفْتَ مالى » .

(٩) قوله : « قال نعم » عن « م » .

(١٠) الفالج : شلل يُصيب أحد شِقَّى الجسم طُولًا فَيُبْطِلُ إحساسه وحركته .

(١١) فى « م » : « يقولوا » خطأً ، والصواب ثبوت النون .

(١٢) قوله : « الكبير المقدار » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

وقال [١] بعض أصحاب التواريخ فى ترجمة القاضى « بكّار » : إنه رأى النبىَّ ﷺ وبين يديه طبقٌ فيه تمرٌ ، فقال له : أَطْعِمْنى يارسول الله ، فَنَاوَلَهُ ثِنْتَيْنِ ، ثم استَزَادَهُ [٢] ، فأعطاه ثِنْتَيْنِ ، فاستزاده ، فأعطاه واحدة ، فاستيقظ من نومه وهو يجد حلاوة التمر فى فمه ، ووجد النوى فى يده ، ثم إنه أتى إلى السيدة زكية ابنة الخير بن نعيم الحضرمىّ ، فإذا هى جالسة وبين يديها طبقٌ فيه تمر على صورة الطبق الذى رآه بحضرة النبى ، ﷺ ، فقال لها : أطعمينى ، فناولته ثنتين ، ثم استزادها ، فأعطته ثنتين ، فاستزادها ، فأعطته واحدة ، فطلب منها الزيادة ، فقالت له : لو زَادَكَ رسول الله ﷺ شيئًا منامًا زِدْنَاكَ يَقَظَةً ، ولو زادك ليلًا زدناك نهارًا [٣] !

وسَجَنَ أحمد بن طولون القاضىَ « بكّارًا » [٤] مدة طويلة ، يقال : إنه سجنه بضعة عام [٥] لِسَبَبٍ ، وهو أن « الموفق » الخليفة [٦] لما حكم فى خزائن

---

(١) من هنا إلى قوله « نهارًا » عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) أى : طَلَبَ المزيد .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٤) فى « م » و « ص » : « بكار » ، لا تصح لغة .

(٥) فى « م » : « بضعة عامًا » خطأ . ولم ترد هذه العبارة فى « ص » . بل جاء فيها : « وسجن ابن طولون القاضى « بكار » وسببُ سَجْنِه أن ابن طولون كان عزم على خلع الموفق ، وتوقَّفَ بكار عن الخلع ولم يطاوعه على ما قصد ، فحبسه لأجل ذلك عدة سنين » والجملة الأخيرة منقولة عن وفيات الأعيان ففيه أنه حبسه مدة سنين . وفى كتاب الولاة والقضاة للكندى : كان سَجْنُه فى جمادى الآخرة سنة سبعين [ومائتين] فأقام فى السجن إلى أن عرضت لأحمد بن طولون علَّته التى توفى فيها . وتوفى بعده بكار بأربعين يومًا ، وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ٢٧٠ هـ . وعلى هذا يكون ماقضاه فى السجن ستة أشهر تقريبًا على هذه الرواية . والله أعلم .

[انظر الولاة والقضاة ص ٤٧٧ – ٤٧٩ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٤٢٧] .

(٦) هو : أبو أحمد طلحة (الموفق بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم العباسى ، أمير ، من رجال السياسة والإدارة والحزم ، لم يلِ الخلافة اسمًا ، ولكنه تولّاها فعلًا ، وابتدأت حياته العملية بتولى أخيه « المعتمد على الله » الخلافة سنة ٢٥٦ هـ ، وآلت إليه ولاية العهد ، وظهر ضعف « المعتمد » عن القيام بأعباء الدولة ، فنهض بها الموفق ، وصَدَّ عنه غارات الطامعين بالمُلك ، ثم حجر عليه بعد أن انهمك المعتمد فى اللهو واللذات وانشغل عن الرعية ، وبعد أن عزم على الرحيل إلى =

الأقاليم ، أَمَرَ نُوَّابَه بالأقاليم بحمل الأموال ، وأَمَرَ أحمد بن طولون ، فأبى عن حَمْلِ الأموال وعَصَى ، فأمر أبو أحمد الموفَّق [١] بِسَبِّ أحمد بن طولون على المنابر بعد الخطبة ، وأَمَرَ أحمد بن طولون بسبِّ « الموفق » على المنابر . وخرج أحمد بن طولون فى مائة ألف وأكثر إلى دمشق للقاء رسول [أبى] أحمد [٢] الموفق الذى ولّاه على مصر عِوَضًا عن أحمد بن طولون ، فلما نزل أحمد إلى دمشق أحضَرَ القُضَاة وقال لهم : اثبتوا أن « المُوَفق » خارجِىٌّ [٣] ، ففعلوا له ذلك ، فأَحْضَرَ « بكارًا » إليه [٤] وقال له : سَجِّلْ لى أَنَّ « المُوَفَّق » خارجِىٌّ . فقال له : لم يَثْبُتْ ذلك عندى . فقال له : عُدْ إلى بلدك . فلما عاد أحمد من سفره طلب « بكارًا » وَوَبَّخَهُ ، وقال : مَنْ يشهد لكَ أَنَّ الخليفة وَلَّاك [٥] ؟ ثم طلب منه الجوائز التى تقدم [٦] ذكرها ، فأَحْضَرَها له ، ثم سجنه ، فأقام مسجونًا إلى قُبَيْل موته – كما سَيُذْكَر [٧]. وكانَ يُحَدِّثُ فى السجن من طَاقٍ [٨] ، لأَنَّ أصحاب الحديث اجتمعوا إلى أحمد بن طولون وَشَكَوْا [٩] إليه

= مصر بمكاتبة جرت بينه وبين « أحمد بن طولون » . وكان الموفق شجاعًا موفقًا عادلًا ، عالمًا بالأدب والأنساب والقضاء ، وله مواقف محمودة فى الحروب وغيرها ، وكانت وفاته ببغداد فى أيام أخيه المعتمد سنة ٢٧٨ هـ [انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩ ، ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٢٧ و ١٢٨ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٤٢٥ – ٤٢٧ (ترجمة المعتمد على الله) والولاة والقضاة (ترجمة أحمد بن طولون)] .

(١) فى « م » : « أحمد الموفق » خطأ ، والصواب « أبو أحمد الموفق » فأبو أحمد كنية الموفق ، ولم يرد هذا فى « ص » .

(٢) مابين المعقوفين زيادة لم ترد فى « م » .

(٣) حدث ذلك بعد أن حجر على المعتمد وكان الموفق مشغولًا بقتال صاحب الزنج .
[انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨١ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٧]

(٤) فى « م » : « .. بكار إلى عنده » .

(٥) فى « م » : « أنك الخليفة ولاك » يعنى : ولّاك على القضاء .

(٦) فى « م » : « الذى قدم » .

(٧) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٨) أى : نافذة .

(٩) فى « م » : « وشكروا » تحريف .

انقطاعَ السَّمَاعِ [(١)] من « بَكَّار » ، وسألوه أَنْ يأْذَنَ له فى الحديث ، ففعل ، فكان يُحَدِّثُ على ماذكرنا مِنْ طَاقٍ فى السِّجن . وحديثه مع ابن طولون مُسْتَقْصًى فى سيرته ، فلا حاجة بنا إلى ذِكْرِه هاهنا فنخرج عن الغرض المقصود بذلك .

وكان يغتسل فى كل جمعة فى السجن ويكتحل ويلبس ثيابه ويتطيَّب ، ثم يصبر [(٢)] حتى يسمع [(٣)] النداء بالصلاة ، فيأتى إلى السَّجَّان ، فيقول له [(٤)] : ما تريد أيها القاضى ؟ فيقول : أريد أن أُصَلِّى الجُمعة وأُجِيبَ داعى الله وأعود إليك . فيقول : اعذرْنِى أيها القاضى ، لا قُدْرَةَ لى على ذلك ، يعسرُ [(٥)] عَلَىَّ . فيقول « بكَّار » : اللَّهُمَّ إنِّى أَجَبْتُ مُنادِيكَ فَمُنِعْتُ ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ ، ثم يرجع .

ولَمَّا اعْتَلَّ أحمد بن طولون [(٦)] فى شهر شوال سنة سبعين ومائتين ، أمر الناس بالدعاء فى مسجد « محمود » فى سفح الجبل المقطم ، فخرج الناس يوم الاثنين ، لِسِتٍّ خَلَوْنَ من شَوَّالِ السَّنَة المذكورة ، وخرج معهم محمد بن شاذان الجوهرى ، الذى كان خليفة « بكَّار » فى القضاء لَمَّا سُجِنَ ، وخرج اليهود بالتوراة ، والنصارى بالإنجيل ، وسألوا وابتهلوا ودعوا .. فاشتدَّ به الألم ، [فدعا] [(٧)] خُمَارَوَيْه وقال له : « اذهبْ إلى القاضى « بَكَّار » بن قُتَيْبَة ، فإنى

---

(١) قوله : « السماع » عن « ص » ولم يرد فى « م » . ومعناه : سماع الحديث .

(٢) فى « ص » : « يَتَمَهَّل » .

(٣) فى « م » : « يستمع » .

(٤) فى « ص » : « حتى إذا سمع المنادى ينادى للصلاة أتى إلى السجان ، فيقول له » .

(٥) فى « ص » : « يعز » . وما أثبتناه عن « م » .

(٦) هذه الفقرة عن « م » ، وقد وردت فى « ص » مختصرة هكذا : « ولما اعتل أحمد بن طولون أرسل إلى بكار وقال : أنا أردّك إلى منزلك . فقال بكار : للرسول : قل للأمير : شيخ فانٍ ، وعليل مدنف ، والملتقى عن قريب ، والحاكم هو الله الواحد القهار » . وما بعد هذه الفقرة أثبتناه عن « م » ، حيث لم يرد فى « ص » .

(٧) مابين المعقوفين زيادة من عندنا ولم ترد فى « م » .

أرى أنك تجده يصلى ، فإذا فرغ من صلاته فَقُلْ [١] له : إنَّ والدى يُقرِئُكَ السَّلام ويسألك الدعاء ، وإنْ هو عُوفِىَ أعادك [٢] إلى مرتبتك . فجاءه خُمارويه فوجده قائمًا يصلى ، فلما انتقل من صلاته [٣] نَظَر « بكار » إليه ، فَسَلَّمَ خمارويه عليه ، وأقرأهُ السلام عن والده ، فقال له : لعَلَّكَ جِئْتَ فى أَمْرِهِ . فقال : نعم ، وقال له : إنه يلتمس منك الدعاء ، فإذا هو عُوفى أعادك إلى مرتبتك وزادكَ رفعة . قال : فأخذ القاضى بَكَّارٌ لِحْيَةَ نَفْسِه [٤] وقال : قُلْ له : يقول لك « بكَّارُ » بن قتيبة : هو شيخٌ فانٍ أشْرَفَ على حُفْرَتِهِ [٥] ، وأنت عليل مُدْنَف [٦] أشرَفْتَ على حُفرتك ، والملتقى بيننا عن قريب بين يدى الله عَزَّ وَجَلَّ ، والحاكم هو الله الواحد القهار !

فعاد خُمارويه إلى أبيه فوجده فى النزع ، وتَحَرَّسَ عن الكلام [٧] ، فقضى نحبه ولحق بربه ، وقام بالأمر بعده ولده الأمير أبو الجيش خُمارويه ، فأرسل إلى القاضى « بكار » يقول له : انصرفْ إلى منزلك . فقال : الدَّارُ بأُجْرَةٍ ، وقد اعتدتُ بها وصَلَحَتْ لى . فأقام بها ، وجاءَهُ أصحاب الدار يطلبون أجرة الدَّار فيما مَضَى ، فقال : لا أُجْرَةَ عَلَىَّ . ويُقَال : إنه قال لهم : أنتم عَفَيْتُمْ داركم ونجيتُ بها [٨] ، وهذه أُجرة الدار فى المُدَّة التى أقمتُ بها ، وإذا أقمتُ دفعتُ لكم الأُجرة التى تُستَحَقُّ .

---

(١) فى « م » : « قل » . والصواب وقوع الفاء فى جواب الشرط .

(٢) فى « م » : « عادك » .

(٣) أى : خرج منها . وفى الكواكب السيارة : فلما سَلَّم من صلاته .

(٤) لم يقل الكاتب : « لحيته » خشية أن يلتبس الأمر على القارىء فيظن أن الضمير (فى لحيته) يعود على « خمارويه » .

(٥) أى : على قبره – كناية عن دُنُوِّ أجَلِه .

(٦) مُدْنَف : اشتد مرضه وأشفى على الموت .

(٧) تَحَرَّسَ عن الكلام : احترس منه وتوقَّاهُ .

(٨) هكذا فى « م » . ومعنى عفيتم من الإعفاء ، وهو إسقاط التكلفة . ونجيتُ بها – لعلها من باب التفاؤل . ولعلها تحريف من « نُحيت بها » أى : « سُجنت بها » .. وفى كتاب الولاة والقضاة للكندى : « قال : الدار بأجرة ، وقد أُنِستُ بها ، فما مَضَى فعلى غيرنا ، وما كان فى المستأنَف (أى المستقبل) فَعَلَىَّ » .

فأقام أربعين يومًا ، ثم توفى إلى رحمة الله تعالى ، وصَلّى عليه وَلَدُ أخيه محمد بن الحسين بن قتيبة . وعاش محمد بعد عَمِّهِ عشر سنين . وكانت جنازة [بَكّار] جنازة حافلة [١] ، اجتمع فيها بَشَرٌ كَثِيرٌ ، يُقال إنهم كانوا يزيدون على خمسين ألف رَجُلٍ . ودُفِنَ بالقرب من مصلى بنى مسكين القديمة ، وحُزِنَ لِمَوْته الحُزْنُ الذى يوازى رؤيتهم به . وكانت ولادته بالبصرة فى سنة اثنتين [٢] وثمانين ومائة – ورُوِىَ فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين [ومائة] – وقد بلغ تسعاً [٣] وثمانين سنة ، وهو مسجون .

وَرُئِىَ أحمد بن طولون فى المنام بعد موت القاضى « بكّار » ، فقيل له : ما فَعَلَ اللهُ بك ؟ قال : غَفَر لى وتجاوزَ عنى بشفاعة القاضى « بكار » . فقيل له : مافعل الله بك فى شأن الذين قُتلوا بإذنك فى قبضتك وحروبك ؟ قال : كنتُ بفعلى ذلك بهم رحمةً من الله تعالى لهم ، كان القتل لهم تخليصًا من العذاب الشديد ، والشرِّ المَزِيد [٤] .

وقيل : إنه مَرَّ بصبيانٍ [٥] وهم يرجمون مجنونًا ، فقال لهم : لِمَ ترجمون هذا ؟ فقالوا : هذا يزعم أنه يرى [٦] ربه . فالتفت القاضى إليه وقال : صحيح ذلك [٧] ؟ فقال له المجنون : وكأنك من جُملة الصبيان ؟! فقال له القاضى : إنْ كُنْتَ صادقًا فَمَنْ أنا ؟ قال : أنت « بكّار » بن قتيبة الذى عَلَّقْتَ قُيودَ الناسِ فى عُنقك . قال : صَدَقْتَ .

---

(١) فى « م » : « حَفلة » ومابين المعقوفتين من عندنا .

(٢) فى « م » : « اثنين » خطأً لغوى .

(٣) فى « م » : « تسع » خطأً لغوى . ومابين المعقوفتين من عندنا .

(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٥) فى « م » : « بالصبيان » وما أثبتناه عن « ص » .

(٦) فى « ص » : « رأى » .

(٧) فى « ص » : « صحيح ما يقول هؤلاء الصغار ؟ » .

والدعاء عند قبره [١] مستجاب . ويقال : إنَّ رَجُلًا جاءَ من بغداد فى أيام العادل ابن السلار على وصية بكتابٍ من الحاكم [٢] ببغداد ، فاستقضى المال من الحاكم فلم يوصله إلى شيء منه ، وتَعَسَّر عليه الحال ، وأخذت الرشوة عليه للحاكم [٣] وغيره ، ولم يجدْ منْ ينصره ، فأراد الانصراف إلى بلده بغير شيء ، فقيل له : لو مَضَيْتَ إلى قبر القاضى « بكّار » ودعوتَ الله عند قبره أن يجمع عليك ما جِئْتَ لِطَلَبِه [٤] . فَفَعَلَ ذلك ، ودعا الله تعالى ، وتوسل بالقاضى « بكّار » ، وشَكَا مايجده من بُعد المكان وقِلّة المال ، ثم مضَى من وقته [٥] ، فوجد السلطان راكبًا والحاكم معه ، فوقف له السلطان وسأله عن [حاله] [٦] وأمْرِه ، فأخبره ، فالتفت إلى الحاكم وقال له : سَلِّمْ لهذا مالَهُ السَّاعة ، واحذر أن تُعِيقَهُ [٧] لحظة واحدة . فمضَى الحاكم لوقته وسَلّم إليه المال ، وذلك ببركة الدعاء عند قبر القاضى « بَكّار » رحمه الله .

وكان مولده سنة اثنتين [٨] وثمانين ومائة ، كما تقدم ، وتوفى في شهر ذى الحجة الحرام سنة سبعين ومائتين ، [وكانت وفاتُه ووفاةُ أحمد بن طولون ، فى سنة واحدة ، كما تقدم] [٩] وبلغ عمره تسعاً [١٠] وثمانين سنة ، وكانت مُدة

---

(١) فى « ص » : « عنده » .
(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » لكتاب من الحكام .
(٣) فى « م » : « للحكام » .
(٤) قوله : « ماجئت لطلبه » عن « م » وساقط من « ص » .
(٥) فى « ص » : « فشكا إليه القصة ثم مضى » .
(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » .
(٧) فى « م » : « تبيته » .
(٨) فى « م » و « ص » : « اثنين » .
(٩) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .
(١٠) فى « ص » : « تسع » خطأً ، وفى « م » : « تسعة » خطأً والصواب ما أثبتناه .

ولايته [١] أربعًا وعشرين سنة ، وستة أشهر [٢] ، وستة عشر يومًا ، وأقامت مصر بعده بغير قاضٍ [٣] ثلاث سنين .

قبر الشيخ أبي رحمة [٤] :

ويلي قبره [٥] قبر الشيخ الصالح ، المعروف بأبي رحمة . وكان هذا الرجل صالحًا محبوبًا عند الناس ، يزورُ الصالحين ويُبْدِى أخبارهم [٦] وفَضَائِلَهم ، رآه بعضُ مَنْ كان يزورُ معه في النوم بعد وفاته ، فقال له : ما فَعَلَ الله بك ؟ فقال : والله نجوتُ بِحُبِّ الله وحُبِّ رسوله من النار ، وغفر لي بكثرة الصَّلاة على المختار [٧] .

قبر القاضي الخير بن نُعَيم [٨] :

ومن غَرْبِيّ قبر أبي رحمة – تحت الكوم – قبر [٩] القاضي الْخَيْر بن نُعَيْم ابن عبد الوهاب بن عبد الكريم بن مُرَّة بن كريب [١٠] بن عمرو بن

---

(١) أي : ولايته للقضاء .

(٢) في « م » : « شهور » . وما أثبتناه هو الأصح (جمع قِلَّة) .

(٣) في « ص » : « بلا قضاء » .

(٤) هذا العنوان من عندنا .

(٥) أي : قبر القاضي بكّار .

(٦) في « ص » : « ويدلُّ على أخبارهم » .

(٧) في « ص » : « فقال : والله مالي عمل ينجيني إلَّا حُب الله تعالى وحُب رسوله ، وكنتُ أصلى عليه في كل يوم وليلة ، وأُكثر الصلاة عليه ، فأنجاني الله تعالى من النار ببركة الصلاة على النبي المختار » .

(٨) هو خَيْر بن نُعَيْم من مُرَّة الحضرمي المصري ، قاض ، من رجال الحديث ، والفقهاء والقُصَّاص .. وَلِيَ القضاء ببرقة ومصر سنة ١٢٠ هـ ، واعتزل بمصر سنة ١٣٥ هـ ، فَدُعِيَ ثانية ، فَأَبَى . وكان يُحسن اللغة القبطية . وتوفي سنة ١٣٧ هـ . وقد وثقه النسائي وابن حبان ، وقال أبو زرعة : صدوق ولا بأس به .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٣٢٦ ، والولاة والقضاة ص ٣٤٨ – ٣٥٢ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ١٧٩ ، وحُسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٥٥١ وج ٢ ص ١٣٩ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٩٤] .

(٩) في « ص » : « قُبالة أبي رحمة إلى القبلة قُبَّة تحتها قبر » .

(١٠) بعد هذا في « ص » : « ويكنى أبا إسماعيل ، كان من الفضلاء المحدثين ، وله روايات كثيرة ، =

خزيمة بن أوس الحضرمى ثم الأجدومى ، من بنى ناهض ، يُكنى أبا إسماعيل ، ويقال : أبا نعيم . انتهت إليه الرياسة فى زمنه ، تَوَلّى القضاء والقَصَص بمصر فى آخر خلافة بنى أُميَّة ، وأول خلافة بنى العباس . وولى القضاء ببرقة فى خلافة بنى أُمية ، وكان من الفُضَلاء المُحَدِّثين . وَرَوَى عن سهل بن معلى [١] ، وعبد الله بن هبيرة ، وعن عروة بن الزبير ، وغيرهم . وَرَوَى عنه [٢] يزيد بن أبى حبيب ، والليث بن سعد ، وعمرو بن الحارث ، وغيرهم .

وكان يقضى بين الناس فى الجامع العتيق إلى العصر ، فإذا كان بعد [٣] العصر خرج على باب المسجد يقضى بين اليهود والنصارى . وكان يزيد بن أبى حبيب [٤] يقول : ما أدركتُ من قُضَاةِ [٥] مِصْر أفقه من الخير بن نعيم . ويُرْوَى عن سهلِ بن علىٍّ [ويقال : عبد الرحمٰن بن سهل بن علىّ] [٦] قال : كنتُ كثيرًا ما أُجالِسُ الخير بن نعيم ، وأنا صغير [٧] السِّنِّ ، وكان يتجر فى الزيت ، فقلتُ له يومًا : ياسيدى [٨] ، وأنت أيضًا تتجر فى الزيت ؟ فضرب بيده على كتفى ، وقال : انْتَظِرْ حتى تجوع ببطن غيرك [٩] ! فقلتُ فى نفسى : وكيف يجوع إنسانٌ ببطن غيره ؟ قال سهل : فَلَمَّا بُلِيتُ بالعيال إذا أنا أجوع ببطونهم .

= وكان يقضى بين المسلمين فى مسجد مصر .. » . وما هنا أثبتناه عن « م » .

(١) فى « م » : « عن أبى هريرة » ولم تذكر ذلك المراجع التى ترجمت لحياته .. وفى تهذيب التهذيب : « رَوَى عن عبد الله بن هبيرة ، وسهل بن معلى بن أنس ، وابن الزبير ، وعطاء ، وغيرهم . ولم يأت ذكر لأبى هريرة ، فهو لم يدركه .

(٢) فى « م » : « ورَوَى عن » خطأ ، والتصويب من المصدر السابق .

(٣) فى « م » : « بعض » تصحيف .

(٤) فى « ص » : « يزيد بن حبيب » وما أثبتناه عن « م » وكتاب الولاة والقضاة وهو الصحيح .

(٥) فى « م » : « من قضائه » الأخيرة تحريف من الناسخ .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) فى « ص » : « وأنا حَدَث » .

(٨) فى « ص » : « ياسيدنا » . وفى الكواكب السيَّارة : « ياسيدى ، أتكون فى أحكامك وتُؤتَى بالزيت بين يديك ، ويُوزَن ويُباع ؟ » .

(٩) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « .. حتى تجوع ببطن غيرك فتعلم » . وفى الكواكب السيَّارة : « إذا أنت جُعْتَ ببطن غيرك عَرَفْتَ قَدْرَ ما أنا فيه » .

وَحُكِيَ عنه أنَّ رَجُلَيْن أتَيَا إليه فى وقت صلاة المغرب لحكومة (١) بسبب جَمَلٍ به عَيْبٌ يريد المشترى رَدَّه على البائع ، فخاف من فوات صلاة المغرب ، فأخَّرَهُمَا إلى الغد ، فَذَهَبَا بالجمل وَباتَا (٢) ، فمات الجملُ فى تلك اللَّيلة ، فلما أصبح الصباح جاء البائع والمشترى إلى القاضى ، فقال المشترِى : أصلح الله شأن مولانا القاضى ، اشتريتُ من هذا الرجل جَمَلًا وقال لى : لاعيبَ فيه ، فوجدتُ به عيبًا ، فَجِئْنَا به إليك اللَّيْلَةَ الماضية لفصل الحكم بيننا ، فأمَرْتَنَا أن نأتى فى الصباح ، فمات الجمل فى الليل ، فهل ثمنه يكون فى كيسى أو فى كيسه ؟ فقال القاضى : ياولدى ، لا فى كيسك ولا فى كيسه ، بل فى كيس القاضى الذى لم يخرج لفصل الحكم بينكما . فوزن لهما (٣) ثمن الجمل .

وحُكِيَ عن الشريف محمد بن أسعد النَّسَّابَة ، نقيب الطَّالبيين بمصر — رحمه الله — أنه حَضَرَ إلى القاضى الخير بن نعيم قاضى مصر خَصْمَانِ ، ادَّعَى أحَدُهُما على الآخر بعشرين دينارًا ، فسكت المطلوبُ ولم يُجِبْ (٤) . فقال القاضى : ماتقول ؟! فسكت أيضًا . فقال : ما يُخلِّصُكَ السُّكُوتُ . فنَاوَلَ القاضى رُقْعَةً وقال : استُرْهَا سَتَرَكَ الله ، فَسَتَرَهَا القاضى [بكُمِّه] (٥) وقرأها ، فإذا فيها (٦) : العشرون دينارًا فى ذِمَّتى ، ومَا عَلَىَّ بها شاهدٌ ، لا بينى ولا بينه (٧) ، وأنا عاجزٌ (٨) اليوم فى حَقِّ الرسول قِبَلَ حقه ، إن اعترفتُ

---

(١) أى : لحُكْمٍ أو تحكيم . وهذه القصة وردت فى « ص » فى آخر ترجمته ، أى فى غير هذا الموضع باختلاف يسير فى بعض ألفاظها .

(٢) فى « م » : « فذهبوا وباتوا » خطأ فى اللغة ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) فى « م » : « لهم » .

(٤) فى « م » : « لم يجيب » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .. والمطلوب : هو المُدَّعَى عليه .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٦) فى « م » : « فإذا فيها مكتوبٌ » .

(٧) فى الكواكب السيارة : « وما عَلَىَّ بها شاهدٌ إلا الله » .

(٨) فى « ص » : « وأنا حائر » .

اعتقَلَنِى ، وإنْ أنكرتُ استَحْلَفَنِى ، أفْتِنَا يرحمك الله . فبكى القاضى وأخرج منديلا من كُمِّه ، ووزن العشرين دينارًا لربِّ المال ، فقال له : ماهذا ياسيدى ؟ قال : خلاصُ هذه القضية [١] ، وقرأها عليه ، فقال له : ياسيدى ، أى شىء أَرَدْتَ بهذا ؟ قال : الأَجْرَ والثَّوَابَ . فقال ربُّ المال : أنا أَوْلَى بذلك وأحق ، والله لا أطالبه أبدًا . فَهَمَّ المطلوبُ أنْ يقومَ ، فقال القاضى : هؤلاء خرجوا لله ، لارجعتُ فيهم [٢] ، فتخلص الرجل من العشرين ، وتَحَصَّلَ على العشرين الأُخرى . ويقال : إن المديون امتنع ، فَتَصَدَّقَ القاضى بها .

وكان سبب عزله عن القضاء ، أنَّ رَجُلًا من الجُنْدِ خاصَمَ إنسانًا وقَذَفَهُ [٣] ، فرفعه خَصْمُه إلى الحاكم وَادَّعَى عليه ، وشهد عليه شاهدٌ واحد ، وذهب الخَصْمُ ليحضر له الشاهد الآخر ، فأمر القاضى بحبس الجندى حتى يُحضِرَ الرجلُ الشاهدَ الآخَرَ ، ويُقام على الجندى الحد ، فأرسل أبو عون عبد الملك بن يزيد [٤] فأخرج الجندى من السجن ، فلما بلغ الخَيِّرَ ذلك اعتزل فى بيته وترك الحُكم ، فأرسل إليه أبو عون فى ذلك ، فقال : لا أرجع حتى يُرَدَّ الجندىُّ إلى مكانه ، فلم يُرَدَّ ، وتَمَّ على عزمه . فقال له [٥] : فَأَشِرْ علينا برجل نوليه . فقال : غوث [٦] بن سليمان الحضرمى .

---

(١) فى « ص » : « المسألة » مكان « القضية » .

(٢) فى « ص » : « لا رَجْعَةَ لهم » .

(٣) وردت هذه القصة فى « ص » فى غير هذا الموضع ، وبها اختلاف يسير فى سياقها ، وما أثبتناه هنا عن « م » .

(٤) وكان أبو عون أميرًا على مصر . وفى « م » : « ابن عون » فى الموضعين والتصويب من الولاة والقضاة للكندى .

(٥) أى : ابن عون ، وفى « م » : « قالوا » : وما أثبتناه عن الكواكب السيارة .

(٦) فى « ص » والكواكب السيارة : « عون » مكان « غوث » ، تصحيف ، والصواب ما أثبتناه . وانظر ترجمة غوث بن سليمان فى كتاب الولاة والقضاة للكندى ص ٣٧٣ – ٣٧٦ وغيرها من الصفحات .

وكانت ولاية الخير بن نعيم على القضاء والقصص ثلاث سنين . وتوفى – رحمه الله – سنة سِتٍّ [١] وثلاثين ومائة .

* * *

وتَخْرُج من عند الخير تستقبل القبلة تجد على يسارك ثلاثةَ ألواحٍ من الرخام على قُبورٍ ثَلاثَةٍ ، يقال : إنهم أشرافٌ من البصرة ، وتاريخ وفاتهم [٢] على الألواح من الرخام .

وعلى يمينك تجد قبورًا متباعدة [٣] ، قيل : إنهم أولاد جعفر بن محمد الصادق .

* * *

قبر سهل بن أحمد البرمكى [٤] :

ثم تدخل على يسارك تجد تربة كبيرة بها قبر سهل بن أحمد البرمكى ، من ذُرِّيَّة البرامكة ، كان كاتبًا بمصر على الخراج ، وكان مغرمًا بحب أهل البيت ، وكان كثير الزيارة لمشهد طباطبا [٥] ، قيل : إنه قال عند موته وهو يجود بنفسه لما رأى [أهل بيته] [٦] ، وقد اجتمعوا يبكون عليه ويصرخون ، فأنشد يقول [٧] :

---

(١) فى « م » : « ستة ... » خطأ لغوى .

(٢) فى « ص » : « على قبورهم تاريخ موتهم سنة تسع وسبعين ومائتين » .

(٣) فى « ص » : « ثم ترجع على يمينك تجد ستة قبور متطاولة ، ليس واحد منهم إلى جانب الآخر ... » .

(٤) هذا العنوان من عندنا . وكان سهل وزيرًا فى الدولة الطولونية ، وكان مشهورًا بالخير ، كثير البر للفقراء ، وقد أنشأ التربة المنسوبة إليه بجوار مشهد الأشراف رغبة فيهم .

(٥) من قوله : « كان كاتبًا بمصر .. » إلى هنا ، عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا لاستقامة المعنى . وانظر الكواكب السيارة ص ٦٣ .

(٧) فى « م » : « فأنشأ يقول شعر » هكذا .

إذا ما بَكَى البَاكُونَ حَوْلِى تَحَرُّقًا وقالوا جميعًا : ماتَ سَهْلُ بن أحمد
فَقُولُوا لهم : لاتَنْدُبُوهُ فَإنَّهُ مع السَّادَةِ الأبرارِ آلِ مُحمد [1]

قبر خَلَف الكَتَّانى [2] :

ومعه فى التربة قبر خَلَف الكَتَّانى [3] ، المتصام عن سماع القبيح حتى مات ، كان فى بداية أمره من ذَوى الأسباب [4] ، ثم اشتغل بالعلوم وبرع فيها ، وكان أحد العلماء الفضلاء ، وسافر إلى العراق ، وأفاد علومًا شتى ، وحَدَّثَ ، وحُدِّثَ عنه ، ورَوَى عنه ابن حمضة الحرانى [5] ، وقبره إلى جانب قبر سهل المذكور . قيل : لمَّا كان فى بداية أمره فى السَّبب [6] باعَ امرأةً كتَّانًا ، فخرج من المرأة ريحٌ ، فَخَجِلَتْ وَاستَحَتْ ، ففطن لذلك ، فقال للمرأة : ارفعى صَوْتَكِ حتى أسمع ماتقولين ، فَظَنَّتْ أنه أصَمُّ ، ففرحَتْ بذلك وزال خجلها .

ومثل هذا يُحْكَى عن حاتم بن علوان الأصَمِّ ، وأنه شهر بذلك . وكذلك يُحكى عن أُناسٍ سوى هذين الرَّجُلَيْن . وتوفى خَلَفٌ المذكور فى سنة سبع وخمسين [وثلاثمائة] [7] .

---

(١) الشطرة الأولى فى « م » وفى الكواكب السيارة : « فقلت لهم لا تندبونى فإننى .. » والشطرة الثانية فى الكواكب السيارة : « مع الفتية الأطهار آل محمد » . وما أثبتناه هنا عن « ص » .

(٢) هذا العنوان من عندنا .

(٣) فى « م » : « الكتنانى » تصحيف . وبعد ذلك فى « ص » ورد تاريخ وفاته .. وسيأتى فى آخر ترجمته هنا – ولم يذكر بعد ذلك عنه سوى أنه تَصَامَمَ عن سماع القبيح حتى مات .. أمَّا ما أثبتناه هنا فعن « م » .

(٤) فى « م » : « من ذى الأسباب » وفى الكواكب السيارة : « معدود من أرباب الأسباب » .

(٥) هكذا فى « م » ولم أقف عليه .

(٦) أى : فى المُتَاجَرة .

(٧) مابين المعقوفتين عن « ص » والكواكب السيارة ، ولم يرد فى « م » .

مشهد الشريف « طباطبا »[1] :

ثم تخرج من هذه[2] التربة إلى مشهد « طباطبا » وهو مشهد عظيم مبارك شريف . بهذا المسجد طائفة من بنى « طباطبا » . [وطباطبا] هو : أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر الشهيد المقتول ابن عبد الله ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب ، لُقِّبَ بذلك لِرُتَّةٍ[3] كانت فى لسانه ، كما حُكِىَ عن أبى بكر الخطيب ، الإمام الجليل ، صاحب « تاريخ بغداد »[4] فى ترجمة إبراهيم المذكور ، أنه لَمَّا قَدِمَ بغداد فى خلافة الرشيد سَمِعَ به ، فبعث إليه ، فظن أنَّ أحدًا وشَى به ، فدخل على الرشيد ، فقام له وأجلسه إلى جانبه ، وحَادَثَهُ ، فصار يظهر للرشيد من كلامه الخوف ، فقال : مابلكَ يا أبا إسحاق ؟ قال : رَوَّعَنِى صاحبُ الطَّبَا[5] ، يعنى الذى دعاه ، وكان عليه قَبًا فَبَدَّلَ القاف طاءً ، فَلُقِّبَ بذلك الوقت « طباطبا » .

وقيل : بل طَلَبَ يومًا ثيابه ، فقال الغلام : أَجِىءُ بدُرَّاعَة[6] ؟ فقال : « طباطبا » ، يعنى : قباقبا . ومَنْ عُرِفَ بابن طباطبا فإليه يَنْتَسِبُ ، وهو أول مَنْ لُقِّبَ بذلك .

وأمَّا مَنْ دُفِنَ بهذا المشهد فمن ذُرِّيَّتِه[7] وفيه قُبِرَ وَلَدُ ولدِه على

---

(١) فى « ص » : « قبر الشريف طباطبا رضى الله عنه » . والمادة بعد ذلك عن « م » .

(٢) فى « م » : « هذين » لا تصح .

(٣) الرُّتَّة : العُجْمة فى اللسان ، وهى اللُّكْنَةُ والتَّرَدُّد فى النطق .

(٤) فى « م » بعد ذلك : « أنه فى تاريخ بغداد » .

(٥) فى « م » : « صاحب الطباطبا » مكررة ، وما أثبتناه عن الكواكب السيارة (ص ٥٩) . يعنى : أخافنى صاحب القَبَا .. فقلب القاف طاءً والقَبَا : القَبَاءُ ، وهو ثوبٌ يُلْبَسُ فوق الثياب أو القميص ، ويُتَمَنطق عليه .

(٦) الدُّرَّاعَة : ثوبٌ من صوف ، وتُطْلَق على الجُبَّة المشقوقة المُقَدَّم .

(٧) فى « م » : « من ذريته » والفاء واقعة فى جواب « أمَّا » .. والذى ذكرته المراجع أن « طباطبا » هذا لم يَمُتْ بمصر ، ولا تُعْرَف له بها وفاة . ومن بهذا المشهد هم من نسله ونسل أخيه .

ابن الحسن ، وكانت [١] له مكانة وجلالة ، بَلَغَ ماله بعد موته ثلاثةَ [٢] قناطير ذهب ونصف ، وسبعة [٣] قناطير فضة ، وترك مائة عَبْدٍ ، وأربعين أَمَةً ، وأَوْصَى أنْ يُتصَدَّق بنصف ماله . وتوفى فى سنة خمس وخمسين ومائتين .

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد ولد ولده أحمد بن محمد بن إسماعيل ، ذَكَرَهُ طائفة من الفضلاء ، منهم المؤرخ الفاضل أحمد بن خلكان فى كتابه ماصورته : السيد الشريف أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل ، عُرِفَ بابن طباطبا الرَّسِّى الحسينى ، نقيب الطَّالبيين بمصر ، وكان من أكابر رؤسائها وكُرَمَائِهَا ، وله شعر جيد مليح فى الزهد والغزل ، ذكره أبو منصور الثعالبى فى كتابه « يتيمة الدهر » ، وذكر له مقاطيعَ ، من جُملتها [٤] :

خَلِيلَـىَّ إنِّـى للثريَّـا لَحـاسِدٌ وإنى على ريبِ الزَّمانِ لَوَاجِـدُ
أَيَبْقَى جميعًا شَمْلُهَا وهى ستة وأَفْقِدُ مَنْ أَحْبَبْتُهُ وهـو واحـدُ

وله أيضًا - ويقال : إنه [٥] من كلام وجيه الدولة ابن حمدان ، المكنى أبا المطاع ، عُرِفَ بابن ناصر الدولة ، وبذى [٦] القرنين - شعر :

قَالَتْ لِطَيْفِ [لَطِيفِ] زَارَنِى وَمَضَى بِاللهِ صِفْهُ ولا تُنْقِصْ ولا تَزِدِ [٧]
فقـال : أبصرتـه لـو مـات مـن ظمـإٍ وقلتُ : قِـفْ عـن وُرُودِ الماء لم يَـرِدِ
قالت : صَدَقْتَ ، وَفَاءُ الحُبِّ عادَتُـهُ يابـردَ ذاك الـذى قـالت على كَبِـدِى

---

(١) فى « م » : « كانت » بدون واو العطف .
(٢) فى « م » : « ثلاث » خطأ فى اللغة .
(٣) فى « م » : « وسبع » خطأ فى اللغة .
(٤) فى « م » : « من جملتها - شعر » . ولم يرد الشعر فى « ص » .
(٥) فى « م » : « إنها » أى : مقطوعة الشعر .
(٦) فى « م » : « بذى » بغير واو العطف .
(٧) الأبيات من بحر البسيط ، ومابين المعقوفين من عندنا لاستقامة الوزن .

ومن شعره المنسوب إليه فى طول اللَّيْل [١] :

كَـأَنَّ نُجـومَ اللَّيْـلِ سَارَتْ نَهارَهَـا ... فَـوَافَتْ عِشَاءً وهـى أَنْضَاءُ أَسْفَـارِ [٢]

وقـد خَيَّـمَتْ كـى يستريحَ رِكَابُهـا ... فلا فَلَكٌ جَارِى ولا كوكبٌ سَارِى [٣]

ومن شعره أيضًا – عَفَا الله عنه :

بَانُوا وأَبْقَوْا فى الحَشَاءِ لَهِيبَهُمْ ... وَجْدًا إذا ظَعَنَ الخليل أَقَامـا [٤]

للهِ أَيَّـــامُ السُّرورِ كأَنَّهَـــا ... كانت لِسُرْعَـةِ مَرِّهـا أحلامَـــا

ياعَيْشَنَا المفقـود خُـذْ مـن عمرنـا ... علمًـــا ورُدَّ مـــن الصِّبَـــا أَيَّامَـــا

وكلامه كثير .. وتصدق بجميع مال أبيه المذكور آنفًا ولم يترك منه شيئًا ، وافتقر حتى صار على أُكْلَة فى اليوم . ثم إنَّ أحمد بن طولون علم بحاله ، فأعطاه قرية بمصر ، فكان يحمل إليه خراجها .

وكان من شأنه – رضى الله عنه – أن يشفع للناس ويمشى فى حوائجهم ، كثير الرأفة والحلم ، قال ابن زولاق : لم يُرَ فى الأشراف الذين نزلوا إلى الديار المصرية [٥] من الحجاز وغيره من البلاد أكثر شفقة وسعيًا فى حاجـات النـاس مـن أحمد بن طباطبا .

---

(١) فى « م » وصف هذا الشعر المنسوب إليه بالغرابة فقال : « وهو معنى غريب ... » .

(٢) فى « م » : « نجوم السماء » ولا يستقيم الوزن بهذا ، وما أثبتناه عن الوفيات ج ١ ص ١٣٠ . ووافتْ : أتتْ ، وأدْرَكَتْ . والأنضاء : جمع نِضْو ، ويطلق على البعير المهزول .

(٣) خَيَّمَت القوم : نصبوا خيامًا ، أو أقاموا فيها . وَخَيَّمَ الليل : غَشَّى : (على التشبيه) . والبيتان من الطويل .

(٤) الحشاء : الحَشَا ، ويطلق على مادون الحجاب الحاجز مما يلى البطن كله من الكبد والطحال والكرش ، وماتبع ذلك . والوَجْد : الحزن . وَظَعَنَ : سار وارتحل . والخليل : الصديق الخالص . وفى « م » والوفيات ج ١ ص ١٣٠ : « الخليط » مكان « الخليل » وفيها : « وأبقوا فى حشاى لبينهم » أى لفراقهم .

(٥) فى « م » : « البصرية » تصحيف ، والصواب ما أثبتناه .

وقال ولده السيد عبد الرَّحمٰن : شفع أبى [١] عند صاحب مصر فى شأن مالٍ طلبه الأمير من الناس ، فأَبى أن يقبل شفاعته ، فرأى الأمير فى اللَّيل النبىَّ ﷺ ، قال له : لِمَ لَمْ تَقْبَلْ شفاعة أحمد بن على بن طباطبا ؟ [٢] فلما أصبح الأمير رفع عن أهل مصر الطَّلَبَ .

وتوفى السيد الشريف أحمد المذكور فى سنة ٣٢٥ هـ بمصر ، وقُبِرَ بهذا المشهد ، وقد نَيَّفَ على التسعين [٣] .

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد المذكور وَلَدُهُ عبد الله بن أحمد بن طباطبا ، قال ابن خلكان فى كتابه المذكور : عبد الله بن أحمد المذكور فى الهمزة هو أبو محمد عبد الله بن السيد الشريف أبى [٤] العباس أحمد بن طباطبا الحجازى الأصل ، المصرىُّ المَوْلِد والدَّارِ والوفاة والمُلْحَة [٥] ، وهو المعروف بصاحب السيادة [٦] . كان صاحبَ رباع وضياع ، وله نعمة ظاهرة ، وعبيدٌ وحاشية ، [كثيرَ التَّنَعُّم] [٧] ، وكان مع هذا من الصالحين ، يقوم الليل ويصوم النهار ، كثيرَ الصَّدَقَة والضَّحَايَا والحَطَب من ضياعه [٨] ، وكان حَسَنَ المعاملة ، كثيرَ الإفْضَال على أصحابه [٩] ، يتلطف بهم ، ويركب إلى أصحابه وأصدقائه للزيارة ، ويقضى حوائجهم وحقوقهم ، ويُطيل الجلوس عندهم .

---

(١) فى « م » : « إلى » . تصحيف .

(٢) بعد هذا فى « م » : « أو كلام هذا معناه » وهى جملة اعتراضية .

(٣) فى « م » : « نَيَّفَ عن » . ونَيَّفَ على التسعين ، أى : زَادَ عليها .

(٤) فى « م » : « أبا » خطأً .

(٥) المُلْحَة : الكلمة المليحة .

(٦) فى « ص » : « هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علىّ بن الحسن بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليهم أجمعين » .

(٧) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٨) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « ويرسل إلى كُلِّ مَنْ يُخالطُه أو ينقطع إليه القَمْحَ والضَّحايا والحَطَبَ من ضياعه » .

(٩) فى « م » : « عن أصحابه » . والإفضال : الإحسان .

ذكر أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسن اللَّيْثِي ، المعروف بابن زولاق ، قال : حدثني عبد الله [١] بن أحمد بن طباطبا ، قال : رأيتُ فيما يرى النائم – ولى من العمر أقل من عشرين سنة – كأنَّ طاقًا مفتوحًا من السماء ، فصعدت فيه ، ومشيت حتى انتهيت إلى بَيْتٍ في صدره سرير الرسول [٢] ، عليه امرأة أَعْلَمُ أنها خديجة ، فقمتُ إليها ، وسَلَّمْتُ عليها ، [فقالت : مَنْ تكون ؟ فقلتُ : عبد الله بن أحمد بن طباطبا ، فَصَفَّقَتْ بيديها وقالت : يافاطمة ، قد جاءَك من أولادك ولدٌ . فَخَرَجَتْ من بيتٍ عَلَى يسارِ خديجة ، فقمت إليها ، وقَبَّلْتُ يديها ، فقالت : مَرْحبًا بالولد الصالح ، وجَلَسَتْ] [٣] ثم خَرَجَ كَهْلاَن ، أعلمُ أنهما الحَسَنُ والحسين ، فقمتُ وقَبَّلْتُ يد الواحد ، فقال لى : عَمُّكَ ، وأشار إلى أخيه الحسين [٤] ، ثم جَلَسُوا ، ثم خرج رَجُلٌ عليه سكينةٌ ووقار ، فقال لى أحدهما [٥] : هذا جَدُّكَ أمير المؤمنين علىُّ بن أبى طالب ، فقاموا كلهم [٦] ، وجَلَسَ ، ثم رأيتُ خديجة مُحترفة [٧] تريد النزول عن السرير ، ورأيت الجماعة تحركوا للقيام ، وقد سَرَى نورٌ ، ونزلَتْ خديجة ، وخرج رسول الله ﷺ ، فقاموا كلهم ، وقمتُ معهم ، فأكببتُ على رِجْلَيْهِ أُقَبِّلُهُمَا ، فمنعنى وقال : لا تَصْنَعْ هذا بأَحَدٍ . وجلسوا يتحدثون ، فما أنسى طيب حديثهم ، إلى أنْ قال لى رسول الله ، ﷺ : قُمْ . فقلت : يارسول الله ، إنى أُريد المُقَامَ عندكم . فقال : قُمْ . فأخذ بيدى وأنزلنى من الطَّاق ويدى فى يده وهو يقول لى :

---

(١) فى « ص » : « أبو عبد الله » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) فى « ص » : « سرير أسود » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » والكواكب السَّيارة ، وساقط من « م » . والكهلان – عددها – مثنى كَهْل ، وهو من جاوز الثلاثين إلى الخمسين .

(٤) فى « ص » : « وأشار بيده إلى الحسن » .

(٥) فى « م » : « إحداهما » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) فى « ص » : « فقاموا كلهم له » .

(٧) محترفة : أى على حَرْف السرير وطَرَفه . وفى « ص » : « محتفزة » أى مُتَهَيِّئة .

بَلَغْتَ (١) ؟ فقلتُ : لا . فقال لى : قد بَلَغْتَ ، ولكنْ تَثَبَّتْ . فلما حصلت رجلى على الأرض انتبهتُ كالمصروع ، لا أعقل ، فجاءونى بالمُعَزِّمِينَ (٢) ، وعَلَّقوا التعاويذ ، فأَقَمْتُ نحوًا من شهر (٣) وأنا على تلك الحالة ، ثم أنّى أفقتُ وفتحت عَيْنَيَّ ، فاستبشرَ أهلى ، وسألونى عن خبرى ، فَحَدَّثْتُهم بحديثى (٤) ، فبلغ الحديثُ أبا عبد الله الزُّبيرى (٥) ، فجاء وسألنى عن ذلك ، فأخبرته بحديثى ، فبكى وقال : ليت عينى كانت معك ، لقد شاهَدْتَ يا عبد الله (٦) مشهدًا عظيمًا ، وليكونَنَّ لك نَبَأٌ .

قال أبو محمد المذكور (٧) : حَدَّثَنِى عبد الله بن يحيى بن طاهر العلوى قال : غَرَّنِى قومٌ فى أول مادخلت مصر حتى تَقَبَّلْتُ من أبى بكر محمد بن المَاذَرائى (٨) ضَيْعَةً بألف دينارٍ ، فلم يحصل لى من غلتها سوى

(١) أى : بَلَغْتَ الأرضَ .. وفى « ص » بعد ذلك : « فقلت : لا ، إلى أن بلغ إبهام رجلى الأرض ، فقال لى : بَلَغْت .. » .

(٢) المُعزمين : الذين يقرءون العزائم ويرقُونَ المريض بالتعاويذ والرُّقَى . وفى الكواكب السيارة « فجاءوا لى بالمُعَبِّرِينَ » أى الذين يفسرون الرُّؤَى ، والأول هو الأوجه والمناسب للسياق والمقام .

(٣) فى « م » : « فما قمت نحو من شهر » تحريف من الناسخ .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فحدثتهم بعد أيام .. » .

(٥) فى الكواكب السيارة : « الزبدى » .

(٦) فى « م » و « ص » : « يا أبا عبد الله » وقد تقدم أن اسمه عبد الله بن أحمد .

(٧) أى : ابن زولاق الحسن بن إبراهيم (المؤرخ) .

(٨) فى « ص » : « الماردانى » .. وفى « م » : « المادرانى » فى كل المواضع ، وكلاهما مُصَحَّف من « المَاذَرائى » بفتح الذال ، منسوب إلى « ماذرايا » من قرى البصرة ، وقيل : منسوب إلى « ماذرا » أحد أجداده . وهو محمد بن على بن أحمد ، أبو بكر الماذَرائى ، وزيرٌ من الكُتَّاب ، ولد بنصيبين سنة ٢٥٨ هـ ، ودخل مصر سنة ٢٧٢ هـ ، وخلف أباه فى ولاية النظر فى أمور خمارويه بن أحمد بن طولون بعد مقتل والده سنة ٢٨٠ هـ ، فاستوزره هارون بن خمارويه إلى أن زالت دولة بنى طولون ، فَحُمِلَ مع رجالهم إلى العراق ، فأقام ببغداد مدة ، وعاد إلى مصر مع عساكر العراق ، وولى خراجها ، ومَلَكَ من الضياع مالم يملكه أحد قبله ، قال ابن سعيد (فى المُغْرِب) : « ناهَضَ السلاطين والعظماء وضرب وجوههم بالسيوف ، وهو عامل خراج ... » . =

أربعمائة [١] دينار ، وبَقِى عَلَىّ ستمائة دينار ، فتحيرتُ ، وكلَّمْتُ أبا جعفر ، وكلمتُ إنسانًا من الناس لِيُطْلِعَا الماذَرائىّ على حالى [٢] ، فلم يفعلا ، فقلتُ : والله لأَمْضِيَنَّ إلى عبد الله بن أحمد بن طباطبا ، [فأتيتُهُ] [٣] فأطلعته على حالى ، وعَرَّفْتُه أنَّ عَمّى ، وأبا جعفر ، وغيرهما من الناس ، امتنعوا [٤] من سؤاله ، فقال : أنا والله أمضى معك . فَقَدَّمُوا إليه دابَّةً ، فركب معى إلى أبى بكر الماذَرائىّ ، فقال له : ياسيدى ، هذا الفتى غَرَّهُ جماعة [٥] حتى أخذ ضيعة بألف دينار ، فلم تغلّ له سوى أربعمائة دينار [٦] ، وقد تحملتُ عنه من مالى – لشرفه وقرابته من رسول الله ﷺ – خمسمائة دينار . ففتح أبو بكر الدواة ووَقَّعَ [بالاحتساب [٧] خمسمائة دينار] وحصلت على الأربعمائة المختصة ، وبارك الله لى فيها [٨] .

وقال أبو محمد أيضًا : حدثنى صديق لى قال : وقفتُ بقبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا ، وذكَرْتُ أَفْضَالَهُ ، فقلتُ :

وخَلَّفْتَ الهُمومَ عَلَى أُنـاسٍ   وقد كانوا بِعَيْشِكَ فى كَفَافِ [٩]

= وكان من صلحاء الكبراء ، وحَدَّث عن العُطاردى ، وأعتق فى عمره مائة ألف رقبة ، وأنفق فى حجة حجها مائة ألف دينار . وكانت وفاته سنة ٣٤٥ هـ بالقاهرة ، وأخباره كثيرة ، ولابن زولاق كتاب فى سيرته .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٧٣ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٩ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٧٩ – ٨١ ، والولاة والقضاة ص ٢٦٩ وغيرها من الصفحات] .

(١) فى « م » : « الأربعمائة » وكلاهما صحيح .

(٢) فى « م » : « على قضية حالى » وفى « ص » : « على قصة حالى » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « أن عَمّى وأبا جعفر امتنعا » .

(٥) فى « ص » : « جماعة من المصريين » .

(٦) فى « م » : « دينارًا » خطأ ، والصواب بالجر .

(٧) فى « م » : « ووقع له بالقلم » .

(٨) مابين المعقوفتين عن « ص » ولم يرد فى « م » . وما بعده عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٩) فى « م » : « عن الناس » مكان « على أناس » والبيت من « الوافر » ولا يستقيم الوزن بما جاء فى « م » ولا المعنى .

ثم مَضَيْتُ ، فلما نِمْتُ تلك الليلة رأيته فى النوم ، فقال لى : قد سمعتُ ما قُلْتَ [١] وحِيلَ بينى وبين الجواب ، ولكن امضِ إلى مسجدى [٢] وصَلِّ فيه ركعتين ، وادعُ الله بما أَرَدْتَ يُسْتَجَاب لك .

ويقال : إن قومًا حَجُّوا وخرجوا يريدون زيارة قبر رسول الله ، ﷺ ، فَمُنِعُوا الزيارة ، فَعَزَّ ذلك على رَجُلٍ منهم ، وضاق صدره ، وضاقت عليه الدنيا ، فَمِنْ كثرة ما أصابه من الهَمِّ نام ، فَرأَى فى منامه رسول الله ﷺ وهو يقول : مَنْ فاتَتْهُ زيارتى فَلْيَزُرْ ولدى طباطبا .

ويقال إنَّ رجلًا طحَّانًا انكسَرَ عليه لِرَجُلٍ جندىٍّ من الأكراد ثمنُ قَمْحٍ ، وكانَ وكِيلُ الكردِى الذى عامله فيه ، وكان الطَّحَّانُ [٣] لا يعرف صاحبَ القمح ، فألَحَّ الوكيل [عليه فى] [٤] الطلب ، فأراد أن يتسحب [٥] منه ، فقيل له : لو مَضَيْتَ إلى قبر الشريف ابن طباطبا ودَعَوْتَ الله عنده [٦] ، فلعل الله تعالى ببركته يُسَخِّرُ لك الوكيل يرفق بك أُصْلَحُ لكَ من التَّسَحُّبِ ، يختم على موضعك ، ويُهانُ أَهْلُكَ ، ويشمتُ بك العَدُوُّ ، ويحزنُ الصديقُ .

فأتى إلى باب تُربة الشريف وهو يريد الدخول إليها ، فوجد الوكيل خارجًا من التربة ، فقال له : فلان ؟! قد تغيبتَ مِمَّا أطلبك [٧] ولا أقدر عليك .. أريد الساعة منك المال [٨] . فقال له : أنا أدخل قبر الشريف وأدعو الله عنده ، فإنى

---

(١) فى « ص » : « قد سمعتُك » .

(٢) فى « ص » : « ولكن امضِ إلى مسجد حامد » .

(٣) فى « م » : « والطحان » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٥) يَتَسَحَّب : يتهرَّب ويتخفَّى .

(٦) فى « ص » : « عند قبره » .

(٧) فى « ص » : « أطالبك » .

(٨) هكذا فى « ص » . وفى « م » : « ... ولا أقدر عليك ، أنت فى السماء أو فى الأرض ؟ بسم الله .. أريد الساعة منك المال ... » .

قصدتُ زيارته ، وأخرجُ إليكَ ، فافْعَلْ بى ماشئتَ . فدخل الطَّحَّانُ إلى قبر الشريف ، فوجد عنده رَجُلًا كرديًّا يصلى ، ولم يكن يعرف الطَّحَّانُ ربَّ المالِ [١] ، فدعا الله تعالى عند القبر ، وبكى وتضرع وصاح ، وجعل يَتَلَهَّفُ . فقال له الكرديُّ : ياشيخ ، ما قِصَّتُكَ ؟ فقال له : ياسيدى ، علىَّ دَيْنٌ والله ما أقدرُ على وفائه [٢] ، وقد لقيتُ وكيلَ صاحبِ الدَّيْنِ [٣] على باب التربة ، وما أدرى مايُرَادُ منى ، وما معى شيء ، وإنْ اعتُقِلْتُ [٤] هلكتُ وهَلَكَ صغارى ، وشَمِتَ بى العَدُو [٥] . فقال له : وكَمْ عليك من الدَّيْنِ ؟ قال : مائتا [٦] دينارٍ ثمن قمح ونزل [٧] السعر ، وللناس أيضًا مائة دينار ، لَعَلَّ حاصلى فى الطاحون من عِدَّةٍ وغيرها مايساوى مائة دينار . فقال : أَبْشِرْ وَاسْكُتْ واخْرُجْ معى ، فإن الله تعالى قد فَرَّج عنك .

ثم إنَّ الجندى قَضَى صلاته ودعا طويلًا ، ثم زار ، وأخذ بيد الطَّحَّان وخرج ، وإذا بالوكيل [على باب التربة] [٨] قد قام لأستاذه ، فقال له الكُردى [٩] : مالَكَ عند هذا ؟ فقال : لنا عنده كذا وكذا ، وهو مُتَسَحِّبٌ . فقال : أَتْرُكْهَا له فى سبيل الله تعالى . ثم التفت الكرديُّ إلى الطَّحَّان وقال له : بقى لك حاجة ؟ قال : نعم ، تعيننى [١٠] بشيء من القمح . فقال للوكيل :

---

(١) فى « ص » : « ولم يكن يعرف أنه ربُّ المال » أى صاحبه .

(٢) فى « ص » : « على الوفاء » .

(٣) فى « ص » : « وقد لقيتُ صاحب الدَّيْن »

(٤) فى « ص » : « وإن اعتقلنى » .

(٥) فى « م » : « وشمت بى أعدائى ، وحزن عَلَىَّ الصديق ... » .

(٦) فى « م » : « مائتى » وفى « ص » : « مائتين » . وكلاهما خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) فى « م » : « وترك » مكان « ونزل » .

(٨) مابين المعقوفين عن « ص » .

(٩) فى « م » : « الأمير » .

(١٠) فى « م » : « قال : يعيننى » .

ادفع له مائة أردب من القمح ، وخُذْ حق القمح منه فى أربعة [١] أسابيع حتى يرفع حاله ، ففعل . وهذا من بركات هذا الشريف التى أحاطت بزوّاره [٢] .

وكان فى دهليز [٣] داره رجل يكسرُ اللَّوْزَ كل يوم [٤] من أول النهار إلى آخره ، ويرسل [٥] الحَلْوَى التى ينفذها لأهل مصر ، من الأستاذ كافور الإخشيدى إلى مَنْ دُونَهُ [٦] ويطلق للرجل المذكور دينارين فى كل شهر أجرة عمله ، فَمِنَ الناس مَنْ كان يرسل له الحلوى كل يوم ، ومنهم من يرسل إليه كل جمعة ، ومِنَ الناس مَنْ يُرسل إليه كل شهر . وكان يرسل إلى الأستاذ كافور فى كل يوم جَامَيْنِ من الحلوى ورغيفًا فى مِنْدِيل مختوم ، فحسَدَهُ بعضُ الأعيان ، وقالوا لكافور : الحَلْوَى خيرٌ من الرغيف وأحسن ، وأمَّا هذا الرغيف فإنه لا يَحْسُنُ أن تُقَابَلَ به [٧] .

فأرسل إليه كافور وقال : يُجْرِينى الشريفُ على عادته ويَعْفِينى من الرغيف [٨] . فلما جاءه الرسولُ رَكِبَ من فَوْرِه وعلم أنه حُسِدَ عليه ، وقَصَدَ الحاسِدُ إبطاله [٩] ، فلما اجتمع به قال له : أَيَّدَكَ الله ، إنَّا ما نُنْفِذُ إليك الرغيف تطاوُلًا ولا تعاظُمًا ، وإنما عندى صَبِيَّةٌ [١٠] حسنةٌ تعجنه بيدها وهى صائمة تقرأ

---

(١) فى « م » و « ص » : « أربع » خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وفى « ص » : « وإن كُنْتَ تبيع بالنقد خُذْ ثمنه منه فى أربع أسابيع » .

(٢) فى « ص » : « وهذا كله ببركة الشريف رضى الله عنه » .

(٣) فى « م » : « مدهليز » تصحيف . ومن أول قوله : « وكان فى دهليز داره .. إلى نهاية الترجمة عن « م » وساقط من « ص » . والدهليز : المدخل بين الباب والدار .

(٤) فى الكواكب السيارة : « اللوز والفستق لعمل الحلوى للفقراء ... » .

(٥) فى « م » : « يرسم » تصحيف .

(٦) أى كان يرسل الحلوى إلى « كافور » الحاكم ، وإلى من هو أقل منزلة منه .. ويطلق ، أى : يدفع .

(٧) يعنون : أنه يُنزل من قدرك .

(٨) أى : يرسل لى الشريف الحلوى فقط .

(٩) أى : منعه .

(١٠) فى الكواكب السيارة : « ماكنتُ أُرسل إليك ما أرسلُ استحقارًا بك ، وإنما لى والدة صالحة تعجن بيدها وتقرأ عليه القرآن ... » .

القرآن ، وتخبزه على سبيل التَّبرُّكِ ، فإذا كَرِهْتَهُ قَطَعْنَاهُ . فقال كافور : والله لا أَقْطَعُهُ ولا يكون قُوتِي بعد اليوم سواه . فعاد إلى ماكان عليه من إرسال الحلوى والرغيف .

ولما مات كافور ، ومَلَكَ أبو تميم مُعَدُّ بن المنصور العبيدلى المعز [1] ديار مصر على يد عبده القائد جوهر ، وجاء المُعِزُّ بعد ذلك من إفريقية ، وكان يُطْعَنُ فى نَسَبِه ، فلما قرب من البلد وخرج الناس للقائه ، اجتمع به جماعة من الأشراف ، فقال له مِنْ بينهم ابن [2] طباطبا هذا : إلى مَنْ يَنْتَسِبُ مولانا ؟ فقال له المُعِزُّ : سنعقد لكم مجلسًا نجمعكم ونسرد عليكم نَسَبَنا . فلما استقر المُعِزُّ بالقصر جمع الناس مجلسًا ، وجلس لهم وقال : هل بَقِىَ من رؤسائكم أَحَدٌ ؟ فقالوا : لم يَبْقَ أَحَدٌ . فَسَلَّ عند ذلك نِصْفَ سَيْفِهِ وقال : هذا نَسَبِى . ونثر عليهم ذَهَبًا كثيرًا وقال : هذا حَسَبِى . فقالوا جميعًا : سَمِعْنَا وأَطَعْنَا .

وحكت عنه زوجته السيدة خديجة بنت محمد بن إسماعيل بن القاسم الرَّسِّى ابن إبراهيم طباطبا [3] ، والآتى ذكرها فيه ، قالت : كانت لنا دارٌ على سيف

---

(١) هو : المعز لدين الله مَعَد بن إسماعيل المنصور بن القائم بن المهدى عبيد الله الفاطمى العبيدى ، أبو تميم ، وُلد بالمهدية فى المغرب سنة ٣١٩ هـ ، وبُويع له بالخلافة فى المنصورية بعد وفاة أبيه سنة ٣٤١ هـ ، فجهز وزيره القائد جوهرًا بجيش كثيف ليفتح ما استعصى عليه من بلاد المغرب ، وانقادت له بلاد إفريقية كلها ، ماعدا « سبتة » فإنها بقيت لبنى أمية (أصحاب الأندلس) وجاءته الأنباء بموت كافور الإخشيدى صاحب مصر ، فأشار المعز إلى القائد جوهر بالسير إلى مصر ، فتحها سنة ٣٥٨ هـ واختط مدينة القاهرة سنة ٣٥٩ – ٣٦١ هـ ، وسماها القاهرة المعزيّة ، وأقام الدعوة للمعز بمصر والشام والحجاز . ودخل المعز القاهرة فى سنة ٣٦٢ هـ فكانت مقر مُلكه ومُلك الفاطميين من بعده . وكانت وفاته سنة ٣٦٥ هـ .
[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٦٥ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٥٩٤]

(٢) فى « م » : « عن » مكان « ابن » .

(٣) كانت خديجة هذه زاهدة عابدة ، كثيرة الزهد ، قال عنها زوجها : كانت تسابقنى إلى الصلاة بالليل ، وما رأيتها ضحكت قط ، وتوفيت سنة ٣٢٠ هـ ، وصلى عليها زوجها . وهى مدفونه معه فى القبة تحت رجليه .
[انظر الكواكب السيارة ص ٦١] .

البحر [١] بحافة النيل ، فتوجهتُ إليها وهو معى ، وكان لنا فى الدار أمتعة وأسباب [٢] ، فوجدتُ رجلًا سارقًا قد فتح الأبواب وجعلها كَارَةً [٣] عظيمة ، وحملها على رأسه ، فلما طلعنا من السلم عارضنا فى الطريق ، فأردتُ أن أتكلم ، فأشارَ إلىَّ بالسكوت ، فجعل اللص يُزاحمنا فى السُّلَّم ، وبَعْلِى يلقى عنه الحائط [٤] ، فلما نزلَ قلتُ له : هذا سارقٌ أخذ متاعنا ، لأى سبب تركته ؟ قال : وما يُدريكِ أنَّ ذلك يكون سببًا لتوبته . قالت : فلم تمضِ أيام [٥] قلائل حتى جَاءَهُ رجلٌ ومعه عبيدٌ وحشَمٌ ، فقال : ياسيدى ، أريد أنْ أَخْلُو بك ، فجاء معه ، فقال له : هل تَذْكُرُ [٦] الرَّجُلَ الذى كُنْتَ تلقى عنه الحائط بيدك ؟ قال : نعم . قال : ياسيدى أنا هو ، ولقد بُورِكَ لى فى متاعك حَتَّى أنَّ جميع ماتراه منه ، ومعى آلاف ، وقد جئتُ إليك بألف درهم وعبدين وجاريتين . فتبسم ثم قال له : منذ رأيتُك دعوتُ لك بالبركة ، والله لا أقبل منك شيئًا . ثم دعا له بدعواتٍ عظيمة ، وقال له : اذْهَبْ فى حفظ الله وسلامته . قالت : ثم صار الرجل فى كل قليل يأتى إليه يصلى ، ويسلم عليه .

وكان الشريف - رحمه الله - حسن المذهب ، كثير الأفضال كما ذُكِرَ فى أول ترجمته . وكانت ولادته فى سنة ستٍّ وثمانين ومائتين ، وتوفى - رضى الله عنه - بمصر فى الرابع من شهر رجب ، سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة بِعِلَّةٍ يُقَال لها « التوثة » [٧] عرضت له فى حَنَكِه وحلقه ، وعُولج بضروب العلاجات ولم

---

(١) سيف البحر : جانبه أو ساحله . بكسر السين المهملة .

(٢) فى « م » : « متعة وأسبابًا » تحريف من الناسخ .. وفى المصدر السابق : « أثاث وقماش » .

(٣) الكَارَةُ : ما يُجْمَعُ ويُشَدُّ ويُحْمَلُ على الظَّهر من طعامٍ أو ثيابٍ .

(٤) أى : حتى لا يصيبه أو يصطدم به .

(٥) فى « م » : « أيامًا » خطأ .

(٦) فى « م » : « فقال له : بسم الله ، قال له لما خَلِىَ به : تذكر ... » والجملة المثبتة هنا عن الكواكب السيارة .

(٧) هكذا فى « م » . والتوثة : الفِرْصاد ومعناه فى اللغة الحُمْرَةَ ، أو حَبٌّ صغيرة كنوى العنب (والله أعلم) .

تُفِدْ شيئًا ، وكانت عِلَّتُهُ غريبة لم يُسْمَعْ بمثلها . وصُلِّيَ عليه فى مُصَلَى العيد ، وحضر جنازته من الخَلْقِ مالا يُحْصِى عَدَدَهُمْ إلَّا اللهُ سبحانه وتعالى . ودُفِنَ بقرافة مصر بهذا المشهد ، وقبره معروف يُزَار ، وهو مشهور بإجابة الدعاء .

وهذه الحالة التى وقعت له مع المُعِزِّ عند قدومه مصر جاء ذِكْرُهَا فى كتاب الدول المنقطعة ، لكنها تناقض تاريخ الوفاة ، فإن المُعِزَّ دخل مصر فى شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، وابن طباطبا توفى – رضى الله تعالى عنه – فى سنة ٣٤٨ هـ كما هو مذكور ، فكيف يمكن الجمع بينهما ؟ قال ابن خِلِّكَان : وأَفَادَنِى تاريخ وفاته الحافظ زكىّ الدين عبد العظيم المنذرى الشافعى ، وراجعته فى هذا التناقض ، فقال : أمَّا الوفاة فهى مُحَقَّقَة ، ولعَلَّ صاحب الواقعة ولده ، والله أعلم [١] .

قبر على بن الحسن ، صاحب الحورية [٢] :

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد أبو الحسن على بن الحسن بن على بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن ، المعروف بصاحب الحورية [٣] ، يقال : إنه رأى فى المنام أنَّ جارية نزلت من السماء من أحسن خَلْقِ الله تعالى ، أضاءت الدنيا لنور وجهها ، فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : لِمَنْ يُعطى ثَمَنِى . فقال لها : وما ثَمَنُكِ ؟ قالت : مائة ختمة . فقرأها ، وَفَرَغَ منها ، فرأى فى المنام الحورية [٤] فقال لها : قد فَعَلْتُ ما أَمَرْتِنِى [٥] به . فقالت له : ياشريف ، إنك ليلةَ غَدٍ [٦] عندنا .

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) هذا العنوان من عندنا .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « ومعه (أى مع الشريف أحمد بن طباطبا المتقدم ذكره) فى التربة ولده ، يُقال له صاحب الحورية ... » .

(٤) فى « ص » : « فرآها فى المنام » .

(٥) فى « م » : و « ص » : « أمرتينى » خطأ .

(٦) فى « م » : « ليلة غدًا » . وفى « ص » : « إنك غدٍ » وكلاهما خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

فأصبح الشريف وجهَّز نفسه ودَعَا الناسَ لجنازته ، وأَعْلَمَ أهله ، فمات فى ذلك اليوم ، رضى الله عنه .

ويقال إنه لُقِّبَ بذلك لأنه كان فى أول عمره ينام الليل ، فرأى الجنة وما فيها من الحور العِين ، فأَعْجَبَتْهُ حورية [1] ، فقال لها : هَلُمِّى إلَىَّ ، فقالت : لا سبيل إلى ذلك إلّا أنْ تعطينى أُمنيتى . فقال لها : ما أمنيتُكِ ؟ فقالت : قيام اللَّيل . فقال : والله لا نِمْتُ بعدها . فأدركَتْهُ سِنَةٌ من النوم فى بعض الليالى ، فقالت له : إيَّاك والنوم فَيَنْفَسِخَ العقد . فكان لا ينام ليلًا ولا نهارًا حتى مات ، رضى الله عنه .

قبر يحيى بن على العلوى [2] :

ومِمَنْ قُبِرَ بهذا المشهد أبو القاسم يحيى بن على بن محمد بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن أبى طالب ، وكان يحيى بن على من أكابر العلويين ، انتهت إليه الرئاسة فى زمنه ، ومعه ولده أحمد ، ورأسه تحت رجليه . وكان جليل القدر ، عظيم المنزلة ، يأتيه السائل فيعطيه ثوبه ، وجاءه رجل فسأله : هل من شىء لله ؟ فقال له : لم يكن عندى سوى نفسى فَخُذْنِى فَبِعْنِى ، فأخذه وجاء به إلى الوزير الماذَرائى ، فقال له : ياوزير اشْتَرِنِى [3] من هذا ! فقال : من يقدر على ثمنك ؟ ثم دفع للرجل مائة دينار ، ويقال : ألف دينار .

ومن كلامه – رضى الله عنه : أَشَدُّ الخَجَل خَجَلُ السؤال ، وأشدُّ الندم ندم العاصى .

---

(١) فى « م » : « فأعجبه حورىٌّ » تحريف .. ومن أول قوله : « ويقال إنه لُقِّبَ بذلك » إلى « قبر العبد الصالح فرج » عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) العنوان من عندنا .

(٣) فى « م » : « اشترينى » .

قبر أبى الحسن بن على (ولد صاحب الحورية) [١] :

ومن قُبِرَ بهذا المشهد أبو الحسن بن على بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن طباطبا ، وهو ولد صاحب الحورية ، وكان من الزُّهَّاد العُبَّاد ، توفى – رضى الله عنه – فى سنة ٣٥٢ هـ .

قال – رضى الله تعالى عنه : رأيتُ رسول الله ﷺ فى المنام ، فقلت : يارسول الله ، مَنْ أقربُ إليك مِن أهلك ؟ قال : مَنْ تَرَكَ الدنيا وراء ظهره ، وجعل الآخرة نُصْبَ عينيه ، وَلَقِيَنى وكتابه مُطَهَّرٌ من الذنوب . ومعه فى قبره والدته ، ووالده المذكور آنفًا .

بعضُ مَن دُفِنَ بمشهد « طباطبا » من نسله غير ما تقدم [٢] :

ومن قُبِرَ بهذا المشهد الحسن بن محمد بن أحمد بن القاسم الرَّسِّى ابن إبراهيم طباطبا ، والرَّسُّ قرية من قُرَى المدينة ، سكنها القاسم المذكور فَعُرِف بها . ولمَّا دخل القاسم المذكور إلى مصر جلس بالجامع العَمرى ، واجتمع عليه الناس لسماع الحديث ، وجمعوا له المال ، فأبَى أن يقبل منه شيئًا ، فزاد أهل مصر مَحَبَّةً فيه لزهده فى المال . وكانت له دعوةٌ مُجَابَة .

وقال العبيدلى [٣] : كان القاسم أبيضَ ، مقرون الحاجبين ، كثير الخشوع ، يتكلم بالحديث غالبًا والقرآن ، وكان كثيرًا مايقول : حدثنى أبى عن جدى عن أمير المؤمنين علىِّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، أنه كان يقول : مَنْ أراد البقاء ، ولا بقاء [٤] ، فليُبَاكِر الغداء ، ولا يتمسى بالعشاء ،

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) العنوان من عندنا .

(٣) فى الكواكب السيارة : « العبيدلى النَّسَّابة » .

(٤) فى « م » : « ولا يفغا » تصحيف ، والتصويب من المصدر السابق .

ولْيُخَفِّفْ فى الصيف الرِّداء ، ويُثقل فى الشتاء ، وليُقَلِّل من مُجَامَعَة النساء ، وخير نسائكم طيبة الرَّائحة .

وكان القاسم أكثر أهل زمانه فقهًا وحديثًا وعِلمًا ، ومات بالرَّسِّ بعد أنْ رجع من مصر إليها فى سنة عشرين ومائتين .

* * *

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد علىُّ بن الحَسَنَ بن طباطبا ، توفى – رحمه الله – فى سنة ٣٤٨ هـ .

* * *

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد الحسن بن محمد بن أحمد بن على بن الحَسَنَ بن إبراهيم طباطبا .

* * *

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد يِعًا (١) الكبير أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد ابن على بن الحَسن بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علىّ (٢) بن أبى طالب .

* * *

---

(١) فى « م » : « بيغا » والتصويب من المصدر السابق والولاة القضاة .

(٢) فى « م » كرر اسم « الحسن » ثلاث مرات ولم يذكر اسم علىّ ، والتصويب من وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٩ .

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد بِغَا الصغير ، وهو المُسَمى أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن على بن الحسن بن إبراهيم طباطبا . قُتِلَ المذكور بالإسكندرية فى جمادى الأولَى [١] سنة ٣٥٥ هـ ، وَجِيءَ به حتى دُفِنَ بهذا المشهد .

* * *

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد أخو عبد الله بن طباطبا ، صغيرٌ ، توفى قبل وفاة أخيه فى جمادى الأولى سنة ٣٣٣ هـ ، وقبره تحت رجلى أخيه .

* * *

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد الحسن بن على بن أحمد بن على بن الحسن بن محمد ابن إبراهيم طباطبا ، المعروف بالأزرق الكبير . وبالمشهد ولده على بن الحسن الأزرق ، وبالمشهد وَلَدُهُ أبو [٢] محمد الحسن بن على بن الحسن الأزرق .

* * *

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد الأزرق الصغير محمد بن عبد الله بن أحمد بن على ابن الحسن بن إبراهيم طباطبا ، توفى – رحمه الله – بدم أصابه فى لسانه بدعاء أبيه .

* * *

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد الحسين بن محمد بن محمد بن أحمد بن على بن الحسين بن إبراهيم طباطبا ، وقد دُفن هو ووالده فى قبر واحد .

وقد انتهى الكلام بفضل الله سبحانه وتعالى على مَنْ دُفن بهذا المشهد من ذكور بنى طباطبا . ثم يأتى الكلام [٣] على من دُفن بهذا المشهد من إناثهم .

---

(١) فى « م » : « جمادى الأول » والأخيرة خطأ .

(٢) فى « م » : « أبى » خطأ .

(٣) فى « م » : « ثم الكلام » .

مَنْ دُفن بمشهد « طباطبا » من إناثهم[١] :

فَمِنَ المقبورات [٢] بهذا المشهد – عند باب القُبة – السيدة خديجة ابنة محمد بن إسماعيل بن القاسم الرَّسِّى ابن إبراهيم طباطبا ، وكانت هذه السيدة زاهدة عابدة ، كثيرة العبادة والزهد ، وكانت تحت [٣] عبد الله بن أحمد بن طباطبا ، وكان يقول : إنها تسابقه لصلاة اللَّيْل ، قال : وما رأيتُها ضحكت قط .

وحكى عنها إنسان جلس على قبرها ، وكان به وَرَمٌ فى رجله ، فأُخذ من تراب القبر وقال : بسم الله ، ومَسَّ بالتراب فى رجله ، فوجد الشفاء ببركة هذه السيدة العظيمة ، وتوفيت ، رضى الله عنها ، فى سنة عشرين وثلاثمائة .

* * *

ومن المقبورات فى هذه التربة نفيسة ابنة على بن الحسن بن إبراهيم ، وهى عمة عبد الله بن أحمد بن على بن طباطبا . وبهذا المشهد قبر السيدة آمنة ابنة الحسن بن محمد بن أحمد بن السيد على بن الحسن بن إبراهيم طباطبا ، وهى أخت على بن الأزرق . وبهذا المشهد أيضًا نفيسة بنت على بن الأزرق بن الحسن المذكور .

مَنْ دُفن بمشهد « طباطبا » من الصالحين [٤] :

وقد انتهى الكلام – حسب الطاقة – على مَن قُبِرَ بهذا المشهد من إناث بنى طباطبا ، وبقى الكلام على مَنْ دُفِنَ بهذا المشهد من غير بنى طباطبا ، ولكنْ

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) فى « م » : « المقبورين » .

(٣) فى « م » : « تحب » تصحيف . وكانت تحته أى : زوجته .

(٤) العنوان من عندنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نقول : كان بعض الصالحين المحبين لأهل البيت الطاهرين ، إذا قصد زيارة هذا المشهد ودَخَل من بابه ، كشف رأسه إجلالًا لأهل البيت ، ثم يأتى إلى وجه الضريح ويستدبر القِبْلَة ويقول : السلام عليكم أهل البيت المُكَرَّم ، السلام عليكم نَسْلَ النبى المُعَظَّم ، السلام عليكم أهل بيت رسول الله ، ﷺ ، السلام عليكم يامن سَفَرتْ لوامع مَجْدِهم ، السلام عليكم يامن همرت هوامع وفدهم [١] ، السلام عليكم يامَنْ ظهرَتْ أنوار علائهم ، السلام عليكم يامن بهرت آثار نسائهم [٢] ، السلام عليكم ياتحية الشرف الباذخ [٣] ، السلام عليكم ياسلالة المجد الراسخ ، السلام عليكم ياجواهر العُلا ، السلام عليكم يا أسياد المَلا [٤] ، السلام عليكم ينابيع المكارم ، السلام عليكم سلائل الأكارم ، السلام عليكم ورحمة الله العَلِّى ، وتبائع إنعامه وفضله الجَلِى ، صلى الله على جدكم أفضَلَ وأزكَى وأنْمَى وأعْلَى صلاة صَلَّاها على أحدٍ من أنبيائه ورسله . ثم يقول : ﴿ إنما يُريد الله لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أَهْلَ البيتِ ويُطَهِّرَكُم تطهيرًا ﴾ [٥] ثم ينشد بصوت رقيق :

يابنى الزهراء يامن قَدْرُكُم ... قد سَمَا فى الأرض يامن سُدْتُمُ [٦]
يابنى السِّبْطَيْن مَنْ هُم بُغْيَتِى ... ومُلوكُ الأرض أنَّى يَمَّمُوا [٧]
مَنْ يُضاهِيكُم وطه جَدُّكُم ... أهل بيت المصطفى هُمْ أنْتُمُ [٨]

---

(١) هَمَرَتْ : سالَتْ وفاضَتْ . والهَوامِعُ : الأمطار ، وهذا التعبير كناية عن الكرم والعطاء .

(٢) هكذا فى « م » ، ولعلّه يريد : بهرتْ أنوارُ نسائهم ، أى : عَمَّ نُورُها وضَوْءُها ، أو فاقت نساؤهم النساء الأخريات فى الحُسْن والمجد والشرف .

(٣) الباذخ : العالى .

(٤) الملا : الملأ ، ويُطلق على الجماعة وعلى أشرافِ القوم وسَرَاتِهم .

(٥) سورة الأحزاب – من الآية ٣٣ .

(٦) يابنى الزهراء : يا أبناء فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين ﷺ وسَمَا : علا وارتفع .

(٧) يابنى السبطين : يا أبناء الحسَن والحسين ، رضى الله عنهما . ويَمَّمُوا : قصدوا .

(٨) يُضاهيكم : يُشَابهكم ويماثلكم فى الرفعة والشرف .

جَدُّكُم أزكَى نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ... مَنْ أتانا بالهُدى جَدُّكُمُ
جَدُّكُمْ رَبُّ البرايا اختاره ... فلهذا خَيْرَنا قَدْ كُنْتُمُ (١)
جَدُّكُم رَبُّنا شَرَّفَهُ ... مَهْبِطُ الْوَحْيِ نبيٌّ أعْظَمُ (٢)
جَدُّكُم ليس على مَوْلَى الوَرَى ... أحَدٌ فى الخَلْقِ مَنْ هو أكْرَمُ
وعليٌّ المُرْتَضَى أصْلُكُمُ ... فلهذا كُلُّ فَخْرٍ حُزْتُمُ
أنْتُمُ الأشرافُ ساداتُ الوَرَى ... من سِوَاكُم يا أجِلَّا فقدتمُ (٣)
كيف لا يامَنْ هُمُ سُؤْلِى وقد ... أذهب الرحمٰن رِجْسًا عنكمُ (٤)
نَالَ كُلَّ الخيرِ مَعْ مارَامَهُ ... مَنْ دَعَا اللهَ تعالى بِكُمُ
حُزْتُمُ جُودًا وفَضْلًا وتُقًى ... جُودُكُم عَمَّ البرايا مِنْكُمُ
كَمْ كَسِيرٍ ذى احتياج جاءكم ... نال ما يَرْجُوهُ مِنْ خَيْرِكُمُ
كم فَقيرٍ ياكِرامٌ بِكُمُ ... ذا غِنَاءٍ صَارَ مِنْ بَذْلِكُمُ (٥)
قُلْ لِمَنْ يَعْذِلُنِى فى حُبِّهِمْ ... ياجَهُولُ ، ما بِعَذْلٍ تَحْكُمُ (٦)
لستُ أسْلُو حُبَّهُمْ لا والذى ... مَنَّ ، ما السُّلْوَى بِشَأْنِى عَنْهُمُ (٧)
حُبُّهُم وسط فؤادى ساكِنٌ ... وبه نارُ فُؤَادِى تَضْرَمُ (٨)
ياكِرامٌ مُهْجَتِى قد مَلَكُوا ... بَلْ وكُلِّى وجميعى لَهُمُ (٩)
هل لِرَاجِى وَصْلِكُمْ ياسَادَتِى ... عَطْفَةٌ منكم لِصَبٍّ يُرْحَمُ (١٠)

---

(١) البرايا : الخَلْق .
(٢) فى « م » : « مهبط وحى » .
(٣) يا أجِلَّا : يا أجِلَّاء .
(٤) فى « م » : « رجس » لا تصح .
(٥) ذا غناءٍ صار : أى : صار ذا غِنًى . والبذل : العطاء .
(٦) يَعْذِلُنى : يلومُنى .
(٧) لستُ أسْلُو : لستُ أنْسَى . وفى « م » : « أسل » لا تصح .
(٨) تُضْرَمُ : تشتعل .
(٩) المُهجة : الروح ، والقلب .
(١٠) الصَّبُّ : المشتاق .

يا إلٰهَ العَرْشِ أدْعُوكَ بِهِمْ ... وبِطٰه جَدِّهِمْ يا مُنْعِمُ
جُدْ على عَبْدٍ ضعيفٍ بالرِّضَا ... وَامْحُ ياربِّى ذُنُوبًا تَعْظُمُ
وعَلَى الهادى إلٰهى صَلِّ ما ... قد حَدَا حَادٍ بِرَكْبٍ يَقْدُمُ [(١)]
وعَلَى آلٍ وصَحْبٍ مِنْهُمُ ... بَيْنَ خَلْقِ اللهِ نُورٌ أنْجُمُ

ثم يدعو بعد القراءة بما تَيَسَّرَ [(٢)] ، وكان ملازمًا لذلك على الدوام ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

قبر العبد الصالح « فرج » [(٣)] :

انتهى ذلك . رَجَعْنا إلى ذكر المقبورين بهذا المشهد من غير بنى طباطبا ، فنقول : بجانب قبر الإمام أبى الحسن بن على بن الحسن المعروف بصاحب الحورية [(٤)] ، قُبِّرَ به العبد الصالح فرج [(٥)] ، كان عبدًا لهم ، توفى قبل وفاتهم ، وكان إذا اشتد عليهم الأمر فى شىء قالوا : « اللَّهُمَّ ببركة فَرَج فَرِّجْ عنا » ، فيفرج الله عنهم ببركته .

قبر ابن زولاق - المؤرخ المصرى [(٦)] :

ومِمَّنْ قُبِرَ بهذا المشهد العالم الفاضل ، المؤرخ أبو محمد [(٧)] الحسن بن

---

(١) وعلى الهادى إلٰهى ، أى : يا إلٰهى . وفى « م » : « إله » . وما أثبتناه هو الصحيح لُغَةً ، وبه يستقيم الوزن . وفيها أيضًا : « كركب » مكان « بركب » تصحيف من الناسخ .
(٢) أى : مَنْ كان يزور هذا المشهد من المحبين لآل البيت من الصالحين المشار إليهم آنفًا .
(٣) العنوان من عندنا .
(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٥) فى « ص » : « قبر غلامهم فرج » .
(٦) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٤٦٢ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٩١ و ٩٢] . ومن قوله : « ومِمَّن قُبِر بهذا المشهد » إلى قوله : « وبهذه التربة جماعة أُخر ... » عن « م » وساقط من « ص » .
(٧) فى « م » : « أبو الحسن إبراهيم » خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وقد مر التعريف به .

إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن على بن خلف بن راشد بن عبد الله بن سليمان ابن زولاق الليثى المصرى . كان فاضلًا فى التاريخ ، وله فيه مصنف جيد ، وله كتاب فى خِطَط مصر القديمة استقصى فيه ، وكتاب « أخبار قضاة مصر » جعله دليلًا [١] على كتاب أبى عمر [٢] محمد بن يوسف الكندى الذى ألفه فى أخبار قُضاة مصر ، وانتهى فيه إلى سنة ستٍّ [٣] وأربعين ومائتين ، فكمَّلَهُ ابنُ زُولاق المذكور ، وابتداُه [٤] بذكر القاضى بكار بن قتيبة ، وختمه بذكر محمد بن النعمان ، وتكلم على أحواله - رحمه الله تعالى - إلى رجب ، يعنى سنة ٣٨٦ هـ . وكان جده الحسن بن على من العلماء المشاهير .

وكانت وفاته - أعنى أبا محمد [٥] - يوم الثلاثاء [٦] ، الخامس والعشرين من ذى القعدة الحرام سنة ٣٨٧ هـ .

ورَأَيْتُ [٧] فى كتابه الذى صنفه فى أخبار قضاة مصر ، فى ترجمة القاضى أبى عبيد ، أنَّ الفقيه منصور بن إسماعيل الضرير توفى فى جمادى الأُولى [٨] سنة ٣٠٦ هـ ثم قال : قبل مولدى بثلاثة أشهر ، فعلى هذا التقدير تكون ولادة ابن زولاق المذكور فى شهر شعبان من السنة المذكورة .

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى وفيات الأعيان : « جعله ذيلًا » وهى الأدق فى المعنى ، وقد ذكرها السيوطى فى حسن المحاضرة كذلك [انظر ج ١ ص ٥٥٣ من المصدر المذكور] .

(٢) فى « م » : « أبى عمرو » خطأ . وهو المؤرخ محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى ، وكنيته أبو عمر . كان فى زمن كافور الإخشيدى ، وله كتاب فضائل مصر ، وأخبار قضاة مصر المذكور هنا .

(٣) فى « م » : « ستة » .

(٤) فى « م » : « وابتدأ » .

(٥) فى « م » : « يعنى أبو محمد » .

(٦) فى « م » : « الثلاث » .

(٧) هكذا الفعل فى « م » نقلًا عن وفيات الأعيان ج ٢ ص ٩٢ ، والرائى هنا هو ابن خلكان وليس المؤلف .

(٨) فى « م » : « الأول » خطأ .

وروى أبو محمد [١] المذكور عن الإمام أبي جعفر محمد بن سلامة الطحاوى . وابن زولاق الليثى - قال يونس بن عبد الأعلى الصدفى : هو اللَّيْثِى [٢] بالولاء ، والله أعلم .

قبر القاضى أبى الطاهر محمد بن أحمد [٣] :

ومِمَّنْ قُبِرَ [بهذا المشهد] [٤] القاضى أبو الطاهر [٥] محمد بن أحمد ، عُرِفَ بابن نصير ، وقيل : نصر ، وَلِىَ القضاء يوم السبت لثلاث عشرة بَقِيَتْ أو خَلَتْ من جمادى الأولى [٦] - وقيل : ربيع الأول - سنة سِتٍّ [٧] وأربعين وثلاثمائة .

وكان إمامًا زاهدًا عابدًا ، مُقبِلًا على الله سبحانه وتعالى ، تُحْمَلُ إليه الأموال فلا يقبلها ، وكان شديدًا فى الله ، كثير التسليم ، وقيل : إنه نافَد رسولًا [٨] دخل إلى مصر من قِبَلِ الفاطميين فلم يَبِت الرسول بمصر خشية منه .

---

(١) يعنى : ابن زولاق .

(٢) هذه النسبة إلى ليث بن كنانة ، وهى قبيلة كبيرة .
[انظر الوفيات ج ٢ ص ٩٢] .

(٣) العنوان من عندنا .

(٤) مابين المعقوفتين ساقط من « م » .

(٥) فى « م » : « أبو الظاهر » بالظاء المعجمة ، وهو تصحيف .
[انظر ترجمته فى الولاة والقضاة ص ٤٩٣ ، وحسن المحاضرة ج ٢ ص ١٤٧ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٧ ، وتاريخ الدولة الفاطمية ص ١٤٩] .

(٦) فى « م » : « الأول » خطأ . وفى الولاة والقضاة أن كافور سلم الأمر إليه للنصف من ربيع الآخر سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة .

(٧) فى « م » : « ستة » خطأ .

(٨) نافَدَ رسولًا ، أى : حاكمه وخاصمه .

وفى أيامه قَدِمَ المُعِز لدين الله الخليفة الفاطمى ، فلما قَضَى [١] قيل للقاضى : اخْرُجْ إلى لقائه ، فقال : ليس لى به حاجة .

وكان دخول المُعز فى سنة اثنتين [٢] وستين وثلاثمائة . وكان جوهر القائد الأزهرى [٣] قد أَقَرَّهُ على ولايته لمَّا دخل على عساكر المعز ، قبل أستاذه لتَسَلُّم الديار المصرية ، ثم إن المعز لما جلس بمصر واستدعى وجوه الناس قال : أين القاضى ؟ فقيل له يحضر ، فَجِىءَ به إليه ، فنظر عليه أثوابًا خَلَقَةً [٤] ، فقال : أنت القاضى ؟ قال : نعم . فقال المُعِزُّ : القاضى يُعْطَى ألف دينار لإصلاح حاله . فقال : ليس لى به حاجة . فغضب المعز وقال : تَرُدُّ علىَّ هديتى ؟! فقال : ليس لى به حاجة ، وعندى قُوت ثلاثة أيام . فقال له رجلٌ من أهل الشرطة : إنَّهُ يَدَّعِى الوَرَعَ بين يديك . فقال المُعز : مايقول هذا . وكان المعز كثير الحِلْم . فقال القاضى : اللَّهُمَّ إنْ كان ماقال حقًّا [٥] فاغفر له ، وإلَّا فاسْلُبْهُ عَقْلَهُ . فَجُنَّ من وقته ، فتعجب المعز لذلك ، وكان يزوره بعد ذلك مُستخفيًا .

---

(١) أى : انتهى من مجلس قضائه .

(٢) فى « م » : « اثنين » خطأ لغوى .

(٣) هو جوهر بن عبد الله الرومى ، أبو الحسن القائد ، بانى مدينة القاهرة والجامع الأزهر ، كان من موالى المعز العبيدى (صاحب إفريقية) وسيَّرَهُ من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الإخشيدى ، فدخلها سنة ٣٥٨ هـ . وأرسل الجيوش إلى بلاد الشام لفتحها ، ومكث بها حاكمًا مطلقًا إلى أن قدم مولاه المعز سنة ٣٦٢ هـ ، فحل المعز محله وصار هو من عظماء القواد فى دولته إلى أن توفى سنة ٣٨١ هـ بالقاهرة . وكان كثير الإحسان ، شجاعًا ، لم يبق بمصر شاعر إلا رثاه .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٤٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٨٠ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٨ وما بعدها] .

(٤) خَلَقَة : بالية .

(٥) فى « م » : « حق » خطأ ، والصواب بالنصب .

وقال أبو جعفر بن نصر : كنت عند المُعز ، فَذُكِرَ عنده القاضى أبو الطَّاهِر [١] ، وأنه لا مالَ له ، فبعث المعز إلى داره ، فلم يجدوا فيها شيئًا سوى ثلاثة دراهم ، فقال المعز لقوم قَدِموا عليه من المغرب [٢] : هكذا الزُّهَّاد ، وهكذا الزهد .

ولما بلغ المُعِزَّ مَوْت [٣] القاضى تأسَّفَ على موته وقال : رُفِعَ الزُّهْدُ مِنْ بعده . وكانت وفاته سنة تسع وستين وثلاثمائة ، ودُفن إلى جانب قبر سهل بن أحمد البرمكى . وبهذه التربة جماعة أُخَر ، والله أعلم [٤] .

* * *

قبر الفقيه يحيى بن بُكَير [٥] :

ثم تخرج من التربة وأنت مستقبل القبلة ، قيل : كان بين الجَوْسَقَيْن [٦] قبرٌ بأربعة ألواح رخام ، فوقها صندوق ، مكتوب عليها [٧] : يحيى بن بُكَيْر ، وهو راوى الموطأ عن مالك .

---

(١) فى « م » : « أبو الظاهر » سبق التعليق عليه .

(٢) فى « م » : « الغرب » .

(٣) فى « م » : « صوت » تصحيف .

(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٥) العنوان من عندنا . وهو أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر القُرَشى ، المخزومى بالولاء ، راوية للأخبار والتاريخ ، ومن حُفَّاظ الحديث ، مصرى ، نقل محمد بن يوسف الكندى فى تاريخ مصر وولاتها كثيرًا مما روى عنه المدينى وغيره . ولد فى سنة ١٥٤ هـ وتوفى سنة ٢٣١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٥٤ ، والولاة والقضاة ، صفحات متفرقة ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٩١ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٢٠ ، وحُسن المحاضرة ج ١ ص ٣٤٧] .

(٦) الجوسق : الحصن ، والبناء المرتفع ، (لفظة معربة) .

(٧) فى « م » : « فوقهم صندوق مكتوب عليهم » .

قبر أبى يعقوب النهرجورى [١] :

فإذا جُزْتَ ثَمَّ تزور [٢] بالنية ، وتجىء عن يمينك قبل أنْ تصل إلى مقطع الحجارة ، فتدخل على يمينك وأنت مستقبل القبلة تجد قبرًا يقال : هو قبر أبى يعقوب [٣] النَّهْرَجُورِىّ ، قيل : إنه قرأ على أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب القرآن [٤] . قال الصلاحُ الصَّفَدِىُّ - رحمه الله - فى كتابه « الوافى بالوفيات » : إسحاق بن محمد [٥] أبو يعقوب النَّهْرَجُورِىّ ، من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم ، جَاوَرَ بمكة سنينًا [٦] كثيرة ، ومات بمكة ولم يَمُتْ بمصر ولم يُدفن بها ، مات فى سنة ٣٣٠ هـ .

ومن كلامه - رضى الله عنه : « مَفاوِزُ الدنيا تُقْطَعُ بالأقدام ، ومَفاوِزُ الآخرة تُقْطَع بالقلوب » . وقال : « العابد يعبد الله تخويفًا ، والعارف يعبد الله تشريفًا » . وقال : « احترسوا [٧] من الناس بسوء الظن بأنفسكم لا بالناس » .

---

(١) العنوان من عندنا . وهو أبو يعقوب إسحاق بن محمد النَّهْرَجُورى ، من علماء الصوفية ، ونسبته إلى « نهر جور » قرية بالقرب من الأهواز . رحل إلى الحجاز ، وأقام مجاورًا بالحرم سنين كثيرة . ومات بمكة سنة ٣٣٠ هـ ولذا قال المؤلف هنا : « ثم تزور بالنية » .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٢٩٦ ، وطبقات الصوفية ص ٣٧٨ - ٣٨١ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ١١١ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٦٧ و ١٦٨ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٢٥ و ٣٢٦] .

(٢) فى « م » : « تزر » لا يصح . وثَمَّ ، أى : هناك .

(٣) فى « م » : « أبو يعقوب » .

(٤) أى : قرأه عليه منامًا ، والله أعلم . وإلى هنا ينتهى ما كُتب عنه فى « ص » . ومن قوله : « قال الصفدى .. » إلى قوله : « وكان لها قدم صدق » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٥) فى « م » : « أبو محمد » تحريف من الناسخ .

(٦) هكذا فى « م » وهى صحيحة ، فالسنة تجمع كجمع المذكر السالم فيقال : سنون وسنين ، وتحذف النون للإضافة . وتجعل النون حرف إعرابٍ - فى لغة - تُنَوَّن فى التنكير ، ولا تحذف مع الإضافة ، كأنها من أصول الكلمة ، وعلى هذه اللغة قوله ، ﷺ : « اللهم اجعلها عليهم سنينًا كَسِنِين يُوسف » .

(٧) فى « م » : « احترز » .

وقال : « مَنْ كان شِبَعُهُ بالطعام لم يَزَلْ جائعًا ، ومَنْ كان غِنَاهُ بالمال لم يزل فقيرًا ، ومَنْ قصد بحاجته الخَلْق لم يزل محرومًا ، ومَنِ استعان على أَمْرِ الله بغير الله لم يزل مخذولًا » . وقال : « الدنيا بحر ، والآخرة ساحل ، والتقوى مركب ، والناس على سفر » . وقال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةَ ﴾ [١] : لو كان ثمنه الكَوْنَيْنِ لكانَ بخسًا فى جنب مشاهدته .

ولَمَّا كان فى النَّزْعِ [٢] قيل له : [قُلْ] لا إله إلَّا الله . فقال للقائل : إيَّاىَ تُريد ؟ وعَزَّةِ مَنْ لا يذوق الموت ، مابقى بينى وبينه إلَّا حجاب العِزَّة ! ثم طُفِىَ من وقته [٣] .

وصَحِبَ النَّهْرَجُورِىُّ هذا سَهْلًا التُّسْتَرِىَّ [٤] ، والجُنَيْد بن محمد [٥] ، رضى الله عنهم ، ونفع ببركاتهم .

---

(١) سورة يوسف – من الآية ٢٠ .

(٢) أى : عند الموت . ومابين المعقوفين بعدها عن الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٩٩ ولم يرد فى « م » .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى المصدر السابق : « وانطفأ من ساعته » أى : مات .

(٤) هو سهل بن عبد الله بن يونس التُّسْتَرِىّ ، أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، ومن المتكلمين فى علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال ، ولد سنة ٢٠٠ هـ . وتوفى سنة ٢٨٣ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ١٤٣ ، وطبقات الصوفية ص ٢٠٦ – ٢١١ ، وطبقات الأولياء ص ٢٣٢ – ٢٣٦ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ١٨٩ – ٢١٢ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٧٧ – ٧٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٩٢ – ٩٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٢٩ و ٤٣٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ – ١٨٤] .

(٥) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزَّاز ، أبو القاسم ، صوفِىٌّ ، من العلماء بالدين ، وعَدَّهُ العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسُّنَّة ، ولكونه مصونًا من العقائد الذميمة ، سالمًا من كل ما يوجب اعتراض الشرع ، وُلد ونشأ ببغداد ، وأصل أبيه من نهاوند ، وكان يُعرف بالقواريرى ، نسبة لعمل القوارير ، وعُرِفَ الجنيد بالخزَّاز لأنه كان يعمل الخز ، وكانت وفاته سنة ٢٩٧ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ٢٥٥ – ٢٨٧ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٨٤ – ٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤١ – ٢٤٩ ، وطبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٦٠ – ٢٧٥ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١١٦ – ١١٩ ، وطبقات الأولياء ص ١٢٦ – ١٧٤] .

وحَكَى ، قال : رأيت رجلًا منفردًا وهو يقول : « أعوذ بِكَ منك » ، وكان معه الشيخ أبو بكر الرازى ، فقال للرجل : ماهذا ؟ فقال : يا أبا يعقوب ، نظرتُ يومًا إلى شخص جميل ، حَسَن الصورة ، فإذا لَطْمَةٌ وقعت على بصرى ، فسالت عينى ، فسمعتُ هاتفًا يقول : « لُطِمْتَ بِنَظْرَةٍ ، ولو زِدْتَ زِدْنَاكَ » .

وكان من كلامه : « أصل الأحوال ما قارَنَ العمل والمكان » .

وقيل : إن المُسَمَّى بقبره هو قبر المرأة الصالحة كلثوم ، وقيل : كلثم العربية [١] ، حَجَّتْ ثلاثين حجَّة رَاجِلَةً ، وكان لها قَدَمُ صِدْق [٢] .

ثم تمشى قليلًا تجد تُرْبَةً على مقطع الحجارة ، بأَوَّلِها قبرٌ مكتوب عليه « عبد الله بن رَواحَة » [رضى الله عنه ، حادى رسول الله ﷺ] [والمعروف أن] ابن رواحة قُتل فى غزوة [مُؤْتَة بالشام] [٣] .

وعند عبد الله المذكور قبرٌ بِعلوةٍ لِرَجُلٍ من الأشراف [٤] . ثم تَخرج إلى صدر التربة تجد قَبْرَ رَجُلٍ يقال له عبد الرحمٰن الديباج ، من أولاد عثمان بن عفان ، رضى الله عنه .

---

(١) هى كلثم ابنة القاسم الطيب رضى الله عنها .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) مابين المعقوفين الأول عن « ص » . والثانى والثالث من عندنا لاستقامة المعنى . وابن رواحة هذا هو : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى ، صحابىٌّ من الخزرج ، ويعد من الأمراء والشعراء الراجزين ، كان يكتب فى الجاهلية ، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق والحديبية ، واستخلفه النبى ﷺ على المدينة فى إحدى غزواته ، وصحبه فى عمرة القضاء ، وله فيها رَجَز ، وكان أحد الأمَراء فى وقعة مؤتة بأدنى البلقاء من أرض الشام ، واستُشهد فيها سنة ٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٨ ، والمحبر لابن حبيب ص ١٢٣ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١١٨ - ١٢١] .

(٤) فى « ص » : « وعند رأسه قبرٌ شريف » .

قبر خمارويه بن أحمد بن طولون [١] :

وتخرج من التربة تجد قبورَ أشراف ، وتنزل إلى مَقْطَع الحجارة وأنت مستقبل القبلة على يسارك ، وتطلع وأنت مستقبل القبلة ، تجد على رأس الصيرة [٢] قُبَّةً بها قبر أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، خلف أباه [٣] فى ولاية الديار المصرية ، وقُتِلَ بالشام ، وَجِيءَ برأسه ، فدفنه بعض خاصته بهذه القبة ، وقيل : بل جِيءَ به ودُفِنَ ، والله أعلم [٤] .

وكان فى أيَّامِهِ [٥] رَجُلٌ وَرِثَ من أبيه مالًا ، فأتْلَفَهُ وأنفقه ، ولَمْ يَبْق عنده سوى جارية ، فدعته الضرورة إلى بيعها [فى السوق ، ونادَى عليها الدَّلَّالُ ، فبلغ ثمنها قَدْرًا معلومًا] [٦] فاشتراها وكيل خمارويه ، وجَهَّزَها جهازًا حَسَنًا ، وأهدى إليها دارًا [٧] حَسَنَةً حتى يدخل عليها سيدها خمارويه ، فَلَحِقَ سَيِّدَهَا البائعَ عليها وَجْدٌ عظيم [٨] ، [فخَرَجَ هائمًا على وجهه إلى قبر أبيه بهذه الجَبَّانَة ، فجلس يبكى] [٩] ، واتفق أنَّ خمارويه ركب للزيارة فى ذلك الوقت من ذلك اليوم ، وكان كثير الزيارة للمقابر ، وكانت له عقيدة صالحة فى زيارة قبور الصالحين ، فمر على قبر والد الشاب ، فرأى الشاب جالسًا يبكى ، فقال

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) هكذا فى « م » وهى بمعنى الناحية ، ولم ترد فى « ص » .

(٣) فى « م » : « أبوه » خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، ومن قوله « خلف أباه » إلى قوله : « والله أعلم » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٥) فى « ص » : « كان فى زمانه وأيامه .. » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٧) فى « ص » : « وأدخلها دارًا » .

(٨) فى « ص » : « فلحق سيدها عليها محلقًا عظيمًا » هكذا . وفى « م » : « وَجْدًا عظيمًا » بالنصب – لا تصح ، والصواب بالرفع على المفعولية .

(٩) مابين المعقوفتين عن « م » . وما بعده روى بمعناه فى « ص » . لذا سنثبت هنا ماورد فى « م » .

له الأمير : مَنْ أنت أيها الشاب الجالس على القبر ؟ ومَنْ لك فى هذا القبر ؟ فقال : صاحبُ هذا القبر هو والدى . فقال له الأمير : متى مات والدك ؟ فقال : له سنين كثيرة . فقال : صَدَقْتَ ، فإنى أزور هذه الجَبَّانة مدة ، فما رأيتُكَ إلّا الساعة ، فما الذى ذَكَّرَكَ بزيارته ؟ وما جاء بك إلّا أمرٌ كبير ! فقال : ياسيدى ، ترك والدى هذا مالًا كثيرًا فأتلفتُه وأنفقتُه ، ولم يَبْقَ منه سوى جارية كانت عندى من أعَزّ الناس ، فَاحْتَجْتُ إلى بيعها ، فبعتُهَا إلى وكيل الأمير [1] . فقال الأمير : لعلها فُلانة . قال : نعم . وقد ذهل عقلى لفراقها . فبكى الأمير أبو الجيش و [قال] [2] : الجارية فى دارٍ عندى أَفْرَدْتُها لها ، وقد وهبتُكَ الدَّارَ والجاريةَ وماهو لها ابتغاءَ وجه الله تعالى ، فإن أحْبَبْتَ أقِمْ عندى ، وإلّا ارتَحِلْ لموضعك بها ، ولك مايكفيك . ثم أمَرَ الأمير وليَّه بتسليم الدار والجارية وجميع مافيها للشاب .

وذُكِرَ عنه أيضًا أنه ركب يومًا بعساكره وجنوده ، فانفرد عنهم ، فوجد رجلًا شيخًا على رأسه قفص من جريد قد لَفَّهُ بِخِرَقٍ [3] ، فقال له : ياشيخ ، مافى هذا القفص الذى على رأسك ؟ فقال : سنانير [4] ! فتعجب أبو الجيش من ذلك وقال له : ما تصنع بها ؟ قال : أبيعها فى بلاد الشام . فَعَزَّ ذلك عليه وقال : يكون فى رعيتى مَنْ يحتاج إلى ذلك ؟ ثم قال له : مِنْ أى البلاد [أنت] [5] ؟ قال : من بلد كذا وكذا ، فَوَقَّعَ له بالبلد التى هو قاطِنٌ [6] بها مِلْكًا له وأولاده من بعده . وحكاياته فى ذلك كثيرة جدًّا ، والله أعلم .

---

(١) فى « ص » : « اشتراها منى وكيل الأمير ولم يبق لى شيئًا » والصواب : شىء .

(٢) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا لاستقامة المعنى .

(٣) فى « م » و « ص » : « بخروق » . والخِرَق : جمع خِرْقَة ، وهى القطعة من الثوب الممزق .

(٤) السَّنانير : جمع سِنَّور ، ويُطلق على القط .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٦) فى « ص » : « ساكن » وهى بمعناها .

قبر الضيف [١] :

ثم تخرج من القُبَّة إلى الشرق تجد قُبَّةً فى وسط تُربة عملها علىُّ بن الماذرانىّ [٢] لنفسه ، فاستضاف به [٣] ضيفٌ من أهل الفضل يقال له : نصر ابن دارم - يعنى من ولد دارم بن قيس بن غيلان بن مُضَر بن نزار بن معد ابن عدنان [٤] - ودفع للماذرانىّ مالًا كثيرًا وديعة ، فمات الضيف المذكور ، فدفنه الماذرانىّ فى القبة وآثَرَهُ على نفسه ، ودفن هو بجانبها .

مآثر على بن أحمد الماذرانىّ [٥] :

والماذرانىّ هو علىُّ بن أحمد بن الحسن بن عيسى بن أسلم ، المعروف بالماذرانىّ [كان] [٦] وزيرًا فى الدولة الطولونية ، وَزَرَ [٧] لأبى الجيش خمارويه

---

(١) العنوان من عندنا ، وهو مذكور فى الكواكب السيارة ص ٧٣ .

(٢) فى « م » : « على بن المادرانى » وفى « ص » : « على الماردانى » وكلاهما تصحيف من الناسخ والصواب ما أثبتناه ، وقد سبق التعليق عليه . [وانظر المصدر السابق ، والأعلام ج ٦ ص ٢٧٣ ، والولاة والقضاة ص ٤٨٥] .

(٣) أى : سأله الضيافة .

(٤) هكذا فى « م » ولم يرد هذا فى « ص » . وقد ورد اسم الضيف فى الكواكب السيارة ، وأنه نزل ضيفًا على محمد بن على وليس على أبيه ، وهو : القاضى أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم ، وقد دخل مصر فى جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، فلما قدم مصر سبَّه العوام ، وكان بمصر قاضٍ يقال له عبد الله بن أحمد ، وكان أهل مصر يحبونه ، فلما قدم عليهم أبو جعفر سبُّوه ، فلم يرد عليهم ، ثم قال لهم : ما أحببتم فى قاضيكم ؟ قالوا : أحببنا منه التواضع والخشوع . فقال : والله ماهو إلّا خير منى . فلم يستمر حاكمًا غير أربعة وسبعين يومًا ثم عَزَلَ نفسه وأقام عند محمد بن على الماذرانىّ إلى أن توفى سنة ٣٢٢ هـ ، ودفنه الماذرانىّ فى التربة التى بناها لنفسه ، وقبره معروف بقبر الضيف .

[انظر الكواكب السيارة ص ٧٣ ، والولاة والقضاة ص ٤٨٥ وغيرها من الصفحات] .

(٥) العنوان من عندنا ، وهو والد محمد بن على الماذرانىّ الذى سبق ذكره .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٧) أى : صار وزيرًا .

ابن أحمد بن طولون ، فلما استَوْزَرَهُ قصده الناس من كل مكان ، وأنشأ الدور والقصور ، وملَكَ النَّظَرَ فى جميع الديار المصرية والشامية ، حتى كان لا يَخْرُجُ شىء عن يده وأَمْرِهِ ونهيه [١] .

وذكر ابن زولاق قال : كانت الغُزَاةُ قد خرجوا من مصر يريدون الثغر [٢] ، وخرج الماذرائى لوداعهم ، فبينما هو قائم إذْ رأى شيخًا قد أقبل ، عالى السِّنِّ ، يتوكَّأُ على عكازه ، وفى عُنُقِه خريطة [٣] ، وهو متقلِّد بسيفٍ ، فدعاه علىٌّ بن أحمد وقال : إلى أين ياشيخ ؟ قال : إلى بلاد الروم أُقاتل أعداء الله تعالى جهدى وطاقتى ، وإنْ لَحِقَنِى أَجَلِى على الطريق كان أَجْرِى على الله ، فإن بلغتُ ظفرتُ بالذى أُريد ، وإنْ قُتِلْتُ حصلتُ على الشهادة . فصاح على ابن أحمد [٤] بحاجبه وقال : أَحْضِرِ السَّاعَة بغلة وغُلامًا ، وسيفًا وعمامة ، فأُحضر ذلك ، فقال : ياشيخ ، هذا لك ، وفى كل سنة مثله [إنْ جِئْتُ أنا وجِئْتَ أنت] [٥] . قال : فبكى الشيخ وقال : رزقك الله الشهادة – لأنها كانت أعظم مافى قلب الشيخ – فلما كان الغد قُتِلَ على بن أحمد الماذرائى فى ذلك الموضع شهيدًا ، وما عُرِفَ له مِنْ قاتل ، فعظم ذلك على جميع مَنْ بمصر من الصغير والكبير ، وَرُثِىَ بقصائد كثيرة .

وُلِدَ رحمه الله فى سنة ٢٢٦ هـ ، وتوفى – رحمه الله تبارك وتعالى – شهيدًا كما ذُكر ، فى شهر جمادى الآخرة [٦] سنة ٢٨٣ هـ .

---

(١) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « لا يخرج عن أمره ونهيه من أحوال السلطانية » والكلمة الأخيرة تصحيف من « السَّلطنة » وهى لفظة مُوَلَّدة ، معناها : مملكة السلطان .

(٢) فى « م » : « السفر » تحريف . والثغر : هو الموضع الذى يُخاف منه هجوم العدو ، فهو كالثُّلْمَة فى الحائط يُخاف هجوم السارق منها ، وجمعه ثغور .

(٣) الخريطة : وعاء من جلد ، أو نحوه ، يُشَدُّ على مافيه .

(٤) فى « م » : « فصاح أحمد » . وما أثبتناه عن « ص » هو الصحيح .

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) فى « م » : « الآخر » سبق التعليق عليها .

قبر أبى بكر محمد بن على الماذرائى (١) :

وإلى جانبه قبر ولده أبى بكر محمد بن على بن أحمد الماذرائى ، وزيرتكين [الجبار الذى وَلِىَ بعد الطولونية] (٢) .

ورَوَى أبو الجعد قال : قرأت فى سِيَرِ الماذرائيين (٣) أنَّ أبا بكر محمد بن علىٍّ كان الغالب عليه المُلْك والرياسة ، وكان مُكْثِرًا من الصلاة وتلاوة القرآن ، ومداومة الحج فى كل سنة ، ومَلَكَ من الضِيَاعِ والرِّباع ما لم يملكه (٤) غيره من قبله ، حتى بلغ ارتفاع أملاكه فى كل سنة أربعمائة ألف دينار ، فضلًا عن الخراج . وأَعْطَى وَوَلَّى ، ونَصَرَّف وأَنْعَمَ ، وتَفَضَّلَ وأَفْضَلَ (٥)، ورَفَعَ ووضع ، [كل ذلك بإذن الله سبحانه وتعالى] (٦) ، وواصل الحج فى كل سنة ، من سنة إحدى (٧) وثلاثمائة إلى سنة اثنتين (٨) وعشرين وثلاثمائة ، وكان ينفق فى كل حجة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار ، ويخرج معه بتسعين ناقة (٩) ، وأربعمائة عربى بجهازه ، ومعه محامل فيها أحواض البقل ، ومحامل فيها أحواض الريحان ، ومحامل فيها كلاب الصيد . وينعم على أولاد الرسول – ﷺ – وعلى أولاد الصحابة – رضى الله عنهم أجمعين – ولهم عنده ديوان – يجمع ما يحمله صُرَرًا مختومة بأسمائهم . قال ابن زولاق : حدثنى محمد أبو بكر الماذرائى ، وقد

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) مابين المعقوفين عن « م » وساقط من « ص » . والطولونية ، أى : الدولة الطولونية .

(٣) فى « م » : المادرانيين » .. وفى « ص » : « الماردانيين » تصحيف . والصواب، ماذكرناه ، وقد سبق التعليق عليه .

(٤) فى « م » : « مالا يملكه » .

(٥) فى « ص » : « وأنعم وأفضل » .

(٦) مابين المعقوفين عن « م » .

(٧) فى « م » : « أحد » لا تصح لغة .

(٨) فى « م » : « اثنين » لا تصح ، والصواب ما أثبتناه .

(٩) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « بتسعين ألف ناقة » .

ذكرتُ له ما ينفق ، فقال لى : أنفقتُ فى عشر حجج أَلْفَىْ ألف دينار ومِائَتَى ألف دينار .

وكانت الوفود تَرِدُ إليه ، وتسير معه ، ويتلقونه ، وكان يبرزُ إلى البَرْزِ [1] إذا بقى من شوال ثلاثة أيام ، فإذا استهلّ ذو القعدة [2] رفع وسار ، ثم يسير إلى مكة ويقيم إلى هلال المحرم ، ثم يسير إلى المدينة ، فيقيم عند النبى ، ﷺ ، حتى يصلى جمعتين ، وكان أبو منصور « تكين » أمير مصر يُشيعه إذا خرج ، ويتلقاه إذا قَدِمَ . وكان يُجمع إليه جميع ما معه يُفرقه هناك من الدراهم والدنانير ، والثياب ، والحلوى ، والطِّيب ، والحبوب ، والأطعمة ، ولا يترك شيئًا حتى يحمله من القمح والشعير ، ولا ينصرف من الحجاز إلّا وجميع مَنْ فيه أغنياء .

ورَوَى ابن زولاق قال : قيل لأبى بكر الماذرائىّ : ياسيدى ، ما بات أحدٌ فى هذه الليلة بمكة والمدينة وأعمالهما إلّا وهو شبعان من طعامك . فبكى وخَرَّ ساجدًا لله سبحانه وتعالى .

ورَوَى عبد الله بن أحمد بن طباطبا ، قال : رأيتُ فيما يرى [النائم] [3] أنَّ « تكين] أمير مصر يموت فى يوم كذا وكذا ، وأنَّ أبا بكر [4] الماذرائىّ لا يصيبه شىء ، فلما فقدتُه [5] فى جنازة « تكين » وحضر الناس ، ركبتُ إليه ، وأشرتُ عليه [6] بالحضور ، فامتنع وقال : أخافُ على نفسى ، فأخبرته بالرؤيا ، فركب وحضر مع الناس [7] ، وكَبَّر تكبيرتين ولم يتم الصلاة ، فلما

---

(١) أى : يتهيأ للخروج إلى الصحراء .
(٢) فى « م » : « ذى القعدة » واستهل : أَهَلّ .
(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » .
(٤) فى « م » : « أبى بكر » .
(٥) فقدته : لم أجِدْهُ .
(٦) فى « م » : « إليه » .
(٧) فى « م » : « وحضر الناس معهم » .

فرغت الصلاة قلتُ للحاضرين : ماخبرُ أبى بكر ؟ فقيل لى : صَلّى إلى جانبه أبو جعفر المنفق [١] ، فقرأ فى الصلاة : ﴿ إنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [٢] فسمعه ، فترك الصلاة ومَضَى ، وحمل التابوت إلى بيت المقدس ، وضَرب الناسُ بين محمد بن تكين وبين أبى بكر ، حتى وقعت فِتَنٌ عظيمة ، فأُحرقت دار الماذرائى [٣] ودور الماذرائيين . وبعد هذا وَزَرَ ورَجَع إلى حاله الأول كما كان ابتداء أمره ، وحج خَمْسَ حجج ، فكمل له بذلك سبع وعشرون [٤] حجة على ما وصفنا من السَّعَة والإنعام ، ولم يَزَلْ فى سعادة حتى اعتلّ وتوفى - رحمه الله تعالى - سنة ٣٤٥ هـ ، وقبره بجانب قبر أبيه .

* * *

ثم ترجع إلى الغرب تجد قُبَّة تحتها شريفان يُزَارَان . ثم تستقبل القبلة وتجعل الجوسق - أعنى جوسق الماذرائيين [٥] - على يسارك ، وتمشى مستقبل القبلة تجد قبلًا مرصوصة بالطوب ، الدعاء عندها مستجاب [٦] ، ثم تستقبل القبلة تجد على يسارك قبورًا فيها ما يزيد على أربعين شريفًا [٧] . وعلى يمينك قبر الشريف الجارودى ، وعلى يسارك مشهد لطيف فى تربة فيها نساء الشريف طباطبا .

ثم تمشى وأنت مُغَرِّبٌ تجد قبر البكرى ، وإلى جانبه قبر المقرئ - كان واعظًا - وإلى جانبه قبر صغير كانت رِجْلُهُ على وَجْه الأرض [طالعة من القبر ،

---

(١) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « أبو بكر ، وقيل أبو جعفر المنفق » .

(٢) سورة القصص - من الآية ٢٠ .

(٣) فى « م » : « فاحترقت دور المادرانى » وفى « ص » : « المادرانى » وقد سبق التعليق عليهما .

(٤) فى « ص » : « فكمل بذلك سبع وعشرين » . والأخيرة خطأ . والصواب بالرفع .

(٥) الجملة المعترضة عن « م » ولم ترد فى « ص » .

(٦) هذه الجملة عن « ص » .

(٧) فى « م » : « فيهم » .. وفى « ص » : « فيهم أربعون شريفًا » .

وكان كُلُّ مَنْ دَفَنَها يصبح يجدها على وجه الأرض] [١] ، يقال : إنه رفس والدته فَدَعَتْ عليه . قال المؤلف الذى جمع هذه الأخبار : وأنا [رأيتُها ، فجاء قوم] [٢] من الزوّار وجدوها على وجه الأرض ، فحملوا ترابًا كثيرًا ودفنوها ، فلما عادوا يوم الزيارة وجدوها قد طلعت وظهرت فوق ذلك التراب العظيم الذى جعلوه عليها فوق القبر ، فقالوا : ياقوم ، مافيها عاصٍ [٣] غير هذا ، ادعوا الله ربنا أن يستره . فدعوا الله تعالى وتضرعوا إليه ، وبكوا ، وسألوا الله تعالى ستره [٤] . فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءهم وسَتَرَهُ ، فلم تظهر رجله بعد ذلك [٥] .

ويقابل تربته تربة كبيرة ، فيها امرأة شريفة ، وقبل أن تصل إلى القبة [٦] تجد قبرًا عليه عمود رخام لرجل يقال له « العتال » ، واسمه « هبة » ، قيل إنه كان مع قوم من الزوار جاءوا من مصر للزيارة ، فلما خَلَوْا بموضع القبر ، والشيخ أبو رحمة الذى تقدم ذكره قد جاء من نحو سارية ، معه جماعة للزيارة ، فلما اجتمعوا سلَّم بعضهم على بعض ، ثم التفت أبو رحمة إلى هبة العَتَّال ، [وكان شيخًا كبيرًا ، وقال : ياشيخ] [٧] مابقى إلّا القليل ! فقال : والله لقد صدقت . وجعل رأسه بين رُكبتيه وهو ينظر إلى الأرض ، فَحَرَّكُوهُ فوجدوه ميتًا ، فدفنوه مكانه ، رحمه الله تعالى .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .
(٢) مابين المعقوفتين عن « ص » .
(٣) فى « م » و « ص » : « عاصى » خطأ ، والصواب بحذف الياء .
(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « .. وتضرعوا وبكوا ، وسألوا الله ستره » .
(٥) فى « ص » : « فلم يرجع أحد يراها بعد ذلك » .
(٦) فى « م » : « التربة » .
(٧) مابين المعقوفتين عن « ص » .

وعنده (١) قبر الشريفة فاطمة ابنة محمد بن عيسى بن محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن [بن الحسن] بن علىّ بن أبى طالب (٢) رضى الله عنهم أجمعين – الدعاء عند قبرها مستجاب .

قبر الشيخ أبى بكر الأدفوى – رحمه الله (٣) :

ثم تخرج من التربة وأنت مستقبل القبلة إلى قبر الأُدفوى ، قبل الوصول إليها قبر الحافى ، وهو يُزار ، ثم تدخل إلى تربة الأُدفوى ، وهو الشيخ الإمام الفاضل أبو بكر الأُدفوى (٤) كان من كبار العلماء ، أدرك جماعة من العلماء الفضلاء (٥) وقرأ عليهم ، وله المُصنفات المشهورة فى علوم القرآن ، وروى عنه أحمد بن عبد الجبار ، وأبو الحسن الحوفى ، وأحمد الكتّانى ، والتككى ، وغيرهم .

قيل : إنه من السبعة الأبدال (٦) ، وقيل : إنه خرج إلى مكة ومعه جماعة من الصوفية والفقراء ، فنزلوا على مَاءٍ ، فأراد أن يجمع للفقراء شيئًا ، فَوَضَع زنجلة (٧)

---

(١) فى « ص » : « وَثَمّ » وهى بمعناها ، فهى ظرف بمعنى : هناك .

(٢) هكذا فى « م » . وهى فاطمة الكبرى ، وقد ماتت بعد الستين والأربعمائة ، وفى الكواكب السيارة : أن تاريخ وفاتها عند رأسها فى أصل القبة . [انظر المرجع السابق ص ١٥٦] .

(٣) العنوان عن « ص » ولم يرد فى « م » .

(٤) من أول الفقرة إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) فى « م » : « جماعة فضلاء » .

(٦) الأبدال : جمع بدل ، وهو أحد المراتب فى الترتيب الطبقى للأولياء عند الصوفية ، لا يعرفهم عامة الناس ، وهم أهل فضل وكمال ، واستقامة واعتدال ، ولهم مظاهر أربعة : الصمت ، والجوع ، والسهر ، والعُزْلَة . وهم لا ينقصون ولا يزيدون ، وقد سُمُّوا بالأبدال لأن البَدَل إذا ما فارق مكانه خلفه فيه شخص آخر على صورته ، ولا يشك الرائى أنه البدل .

[انظر التعريفات للجرجانى ص ٦٢ و ٦٣ ، ومعجم ألفاظ الصوفية ص ٢٢ – ٢٥] .

(٧) هكذا فى « م » و « ص » ولعلها معربة من اللفظة الفارسية « زنكه » وتطلق على مايعلق فى رقبة الدابة – والمراد بها هنا « الزِّنْبِيل » أو « القُفَّة » .

ثم قال لأهل القافلة : من كان [١] يَمْلك شيئًا يرجو فيه الثواب فَلْيَأْتِ به . فَنَزَّل كل واحدٍ منهم شيئًا ، وإذا بغُبْرَةٍ من البَرِّيَّةِ [٢] وقد أقبل ثعبان عظيم وفى فمه دينار ، فوضعه فى الزنجلة ، وأنطقه الله تعالى فقال : نحن مِنْ جِنِّ نَصِيبِين [٣] أتينا لحج بيت الله الحرام .

وقيل [للشيخ أبى بكر] [٤] : لو زُرْتَ الشيخ أبا الفضل [بن] الجوهرى ، فجاء لزيارته ، فنظر عليه ثيابًا حَسَنَة ، وبَزَّةً ، وبغلة [٥] ، فرَجَعَتْ هِمَّتُهُ عن زيارته ، وانصرف وتركه .

وكان أبو بكر يكلم الجن ، فرأى امرأة مصروعة ، فجاء فوقف عليها وقال فى أُذُنِهَا للجِنِّى : ويلك خَلِّهَا . فقال الجِنِّى : ما أُخَلِّيها ، لأننى قد جئتُ من نصيبين أنا وسبعة من أصحابى حتى نصلى خلف الشيخ أبى الفضل [٦] ابن الجوهرى ، فحبستنى هذه [المرأة ونَجَّسَتْنِى] [٧] ومنعتنى الصلاة دون أصحابى ، وما أخليها . فأَقْسَمَ عليه أن يتركها ، فلم يفعل ، فقال له [٨] : بِحُرْمَة الشيخ أبى الفضل اُتْرُكْهَا ، فَتَرَكَهَا ، فقال : والله لأَزُورَنَّ الشيخ أبا الفضل [٩] . فجاء إليه مُسرعًا ، وكان أبو الفضل له مجلسٌ يعظ الناس فيه [١٠] ،

---

(١) فى « م » : « مَنْ كان ثَمَّ » .
(٢) فى « ص » : « الندبة » تصحيف . والبَرِّيَّة : الصحراء . والغُبرة : الغُبَار المُثار .
(٣) نَصيبين : من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام . [انظر معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨٨] .
(٤) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .
(٥) البزة : نوع من الثياب . وبكسر الباء : الشارة والهيئة . وفى « م » : « وله بغلة » .
(٦) فى « م » : « أبو الفضل » .
(٧) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .
(٨) فى « م » : « فأقسم عليه » .
(٩) فى « م » : « أبى الفضل » .
(١٠) فى « م » : « يعظ الناسَ فى مجلس له » .

فوجده على المنبر وهو يعظ ، فلما رآه ضَحِكَ وصفق بأكمامه وقال : لولا الجنىُّ ما عَرَفْتَنا [١] .

* * *

ثم تخرج من التربة [٢] وتمضى إلى مسجد زهرون تجد [قبر] [٣] صحابىٌّ وشهيد ، وتحت مسجد زهرون قبور الخولانيين [رحمهم الله تعالى - وكتبوا عليها ألواح الرخام ، ومكتوب على لَوْح الذى بَنَى] [٤] المسجد منهم : يقول محمد أبو الحسن بن محمد بن عثمان بن عمران بن زكريا الخولانى : إنِّى عبد الله ، مُقِرٌّ بوحدانيته ، مُعْتَرِفٌ بِرُبُوبيَّتِهِ ، وإنى أشهد أنْ لا إله إلَّا الله سبحانه ، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله [٥] ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وسلم ، وأنَّ الله تعالى خَلَقَنى وأَحْيَانى ، ويميتنى ويحيينى ، ويُحاسبنى . اللهم اغْفِرْ [٦] لى ذنوبى وتَجاوَزْ عن سَيِّئَاتِى ، وَارْحَمْ ضَعْفِى ، وَاعْفُ عنى ، وَقِنِى عذابَ النار . اللهم إنى متوكل على إحسانك وفَضْلِك يامالك الدنيا والآخرة . بنيتُ هذا القبر فى شوال لتسع وخمسين وثلاثمائة ، وقد مضى من عمرى خمسٌ وأربعون [٧] سنة . اللهم ، وأنت أعلم بعمرى ، فاجْعَلْ مابقى منه فى طاعتك وابتغاء مرضاتك . وأوصيكم إخوانى أنى إذا متُّ أنْ تجعلونى فيه ، وتُحلونى ، وتستغفروا [٨] لى ربى ، إنه كان غَفَّارًا . اللهم [٩] وتُبْ علَىَّ ، وتَوَفَّنِى مسلمًا ، وأنت أرحم الراحمين .

---

(١) فى « ص » : « لولا الجن ما عَرَفْنا » .

(٢) قوله : « ثم تخرج من التربة » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٣) مابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة السياق .

(٤) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٥) فى « ص » : « عبده ونبيه ورسوله » .

(٦) فى « م » : « فاغفر » وسقط منها قوله : « اللهم » .

(٧) فى « م » : « وأربعين » خطأً فى اللغة .

(٨) فى « م » : « وتستغفرون » خطأً فى اللغة . ومعنى تحلونى : أى تعزلونى فيه ، أو تجعلونى فى حِلٍّ مما أكون قد ارتكبته نحوكم من الذنوب والآثام .

(٩) قوله : « اللهم » عن « ص » .

قبر الشيخ أبى القاسم ابن الشيخ أبى بكر الأدفوى – رحمه الله تعالى [(١)] :

وبجواره قبر أبى حمزة الخولانى ، واسمه زيادة بن نعيم ، وأبو هان الخولانى ، وأبو زيد الخولانى ، ثم ترجع إلى تربة الأدفوى لزيارة ولده ، وهو الإمام أبو القاسم عبد الرحمٰن ابن الإمام أبى بكر بن على بن أحمد الأدفوى [(٢)] ، كان من كبار العلماء الصالحين المُحَدِّثين ، حَدَّثَ عن أبيه [وعن غيره] [(٣)] ، وَرَوَى عنه أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى ، وأبو الحَسَن الخلَعى وغيرهما .

قال القضاعىُّ : أخبرنى الفقيه [(٤)] أبو القاسم عبد الرحمٰن [بن أبى بكر الأدفوى] [(٥)] – ورَفَع الإسناد إلى أُبَىِّ بن كَعْب ، رضى الله عنه – أَنَّ رسول الله ، ﷺ ، قال : « إنَّ لكل شىء قلبًا ، وإنَّ قلب القرآن يسٓ ، [من قرأ يسٓ] [(٦)] وهو يريد بها وجه الله عَزَّ وجل غَفَرَ الله له [(٧)] ، وأُعْطِىَ من الأجر مثْلَ مَنْ قرأ القرآن اثنتى عشرة مَرَّة ، وأَيُّمَا مسلم قُرِئت [(٨)] عنده إذا نَزَل به الموتُ نَزَلَ عليه بكل حرف عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفًا ، ويُصَلُّونَ عليه ، ويستغفرون له ، ويشهدون غسله ، ويشيعون جنازته ، ويشهدون دفنه ، وأَيُّمَا مسلم قرأ يسٓ وهو فى سكرات الموت يقيم [(٩)] ملكُ الموت ورُوحُه حتى يأتيه رضوان خازن الجنة [بشراب من شراب الجنة يشربه] [(١٠)] وهو على

---

(١) العنوان لم يرد فى « م » .
(٢) من أول الفقرة إلى هنا عن « م » ولم يرد فى « ص » .
(٣) مابين المعقوفتين عن « م » .
(٤) قوله : « الفقيه » عن « ص » .
(٥) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .
(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » ولم يرد فى « م » .
(٧) فى « م » : « غُفِرَ له » .
(٨) فى « م » : « اثنى عشر مرة » و« وأيما رأيت » تحريف من الناسخ وخطأ فى اللغة ، والصواب ما أثبتناه .
(٩) فى « م » : « يقيم له » .
(١٠) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

فراشه ، فيقدم ملك الموت رُوحَهُ وهو ريَّان ، ويُبْعَثُ يوم القيامة وهو رَيَّان ، ويدخل الجنة وهو ريَّان » [١] .

وتوفى أبو القاسم عبد الرحمٰن الأُدفوى فى سَلْخِ [٢] ذى القعدة سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وهو مع والده فى القبر عند الخولانيين [٣] .

وحَكَى [٤] عن أبى القاسم المذكور قال : اجتمعتُ بابن الإمام فتحادثنا ، فقال لى : رأيتُ فى النوم ريحان الجنة . قال : فقلتُ له : فكيف هو ؟ قال : رأيتُ كُلَّ عود كالقناة الطويلة ، وهو جِمْجِمٌ [٥] من فوقه إلى أسفله بغير ورق . قال الشيخ أبو القاسم : ومضيتُ إلى وراء فرأيت كأنَّ الجنة أمامى ، فجئتُ إليها لأدخلها ، فرأيتُ من داخلها نهرًا يجرى بلا حدود ، فقيل لى : هذه أنهار الجنة . ثم [٦] انتبهتُ من نومى ، فلما أصبحت جئت إلى أبى الإمام ، فقال لى أبى : هَنَّأَكَ اللهُ بما رأيتَ ، الأنهار خيرٌ من الريحان .

وكان أبو القاسم المذكور كثيرَ العِلم ، له حلقة بجامع مصر يحضرها سادات العلماء . وكان أكْثَرَ لباسِهِ الصوفُ . ودخل رجلٌ من علماء العراق إلى مصر ، وجاء إلى الجامع العتيق ، ووقف على حلقة العلماء ، ثم جاء إلى حلقة أبى القاسم الأُدفوى ، فسمعه يتكلم بعلوم كثيرة ، فعاب عليه العراقىُّ قياسَهُ ، وأنكر ذلك قلبه ، فقال الادفوى : أفيكم مَنْ يحفظ أبيات الشافعى ، محمد بن إدريس ، رضى الله عنه ، التى كان يقول فيها :

---

(١) فى « ص » : « ولا يحتاج إلى حوض من أحواض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريَّان » .

(٢) السَّلْخُ : آخِرُ الشهر .

(٣) فى « ص » : « عند رجلى قبور الخولانيين » .

(٤) أى : حكَى القضاعى . وما سيذكره القضاعى هنا ورد فى « م » وساقط من « ص » وهو حوالى ٤٥ سطرًا .

(٥) الجِمْجِم : عُشْبٌ مزهرٌ ، ورقه يشبه لسان الثور ، ينبت فى الحقول .

(٦) فى « م » : « ثم إلى » .

عَلَىَّ ثِيَابٌ لَوْ تُبَاعُ جَمِيعُهَا ... بِفَلْسٍ لَكَانَ الفَلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرَا
وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِجُودِهَا ... نُفُوسُ الوَرَى كَانَتْ أَجَلَّ وأَوْفَرَا (١)

فتقدم إليه العراقىُّ وعَلِمَ أنه تكلم فى خاطره ، فقال : ياسيدى ، أنا تائبٌ إلى الله سبحانه وتعالى ، وأريد منك المؤاخاة ، وقد جئتُ من العراق بأَحْمَالٍ ، وهى هبة منى إليك . قال : لو قبلتُ مِنْ غيرك لَقَبِلْتُ منكَ ، ولكنى أخاف أنْ أقبل ذلك منك فتطمع الملوك منى فى قبول هداياهم ، فَتَصَدَّقْ بمالك على مَنْ شِئْتَ ، وَاقْنَعْ منى بثلاث . قال : وماهى ؟ فقال : أَكْبِرْ نفسك بالطاعة ، وَأَعْرِضْ عن الدنيا ، وَاجْعَلِ افْتِقَارَكَ إلى الله عَزَّ وجَلَّ . وقد نصحتُكَ ، والسلام . قال : فخرج العراقى وهو يبكى .

وبَعَثَ إليه ملك مصر بجائزة ، وقال له مع الرسول : إنَّ أصحابَكَ قبلوا الجوائز ، فاقْبَلْ أنت كذلك . فَرَدَّها وقال : لا حاجة لى بشىء . ثم كتب إليه يقول :

أَرَى أُنَاسًا بأَدْنَى الدِّين قد قَنِعُوا ... وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فى الْعَيْشِ بالدُّونِ (٢)
فَاسْتَغْنِ بِاللهِ عن دُنيا الملوكِ كَما ... اسْتَغْنَى المُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

فلما وقف الملك على ذلك اغتاظَ غيظًا عظيمًا ، فقال له وزيره : إيَّاكَ أنْ تتعرض إليه بشىء ، فإنَّ خَزَائِنَكَ وأموالَكَ وعساكِرَكَ لا تَقِيكَ من دعائه .

والكلام (٣) على فَضْلِه كثير ، والله أعلم بالصواب .

ثم تخرجِ من تربة الأُدفوى إلى مُصَلَّى « عَنْبَسَة » ، وهو المُصَلَّى القديم ، ذَكَرَهُ القُضَاعِىُّ فى الخطط ، وقد خَرِبَتْ ودَثَرتْ ، ومنها مسجد زهرون ،

---

(١) فى الديوان : « ببعضها » مكان « بجودها » . « وأكبرا » مكان « وأوفرا » .

(٢) فى « م » : « أرى أناسى » .

(٣) فى « م » : « بالجملة فالكلام » .

وزهرون كان قيمًا لهذا المسجد فَعُرِفَ به . وصاحب هذا المسجد أبو محمد الحسن ابن عمر الخولانى ، الذى [1] تقدم ذِكْرُهُ ، وقبره مُسَنَّم على صورة الهرم خارج المسجد .

قبر إبراهيم بن سعيد الحبّال [2] :

وبإزاء المسجد [3] قبر الشيخ الإمام أبى إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبّال الحافظ ، رحمه الله . كان من كبار العلماء الحُفّاظ [4] ، وكان مُشْتَهِرًا بذلك بمصر ، وَشُدَّتْ إليه الرِّحَالُ لطلب الحديث ، ولم يكن فى زمانه أعْلَى سندًا منه ، وله مُصَنَّفَات فى علم الحديث [5] . وحَدَّث عن جماعة من كبار شيوخ مصر ، ما يزيد على مائة شيخ . [ورَوَى عنه أحمد بن عبد العزيز ، ومما [6] رواه عنه : قَرَأ عليه سنة ٤٧٠ : « عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، أنَّ نفرًا قَدِمُوا على رسول الله ﷺ ، فأسلموا ، وحَسُنَ إسلامهم ، فسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء من أُمورهم ، وخرجوا ، فقالوا : نسينا أنْ نسأل رسول الله ﷺ عن أشياء من أمورنا ، وهو شرابٌ من بلادنا لا يصلح لنا غيره ، قال : فرجع رَجُلٌ منهم إلى رسول الله ، ﷺ فقال : إنَّ أصحابى رحلوا عن أنْ يسألوك [7] عن شراب لهم ببلادهم لا يصلح لهم غيره ، وإنَّ أرضنا أرضٌ باردة ، وإنَّا قوم نحرث .

---

(١) فى « م » : « الذى كان » والذى تقدم هو : محمد أبو الحسن بن محمد بن عثمان بن عمران ابن زكريا الخولانى – انظر ص ٢٧٣ .

(٢) العنوان من عندنا [وانظر ترجمته فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ ، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٤٢ ترجمة رقم ٩٩٦] .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٤) « الحفاظ » عن « ص » .. وكانت ولادته سنة ٣٩١ هـ وتوفى سنة ٤٨٢ هـ .

(٥) فى « ص » : « وله تصانيف فى علوم الحديث » .

(٦) فى « م » : « وممن » . ومن قوله : « ورَوَى » إلى نهاية الحديث الآتى عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) هكذا فى « م » ، وفى رواية : « رحلوا ونسوا أن يسألوك ... » .

فقال رسول الله ﷺ : أَيُسْكِرُ هو ؟ قال : نعم . قال : « كل مُسْكِرٍ حرام » . فاكْتَفَى الرجل بما قال ، فقال [١] قوم حين أخبرهم : إنَّا لا نَراكَ أخبرته . فرجعوا جميعهم ، حين انتهوا إليه ، فقالوا : يارسول الله ، ليس يصلح لنا غيره . فقال : كل مُسكر حرام ، إنَّ على الله قَسَمًا ، لا يشربها [٢] أحدٌ فى الدنيا إلَّا سقاه الله ، عَزَّ وجَلَّ ، من طينة الخَبَالِ يوم القيامة . وهل تدرى ماطينَةُ الخبال يوم القيامة ؟ هو عَرَقُ أهل النار » الحديث [٣] . صدق رسول الله ﷺ] [٤] .

* * *

وتستقبل القِبْلةَ [ثم تنزل إلى البقعة] [٥] تجد قبر الشيخ أبى الحَسَن بن الوفا المُصَلِّى ، رحمه الله تعالى [٦] كان [مقيمًا] بالجامع العتيق بمصر ، وكان رجلًا صالحًا ، ناسكًا ، وولداه عند قبره .

قبر شُكْر الأَبْلَه [٧] :

وتستقبل الشرق [٨] تجد قبر شُكْر الأَبْلَه رحمه الله تعالى [٩] . كان من

---

(١) فى « م » : « فقام » تصحيف .
(٢) فى « م » : « قسمان لا يشربهما » تصحيف .
(٣) الحديث رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الأشربة ، باب كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، باختلاف فى ألفاظه [انظر صحيح مسلم ج ١٣ ص ١٧١ بشرح النووى » .
(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .
(٦) فى « م » : « الحسن بن الحرفا » الأخيرة تصحيف . ومابين المعقوفتين عن « م » .
(٧) العنوان من عندنا .
(٨) فى « ص » : « القبلة » مكان « الشرق » .
(٩) فى « م » : « قبر الأبله المسمى بشكر » .

عقلاء المجاذيب [١] ، وله إشارات وحكايات ، وله كرامة[٢] مشهورة فى تعديته للجيزة [٣] وذلك أن مصر لمَّا احترقت خرج الناس يريدون التعدية إلى الجيزة ، فخرج مع الناس ، فركب فى مركب ، فغرقت فى وسط النيل ، فطلع مَنْ سَلِمَ مِنَ الغرق فوجدوه قائمًا على البر الثانى ولم يلحقه بلل ، ومقطفه معه .

وقُدَّام قبره قَبْرُ ابن ريحان ، رحمه الله [٤] .

قبر الإمام أبى الحسن الحوفى [٥] :

وقُدَّامه بقليل قبر الإمام الفاضل أبى الحسن على بن إبراهيم بن يوسف ابن سعيد الحوفى الحافظ ، رحمه الله تعالى . كان من كبار العلماء المُحَدِّثِينَ ، والفقهاء المُبَرِّزين ، وله التصانيف المشهورة فى علم القرآن ، [وكان عالمًا [٦] بالعربية وتفسير القرآن الكريم . وله تفسير جيد ، واشتغل عليه خَلْقٌ كثير وانتفعوا به ، ورأيتُ خَطَّهُ على كثير من كتب الأدب ، قد قُرِئَتْ عليه ، وكَتَبَ لأربابها بالقرآن [٧] كما جَرَتْ عادة المشايخ .

وتوفى بكرة يوم السبت ، مستهل ذى الحجة الحرام سنة ٤٣٠ هـ رحمه الله . ثم قال : وعنده من تصانيف ابن النَّحَّاس قطعة كبيرة ، وصنف فى النحو

---

(١) فى « ص » : « كان من عقلاء المجانين » يقول ابن الزيات تعليقًا على قوله هذا : « وهذا غَلَطٌ ، لأن الأولياء لا تُنسَبُ إلى الجنون ، وإنما كان الغالبُ عليه الوَلَهَ والجَذْبَ ... » [انظر الكواكب السيَّارة ص ١٦٣] .

(٢) فى « م » : « كرامات » .

(٣) فى « ص » : « إلى الجيزة » .

(٤) فى « م » : « ... ريحان المسلم المقتول » .

(٥) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٣٢ ، وإشارة التعيين ص ٢٠٦] .

(٦) من قوله : « وكان عالما ... » إلى قوله « كثيرة » عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) بالقرآن ، أى : بالقراءة .

مصنفًا كبيرًا ، وله تصانيف كثيرة] [١] ، وهو تلميذ أبى بكر الأُدفوى ، والدعاء عند قبره مُستجاب ، وشهرته تغنى عن ذكر مناقبه [٢] .

قبر القاضى أبى الحسن بن الخِلَعِى [٣] :

وتستقبل القبلة تجد قبر القاضى أبى الحَسَن على بن الحَسَن بن الحسين ، المعروف بابن الخِلَعِى [٤] صاحب الخِلَعِيَّات [٥] الموصلى الأصل ، المصرى الدار والوفاة ، كان مُحَدِّثًا مُكثرًا ، سمع [أبا الحسن الحَوْفى ، وأبا محمد بن النحَّاس ، وأبا الفتح العَدَّاس ، وغيرهم] [٦] وحَدَّثَ عنه الكبار ، وجمع له أبو نصر بن الحسن الشيرازى أجزاءً [من مسموعاته] [٧] أخرجها عنه وسَمَّاها « الخِلَعِيَّات » ، وهى المنسوبة إليه ، ونقلتُ منها عن الأصمعى ، قال : كان نقش خاتم أبى عمرو بن العلاء [٨] :

وإنَّ امْرَءًا دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّــهِ ... لَمُسْتَمْسِكٌ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورِ [٩]

فسألته عن ذلك فقال : كنتُ فى ضَيْعَتى نصف النهار أدور فيها ، فسمعتُ قائلًا يقول هذا البيت ، ونظرتُ فلم أجد أحدًا فكتبتُه على خاتمى [١٠] .

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) فى « ص » : « وشهرته عند ذكر مناقبه » . تحريف .

(٣) العنوان من عندنا .

(٤) هكذا فى « ص » ولم يرد فى « م » . [وانظر ترجمته فى حُسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٥] .

(٥) فى « م » : « القاضى الخليعات » تحريف ، والتصويب من الوفيات ، وهذا القول وما بعده عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) مابين المعقوفتين عن الوفيات .

(٧) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق .

(٨) فى « م » : « أبى عمر بن العلوان » تحريف ، والتصويب من وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٨ .

(٩) البيت فى « م » به تحريف من الناسخ والتصويب من المصدر السابق .

(١٠) قال ثعلب : هذا البيت لهانى بن توبة بن سحيم .

[انظر الوفيات ج ٣ ص ٣١٨] .

وكانت ولادته – أى الخِلَعِى – فى شهر المحرم الحرام سنة ٤٠٥ هـ .
[والخِلَعِى] : بكسر الخاء ، [وهذه النسبة] [١] لأنه كان يبيع الخِلَعَ فى مصر لملوكها . والله أعلم [٢] .

وولده مدفون إلى جانبه [رحمهما الله تعالى] [٣] .

قبر الشيخ أبى عبد الله بن المسبح [٤] :

وإلى جانبه من القبلة [٥] قبر الشيخ أبى عبد الله محمد بن الشيخ محمد ابن المسبح الفضى [٦] المقرئ ، انتهت إليه رياسة الإقراء [٧] بمصر فى زمانه بعد الشيخ أبى الحسين يحيى [٨] بن الفرج الخشاب . قرأ على عِدَّة مشايخ [٩] ، وسمع الحديث على جماعة من الفضلاء . توفى – رحمه الله – سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

قبور سماسرة الخير [١٠] :

ويقابله من الشرق على اليسار تربة فيها قبور سَماسرة الخير الأنماطيين .

---

(١) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق – فى الموضعين .
(٢) ماسبق عن « م » ولم يرد فى « ص » بهذه الصورة .
(٣) فى « م » : « وولداه مدفنون » ومابين المعقوفتين عن « ص » .
(٤) العنوان من عندنا .
(٥) فى « م » : « وإلى جانب قبره » .
(٦) فى « ص » : « ابن الشيخ المعروف بالفضى » .
(٧) فى « م » : « القراء » .
(٨) فى « م » : « حسن بن يحيى » . [انظر ترجمته فى حُسن المحاضرة ج ١ ص ٤٩٤] .
(٩) فى « م » : « عدة من المشايخ » .
(١٠) العنوان من عندنا . والسماسرة جمع سمسار ، ويُطلق على الوسيط بين البائع والمشترى لتسهيل الصفقة . (فارسىٌّ مُعَرَّب) .

قيل إنَّ امرأة جاءت إلى أحدهم . وهو جالس فى حانوته ، وهى تبكى ، ومعها خمسة دنانير قد أخَذَتْهَا صداق ابنتها ، فقال لها : ماهذا البكاء ؟ هذا يومُ فَرح ماهو يوم بكاء . فقالت : والله ياشيخ لقد تحيرتُ فى أمرى . فقال لها : والله وأنا كذلك ، وبكى ، فقالت له : أنا حائرة فى بقية جهازها [١] ، فدفع إليها ماتحتاج إليه من الجهاز ، ورَدَّ عليها الخمسة دنانير وقال : أنفقيها عليها . فلما أرادت القيام قَالَ لها : باللهِ عليكِ إذا فَرِحَتِ ابْنَتُكِ قولى لها تدعو للشيخ الحائر فى أَمْرِهِ أن يدلَّ الله حيرته . فلما مات رآه جماعة فى المنام ، فقالوا [٢] له : ما فعل الله بِكَ ؟ فقال : أَوْقَفَنِى بين يديه وقال : ياشيخ ، قد دللتُ حيرتَكَ كما دَلَلْتَ حيرة اليتيمة .

وتستقبل الغرب خارجًا عن التربة ، قاصدًا إلى تربة الوزير الجرجانى ، قبل وصولك إليها تجد قبر أبى نصر سراج المعافرى الزاهد ، رحمه الله تعالى ، توفى سنة أربعة عشرة وثلاثمائة ، وكان رجلًا صالحًا مُجَابَ الدعوة ، ومسجده مشهور بعقبة سراج [عند دويرة بكار ، على يمين الخارج من درب سالم ، وقبره قبلى مصلى التجار ، بعد مجاوزة تربة الوزير أبى القاسم على بن أحمد ، ملاصق لقبر أبى سعد المالينى ، وهما قبران مبنيان ، مسنمان ، ومعهما فى الحجرة قبر أبى الفتح الفرغانى الصوفى ، عنده محراب مبلط بكدان ، وكان رجلًا زاهدًا ، عليه ثياب خَلِقَة ، واجتهدوا أن يخلع ذلك الذى عليه من الثياب ويلبس ثيابًا تُرضَى ، فأَبَى ، إلى أنْ مات على ماكان عليه] [٣] .

ومقابل قبر سراج الدين على اليسار قبر الشاب التائب رحمه الله ، وقُدَّامه

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « شوارها » وهى بمعنى الجهاز أيضًا .

(٢) فى « م » : « فقال » لا تصح .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .

قِبلةٌ ، الدعاء فيها مستجاب [١] ذكر بعض الصالحين أنه رأى رسول الله ﷺ فى المنام وهو يصلى فيها ويدعو .

وإلى جانبه جوسق ابن مُيَسَّر حاج الدين محمد بن على المصرى ، وولده عز الدين أحمد ، من المُؤَرِّخِين المصرِيِّين .

قبر ابن بابشاذ النحوى [٢] :

وعنده قبر الشيخ أبى الحسن طاهر بن بابشاذ [٣] النحوى ، صاحب المقدمة المشهورة فى النحو ، وشرحها له فى مُجَلَّدَيْن . سمع الحديث ، وأدرك المشايخ الفضلاء ، رَوَى بسنده عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله ، ﷺ ، كان يدعو ويقول : « اللهم إنى أعوذ بك [من عَلْمٍ لا يَنْفَع ، ودُعاء لا يُسْمَع ، وقلب لا يَخْشَع ، ونَفْس لا تشبع ، اللهم إنى أعوذ بك] [٤] من هؤلاء الأربع » وفى رواية : أعوذ بك من شر هؤلاء الأربع [٥] .

توفى طاهر بن بابشاذ سنة تسع وستين وأربعمائة [٦] ، وكان قد وقع من سطح الجامع العتيق بمصر ، فمات لوقته ، وسبب وقوعه فيما ذُكر عنه أنه أخذ يقرأ ختمة ويتدبر معانيها وأحكامها ، فأقام على ذلك سبع عشرة سنة [٧] ، وبلغ فى القراءة إلى سورة « ألهاكم التكاثر » فأخذ يقرؤها حرفًا حرفًا ويتدبرها ، وهو طالع من سلم السطح الذى للجامع العمرى ، فوقع من السلم فمات لوقته ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى « م » : « والمحراب الذى عند قبر أبى الفتح الفرغانى ، الدعاء به مستجاب » .

(٢) العنوان من عندنا .

(٣) فى « م » : « أبو الحسن ظاهر بن بابشاد » فيه تصحيف والصواب ما أثبتناه [انظر ترجمته فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٣٢ ، وإشارة التعيين ص ١٥١] .

(٤) مابين المعقوفتين عن « ص » وسقط من « م » سهوًا من الناسخ .

(٥) قوله : « وفى رواية ... » إلى هنا عن « م » .

(٦) فى « م » و « ص » : « توفى سنة ٤٠٩ » والتصويب من المصادر السابقة .

(٧) فى « ص » : « سبع وعشرون سنة » وفى « م » : « سبع عشر سنة » وكلاهما خطأ ، والصواب ما أثبتناه لُغَةً .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبور شيوخ المعافر [١] :

وجانبه إلى القبلة [٢] قبور شيوخ المعافر ، رحمة الله عليهم ، وما يخفى على الناس بَلَهُهُم فيما يختص بأمور الدنيا ، وحذقهم فيما يختص بأمور الآخرة ، قيل : إن خليفة من الخلفاء [٣] أُخْبِرَ عنهم بشدة بَلَهِهِم فى أمر الدنيا ، فأرسل إليهم فقال : أريد قَرْضًا [٤] ألف دينار . فلما جاء الرسول إليهم قالوا : لا نقدر على ألف دينار ، ونحن ندفع مانقدر عليه . فجمعوا أُلُوفًا [٥] كثيرة وقالوا للرسول : قل له : والله ما قَدَرْنا [٦] إلّا على هذا ، وما وصلتْ [٧] قُدرتنا إلى ألف دينار . فلما جاءه الرسول ومعه المال وأخبره بقصتهم وما جَرَى له معهم تَعَجَّب ، ورَدَّ عليهم المال وشكرهم وأثْنَى عليهم ، وتَعَجَّب منهم ومن بَلَهِهِمْ وقال : والله ما قصدتُ إلّا الاطلاع على بَلَهِهِم وقِلَّة خبرتهم بالدنيا .

قبر الوزير أبى القاسم الجرجانى [٨] :

وفى حَوْمَتِهِم أبو نصر الزاهد ، وبجانبه إلى الغرب تربة فيها قبر أبى القاسم الوزير ، وبجانبه أبو سعيد المالينى وأبو الفتح الصوفى ، وقُدَّامُهُم جَوْسَق تحته قبر البسطامى ، وبجانبه قبور بنى تاشفين ملك المغرب [٩] ، وقدامهم قبر الجرجانى [١٠]

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) فى « م » : « القبة » .

(٣) هو الخليفة المأمون .

(٤) فى « م » و « ص » : « قرض » .

(٥) فى « م » : « ألوف » خطأ لغوى .

(٦) فى « م » : « مانقدر » .

(٧) قوله « وصلت » عن « ص » .

(٨) العنوان من عندنا ، وما هنا عن « ص » وهو مضطرب السياق فى « م » .

(٩) فى « م » و « ص » : « ملك الغرب » .

(١٠) فى الوفيات وحُسن المحاضرة : « الجرجرائى » .

أبى القاسم على بن أحمد الوزير ، قيل إنه أقام وزيرًا ستين سنة على ثلاث خلفاء ، وكان يتولى بعض الدواوين بمصر [١] ، وإن قافلة فى أيامه جَازَتْ على « منوف » [٢] من الإسكندرية فقطع عليهم الطريق ، فوقف الإسكندرانيون لوالى « المحلة » ، فقال لهم : ليس لى حُكْمٌ على « منوف » لأنها جهة الخليفة ، ولكن امضوا إلى الخليفة بالقاهرة . وكان الخليفة يومئذ [٣] الحاكم بأمر الله ابن العزيز ، فَقَدِموا للديار المصرية ، فوجدوا الحاكم – فى يوم دخولهم المدينة – راكبًا على حمارٍ ، فوقفوا له ، فقال : ما تريدون [٤] ؟ فأخبروه ، فقال : لِمَ لا وقَفْتُمْ لوالى « المحلة » ؟ فقالوا : قد وقَفْنَا له [٥] وقال إنه لا حكم له على الناحية لأنها لِجِهَةِ الخليفة . فقال لهم : ومَنْ دَفَعَ « منوف » إلى الجهة ؟ امضُوا إلى غدٍ حتى أكشف عن هذه القضية [٦] .

فمضى إلى قصره وقال للجِهَة : مَنِ الذى حَكَّمَكِ على « منوف » ؟ فقالت له : توقيعك . فقال : وأين توقيعى ؟ فأحْضَرَتْهُ إليه ، فنظر إلى علامته فشك [٧] فيها وقال : ماهذا خَطِّى . ونظر إلى خط الوزير علىّ بن أحمد الجرجانى تحتها ، فأحضره وقال : هذا خَطُّكَ ؟ قال : نعم . فحنق عليه للوقت وقال : اقطعوا يده التى كتب بها . فأَخْرَجَ يده اليُسْرَى من كُمِّه الأيمن ، فَقُطِعَتْ . فقال [٨] الواسطة السرّ أنه لَمْ يُخْرِجْ يده اليُمْنَى ، وإنما أَخْرَجَ يده اليُسْرَى ، فنظرها الحاكم وقال : تُقْطَعُ يده اليُمْنَى الساعة ! فَقُطِعَتْ .

---

(١) فى هذا الموضع فى « م » : « وقطع الحاكمُ يده » وستأتى بعد قليل . [وانظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٠٧ و ٤٠٨ ترجمة الظاهر العبيدى] .
(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « منف » فى كل المواضع .
(٣) فى « م » : « إذ ذاك » .
(٤) فى « م » : « ماتريدوا ؟ » خطأ ، وهو ساقط من « ص » .
(٥) فى « م » : « به » .
(٦) فى « ص » : « القصة » .
(٧) فى « م » : « فكشف » .
(٨) أى : فأنشى .

ونُفِىَ ، فَبَقِىَ [١] ماشاء الله تعالى إلى أن افتكره الحاكم ذات يوم ، فأَمَرَ بإحضاره ، فحضر ، فقال : مَنْ دَفَعَ لَكَ التوقيع ذلك اليوم ؟ فقال : أُستاذُك ، وقال لى : هذه علامة الحاكم ، فما اتهمتُهُ [٢] لِمَا أعلمُ مِنْ قُرْبه منك ، فَعَلَّمْتُ تحتها . فقال : هل تعرف [٣] الأستاذ ؟ قال نعم . فأحضر بين يديه جميع الأستاذين [٤] ، فأخرجَهُ من بينهم وقال : هذا هو . فقال للأستاذ : أنت دَفَعْتَ التوقيع للوزير ؟ قال : نعم . قال : مَنْ دَفَعَهُ لَكَ ؟ قال : كاتب الجهة ، وسَيَّرَنِى على رسالتك إلى الوزير . فأَمَرَ بقتلهم ، وأَمَرَ بِرَدِّ الوزير إلى وزارته ، واعتذر إليه ، فأقام بعد ذلك عشرين سنة فى الوزارة ، وكان إذا أراد أن يكتب يربط القلم فى يده ويكتب [٥] .

وفى بعض التعاليق أنه لَمَّا قُطِعَتْ يداه جاء إلى باب الديوان فرفسه [٦] برجله وقال : إنَّ أمير المؤمنين أَدَّبَنِى وما صَرَفَنِى . فقيل لأمير المؤمنين ذلك ، فقال : يُعاد إلى منصبه . ولم يصرفه ، والله أعلم .

* * *

ثم ترجع إلى مسجد الفتح ، يُقال : إنه أول مسجد أُسِّسَ عند فتوح مصر ، والدعاء فيه مستجاب .

[ومسجد الفتح بناه سيف الإسلام يانس الرومى ، وزير مصر ، وسُمِّىَ بالفتح . فى موضعه انهزم الروم بقصر الشمع . قُدَّ [٧] للزُّبَيْرِ بن العوام ،

---

(١) فى « م » : « فأقام » .
(٢) فى « م » : « فما تهمته » .
(٣) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « نعم » وهى تصحيف من « تعلم » .
(٤) هكذا فى « م » و « ص » وهى صواب .
(٥) إلى هنا انتهى ماقيل عن الجرجانى فى « ص » . وكرر فى « م » بعض الجمل التى ذُكرت من قبل ، لم نثبتها لتكرارها ، وما سيأتى بعد ذلك عن « م » ولم يرد فى « ص » .
(٦) فى « م » : « فرفصه » بالصاد ، خطأ .
(٧) قُدَّ : قُطِعَ .

والمقداد بن الأسود ، ومَنْ معهم ، مِنْ أمير المؤمنين عُمر ، لأمير مصر عَمْرو ابن العاص ، رضى الله عنهم أجمعين] [(١)] .

وهو محراب لطيف مكين ، قد ترى على هيئته ، وبُنِىَ عليه جامع ، وجُعِلَ [(٢)] هو منفردًا بذاته فى جانبه الشرقى ، وكان معبدًا للشيخ الصامت [(٣)] العسقلانى ، وهو مدفون قبالة هذا المسجد إلى القبلة . وكان - رحمه الله - قليل الكلام ، كثير قراءة القرآن ، يتعبَّدُ فى هذا المسجد إلى أن مات - رحمه الله تعالى .

* * *

وتمشى وأنت مُشَرِّقٌ تجد قبر الناطق ، وعند رأسه قبر الحفَّار - رحمه الله . قيل : لمَّا أراد هذا الحفَّار أن يُنزل الناطق فى قبره ، سمعه الحفَّارُ وهو يقول : ﴿ ربِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلًا مُبَارَكًا وأنتَ خَيْرُ المُنْزِلِينَ ﴾ [(٤)] ، فلما سمع الحفَّار ذلك لزم العبادة والصلاة والصيام والزهد ، والتقنُّع بالقليل ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات - رحمه الله - ودُفِنَ [(٥)] فى هذا الموضع .

وبجانبهما [(٦)] تربة فيها قبر الفقيه عمر المقدسى - رحمه الله - كان مُتَصَدِّرًا لقراءة القرآن بمصر بالجامع العتيق ، وهو فى مسجد الهيثم ، سُئِلَ أن يكون شاهدًا أو شارفًا [(٧)] ، فأبَى . وقدَّام التربة من القبلة قبر عبود العابد - وقيل : عتود العابد - وأخوة على العابد ، رحمه الله .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .
(٢) فى « م » : « دخيل » مكان « وجعل » . تحريف من الناسخ .
(٣) فى « م » : « وكان معبد الشيخ الصالح » .
(٤) سورة المؤمنون - الآية ٢٩ .
(٥) فى « م » : « ودُفع » تصحيف .
(٦) فى « م » : « وبجانبهم » .
(٧) فى « م » : « أو مشارف » .

وتمشى وأنت مستقبل الشرق تجد قبرين ، أحدهما بجانب الآخر الذى يلى القبلة ، قيل : إنه ابن البرادعى ، وكان رجلًا عابدًا .

قبر صاحب الكَرْمَة [١] :

والذى يلى البحر [٢] قَبْرُ صاحب الكَرْمَة ؛ قيل : إن رجلًا رأى فى النوم كأن تلك البقعة كلها أشجار وأنهار وكروم ، فوقف يتعجب ، وإذا بصاحب هذا القبر قد قام من قبره وقال : مثل ماعندكم مِن فوق هكذا ، عندنا من أسفل ، أما سَمِعْتَ قوله ، ﷺ : « قبر المؤمن روضة من رياض الجنة » ؟ فلما أصبح كتب على القبر « صاحب الكَرْمَة » .

قبر القفصى – رحمه الله [٣] :

وبجانبه قبر القفصى ، والقفصى – رحمه الله تعالى – كان يصلى بمسجد الزبير بمصر ، وكان رجلًا مُتَزهِّدًا ، أرسل إليه ابن ميسَّر خمسين [٤] دينارًا فَأَبَى أن يقبلها وقال : القليل يكفينا ومالنا بالكثير حاجة [٥] . وجاء من المغرب [٦] إلى الحج ، ورجع من الحج إلى مصر ، فأقام بمسجد الزبير عشرين سنة ، فقيل له : ألا ترجع إلى المغرب ؟ فقال : إن والدى كان قاضيًا فأخاف أنْ يُقَال لى : كُنْ موضع أبيك .

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « البحرى » .

(٣) العنوان عن « ص » .

(٤) فى « م » و « ص » : « خمسون » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) من قوله : « ومالنا بالكثير حاجة » إلى قوله : « عُوتبت من أجلك » عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) فى « م » : « الغرب » فى الموضعين .

وكان جملة ما عليه من الثياب لا يزيد ثمنه على تسعة عشر درهمًا . وقيل : جَاءَهُ رجلٌ فَقَبَّل ركبته وقال له : حُبِسَ أخى على قُطْنٍ رَضِىَ عليه ، ولم يكن معى ثمنه ، ودَلُّونى عليك ، وأريد أن تكتب رُقعة إلى الموفق القاضى . فقال : قاضى السمٰوات أقربُ إلينا من قاضى الأرض ، جَعَلَ اللهُ لأخيك مِن كُل هَمٍّ فَرَجًا ومَخْرَجًا . فقنع الرجل منه بهذا ، ومضَى ، فلما كان فى وقت المغرب جاء الرجل إلى المسجد وهو يضحك ، فقال له : ما وراءَك ؟ فقال : تَخلَّصَ أخى ، وهو فى البيت . فقال : كيف كان خَلَاصُه ؟ قال : لَمَّا خرجتُ من بين يديك سَيَّرَ الموفق خلفى ، وقال : ظهر لى أنَّ أخاك[1] مابيده شىء ، خُذْ مَعَك رسولًا إلى الحبس وأَخْرِج المحبوسَ ، ولا تدفع للرسول شيئًا . فقلت : بدعاء الفقيه جعل الله لأخى فرجًا ومَخْرَجًا .

وسَيَّر[2] رجلٌ إليه شابًّا من الأجناد كان يفعل فى جواره مالا يحب ، فقال له : مَنْ هَتَكَ عورات المسلمين هتَكَهُ الله وعَجَّلَ أَخْذَهُ . فلما كان مثل ذلك اليوم خرجت جنازة الشاب .

وجاءَهُ رجلٌ مَغْرِبىٌّ بَزَّازٌ فقال : لى فى جوارى شريفٌ تكلمتُ أنا وإيَّاه بشىء ، فقال لى : أنت تسبُّ علىَّ بن أبى طالب ، واستعانَ عَلَىَّ بأشرافٍ معه ، وما لى بهم طاقة . فقال له : « اللهُ يُقَلِّبُ القُلُوبَ والأبصار » ، فلما كان الصباح من اليوم الثانى جاءه الشريف وصالحه وقال : « عُوتِبْتُ من أَجْلِكَ ! »[3] .

قبر الزعفرانى :

يقابله[4] على شاطئ الخندق قبر « محمد » ، كان من عُقلاء

---

(١) فى « م » : « أن أخيك » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .
(٢) فى « م » : « قبر » مكان « سَيَّر » تحريف .
(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٤) فى « ص » : « قبالته » والعنوان السابق من عندنا .

المجاذيب [١] ، رحمه الله تعالى . وبجانبه قبر « الزعفرانى » - رحمة الله عليه - يقال : إنه كان من الصالحين . وقَفَ علَى قَصَّاب يشترى [٢] لحمًا ، فاستهزأ به القَصَّاب بعد أَنْ وَلَّى ، فَانْقَبَضَتْ يَدُهُ [٣] ولم يقدر أَنْ يقطع بها شيئًا ، فَسَعَى خلفه حتى لحقه وقَبَّلَ يده وقال : ياسيدى ، أُدْعُ الله لى [٤] ولا تُؤَاخِذْنى . فَدَعَا له ، فَفَرَّجَ الله عنه .

قَبْرُ المُهَمْهِمِ [٥] :

وقُدَّامه من الغرب قبر « المهمهم » رحمة الله عليه ، كان يمشى يهمهم [٦] ، فتبعه إنسانٌ بِاللَّيْل ، فرآه وقد انْفَتَحَ له البابُ المُغْلَقَ من الجامع [٧] ، فدخل وصَلَّى فيه ، ثم خرج ، فانْغَلَقَ البابُ ، فقال له الذى كان يمشى معه : ماتقول ! فقال : مايكفيك سكوت الكلاب وفَتْحِ الأبواب ! .

قبرا القَصَّار والعصافيرى [٩] :

ثم تستقبل البحر تجد على يسارك قبر « القَصَّار » رحمه الله تعالى ، كان إذا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ للصلاة والمِرْزَبَّة [١٠] على كتفه رماها من وراء ظهره ويُصَلِّى .

---

(١) فى « ص » : « من عقلاء المجانين » وانظر ص ٢٧٩ - الهامش رقم (١) .
(٢) فى « ص » : « يشترى منه » .
(٣) فى « ص » : « أصابعه » .
(٤) فى « ص » : « ادعى لى » .
(٥) العنوان من عندنا .
(٦) فى « م » : « وهو مهمهم » أى : يتكلم كلامًا خفيًّا .
(٧) فى « م » : « أُفتح له باب الجامع وكان مغلوقًا » .
(٨) فى « ص » : « البحرى » .
(٩) العنوان من عندنا .
(١٠) المرزَبّة : المطرقة الكبيرة يُكسر بها الحجارة . والقَصَّار : المُبَيِّضُ للثياب ، وكان يُهَيِّئُ النَّسيجَ بعد نَسْجِه بِبَلِّهِ ودَقِّهِ بالقَصَرَة ، وهى مايبقى فى المُنْخُل بعد الانتخال .

ثم منه إلى قبر « العصافيرى » رحمه الله ، قيل : إنه كان يشترى العصافير ويطلقها ، وقيل : إنه رجع [١] إليه عصفورٌ مِرَارًا فقال له : لا تَنْسَ ذكْرَ الله تعالى .

قبر صاحب الوديعة [٢] :

وتستقبل الغرب تجد قبر « صاحب الوديعة » ، رحمه الله تعالى ، قيل : إنه أَوْدَعَ عنده إنسانٌ مالًا [٣] فأَرْسَلَ وراءه أمير البلدة فقال له : أَوْدَعَ فلانٌ عندك ماله ؟ قال : نعم . قال : لِمَ لا أَتَيْتَنَا به [٤] ؟ قال : لو أَرَادَ صاحبُهُ أنْ يُودِعَهُ عندك ما أَوْدَعَهُ عندى [٥] . قال : صَدَقْتَ ، اذْهَبْ راشدًا [٦] .

قبر الأنبارى ، رحمه الله تعالى [٧] :

قيل : إنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فى مسجده فقال له : أَجِرْنى . فقال له : ادخُلْ إلى هذا الموضع ، فَدَخَل ، فجاء خَصْمُهُ فقال له : رأيتَ رَجُلًا [٨] جاء إليك ؟ قال : نعم . قال : وأينَ مَضى ؟ فأشار إلى الموضع الذى دخل فيه ، فدخل [الرجل] [٩] فلم يجد أحدًا ، فخرج فقال : ما وجدنا أحدًا ، ومَضَى ، فلما

---

(١) فى « ص » : « ارتد » .

(٢) العنوان من عندنا .

(٣) فى « ص » : « أودع مالً » .

(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « لم أتيتنى به ؟ » يريد : لِمَ لَمْ تأتِنِى به » فَحُرفت .

(٥) فى « م » : « لو أراد صاحبه أن يتركه عندك ماتركه عندى » .

(٦) فى « ص » : « قال : صدقت ، اتركه عندك » .

(٧) هكذا العنوان فى « ص » .. وفى « م » : « قبر الإمام الأنبارى ، الحافظ المشهور بقوة الحفظ ، رحمة الله عليه » .

(٨) فى « ص » : « أحدًا » .

(٩) مابين المعقوفين عن « م » .

ذَهَبَ خرج الرجل [١] فقال : ياسيدى دلَّلْتَهُ علَيَّ [٢] ! فقال : مَنْ صَدَقَ نجا .

* * *

وبجانبه إلى القبلة قبر « المحاملى » رحمة الله عليه ، صاحب التصانيف المشهورة [٣] . وبجانبه إلى البحرى قبور الخمسة الأبدال رضى الله عنهم ، وبجانبهم إلى الغرب قبر السبتى رحمه الله تعالى ، يقول الزوار [٤] : إنه ولد هارون الرشيد ، والصحيح أنه مدفون بالعراق ، فَيُزَارُ هذا بحُسْن النية ، والأعمال بالنِّيَّات ، وهذا رجل صالح نشر الله عليه اسم ذلك الرجل ليُزار بتلك النية .

قبر الفَرَّان [٥] :

ثم تمشي إلى الغرب تجد قبر الفران ، قيل : إنه كان من أرباب الطَّيِّ ، وكان إذا بقى للوقفة يوم يمضى ويحج ، ثم يأتى [٦] ، وكان الحُجَّاج يأتون ويقولون : كان فلان معنا فى الحج [٧] .

ومن بعض فضائله أن امرأةً عجوزًا [٨] أتته ومعها رغيفان عجين تريد أن تخبزهما ، فلما استويا [٩] وأُخرِجَا من الفرن تَنَهَّدَتْ وبكت [ثم أرادت أن تقوم] [١٠] فقال لها : مِمَّ بُكاؤُكِ ؟ فقالت : إنَّ وَلَدِى بالحجاز . [فقال لها :

---

(١) فى « ص » : « ثم خرج الأول » أى : الرجل المختفى .

(٢) فى « ص » : « نَمَمْتَ علَيَّ » .

(٣) قوله : « المشهورة » عن « ص » .

(٤) قوله : « يقول الزوار » عن « م » .

(٥) العنوان من عندنا .

(٦) فى « ص » : « يحج ويجىء » .

(٧) قوله : « فى الحج » عن « م » .

(٨) فى « م » و « ص » : « عجوز » . والنصب هنا على الوصفية .

(٩) فى « ص » : « فرغا » .

(١٠) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » فى الموضعين .

ما اسمه ؟ فأخبرته] باسمه ونَعْتِه ، وكانت ليلة الوقفة ، وقد وددتُ لو أكل من هذا الخبز ! فقال لها : أَلْقِيهمَا فى المنديل واتركيهما ، فتركتهما [١] ومَضَتْ ، فلما جاء الحُجَّاج [٢] جاء ولدها ومعه المنديل فقالت : لا إله إلّا الله ، مَتَى جاءَكَ [٣] هذا المنديل ؟ فقال لها : ليلة الوقفة ، وفيه رغيفان سُخنان [٤] .

فشاع ذلك واشتهر ، وهذا مِمَّا لا يُنكر ، فقد اشتهر عن الشيخ أبى الخير الأقطع [٥] التيناتى ، رضى الله عنه ، لمَّا ذُكِرَ فى مجلسه أرباب الطَّىِّ وغيرهم ، وتذاكروا مواهب الله تعالى لهم ، تَبَرَّمَ [٦] الشيخ رحمه الله وقال : كَمْ تقولون [٧] فلان يمشى إلى مكة فى ليلة ، وفلانٌ وفلانٌ ، أنا أعرفُ عبدًا لله تعالى : حَبَشِيًّا ، كان جالسًا فى جامع طرابلس ، ورأسه فى جيب مُرَقَّعَتِهِ [٨] ، فخطر له خاطر ، فقال فى سِرِّه : ياليتنى كنتُ فى الحرم . فأخرج رأسه من مُرَقَّعَتِهِ فإذا هو فى الحرم ، و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، واللهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾ [٩] .

* * *

وتستقبل البحر تجد قبرًا كبيرًا فيه جماعة من أولاد أبى بكر الصِّدِّيق [١٠] ، رضى الله عنهم ، وبجانبه البحرى [١١] [قبر ابن حليمة أخى

---

(١) فى « م » : « ألقيهم فى المنديل واتركيهم ، فتركتهم » .
(٢) فى « ص » : « الحاج » وهى بمعناها .
(٣) فى « ص » : « جاء » .
(٤) فى « م » و « ص » : « وفيه رغيفين سخنين » خطأ فى اللغة .
(٥) « الأقطع » عن « م » .
(٦) « لهم » عن « م » . وفى « م » و « ص » : « فتبرَّمَ » .
(٧) فى « م » : « تقولوا » .
(٨) المُرَقَّعَة : من لباس الصوفية ، سُميت بذلك لما فيها من الرقع .
(٩) سورة الحديد ، من الآية ٢١ ، وسورة الجمعة ، الآية الرابعة .
(١٠) فى « ص » : « فيه أولاد أبى بكر الصديق » .
(١١) فى « م » : « إلى البحرى » ومابين المعقوفتين بعده عن « ص » .

رضيع رسول الله ﷺ] قيل : إنَّ قومًا شَكُّوا فيه ، فحفروا عليه فوجدوه كأنه كما دُفِنَ ، وهو ملفوف بالبُرْدَة ولم يؤثر فيها التراب . ولم تتغير جُثته [١] ، فَحَقَّقُوا ذلك .

وبجانبه قبر الحبشى ، وكان رجلًا صالحًا يُتَبَرَّكُ به وبزيارته . وتمشى إلى الغرب تجد قبر رجل صالح ، له حكاية . وقُدَّامه إلى الغرب قبور « الضَّرَّاسين » كانو يرقون لوجع الضرس . وبجانبهم إلى الغرب قبور « الشَّمَّاعين » يقال إنهم كانوا إذا مشوا فى الظلام يرون قدامهم شموعًا موقودة لا يُعْرَفُ مَنْ يوقدها [٢] . فإذا وَصَلُوا [٣] إلى مواضعهم طُفِيَتِ الشُّمُوع ولم يروا أحدًا . وعلى اليسار قبر « مبشر الخير » يقال : إنه رُئِىَ فى المنام [٤] ، فقيل له : ما فَعَلَ الله بك ؟ قال : مُتْ سَنِيًّا [٥] ولا تُبالِ .

* * *

ثم تمشى وأنت مُبَحِّرٌ تجد على يسارك قبر « النيسابورى » رحمه الله ، كان رجلًا صالحًا ، وله قصة عجيبة فى تعديته ، وكان [يمشى] [٦] على الماء . وبجانبه قبر « المُؤَذِّن » ، كان يُؤَذِّنُ فى جامع مصر ، وكان رجلًا صالحًا .

قبور بنى غلبون [٧] :

وعلى يمينه تُربة فيها قبور بنى غلبون ، وهى أربعة قبور متلاصقة [إخوة] [٨] وأختهم العروسة فى قبر آخر رخام ، أحدهم أبو الطيب بن

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « ولم يؤثر فيه التراب ، ولم يتغير جِدُّثها » .
(٢) فى « م » : « مَن الذى وقدها » .
(٣) فى « ص » : « وصلت » .
(٤) فى « ص » : « فى النوم » .
(٥) أى : مُحْسِنًا . وفى « م » و « ص » : « سنى » .
(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » .
(٧) العنوان من عندنا .
(٨) مابين المعقوفتين عن « م » .

غلبون ، كان من كبار المُحَدِّثين ، روى بسنده ، قال : لَمَّا أَمَرَ الوليد ببناء مسجد دمشق وجدوا فى الحائط القبلى لَوْحًا من حَجَر ، فيه كتابة منقوشة [١] ، فَأُتى به الوليد فَبَعَثَ به إلى الروم وسألهم مافيه ، فلم يعرفوا ، فَدُلَّ على وَهْب ابن مُنَبِّه ، فبعث إليه ، فلمَّا قَدِمَ أُحْضِرَ إليه [٢] اللَّوْحَ ، فإذا هو من بناء هود النبى ﷺ ، فلمَّا نظر إليه وَهْبٌ حَرَّك رأسه وقرأه ، فإذا فيه [٣] : « بسم الله الرحمٰن الرحيم : ابن آدم ، لو رأيت ما بقى مِن أَجَلِكَ لَزَهِدْتَ فى طول ماترجو من أَمَلِكَ [٤] ، وإنما يلقاكَ نَدَمُكَ لو قد زَلَّتْ بك قَدَمُكَ ، وأسلمَكَ أَهْلُكَ وحَشَمُكَ ، وانصرفَ عنك الحبيبُ ، ووَدَّعَك [٥] القريب ، وصِرْتَ تُدْعَى فلا تجيب ، فلا أنت فى أهلك عائدٌ ، ولا فى عملك زائدٌ ، فَاعْمَلْ لنفسك قبل القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، وقبل أن يحضر أجلك وينزع مَلَكُ الموت [٦] منك روحك ، فلا ينفعك مالٌ جَمَعْتَهُ ، ولا وَلَدٌ خَلَّفْتَهُ [٧] ، ولا أخٌ تركته ، وتصير [٨] إلى منزِلٍ ضَيِّقٍ لا تجد فيه أخًا ولا صديقًا [٩] ، فاغتنم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تُؤْخَذَ بالكظم ، ويُحالُ بينك وبين العمل » . وكُتِبَ فى زمن سليمان بن داود ، عليهما السلام [١٠] .

---

(١) فى « ص » : « نقش » .

(٢) فى « ص » : « فلما حَضَرَ قدم إليه » .

(٣) فى « ص » : « فإذا فيه مكتوبٌ » .

(٤) فى « م » : « أمتك » تحريف .

(٥) فى « ص » : « ورد عليك » مكان « وودعك » .

(٦) فى « م » : « وينزع الموت » .

(٧) فى « ص » : « ولدته » .

(٨) فى « م » : « وتنزل » .

(٩) فى « م » : « ولا صديق » لا تصح .

(١٠) فى « ص » : « على محمد وعليهما السلام » .

وكان أبو الطيب يقول : قال بعضُ الصَّالحين ، رضى الله عنهم : « مَنْ خَلَا بالله أَظْهَرَهُ الله لعيون الناس [١] ، ومَنْ خَلَا له أخفاه الله عن عيون الناس » .

ورُوِىَ عنه أنه قال : « بتُّ ليلةً مِنَ اللَّيالى فى أيام أبى حريش [٢] وكان يقول بِخَلْقِ القرآن ، وأنا متفكرٌ فى ذلك مَهْمُومٌ لِمَا قد نَزَلَ بالناس من الفتنة ، فبينا أنا نائم على فراشى إذا بهاتِفٍ قد جاءنى فقال لى : قُمْ ، فَقُمْتُ ، فقال لى : قُلْ ، قُلْتُ : ماأقول ؟ قال : قُلْ : لا والذى رفع السماء بلا دعائم للنظر ، فَتَزَيَّنَتْ بالسَّاطِعات اللَّامعات وبالقمر ، ماقال خَلْقٌ فى القرآن بِخَلْقِهِ إلَّا كَفَر ، بل هو كلامٌ مُنَزَّلٌ من عند خَلَّاق البشر .

فلما فرغ قال لى : اكتُبْ ، فمَدَدْتُ يدى إلى كتاب من كُتُبى وكتبتُ ، فلما أصبحتُ ذكرتُ الرُّؤْيَا ، فمددتُ يدى إلى طاقة كانت إلى جانبى ، فوجدتُ خَطِّى فى كتابٍ من كُتُبى بما قال لى الهاتف ، فجَلَسْتُ ولمْ أخرج إلى الطريق ، فلما عَلَا النهار خرجتُ إلى حوائجى ، فمشيتُ قليلًا ، فإذا بِرَجُلٍ قد قام وَسَلَّمَ عَلَىَّ وقال لى : أَخْبِرْنِى بالرؤيا التى رَأَيْتَهَا البارحة ، فقلتُ : مَنْ أَخْبَرَكَ بها ؟ قال : قد ذَاعَتْ بين الناس وتحَدَّثُوا بها ، فأخبرته بها » .

وتُوفى أبو الطَّيِّبِ بن غلبون سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . وقيل : كان أبو الطيب وإخوتُه الثلاثة يقرءون فى كل يوم ختمة ، فمات أحدهم فقرأ الثلاثة الختمة ، فمات الثانى ، فقرأ الأخوان الختمة ، فمات الأخ الثالث ، فقام الرابع بقراءة الجميع ، ثم توفى الآخِرُ وبَقِيَتْ أُختهم [٣] ، وإنها تَزَوَّجت ، فجاءت ليلة

---

(١) قوله : « لعيون الناس » عن « م » . وساقط من « ص » .

(٢) فى « م » : « حويش » تحريف .

(٣) فى « ص » : « وقيل : كانوا أربعة يقرءون فى كل يوم ختمة ، فلما مات أحدهم كان الثلاثة يقرءون كل يوم ختمة ، فما يرجعون على ذلك حتى ماتوا ، وبقيت أختهم ... » .

دخولها فقالت : « اللهم لا تهتكنى على أحد » ، فماتت لساعتها ، رحمة الله على الجميع .

ويُقابل هذه التربة من الجهة البحرية [١] قَبْرٌ ، يُقال إن فيه محمدَ بْنَ أحمد ، ابن أخت الزبير بن العَوَّام ، وقيل : ابن بنته ، وكان عاملًا على مصر .

قبر الشيخ أبى الفضل بن الجوهرى الواعظ – رحمه الله تعالى [٢] :

كان من كبار مشايخ المصريين ، وبيتُه بيتُ العِلْم والعَدالة ، وذُرِّيَّته ذُرِّيَّةٌ مباركة ، وكان يعظ الناس فى جامع مصر ، وأقام على ذلك [٣] سنين ، وسمع الحديث الكثير [٤] ، وكان ينشد على كرسى وَعْظِهِ [٥] ويقول :

خُذْ كَلامِى مُجَرَّبًا فَامْتَحِنْهُ ... وبِمِيزَانِ كُنْهِ عَقْلِكَ زِنْهُ
طَاعَةُ اللهِ خيرُ مَالَزِمَ العَبْدُ ... فَكُنْ طائعًا ولا تَنْأَ عَنْهُ [٦]
ما هَلَاكُ النُّفوسِ إلَّا المَعَاصِى ... فَتَوَقَّ الْهَلَاكَ لا تَقْرَبَنْهُ [٧]
إنَّ شَيْئًا هَلَاكُ نَفْسِكَ فِيهِ ... يَنْبَغِى أَنْ تَصُونَ نَفْسَكَ عَنْهُ [٨]

ومن كلامه : احْذَرْ مافيه هَلاكُ نَفْسِك [٩] . صُنْ نَفْسَكَ عن معاصى الله . ينبغى أن تستحى مِنَ الله . كُنْ من الله على حَذَر . إيَّاكَ أَنْ يراكَ على ما نَهاكَ فَتَسْقُطَ من عينه .

---

(١) فى « ص » : « قُبالة هذه التربة من البحرى » .
(٢) فى « ص » : « رحمة الله عليه » .
(٣) فى « ص » : « لذلك » .
(٤) قوله : « وسمع الحديث الكثير » عن « م » .
(٥) فى « ص » : « على كرسى الوعظ » .
(٦) فى « م » : « فَلْيَكُنْ طائعًا ولا يَنْأَ عنه » .
(٧) هذا البيت ، والبيت الذى يليه ، عن « م » ، ولم يردا فى « ص » .
(٨) الشطرةُ الأولى من البيت فى « م » : « إن شىء هلاك نَفْسِى فيها» فيه تحريف ، والصواب ما أثبتناه .
(٩) هكذا فى « ص » .. وقد وردت هذه الجملة فى « م » محرفة .

وتوفى ابن الجوهرى سنة ثمانين وأربعمائة [١] ، [ودُفِنَ] بجانب قبر والده أبى عبد الله الحسين بن بُشْرَى .

ويقال : إنه جاءَهُ رَجُلٌ مُبْتَلًى ، فقال له : أُدْعُ الله تعالى لى . فقال : أنا أَدُلُّكَ على مَنْ يدعو لك ، تمضى إلى البيت المقدس وتحتال إلى أنْ تَبِيتَ فيه ، ولا تنام ، فإذا دخل عشرة يُصَلُّونَ فيه فَقِفْ ، حتى إذا فرغوا من الصلاة وخرجوا ، أَمْسِكْ العاشِرَ منهم وقُلْ له يدعو لَكَ [٢] . ففعَلَ ذلك ، وأمسَكَ [العاشر] [٣] وسَأَلَهُ الدعاء ، فَدَعَا له ، فبرئ من ساعته ، وقال له : مَنْ دَلَّكَ عَلَىَّ ؟ فقال : الشيخ أبو الفضل الجوهرى . فقال : والله هو الأول ، غَمْزَةٌ بِغَمْزَةٍ [٤] .

وقيل : إنه قَلَّ مابيده ، فجاء إلى ابن قادوس وسأله شيئًا [٥] من المال على سبيل القرض ، وكان كثيرًا ما يأخذ منه . فقال له ابن قادوس : كم تطلبنى ، انْكَسَرتِ القواديس ؟! فمضَى وتركَهُ وهو ضَيِّقُ الصَّدْرِ ، فلمَّا أَتَى دَارَهُ قال لِغُلامه : قد طال شعرى ، وما معنا شىء ندخل به الحمَّام وننفقه علينا ، فَامْضِ إلى السوق وَأْتِنِى بِمُزَيِّنٍ يأخذ شعرى [٦] . فَمَضَى الغُلَامُ وأَحْضَرَ مُزَيِّنًا مَغْرِبِيًّا ، فلما وصل إلى الدار قال : هذه دار مَنْ ؟ قال : دار ابن الجَوْهَرِىّ ، الشيخ أبى الفضل [٧] . فقال المغربى : والله إنَّ هذا لَعَجَبٌ ! معى رسالة إليه ونَفَقَةٌ

---

(١) فى « م » : « سنة سبعة وأربعين » خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وما بين المعقوفتين – بعده – غير واضح .

(٢) فى « م » : « وسَلْهُ الدعاء » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٤) فى « ص » : « غمازة بغمازة » .

(٥) فى « م » : « وسأله فى شىء » . وفى « ص » : « يطلب منه شيئًا » .

(٦) فى « ص » : « من شعرى » . والمزين : الحلاق .

(٧) فى « ص » : « دار الشيخ أبى الفضل بن الجوهرى » .

من أرض المغرب [١] . فلما دخل المُزَيِّنُ قال له : إنى مُرسَلٌ إليك بنفقة من المغرب . فقال هَاتِهَا ، أنا أبو الفضل بن الجوهرى . فدفع إليه ثلاثمائة دينار ، ثم أخذ شعره ومَضَى . فأخذ أبو الفضل المَالَ [٢] ومَضَى إلى ابن قادوس وقال : ماتكسرت القواديس ولا أصابهم شىء .

وذَكَرَتْ [٣] زوجَتُهُ - وكانت من الصالحات [٤] - قالت [٥] : جَرَى بينى وبينه مَرَّةً كَلامٌ [٦] ، فَغَضِبَ وغَضِبْتُ ، وتَهاجَرْنا لَيَالِىَ [٧] ، فلما كان فى بعض الليالى [٨] رأيتُ رَسُولَ الله ﷺ وهو يقول : لا تشغلى قلب وَلِىِّ الله تعالى : [ورَأَى هو أيضًا رسول الله ﷺ وهو يقول له : لا تشغل وَلِيَّة الله تعالى] [٩] . فلما أصبح جاء إلى عندى [١٠] ، ففتحت الباب وقلتُ [١١] : والله جاءنى رسول الله ﷺ قبل أن يجىء إليك .

وكان يعظ الناس فى جامع مصر وينصر مذهب السُّنَّة ، فَوَشَى به وَاش إلى أمير الجيوش [بدر الجمالى] [١٢] فَأَمَرَ أن يُجَاءَ [١٣] به إلى القاهرة بعنف ،

---

(١) فى « ص » : « معى رسالة إليه من المغرب ونفقة » .

(٢) فى « ص » : « فأخذ أبو الفضل الثلاثمائة دينار » .

(٣) فى « م » : « وذُكر أن » .

(٤) فى « ص » : « من الصالحين » .

(٥) فى « م » : « قال » . لا تصح .

(٦) فى « م » : « كلامًا » خطأ . والصواب بالرفع .

(٧) فى « م » : « لياليًا » لا تصح ، فهى ممنوعة من الصرف .

(٨) فى « ص » : « فى بعضها » .

(٩) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(١٠) فى « ص » : « إلى عندها » .

(١١) فى « ص » : « وقالت » .

(١٢) مابين المعقوفتين عن « م » .

(١٣) فى « ص » : « يطلع » .

فحضروا وقالوا : قد أَمَرَ السلطان بطلوعك إلى القاهرة بعنف ، ولكن لا بأس عليك . فقال لهم : اطلعوا بى من القرافة لِئَلَّا يقوم [(١)] العوام عليكم . فطلعوا به منها ، فَزَارَ الصَّالحين ، وزار من جملتهم أبا بكر القمنى ، وتَحَسَّبَ [(٢)] ، وجاء إلى قبر والده وقال : يا أَبَتِ ، جَلَسْتُ فى جامع مصر ونصرتُ السُّنَّة ، فَرُفِعَ أمرى [(٣)] إلى أمير الجيوش ، فأمر بحضورى ، وما أُدرِى ما يُرادُ بى . ثم بكَى ودَعَا وَتَوَسَّلَ ، ثم سار معهم إلى أَنْ وقف بين يدى أمير الجيوش ، فَسَلَّمَ عليه [(٤)] ، فَرَدَّ عليه [السلام] وأكرمه ، وقال له : ياسيدى ، يا أبا الفضل [(٥)] ، لا ترجع تعظ فى الجامع ، اجلسْ فى الزيادة . فقال له مَنْ كان حاضرًا : يا أمير الجيوش [(٦)] ، إِنَّا رأيناكَ على حَالةٍ مِنْ أَمْرِ الجَوْهَرِىِّ ، فلما حَضَرَ بين يديك زَالَتْ تلك الحالة بغيرها . فقال : إنى رأيتُ فى الهواء إنسانًا يقول لى : إذا آذَيْتَ [(٧)] وَلِىَّ الله قتلناك . قال : فَتَرَكَ سيدى أبو الفضل الجلوسَ فى الجامع وجَلَسَ فى الزيادة [(٨)] ، وقال : حفظ الله السلطان ، نَقَلَنَا إلى الزيادة من النقصان .

ووعَظَ وزادَ أمْرُهُ ، وصار يتكلم ويَنْصرُ السُّنَّة ، وينكر على مَنْ خَالَفَهُ ، فَأُخْبِرَ الخليفةُ به وبما ينكر على مَنْ يخالف مذهب السُّنَّة ، فاستحضره الخليفة ، فلما حضر وجده جالسًا على سرير فى القصر ، فلما رآه أكرمه وقَرَّبَه وقال : ياشيخ أبو الفضل [(٩)] ، أريد أَنْ تعمل فى وقتك بيتين من الشعر ، فقال له :

---

(١) فى « م » : « تقوم » .
(٢) تَحَسَّبَ : قال : حسبى الله ونِعْمَ الوكيل .
(٣) فى « ص » : « فرُفعت قصتى .. » .
(٤) فى « ص » : « عليهم » . ومابين المعقوفتين – بعده – عن « م » .
(٥) فى « ص » : « ياشيخ أبو الفضل » .
(٦) فى « م » : « مَنْ كان حاضر (بالرفع) عند أمير الجيوش .. » والصواب ما أثبتناه .
(٧) فى « ص » : « إنْ آذَيْتَ » .
(٨) فى « ص » : « فنزل ابن الجوهرى وجلس فى الزيارة » .
(٩) فى « م » : « ياسيدى ، يا أبا الفضل » .

وَلَمَّا رَأَيْتُكَ فَوْقَ السَّرِيرِ   وَلاحَ لِىَ السِّتْرُ والمِسْنَدُ [١]
رَأَيْتُ سُلَيْمَانَ فى مُلْكِـهِ   يُخاطِبُنِـى وأَنَـا الْهُدْهُــدُ

فَضَحِكَ الخليفة وأَمَرَ أن لا يُعْتَرَض [٢] عليه ، وأَنْ يبقى على عادته فى جلوسه ، فأكثر القول فى نُصْرَة مذهب السُّنَّة ، فأحضره أمير الجيوش [٣] ، فلما دخَلَ عليه ، أَنْشَدَهُ فى وسط داره [٤] :

حُبُّ آلِ النَّبِىِّ خَالَطَ عَظْمِى   وجَرَى فى مَفَاصلى فَاعْذِرُونى [٥]
أَنَـا وَاللهِ مُغْـرَمٌ بِهَوَاهُـــمْ   عَلِّلُونى بِذِكْرِهِمْ عَلِّلُــونى [٦]

فَأَمَرَ بإطلاقه [٧] مُكَرَّمًا .

وكان - رحمه الله - مجاهدًا ، مُقِيمًا بمذهب السُّنَّة ، مُؤَيَّدًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وقيل : إنه اشتد به الحال من قِلَّة النفقة وطلب العيال ، فخرج وجاء إلى الإطْفِيحى بالشرق [٨] وشكا إليْه حاله ، فقال له الإطفيحى : السَّاعة كان الأَفضَلُ عندى ، ودَفَعَ [٩] لى هذه الصُّرَّة وقال : أَعْطِهَا لِمُسْتَحِقِّهَا ، وأنت مُستحقها ، خُذْها فَأَنْفِقْهَا . فأَخَذَهَا ، فوجَدَ فيها خمسين دينارًا ، فأخذها فأنفقها فى مدة ولم يبق معه شيء ، فَطُولِبَ بالنفقة ، فقال : ماعندى شيء . فقالت

---

(١) المِسْنَدُ : كُل ما يُستَنَدُ عليه .
(٢) فى « م » : « يتعرض » .
(٣) فى « ص » : « فأحضره ... مرة ثانية » .
(٤) فى « م » : « فلما دخل عليه وسط داره أنشده بقول شعر » .
(٥) فى « ص » : « حُبُّ صَحْبِ النبى » .
(٦) فى « م » : « بعرم » مكان « مغرم » .. وفى « ص » : « مفيد من » وكلاهما تحريف ، والصواب ما أثبتناه .
(٧) فى « ص » : « بإصرافه » .
(٨) هكذا فى « م » . وإطفيح : بلدٌ بالصعيد الأدنى من أرض مصر ، ويُنْسَبُ إليه بعض العلماء [انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢٨٧] .
(٩) فى « م » : « ودع » .

له زوجته : اخرج [١] وَتَسَبَّبْ لَنَا . فخرج حائرًا ، فجاء إلى الإطفيحى ، فَسَلَّمَ عليه ، وسأله عن حاله ، فأخبره بما هو فيه من الضائقة ، وسأله أن يُكَلِّمَ السلطان . فقال له : ياسيدى يا أبا الفضل [٢] امْضِ لِسَبِيلِكَ ، أنا ما جرت [٣] عادتى أن أبتديه بالكلام ، وما [٤] أُكَلِّمُهُ إلَّا جوابًا ، فخجل ، ومَضَى إلى بيته بلا شىء . فقالت له زوجته : ما عَمِلْتَ ؟ فقال : إنَّ سيدى وَعَدَنِى [٥] بكل خير . فبات تلك الليلة وقام فى السَّحَر ، فَمَضَى إلى قبر أبيه « بُشْرَى » فَصَلَّى ودعا ، وجَلَسَ عند القبر مُتَحَيِّرًا [٦] لا يدرى ما يصنع ، فأَخَذَهُ النوم فنام ، فلم يشعر إلَّا وهو يُوقَظُ ، فقام من نومه ، فوجد إنسانًا رَاكِبًا مُلَثَّمًا وإنسانًا ماشيًا ، فقال له الماشى : ما اسمُكَ ؟ فقال : أبو الفضل . فقال : وما اسم صاحب هذا القبر ؟ قال : « بُشْرَى » . فقال : إى والله ، فناولاه [٧] صُرَّةً ومَضَيَا ، ففتحها ، فوجد فيها خمسين دينارًا ، فَمَضَى وقَضَى حَاجَتَهُ منها ، وأخذ بقيتها وجاء إلى [٨] الإطفيحى ، فقال له الإطفيحى : أقول كما قال يوسف عليه السلام لإخوته : ﴿ لا تَثْرِيبَ عليكم اليومَ يغفرُ الله لكم ﴾ [٩] ، الذى دفَعَ لَكَ الصُّرَّةَ هو والله « الأفضل » ، وقد جاءنى وقال : سهِرْتُ البارحة سَهَرًا شديدًا ، فأخذتُ سيرة ابن طولون فقرأتُ فيها ، فغلبنى النوم ، فنمتُ ، فرأيتُ النَّبِىَّ ﷺ وهو يقول لى : إذا [١٠] كان غدًا فى السَّحَرِ امْضِ إلى القرافة وفَتِّشْ فى

---

(١) فى « م » : « زوجتها خرج » تحريف .

(٢) فى « ص » : « ياشيخ أبو الفضل » .

(٣) فى « ص » : « أنا جَرَتْ » وسقطت « ما » سهوًا من الناسخ .

(٤) فى « م » : « ولا » .

(٥) فى « م » : « قد وعدنى » .

(٦) فى « م » : « متحير » خطأً ، والصواب بالنصب .

(٧) فى « م » : « فقال : الله ، فناوله ... » .

(٨) فى « م » و « ص » : « إلى عند » .

(٩) سورة يوسف – من الآية ٩٢ .

(١٠) هكذا فى « ص » – وفى « م » : « يقول : إذا » .

القبور فإنك ترى – أو قال : تجد [١] – رجلًا لله ، به عناية ، قاعدًا عند قبر رجل له به عناية [٢] ، ادْفَعْ إليه ما ينفق ، فإنه بات البارحة بلا شيء ، فدفع لى خمسمائة دينار وقال : ادفَعْهَا له قليلًا قليلًا لئلا ينفقها مرة واحدة ، وقال : إنه دفع لك صُرَّةً فيها خمسون دينارًا ، وأَقْسَمَ عَلَىَّ بالله أنى أُعْلِمُكَ بها إذا فَرَغْتُ ، أَعْلَمْتَهُ بِذَلِك .

وحكى ابن العربى فى كتاب « سراج المريدين » قال : جلس أبو الفضل ابن الجوهرى [٣] يومًا على المنبر ، فقال القارىءُ : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم . فقال : والله ما مَنَعْتُهَا [٤] أبدًا . وأَقْبَلَتِ القلوبُ على كلامه ، فتعجبتُ من قوله هذا !

ورُوِىَ عن محمد بن واسع أنه قال : خرجتُ يومًا من المسجد ، فلقيتُ الشيطانَ فى طريقى ، فقال : يامحمد بن واسع ، إنّى كُلَّمَا رُمْتُكَ وجدتُ بينى وبينَكَ حجابًا لا أستطيع أنْ أَبْلُغَ إليك منه . قال : إنى أقول كل يوم إذا أصبحتُ : « اللَّهُمَّ ، إنَّك سَلَّطْتَ عَلَىَّ عَدُوًّا بَصِيرًا بعيوبى ، مُطَّلِعًا على عَوْرَاتى ، اللهم فآيِسْهُ مِنِّى كما آيَسْتَهُ من رَحْمَتِك ، وقَنِّطْهُ مِنِّى كما قَنَّطْتَهُ من عَفْوِكَ ، وبَاعِدْ بينى وبينَهُ كما باعَدْتَ بين المشرق والمغرب ، واطْرُدْهُ عنى كما طَرَدْتَهُ عن بابِكَ ، ياأَرْحَمَ الرَّاحِمينَ » [٥] . فقال له الشيطان : باللهِ لا تُخْبِرْ بها أحدًا أبدًا ، فقال : واللهِ ما منعتُهَا مِنْ أحدٍ أبدًا .

---

(١) فى « ص » : « فإنك تجد » .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « لله به عناية » .

(٣) قوله : « ابن الجوهرى » عن « ص » .

(٤) فى « ص » : « لا منعتُها » .

(٥) فى « ص » : « برحمتك يا أرحم الراحمين » .

والده أبو عبد الله الحسين بن بُشْرَى الجَوْهَرِى – رحمة الله عليه [١] :

كان من الأجِلَّاء الفُضَلاء – وكان مِنَ المُكَاشَفِينَ ، وله كلام على الخاطر ، ولم يكن فى وقته مثله زُهْدًا وعبادة وَوَرَعًا ، ولم يأتِ بعده مثله ، وله حكايات عن نفسه وعمَّا شاهَدَ ، وخُوطِبَ به .

قيل : إنه اجتمع مع الشيخ أبى القاسم الحسين بن الأنبارى ، قال ابن الأنبارى : سمعته يقول ذات يوم ، وقد ذُكِرَ عنده مَنْ يطلب الكيمياء ، فقال : العَجَبُ كل العجب أن ترى هذه الطريقة بعمل الكيمياء ، الله يعلمُ أنَّ قومًا تُعْرَضُ عليهم مفروغة فما يأخذونها ، ياسبحان الله ، إذا وقف العبد بين يدى الله سبحانه يتناثر عليه البِرُّ ، فإنْ وقف عند شيء منه [٢] أوقف عند ذلك ، وإنْ لم يقف وكان ناظرًا إلى المُعْطِى كان المزيد على قَدْرِ ذلك !

وذُكِرَ عنده رجلٌ ذات يوم كان يسير فى السَّحاب فقال : إنى أعرفُ رجلًا فى جامع مصر عَلَا حتى رآه رجل [٣] ، وارتفع من الأرض وسار إلى السماء ، فقلت له : ياسيدى ، ماكان عليه ؟ قال : كان عليه قَبَاءٌ بياض ، والشفاشف [٤] بين رِجْلَيْهِ يلعب بها الريح ، فعلمتُ أنه هو الذى نظره .

وقال ابن الأنبارى أيضًا : بتُّ ليلةً فى طَارِمَة [٥] فى القرافة وحدى ، فجاء فى فكرى خاطرٌ ، فقلت : فلانٌ له ألف ركعة ، وفلان له كذا وكذا ، وقلت : يانفس ، ما أعظم مُصِيبَتَكِ ، لِمَ لا تكونى مثل هؤلاء ؟! فقلت : والله

---

(١) فى « ص » : « المعروف بالجوهرى ، رحمه الله تعالى » .

(٢) فى « م » : « عندى منه » . والبِرُّ : الخير .

(٣) فى « ص » : « رجلًا » بالنصب ، لا تصح .

(٤) القبَاء : ثوبٌ يُلْبَسُ فوق الثياب ، أو القميص ، ويُتَمَنْطَقُ به . والشفاشف : الزيادة والفضل من الثياب ، أو الرقيق منها . وفى « م » : « والسقاسق » لا معنى لها .

(٥) الطَّارِمَة : بيت من خشب ، كالقبة ، مُعَرَّبَة من اللفظة الفارسية (طارم) .

لَأُصَلِّيَنَّ ما أقدر عليه من الصلاة [١] . ثم قمتُ فَصَلَّيْتُ ركعتين ، وتركت [٢] حَصَاةً عن يمينى ، [وكُلَّمَا صليت ركعتين جعلتُ حصاةً عن يمينى] [٣] . ثم نِمْتُ ، فلما صليتُ الصُّبحَ مَضَيْتُ إلى أبى عبد الله بن بُشْرَى الجوهرى ، فتبسَّمَ [٤] وقال لى : ليس العمل بكثرة العَدَد [٥] ، وإنَّما العمل فى الإتقان ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [٦] [ولم يَقُلْ أكثر عملًا] .

وخرج أبو عبد الله الحسين بن بُشْرَى ، رضى الله عنه ، ذات يوم فى جنازة ، فَصَلَّى عليها ، ثم جلس هو وجماعته فى قبة عند مُصَلَّى « خَوْلَان » التى بالقرب من مشهد « طباطبا » ، وهم ينتظرون الجماعة حتى يُدْفَنَ الميت [٧] ، فقعدوا ساعة [٨] ، ثم قال لِمَنْ معه : قُومُوا بنا من هذا الموضع ، فخرجوا منه ، وعند خروج آخرهم وقَعَت القبة ، قال : فَسُئِلَ الشيخ أبو عبد الله عن ذلك ، فقال : حصلت [٩] فى المُصَلَّى ، فاضطرب سِرِّى ، فقلت : حادثة فى الجامع ، فلم يسكن ، فقلت : فى الصحراء ، فلم يسكن ، فقلت : فى البيت ، فلم يسكن ، فنظرتُ فإذا سِرِّى لم يخرج من الموضع الذى أنا فيه ، فقلت : حادثة [١٠] ، فخرجتُ وقلت : قوموا بنا ، فقمنا ، فكان ما عرفتم . قال أبو القاسم الحاكى : وقال لى الفقيه أبو عبد الله : ولَمْ تُبْنَ [١١] القبة .

---

(١) فى « ص » : « على الصلاة » .
(٢) فى « م » : « جعلت » .
(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .
(٤) فى « م » : « فلمَّا تبسم » .
(٥) فى « م » و « ص » : « فى كثرة العدد » .
(٦) سورة المُلك – من الآية الثانية . ومابين المعقوفين – بعد ذلك – عن « م » .
(٧) فى « ص » : « عند المصلى وهم ينتظرون الجنازة حتى تُدفن » .
(٨) فى « ص » : « زمانًا » .
(٩) حَصَلَتْ ، أى : الحادثة .
(١٠) إلى هنا ينتهى الجزء الأول من المخطوط « ص » .
(١١) فى « ص » : « تبنى » .

ودخل عليه ذات يوم رجلٌ ومعه جامُ [١] زجاج صافٍ ، فقال : أرْجُو أن تَصْفُوا قلوبكم ونيَّاتكم حتى تَرَوْا الأشياء قبل ورودها .

وحَكَى عنه ، رضى الله عنه ، قال : كنتُ يومًا مع والدتى فى القرافة عند قبر والدى – رحمه الله تعالى – فقالت : يابُنَىَّ ، سَمِعْتُ صَاحِبَىْ هٰذين القبرين يتحادثان [٢] ، ثم مَشَيْنَا فجُزْنَا [٣] على قبرين ، فقالت : يابُنَىَّ ، سمعتُ من قبرٍ ها هُنَا وصاحبه يقول : أَوَّاه ، أَوَّاه ، أَوَّاه ! فقلتُ : أَىُّ قبرٍ تُشيرِينَ إليه ؟ فقالت : يابُنَىَّ ما أُرِيكَ إيَّاه ، أنْ يُقَلِّدَكَ الله هذا الأمر [٤] ، فاستُرْ ماقدرت .

وحَكَى أيضًا قال : دخلت ذات يوم إلى منزلنا وأنا صغير ، [مقدار عمرى نحو سبع سنين] [٥] ، فرأيتُ فيه شيئًا [٦] من الفاكهة ، فجعلتُ أنظر إليها ، فقالت لى أُمِّى : يا حُسَيْن ، بقى للعشاء قليل ، ماتسوى الدنيا كلها هذه النظرة !

وقال : جئت يومًا من جنازة ومعى جماعة من الناس ، فصعدتُ إلى والدتى ، وكانت فى غرفة لنا ، وكانت رأتْنى من الطاق [٧] والناس معى ، فقالت لى : ماهذه الشهرة ، تمشى والناس خلفك ؟ ثم شالت طرف الحصير ، وأخذت بأصابعها شيئًا من التراب ثم ذَرَّتْهُ [٨] فى وجهى وقالت : مِنْ هذا خُلِقْتَ ، فلا تُكَبِّرْ نفسَكَ !

---

(١) الجام : إناء للطعام والشراب ، وغلب استعمالها فى قدح الشراب .

(٢) فى « ص » : « يتحدثان » .

(٣) فى « م » : « فخرجنا » .

(٤) هكذا فى « ص » .. وقد وردت هذه الجملة فى « م » مُحَرَّفَة .

(٥) مابين المعقوفين عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) فى « م » : « شيء » لا تصح .

(٧) الطاق : النافذة .

(٨) فى « ص » : « رَذَّتْهُ » .

وجَاءَهُ ذات يوم رجلٌ يُقال له ابن خريطة ، فقال : جئتُك من عند أبى محمد الخطيب . فقال : اذهبْ احفرْ له ! فمَضى ، فوجده قد مات ، فلما أُخبِرَ الشيخ بذلك قال : إنى رأيت عند وجه الصبح [١] كأن خادمًا دخَلَ علىَّ وعزَّانى فى أبى محمد الخطيب ، فَأَوَّلتُهُ مَلَكَ الموت .

قيل : ومات ابن أخيه بمصر ، وكان هو بمكة ، وابنته على المائدة – وهى بنت سِتِّ سنين – فقالت : مات ابن عمى عبد الرحمٰن ، نعم نعم نعم نعم نعم [٢] . فقالت أم عبد الرحمٰن : ما الذى قُلْتِ ؟ قالت الصبيَّةُ : ما قُلْتُ شيئًا . فقال الشيخ رضى الله عنه : اكتبوا هذا الوقت . فكتبوه . وجاء الحاجُّ من مصر ، فقالوا : مات فى الوقت الذى قالت الصبيَّةُ . فقال له رجل : قبل مجىء الحاج . قالت : ياسيدى ، أنا أعرف مَنْ غَسَّلَهُ ، وأين غُسِّلَ [٣] ، غُسِّلَ فى الموضع الفلانى ، وغَسَّلَهُ فلان .

وَرُوِىَ أنه قَلَّ ما بيده يومًا ، فخرج يتسَبَّبُ فى شىء ، فوجَدَ ورقةً من مصحف مقطعة ، لم يبق فيها سوى قوله [تعالى] : ﴿ ارجع إلى رَبِّك فاسأله ﴾ [٤] فرجع إلى بيته ، فجاء شخص ومعه ثلاثمائة دينار .

قال [٥] : وكنتُ معه ليلةً بمكة فى شهر رمضان ، فقال : هل رأيتم ما أَرَى ؟ فقال له بعض أصحابه : لَعَلَّكَ تريد أنك رأيتَ ضوءًا صَعِدَ من الأرض إلى السماء ؟ فقال : نعم .

وكان بمكة رجلٌ يُقال له أبو بشير الحلاوى ، سَمِعَ بذكره ، فجاء فجلس إليه ، فتكلم الشيخ على خاطر أبى بشير ، ثم على خواطر الحاضرين ، فصعق

---

(١) فى « ص » : « عند الصبح » .
(٢) وردت هكذا مكررة فى « م » و « ص » خمس مرات .
(٣) قوله : « وأين غُسِّلَ » عن « ص » .
(٤) سورة يوسف – من الآية ٥٠ .
(٥) من هنا إلى قوله : « نراه مشاهدة » عن « م » وساقط من « ص » .

أبو بشير ، فلما أفاق قال : أيها الشيخ ، إنَّا كُنَّا نسمع هذا حديثًا ، والآن نراه مشاهدة [١] .

قال الشيخ أبو القاسم : قال لى « على الحَمَّال » وكان ثقة ، وحلفَ لى بطلاق زوجته التى أعرفها ، أنه رأى الشيخ أبا عبد الرحمٰن بن الجوهرى فى جنازة « عبد الرحمن » [٢] بمصر ، فأسرع فى طلبه فلم يدركه .

وقال لأصحابه ذات يوم : إنى لَأَعْرِفُ مَنْ كَلَّمَهُ : الكرامُ الكاتبون .

قال : وقال بعض أصحابنا : خرجتُ يومًا إلى القرافة ومعى جارية لا تعرف الطريق ، وكنتُ راكبًا وهى ماشية ، فَشَغَلِنى إنسانٌ بالحديث ، ومَشَتِ الجارية فتاهت عن الطريق فلم أجدها ، فدخلتُ على الشيخ وعَرَّفْتُه ذلك ، فقال : ما اسمها ؟ فقلت : فلانة . فقال : وما جنسها ؟ فَعَرَّفْتُهُ . فقال : « اللهمَّ إنْ كان عَدَا عليها عَادٍ فَحُلْ بينها وبينه ، وإنْ كانت قد ضَلَّتْ فَضَيِّق عليها السبيل حتى ترجع [٣] إلى مَخْرَجِهَا ، ياقيوم » . ومَضَيْتُ من عنده وقد يَئِسْتُ من الجارية بسبب ما كان عليها ، وجئتُ إلى بيتى مغمومًا ، فلما جلستُ إذا بالباب يدق ، فخرجتُ ، فوجدتُ الجارية ، فقلت : مابالك ؟ قالت : إنك غِبْتَ عن عينى فلم أَرَكَ ، فبقيتُ حائرةً ، فمشيتُ ، فرأيتُ زقاقًا [٤] من جديد ، فمشيتُ فيه إلى أنْ وصلتُ إلى ها هنا .

وذَكَر - رحمه الله - أنه رأى والدته فى النوم بعد موتها ، وعليها ثياب من حرير أبيض وأخضر وأصفر ، وهى فيها تخطر ، وحولها شماريخ [٥] ، وهى

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) عبد الرحمٰن : ابن أخيه .

(٣) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « فَضَيِّق عليها الطريق والسبيل ثم ترجع » .

(٤) فى « ص » : « رواقًا » أى : بيتًا أو سقيفة أو غيرهما ، والزقاق : الطريق الضيق ، نافذًا أو غير نافذٍ .

(٥) فى « م » و « ص » : « شماريخ لولو » هكذا .. والشماريخ جمع شِمْرَاخ ويطلق على العِثْكَال عليه بُسْرٌ ، أو العنقود عليه عنب . وهو غصنٌ دقيق ينبت فى أعلى الغصن الغليظ .

على شاطئ نهر ، فقيل لى : انْظُرْ إلى وجْهٍ لم يَعْصِ الله قط ، ما أحْسَنَهُ وَأَزْهَرَهُ وأنْضَرَه !

وقال أبو الحَسَن [١] الشيرازى : خرجتُ مع أبى عبد الله إلى مكة ، فركبنا البحر [٢] ، فلما وصلنا إلى البر لم يكن عندنا من الزيارة للمدينة خبرٌ [٣] بفساد الطريق ، فخطر فى سِرِّ الشيخ أبى عبد الله الزيارة ، وكان مُقَدِّمًا ومُؤَخِّرًا [٤] ، فرأى فى المنام قائلًا يقول له : « إنْ زُرْتَ حُفِظْتَ ، وإنْ سِرْتَ سَلِمْتَ ، زُرْ تَسْلَمْ ، أو سِرْ تَغْنَمْ ، لا تعترضْ تَنْدَمْ » .

قال : فلما استيقظتُ فكرتُ فى نُزُولى وكثرة من ينزل معى ، وخوف الناس فى الطريق ، فتحولْتُ إلى جنبى الآخر ، وإذا بقائل يقول لى : « إنما هو قَذْفٌ مِنَ الحق بالحق ، فى قلوب أهل الحقِّ مِنَ الخَلْقِ ، تصديقًا لِلْخَلْقِ بالحق من الحق [٥] ، تَفَضُّلًا من الحَقِّ على الخلق » . قال أبو الحَسَن : فاكترَيْتُ له [٦] فى تلك العشية ، ونزل معنا جماعة كثيرة ، وسِرْنا سالمين إلى أنْ وصلنا إلى المدينة [٧] فى السَّحَر ، فقال لى الشيخ : رأيتُ رسول الله ، ﷺ ، مفتوحة [٨] يداه كالمُستقبل لى ، قال أبو الحسن [٩] : فَشَمَمْتُ فى الوقت رائحة [١٠] طيبة ، ماشممتُ قَطُّ مثلها . ودخلنا إلى المدينة ، وجلس هو فى

---

(١) فى « ص » : « أبو الحسين » خطأ .

(٢) فى « ص » : « فى البحر » .

(٣) فى « ص » : « من الزيارة خبرٌ » .

(٤) مُقَدِّمًا ومؤخرًا ، يعنى : مُتَرَدِّدًا .

(٥) فى « م » : « تصديقًا للحق الحق » .

(٦) « له » عن « م » . واكتريتُ ، أى : استأجرتُ له ما يلزمه .

(٧) فى « م » : « وصلنا المدينة » .

(٨) فى « م » : « منفوخة » تحريف من الناسخ .

(٩) فى « ص » : « قال : يا أبا الحسن » .

(١٠) فى « ص » : « روائح » .

المسجد يتكلم ، واجتمع إليه جماعة ، وكان بعض الأشراف تكلّم ، فلما كان من الغد قال : رأيتُ البارحة فى المنام إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، وقد ناولنى سيفًا وقال لى : تكلَّمْ فى أمان الرحمٰن . واستشاره بعض أصحابه فى الخروج مع بعض الأمراء إلى مكة ، فقال : ما أقول شيئًا ، مَنْ شاء أن يَخْرُجَ فليخرجْ ، ومن شاء أن يقعد فليقعد [1] . فخرج معه قومٌ وتخلّف آخرون ، فلما وصلوا إلى بَدْر مَضَى ذلك الأمير وتركهم ، فخرج عليهم العرب فأخذوهم وجميع ماكان معهم ، فلما بلغ الشيخ ذلك قال : كذا مَنْ رَكَنَ إلى المخلوقين ونَسِيَ الخالق .

قال : ومِنْ كلام الشيخ أبى عبد الله : « هذه الأُمّة رجُلان ، أحدهما تَقِيٌّ والآخر مُذْنِبٌ ، فالتَّقِيُّ فى مقعد صِدْقٍ عند مليك مُقْتَدِر ، والمذنب شفيعه رسول الله ﷺ ، فأىُّ الرجلين يخاصم غدًا ؟ » .

ومِنْ مواعظه : « اتَّقِ الله أيها الرجل ، وَخَفْ مِنْ يوم لابد من حضوره ، قال الله تعالى : ﴿ ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ ، وذلكَ يومٌ مَشْهُود ﴾ [2] . أنت [تريد] [3] عَبْدَكَ إذا دعَوْتَهُ يقول : لَبَّيْك ، وإذا لَمْ يُجِبْكَ قُلْتَ : عَبْد سُوءٍ ، تُريده يُطيعك ولا يعصيكَ ، متى أَطَعْتَ الله بما تريده من عبدك ، أما تستحى من سوء رأيك [4] ؟ ستقدم غدًا ، وينكشف الغطاء ، أما سِمعْتَ قول الله تعالى : ﴿ فَكَشفْنَا عنك غِطاءَكَ فبَصُرُكَ اليوم حديد ﴾ » [5] .

وقال بعض أصحابه : رأيته بالجُحْفَة [6] مرارًا يختلف إلى حاجة

---

(١) فى « ص » : « مَنْ شاء فليخرُجْ ، ومَنْ شاء فليقْعُدْ » .

(٢) سورة هود – من الآية ١٠٣ .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٤) فى « ص » : « ما تستحى ، ما أسوأ رأيك ! » .

(٥) سورة « ق » – من الآية ٢٢ .

(٦) الجُحْفَة : قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهى ميقات أهل الشام .

الإنسان ، فقلت : ياسيدى ، أراكَ تختلف [١] ، فقال لى : ياجعفر ، لم أُحُلَّ سَراوِيلى من « القُلْزُم » [٢] إلى هاهنا .

قال : وسمعته يقول : لو تَجَوَّعَ كافرٌ لتَقَدَّحَ [٣] من خاطِرِه الحكمة .

وتوفى عبد الله بأَيْلَةَ [٤] عند مُنْصَرَفِهِ من الحج فى صفر سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة [٥] ، وحُمِلَ إلى مصر ، وقبره مشهور ، وهو الذى عند رأسه لوح رخام ، وحجر كدان ، مكتوبٌ فيه منامٌ رآه بعض المتقدمين [٦] ، وحكاه عن رسول الله ﷺ ، يتضمن زيارته . والدعاء عند قبره مستجاب ، وقد دَرَسَتْ [٧] هذه الكتابة إلَّا أقلَّها .

* * *

قبر أبى العباس الدَّيْبُلِى [٨] :

وعند رجليه قبرٌ به أبو العباس [٩] أحمد بن محمد الدَّيْبُلِىُّ الخياط ، الشافعى ، الزاهد ، رحمه الله تعالى ، كان مقيمًا بمصر ، ظَلَّ [١٠] معتكفًا بمسجدِ

---

(١) أى : تذهب وتجىء .

(٢) القُلْزُم : بلد قديم ، بُنِىَ فى موضعه « السويس » الآن . وبحر القلزم : البحر الأحمر .

(٣) تَجَوَّعَ : تعمَّد الجوع . وفى « ص » : « يجوع » .. وتَقَدَّحَ : خَرَجَ . وفى « م » : « لقدح » .

(٤) أَيْلَة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام .

(٥) فى « م » : « سنة ثمانية وثلاثين » خطأً ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) فى « ص » : « المقدمين » .. والمنام : ما يراه النائم أثناء نومه (الحلم) .

(٧) فى « م » : « ذهبت » وهى بمعناها .

(٨) العنوان من عندنا . والدَّيْبُلِىُّ نسبة إلى « دَيْبُل » بلدة من بلاد ساحل البحر من بلاد الهند ، قريبة من السند .

[انظر ترجمته وما كُتب عنه فى طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٥٥ و ٥٦ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٣] .

(٩) فى « ص » : « قبرُ أبى العباس الخياط » وكلاهما صحيح .

(١٠) فى « م » و « ص » : « قام » مكان « ظلَّ » .

ثلاثين سنة ، وكان قُوته وكسوته من خياطته ، وكان يخيط قميصًا فى جمعة بدرهم ودانقين ، طعامه وشرابه وكسوته منها فى غلاء السعر ورخصه ، ماطلبَ من أحدٍ شَرْبَة مَاءٍ قطُّ [١] ، وكان يرجع إلى أحوالٍ حسنة من الزهد والتقشف ، ولُبْس الخشن ، وحفظ اللسان ، ولَمْ يُنْقَل عنه أنه اغتاب أحدًا قط ، وكان سليم القلب ، كثير الاجتهاد فى الطّاعَة ، مع ملازمة الصوم ، وكان لا يفتر لسانه من تلاوة القرآن ، وكان فقيهًا جيدًا على مذهب الشافعى رضى الله عنه ، وكان مُكَاشَفًا ، ورُبَّمَا أَخْبَر بأشياء فتوجد كما قال . وكان صادقًا مقبولًا عند المُخَالِف والمُؤَالِف ، يُستَسْقَى به الغَيْثُ ، ويُتَبَرَّكُ بدعائه ، قال خادمه : توليتُ خدمته فى مرضه ، فقال لى : حضرت الملائكة عندى وقالوا لى : تموت ليلة الأحد ، فكان كما قال ، فلما كان ليلة الأحد قعدتُ عنده ، وما كان يُصَلّى إلّا جماعة ، فصليتُ به المغرب ، فقال لى : تَنَحَّ ، فإنى أُريد أن أجمع بين صلاتين ، ما أدْرى مايكون مِنّى ، فجمع بين صلاتين ، وشَفَعَ وأَوْتَرَ [٢] ، ثم أَخَذَ فى السِّياق وهو حاضر معنا إلى نصف الليل ، فقمتُ فأرحتُ نفسى ساعةً ثم جئتُ ، فقال : أَىُّ وقتٍ هو ؟ قلتُ : قريبًا من الصُّبح ، فقال : حَوِّلُونى [٣] إلى القِبْلَة ، فَحَوَّلْنَاهُ ، فأخذ يقرأ مقدارَ خمسين آية ، فخَرَجَتْ نَفْسُهُ ونحن ننظُر إليه ، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، وقيل سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، وهو الصحيح . وكانت له جنازة [٤] عظيمة جدًّا ، مشهورة ، لم يتأخر عن حضورها أحد من الناس .

وفى بحرى قبر الدُّبَيْلِّى قبر الشيخ الإمام العالم فخر الدين المدرس بمدرسة

---

(١) « قَط » عن « ص » .

(٢) أى : صَلّى الشفع والوتر .

(٣) فى « م » : « حَوِّلْنى » .

(٤) فى « ص » : « وكانت أخباره عظيمة .. » وما بعد ذلك عن « م » وساقط من « ص » إلى نهاية ترجمة العالم فخر الدين المدرس بمدرسة « بازكوج » .

« ياز كوج » الكائنة بسوق أمير الجيوش بدر الجمالى بالقاهرة . كان من أهل العلم والعفاف والديانة ، مع حَدَاثة السن [١] .

قبر المباحى [٢] :

وبجانب قبره من حيث القبلة « قبر المباحى » رحمه الله تعالى ، كان رجُلًا صالحًا ، يحتطب فى كل يوم حزمة حطب يبيعها ويَتَقَوَّت [٣] بثمنها ، وكان له حال عظيم [٤] ، يقال إنه رآه إنسانٌ يمشى وبين يديه صرَّة فيها نفقة ، فقال له : ياشيخ ، خُذْ هذه الصرَّةَ من تحت رجليك ، فقال : ياولدى ، إنَّ لى مُدَّةً أجُوزُ عليها ما مسكتها قَطُّ ، ولا أعرف مافيها [٥] ، وإنَّ لله تعالى عبادًا إذا قالوا لهذه الحزمة الحطب التى على رأسى : صيرى ذهَبًا بإذْن الله تعالى صَارَتْ ، فصارت الحزمة ذَهبًا ، فصعق الرجل ، فلمَّا أفاق قال له الشيخ : يا أخى لَعَلَّكَ رأيتَ مالم تَرَهُ قط [٦] . فَنَظَر فإذا الحزمة عادت حطبًا كما كانت .

قبر أبى الفضل السايح [٧] :

وبجانبه قبر الشيخ أبى الفضل [٨] السايح رحمه الله ، وهو على يسارك وأنت خارجٌ [٩] من تُربة « المباحى » . قيل : إنه لقيه رجلٌ قاطع طريق على

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٢) العنوان من عندنا .
(٣) فى « م » : « ويتقوتون » .
(٤) فى « ص » : « عظيم حالٍ » .
(٥) فى « ص » : « إيش فيها » أى : أىّ شىء فيها .
(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « مالا رأيت قط .. » .
(٧) العنوان من عندنا .
(٨) فى « م » : « أبو الفضل » .
(٩) فى « ص » : « على يسارك خارجًا » وكلاهما صحيح .

فَرَس ، فقال له : انزع [١] القماش ، فخلع ثيابه وأَبْقَى السَّراويل ، فقال له : انزع السراويل [٢] ، قال : فخلعه ورَمَى به وقال : خُذْهُ وَامْضِ فى اليم ، فأَخَذَهُ فهرب به الفرسُ حتى أَدْخَلَهُ اليمَّ ، وخاف على نفسه الهلاكَ ، فقال فى نفسه : ما أُوتِيتُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الذى أَخَذْتُ ثيابه [٣] ، فعقد مع الله توبةً خالصة ، فرجعت الفرس وطلع سالمًا ، فجاء إلى القرافة وطلب الشيخ [٤]، فوجده ، فلما رآه الشيخ أبو الفضل تَبَسَّمَ وقال له : اترك القماش وَامْضِ .

قبر أبى الطيب الهاشمى [٥] :

وبجانبه إلى البحرى قبر الشيخ أبى الطيب الهاشمى [٦] ، المعروف بابن بنت الشافعى ، رضى الله عنه . كان من الزهاد العلماء ، صَحِبَ أبابكر أحمد ابن نصر الزَّقَّاق وغيره من مشايخ القوم [٧] ، وكان من السالكين للطريق [٨] ، فسمع الحديث الكثير [٩] ، ورَوَى عن المشايخ ، وكان يقول : « الصلاة تُبلغك نصف الطريق ، والصوم يُبلغك باب المُلك ، والصَّدَقة تدلك عليه » .

---

(١) فى « ص » : « اقلع » مكان « انزع » فى الموضعين ، وهى بمعناها .

(٢) السراويل : لباسٌ يُغطِّى السُّرَّة والركبتين وما بينهما . يُذَكَّر ويُؤَنَّث .

(٣) فى « ص » : « قماشه » . يعنى : أن ماحدث لى لم يكن ليصيبنى إلا بسبب الرجل الذى أخذتُ ثيابه .

(٤) فى « ص » : « الرجل » .

(٥) العنوان من عندنا .

(٦) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « أبى الطيب وأبى العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ابن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى القرشى .

(٧) فى « م » : « من المشايخ » يعنى المتصوفة . وفيها « الدقاق » مكان « الزقاق » وما أثبتناه هو الصحيح ، نسبة إلى بيع الزق .

(٨) فى « ص » : « السالكين الطريق » أى الطريق إلى الله سبحانه وتعالى . والطريق عند الصوفية هو اتباع السُّنَّة المباركة . وللطريق آدابٌ ، منها : تَرْك شهوات النفس ، والتخلق بأخلاق الله عز وجل ، وعدم المجاوزة لأوامر الله ، وترك الانتصار للنفس حياءً من الله . وأول الطريق إلى الله مداومة الذكر والتزام العمل الصالح .

(٩) قوله : « فسمع الحديث الكثير » عن « ص » وساقط من « م » .

وله – رضى الله عنه – شعر [١] :

أتـدرى يَابْـنَ آدَمَ مـا أَبـحْـتَ ... وما أعطاكَ رَبُّكَ إنْ شَكَـرْتَ
إذا ماشِئْتَ قُـمْـتَ إلى الصَّلاةِ ... فَنَاجَـيْـتَ الإلَـهَ بما أَرَدْتَ

وقيل : إنه سأل الله تعالى أن تصيبه الحُمَّى لِمَا فيها مِنَ الأجر لِمَنْ صَبَرَ عليها [٢] ، فكانت الحُمَّى تأتيه ساعة من النهار فى كل يوم ، فيحمى لها جسمه ، ويتغير لها لونه ، فإذا غربت الشمس زالت عنه ، فلم تَزَلْ كذلك حتى توفى – رحمه الله تعالى – فى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، وصَلّى عليه صاحبه الحدَّاد .

قبر البزاز ، رحمه الله تعالى [٣] :

تجده على مصطبة ، كان من خيار الناس [٤] ، وكان إذا باع واستفتح وجاءه زبون آخر قال له : امْضِ إلى جارى ، فإنى قد استفتحتُ .

قال الرَّاوى : قال لى رجلٌ أعرفه [٥] ، ونحن عند قبره نزوره : ياسيدى ، أُخبركَ بأعجوبة ؟ قلت : ماهى ؟ قال : كنت يومًا ليس لى شيء [٦] ، وقد دخل الشتاء ، فجئتُ إلى قبر هذا الرجل فَزُرْتُهُ ثم قلت : ياصاحب هذا القبر ، أنت ما سُمِّيتَ بَزَّازًا سُدًى ، وأنا أشتهى عليك ما ألبسه ، فإننى فقير ولا شيء لى [٧] ، وقد تَعَرَّيْتُ . ثم عُدْتُ إلى بيتى ، فلما كان الغد

---

(١) قوله : « وله ... شعر » عن « م » وساقط من « ص » .
(٢) فى « م » : « عليها وعلى ألَمِها » .
(٣) العنوان عن « ص » . [وانظر الكواكب السيارة ص ١٣٢ و ١٣٣] .
(٤) فى « ص » : « من خيار المسلمين » .
(٥) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « قال لى مَنْ أَثِقُ به ، رجلٌ أعرفه . صادقٌ فى قوله » .
(٦) فى « ص » : « مالى شيء » .
(٧) فى « م » : « لا مالَ لى » .

جاءتني والدتي بقميص وسراويل وقالت : مضيتُ إلى أصحاب لي فقالوا : ألَكِ ولدٌ ؟ فقلتُ : نعم . قالوا : فادفعي هذا له [١] . ثم قلتُ في نفسي : بَقِيَ كساءٌ أرقدُ فيه ، فلما أصبحت مضيتُ إلى قبره وَزُرْتُه [٢] ، وحدَّثْتُه حديث والدتي ، وقلتُ : ياشيخ ، جزاك الله عني خيرًا [٣] ، بقيت أشتهي كساءً أرقد فيه ، ثم دعوتُ الله عنده ورجعتُ ، فبينا أنا في الطريق إذا إنسان نَاوَلَنِي كساءً ، فأخذتُهُ وحمدتُ الله تعالى وشكرته ، وما انقطعْتُ عن زيارته .

قبر الشيخ أبي الحَسَن القرافي [٤] :

وبجانبه قبر الشيخ أبي الحَسَن علي بن قيصر بن عمر القرافي ، رحمه الله تعالى . كان شيخ وقته في زمانه في التصوف ، يرجع إلى أنواع من العلم ، وكان مذهبه الزهد في الدنيا ، وأدْرَكَ جماعة من العلماء والمُحَدِّثين وحَدَّثَ عنهم .

قال – رحمه الله : « كنتُ مع أبي الحسن عليّ بن حَيَّان الدينَوَريّ في مركب ، فَوَجَدَ البردَ ، فَغَطَّاهُ إنسانٌ جُندي بكسائه ، فقلت : ياسيدي ، تَتَغَطَّى بكساء جُندي !؟ فقال : أترى أنْ أَبخَلَ عليه أن يغفر الله – عَزَّ وجَلَّ – له !؟ » .

وتجيء [٥] وأنت مُشَرِّقٌ تجد على يمينك قبرًا ، كُتِبَ عليه « السيد الشريف الزفتاوي سمسار السكر ، كان يفعل الخير » .

---

(١) في « م » : « فادفعي له هذا القميص وهذا السروال » .

(٢) في « م » : « إلى زيارة قبره » .

(٣) في « م » : « جزاك الله خيرًا » .

(٤) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ١٣٣] .

(٥) من قوله : « وتجيء » إلى نهاية الفقرة عن « م » وساقط من « ص » .

قبر دينار العابد [(١)] :

وإلى جانبه من البحرى قبر الشيخ دينار العابد ، بجانب ضريح « الفقاعى » رحمه الله تعالى .

كان من كبار الزهاد الصالحين ، وله كرامات كثيرة ، من جُمْلَتِهَا أنه اشْتُهِرَ عنه أنه كان إذا قُدِّمَ إليه طعامٌ فيه حرامٌ يَرَى فيه ثعبانًا [(٢)] يريد أن ينهش يده فيتركه .

وحُكِيَ [(٣)] عنه أنه قال : اجتمعت أنا و « عُتبة الغلام » و « صالح المرّى » ومعنا جماعة من الصّالحين ، ومضينا إلى بيت « أبى جهير » الضرير ، فطرقنا عليه الباب ، فكلّمَتْهُم ابنتُهُ وقالت : ماتريدون [(٤)] ؟ فقالوا : نريد زيارة الشيخ ، فقالت : ادخلوا . قال : فدخلنا فسلّمْنا عليه ، فتقدم عُتبة فسلّمَ عليه ، فقال : مَنْ أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا « عتبة الغلام » . قال : أنت الذى جِئْتَ آخِرًا فَصِرْتَ أولاً . ثم تَقَدّمتُ ، فقال : مَنْ أنت ؟ فقال « عُتبة » : هذا « دينار » العابد ، فقال : أنت دينار ؟ قلتُ : نعم ، قال : « إيّاكَ أنْ يَراكَ عَلَى ما نهاك فَتَسْقُطَ من عينه » . ثم تَقَدّم « المرّى » فسلّم عليه ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا « صالح المرّى » ، قال : أنت الذى تقتل المُحِبِّينَ بقراءتك ؟! أمَا كانَ فى كتاب الله آية تَقْتُلُكَ وتريح المُحِبِّينَ منك ؟ اقْرَأْ عَلَيّ من كتاب الله تعالى . قال : فَخِفْتُ أنْ أقرأ عليه آية فى ذِكْر النّار فَيَتَخَوّف ويموت ، أو فى ذِكْرِ الجَنّة فيشتاق إليها . قال : فقرأتُ عليه ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْل أنِ اتّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا ومِنَ الشّجَر ومِمّا يَعْرِشُونَ ﴾ [(٥)] . فزعق ووقع وقال :

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ١٣١] .

(٢) فى « م » : « ثعبان » خطأ ، والصواب بالنصب .

(٣) من هذا الموضع إلى نهاية الترجمة عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) فى « م » : « ما تريدوا » .

(٥) سورة النحل – الآية ٦٨ .

ياصالح ، زِدْنِى . قال : فقرأتها عليه ثانيًا ، فقال : ياصالح ، إذا كان دابَّة فَهِمَتْ على الله خطابه ، اقرأ علىَّ ! فقرأتُ عليه ، وإذا به شهق شهقة مات فيها ، فقلنا : ياصغيرةُ ، مات أبوك ! فقالت : هل فيكم « صالح المُرِّى » ؟ فإنى سمعته يقول : إنى سمعتُ صالحًا المُرِّى يقرأ من أربعين سنة ، وسألتُ الله ألّا يقبضنى حتى يُسْمِعَنِيهِ مرة ثانية ، فَتَوَلَّوْهُ ، ماعندى مَنْ يتولَّاه – رضى الله عنه (١) .

وبجواره قبر أبى عبد الله بن الوشاء ، يُزار أيضًا ، رحمه الله تعالى .

قبر الشيخ العالم الزاهد المعروف بابن الفقاعى :

وهو أبو الحسن على بن أبى الحسن ، رحمه الله (٢). وكان من كبار مشايخ مصر ، صَحِبَ الشيخ أبا الحسَن (٣) الدِّينَوَرِىَّ ، وغيره . وكان يقول : « والله ما أَدَّبَنِى أَبَوَاىَ قَطُّ ، ولا احتجتُ إلى تأديبهم ، وإنّما أنا مُؤَدَّبٌ من الله تعالى » .

وقال رحمه الله : قال لى الشيخ أبو الحَسَن الدِّينَورِىُّ : امضِ (٤) مَعِىَ إلى الحَمَّام . فقلتُ : حتى أستأذِنَ والدتى (٥) . فمضى إليها واستأذنها ، فقالت : امضِ مع الشيخ وقُمْ فى خدمته . فدَخَل الشيخ الحمَّام ، فلم يَزَل ابن الفقاعى قائمًا (٦) ، فقال الشيخ له : اجْلِسْ . فقال : إنَّ أُمِّى لم تأمرنى بالجلوس (٧) . فما جَلَسَ حتى خرج من الحَمَّام .

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٢) من أول الفقرة إلى هنا عن « م » .
(٣) فى « م » : « أبى الحسن » .
(٤) فى « م » : « امضى » خطأ ، والصواب بحذف الياء .
(٥) فى « ص » : « أمى » .
(٦) فى « م » : « واقفًا » .
(٧) فى « م » : « لا يمكننى أن أجلس ، لأن أُمّى لم تأمرنى بالجلوس » .

وقال : رأيتُ ليلةً من الليالى كأنَّ القبور مُفَتَّحة ورَجُلٌ مُوكَّل بها ، فقلتُ : كيف حال هؤلاء فى قبورهم ؟ فقال : نادمين ، أيديهم على خدودهم ، وجعل يده تحت خَدِّه .

وقال أيضًا : كُنَّا [١] بكهف السودان عَشِيَّةَ عَرَفَة وقد اجتمعنا للدعاء ، وطابت النفوس ، وخشعت القلوب [٢] ، وإذا بشابٍّ حَسَن الشَّباب والوجه ، علَى فَرَسٍ حَسَن [٣] ، فجعل يلعب تحت المكان ، فلما رآه الجماعة شُغِلُوا به عن الدعاء والذِّكْر ، فقلتُ : يا أصحابنا ، إنِّى أخافُ أن يكون هذا الشاب « إبليس » فقد جاءكم يقطعكم عن الله تعالى . فَوَالله ما أتممتُ كلامى [٤] حتى غاص فى الأرض هو والدَّابَّة .

ورُوِى عنه أيضًا أنَّ بعض أصحابه أصابه وجع فى ركبته ، فجاء إليه وقال : ياشيخ ، أنا أسألك الدعاء لى ، وشَكَا إليه ما يجد من الألم ، فقال له : امْضِ إلى الجَبَل تجد اثْنى عَشَرَ رَجُلًا ، مَنْ وجَدْتَ منهم اسأله أنْ يدعو لك . قال : ففعلتُ ، فوجدتُ رَجُلًا وهو قائم يُصلى ، فوجدتُ عليه هيبة عظيمة [٥] ، فجلستُ خلفه حتى فَرَغَ ، فَسَلَّمْتُ عليه وشكوت إليه ما أَجِدُ من أَلَم الوجع [٦] ، وسألته الدعاء ، قال : فوضع يده على رُكبتى ، فوجدتُ العافية من ساعتى . ثم قال : مَنْ دَلَّكَ عَلَيَّ ؟ فقلتُ : الشيخ أبو الحسن الفُقاعى . فقال [٧] : إذا وصلت إليه فَسَلِّمْ عليه وقُلْ له : أنتَ باق على شهوتك . فجئتُ

---

(١) فى « م » : « كنتُ » . وكهف السودان بالجبل المقطم .

(٢) فى « م » : « وطابت القلوب وخشعت » .

(٣) فى « م » : « والفرس الذى تحته مليحة » .

(٤) فى « ص » : « ما استتممتُ الكلام » .

(٥) قوله : « فوجدتُ عليه هيبة عظيمة » عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) فى « م » : « وشكوت له ما أجد من الوجع » .

(٧) فى « م » : « فقال لى » .

إليه فأخبرتُه بذلك ، فبكَى بُكاءً شديدًا ثم قال : والله لو علمتُ أنه يقول لك ذلك ما دَلَلْتُكَ عليه . فقلت له : ياسيدى [عَرِّفْنِى] [١] ما السبب ؟ فقال لى : قُمْ إلى شُغْلِكَ . فقلتُ : والله ما أقوم حتى تُحَدِّثَنِى . فقال لى : هؤلاء كانوا اثْنَى عَشَرَ رجُلًا يعبدون الله تعالى فى ذلك الموضع ، وكانوا كُلَّ ليلة ينزوى كُل واحد منهم فى مكان ويجىء بطبق فيه اثْنَا عَشَرَ [٢] رغيفًا وحوت سمك ، فجلستُ معهم حتى جاءت نوبتى ، فقالوا لى : قُمْ ، فَلَعَلَّ الله تعالى أن يأتيكَ بالرزق . فقمتُ وجلستُ فى زاوية ، ورفعت طَرْفِى إلى السماء وقلتُ : اللهم لا تخجلْنِى بينهم ، فلم أشعر إلَّا وإلى جانبى طبق فيه ثَلاثَةَ عَشَرَ رغيفًا وحوت سمك . فقلتُ فى نفسى : لقد اشتهيتُ ، لو كان معه قليلُ مِلْحٍ تَذْهَبُ به حلاوةُ السمك ! وإذا بالملح قد وُضِعَ على الطبق ، فجئتُ بالطبق إليهم وعليه ملحٌ زائدٌ . فقالوا لى : من أين هذا الملح ؟ فَسَكَتُّ ، فقالوا لى : قُلْ لنا ماسبب هذا الملح ؟ إنْ كُنْتَ اشْتَهَيْتَهُ فليس بِجَيِّدٍ ، وإنْ كان بغير الشهوة [٣] فجيدٌ . فقلت : [إنما] اشتهيتُه . فقالوا : نحن [٤] فى هذا المكان لا نشتهى شيئًا ، وأنت مُتَعَرِّضٌ فلا تَصْحَبْنَا ، فمضيتُ وتركتهم .

وله فضائل كثيرةٌ وسياحاتٌ وعباداتٌ . [وتوفى – رحمه الله تعالى – لثمانٍ خَلَوْن من صفر سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، كما على قبره مكتوب ، وقبره مشهور] [٥] ، وهو فى فناء مسجده [٦] المعروفُ به فى الجَبَّانة ، وبَنَى مسَاجِدَ فى غير هذا الموضع [٧] من البلد وعَمَّرَهَا ، وله كرامات يطول شرحها ، وكان

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » .
(٢) فى « م » : « اثنى عشر » لا تصح .
(٣) فى « ص » : « أو أتاك بغير شهوة » . ومابين المعقوفتين بعده عن « م » .
(٤) فى « م » : « نحن قوم » .
(٥) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .
(٦) فى « ص » : « وقبره فى فناء مسجده » .
(٧) فى « ص » : « فى غير موضع » .

« كافور » أمير مصر [رحمه الله] [١] يجتهد فى أن يأذن له فى زيارته ، فيأبى ، فهجم عليه مَرَّةً وهو مُتَنَكِّر ، فلما عَرَفَهُ عرضَ عليه قبول ألف دينارٍ ، فأَبى ، فسأله أنْ يفرقها على المستحقين ، فلم يفعل ، فقال له : أَلَكَ حاجة ؟ فقال له : حاجتى أَلّا تأتينى بعد اليوم . فخرج من عنده باكيًا ولم يَعُدْ إليه .

* * *

وبجواره [٢] قبر أبى بكر محمد بن الإمام ، توفى سنة تسع وأربعين [٣] ، وهو بالقرب من قبر ابن الوشاء .

وبجانبه قبر هبة الله بن مسافر ، توفى سنة أربع [٤] وثمانين وأربعمائة ، وهو ملاصق لقبر أبيه .

وهناك قبرٌ مُسَنَّم به رجل من علماء المالكية الفضلاء النبلاء ، المتبحرين فى مذهب مالك ، رضى الله عنهم .

وبالقرب منه قبر بكّار بن محمد بن أحمد المعافرى ، توفى - رحمه الله تعالى - سنة سِتٍّ [٥] وثلاثين ، وقبره غَرْبِيّ قبر الفقاعى ، وكان رجلًا صالحاً متعبدًا ، سَمِعَ وحَدَّثَ ، وإليه يُنْسَبُ المسجد المعروف بدويرة بكار ، على يمين الخارج من درب سالم بالقرافة [٦] .

قبر الشيخ عُتْبَة الزاهد الواعظ [٧] :

[هو] أبو عبد الله [محمد بن عبد الله] بن سعد [٨] ، رحمة الله

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » .
(٢) من هنا إلى قوله : « درب سالم بالقرافة » عن « م » وساقط من « ص » .
(٣) فى « م » : « تسعة وأربعين » هكذا . ولم أقف عليه .
(٤) فى « م » : « أربعة » .
(٥) فى « م » : « ستة » .
(٦) فى « م » : « يوم القرافة » . وإلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٧) هكذا العنوان فى « م » .. وفى « ص » : « الزاهد الواعظ عُتْبَة » .
(٨) مابين المعقوفتين عن « م » . وفى الكواكب السيارة ص ١٣١ اسمه : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسعود .

عليه ، كان يتكلم على الناس ، وله مجلسٌ يجلس فيه للوعظ بجامع مصر . وذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الله المالكى أنه كان يجلس فى جامع مصر قبل دخول المُعِزّ إلى الديار المصرية . قال أبو عبد الله : حَدَّثنى مَنْ أثق به قال : كنتُ فى مجلسه فوعظ الناس ، فأبكى العيون ، وطابت القلوب ، ثم قال : « يا أهل مصر ، تُظْهِرُونَ المَنَاكِرَ ، وتعمل [1] نساؤكم الخبائث ، هذا عُتْبَةُ رَاحِلٌ عنكم ، ويُسْتَعْمَلُ عليكم بعده ثلاثٌ : جوعٌ ، وطاعونٌ ، وسَيْفُ الرَّوَافِض » [2] . قال الذى حدثنى : والله ما حضَرَ الميعادُ الآخِرُ [3] إلّا وقد مات [الشيخ] [4] وحَلَّ بهم مِنْ بَعْدِه كُلُّ ما قاله ، وعاينتُ [5] جميع ذلك .

ومات عتبة الزاهد رحمه الله تعالى سنة ثلاث [6] وخمسين وثلاثمائة ، وهو الذى غَسَّلَ الفقاعى [7] .

* * *

وهناك [8] أيضًا حجرة تُعرف بابن شاس ، وتربة اللَّوَّان بجوار تربة القابسى ، فيها الرجل الصالح النصراباذى ، وأبو العباس أحمد الطرطوشى ، وأبو القاسم [9] عبد الرحمٰن بن الحسن اللواز العدل ، توفى سنة سبعة عشر وثلاثمائة [10] .

---

(١) فى « م » : « وتعلمت » وفى « ص » : « ويعملن » . وما أثبتناه عن المصدر السابق .
(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وسيفٌ وُكِّلَ بكم ، سيف الروافض » وفى الكواكب السيارة : « وسوف يحل بكم سيف الروافض » .
(٣) فى « ص » : « الأخير » .
(٤) مابين المعقوفتين عن « ص » .
(٥) فى « ص » : « وعاينته » .
(٦) فى « م » : « ثلاثة » .
(٧) هكذا فى « ص » والكواكب السيارة .. وفى « م » : « ابن الفقاعى » .
(٨) من هنا إلى نهاية الفقرة عن « م » وساقط من « ص » .
(٩) فى « م » : « وأبى العباس .. وأبى القاسم » .
(١٠) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

قبر الشيخ أبى عبد الله محمد بن جابار الصوفى الزاهد :

هو من مشايخ أبى الحَسَن بن الفقاعى ، رحمة الله عليه [١] . كان من كبار مشايخ الصوفية ، قرأتُ فى كتاب المُسَبِّحِى : حَدَّثِنِى ابن الدَّاية كاتب القمنى [٢] قال : حدثنى أبو الحسن البغدادى ، قال : وَرَدْتُ إلى مصر مع والدى وأنا صبىٌّ دون البلوغ ، فى أيام « كافور » ، وكان أبو بكر المحلى يتولى نفقات مصالحه وخَواص خَدَمِه ، وقد استُبِيحَتْ [٣] بينه وبين أبى مَوَدَّة ، وكان يزوره ويصله ، قال : فجاءه ذات يوم فأطال عنده المُكْثَ ، وتَحدَّثَا ، وتَذَكَّرَا أخبار « كافور » وطريقته وماهو عليه من الخشوع ، فقال أبو بكر [٤] لأبى — وأنا أسمع هذا : الأستاذ « كافور » له فى كل عيد أضْحَى عادة ، وهى [٥] أن يُسَلِّمَ إلى أبى بَغْلَة مُحَمَّلَةً ذَهَبًا وَوَرِقًا [٦] ، وجريدة تَتَضَمَّنُ أسماء قَوْمٍ من حَدِّ القرافة إلى « المنامة » وما بينهما ، ويمضى مع صاحبِ الشُّرطَة ، ونَقيبٍ يعرف المنازل ، فأطوف من بعد العشاء الآخِرَة إلى آخر الليل ، حتى أُسَلِّمَ ذلك إلى مَنْ جُعِلَ له [٧] وذُكر اسمه فى الجريدة ، فأَطْرُقُ المنازِلَ والزوايا على الرجال والنساء [٨] ، فإذا خرج إنسان أقول له : الأستاذ أبو المسك « كافور » يُهَنِّيكَ [٩] بعيدِكَ ويقول لك : اصْرِفْ هذا فى منفعتك [١٠] ، ثم أَدْفَعُ إليه

---

(١) فى « ص » : « شيخ الفقاعى رحمه الله تعالى » . [وانظر الكواكب السيارة ص ١٢٧ — ١٢٩] .

(٢) فى « ص » : « القمى » تصحيف .

(٣) أى : صارت مُبَاحَة . وفى « ص » : « انتسَجَتْ » .

(٤) فى « م » : « أبى بكر » .

(٥) فى « م » : « فى كل يوم عيد أضحى عادة ، وهو .. » .

(٦) الوَرِق : الفضة .

(٧) فى « م » : « من رسم له بشىء » .

(٨) فى « ص » : « فأطْرُق منزل كل إنسان مابين رجل وامرأة » .

(٩) فى « م » : « يوصيك » تصحيف .

(١٠) فى « م » : « فى نفقتك » .

ما جُعِلَ له ، فلما كان فى هذا العيد [١] فعل كما جَرَتْ عليه العادة [٢] ، وزادَ فى الجريدة الشيخ أبا عبد الله بن جابار مائة دينار ، فأنفقتُ المالَ فى أربابه ، حتى لم يبق إلّا الصرّة ، فجعلتها فى كُمّى وسرْتُ مع النقيب حتى أتينا إلى منزل الشيخ [٣] بظاهر القرافة ، فقال لى النقيب : هذه [٤] داره ، فطرقتُ البابَ ، فنزل إلينا شيخٌ عليه أثر السَّهر لَمْ يَنَمْ ، فَسَلَّمْتُ عليه ، فلم يَرُدَّ عَلَىَّ السلام وقال : ماحاجتُكَ ؟ فقلتُ : الأستاذ أبو المِسْك « كافور » [٥] يخص الشيخ بالسَّلام . فقال : وَالِى بلدنا ؟ قلت : نعم . قال : [عليك وعليه السلام ورحمة الله وبركاته] [٦] حفظه الله ، يعلم أننى أدعو له فى الخلوات ، وإدبار الصلوات وللمسلمين بما الله سامعه ويستجيبه [إنْ شاء الله تعالى] .. قلت : وقد أنفذ معى هذه الصرّة ، وهو يسألك قبولها فى مُؤْنَة هذا العيد المبارك . فقال : نحن رعيته ، ونحن نُحِبُّه فى الله تعالى ، [وما نفعل هذا بِعِلَّة] [٧] فراجعتُه القول ، فَتَبَيَّنَ لى الضَّجَرُ فى وجهه ، والقلقُ والتلهُّفُ ، فاسْتَحْيَيْتُ من الله تعالى أَنْ أقطعه عَمَّا هو فيه ، فتركته وانصرفْتُ ، فَجِئْتُ إلى دار الأمير ، فوجدته [٨] قد تهيأ للركوب وهو ينتظرنى ، فلمَّا رآنى [٩] تهلَّل وجهه وقال : هيه يا أبا بكر ! فقلت له : أرجو أَنْ يستجيبَ الله فيكَ كُلَّ دعوة صالحة دُعِيَتْ لَكَ فى هذه الليلة ، وفى هذا اليوم الشريف . فقال : الحمد لله الذى جعلنى سببًا لإيصال

---

(١) فى « م » : « فى العيد الذى مضى » .

(٢) فى « ص » : « كما جرتْ على العادة » .

(٣) فى « ص » : « إلى منزله » .

(٤) فى « ص » : « ها هنا » .

(٥) « كافور » عن « ص » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » فى الموضعين .

(٧) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٨) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فجئتُ فوجدتُ الأمير .

(٩) فى « م » : « فلمَّا نظَرَنى » .

الرَّاحةِ إلى عياله . ثم قال : يا أبا بكر ، أنت مبارَكٌ . فأخبرتُه بامتناع ابن جابار ، فقال : نعم ، هو جديد لم تَجْرِ بيننا وبينه مُعاملة قبل هذا الوقت ، ثم قال لى : عُدْ إليه ، واركبْ دابَّةً من دوابِّ النَّوْبَة ، فلستُ أشُكُ ما لَقِيَتْ دابتُكَ فى هذه الليلة من التعب ، ثم امْضِ إليه واطْرُقْ بابَهُ ، فإذا نَزَلَ إليكَ فإنَّهُ سيقول لكَ : أَلَمْ تكن عندنا ؟ فلا تردَّ عليه جوابًا ، ثم استَفْتِحْ واقرأ : ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم . طه * ما أَنْزَلْنا عليكَ القُرآنَ لِتَشْقَى * إلّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ والسَّمٰواتِ العُلَى * الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى * له ما فى السَّمٰوات وما فى الأرضِ وما بينهما وما تحت الثَّرَى ﴾ [١] .

يابن جابار ، يقو لكَ « كافور » العبد الأسود : ومَنْ كافُورُ ؟ ومَنْ مولاه ؟ وهل مِنَ الخلق بَقِيَ لأَحَدٍ مع الله تعالى مِلْكٌ أو شَرِكَة ؟ تَلاشَى الناسُ كُلهم ، ها هُنَا تَدْرِى مَنْ مُعْطِيكَ ، وعَلَى مَنْ رَدَدْتَ ، أنت ماسألتَ ، هو أَرْسَلَ إليكَ ، يابن جابار ، ما تُفَرِّق بين السَّبَبِ والمُسَبِّبِ ؟

قال أبو بكر : فركبتُ وسِرْتُ ، وطرقْتُ منزله ، فَنَزَلَ إلَيَّ فقال : أَلَمْ تكن السَّاعة عندنا [٢] ؟ فأضربتُ عن الجواب ، ثم قرأتُ [٣] « طه » إلى قوله تعالى : ﴿ وماتحت الثرى ﴾ ، وقلتُ له ماقال كافور . فبكَى ابن جابار وقال : أَيْنَ ما حَمَلْتَ ؟ فأَخْرَجْتُ له الصُّرَّة فأَخَذَها ، وقال : « عَلَّمَنَا الأستاذُ كيف التَّصَوُّف ، قُلْ له : أَحْسَنَ الله جزاءَك » . قال : ثم سَلَّمْتُ عليه وعُدْتُ إلى كافور [٤] فأخبرتُه بذلك ، فَسُرَّ ، ثم سَجَدَ شُكْرًا لله تعالى وقال : الحمد لله الذى جعلنى سببًا لإيصال الراحة إلى عباده . ثم ركب حينئذٍ .

---

(١) الآيات من ١ - ٦ من سورة طه .

(٢) فى « ص » : « فقال لى مثل لفظ كافور » .

(٣) فى « ص » : « ثم ابتدأتُ فقرأتُ » .

(٤) فى « ص » : « فعدتُ إليه » .

وتوفى ابن جابار فى سنة اثنتين [١] وستين وثلاثمائة .

وبجواره قبر الكندى ، كان رجلًا صالحاً ، عالماً ، زاهدًا ، من المؤرخين [٢] .

* * *

وبالقرب من قبر الفقاعى قبر « الياسمينى » ، يقال : إنه كان من الصالحين ، ولا تزال روائح الياسمين عليه ، ويوجد الياسمين عند قبره فى بعض الأوقات [٣] .

وتمضى وأنت مستقبل الشرق على اليمين ، تجد تُربة فيها قبر الأهوازىّ ، يقال : إنه مَلَكَ الأهواز ، فتركها عن قُدْرَة ، ورَحَل إلى مصر ، وصار واعظًا [٤] ، وكان من أهل القرآن ، وقرأ عليه جماعة .

وبجانب ظاهر التربة مِمَّا يلى القبلة تربة فيها فاطمة الموصلية الصالحة ، رحمها الله تعالى ، يُتَبَرَّكَ بها .

ثم تخرج منها إلى الشرق [٥] على اليسار ، تجد تربة واسعة ، بها قبر السيدة التَّائبة مقدمة رباط الخواص .

* * *

وتخرج مَبْحَّرَ التربة تجد قبرًا يقال إنه لابن تميم الدَّارِىّ ، ثم منه إلى قبر « السُّكَّرِىّ » ، وهو من أهل الكرم وفعل الخير ، قيل : إن السُّلطان فى زمانه طرح سُكَّرًا على السُّكَّرِيينَ فلم يجدوا ثمنه ، فأَخَذَهُ ووزَنَ ثمنه عنهم ، وجعله فى مخازنه ، إلى أنْ جاءت سَنَةٌ فيها وباءٌ عظيم ، فطلبَ السُّكَّر فباعه بمالٍ جزيل ، فلما حصل المال عنده أحْضَرَ السُّكَّرِيِّينَ الذين لم يقدروا على ثمنه وقال : اعلموا أنَّ هذا المال الذى وزنْتُهُ عنكم فى ثمن السكر هو قَرْضٌ مِنِّى لكم . ثم قسم

---

(١) فى « م » و « ص » : « سنة اثنين » لا تصح .
(٢) فى « ص » : « من أهل التاريخ » .
(٣) فى « م » : « وتوجد عند قبره زهرة الياسمين » .
(٤) فى « ص » : « وبلغ من أمره أنه كان واعظًا » .
(٥) فى « م » : « تخرج من الشرق » .

الربح بينهم . وقيل : كان يتصدَّق فى الجمعة بِطَرْحَةِ سُكَّرٍ ، كان يَقْبَل لنفسه ستة أيام ، ويتصدَّق باليوم السابع ، فجاءت طَرْحَةُ السُّكَّر الذى للصَّدَقَة كثيرة ، فقال له الصُّنَّاع : هى كثيرة . فقال : دَعُوهَا وتصدَّقوا بها .

* * *

وتخرج من التُّربة وأنت مُبَخِّرٌ تجد على يسارك قبر صاحب القنديل ، يُتَبَرَّك بزيارته . يُحْكَى أنه يُرَى فى كل وقت فى اللَّيَالى المُظْلِمَة على قبره قنديل يَقِدُ [1] ، يُرَى من بعيدٍ ، فإذا تَقَرَّبْتَ منه لم تجد شيئًا [2] .

قبر الشيخ عبد العزيز الخوارزمى [3] :

ومنه إلى قبر الشيخ عبد العزيز الخوارزمى ، يُكْنَى أبا محمد ، رحمه الله تعالى ، قال الراوى : حَدَّثنى مَنْ أَثِقُ به قال : مرضتُ مَرْضَةً أشْرَفْتُ منها على الموت ، فرأيتُ فى منامى قائلًا [4] يقول لى : تَوَسَّلْ إلى الله تعالى عند عبد العزيز الخوارزمى ، فحملتُ نفسى ومَضَيْتُ إليه ، ودعوتُ الله تعالى عند قبره ، فكَشَفَ عنى ما كنتُ أجده ، وعُوفِيتُ من مَرَضِى .

وقيل : إنَّ الأفضل ابن أمير الجيوش كان إذا نزلَتْ [5] به نَازِلَةٌ يجىء إلى قبره ماشِيًا ، ويدعو الله تعالى عنده ، فيجد بركة الدعاء بزيارته . وله فضائل كثيرة .

توفى عبد العزيز الخوارزمى [6] – رحمه الله – سنة إحدى وأربعمائة .

---

(١) يَقِدُ : يُنير .

(٢) فى « م » : « لم يجد الناظر شيئًا » .

(٣) العنوان من عندنا .

(٤) فى « ص » : « كأنَّ قائلًا » .

(٥) فى « م » : « نَزَلَ » .

(٦) « الخوارزمى » عن « ص » .

قبر الشيخ شرف الدين بن الخشّاب [١] :

وتمشى وأنت مُبَحِّرٌ تجد قبر الشيخ شرف الدين بن الحسن يحيى بن علىّ المقرئ ، المعروف بابن الخَشَّاب . كان من كبار القُرَّاء والفُضَلاء ، وانتهت إليه رياسة الإقراء بمصر ، وسمع الكثير [من الحديث] [٢] ، وحَدَّثَ عن جماعة من العلماء والفضلاء والمُحَدِّثين ، وله روايات كثيرة .

وبجانبه إلى القبلة قبر سفيان النيدىّ ، كان يعمل « النيدة » ويتصدَّق بأول قِدْرَة منها [٣] ويبيع الباق ، وكان من أهل الخير ، رحمه الله تعالى .

قبر القاضى المفضل بن فضالة [٤] :

ثم من قبره إلى قبر القاضى المفضل بن فضالة ، رحمه الله . حَدَّثَ عن أبيه وَجَدِّه ، وكان يجتهد فى العبادة ، ويُكنى أبا معاوية ، وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائة ، وكان قاضيًا بمصر ، وكان من أهل الدين والورع ، مجابَ الدعاء [٥] ، مجتهدًا فى العبادة ، وكان صائمًا بطول السنة لا يفطر إلَّا فى العيدين [٦] وأيام التشريق ، وكان يلبس الصوف على جسده ، ويلبس القطن والكتان ظاهرًا [٧]

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٣) فى « ص » : « بالقِدْرِ الأولى » .

(٤) هو القاضى المفضل بن فضالة بن عبيد بن ثمامة بن مزيد بن نوف الرعينى القِتْبانى ، أبو معاوية المصرى . روى عن يزيد بن أبى حبيب ، ومحمد بن عجلان ، وعبد الله بن عياش القتبانى وغيرهم .
[انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٧٣ و ٢٧٤ ، والولاة والقضاة ص ٣٧٧ – ٣٨٢ وص ٣٨٤ – ٣٨٧] .

(٥) فى « م » : « الدعوة » .

(٦) فى « ص » : « وكان لا يفطر فى السنة إلَّا فى العيدين » .

(٧) فى « ص » : « بما يلى جسده ، وظاهره لباس القطن والكتان » .

وقيل : إنه كان يقضى بين الجن والإنس . ونظر يومًا إلى مصروع فى الطريق ، فوقَف عليه وقال للجنّيّة التى صَرَعَتْهُ : وَيْحَكِ ، اتْركيه ! فقالت : يامولاى ، إنه يُبْغِضُ أبا بكر وعُمَرَ . فقال لها : زِيدِيه عذابًا ، جَزَاه الله . وابنه [١] فضاله ، رَوَى عنه ، وتوفى سنة ست وعشرين ومائتين . وابن ابنه مفضل بن فضالة رَوَى عن أبيه وجده [٢] ، وتوفى لعشر خَلَوْنَ من رجب سنة اثنتين وخمسين [٣] ومائتين . والعامة يظنون أنه المفضل القاضى . وقيل : إن أباه وجَدَّه مدفونان معه فى تربته .

قبر صاحب الدّار ، رحمه الله :

قيل إنه بنى دارًا حسنة وأحْسَنَ بناءَهَا فلما فرغَتْ جلس على بابها ، فَعَبَر عليه ذو النون المصرى ، رضى الله عنه ، فقال له : أيها المغرور ، اللّاهى عن دار البقاء والسرور ، كيف لا تعمرُ دارًا عند مولاكَ فى دار الأمان ؟ دار لا يضيق فيها المكان ، ولا يُنْزَعُ منه السُّكّان ، ولا تزعجها حوادث الزمان ، ولا تحتاج إلى بَنّاءٍ وطَيّان ، ويجمع هذه الدار حدود أربعة [٤] : الحد الأول ينتهى إلى منازل الراغبين [٥] ، والثانى [٦] ينتهى إلى منازل الخائفين المحزونين ،

---

(١) فى « ص » : « وأبوه » تحريف . وفى تهذيب التهذيب : روَى عنه ابنه فضالة ، والوليد بن مسلم ، وحسان بن عبد الله الواسطى ، وأبو الأسود النضر بن عبد الجبار وغيرهم .

(٢) فى « م » : « روى عنه وعن أبيه » .

(٣) فى « م » : « ستة وخمسين » . وما أثبتناه هنا عن « ص » وهو مطابق لما ورد فى ترجمة المفضل بن فضالة بن المفضل بن فضالة المصرى (الحفيد) ، فى تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٧٥ ، وقد رَوَى – كما هو مذكور – عن أبيه وعن جده ، وذكره ابن حبّان فى الثقات .

(٤) فى « م » : « أربع » .

(٥) فى « ص » : « أفراحين » تحريف .

(٦) فى « ص » : « والحد الثانى » .

والثالث [١] ينتهى إلى منازل المحبين ، والرابع [٢] ينتهى إلى منازل الصابرين ، ويشرع لهذه الدار شارع إلى خيام مضروبة ، وقباب منصوبة على شاطىء أنهار الجنان ، فى ميادين قد أشرقت ، وغُرَفٍ قد رُفِعَت ، فيها سُرُرٌ قد نُصِبَتْ ، عليها فُرُشٌ قد نُضِّدَتْ ، فيها أنهارٌ وكُثْبَانٌ مِسْكٍ وزَعفران ، قد عاينوا [٣] خيرات حِسَان ، وترجمة كتابها : هذا ما اشتراه العبد المحبور [٤] من الرَّبِّ الغفور ، اشترى منه هذه الدار بالتَّنَقُّلِ من ذُلِّ المعصية إلى عِزِّ الطَّاعَة ، فما على هذا المشترى فيما اشتراه مِنْ دَرك سوى نقض العهود ، وحل العقود ، والغفلة عن المعبود ، وشهد على ذلك البيان ، وما نطق به فى مُحْكَم القرآن [٥] ، قال الملك الدَّيَّان : ﴿ إنَّ الله اشتَرَى من المؤمنين أنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم بأنَّ لهم الجَنَّة ﴾ [٦] .

وتحتوى هذه الدار على الحور الحِسَان ، فلو نظرت وقد بَرَزْنَ من قصور الدُّرِّ والزَّبَرْجَد والعقيان ، وقد خَطَرْنَ فى أرض المسك والزَّعفران ، فكل واحدة منهن تنادى بصوتٍ حَسَنٍ رخيم [٧] : مَنْ يخطبنى فى الظَّلام من الحىِّ القيوم الذى لا ينام ، بجوار مَنْ لا يموت ، وبقُدْرَة من لا يفوت .

ثم تقول إذا اجتمعا : سألتك بالذى جَمَعَ [٨] بينى وبينك فى غبطة وسرور ، هل نقص [٩] مولاك شيئًا مما ضَمِنَ لك ؟ فيقول : لا .

---

(١) فى « ص » : « والحد الثالث » .
(٢) فى « ص » : « والحد الرابع » .
(٣) فى « ص » : « عانقوا » .
(٤) المحبور : المسرور .
(٥) فى « م » : « مانطق فى محكم القرآن » .
(٦) سورة التوبة – من الآية ١١١ .
(٧) فى « ص » : « فهى تنادى بصوتٍ رخيم » .
(٨) فى « ص » : « ثم تقول : بالذى جمع ... » .
(٩) فى « ص » : « نقصَك » .

فباعها منه ، واشترى هذه الدار ، وكتب كتابها ، فلما مات جُعِلَ على صدره فى لَحْدِه ، فوجد مكتوبًا فى كفنه : قد وفينا ما ضَمِنَ عبدنا ذو النون ، والسلام .

قبر أبى بكر القِمْنى [١] :

ثم تخرج إلى الشرق إلى قبر أبى بكر القمنى ، واسمه عبد الملك بن الحُسَين القمنى ، ووُجد أنه كان يُكْنَى أبا القاسم [٢] وهذا بخلاف ماهو مكتوب على قبره ، والله أعلم . توفى فى ذى الحجة سنة اثنتين [٣] وثلاثين وأربعمائة .

قد لزم بيته فلم يخرج منه عشرين سنة ، وكان قد شَهِدَ مَشْاهِد الطالبيين [٤] . ويُقال : إنه من السبعة الأبدال . وكان قد وَلِيَ القضاء ، فَمَرَّ فى البلد يومًا [٥] فوجد قومًا قد عملوا فَرَحًا وهم يضحكون ، ومَرَّ بقومٍ آخرين وهم يبكون على ميت مات عندهم وقد عملوا جنازة ، فقال : ما أحكم بين هؤلاء ، أصحاب الجنازة سخطوا من قضاء الله [٦] ، وأصحاب الفرح أمِنُوا مَكْرَ الله . ثم مضى وتركهم .

---

(١) العنوان عن « ص » . وهو الإمام الفقيه العالم أبو بكر محمد المعروف بالقمنى ، أحد قضاة مصر ، ذكره القضاعى فى تاريخه وقال : اسمه عبد الملك . وقال ابن ميسر فى تاريخه : وجدتُ فى نسخة من خط ابن خيرة ، أنَّ رُجلًا من أكابر حُفاظ مصر أخبره أنه لم يزل يرى العلماء يقفون عند قبر القمنى ويجعلون صِلَةَ بن أشيم أمامهم ، وسالماً العفيف عن يمينهم ، وأبا الحسن الصائغ عن شمالهم ، ويدعون ، فيُستَجاب لهم .

[انظر الكواكب السيارة ص ١٢٠ و ١٢١ وغيرهما من الصفحات] .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « واسمه عبد الملك بن الحسن ، فى النسخة المنقول منها ، وقد كُنى بأبى القاسم عبد الملك » .

(٣) فى « م » و « ص » : « اثنين » .

(٤) فى « م » : « شهد الطالبيين » وفى « ص » : « شهد مشهد الطالبيين » . وما أثبتناه عن الكواكب السيارة .

(٥) « يومًا » عن « ص » .

(٦) فى « ص » : « مارضوا بقضاء الله » .

وقيل : إنَّ ابن الجوهرىَّ لَمَّا دُعِىَ إلى القتل فى أيَّام الأفضل [ابن أمير الجيوش سلطان مصر ، بسبب القضية المتقدم ذكرها] (١) استجار بقبر أبى بكر القمنى ، ودعا الله تعالى عنده (٢) ، فَفَرَّجَ الله عنه ، وكفاه أمره (٣) .

وقيل : إنَّ القضاعى رحمه الله ، كان يحثُّ على زيارة قُبورِ سَبْعَةٍ من الصلحاء بهذه الجبانة (٤) ، فيقول : من كانت له حاجة إلى الله سبحانه وتعالى : فعليه بقبر أبى الحسن الدينورى ، وعبد الصمد البغدادى ، وإسماعيل المُزَنِى ، وبكَّار بن قُتَيْبَة ، والمُفَضَّل بن فُضَالَة ، وأبى بكر القمنى ، وذى النون المصرى ، رحمة الله عليهم أجمعين .

قبر سالم العفيف (٥) :

ثم منه إلى قبر سالم العفيف ، رحمه الله تعالى ، له كرامات ، قيل : إن رَجُلاً رآه (٦) فى المنام فقال : أنا أعجبُ ممن يزورنى ولا يدعو الله عندى ، ويسأل الله حاجته (٧) !

وقيل : إن رَجُلًا جاءه فى حياته وهو قَلِقٌ ، فقال له : مَالَكَ (٨) ؟ .

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٢) فى « م » : « وسأل الله عنده » .

(٣) فى « م » : « وكفاه شَرَّ الظَّلَمَة » .

(٤) فى « ص » : « كان يحثُّ على زيارة سبعة قبور ، هذا منهم » وأضاف بعد ذلك : « وجاءه - أى القضاعى - رجلٌ فشكا إليه أمرًا نَزَلَ به ، فقال : عليك بسبعة قبور فى هذه الجبانة ، سَلِ الله تعالى عندهم تُقْضَ حاجَتُكَ ، وهم ... » وذكَرَ أسماءهم ، وستأتى .

(٥) العنوان عن « ص » .

(٦) فى « م » : « زَارَهُ » .

(٧) فى « ص » : « ويسأله حاجته » .

(٨) قوله : « فقال له : مالَكَ ؟ » عن « ص » وساقط من « م » .

فقال له : ياسيدى ، ضاع لى دفتر حسابٍ ، وأنا كاتب عند رَجُلٍ ، أميرٍ ، ظالم ، وهو لا يرحمنى [(١)] . وقد دَلُّونى عليك أنْ تدعو الله سبحانه وتعالى ، عساه أن يجمعنى عليه [(٢)] . فقال له : امْضِ إلى سوق الحلاويين وَأْتِنِى برطلٍ من الحلاوة [(٣)] حتى أدعو لَكَ . فَمَضَى الرجل إلى دكّان رجل حَلاوِىٍّ ، فاشترى منه رطلًا من الحلاوة [(٤)] ، ثم أَخَذَ الحلاوىُّ ورَقَةً يريد أنْ يضع فيها الحلاوة ، فوجدها الرجل من دفتره ، فقال للحَلاوِىِّ : مِنْ أَيْنَ لك هذه الورقة ؟ فقال : منذ ساعة اشتريتُ دفترًا ، وما شَدَدْتُ فى شىءٍ منه إلَّا لَكَ . فأَخَذَ الرجل دفتره ، ودَفَعَ للحَلاوِىِّ ثمن الدفتر والحلاوة ، ثم جاء بالحلاوة إلى الشيخ [سالم العفيف] [(٥)] فقال بمجرد وقوع بصره عليه : اذهبْ بهذه الحلاوة إلى أطفالك ، ماكان قصدى إلَّا أنْ تَرَى دفترك ، امْضِ راشدًا [(٦)] ! .

قبر الشيخ الكحَّال [(٧)] :

وتخرج من هذه التربة وأنت مستقبل القبلة ، تجد قبر الشيخ الكَحَّال ، رحمة الله عليه ، كان رجلًا صالحًا ، ذُكِرَ من بعض كراماته أنَّ مَنْ رَمِدَ وجاء إلى قبره ، وقرأ « بسم الله الرحمٰن الرحيم » ومَسَحَ على عينيه [(٨)] عشر مَرَّات من تراب القبر ، بَرِئَ بإذْن الله عزَّ وَجَلَّ ، وذلك يكون مع الإخلاص وصِدْقِ النِّيَّة ، فإنه نافع مُجَرَّب ، ذكر جماعة أنهم جربوه فوجدوا عليه الشفاء [(٩)] .

---

(١) فى « ص » : « وأنا رجلٌ كاتبٌ عند أمير لا يرحمنى » .

(٢) فى « ص » : « أن تَدْعُوَ الله لى عَسَى أنْ أجِدَهُ » .

(٣) فى « ص » : « اشترِ لى رطلَ حلاوةٍ وَأْتِنى به » .

(٤) فى « ص » : « فاشترَى الحلاوَة » .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٦) قوله : « امضِ راشدًا » عن « م » . وفى « ص » : « ماكان مقصودى إلَّا أنْ تجد دفترك » .

(٧) العنوان من عندنا .

(٨) فى « ص » : « ويُحسن ظنه ويمسح على عينيه .. » .

(٩) قوله : « فإنه نافع ... » إلى هنا ، عن « ص » وساقط من « م » .

قبر الشيخ صِلَة أبى الصَّهْباء بن أشْيَم العدوى [١] :

أحد زهَّاد الدنيا ، وهو رَجُلٌ عُتِقَ من النار ، وتكَفَّلَ لمن يزوره أنْ يُعْتَقَ من النار إنْ شاء الله تعالى ببركته ، ذُكِرَ بالإسناد عن النبى ﷺ ، أنه قال : « يكون فى أُمَّتِى رجلٌ يُقال له صِلَةُ بن أشْيَم يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا » .

قال [٢] ثابتٌ البُنَانِىُّ : كان صِلَةُ بن أشْيَمَ يخرج إلى الجبَّانَة فيتعبَّد ، وكان يمر على شباب يلهون ويلعبون ، فيقول لهم : أخبرونى عن قومٍ أرادوا سَفَرًا ، فجازوا النهار عن الطريق ، وباتوا الليل ، متى يقطعون سفرهم ؟ قال : وكان يقول ذلك [٣] كلما مَرَّ بهم ، فمرَّ بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة ، فقال شابٌّ منهم : ياقوم ، ما يعنى هذا غيرنا ، فنحن بالنهار نلهو ، وبالليل ننام ، ثم تَبِعَ صِلَةَ بْنَ أشْيَمَ ، فلم يزل يختلف معه إلى الجبَّانة يتعبد معه حتى مات [٤] .

ولَمَّا أُهْدِيَتْ مُعَاذَةُ إلى صِلَةَ بْنِ أشْيَمَ أدخَلَهُ ابن أخيه الحمَّام ، ثم أدخله بيتًا مُطَيَّبًا ، فقام فصلى [٥] من أول الليل إلى آخره ، حتى طلع الفجر ، وكانت

---

(١) هذا غير صحيح ، وهذا القبر المشار إليه هو قبر صِلَة بن المؤمل ، أحد رجال الحديث ، ذكره جماعة من الحفاظ ، وكان زاهدًا ورعًا ، رضى الله عنه ، وقيل : إنه صلة بن مؤمل البغدادى ، وهو الأصح . أمَّا صلة بن أشيم فقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى الحلية ، والإمام أبو الفرج فى كتاب صفوة الصفوة ، وغيرهما من أرباب التاريخ أن صلة بن أشيم قُتِلَ فى العراق هو وولده ، وقد قال لولده : تقدَّمْ حتى أحتسبك عند الله تعالى ، فتقدمَ فقاتَلَ حتى قُتِل ، ثم تقدم صلة فقاتَلَ حتى قُتل ، فاجتمع النساء عند زوجته مُعاذة العدوية رضى الله عنها ، فقالت : إن كنتن جئتن تُبَشِّرْنَنِى فمرحبًا بِكُنَّ ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك ، فانصرفن عنى . فما رؤى أصبر منها .

[انظر الكواكب السيارة ص ١١٨ و ١١٩ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٤٢] .

(٢) من هنا إلى قوله : « حتى مات » عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) فى « م » : « يقول من تلك » أى : من تلك المقالة .

(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٥) فى « م » : « فقام يصلى » .

مُعاذة تصلى أيضًا إلى الفجر ، فلمَّا أتاه ابن أخيه قال : ياعم ، أُهْدِيَتْ إليك ابنةُ عَمِّك فَقُمْتَ وتركتها ؟! فقال : يابْنَ أخى ، أدخَلْتِنِى أمس بيتًا ذكَّرَنِى به الجنَّة ، وأدخلتنى بيتًا ذكَّرتنى به النار [١] ، فما زال فكرى فيهما حتى أصبحت .

وقالت معاذة زوجته : ماكان صلة يجىء من مسجد بيته إلى فراشه إلَّا حَبْوًا [٢] ، لايفتر عن الصلاة .

ورَوَى جعفر بن يزيد العبدرى [٣] عن أبيه ، قال : خرجنا فى غزوة إلى « كَابُل » وفى الجيش صِلَةُ بن أشيم ، فنزل الناس عند العَتَمة [٤] ، فقلت : لَأَنْظُرَنَّ إلى عمله الليلة وأتحقق بما يذكر الناس [عنه من عبادته ، فرأيته صلى العتمة ثم اضْطَجَع والتَمَس غَفَلَةَ الناس] [٥] حتى إذا هدأت العيون وثَبَ فَدَخَل غَيْضَةً قريبةً [٦] منه ، فدخلتُ فى إِثْرِهِ ، فتوضأ ، ثم قام يصلى ، فجاءَ أَسَدٌ فدنا منه ، وصعدْتُ أنا إلى شجرة ، فما الْتَفَتَ ولا ارتاعَ من الأسد ، فلما سجد قلتُ : الآن يفترسه الأسد ، ثم جلس فَسَلَّمَ ، ثم التَفَتَ وقال : أيها السبع ، اُطْلُبِ الرزقَ من مكان آخر . فَوَلَّى ، وإنَّ له زئيرًا يكاد أن يتصدع الجبل منه ، ومازال كذلك يُصلى إلى الصبح ، فجلس [٧] وحمد الله تعالى بمحامد لم أسمْع بمثلها ، ثم قال : « اللهم إنى أسألك أنْ تُجيرَنِى من النار ، فليس مثلى [٨]

---

(١) يريد بالجنة : البيت المُطيَّب ، وبالنار : الحمَّام .

(٢) أى : زحفًا من الإعياء .

(٣) فى « م » : « العبدى » .

(٤) هكذا فى « م » وفى الحلية .. وفى « ص » والكواكب السيارة : « عند العقبة » والعَتَمة : الليل ، مَرَّتْ قطعة منه .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٦) فى « ص » : « قريبًا » . والغيضة : الموضع الذى يكثر فيه الشجر ويلتف .

(٧) فى « ص » : « حتى إذا كان عند الصبح جلس » .

(٨) فى « ص » : « فما مِثْلِى » .

يجترىء أنْ يسألك الجنة » . ثم أصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحتُ وبى من الفَتَرَةِ [١] ما الله عالم به ، فلما دَنَوْنا من أرض العدو قال الأميرُ [٢] : لايَشُذَّنَّ أحَدٌ من العسكر . فوقف يصلى ، فذهبتْ بغلتُه بثقلها ، [فقلتُ له : إنَّ الناسَ قد ذهبوا ، فقال : مابقى إلّا ركعتين خفيفتين . فقلت : وقد ذهبت البغلة] . فقام فصَلَّى ركعتين ثم قال : اللهم إنى أقسمتُ عليك [بِحُرْمَتِكَ] [٣] إلّا رَدَدْتَ علىَّ بَغْلَتِي وثقلها . قال : فلم يشعر إلّا والبغلة قد جاءت فوقفت بين يديه ، فحمل هو وهشام بن عامر ، فلم يزالا يضربان فى العدوّ ويقتلان ، فانكسر العدوُّ ، وقالوا : إنَّ رَجُلَيْنِ من العرب قاتلونا قتالًا عظيمًا – يعنيان هشامًا وصِلَة بن أشْيَم – فكيف لو قاتلوا [٤] ؟ فَأَعْطُوا المسلمين حاجتهم ، فسمعنا قائلًا يقول : ﴿ ومِنَ الناس مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابتغاءَ مَرْضَاةِ الله ، والله رَءُوفٌ بالعباد ﴾ [٥] .

ورَوَى الحسن قال : مات أَخٌ لنا ، فلمَّا وُضِعَ فى قبره وَمُدَّ عليه الثَّوبُ [٦] جاء [٧] صِلَة بن أشيم فأخذ بجانبى الثوب ، ثم نادى يافُلان :

فَإِنْ تَنْجُ منها تَنْجُ من ذى عَظِيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّى لا أَخَالُكَ نَاجِيَا

ومات صِلَة بن أشيم رضى الله عنه فى سنة خمس [٨] وتسعين . وقال قائل : فى أول إِمْرَةِ الحَجاج ، وأهل مصر متفقون على أنه مات بمصر ودُفِنَ بمقبرتها [٩] ، وقبره ظاهرٌ ، معروفٌ بالإجابة .

---

(١) الفَتَرَةُ : الضَّعْف .

(٢) فى « م » : « قال أميرٌ » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » فى الموضعين .

(٤) قوله : « فكيف لوقاتلوا ؟ » عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) سورة البقرة – الآية ٢٠٧ .

(٦) فى « م » و « ص » : « ومُدَّ عليه التراب » وما أثبتناه هنا عن الحلية .

(٧) فى « م » : « جاءه » .

(٨) فى « م » : « خمسة » .

(٩) يقول ابن الزيات فى الكواكب السيارة : إن هذا ليس بصحيح ، ولم يثبت هذا عند أحد من المصريين . وانظر ص ٣٣٤ – الهامش رقم ١ .

قبر أبى الحَسَن البلخى الواعظ [1] :

تخرج من تربتة مُستقبل الشرق ، تجد قبر الشيخ أبى الحَسَن البلخى الواعظ ، رحمه الله ، كان واعظًا ، دَيِّنًا ، وَرِعًا ، كثير الصلاة على رسول الله ، ﷺ .

قيل : إنَّ رَجُلًا رأى النبىَّ ، ﷺ ، وهو يزورُ قَبْرَهُ . وقيل [2] : إنه وعَظَ يومًا فَبَالَغ فى الوعظ ، فقال : والله ، لو سمع كلامى هذا العمود حَقَّ سَماعِه لا نْفطَرَ [3] ، فانفطر العمود فى الوقف [4] .

قبر الواعظ الواسطى ، رحمه الله [5] :

كان رجلًا واعظًا ، بليغًا ، تقيًا .

قبر الشيخ أبى الحَسَن الصَّايغ ، رحمة الله عليه [6] :

كان رجلًا صالحًا [7] ، وليًا ، ويقال : إنه كان صايغًا للنبى ، ﷺ ،

---

(١) العنوان من عندنا . وانظر المصدر السابق ص ١١٨ .

(٢) من هنا إلى نهاية الترجمة عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) انْفَطَر : تشقق وتصدَّع .

(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٥) هو محمد بن الحسين الواعظ الواسطى ، ذكر ابن الزيات أنه تُوفى سنة ٥٠١ هـ . [انظر المصدر السابق ص ١١٨] .

(٦) هذا القبر المعروف بالصائغ كتب عليه العوام : « صائغ رسول الله ﷺ » ، وقال ابن الزيات : « وهذا غير صحيح ، والصحيح أن رسول الله ﷺ ، اتخذ خاتمًا ، وأَمَرَ أن يُكْتَبَ عليه « لا إله إلَّا الله » ولم تذكر العلماء مَنْ صَاغَهُ ، ولم تذكر له وفاة بمصر ، لأنه لم يدخل مع الصحابة فى فتحها مَنْ اسمه الصائغ . وقال صاحب المصباح : إن هذا القبر قبر عبد الله بن عبد العزيز بن مروان ، صاحب المسجد بمصر . وقد أشار المؤلف هنا أن هذه الأشياء تؤخذ بحسن النية ، فإن كان الرجل ليس فى هذا القبر فالزيارة تصل إليه أينما كان . والله أعلم » . [انظر المصدر السابق ص ١١٧] .

(٧) من قوله : « كان رجلا صالحًا» إلى آخر الفقرة ، عن « م » وساقط من « ص » .

فدفع إليه خاتمه ليصوغه له ، وقال له : اكتب عليه « لا إله إلا الله » . ففعل ما أَمَرَهُ به ، ثم جاء به إلى النبى ﷺ ، فدفعه إليه ، فقال لِعَلِىّ بن أبى طالب : اقرأ ما عليه . فقرأ ، فوَجَدَ عليه مكتوبًا « لا إله إلّا الله ، محمد رسول الله » فقال له : ماهذا ؟ فقال : والله يارسول الله ما كتبتُ إلّا ما أَمَرْتَنِى به . فسمع مناديًا ينادى : يامحمد ، كتبتَ أحبَّ الأشياء إليكَ ، وكتبنا أحبَّ الأشياء إلينا [١] .

ومِنَ الناس مَنْ يقول : ماهو « الصايغُ » المذكور . وهذه الأشياء تُؤخذ [٢] بحُسْن النّيّة ، فإن كان الشخص ماهو فى القبر فالزيارة تصل إليه أينما كان ، ومازار الناس هذا القبر سُدًى [٣] ، ولا بد أنْ يكون فيه رجلٌ صالح .

ويُحْكَى أنَّ مَنْ وَجَدَ مرضًا فى ظهره ، أو فى أىِّ موضع آخر [٤] ، وجاء إلى قبر هذا الرَّجُل وأخذ من تُرابه ومسح به ذلك الموضع عُوفِى [مِنْ ذلك الوجع] [٥] ببركة مَنْ كان بالقبر مدفونًا .

قبر الشيخ ذى النون العدل – أى الفيض – الإخميمى ، رحمه الله [٦] :

كان من التّالين لكتاب الله تعالى ، وسمع الحديث ، وحَدَّثَ عن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبَّال وجماعة ، وَرَوَى عنه أبو الحسن على بن يحيى المقرىء بسنده إلى إبراهيم بن أدهم ، رضى الله عنه ، أنه قال : حُدِّثْتُ عن

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) فى « ص » : « توجد » .

(٣) فى « ص » : « وما هذا القبر سُدًى » وسقط من الجملة قوله : « زار الناس » سهوًا من الناسخ .

(٤) فى « م » : « فى أى موضع كان » .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٦) هو ذو النون العدل ابن نجا الإخميمى ، عابد مصر ، وليس هو بذى النون المصرى ، قال ابن الضرَّاب فى تاريخه : كان ذو النون الإخميمى من الزُّهَّاد العُبّاد ، يقتات بدرهم فى الشهر ، وكان قد =

بعض العُبَّاد [(١)] أنه قامَ ذاتَ ليلة يُصلى على شاطئ البحر ، إذْ سَمِعَ صوتًا عاليًا بالتسبيح و لم يَرَ أَحَدًا ، فقال : مَنْ أنتَ – يرحمك الله ؟ أسمع صوتك ولا أَرَى شخصك ! فقال : أنا مَلَكٌ من ملائكة الله تعالى ، مُوَكَّل بهذا البحر ، أُسَبِّحُ الله تعالى بهذا التسبيح منذُ خُلِقْتُ .. فقلتُ [(٢)] : ما اسمُك ؟ فقال : « مهيابيل » [(٣)] . فقلتُ : ما لِمَنْ يقول هذا التسبيح من الثواب ؟ قال [(٤)] : لَمْ يَمُتْ حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرَى له .

وهذا هو التسبيح [(٥)] : « سُبْحَانَ الله العَلِيّ الدَّيَّان ، سبحان الله الشديد الأركان ، سبحانَ مَنْ يَذْهَبُ بالليْلِ [(٦)] ويأْتى بالنَّهارِ ، سبحان مَنْ لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عن شأن ، سبحان الحَنَّان المَنَّان ، سبحان الله فى كل مكان » [(٧)] .

قبر القضاعى – رحمه الله [(٨)] :

ثم تمشى من تربته إلى تربة كبيرة على شاطئ الخندق [(٩)] بها قبر

= نحل من العبادة ، وكان يقول : رُضْ نَفْسَكَ بالجوع تظهر لك مقامات الكشف . وقال صاحب المصباح : قال ذو النون الإخميمى : لقيت أربعين وليًّا ، كُلٌّ منهم يقول : إنما وصلتُ إلى درجة الولاية بالعزلة . [انظر الكواكب السيارة ص ١١٦ و ١١٧] .

(١) فى « ص » : « الزُّهَّاد العُبَّاد » .

(٢) فى « م » : « قال : فقلت » .

(٣) فى « ص » : « مهلابيل » .

(٤) فى « ص » : « قال : مَنْ قاله مائه مرة » .

(٥) فى « ص » : « وهذا التسبيح » .

(٦) فى « ص » : « مَنْ يأتى بالليْل ويذهب بالنهار » .

(٧) فى « ص » : « سبحان الذى هو فى كل مكان » .

(٨) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمة القضاعى محمد بن سلامة فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٣ و ٤٠٤ ، وفى الكواكب السيارة ص ١١٦ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢١٢ و ٢١٣ ، والأعلام ج ٦ ص ١٤٦ ، وطبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ١٥٠ و ١٥١] .

(٩) فى « ص » : « على اليسار من الخندق تربة كبيرة على طرف الخندق » .

القضاعى ، رحمه الله . وهو القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن على القضاعى ، قاضى مصر ، وشهرته تُغْنِى عن الإطناب فى وصفه ، له مصنفات كثيرة مفيدة ، منها كتابه الكبير فى تفسير القرآن العزيز ، وهو قريب من عشرين مجلدًا ، وكتاب الشهاب ، وكتاب دستور الحُكْم فى كلام علىٍّ [١] ، رضى الله عنه ، وكتاب الأعداد ، وكتاب الأنباء ، وكتاب الخطط ، وخَرَّجَ معجمًا لشُيُوخه الذين رَوَى عنهم ، وحَدَّث ، وجَمَعَ [٢] ، وألَّف . ووصَلَ إلى الحجاز والشام والقُسْطَنْطِينيَّة ، وسمع الحديث بمكة ، قال ذات يوم : قيل لبعض الحكماء : كيف حالُكَ ؟ فقال : كيف حال مَنْ يَفْنَى بِفَنائِه ، ويسقم بسلامته ، ويُؤْتَى مِنْ منامه ؟ .

وتوفى القضاعى سنة أربع [٣] وخمسين وأربعمائة ، وقبره على ظاهر الخندق - كما ذُكِرَ - قال إبراهيم الحبَّال : وإلى جانبه قبر ولده . ترجع إلى الشرق تستقبل مدفن بنى اللهيب على شاطىء الخندق [٤] .

قبر الشيخ أبى إسحاق إبراهيم :

الذى كان يصلى خلفه [٥] المالكية بالجامع العتيق بمصر . كان رجلًا صالحًا [٦] من أهل الخير ، وكان يُصلى فى الجامع المذكور [٧] فى أيام المصريين . ولَمَّا حُمِلَت [٨] جنازته جاءت طيور بيض ورفرفت على نعشه .

---

(١) فى « م » : « على كلام عَلِىٍّ » .
(٢) قوله : « وجَمَع » عن « ص » .
(٣) فى « م » : « أربعة » .
(٤) من قوله : « قال إبراهيم » إلى هنا ، عن « م » وساقط من « ص » .
(٥) فى « م » : « يصلى فى حَلقة » .
(٦) قوله : « صالحًا » عن « م » .
(٧) فى « م » : « العتيق » .
(٨) من قوله : « ولمَّا حُمِلت » إلى قوله : « بجامع الفِيَلَة » عن « م » وساقط من « ص » .

وتمشى تجد قبر أبى إسحاق إبراهيم العراق ، الخطيب بجامع عَمْرو ، وهو شارح المذهب ، والفقيه نصر بن أبى المنصور ظافر المالكى . ثم تمشى إلى قبر الشيخ أبى الفضائل عتيق بن رشيق بجامع الفِيَلَة [١] .

قبر الشيخ أبى الربيع سليمان ، رحمه الله [٢] :

ثم تُشَرِّق تجد [٣] قبر الشيخ أبى الربيع سليمان ، رحمه الله . كان كبير الشأن ، كثير الكرامات والسياحات ، وهو شيخ العارف بالله أبى عبد الله محمد القُرَشِيّ ، رحمة الله عليه . له حكاياتٌ وفضائل مشهورة مذكورة . ولَقِىَ جماعة من الأولياء بالمغرب ، وأخذ عنهم أحوالهم وأعمالهم .

[وحكى عنه القرشى [٤] قال : دخلتُ عليه يومًا ، فَسَلَّمْتُ عليه ، فلم يُجِبْ ، فَغِبْتُ ساعةً ثم أتيتُه ، فسلمتُ عليه ، فَرَدَّ السَّلامَ ثم قال : يا أخى ، لَمَّا دخلْتَ علىَّ كان الإفرنجُ قد ضايقوا المسلمين ، وكنتُ مستغرقًا فى حالى بسببهم ، وقد نَصَرَهُمُ اللهُ على العَدُوِّ اليوم] فله الحمد والشكر ، وقتل المسلمون من الكُفَّار خَلْقًا كثيرًا . قال : فَأَرَّخْتُ تلك الحادثة فى الوقت الذى أَخْبَرَ به ، فَكَانَ كما قال .

وذُكِرَ عنده رجلٌ – وقد سافَرَ إلى الحجاز – فقال : اليوم ركب جُلْبَةُ فلان وسَافَر ، وأُرِّخَ الوقتُ ، فلما قَدِمَ الرَّجُلُ قال : ركبتُ فى جُلْبَةِ [٥] فلان وسافرتُ فى الوقت الفلانى – كما قال الشيخ .

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) هذا العنوان عن « ص » .

(٣) قوله : « ثم تُشَرِّق تجد » عن « م » .

(٤) من قوله : « وحكى عنه القرشى » إلى قوله : « ابن رحَّال السكندرى » عن « م » وساقط من « ص » . ومابين المعقوفين سيأتى بعد ذلك فى موضع آخر بعد الحديث عن قبر الدُّرْعِىّ . وهذا خلط من الناسخ . انظر ص ٣٥٢ – الهامش رقم (٢) الذى سيرد بعد ذلك .

(٥) فى جُلْبَة فلان ، أى : فى جماعته .

وقيل : إنه لمَّا جاء من المغرب (١) وهو فى المركب ، جذبه حبلٌ فألقاه فى البحر المالح ، وكان المركب مُقَدَّمًا ، فلما بعدوا وظَنُّوا أنه فُقِدَ ، وَإِذا به فى ناحية المركب من الجهة الأُخرى .

وروى من حديثه عن النبى ، صلى الله عليه وسلم .

وتجىء إلى اليمين تجد قبر الشيخ أبى بكر محمد القسطلانى ، قيل : قَدِمَ مصر بخمسة عَشَرَ ألف دينار ، وماتَ وما لَهُ شىءٌ يورث .

وتُبَحِّر تجد قبر الفقيه يعقوب المالكى ، وولده .

وتُشَرِّق تجد قبر الشيخ أبى القاسم عبد الغنى بن أبى الطَّيِّب الإمام (٢) ، وبجانبه إلى القبلة قبر عبد الغالب ، وابن رَحَّال السكندرىّ (٣) .

قبر الشيخ أبى الحسن ابن بنت أبى سعد ، رحمه الله تعالى (٤) :

ثم تأتى إلى تربة بنىَ اللهيب ، بها (٥) قبر الشيخ أبى الحسن ، ابن بنت أبى سعد ، رحمه الله تعالى .

كان قد لزم بيته ، وكان الناس يزورونه ، وكان سبب انقطاعه فى بيته أنه كان بَزَّازًا ، وكان إلى جانب حانوته بَزَّازٌ آخر (٦) ، فتجَاذَبَا ذاتَ يومٍ فيما هُمَا بصدده (٧) من البيع والشراء ، [ومضايقات الناس لبعضهم] (٨)

---

(١) فى « م » : « الغرب » .

(٢) فى « م » : « إمام المعلقة » هكذا . ولم أقف عليه .

(٣) هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٤) العنوان عن « ص » .

(٥) من قوله : « ثم تأتى » إلى هنا ، عن « م » .

(٦) فى « م » : « إنسان آخر ، وكان بَزَّازًا » .

(٧) فى « ص » : « فيما هم فيه » .

(٨) مابين المعقوفتين عن « م » .

ومُقَاسَاةِ الخَلْق ، وسَأَلاَ الله تعالى أَنْ يُقِيلَهُمَا من ذلكَ ، ويغنيهما [١] من سعة فَضْله بما هو أصلح منه ، فلمَّا كان فى تلك الليلة رأى الشيخ أبو الحسن فى المنام ، كأنه قد صلى الصُّبح فى منزله ، فلما فرغ من الصلاة أخذ مفاتيح دكانه ليمضى إليه [٢] ، فعند وصوله إلى قيسارية البزَّازين التى جانوته بها ، وجد رجلاً نصرانيًّا يعرف ببطرس القس من بعض البزازين بها [٣] ، وهو واقف على أحد الأبواب بها ، وعلى يده قِدْرٌ مملوءة سُخامًا [٤] ، وفى يده الأخرى عودٌ ، وكل مَنْ دخل من البَزَّازين يُلَوِّثُ وجهه من القِدْر بذلك [٥] السُّخام ، فلما أراد الشيخ أبو الحسن الدخول إليها رأى ذلك النصرانى قد تقدم إليه يريد أن يجعل على وجهه من ذلك السخام ، فبكى بكاءً شديدًا ، ومن شدة بكائه استيقظ من منامه وهو باكٍ من هَوْلِ مارآه ، فَلِلْوَقْتِ أَنْفَذَ خلف أخيه وقَصَّ عليه منامه ، وحلف بالله العظيم وعاهده ألّا يكون بَزَّازًا أبدًا ، وَأَذِنَ له فى بيع ما فى دُكَّانه من البَزِّ ، فباعه وتصدَّقَ بِثَمَنِهِ ، ولزم بيته ، واجتهد فى عبادة الله تعالى ، وتوفى فى شهر رجب سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وقيل سنة تسع وستين وخمسمائة [٦] .

[وحكى عنه [٧] مَنْ أثق به قال : أردتُ السَّفَر إلى الحجاز ، وكنتُ

---

(١) فى « ص » : « ويعينهما » .

(٢) فى « م » و « ص » : « إليها » .

(٣) فى « ص » : « إلى باب القيسارية ، وجد رجلًا نصرانيًّا من بعض البزازين بها » .

(٤) السُّخامُ : سواد القِدْر ، ويطلق أيضًا على الفحم .

(٥) فى « م » : « من ذلك » .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وكان يوجد عنده راحة ، ولم يخرج من بيته حتى مات – رحمه الله ، وتوفى فى رجب سنة تسع وستين وخمسمائة » .

(٧) من قوله : « وحكى عنه » إلى قوله : « إشارات الشيخ » عن « م » وساقط من « ص » .

أترَدَّدُ إلى الشيخ [١] أبي الحسن لبركة شُورَته [٢] ، فَجِئْتُ إليه في أول الجمعة ، فقال لي : عُدْ إليَّ في الجمعة الأُخرى ، فجئت إليه كما قال ، فقال : عُدْ إليَّ في الجمعة الأخرى ، فجئت إليه ، فقال : عُدْ إليَّ في مَرَّة أخرى ، فلما جئتُ إليه المَرَّةَ الرابعة – وكان يسألني في كل مرة عن حالي وتزايد خاطري – قال : ما رَدَدْتُك إلّا لِسَبَبٍ ، والسَّبَبُ أنّي أسألُكَ عن طلب نفسك الحج ، والخواطر على قسمين ، أحدهما من الحق ، والثاني من الشيطان ، فخاطر الرَّحمٰن يتأكد ويتزايد ، وخاطر الشيطان يتلاشَى ويذهب .. اذْهَبْ فترى خيرًا كثيرًا إنْ شاء الله سبحانه وتعالى .

فخرج الرجل ، وكانت وقفة الجمعة ، ولقي من الله خيرًا كثيرًا ببركة إشارات الشيخ [٣] .

وحكى عنه الشيخ عبد الله رئيس المؤذنين قال : دخلت على الشيخ فوجدتُ ثعبانًا يُسْقَى [٤] في كَفِّه ، فقلت : ماهذا ؟! فقال : بالله عليكَ اكْتُمْهُ عني حتى أموت [٥] . ولما مات رأى الناس على نعشه [٦] أربعة أطيار يرفرفون ، وشاهدهم الناس .

قبر الفقيه محمد المرابط [٧] :

وبجانبه إلى القبلة [٨] مِمَّا يلي الغرب قبر الفقيه محمد المرابط رحمه الله

---

(١) أتردد إلى الشيخ : أختلف إليه .
(٢) شُورَته : مُشاورته في الأمر أو ما ينصح به من رأي وغيره .
(٣) إلى هنا ينتهي الساقط من « ص » .
(٤) في « ص » : « يسعى » تحريف .
(٥) في « م » : « اكْتُمْهُ حتى أموت » .
(٦) في « ص » : « على قبره » .
(٧) العنوان من عندنا .
(٨) في « ص » : « قُدَّام القبلة » .

تعالى ، كان خياطًا يأكل من أجرة خياطته ، ولم يكن يأكل لأحد طعامًا . قال لى [1] مَنْ أثق به : إنه كان يقيم ثلاثة أيام بغير زاد ، ولا يأكل إلّا من الوجه الذى يعلم أنه حلال . وخرج إلى « مُنْيَةِ ابْنِ خُصَيْب » [2] وكان يحرس « الجرون » [3] ، فَحَصَّلَ فى طول المدة التى كان بها ثلاثة دنانير ، فأَقَامَتْ معه فى مصر ثلاث سنين ، ينفق فى كل سنة دينارًا واحدًا .

وقيل : إنه خَاطَ لِرَجُلٍ ثوبًا ، فانقلب عليه فى الخياطة ، فترك أجرة الخياطة ، فقال صاحب الثوب : انْقُضِ [4] الوَصْلَ وأصلحه . فقال : هذه شبهة حصلت فيه ، لا آخُذُ له أُجرة ، فأخذ صاحب الثوب الأجرة واشترى بها فوطة وأرسلها إلى رجل مجاور بمكة .

ومن كراماته أنه كان له صديق بمكة ، وكان صديقه وطائفة يجتمعون عنده بمكة ، ويجتمعون عند فقيه آخر مذكور بالخير والفضل ، فقال الفقيه لصديق الشيخ : اعزم لنا على المرابط فى هذه الليلة المشاركة لليلة الجمعة ، فجاء إليه وقال له : هذه ليلة مباركة ، ونحن فى ضيافة رجل صالح ، وأراد أن يجتمع معنا عنده على الطعام ، فقال : لا سبيل إلى ذلك . فقال له : اسْتَخِرِ [5] الله سبحانه وتعالى وأنا أُتركك فى مهماتك إلى الغروب وأعود إليك . فقال : لا سبيل إلى ذلك . قال : فانصرفتُ من عنده وأنا مكسور القلب ، فقال لى رفيقى : ما كان من قَسْمِنا أن يأتينا بالمرابط نربح بركته . وكان هذا الأمر بعد الموسم ،

---

(١) من قوله : « قال لى » إلى قوله : « وأتقوَّتُ منه » عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى معجم البلدان : « مُنْيَةُ أبى الخصيب » . وهى مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن ، على شاطىء النيل فى الصعيد الأدنى . وهى « المنيا » حاليًا . أما أبو الخصيب المشار إليه هنا فهو صاحب خراج مصر من قِبَل هارون الرشيد ، عمرها وأنشأها لابنه .

(٣) الجرون : الجُرْنُ ، وهو الموضع الذى يُداسُ فيه البُرُّ ونحوه ، وتجفف فيه الثمار ، وجمعه : أجران .

(٤) انقُضْ ، أى : حُلَّ وأَعِد .

(٥) فى « م » : « استخير » . لا تصح . والاستخارة : طَلَب الخير فى الشىء .

فاجتمعنا فى جدة ، فقال لنا : أين قماشكم ؟ فقلنا : هاهو . فقال : أنا رفيقكم . قال : ووصلنا سالمين ونحن بخير إلى « عَيْذَاب » [١] وإلى « قوص » فاجتمعنا فى بيت ، قال : فقلنا له : سبحان الله ، دعوناك فى مكة فى ليلة فأبيت ، وهاأنت رفيقنا الآن ! فقال : والله لمَّا طُلِبْتُ فى مكة مَرَّ [٢] علىَّ يومان ما أكلتُ فيهما طعاماً ، ولقد فارقنى بهذا أخى الداعى لى ، وكنتُ أطوف بالبيت ، فما أقدر على إكمال الشوط [٣] من الجوع ، وجئْتُ إلى بيتى ، فما أخذنى نومٌ ، فلما أصبحتُ نمتُ مكانى [٤] قال : فقلنا له : كيف كان مقامك ؟ قال : كنت أنقل التراب من الحرم إلى خارجه ، وأحتطب الحطب ، وأدخل الليل بعمرة ، وأصبح آخذُ الحطب أبيعه وأتَقَوَّتُ منه [٥] .

قبر الفقيه أبى البركات [٦] :

وعند رِجْلَى الشيخ أبى الحَسَن قبر الفقيه أبى البركات ، [ويقال : إنه يُكْنَى أبا السرايا ، رضى الله عنه] [٧] .

كان يقول : « قلوبٌ تَعْرِفُ ، وألْسِنَةٌ تَصِفُ ، وأعمالٌ تُخالِفُ » . وكان الناس يأتون إليه بالصَّدَقات فيفرقها ، وكان يجعلها تحت مُصَلّاه ، فكل مَنْ أراد

---

(١) فى « م » : « غيلب » تحريف من الناسخ . وعيذاب : بُلَيْدَة على ضفة بحر القلزم ، وهى مرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد ، وكانت ميناء الحج المصرى إلى جدة .

(٢) فى « م » : « مَرَّتْ » .

(٣) فى « م » : « الشرط » تحريف .

(٤) فى « م » : « هنتُ كتابى » تحريف من الناسخ .

(٥) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » المشار إليه فى ص ٣٤٥ - الهامش (رقم ١) .

(٦) العنوان من عندنا .

(٧) مابين المعقوفتين عن « م » .

منه شيئًا يقول له : ارْفَعْ طَرَفَ السَّجَّادة وخُذْ ما تحتاج إليه . وكان الوزير ابن الوحشى [(١)] يزوره ويدفع له المال يتصدق به .

قبر الشيخ عبد الحميد القرافى :

وبجانبه إلى القبلة قبر الشيخ عبد الحميد القرافى [(٢)] رحمه الله ، كان فاضلاً ورعاً ، مشهورًا بذلك بين الناس [(٣)] ، وكانَّ يُتَحَدَّثُ عنده [(٤)] فيقال : خُلِعَ اليوم على فلان ، أُطْلِقَ اليوم فُلانٌ ، عُزِلَ اليوم فلان ، جَرَى اليوم كذا وكذا لفلان ... فيقول : لا إلٰـه إلَّا الله ، يصبح الناس فى الزيادة والنقص وعبد الحميد عبد الحميد [(٥)] .

وحُكِىَ أنَّ خليفة مصر [(٦)] المعروف بالآمِر كان قد خرج إلى بِرْكة الحَبَش [(٧)] فى الربيع ، فنصب حَرَكات [(٨)] ، وأحْضَرَ جميع المَغَانى [(٩)] ، وأمَرَ العساكر أن ينزلوا حوله ، وأقام مُدَّةً يشربُ ويلهو ، وخرج أهل الفساد من

---

(١) هكذا الاسم فى « م » .. وفى « ص » : « اللوبخشى » وكلاهما لم أقف عليه .

(٢) فى « م » : « القرشى » تحريف . [وانظر الكواكب السيارة ص ٢٥٣ و ٢٥٤] .

(٣) فى « ص » : « .. بين الناس ، وتَزَار » .

(٤) فى « م » : « عنه » تحريف .

(٥) هكذا فى « ص » والكواكب السيارة .. وفى « م » : « وعبد الحميد بن عبد الحميد » أقحم الناسخ « بن » بينهما .

(٦) فى « ص » : « وكان خليفة مصر » .

(٧) فى « ص » : « الجيش » تصحيف ، والتصويب من الكواكب السيارة .

(٨) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « حزكاة » .. والحَرَكات : الحزام الذى يحيط بالموقع .

(٩) فى « م » و « ص » : « المعانى » بالعين المهملة ، وهى جمع مَعْن ، والمَعْنُ : هو كُلّ ما يُنتفع به . وما أثبتناه هنا عن المصدر السابق .

أهل مصر والقاهرة من الرجال والنساء ، وكَثُرَ الفساد منهم وفيهم [١] ، فقيل للخليفة ذات يوم : فى القرافة رجلٌ صالحٌ يُقال له عبد الحميد ، فَالْتَمِسْ منه الدعاء [٢] ، فأرسل إليه الخليفة رسولًا [٣] ومعه نَفَقَةٌ ، فجاءه الرسول فقال له : الخليفة يسلم عليك ويسألك الدعاء ، وهذه نفقة قد سَيَّرَهَا [٤] إليك . فقال للرسول : سَلِّمْ عليه وقُلْ له : أمَّا الدعاءُ فأنا أدعو له ، وأمَّا النفقة فلا حاجة لى بها . فقال له الرسول : وهو يسألك أنْ تشرفه بحاجة . فقال له : قُلْ له حاجتى أن يطلع إلى قصره [٥] ويترك ماهو فيه .

فرجع الرسول إلى الخليفة وقال له ماقال الفقيه ، فردَّهُ إليه وقال : قُلْ له أنا أطلع ، ولكن أشتهى أنْ أزوره ، فيتهيأ حتى أزوره . فقال الفقيه : قل له يطلع إلى القاهرة ولايزورنى [٦] فأنا أدعو له .

فرجع الرسول إلى الآمِر [٧] وأخبره ، فقال له : ارجع إليه وقل له : لابد .

---

(١) فى « م » : « وكثر الفساد فيهم » .

وفى الكواكب السيارة بعد ذلك : « فركب بعض حُجَّابه – أى حُجَّاب الآمِر – وقصد جهة القرافة ، فإذا عبد الحميد فى تربة ومعه خمسةُ نَفَرٍ وهو يقول لهم : لا تعجلوا ، اتركوه ولا تدعوا عليه دعوة يأخذه الله بها أَخْذَ القُرَى وهى ظالمة ، فعلم الحاجب أنهم يعنون الخليفة ، فعاد وأخبره وقص عليه القصة فقال : ارجع إليه وادفع له هذه المائة دينار وقل له : الخليفة يسلم عليك ، وهذه مائة دينار انفقها عليك ، وهو يسألك الدعاء . فجاء بها الحاجب إليه ، فلما رآه عبد الحميد قال له قبل أن يصل إليه : خذها وارجع إلى سيدك ... » .

(٢) قوله : « فالتمس منه الدعاء » عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) فى « ص » : « فأنفذ إليه رسولًا » .

(٤) فى « ص » : « يسرها » .

(٥) فى « ص » : « قصده » . تحريف .

(٦) فى « م » : « وليس له بزيارتى من حاجة » .

(٧) فى « م » : « الأمير » .

من رؤيته [(١)] ، فيجلس فى طاقَةٍ من داره وأنا أقف من تحتها حتى [(٢)] أتبرك برؤيته .

فجاءه الرسول وأخبره ، فقال : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، لا أفعل . فقال له أصحابه [(٣)] : وما يضرك [(٤)] من ذلك ؟ ومَنْ يصل إلى الخليفة ؟ ولم يزالوا عليه إلى أن قال : نعم ، أنا أجلس فى طاقة منزلى .

فرجع الرسول وأخبر الخليفة ، فلما أصبح رَكِبَ وجاءَ إلى مكان الشيخ ، حتى وقف تحت داره ، وتَطَلَّعَ [(٥)] فرأى الشيخ ، فسَلَّم عليه بأصبعه ، ووقف ساعة ينظر إليه ، ثم سار وطلع القاهرة ، فنزل الشيخ عبد الحميد وهو منكسر القلب ، باكى العين ، نادم على ما جَرَى منه . فقيل له : ياشيخ عبد الحميد ، ما الذى جرى منك ؟ غَيْرُكَ يتمنى أَقَلَّ غلامٍ للخليفة [(٦)] يَزُورُه ويتعرَّف به ، فكيف بِمَنْ يأتيه الخليفة ؟ فبكى وقال : ياقوم ، ما تدرون ما أصابنى ، كنتُ أجِدُ فى قلبى نورًا عظيمًا ونشاطًا فى طاعة الله تعالى ، فَوالله منذ وقع نظرى عليه زَالَ ذلك النور ، وذهبَ ذلك النشاط ! ثم لم يزل كذلك إلى أن مات .

ولمَّا حضرته الوفاة قلق قَلَقًا عظيمًا [(٧)] فقيل له : ما هذا القلق ؟ كُنْتَ وَرِعًا ، زاهدًا ، قائمًا على قدميك فى طاعة الله ، والقُدومُ على كريمٍ [(٨)] .

فقال : والله ما جزعتُ [من الموت] [(٩)] ولا أتَحَسَّرُ على شىء فاتنى

---

(١) فى ص : « لابد مما أراه » .
(٢) « حتى » عن « ص » .
(٣) فى « م » : « فقال لأصحابه » تحريف من الناسخ .
(٤) فى « ص » : « وما يصدُّك » .
(٥) فى « م » : « وطلع » .
(٦) فى « ص » : « أقَلّ غلامٍ لغُلامِ الخليفة » .
(٧) فى « م » : « شديدًا » .
(٨) أى : وقدومك على إلهٍ كريم بعد الوفاة .
(٩) مابين المعقوفتين عن « ص » .

من الدنيا ، إنَّما أتحسَّر على أنني منذ وقعت [١] عينى على ذلك الرجل [٢] ، ذهب عنى ماكنت أجده من الأُنس بالله ، والنور الذى كان فى قلبى ! ثم توفى – رحمةُ الله عليه .

* * *

وعند رجليه قبر الفقيه أبى محمد [٣] بن اللهيب ، رحمه الله تعالى ، كان فقيهًا فى علم الكلام على مذهب أبى الحسن الأشعرى ، رحمه الله .

قبر أبى العباس أحمد بن اللهيب [٤] :

وبجانبه إلى القبلة [٥] قبر أبى العباس أحمد بن اللهيب ، رحمه الله ، كان رجلًا خَيِّرًا ، يطعم الفقراء ويتصدق عليهم ، ويمشى إلى بيوتهم من الأرامل والمنقطعين [٦] .

وكان يخرج راكباً حماراً والخريطة فى كُمِّه مملوءة دراهم ، فلا يزال يتصدق منها [٧] إلى أن يرجع إلى منزله وهى فارغة ، حتى كان من كثرة ما يتصدق به يقول الناس عنه : إنه يفرق المطالب بالجبل . وكان يقال : إنه يطلع إلى الجبل فى أوقات الغفلات . وهو مشهور . وكان الفقراء يجدون عنده راحةً كبيرة [٨] .

---

(١) فى « م » : « أتحسر منذ وقعت » .

(٢) يريد الخليفة الآمر .

(٣) فى « م » : « أبو محمد » .

(٤) العنوان من عندنا .

(٥) فى « م » : « النقبة » تصحيف .

(٦) فى « ص » : « ويمشى إلى بيوت أهل الخير من الأرامل والمنقطعين فيتصدَّق عليهم » .

(٧) « منها » عن « م » .

(٨) فى « ص » : « كثيرة » .

قبر الفقيه يوسف – إمام مسجد العدَّاسين [١] :

وعلى مقربة منه [٢] قبر الفقيه يوسف ، إمام مسجد العَدَّاسين ، رحمه الله تعالى ، كان فقيهًا [٣] جيدًا ، سكِّيتًا ، قليل التعصب ، يَلْقَى كل أَحَدٍ بما [٤] يليق به . وكان مَنْ دَعَاهُ يمضى معه ، ما يتكبّر عن أُحَدٍ . وكان إذا قيل له : أُدْعُ لنا ، فأَكْثَرُ ما يقول لِمَنْ قال ذلك : قَضَى الله حوائجك ورزقك الجنة .

قبر الدِّرْعى – رحمه الله [٥] :

وفى آخر التربة من الشرق قبر الدِّرْعى رحمه الله ، كان قليل الكلام ، يأخذ خبزه فى طبق ويمضى [٦] به للفُرن ، فيلقاه أصحابه ، فيريدون حَمْلَهُ عنه ، فيقول : لا ، أنا أخدم نفسى .

وكان إذا ذُكِرَ عنده المذاهب والتَّعَصُّبات يقول : ياقوم ، ماهذه التعصبات ؟ القرآن كلام الله ، والرسول الذى أَتَى به رسول الله ، فنتبع مافيه ونَدَعُ ما سواه [٧] .

وَحُكِيَ عن رجل [٨] من أهل الخير قال : بعثتُ جمالًا لأسد الدين شيركوه فى أول أمره ، فطلبنى شيركوه صاحب مصر ، فاستخفيتُ وجئتُ إلى هذا الشيخ الدِّرْعى ، فقلت له : يا سيدى ، أنا فى شدة من أمر كذا وكذا ،

---

(١) العنوان عن « ص » .
(٢) أى : على مقربة من قبر أبى العباس أحمد بن اللهيب .
(٣) « فقيهًا » عن « ص » .
(٤) فى « م » : « ممن » .
(٥) العنوان من عندنا .
(٦) فى « ص » : « ويمشى » .
(٧) فى « ص » : « فيتبع مافيه ويُدع ما سواه » .
(٨) من قوله : « وحكى عن رجل » إلى قوله : « وَرَدَّ عليه المال » عن « م » وساقط من « ص » .

فأدار [١] وجهه للقبلة ودعا ، ثم قال : سلطان السماء يكفيك سلطان الأرض ! فَعُدْتُ إليه فى اليوم الثانى فقلت : ياسيدى ، قد اشتد الأمرُ والطلب عَلَىَّ . فقال لى مثل القول الأول . فرجعت وقد كفانى شر شيركوه ، وكان منه ماكان .

وحُكِىَ عنه أنه كان مسافرًا إلى مكة فى مركب ، فوقع منه ذهبٌ فى المركب ، فلقيه رجل بدوىٌّ ، فرأى فى المنام قائلاً يقول له : رُدَّ الذَّهَبَ إلى صاحبه الدِّرْعِىِّ . فاستيقظ وقال : لا أدفع له شيئًا . ثم نام ، فرأى أيضًا فى المنام القائلَ وبيده حَرْبَةٌ من حديد وهو يقول : ادْفَعْ للدِّرْعِىِّ ذَهَبَهُ وإلَّا قتلتك ! فقال : أين أَجِدُهُ ؟ قال : هو معك فى المركب . فلمَّا أفاق سأل عنه ورَدَّ عليه المال [٢] .

قبر الذهبى - رحمه الله [٣] :

ثم تخرج من التربة على يسارك [٤] تجد قبر الذهبى رحمه الله ، يُكنى أبا حفص ، ويُسمى عمر ، ويشتهر بالمقدسى ، كان رحمه الله من طلبة الطُّرطُوشى [٥] ، وكان متعصبًا لمذهب الأشعرى ، وكان كثير الضحك ، حضَرَ

---

(١) فى « م » : « فدار » .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .. وسيأتى بعد ذلك فى هذا الموضع فى « ص » ما كُتب عن الشيخ أبى الربيع سليمان ، والذى أشرنا إليه فى ص ٣٤١ - الهامش (رقم ٤) وقد أثبتناه فى موضعه المشار إليه .

(٣) العنوان من عندنا . وهو الإمام [illegible] ، حفص عمر الذهبى ، كان إمامًا بمسجد الهيثم والجامع العتيق بمصر ، وكان فقيهًا مُحَدِّثًا عالمًا من أكابر [illegible]ملاء [انظر الكواكب السيارة ص ١٤٩ و ١٥٠] .

(٤) فى « ص » : « من التربة إلى الشرق على يسارك » .

(٥) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى الفهرى الأندلسى ، ويقال له : ابن رندقة ، أديب ، من فقهاء المالكية الحفاظ ، من أهل « طُرطُوشه » ولد سنة ٤٥١ هـ . تفقه ببلاده ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦ هـ ، فحج وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان ، وأقام مدة بالشام ، وسكن الإسكندرية وبها توفى سنة ٥٢٠ هـ . وكان زاهدًا لم يتشبث من الدنيا بشىء ، من كتبه : سراج الملوك ، والتعليقة فى الخلافيات ، وكتاب كبير عارض به إحياء علوم الدين للغزالى .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ١٣٣ و ١٣٤ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٢ - ٢٦٥ ، وبغية الملتمس للضبِّى ج ١ ص ١٧٥ - ١٧٩ ترجمة رقم ٢٩٦ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣١ =

إليه ذات يوم رئيسٌ من اليهود [(١)] ، فَتَنَاظَرَا ، فقال له رئيس اليهود : فى كتابكم ﴿ وقالت اليهودُ يد الله مغلولة ، غُلَّتْ أيديهم ﴾ [(٢)] هذه يدى أُحَرِّكُهَا ، ليست مغلولة ، فأخرج يده ، وصنع [(٣)] اليهودى صفقته فى رأسه [(٤)] ، وكشف الفقيه رأسه وقال : يايهودى ، خُذْ عوضها . فقال : كنت أصلب [(٥)] على ذلك ، قال : فحينئذ يدك مغلولة [(٦)] .

وقيل [(٧)] : إنَّ سلطان مصر دعاه ليداوى امرأة مريضة عنده ، فقال الفقيه : أُداويها بِنَظَرِهَا أو بخبرها [(٨)] ؟ فقال السلطان : بل بخبرها . فصار السلطان يخبرها بما قال الشيخ ، وتُخْبِرُ بما تَجِدُهُ ، وهو يجيب ، فَأُعْجِبَ به السلطان .

وكان فى مجلسه رجلٌ من الشيعة [(٩)] ، فأراد أن يترجَّحَ على الشيخ بسؤال [(١٠)] ، فَحَضَّرَ صورة سؤال ما يأتى ذكره [(١١)] ، فقال لإنسان : قل

= و ٢٣٢ ، والصلة لابن بشكوال ج ٣ ص ٨٣٨ و ٨٣٩ ترجمة رقم ١٢٧٧ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٦٢ – ٦٤ ، والمُغْرِب فى حُلى المَغرب ج ٢ ص ٤٢٤ ، ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ و ٣١ مادة « طرطوشة » ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ١ ص ٣٩١ و ٣٩٢ . وانظر « أبو بكر الطرطوشى العالم الزاهد الثائر للدكتور الشيال – سلسلة أعلام العرب ، العدد ٧٤] .

(١) فى « ص » : « رئيس اليهود » .

(٢) سورة المائدة – من الآية ٦٤ .

(٣) فى « ص » : « وضع » .

(٤) أى صَفَّقَ على رأسه .

(٥) أصلب : أَجْمُدُ وأشتد .

(٦) جاء سياق هذه القصة فى « م » و « ص » مضطربًا . « وفى الكواكب السيارة ص ٢٥٦ بعد ذلك : أن اليهودى مَضَى ، فلما أصبح وجد يده مغلولة » .

(٧) من قوله : « وقيل » إلى قوله « الحديث » عن « م » وساقط من « ص » .

(٨) يعنى : أُداويها بطريق مباشر أو بغير مباشر ؟ .

(٩) هذه القصة وردت فى « م » ، وكانت ركيكة السياق ، وقمنا بتصويب مابها من تحريفات برغم مابها من بعض العبارات الغامضة المعنى .

(١٠) أى : يسأله سؤال ليهزه ويغلبه ليتبيَّن للناس فضله عليه .

(١١) لعله أراد إغفاله لما فيه من تطاوُل على أحد كبار الصحابة ، كما يتبين من القصة .

للشيخ مسألة : فقال : لا نقدر على جوابه . فقال [١] : لابد من ذلك . ففطن الفقيه ، فقال للشيعى : سَلْ أنت عمَّا بَدَا لك ، لا حاجة إلى واسطة . فقال له : مَنْ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال الفقيه : أولُ مَنْ آمَنَ به وصَدَّقَهُ . فقال [الشيعى] [٢] : هو علىٌّ بن أبى طالب . فقال الفقيه ماكَفَرَ علىٌّ قطّ . فَخَجَل الشيعىُّ من كلامه واستحيا وسكت ، فقال له السلطان : غَلَبَكَ الفقيه .

وكان من فضائله أنه كان ذا علوم جَمَّة ، وكان يحفظها كما يحفظ أحدنا « بسم الله الرحمٰن الرحيم » ولما أراد السفر إلى مصر قال له الطُّرْطُوشى : ياعمر ، إذا ذهبت [٣] إلى مصر فإنك تجد فيها اختلاف المذاهب والرأى ، فلا تُنَاظِرْ ولا تُجادِلْ مَن سألك على ما تعلم وأنت تعلم ، فأخبره بما تعلم ، قال النبىُّ ، ﷺ : « مَنْ قرأ العلم ليُباهى به العلماء ، ويُمَاوى به السُّفَهَاء [٤] ، فليتبوَّأْ مقعده من النار » . فإن لله علمًا يقال له « المكنون » ، لا يعلمه إلَّا أهل الخبرة بالله ، ولا ينكره إلَّا أهل الغِرَّة [٥] بالله ، فإذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فى صعيد واحد ، فَيُوضَعُ لهم كَرَاس [٦] من نور ، فَيُحاسَبُونَ والناسُ قيام ، فيقول الله لهم : « ما أَوْدَعْتُكُمُ العِلْمَ وَأَنَا أُريد أَنْ أُعَذِّبَكُم ، انطلقوا فقد غفرتُ لكم » . وفى رواية أخرى : « اشْفَعُوا فيمن شِئْتُمْ » الحديث [٧] .

وعند رجليه قبر الفقيه ابن ثعلب المالكى .

---

(١) أى : الشيعى .

(٢) مابين المعقوفين من عندنا .

(٣) فى « م » : « طلعت » .

(٤) وفى رواية : « مَنْ تعلَّمَ العِلْمَ ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء ... » أى : يجادلهم .

(٥) الغِرَّة : الغَفْلَة .

(٦) فى « م » : « كراسى » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

قبر الشيخ أبى الطيب « خروف » [١] :

وتمشى وأنت مُبَحِّرٌ على يسارك تجد قبر الرجل الصالح الشيخ « خروف » رحمه الله تعالى ، وكان يُسَمَّى أبا الطيب [٢] ، لِطِيب أعماله ، وليس فى تربته سواه ، والسَّبَبُ فى ذلك أنه سأَلَ اللهَ سبحانه وتعالى أَلّا يُدْفَنَ عنده أَحَدٌ . وقيل [٣] : إن قومًا سمعوا هذا الخبر [عنده] [٤] فقالوا : هَذَا هَذَيَان . فدفنوا عنده ميتًا ، فلما أصبحوا وجدوه مُلْقًى [٥] على وَجْهِ الأرض فامتنع الناس [٦] حينئذٍ من الدفن عنده .

قبر القاضى أبى زرارة [٧] :

وعلى يمينك قبر القاضى أبى زرارة [٨] رحمه الله ، كان فقيرًا زاهدًا ، صالحًا ، مُتَوكِّلاً ، عاملاً [٩] له إشارات ، وكان من وكلاء أحمد بن طولون .

---

(١) العنوان من عندنا . وهو الشيخ الزاهد ، والإمام العالم أبو الطيب « خروف » ، ذكره ابن الجبَّاس فى طبقة الفقهاء . وكراماته مشهورة .
[انظر الكواكب السيارة ص ٢٤٥ وغيرها من الصفحات ، وتحفة الأحباب ص ٣٧٧] .

(٢) فى « ص » : « أبو الطيب » .

(٣) فى « م » : « ونُقِلَ » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٥) فى « م » : « ملقيًا على وجهه » و « ملقيا » خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، لأنه اسم مفعول من الرباعى « ألقى » .

(٦) « الناس » عن « م » .

(٧) العنوان من عندنا .

(٨) فى « م » : « زرارة » والتصويب من الكواكب السيارة ص ٢٤٥ و ٢٤٦ .

(٩) قوله : « زاهدًا » عن « م » .. و« عاملًا » عن « ص » .

قبر الشيخ أبى القاسم هبة الله بن أحمد اليحمودى [١] :

وعند رجليه قبر الشيخ أبى القاسم هبة الله بن أحمد بن عطاء اليحمودى ، شيخ التصوف ، وأَحَدُ الأئمة المشهورين [٢] بالعلم والزهد والوَرَع ، وله تصانيفُ فى ذلك ، سَمِعَ الحديث من جماعة من المشايخ ، رَوَى عن بعض مشايخه بسنده أنَّ ابن عمر [٣] ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « يأتى على الناس زَمَانٌ لو سَمِعْتَ باسم رَجُلٍ خيرٌ لكَ من أن تلقاه ، ولو لقيته خيرٌ لكَ من أنْ تُجَرِّبَهُ ، ولو جَرَّبْتَهُ لأَبْغَضْتَهُ أو بُغِّضْتَ إليه » [٤] .

وقال اسماعيل المُفَسِّر : كان نقش فص خاتم علىٍّ بن أبى طالب عليه السلام :

« جَـرِّبِ النَّـاسَ تَعْـرِفْ لـيسَ فى النَّـاسِ مُـنْصِفْ »

وبسنده عن الاستراباذى [٥] قال : سمعتُ الحافظ إسماعيل قال : « الصديق فى هذا الوقت إذا حَضَرَ أَكْرَمَ وَمَدَحَ ، وإذا غَابَ عَابَ وقَدَحَ ، ظَاهِرُهُ مُوافِقٌ ، وباطنُهُ منافقٌ » .

وأنشد بعضهم فى هذا المعنى [٦] :

ذَهَبَ الذيـنَ مِـنَ الثِّقَـاتِ عَدَدْتُهُـمْ لَـمْ يَبْـقَ إلَّا شَامِتٌ أوْ حَـاسِدُ
وإذَا صَفَـا لَكَ مِـنْ زمَـانِكَ وَاحِـدٌ فَهُـوَ المرادُ ، وأَيْـنَ ذَاكَ الوَاحِـدُ ؟

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الكواكب السيارة ص ٢٤٥] .
(٢) فى « م » : « كان من الأئمة المشهورين » .
(٣) فى « ص » : « عن ابن عمر » .
(٤) فى « ص » : « عليه » مكان « إليه » .
وفى الكواكب السيارة : « لأبغضته وبصقت عليه » .
(٥) فى « ص » : « عن الحافظ إسماعيل » .
(٦) فى « م » : « بيتين شعر » ولم يردا فى « ص » .

وكان اليحمودى ، رحمه الله [١] من كبار مشايخ أهل الحقائق .

قبر الشيخ أبى موسى عيسى الخراط [٢] :

وبجانب قبره قبر الشيخ أبى موسى عيسى الخراط ، رحمه الله تعالى ، رَأى بعضُ مشايخ المصريين له قبل موته قائلاً يقول : عيسى من الذين قال الله فيهم : ﴿ وعِبادُ الرَّحمٰن الذين يَمْشُونَ على الأَرْضِ هَوْنًا ، وإذا خَاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالوا : سلامًا ﴾ [٣] .

وبجانبهم إلى الجهة البحرية حَوْمَةٌ فيها قبور جماعة من الصالحين [٤] ، منهم قبر « المَلاَّح » رحمه الله تعالى ، وكان رجلاً صالحاً زاهدًا .

قبر الشيخ أبى القاسم الأقطع [٥] :

وبالقرب منه قبر الشيخ أبى القاسم الأقطع ، كان من العلماء الفضلاء المقربين بجامع مصر ، وأحد الأئمة المشهورين فى زمانه بالعلم والوَرَع والزهد ، سَمِعَ الحديثَ ، وأَدْرَكَ جماعة من العلماء وأخذ عنهم .

حَدَّثَ الشيخ الصالح عبد الغنى الغَاسِلُ المصرىُّ ، قال : غَسَّلْتُ أبا القاسم الأقطع ، فَوَقَعَ القُطْنَ عن سَوْأَتِهِ ، فرفع [٦] يده اليُسرى فوضعها على سَوْأَتِه

---

(١) فى « م » : « رحمه الله ورضى عنه » .. وقد ذكره القرشى فى طبقة الفقهاء وعَدَّه من المحدِّثين . وهو من شيوخ التصوف فى عصره .

(٢) العنوان من عندنا . وما هنا – بعد ذلك – عن « م » إلى نهاية الآية ، وساقط من « ص » .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » . والآية هى الثالثة والستون من سورة الفرقان .

(٤) فى « ص » : « فيها قبور صالحين كثير » .

(٥) العنوان عن « ص » ولم يرد فى « م » ، [وانظر الكواكب السيارة ص ٢٤٤ و ٢٤٥ ، وتحفة الأحباب ص ٣٧٦] .

(٦) فى « ص » : « فرجع » مكان « فرفع » تحريف . وفى « م » : « فوضع يده اليسرى على سوأته بعد أن رفعها » . والسوأة : العورة .

"Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)"

فقلتُ : « واللهِ يا أبا القاسم ماهتكتُك ، ولكنى سترتُك » . وكنتُ كُلَّما قرأت : ﴿ ونُقَلِّبُهُم ذَاتَ الْيَمِينِ وذاتَ الشمال ﴾ [١] يتقلب معى يمينًا وشمالاً على المُغْتَسَلِ ، ولم يصل إلى الأرض من ماء غُسْله شىءٌ ، إنَّما كان يُؤْخَذُ ، حتى قيل إنَّ أهل مصر اقتسموه فى المكاحل ، فكان كُلُّ مَنْ رَمِدَ أو لحقه « طلوعٌ » [٢] أو غيره يكتحل منه ، أو يضعه على المحل الذى يشتكيه ، فيبرأ [٣] للوقت .

ولمَّا حُمِلَ على السَّرِيرِ [٤] جاء الطير فظَلَّلَ السَّرِيرَ إلى أن دُفِنَ الشيخ [٥] والناس ينظرون إليه . توفى سنة ثمانٍ [٦] وعشرين وخمسمائة .

ومعه فى الحومة منصور الزيات ، وعبد السلام السُّكَّرِى - رحمهما الله تعالى - [وحومته حومة مباركة كثيرة الصالحين] [٧] .

وبحرى قبره قبر فاطمة السوداء ، رحمها الله تعالى ، كانت من الصالحات العابدات القانتات [٨] .

* * *

وتمشى وأنت مُبَحِّرٌ تحت جوسق « عبد على » من الجهة البحرية [تجد] [٩] قبرًا عليه عمود ، فوق رأسه وَجْهٌ أبيض ، قيل : إنه كان [١٠] له

---

(١) سورة الكهف - من الآية ١٨ .

(٢) الطلوع : ما يخرج ويطلع بالبدن من قروح كالخُرَاج والدُّمَّل ونحوهما .

(٣) فى « ص » : « أو يُوضَع على « الطلوع » والألم فيذهب » .

(٤) فى « ص » : « النعش » مكان « السرير » فى الموضعين ، وهى بمعناها .

(٥) فى « م » : « حتى دُفِنَ » .

(٦) فى « م » : « ثمانية » .

(٧) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٨) فى « ص » : « كانت من الصالحين ، وكان من تحتها القرافة » .

(٩) فى « ص » : « من جهة البحر » . ومابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة السياق .

(١٠) فى « ص » : « قيل كان » .

صديق ، فلمَّا توفى قال صديقه : ياليت شعرى ، كيف وجه صديقى فى قبره ؟ فجاءَهُ ثانى يومٍ فرأى على عموده وجهًا أبيضَ – رحمهما الله تعالى – [١] .

وتجىء إلى الغرب قليلاً تجد قبر جَمَّال عائشة ، رضى [٢] الله عنها . وبجانبه من البحر تربة فيها قبر ابن هشام صاحب الرواية . وتستقبل الغرب تجد قبر عقبة بن عامر الجهنى ، رحمه الله تعالى ، وقد تقدم ذكره مع الصحابة رضوان الله عليهم .

قبر إدريس الخولانى [٣] :

وبجانبه من الغرب قبر إدريس الخولانى ، قال بعضهم [٤] : هو إدريس ابن يحيى مولى محمد بن ريَّان .

ويقال : هو [٥] أبو مسلم الخولانى ، وليس كذلك [٦] .

حَدَّثَ [إدريس] [٧] عن جماعة من العلماء ، منهم حَيوة بن شريح ، ورجاء بن أبى عطاء ، وبكر بن مُضَر ، وغيرهم .

قال إدريس الخولانى رحمه الله : كان رجلٌ فى زمان أبى جعفر المنصور يقرأ القرآن قراءة [٨] لم يسمع السامعونَ أحسن منها ، ثم يقول : يا إِخْوَتَاه ،

---

(١) من قوله : « ياليت شعرى » إلى هنا عن « ص » وساقط من « م » .

(٢) إلى هنا انتهى الجزء الأول من المخطوط « م » .

(٣) العنوان من عندنا وهو أبو عمرو إدريس بن يحيى الخولانىّ ، كان من أفضل أهل زمانه ، ولقى كبار التابعين ، فهو من تابعى التابعين ، ونُسِبَ إلى « خولان » بالسكن فيهم ، وفى هذا القبر اختلاف كثير ، فهو يُزار بِحُسْن النيَّة . [انظر الكواكب السيارة ص ٢٤٢] .

(٤) قوله : « قال بعضهم » عن « م » .

(٥) فى « ص » : « له » مكان « هو » .

(٦) قوله : « وليس كذلك » عن « م » .

(٧) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٨) قوله : « قراءة » عن « ص » .

تسمعونه من قراءة الخطّائين ، فكيف لو سمعتموه من قِرَاءَةِ الصّدّيقين ؟! وقال : والله ما أمَرَهُم إلّا بالزهد فى الدنيا ، وإنّ أحدهم ليأكل الأكلة عند الأخ فيرى منه ما يكره ، فتمنعه تلك الأكلة أنْ يَأْمُرَهُ أو ينهاه .

قال الرّبيع : سمعت إدريس الخولانى يقول لرجل [١] : عليكَ بعمل الأبطال . فقال له : وما عمل الأبطال ؟ قال : الكسبُ الحلال [٢] والكدُّ على العيال ، الحلال هو العبادة .

وقال [٣] القضاعى فى كتابه خطط مصر : إدريس بن يحيى الخولانى يُكْنَى أبا عمرو ، توفى سنة إحدى عشرة ومائتين [٤] ، ونُسِبَ إلى « خولان » لأنه سكن فيهم ، وهو مولى ريان بن عبد العزيز بن مروان ، وكان أفضل أهل زمانه ، وأعظمهم قدرًا وعلمًا .

ولإدريس هذا ابن يُقال له يحيى ، وليحيى ولد يقال له إدريس ، توفى سنة تسع [٥] وأربعين ومائتين ، ولعله صاحب هذا القبر المنكسر ، غَرْبِىّ قبر عقبة بن عامر ، والعامّةُ يقولون : هو قبر أبى إدريس الخولانى ، وليس كذلك ، لأنّ أبا إدريس من كبار تابعى صحابة الشام ، لَقِىَ معاذ بن جبل وغيره من كبار الصحابة ، ولم يُعْلَمْ دخوله إلى مصر ، وكان قاضى معاوية ، ومات بالشام ، وإدريسُ المذكور آنفاً مصرىٌّ ، أدرك تابع التابعين ، مثل الليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، ومات بمصر فى التاريخ المذكور . انتهى [٦] .

* * *

(١) « لِرَجُلٍ » عن « ص » .
(٢) فى « ص » : « الكسب من الحلال » .
(٣) من قوله : « وقال » إلى قوله : « انتهى » عن « م » وساقط من « ص » .
(٤) فى « م » : « وستمائة » خطأ من الناسخ ، والتصويب من الكواكب السيارة وغيره .
(٥) فى « م » : « تسعة » .
(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

ثم تمشى وأنت مُغَرِّبٌ تجد هناك قبور جماعة من الصالحين ، رحمة الله عليهم ، يُعْرَفُونَ بإجابة الدُّعاء ، وهو مَدْفَنٌ مُبارَكٌ .

قبر العيناء [1] :

وتجىء أيضًا وأنت مُغرب تجد قبر « العيناء » رحمها الله تعالى ، وعند قبرها مُعَلِّمَيِ الكُتَّاب [2] ، رحمهما الله تعالى ، على اليسار من العيناء . قيل : إنَّ صغيرًا عندهما فى الكتَّاب قَلَعَ عَيْنَ صغيرٍ ، فطلبوا قَوْدَهُ [3] منهما ، فقال أحدهما [4] : إنَّ الصغير لم يُصِبْهُ شىء ، ثم أخذ العين وردَّها فى مكانها ، ودعا الله فعادت كما كانت .

وقيل : إنَّ العيناء تعرَّض لها رجلٌ ، فقالت له : ما [5] أعجبكَ فِيَّ ؟ قال : عَيْنَاكِ [6] ! فاحْتَجَبَتْ ولم يَرَهَا [7] بعد ذلك أَحَدٌ حتى ماتت .

وعند جانبها البحرى بقليل [8] قبر ابن حُذَيْفَة اليمانى ، ويُسَمَّى بعبد الله [9] ، وقيل : إنه ابن حُذَافَة السَّهْمِيّ ، رضى الله عنهما ، وعنده الدعاءُ مُستجاب .

---

(١) العنوان من عندنا . وسُمّيت بالعيناء لحسن عينيها وقيل : إنه كان بعينيها شَبَه من عين فاطمة الزهراء ، وكانت عينا السيدة فاطمة تشبه عين الحور العين . [انظر الكواكب السيارة ص ٨٨ وص ٢٤١] .

(٢) فى « ص » : « معلم الكُتَّاب » . وفى المصدر السابق : « معلمى المكتب » والكُتَّاب والمكتب بمعنى واحد ، وهو مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن . [انظر المعجم الوسيط – مادة كتب] .

(٣) القَوْد : القصاص .

(٤) فى « ص » : « وقال لهم أَحَدُ المُعَلِّمَيْن » .

(٥) « له » عن « م » و « ما » عن « ص » .

(٦) فى « م » و « ص » : « عينيك » .

(٧) فى « م » : « يُرِدْها » .

(٨) فى « م » : « وقيل : عندها بجانبها البحرى » .

(٩) قوله : « ويُسمى بعبد الله » عن « م » .

قبر شُقْران العابد [1] :

وعند رأسه من الغرب قبر الشيخ شُقْران بن عبد الله المغربى ، رضى الله عنه ، وهو من [كبار] [2] مشايخ ذى النون المصرى ، رحمة الله عليه .

قال القضاعىُّ [3] فى كتابه الخطط : هو شُقْرَان العابد ، أستاذ ذى النون ، تُوفى قبل ذى النون ، لا أعلم فى أىِّ سنة تُوفى ، فإنى لم أقف له على تاريخ وفاة ، وقبره شرقىّ التربة التى فيها قبر ذى النون ، بينهما تُربتان : إحْدَاهُمَا لأبى جعفر بن حواصل ، والأخرى تُلاصقها ، يُصْعَدُ إليها بَدَرَج ، ويُنْزَلُ إلى هذا القبر بدَرَجٍ أيضًا ، وهو أحد القبرين اللَّذَيْنِ فى ظَهْرِ مَحَاريب ابن حَوْلى القرقوبى ، ذاتُ القبور التى أكثرها مُنكسة ، وهى ملاصقةٌ لِظَهْر أحد المحاريب التى بالتربة المذكورة ، إلى جانب القبر الذى عليه عمود كدان ، يُعرف بأبى الربيع الزبدى [4] .

وأخذ ذو النون على شُقْران ، وتأدَّبَ بأدبه ، وتوفى وهو فى صُحْبَتِهِ . انتهى [5] .

* * *

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الكواكب السيارة ص ٢٣٧ - ٢٤٠ ، وتحفة الأحباب للسخاوى ص ٣٧٠ وفيها - حاشية - تذكر أن شقران العابد هذا لم يمت بمصر ، بل مات بالقيروان ، وقبره إلى الآن بباب سلم مشهورٌ ، ومقصود بالزيارة] .

(٢) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٣) من قوله : « قال القضاعى » إلى قوله : « انتهى » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٤) فى « م » : « الزبدى » تصحيف ، والتصويب من السخاوى فى تحفة الأحباب (ص ٣٧١) لأن الناس كانوا يشمون منه رائحة الزبد . وسيأتى بعد قليل .

(٥) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال ذو النون : [سمعتُ شُقْران يقول] [١] « إنَّ للهِ عبادًا خرجُوا إليه بإخلاصهم ، وشَمَّرُوا إليه بطيب أسرارهم [٢] ، فأقاموا على صفاء المعاملة فى محاريب الكدِّ ، فساروا فى ميادين أنوار ملكوته [٣] ، وبادروا لاستماع كلامه بحضور أفْهَامِهم ، فعند ذلك نظر إليهم بعين الملاحظة ، وشاهد منهم نَهَدَاتِ الأَسَف ، وفى ضمائرهم حَرارَات الشَّغَف ، فعندها أَسْرَجَ لهم نجائبَ المَواهب ، وحَفَّتْ بهم منه العطايا والتَّأْييد ، وأذاقهم كأس الوداد ، فطلعت فى قلوبهم كواكب مراكب [٤] القَلَق ، وجَرَتْ بهم فى بحار الاشتياق ، فوصلت إلى روح نسيم التَّلاقِ ، فكيف إذا رأَيْتَ [٥] ثُرَيَّا الإيمان قد عَلِقَتْ فى قلوبهم ، وهلالَ التوحيد قد لاحَ بين أعينهم ، وبحار الوفاء قد تَدَفَّقَتْ فى قلوبهم ، وأنهار ماء الحياة [٦] قد تصادمت إلى جوارحهم ، فتَنَسَّمُوا روائحَ الدُّنُوِّ من قُرْبه ، وهَبَّتْ رياحُ اللقاء من تحت عرشه ، فَوَفَدَتْ [٧] هواتفُ الملكوت بألْسِنَةِ القُدْرَة إلى أسماعهم وأفهامهم ، وشَيَّعها رَوْحُ نسيمِ المُصافَاة إلى أذهانهم ، وأَوْقَدَتْ فى أسرارهم [٨] مصابيح الأفكار ، واشتعلت ضمائرهم [٩] ، وزَفَّتْ إلى قلوبهم أزواج القلق ، وزَجَّ بها الشوق فى مفاصلهم ، فتطايرت أرواحهم [إلى روح] [١٠] عظيم الذخائر ، ثم نادَتْ : لا بَرَاحَ وذلك أنها لمَّا وصَلَتْ إلى

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » ، والكواكب السيارة ص ٢٣٨ ، ولم يرد فى « م » ، سقط سهوًا من الناسخ .

(٢) فى « ص » : « بطيب نظافة قلوبهم وأسرارهم » . وفى الكواكب السيارة : « بطيب نظافة أسرارهم » .

(٣) فى « م » : « ملكوت أنواره » .

(٤) فى الكواكب السيارة : « مواكب » .

(٥) فى « ص » : « فكيف لو رأيت » .

(٦) فى « م » : « وأنوارها الحياة » تحريف من الناسخ .

(٧) فى الكواكب السيارة : « فَوَافَتْ » .

(٨) فى « ص » : « أسرار » .

(٩) فى الكواكب السيارة : « فأشْغَلَتْ ضمائرَهم بالأذكار » .

(١٠) مابين المعقوفتين عن « ص » . والكواكب السيارة .

الحجاب الأعظم المعظم [١] أقسمتُ ألّا تَبْرَحَ ولا تزول حتى تَنْعَمَ . فَكَشَفَ لها الحجابَ ، وناداها : أنا الرَّبُّ الأعظم المعظم ، أنا عَلّامُ الغُيوب ، أنا المُطَّلِعُ على الضمائر ، أنا مراقب الحركات ، أنا رَاصِدُ اللَّحَظات [٢] ، أنا العالِمُ بمجارى الفكر وما أُصْغِتْ إليه الأسماع .

ثم قال لأرواحهم : أنا طالعتُكِ ورفعتُكِ إلى قُرْبِى ، وقرنتُ ذِكْرِى مع ذكركِ ائْتِلافاً ، وعَرَّفْتُكِ نَفْسِي وصافَيْتُكِ إعطافاً ، وجَلَّلْتُكِ سترى إلحافاً ، فَاشْكُرِى لى أَزِدْكِ أضعافاً [٣] .

ثم قال : ياقُلوبَ صَفْوَتِى التَّبِعِى ، ويا أهلَ مَحَبَّتِى حافِظُوا على لزوم مَوَدَّتى .

فلما وَعَت القلوب كلامَ المحبوب وَرَدَتْ على بحر الفهم ، فاغترَفَتْ منه رِىَّ الشراب ، فَهَلَّ عليها عَارِضٌ [٤] صَدَرَ إليها من محبوبها ، فسجَدَتْ له تعظيمًا ، وأذِن لها فكلَّمَتْهُ تكليماً [٥] ، وأفْرَغَ عليها من نُوره فزادَها تَهْيِيمًا [٦] ، فَرَجَعَتْ إلى الأبدان بطرائف الفوائد [٧] ، فَظَمِئَتْ وَعَطِشَتْ ... فهل تدرى ما أعطشها ؟! كَشَفَ لَها عن غيوبه [٨] فطاشَتْ ، وشاهَدَتْ قُرْبَهُ فعاشَتْ ، فى كل يومٍ تطالع [٩] علمًا جديدًا ، فهو لها يزيد [١٠] ، وكيف لا يكون هذا

---

(١) قوله : « المعظم » عن « م » .
(٢) فى « ص » : « مُراصِدُ اللحظ » .
(٣) فى « م » : « فاشكرنى أذكركَ إعطافًا » . وفى الكواكب السيارة : « فاشكرينى » .
(٤) فى « م » : « سهل عليهم » تحريف من الناسخ . والعَارِض : المطر .
(٥) « تكليمًا » عن « ص » ولم ترد فى « م » .
(٦) هكذا فى « م » وهى تعنى : شدة الحُب . وفى « ص » : « تهيبًا » تحريف .
(٧) فى « م » : « الفرائد » .
(٨) فى « ص » : « عيونه » تحريف . وفى الكواكب السيارة : « غيوبها » .
(٩) فى « م » : « يطالع » .
(١٠) فى « م » : « يريد » بالراء .

العبد كذلك وأنوار الصدق عليه متراكمة ، ومراتب الحقائق فيه مُنْتَصِبَة ، وروحه قد سارت فى مواكب [(١)] التوفيق ؟! فلو شاهَدْتَ سَرَائرَهم وقد وصلتْ إليه فَرَوَّاهَا مِنْ نَسِيمِ قُربه ، وزَوَّدها من طرائف علمه المكنون ، ﴿ وفى [(٢)] ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

ثم بكى طويلاً وقال : ياذا النون [(٣)] ، أَيْنَ مَن أُسْرِجَتْ بواطنُه بُحِبِّ الله ؟ أين مَنْ ظَهَر على جَوارِحِه نور خِدْمَة الله فَشَهِدَ شواهدَ الهَيْبَة عطاياه فحمد الله ؟ أين مَنْ شَهِدَ القُرب فلم يتحرك ؟ أين مَنْ راقبَ الرَّبَّ فى سرائره ؟ أين مَنْ دامت بمعاملته ظواهره [(٤)] ؟ أين من نطق بعِلْم القُرْب منه [(٥)] ؟ أين من شرب بكأس المحبة ؟ أين مَنْ عرفَ الطريق ؟ أين مَنْ نطقَ بالتحقيق ؟ أين مَنْ أُدْنِىَ فلم يبرح ؟ أَيْنَ مَنْ شُوِّقَ فلم يَفْرَحْ ؟ أين مَنْ سُقِىَ فَبَاح ؟ أين مَنْ بَكَى فَناحَ ؟ أين مَنْ أَلِفَ فَشُغِلَ ؟ أين مَنْ وصَلَ فَغَنِمَ ؟ أين مَنْ لَزِمَ فَأُخْبِرَ ؟ أين مَنْ صَلَحَ فَأُحْضِرَ ؟ أين مَنْ رَضِىَ فَقَنَعَ ؟ أين مَنْ صبر فاقتنع [(٦)] ؟ أين مَنْ بَكَى بِعَوِيل ؟ أين مَنْ صرخ بغليل [(٧)] ؟ أين مَنْ رَضِىَ فَطَابَ ؟ أَيْنَ مَنْ شُوِّقَ فَذَابَ ؟ أين مَنْ شَفَّهُ الودادُ ؟ أَيْنَ مَنْ جَدَّ باجتهاد ؟ أين مَنْ هَمُّهُ الحبيبُ ؟ أَيْنَ مَنْ دَهْرُهُ غريبٌ [(٨)] ؟ أين مَنْ طَالَعَ المكشوفَ ؟ أَيْنَ مَنْ أَمَرَ بالمعروفِ ؟ أين

---

(١) فى « م » : « مراتب » . وفى الكواكب السيارة : « مراتب التوفيق بإقلاع الإنابة ، إلى محبوبها تسير » .

(٢) فى « ص » : « ففى » . والآية هى الآية السادسة والعشرون من سورة المطففين .

(٣) فى هذا الموضع زيادة فى « ص » هى : « ألا لَهِجٌ خَلُومٌ ، ألا بَطَلٌ يدوم ، ألا حليفُ ودادٍ ، ألا صَحِيحُ اعتقاد ، ألا حبيبٌ لبيبٌ ، ألا مطرودٌ كئيبٌ ، ألا شيخٌ مشتاقٌ ، ألا راغبٌ فى الجزيل ، ألا عارفٌ بالجليل » . وقد أثبت هذا ابن الزيات فى الكواكب السيارة .

(٤) فى « ص » : « أين مَنْ دامت معاملته ؟ » .

(٥) « منه » عن « م » .

(٦) هكذا فى « م » و « ص » .. وفى الكواكب السيارة « فَأُشْبِعَ » .

(٧) أى : بحرارة .. وفى « ص » : « بعليل » .

(٨) أى : أين من عاش فى دهره كالغريب ؟

مَنْ تألَّف الهموم ؟ أيْنَ خُدَّامُهُ الصُّيَّامُ ؟ أين عُمَّالُهُ القِيَامُ [١] ؟ أين مَنْ ذَاقَ ما أُصِفُ ؟ أين مَنْ جَدَّ مُلْتَهِف [٢] ، أين مَنْ كَانَ ذِكْرُهُ غِذَاه ، أين مَنْ قَلْبُهُ مَرْآه ؟ أين مَنْ بانَ واستبانَ ؟

ياذَا النُّونِ ، فلو رأيتهم وقد أخرجهم بعدما أَحْسَنَ تقويمهم ، وأَجْلَسَهُم على كراسي الأَطِبَّاء وأهل المعرفة ، وجعل تلامذتهم أَهْلَ الوَرَع والتُّقَى ، وضَمِنَ لهم الإجابة عند النداء ، ثم قال لهم : يا أوليائى وأهل صفوتى ، إنْ أتاكم عليل فَدَاوُوه ، أو فارٌّ مِنِّى فَرُدُّوه ، أَوْ آيِسٌ من رحمتى وفَضْلِى فَعِدُوهُ ، أو مُبارِزٌ لى بالمعاصى فَنادُوه ، أو مَسْتَوْصِفٌ نحوى فَدُلُّوهُ ، أو خائف مِنِّى فأَمِّنُوهُ ، أو مُسِيءٌ بعد إحسانٍ فَرَغِّبُوهُ ، أو مَنْ جَنَا [٣] جناية وَحَزِنَ فَسُرُّوهُ ، وإنْ وُهِبَتْ لكم هِبَةٌ فَشَاطِرُوهُ .. ويا أهل صَفْوَتِى مِنْ خَلْقِى لا يُفْزِعَنَّكُمْ صوتُ جَبَّارٍ دُونِى ، ولا مَخْلُوقٌ من خَلْقِى .

إنه مَنْ أَرَادَ بِكُم سُوءًا [٤] قَصَمْتُه ، ومَنْ آذاكُم [٥] أهلكته ، ومَنْ عاداكم عاديته ، ومَنْ أحبَّكُمْ [٦] أَحْبَبْتُهُ .

فلما نَظَرَ القومُ إلى حُسن لُطْفه بهم اجتهدوا غاية الاجتهاد [٧] ، وأَلِفَتِ الجوارحُ منهم المسارعة إلى مَرْضَاته ، والمبادرة إلى خدمته [٨] ، وأَسْقَطَتْ

---

(١) قوله : « أين عُمَّاله القيام » عن « ص » .. وفى الكواكب السيارة : « أين مَنْ عَمِلَهُ القيام » . والصُّيَّام : جمع صائم .

(٢) أى : أين مَنْ هو شديد اللهفة وجادٌّ فى عبادته لله سبحانه وتعالى .

(٣) فى « م » : « أوجَنَا » .

(٤) فى « ص » : « من أرادكم بمكروه » .

(٥) فى الكواكب السيارة : « أَذَلَّكُم » .

(٦) فى « م » و « ص » : « ومَن أَحَبَّكُم فىَّ » . وما هنا عن الكواكب السيارة .

(٧) فى المصدر السابق : اجتهدوا غاية الاجتهاد فى خدمته » .

(٨) فى المصدر الأسبق : « إلى طاعته » .

الرَّاحات ، وأزَالَتِ الآلات [١] ، فَوَرَّثَهُم إخْلاصُهُم الزَّفرات ، ثم تضاعفت لهم التُّحَفُ ، فإذا جاء أَحَدَهُم [٢] النَّهارُ بَكَى عليه الدُّجَا ، ويستشرف به الفَجر [٣] ، وتُوَدِّعُه الكواكب ، ويُصافِحُهُ النَّهارُ ، وتُساعده الأفلاك [٤] .

ثُمّ يَصِلُ فكره [٥] إلى العرش ، ثم تصل أنفاسه [٦] إلى الكرسى ، فعند ذلك يا أخى تُرَحِّبُ به السَّمٰوت ، وتُسَلِّمُ عليه الجبال ، وتأنس به الوحوش ، وتفرح به المَواطِنُ [٧] ، وتخضعُ له الملوك ، وتلوذ به المواشى ، وتَتَبرَّكُ به الأشجار ، وتحنُّ إليه البهائم ، ويأتى من أَجْلِهِ القَطْر ، ويتضاعف ببركته النبات ، وتهابُهُ الفُجّارُ ، وترهبه الشياطين ، وتحفُّه الملائكة فى اللَّيْل والنهار بأجنحتها ، وتُسلم عليه الحيتان [٨] فى البحار إذا مَرّ بها ، وإذا نظر إلى الأرض تقلبت عن أنوار الزهر ، إذا مَرَّ بيده [٩] على العليل أبرأَهُ ، وإذَا وعَظَ سقيمَ الذُّنوبِ أشْفَاه ، وإذا نَظَرْتَ إليه شَهِدَ له قلبك بالصِّدْق . أَنِسَ بالوَحْدَة بعد الاجتماع ، وخَالَطَ الجُوعَ بعد الطعام ، وسَارَعَ إلى الظَّمَإ بعد الشراب ، وَلَبِسَ الْخِرَقَ بعد الخَزِّ ، ورَكَنَ إلى الخراب بعد القصور . (انتهى) .

قال خادم شُقْران : دعانى شُقْران [١٠] ليلة فقال : أريد أنْ أغتسل . فلم

---

(١) هكذا فى « م » و « ص » .. وفى المصدر الأسبق : « وأزالت الآفات » .

(٢) « أحدهم » عن « م » .

(٣) فى الكواكب السيارة وفى « ص » : « ويستبشر بهم الفَجر » .

(٤) فى الكواكب السيارة : « تودعهم ... وتصافحهم ... وتساعدهم » بصيغة الجمع .

(٥) فى المصدر السابق : « ثم يَتَّصِلُ فكرهم » .

(٦) فى المصدر السابق : « أنفاسهم » .

(٧) فى « ص » : « البواطن » تحريف . وقد أثبتنا هنا (واو) العطف عن المصدر السابق فى عدة جُمَلٍ ، إلى قوله : « انتهى » عند نهاية الفقرة .

(٨) فى « م » : « الحيَّات » تحريف .

(٩) فى « ص » : « إذا مَدَّ [أحدهم] يده » ومابين المعقوفين هنا عن الكواكب السيارة .

(١٠) قوله : « شقران » عن « م » .

أجدْ ماءً ، فلحَظَ السماءَ بطرفه وقال : اللهم إنى قد عجزتُ عن الماء ، وانقطع رجائى مِنْ غيرك ، فَاعْطِف على قِلّةِ حيلتى . فقمتُ فسمعتُ وَقْعَ الماءِ فى الإناء ، فَمَسَّ الشيخ الماء بيده فوجده [١] باردًا ، فَحَرَّكَ شفتيه فَسَخُنَ الماءُ ، ثم جاءَ إلى المُغْتَسَلِ ، وكانت ليلة باردة مظلمة ، فقال : لو كان معنا مصباح كان أمكَنَ فى طُهْرى . فرأيتُ مصباحاً قد أُنفِذَ له فاغْتَسَلَ .

وبلَغ ذَا النُّون خَبَرُ شُقْران بالمغرب ، فأتاه من مصر ، فسأل عنه ، فقيل له : السَّاعَةَ قد دَخَلَ [الخلْوَة] ، وهو لا يخرج من بيته إلَّا [مِنَ الجمعة] إلى الجمعة ، ولا يُكلم أحدًا إلَّا بعد أربعين يومًا [٢] .

[قال ذو النون] [٣] : فأقمتُ أربعين يوماً على بابه ، فلما خرج قال : ما الذى أقْدَمَكَ على بلادنا ؟ قلت : طَلَبُكَ ! فوضع لى يدى رُقْعَةً قَدْرَ الدِّينار ، مكتوبًا فيها : « يادائمَ الثَّباتِ ، يامُخرِجَ النَّبات ، ياسامعَ الأصوات ، يامُجيب الدَّعوات » . فما سألتُ اللهَ بها حاجة إلَّا قضاها لى . وكانت هذه الرحلة مغبوطة بهذه الدعوات .

وَأُتِىَ [٤] شُقْران بصغير أعمى فَدَعا له ، فأبصر .

وجاء له الناس مرة يسألونه [٥] أن يستسقى لهم ، وخرج من بيته والسماء صَاحِيَة ، ووقف بينهم والسماء صاحية ، وجعل يقول : اسْقِنِى اسقنى ، السَّاعَةَ السَّاعَةَ ، فَأَرْعَدَتِ السماءُ وأَبْرَقَتْ ، وجاء مطرٌ عظيم كأفواه القِرَبِ [٦] .

---

(١) فى « م » : « فَمَسَّ الماءَ فوَجَدَهُ » .

(٢) من قوله : « وبَلَغ ذا النون خبرُ شقران » إلى هنا عن « ص » وساقط من « م » وستأتى بقية الحكاية بعد ذلك فى « م » . ومابين المعقوفتين عن تحفة الأحباب .

(٣) مابين المعقوفتين من عندنا .

(٤) من هنا إلى قوله : « كأفواه القِرّب » عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) فى « م » : « يسألوه » لا يصح ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

وكان شُقْران من أجمل الناس ، فنظرت إليه امرأة فشغفت به [(١)] ، فذكرتْ شأنها لعجوزٍ ، فقالت العجوز : أنا أجمع بينكما . فَمرَّ شقران يومًا ، فقالت له العجوز : لى ولدٌ [غائب] ، وقد جاءَنى كتابُهُ [(٢)] ، وله أختٌ تحب أن تسمع كتابَهُ ، فلو جِئْتَ وقرأته على الباب لَشَفَيْتَ الغَليل ، وأطفأت النَّارَ [(٣)] . فقال : نعم . ودنا من الباب ، فقالت : ادخل يسيرًا ، فدخل ، فقالت : ياسيدى ، أُخته تخشى أنْ يدخل أَحَدٌ [(٤)] ، فهل لَكَ أن تغلق الباب ؟ فقال : نعم . فلما أغلق الباب برزتْ إليه [(٥)] امرأةٌ جميلةٌ قد تعطرتْ ، فَوَلّى بوجهه عنها ، فقالت : كُنْتُ مُشتاقةً إليكَ . فقال لها : أين الماء حتى أتوضَّأ ؟ فَأَتَتْهُ بالماء ، فقال : اللهم إنَّكَ خَلَقْتنى لِمَا [(٦)] شِئْتَ ، وقد خشيتُ الفتنة ، وأنا أسألك أنْ تَصْرِفَ شَرَّهَا عَنّى وتُغَيِّرَ خِلْقَتِى . فخرجَتْ إليه ، فَوَجَدَتْ خِلْقَتَهُ اليُوسُفِيَّةَ أَيُّوبِيَّةً [(٧)] ، فدَفَعَتْهُ فى صدره وقالت : أُخْرُجْ . فَخَرَجَ وهو يقول : الحمد لله رب العالمين . ثم عاد إليه حُسْنُهُ .

وجاءه [(٨)] رجلٌ ومعه صغيرةٌ قد لَحِقَهَا الجنونُ ، فقرأ عليها شُقْرَان ، ثم أَخَذَهَا أبوها ومَضَى بها إلى البيت ، فَصُرِعَتْ ، وتكلَّم الجِنّىّ على رأسها وقال : أَمَّا أنا ، فَوالله لا سَكَنْتُ هذه البلدة ولا عُدْتُ إليها خوفًا من شُقْران أنْ يَحْرِقَنِى ،

---

(١) فى « ص » : « فقيلت فيه » . وشَغِفَتْ به : أَحَبَّتْهُ وأُولِعَت به .

(٢) كتابه ، أى : رسالة منه . ومابين المعقوفتين عن « م » .

(٣) فى « ص » : « وأطفأت نارًا قدحها » هكذا .

(٤) فى « ص » : « يدخل أَحَدٌ فيقف » . وفى تحفة الأحباب : « فقالت له : ادخُلْ لتسترنا عن أعين الناس » .

(٥) فى « ص » : « فأغلقت الباب وبرزت إليه ... » .

(٦) هكذا فى « ص » وفى تحفه الأحباب .. وفى « م » : « كما » .

(٧) أى : وجَدَتْ صورته التى كانت فى جمال سيدنا يوسف صارت مثل سيدنا أيوب حينما ابتلاه ربه بالمرض .

(٨) فى « م » : « وجاء إليه » .

فإن مَسَّهَا غيرى فلا حَرَجَ عَلَىَّ ، وعَرَّفُوا شقرانَ بذلك لِئَلا يَعُودَ إلى الدعاء علىَّ .

قبر أبى الربيع الزُّبْدى [١] :

وتجد إلى جانبه من القبلة قبر الزُّبدى [المعروف بأبى الربيع] [٢] رحمه الله تعالى ... كان رجُلاً صالحاً ، قيل : إنه مَرَّ على أُنَاسٍ فقالوا : إنَّا نَشَمُّ عليكَ روائحَ الزُّبدة . فقال : إنِّى أُحِبُّهَا فَأَظْهَرَها اللهُ تعالى عَلَىَّ .

وعند [٣] رأس قبره عمود من الحجر الكدان ، عليه كتابة « الشيخ أبو الربيع » . ودَرَسَتْ هذه الكتابة .

وكان أبو الربيع مستجاب الدعاء ، على غاية من سلامة الصدر ، وأنَّ أبا الطَّيِّبِ أحمد بن على الماذَرَائى [٤] ، وزير الديار المصرية ، اجتهد فى الاجتماع به فلم يُمَكِّنْهُ ، فبذل مائة دينار لإنسان من أصحاب الشيخ بشرط أنْ يجمع بينهما . فقال : نعم بسم الله . ثم مَضَى إليه وقال له فى عيادَةِ رَجُلٍ مُسلمٍ فى غدٍ بعد صلاة الصبح ، فقال : نعم ، وكان يصلى الصبح فى الجامع العتيق ، وكان مَسْكَنُهُ بالقرافة ، فلما أصبح مَضَى به الرجلُ إلى دار أبى الطَّيِّبِ ، ودخَلَ معه ، فقرأ ودَعَا ، وقد كان تأمَّل الدَّارَ والآنية والفُرُش ، فلما خرج أقبل على الرجل وقال : ما يصنع هذا ؟ فقال له الرجل : إنه يبيع القلقاس ! فقال : ويربح هذا كله فى القلقاس ؟ قال : نعم . وعجب الشيخ من ذلك ، فكان إذا اشتكى إليه إنسانٌ الفقرَ والضِّيق وقِلَّةَ المعيشة يقول له : عليكَ بِبَيْعِ القلقاس !

---

(١) العنوان من عندنا . وهو الشيخ أبو الربيع سليمان الزُّبدى ، ذكره القضاعى فى تاريخه ، وله حكايات مشهورة مع الوزير أبى بكر الماذرائى . [انظر تحفة الأحباب ص ٣٧١ ، والكواكب السيارة ص ٢٤٠] .

(٢) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٣) من هنا إلى قوله : « بذى العَقْلَين » عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) فى « م » : « الماردانى » تحريف ، وسبق التعليق عليه .

ومنه بقليل إلى الغرب قبر الشيخ الصالح محمد الملقب بذى العَقْلَيْن [١] .

والحومة حومة مباركة ، ينبغى لِمَنْ وقف فى ذلك الموضع أن يبتهل إلى الله تعالى ويدعو ، فإنه – سبحانه وتعالى – لا يُخَيِّبُ مَنْ دعاه .

قبر ابن عبد الرحمٰن بن عوف [٢] :

وتمشى وأنت مُغَرِّبٌ تجد على يسارك تُربة فيها قبر ابن عبد الرَّحمٰن بن عوف الزهرى رحمه الله تعالى . وعلى يسارك داخل التربة قبر الشريف رحمة الله عليه . قيل : مَنْ وقف بين قبر الشريف وقبر ابن عوف ودعا الله تعالى استجاب دُعَاءَه .

وحَكى عبد السَّلام بن سعيد رحمه الله قال : مَرِضْتُ مَرَضًا شديدًا أشرفْتُ فيه [٣] على الهلاك ، وعَجَزَتِ الأَطِبَّاءُ عن المداواة ، فَيَئِسْتُ ، فلما كان فى بعض الليالى رأيتُ فى النوم قائلاً يقول لى : امْضِ إلى قبر ابن عبد الرحمٰن بن عوف وقِفْ بينه وبين الشريف [٤] المدفون معه فى التربة ، والصقْ ظَهْرَكَ بالحائط ، وابتهلْ إلى الله تعالى ، واسأله أنْ يُفَرِّجَ عنك . قال : فلما أصبحتُ ذكرْتُ ذلك لأهلى وقلتُ : لابُدَّ لى من المُضِىِّ إلى ذلك الموضع ، فحملونى إليه ، فدَعَوْتُ الله عنده [٥] ، فَفَرَّجَ عَنِّى وعافانى ، وما وقعتُ بعد ذلك فى شِدَّة أو عَسُرَتْ علَىَّ حاجةٌ إلّا ومضيتُ إلى ذلك الموضع ودعوتُ الله فَيُفَرِّج عنى [٦] .

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) العنوان من عندنا . وهو عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهرى ، ذكره القرشى فى طبقة التابعين . وحكى القضاعى أن بمصر مقبرة تعرف بمقبرة بنى زهرة ، وأن الشافعى دُفِنَ بوسطها . وذكر الضرّاب فى علماء مصر عبد الله هذا ، وليس فيه خلاف .
[انظر الكواكب السيارة ص ٢٤١ ، وتحفة الأحباب للسخاوى ص ٣٧١] .

(٣) فى « م » : « منه » .

(٤) اسم الشريف هذا « الفريد » . [انظر المصدرين السابقين] .

(٥) فى « م » : « عندهما » أى : عند عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عوف ، والشريف الفريد .

(٦) فى « ص » : « فَيُفرِّج الله عنى » .

قبر صاحب الدُّرَّابَة [١] :

وتخرج من التربة وتأتى إلى الجهة البحرية [٢] تجد على يمينك قبرَ صاحب « الدُّرَّابَةِ » رحمه الله تعالى ، قيل : إنَّ ذا النُّون المصرىَّ ، رضى الله عنه ، رأى فى المنام كأنَّ قائلاً يقول له : ياذَا النُّون ، إذا كان غدًا ، اجْلِسْ على شفير [٣] الخندق يجىء [إليك] وَلِىٌّ من أولياء الله تعالى ، ميتٌ محمول على دُرَّابَة ، فَجَهِّزْهُ وصَلِّ عليه [٤] . قال : فلما أصبحتُ جئتُ وجلستُ [٥] على الموضع الذى وَصَفَ لى ، وإذا بِرَجُلَيْنِ ، يحملان رَجُلاً مَيِّتًا على دُرَّابة ، فقلتُ لَهُمَا حُطَّاهُ واذهبا [٦] .

قال ذو النون : فَغَسَّلْتُهُ ، وكَفَّنْتُه ، وصَلَّيْتُ عليه ، ودفنتُه . وأَوْصَى ذو النون [٧] إذا مات أن يُدْفَنَ تحت رِجْلَيْهِ . فَفُعِلَ ذلك به [٨] . قال ذو النون : فرأيتُ [٩] تلك الليلة فى منامى ذلكَ الرَّجُلَ الذى دَفَنْتُهُ وعليه حُلَّةٌ من السُّنْدُس ، فقال : ياذاَ النون ، جزاكَ الله عنى خيرًا .

---

(١) العنوان من عندنا ، والدُّرَّابة هنا بمعنى السرير الذى يُحمل عليه الميت ، ولم أقف عليها فى المعاجم العربية التى تحت يدى بهذا المعنى .

(٢) فى « ص » : « وتأتى بحرى » .

(٣) فى « ص » : « إذا كان من الغد اقعد » . والشفير : الجانب والناحية ، ومابين المعقوفتين – بعدها – عن « م » .

(٤) فى « ص » : « رجل ميت ، تُجهزه فتصلى عليه » .

(٥) فى « ص » : « وقعدتُ » .

(٦) فى « م » : « فقلت لهم حُطُّوهُ واذهبوا » بصيغة الجمع ، وهذا جائز فى اللغة باعتبار من يسير خلفهما من المشيعين .

(٧) فى « م » : « ذا النون » لا تصح .

(٨) فى « م » : « أنه عند موته يُدْفن تحت رجليه ، فَفُعِلَ به ذلك » .

(٩) فى « م » : « فرأيته » . و « ذو النون » قبلها عن « ص » .

قبر الجَزرِىّ [١] :

ويقابل قبر صاحب الذُّرَّابة [٢] قبر الجَزرِىّ رحمه الله تعالى ، كان رجلاً صالحًا من جزيرة ابن عمر [٣] ، كثير التلاوة للقرآن ، وقيل : إنه كان مجاورًا بمدينة النبى ﷺ ، فاشتهى فى بعض الأيام هو وأصحابه طعاماً ، فجاءوا إلى مسجدٍ على باب المدينة لصلاة الضُّحَى [٤] ، وعلى الباب مملوكٌ تُركىٌّ ، وفى صَدْر المحراب رجلٌ قائم يصلى ، فصلى [الشيخُ] [٥] مع أصحابِهِ الضُّحَى ، ثم جَلَسَ وجَلَسُوا ساعة يذكرون الله تعالى ، فأحْضَرَ لهم الرجلُ الذى كان يصلى [٦] الطعامَ الذى اشتهاه الشيخُ وأصحابه [٧] ، ثم رأوا مع الرجل غِلْمَانًا وَحَشمًا [٨] ، فقال لهم : يأكل كُلٌّ منكم ما اشتهاه . فامتنعوا وقالوا : مَـنْ تكون ؟ ومَنِ الذى أخبركَ بهذا ؟ فقال : أمَّا أنا فأميرُ هذه البلدة ، وأمَّا الذى أخبَرَنِى فإنى رأيتُ رسول الله ﷺ فى ليلتى هذه ، فقال لى : يافلان ، أصْلِحْ كذا وكذا من الطعام ، فإنَّ فى غَداةِ غدٍ جماعة يأتون إلى مَحَلَّتِكَ يشتهون هذا الطعام [٩] . فقلتُ : يارسول الله ، ما الذى يوصلنى إليهم ؟ فقال : هم يأتون إلى مسجدك عند الضُّحَى . واسم واحد كذا والآخر كذا . فأكلنا الطعام وبِتْنَا عنده ، فلم يزل قائمًا يصلى إلى بُكرة ، فصلينا عنده الصُّبح وانصرفنا .

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) فى « ص » : « مقابل صاحب الذُّرَّابة » .

(٣) فى « ص » : « كان من جزيرة ابن عمر » .

(٤) قوله : « لصلاة الضحى » عن « م » .

(٥) مابين المعقوفين عن « م » .

(٦) أى : الذى كان يصلى فى صدر المحراب .

(٧) فى « ص » : « الذى اشتهوه » .

(٨) فى « ص » : « ورأوا عنده غلمان وحشم » والصواب : غلمانًا وحشمًا ، بالنصب على المفعولية .

(٩) فى « ص » : « يأتى رجلان إلى هذه الجزيرة المجاورة لبلدك ويشتهيانه » هكذا بصيغة التثنيه إلى نهاية الحكاية .

قبور الصوفية [١] :

وتدخل على يمينك تجد قبور الصُّوفية رحمهم الله تعالى .

قبر أبى علىّ الرُّوذَبارىّ [٢] :

وتدخل على يمينك تجد تربة ذى النون المصرى رحمه الله ، علَى يسَار مَنْ دَخَلَها قبرُ الرُّوذَبَارِىّ رحمة الله عليه ، شيخ الطريقة ، وإمام الحقيقة ، [واسمه أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شهريار بن مهر فاذار بن فرغدة بن كسرى أنو شروان] [٣] ويُكْنَى بأبى علىّ . وكان من أولاد كسرى أنو شروان . وتوفى سنة اثنتين [٤] وعشرين وثلاثمائة ، وهو [٥] من أهل بغداد ، سكن مصر ، وكان شيخها ، ومات بها .

صَحِبَ أبا القاسم الجُنَيْد ، وأبا الحسين النُّورِىّ ، وأبا حمزة البغدادى ، وحَسَنًا المُسُوحِىّ ، ومَن فى طبقتهم من مشايخ بغداد ، وصَحِبَ بالشام أبا عبد الله ابن الجلَّاء .

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمة الرُّوذَبارى فى طبقات الصوفية ص ٣٥٤ - ٣٦٠ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ١٠٦ و ١٠٧ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٣ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٠ و ٤٠١] .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) فى « م » و « ص » : « اثنين » لا تصح .

(٥) من هنا إلى قوله : « إبراهيم الحربى » عن « م » وساقط من « ص » وبالسياق بعض الاضطراب تم تصويبه من المصادر السابقة .

وكان عالمًا فقيهاً ، حافظًا للأحاديث ، عارفًا بعلم الطريقة ، وكان يفتخر بمشايخه فيقول : شيخى فى التصوف : الجنيد ، وفى الفقه : أبو العباس بن سُرَيْج (١) ، وفى الأدب : ثعلب ، وفى الحديث : إبراهيم الحربى (٢) .

رَوَى عنه ابن الكاتب قال : « ما رأيتُ أحدًا أجمع لعلم الشريعة والحقيقة منه » .

وسُئِلَ أبو علىٍّ الرُّوذَبارىّ [رضى الله عنه] : مَن الصُّوفىّ (٣) ؟ قال : « مَنْ لَبِسَ الصُّوفَ على الصَّفاء » .

ورَوَى أبو منصور معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصبهانى قال : بَلَغنِى عن أبى علىٍّ الرُّوذَبارِىّ قال : « أنفقتُ على الفقراء كذا وكذا ألفًا ، ما وضَعْتُ شيئًا فى يد فقير ، بل كنتُ أضع فى يدى فيأخذ الفقير من يدى ، حتى تكون يدى تحت أيديهم ، ولا تكون فوق أيديهم » .

وقال أبو علىٍّ الرُّوذَبارىّ : سمعتُ المحاسبى يقول : [للمخلصين عقوبات ، وللناس طهارات ، وللطاهرين درجات] (٤) . وسمعته يقول : مِنْ أضيق السجون معاشرة الأضداد . وكان يقول : اكتسابُ الدُّنيا مَذَلَّةُ النفوس ، واكتسابُ الآخرة عِزُّ النفوس ، فيا عَجَباً لِمَنْ يختار المَذَلَّةَ لما يَفْنَى ، ويترك العِزَّ لِمَا يبقى !

---

(١) فى « م » : « أبو القاسم بن شريح » خطأ ، وما أثبتناه عن طبقات الصوفية . وهو : أحمد ابن عمر بن سريج ، أبو العباس ، القاضى ، البغدادى ، ولى القضاء – بشيراز ، وله مصنفات كثيرة ، وكانت وفاته سنة ٣٠٦ هـ .

[انظر المصدر السابق ص ٣٦٠] .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » .. وفى « ص » : « فقيل له : مَن الصُّوفى ؟ » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » .

قال : وأنشدَنا أبو عليّ الرُّوذَبارِيُّ لنفسه :

وَدِدْتُ أنَّ دَمِى يَجْرِى فَأَسْفَحُهُ مِنْ مُقْلَتَىَّ عَلَى مافَاتَ مِنْ زَمَنِى
وَاهًا عَلَى أَسَفٍ مِنِّى عَلَىَّ وهل يُجْدِى التَّأَسُّفُ إِلَّا عِلَّةَ السِّجْنِ [1]
لَوْ صَحَّ تَحْقِيقُهُ أنَّ التَّأَسُّفَ لى لَمَا أَسِفْتُ لِجَمْعِ النَّوْحِ فى الزَّمَنِ [2]

وله أيضًا – رضى الله عنه :

إنْ كانَ دَارِى نَأَتْ عَنْ قُرْبِ دَارِكُمُ فَالنَّفسُ لَيسَ لها مِنْ بَعْدِكُمْ سَكَنُ
قَلْبِى لَدَيْكَ وعينى غيرُ نَاظِرَةٍ [إلَّا إليكَ] وسُؤْلِى وَجْهُكَ الحَسَنُ [3]
يالَيْتَ لى أَعْيُنًا فى كُلِّ جَارِحَةٍ تبكى عَلَيْكَ بِدَمْعٍ جَارِحِ الوَسَنِ [4]

وقال [5] : « مِنَ الاغترار [6] أَنْ تُسِيءَ فَيُحْسَنَ إليكَ ، فَتَتْرُكَ الإنابَةَ والتَّوْبَةَ تَوَهُّمًا أَنَّكَ [7] تُسَامَحُ فى الهَفَوات ، وتَرَى أنَّ ذلك فى بَسْطِ الحَقِّ لك » .

وقال : « المشاهدات للقلوب ، والمكاشفات للأسرار ، والمعاينات للبصائر [8] ، والمراعاتُ للأبصار » .

---

(١) هذا البيت فى « ص » وَرَدَ هكذا :

وَاهًا على أسف منى وهل يجنو التأسف إلا علة السجن

وهو مكسور بهذه الصورة وبه تصحيف فى قوله « يجنو » . والصواب ما أثبتناه ، وهو من بحر البسيط .

(٢) فى « م » : « بجَمْع » مكان « لجمع » .

(٣) فى « ص » : « وعينى ناظرة » سقطت لفظة « غير » سهوًا من الناسخ فى الشطرة الأولى ، ولا يستقيم الوزن والمعنى إلا بها . ومابين المعقوفتين فى الشطرة الثانية عن « ص » وساقط من م .

(٤) فى « م » و « ص » : « ياليت لى أعينٌ » لا تصح . وفى « م » : « علىَّ » مكان « عليك » فى الشطرة الثانية .

(٥) من هنا إلى أول ترجمة ذى النون المصرى عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) فى « م » : « الاعتلال » وما أثبتناه عن طبقات الصوفية ص ٣٥٩ .

(٧) فى « م » : « وترى أنك » وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٨) فى « م » : « والمعاينات للأبصار » وما أثبتناه عن المصدر السابق .

وقال أيضًا : « لا رِضَا لِمَنْ لا يصبرُ ، ولا كَمَالَ لِمَنْ لا يشكر الله عَزَّ وَجَلَّ ، وبالله وصَلَ [1] العارفُون إلى مَحَبَّتِه ، وشكروه على نِعْمَتِه » .

وقال هَمَّام بن الحارث : سمعتُ أبا علىٍّ الرُّوذبارىَّ يقول : « إنَّ المُشْتَاقِينَ إلى الله سبحانه وتعالى - يجدون حَلاوَةَ الوَقْتِ عند وُرودِهِ لما كشَفَ لهم من فرح الوصال [2] إلى قُرْبه أحلى من الشهد » .

وقال أيضًا : « مَنْ رُزِقَ ثَلاثَةَ أَشْيَاءَ فقد سَلِمَ مِنَ الآفات : بَطْنٌ جائعٌ معه قلبٌ خاشعٌ [3] ، وفقرٌ دائمٌ معه زهدٌ حاضرٌ ، وصبر كامل [4] معه قناعة دائمة » .

وقال - رضى الله عنه : « السعيدُ مَنْ عَمَّرَ أَوْقَاتَهُ بالطَّاعات ، وتَرَفَّعَ عن المَعَاصِى المُهْلِكات » [5] .

قبر ذى النون المصرى [6] :

تجد على يمينك من قبره قبر الشيخ الإمام ، العابد الزاهد أبى الفيض ذى النون المصرى ، ذى المناقب العظيمة ، والأخلاق الكريمة ، رضى الله عنه .

قال يوسف بن الحسين : سمعتُ ذا النون المصرىَّ يقول ، وقد سأله إنسانٌ عن أصْلِ تَوْبَتِه ، فقال : « خرجتُ من مصر إلى بعض القرى ، فنمتُ فى الطريق ،

---

(١) فى « م » : « وقال : وصل » . وماهنا عن المصدر السابق .

(٢) فى الحلية ج ١٠ ص ٣٥٧ : « روح الوصال » .

(٣) فى « م » : « قلب قانع » وما أثبتناه عن الحلية .

(٤) فى « م » : « وفقير حامل كذلك » تحريف من الناسخ ، والتصويب من المصدر السابق .

(٥) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٦) العنوان من عندنا . وقد سبقت ترجمته . [وانظر طبقات الصوفية ص ١٥ - ٢٦ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٣٣١ - ٣٩٥ ، وج ١٠ ص ٣ و ٤ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٩٣ - ٣٩٧ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٠٧ و ١٠٨] .

وانتبهتُ وفتحتُ عينى وإذا أنا بقنبرة عمياءَ سقطَتْ من شجرة على الأرض ، فَانْشَقَّتِ الأرضُ فخرج منها سُكُرُّجَتانِ (١) : واحدة من ذهب ، والأخرى من فضة ، فى إحداهما سمسم ، وفى الأُخرَى ماءُ وَرْدٍ ، فأَكَلْتُ من هذه ، وشربت من هذه ، فقلتُ : حَسْبِى (٢) . فَتُبْتُ ولَزِمْتُ البابَ » .

ورَوَى أبو موسى الجيزى ، قال : « رأيتُ ذا النون ، وقد تقاتَلَ اثنان ، أَحَدُهُما (٣) من أولياء السلطان [والآخر من الرَّعِيَّة] فَعَدَا (٤) الذى من الرعيَّة عليه فكَسَرَ سِنَّتَهُ (٥) فتعلَّق الجندىُّ بالرجل وقال : بينى وبينكَ الأميرُ . فَمَضَوْا ، وجَازُوا فى طريقهم على ذى النون ، فقال لهما : ماقصتكما ؟ فَقَصَّا (٦) عليه القصة ، فأَخَذَ السِّنَّ ثُمَّ بَلَّهَا بريقه وَرَدَّهَا إلى فم الرجل الذى كانت فيه ، وحَرَّكَ شَفَتَهُ فَتَعَلَّقَتِ السِّنُّ بإِذْنِ الله تعالى ، وثبتَتْ فى مكانها ، فبقى الرجل يفتش فاه فلم يجد فيه شيئًا من النقص » (٧) .

وحَكَى أبو جعفر قال : « كنتُ عند ذى النون فَتَذَاكَرْنا طاعة الأشياء للأولياء ، فقال ذو النون : مِن الطاعة أن أقول لهذا السرير الذى أنا جالسٌ عليه : دُرْ فى زوايا البيت الأربع وعُدْ إلى مكانك (٨) [قال : فدار السرير فى أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه] . وكان هناك شابٌّ فأَخذ يبكى ، ومات للوقت » .

---

(١) السُّكُرُّجَة : إناء صغير يُؤكل فيه القليل من الأُدْمِ .

(٢) أى : يكفينى مارأيت .

(٣) فى « م » : « إحداهما » لا تصح .

(٤) مابين المعقوفتين عن « ص » . وعدا : اعتَدَى .

(٥) فى « ص » : « ثنيته » وهى : إحدى الأسنان الأربع التى فى مقدم الفم ، ثنتان من فوق ، وثنتان من تحت .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وجازوا على ذى النون فقال لهم : ماقصتكم ؟ فقصوا ... » .

(٧) فى « ص » : « فلم يجد الأسنان إلّا سواء » .

(٨) فى « ص » : « أن أقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا فى البيت ثم يرجع إلى مكانه » . ومابين المعقوفتين بعدها عن « م » وساقط من « ص » .

وقال بكر بن عبد الرحمٰن : « كنا مع ذى النون المصرى فى البادية ، فنزلنا تحت شجرة « أم غيلان » فقلنا : ما أطْيَبَ هذا الموضع لو كان فيه رُطَبٌ ! فتبسَّمَ ذو النون وقال : أتشتهون الرُّطَبَ ؟ وحَرَّكَ الشجرة وقال : أقسمتُ عليكِ بالذى ابتداكِ وخَلقَكِ إلَّا نَثَرْتِ علينا رُطَبًا . وحَرَّكَها ، فتناثر [١] الرُّطَبُ من عليها ، فَهَزَزْنَا الشجرة فنثرتْ علينا شَوْكاً » .

وقيل : إنَّ ذا النون [٢] المصريَّ عند موته قيل له : ما تشتهى ؟ فقال : أعرفه قبل موتى [٣] ولو بلحظة .

وكان ذو النون المصرى يقول : « معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى » [٤] .

وقال أيضًا : « أعْرَفُ الناس بالله أشَدُّهُم تَحَيُّرًا فيه » .

وقال أيضًا : « الزُّهَّاد مُلوكُ الآخِرَة ، وهم فُقراء العارفين » .

وقال أيضًا : « علامة العارف ثلاثٌ : لا يطفىء نورُ معرفَتِهِ نُورَ وَرَعِهِ ، ولا يفتقد [٥] باطنًا من العِلم ينقضُ عليه ظاهرًا من الحِلْم ؛ ولا يحمله كثرة نِعَمِ الله على هَتْكِ أستار مَحارِمِ الله عزَّ وجَلَّ » .

وقال أيضًا : « كُنْتُ راكباً فى سفينة فَسُرِقَتْ فيها دُرَّةٌ ، فَاتُّهِمَ بها شابٌّ ، فقلتُ : دعونى حتى أَرْفُقَ به وأُقَرِّرَهُ ، فَأَخْرَجَ رأْسَهُ من تحت كِسائه ، فتحدثتُ معه فى ذلك المعنى وتَلَطَّفْتُ به لَعَلَّهُ يُخْرِجها ، فرفع رأسه إلى السماء وقال :

---

(١) فى « م » : « فتناثر علينا » وبعدها : « فأكلنا » مكان « فهززنا » .

(٢) فى « ص » : « وقيل لذى النون » .

(٣) فى « ص » : « قبل الموت » .

(٤) هكذا فى « ص » ، وزاد فى « م » بعد ذلك : « يحملك ويحكُم عندك تخلُّقًا بأخلاق الله سبحانه وتعالى » .

(٥) فى « ص » : « ولا يعتقد » .

أقسمتُ عليكَ يارب ألَّا تَدَع أحَدًا من الحيتان إلَّا ويأتى بجوهرة . قال : فرأيتُ حيتانًا [(١)] كثيرة طافية على وجه البحر ، فى فم كل حوت جوهرة . قال : ثم ألقى نفسه فى البحر ومشى على الماء وغاب عنَّا » .

وقال ذو النون : « سافرتُ إلى الشام لَعَلِّى أجتمع بأَحَدٍ [(٢)] من أولياء الله تعالى ، فعبرتُ على مغارة ، فوجدتُ رجلاً جالسًا على باب المغارة ، فَسَلَّمَ علىَّ وقال لى : ياذا النون [(٣)] ، رجل كان يسأل الله تعالى فى الاجتماع بك لتحضر الصلاة عليه ، فَقِفْ ها هُنا . ثم دخل المغارة ، فإذا بعجوز قد خرجتْ من المغارة تبكى ، فقالت : يا سيدى ، الذى كَلَّمَكَ هو ولدى ، وكان يسأل الله تعالى أن تحضر الصلاة عليه ، وقد مات . فدخلتُ فوجدتُهُ مُستقبلَ القِبلة ، وعنده آلةُ الغَسْل والكفن ، فغسلته وكفنته وصليتُ عليه ، وكنتُ أُكَبِّر وأسمع التكبير من خلفى ، فلما فرغتُ من الصَّلاة عليه إذا هو قد حُمِلَ من بين يَدَىَّ ، فخرجتُ وأنا متعجبٌ ، ثم استوحَشْتُ ، فإذا أنا بصوت رجل يقرأ القرآن ، فاتبعتُ الصَّوْتَ ، فإذا هو يخرج من مغارة أخرى ، فدخلتُها ، فإذا شيخٌ عليه وقار ، وعليه قميصٌ من ليف ، فقال : ياذا النون ، صَلَّيْتَ على الرَّجُلِ الصالح ؟ قلت : نعم ، قد صليتُ عليه وسمعتُ تكبيرًا [(٤)] من خلفى . فقال : أَقِمْ عندى اليوم . قال : فأقمتُ عنده تلك الليلة ، فإذا طائر يدخل المغارة وبين رجليه جَوْزَة ، وفى منقاره [(٥)] زبيبة فيلقيها ، ثم يذهب فيعود كذلك ، فسألتُ عن ذلك [(٦)] الطائر ، فقال : سَخَّرَهُ الله تعالى لى ، يأتينى فى اليوم كذا وكذا مَرَّةً ، فنظرتُ دَاخِلَ المغارة فإذا عينٌ تَجْرِى وفى داخلها رَجُلٌ ، وهو يدعو : اللَّهُمَّ

---

(١) فى « ص » : « حيتان » لا تصح ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) فى « م » : « لَعَلِّى أجد أحدًا ، أو اجتمع بأحدٍ » .

(٣) فى « م » : « ياذو النون » لا تصح .

(٤) فى « ص » : « وأنا أسمع التكبير » .

(٥) فى « ص » : « وفى فمه » .

(٦) فى « م » : « عن هذا » .

اغفرْ لأُمَّة محمد ، اللهم ارْحَمْ أُمَّةَ محمد . ثم أصبحتُ فرأيتُ السِّبَاعَ أَتَتْهُ (١) تُسَلِّمُ عليه وتتبرَّك به . فقال : ياذا النون ، كم بقى للحج ؟ قلت : مُدَّة يسيرة . قال : يخطر (٢) لك نِيَّة الحج ؟ قلت : نعم . فقال : ياذا النون ، أُرافقك بواحدٍ من هذه (٣) السباع ، ثم التفت إلى واحدٍ منها (٤) فقال : أُوصيك بأبى الفيض ، فكُنْ به رفيقًا (٥) . فركبتُ على ظهره يومين (٦) ، فإذا أنا ببطحاء مكة ، فَنَفَضَنِي عن ظهره . وكان الشيخ قد أوصانى وقال لى : إذا قضيتَ شُغلك وأتيتَ الرُّكْنَ اليمانىّ تجد عنده شابًّا أسمر ، عليه أَطْمَارٌ رَثَّةٌ (٧) ، وعليه سيما الخير ، فَبَلِّغْهُ سلامى ، وسَلْهُ لى الدعاء . قال (٨) : فَلَمَّا قضيتُ شغلى وأتيتُ الركنَ اليمانىّ ، وجدتُ الرَّجُلَ جالسًا عند الركن ، فسلمتُ عليه ، وقلت له : فلانٌ بالشام يسلم عليك ويسألك الدعاء – وكان قد أضحى النهار – فقال : لا إِلٰه إلا الله ، يرحمه الله ، اليوم قد صلينا عليه ! » .

وعن ذى النون المصرى قال : « لَقِيتُ فى بعض أسفارى امرأة تشير إلى المَحبة ، فسألتها عن غاية المحبة ، فقالت : لا غاية لها . فقلت : وَلِمَ ؟ قالت : لأنه لاغاية للمحبوب » (٩) .

وعن أبى سعيد المالينى ، عن ذى النون المصرى ، يرفعه إلى النبى ﷺ ، قال : « سمعتُ جبريل عليه السلام يقول : يامحمد ، مَنْ قال مِنْ أُمَّتِكَ فى كل

---

(١) فى « ص » : « وإذا السباع قد أتته » .

(٢) فى « ص » : « يحضر » .

(٣) فى « م » و « ص » : « من هؤلاء » .

(٤) فى « م » و « ص » : « منهم » .

(٥) فى « م » : « وكُنْ رفيقًا له » .

(٦) فى « ص » : « يومان » لا تصح .

(٧) أطمار رَثَّة : ثياب بالية .

(٨) القائل : ذو النون .

(٩) هذه الفقرة عن « م » ولم ترد فى « ص » .

يومٍ مائة مرَّة : « لا إلٰه إلَّا الله ، الملك الحق المبين » كان له أمانٌ من الفقر ، وأُنسٌ [١] من وحشة القبر ، واستجلب به الغنى ، وقَرَع [٢] به باب الجنة » .

وسُئِلَ ذو النون : كيف الطريق إلى الله تعالى ؟ فقال : « ظمأُ الهَواجِر [٣] ، وقيام الليل ، يَدُلَّانِكَ على الطريق إلى الله تعالى » [٤] .

وعن سعيد [٥] بن عثمان قال : سمعت ذا النون [٦] يقول : « اللَّهُمَّ مَتِّعْ أبصارنا بالجولان فى حلالك بسهرها عمَّا نامت عنه قلوب الغافلين ، واجعلْ قلوبنا معقودة بسلاسل النور ، وعَلِّقْهَا بأطناب الفكر [٧] ، ونَزِّهْ أبصارنا عن سِرِّ مواقف المُتَحيرين ، وأَعْطِهَا من الأُنسِ فى خدمتك مع الجَوَّالين » .

وعن ابن الجلاَّء قال : لقيتُ ستمائة شيخ ، ما رأيت فيهم مثل أربعة ، أحدهم [٨] ذو النون المصرى ، يقول : « ذِكْرُ الله دَواء ، وذكر الناس دَاءٌ ، فاستكثروا من الدَّوَاء ، وأَقِلُّوا من الدَّاء » .

وعن محمد بن قطن [٩] قال : رأيتُ مكتوباً على عصا ذى النون :

---

(١) وفى رواية : « كانت له أمانًا من الفقر ، وأُنسًا ... » .

(٢) فى « ص » : « واستقرع » .

(٣) الهواجر : جمع هاجِرَة ، وهى نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٤) فى « م » : « يدلَّانك إلى طريق الله تعالى » .

(٥) فى « م » : « أبى سعيد » خطأ .

(٦) فى « م » : « ذى النون » لا تصح ، وما أثبتناه هو الصحيح .

(٧) فى « ص » : « الفكرة » . والأَطناب : جمع طُنُب ، وهو الحَبْل الذى يُشَدُّ به الخباء والسرادق ونحوهما .

(٨) « أحدهم » عن « م » .

(٩) فى « ص » : « وعن ابن قطن » .

كَيْفَ احْتِيَالِى وَدَائِى الأَمَــلُ   وليسَ لى فى صَحِيفَتِى عَمَلُ [١]
زَادِى قليــل ورحلتــى بَعُــدَتْ   مَنْ عَدِمَ الزَّادَ كيف يَرْتَحِلُ ؟.

ورُوِىَ عن أبى عثمان المغربى قال : « مَنْ صَحِبَ نَفْسَهُ صَحِبَهُ الْكِبْرُ والعُجْبُ ، ومَنْ صحب أولياء الله تعالى وُفِّقَ للوصول إلى الله تعالى » .

ورُوِىَ عن ذى النون ، رضى الله عنه ، أنه قال : « سافرتُ سَفْرَةً فَجِئْتُ بِعِلْمٍ يعرفه العامُّ والخاص ، ثم سافرتُ الثانية فجئتُ بعلم يعرفه الخاص وينكره العام ، ثم سافرت الثالثة فجئتُ بعلم ينكره الخاص والعام ، وصرتُ به وحيدًا ، فريدًا ، شريدًا ، طريدًا » [٢] .

وعن ذى النون ، رضى الله عنه ، قال : « مَنْ ذَكَرَ الله تعالى على حقيقة نَسِىَ فى جنب الله [٣] كُلَّ شىء ، وكان له عوضًا من كل شىء » .

وقال ذو النون المصرى : « إنَّما دخل الفساد على الناس من ستة أمور : أحدها [٤] : من ضعف النية بعمل الآخرة . والثانى : صارت أبدانهم رهينةً لشهواتهم . والثالث : غلبهم طول الأمَل مع قُرب الأجل [٥] . والرابع : آثَروا رضا المخلوقين على رضا الخالق . والخامس : اتَّبعُوا أهواءهم ونَبَذُوا سُنَّةَ نبيهم ، ﷺ وراء ظهورهم . والسادس : جعلوا زَلَّاتِ السَّلَف حُجَّةَ أنْفُسِهِم ، ودفنوا أكثر مناقبهم » .

ولمَّا مات ذو النون بالجيزة حُمِلَ فى قاربٍ مخافَةَ أن ينقطع الجِسْر من

---

(١) فى « م » : « وذى » « ودائى » وهو تحريف . وفى رواية : « ودأبى » وعند ابن الزيات : « وَدَابى » .. و « عملى » مكان « عمل » لا تصح ، مخالف لحركة الرَّوِىّ .

(٢) من قوله : « وروى عن ابن عثمان المغربى » إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) فى « م » : « حُبِّ الله » .

(٤) « أحدها » عن « ص » .

(٥) قوله : « مع قُرْبِ الأجل » عن « م » وساقط من « ص » .

كثرة الناس على الجنازة [١] ، قال الراوى : فلما أُخرِجَ من القارب وحُمِلَ على أكتاف الرجال جاءت طيورٌ خُضرٌ فاكتنفت الجنازة [٢] ترفرف عليه حتى عُطفَ به عند « حَمَّام الغار » وغاب عنى ، فذكرت ذلك لأبى يحيى بن هلال بعد زمانٍ ، فقال لى : لقد رأيتُ مثل هذه الطيور ترفرف على جنازة المُزَنىِّ .

وأنشد بعضهم فى ذلك [٣] :

وَرَأَيْتُ أَعْجَبَ ما رأيتُ ولم أَكُنْ ... مِنْ قَبْلِ ذاكَ رأيْتُه لِمُشَيَّعِ [٤]

طيـرًا تُرَفْـرِفُ فَوْقَـهُ وتَحُفُّـهُ ... حَتَّى تُوارَى فى حِجَابِ المَضْجَعِ

ثُمَّ احْتَجَبْنَ عن العيون ولم أُحِطْ ... عِلْمًا بِكُنْهِ مَصيرِها وَالمَرْجَعِ [٥]

وأَظُنُّهـا رُسُلَ الإلَـهِ لِعَبْـدِهِ ... – واللهُ أَعْلَمُ – فَوْقَ ذَاكَ المَرْجَعِ [٦]

وتَنَزَّلَ القَطْرُ الذى كُنَّا نَـرَى ... وهُبوب تلكَ الذَّارِيَاتِ الزَّعْزَعِ [٧]

إنْ شِئْتَ قُلْ : بَكَتِ السَّمَاءُ لِفَقْدِهِ ... أَوْ قُلْ : سَقَتْهُ بِهَيْدَبٍ لَمْ يُقْلِعِ [٨]

---

(١) فى « ص » : « على جنازته » .

(٢) اكتنفت الجنازة : كانت على يمينها ويسارها .

(٣) فى « م » : « وهو أبو بكر محمد بن ريَّان » .

(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » ذكر قبل هذا البيت أربعة أبيات سترد بعد ذلك فى رثاء « المزنى » صاحب الشافعى .

(٥) فى « م » : « احتجبنا » خطأ ، وما أثبتناه هو الصحيح .

[انظر الكواكب السيارة ص ٢٣٥ ، والمكنون فى مناقب ذى النون للسيوطى ص ٧٤] .

(٦) هذا البيت عن « ص » ولم يرد فى « م » . وفى الكواكب السيارة :

وأظنها رسُلَ الإلَـه تنـزلتْ ... والله أعلـم فـوق ذاك الموضع

(٧) الذاريات الزعزع : الرياح الشديدة ، وفى رواية : « الوعوع » ، وهى بمعناها . وهذا البيت والذى يليه عن « م » .

(٨) فى « م » : « لا يقلع » وما أثبتناه عن « المكنون فى مناقب ذى النون للسيوطى » والهيدب : السحاب المتدلِّى الذى يدنو من الأرض ويُرَى كأنه خيوط عند انصبابه .. وفى رواية أخرى : « بمهذب » وهى بمعنى السيل . وستأتى .

وكانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائتين ، وكان اسمه ثوبان بن إبراهيم ، وورعه وزهده لايخفى . وكان قد وُشِيَ به إلى « المتوكل » ، فاستحضره من مصر ، [فلما دَخَلَ عليه وعَظَهُ ، فبكى ورَدَّهُ إلى مصر] واستعذر منه (١) .

قال يوسف (٢) بن الحسين : سمعتُ ذا النون (٣) وقد سُئِلَ : لِمَ (٤) أَحَبَّ الناسُ الدنيا ؟ فقال : لأنَّ الله تعالى جعل الدنيا (٥) خزانة أرزاقهم ، فَمَدُّوا أعينهم إليها .

وقال ابن السَّرَّاج : قلتُ لِذِى النون : كيف كان خلاصُك من « المتوكل » وقد أَمَرَ بقتلك ؟ قال : لمَّا أَوْصَلَنِي الغلامُ إلى الستر رَفَعَهُ (٦) وقال لى : أُدْخُلْ . فنظرتُ فإذا « المتوكل » فى غُلالةٍ ، مكشوف الرأس ، وعُبَيْدُ الله قائم على رأسه مُتَّكِىء على السَّيف (٧) ، وعرفتُ فى وَجْه القوم الشَّرَّ ، فَفُتِحَ لى بابٌ ، فقلتُ فى نفسى : « يا أَللّه (٨) ، يامَنْ ليس فى السمٰوات خَطَراتٌ (٩) ،

---

(١) استعذر منه : طلب العُذْر على ما بَدَر منه من سوءِ ظنٍ نحوه .

ومابين المعقوفتين عن « ص » وسقط من « م » سهوًا من الناسخ .

(٢) فى « م » : « عن يوسف » . وجاء اسمه فى الكواكب السيارة ص ٢٣٥ « يونس بن الحسين » وهو خطأ . وهو : يوسف بن الحسين الرَّازىُّ ، أبو يعقوب ، صَحِبَ ذا النون المصرى ، وأبا تراب النخشبى ، ورافق أبا سعيد الخرَّاز فى بعض أسفاره ، وكان عالمًا دَيِّنًا ، وكانت وفاته سنة ٣٠٤ هـ .

[انظر ترجمته فى طبقات الصوفية ص ١٨٥ - ١٩١ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٣٨ - ٢٤٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣١٤ - ٣١٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٣٧ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٩٠ و٩١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤٥] .

(٣) فى « م » : « ذو النون » لا يصح ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) فى « م » و « ص » : « لما » لا يصح .

(٥) فى « م » : « جعلها » .

(٦) فى « م » : « ورفعه » .

(٧) فى « م » : « على سيف » .

(٨) لفظ الجلالة عن « ص » .

(٩) فى « م » : « قطرات » ، وفى الكواكب السيارة : « نظرات » .

ولا فى البحر قَطَراتٌ ، ولا فى الرِّياح رَوْحَاتٌ ، ولا فى الأرض جَنَّاتٌ [١] ، ولا فى قلوب الخلائق خَطَراتٌ ، ولا فى أعضائهم حركات ، ولا فى عيونهم لَحَظَات إلَّا وهى لك شاهدات ، وعليك دالَّات ، وبربُوبيَّتِكَ معترفات ، وفى قُدْرتِكَ مُتحيرات ، فَبِقُدْرَتِكَ التى تَحَيَّر بها مَنْ فى السمٰوات والأرض إلَّا صليتَ على محمد ، وعلى آل محمد ، وأَخذتَ قَلْبَهُ عنى » . قال : فقام « المتوكل » يخطو حتى اعتنقنى ، ثم قال لى [٢] : أتعبناكَ يا أبا الفيض ، إنْ تَشَأْ تُقِمْ [٣] عندنا ، وإنْ تشأْ تنصرف . فاخترت الانصراف [٤] .

ورُوِى [٥] عنه قال : رأيتُ رَجُلاً من السَّائِحين [٦] فقلتُ له : مِنْ أين أنت ؟ فقال مُنْشِدًا عند قولى له :

مِنْ عند مَنْ عَلِقَ الفُؤَادُ بُحِبِّهِ   فَشَكَـا إليـه بخاطِـرٍ مُشْتَـاقِ
يبكى الوِصَالَ بِعَبْرَةٍ مَسْفُوحَـةٍ   فيها شِفَـاءُ لِوَامِـقٍ تَـوَّاقِ [٧]

وقال أيضًا : عبدٌ ذليلٌ ، ولسانٌ كليلٌ [٨] ، وعملٌ قليلٌ ، وكَرْبٌ طويل ، ونَيْلٌ جزيل [٩] ، فأين أذهب ياسيدى إلَّا بالدَّليل ؟

---

(١) فى « م » : « خَبيَّات » أى : مُخَبَّآت . وفى الكواكب السيارة : « حَبَّات » .
(٢) « لى » عن « ص » .
(٣) فى « م » : « تقيم » لا يصح ، جواب شرط مجزوم .
(٤) قوله : « فاخترت الانصراف » عن « ص » وساقط من « م » .
(٥) من هنا إلى قوله « تَوَّاق » عن « م » وساقط من « ص » .
(٦) فى « م » : « السَّيَّاحين » .
(٧) الوامق : المُحِبّ ، والتَّوَّاق : المشتاق .
وفى « م » : « لرامق تراق » تحريف من الناسخ .
وإلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٨) الكليل : الضعيف والعاجز .
(٩) نَيْل جزيل : عطاء وفير .

وقال : دخَلَ غُلامٌ لذى النون [١] إلى بغداد ، فسمع قَوَّالًا يقول [الشعر] [٢] ، فصاح غُلامُ ذى النون صيحةً وخَرَّ ميتًا ، فَوَصَلَ [٣] الخبرُ إلى ذى النون ، فَرَحَلَ إلى بغداد [٤] فقال : عَلَيَّ بالقَوَّال ، فحضر ، فاستردَّه الأبيات [٥] التى سَمِعَهَا للغُلام ، فأَنْشَدَها ، فصاح ذو النون [٦] صيحة فمات القَوَّال ، ثم رَجَعَ ذو النون [٧] وهو يقول : « النَّفْسُ بالنَّفْسِ » .

قبر الشيخ أبى عمران موسى بن محمد الأندلسى [٨] :

وتخرجُ من باب تُربة ذى النون [٩] تجد على يمينك قبر الشيخ أبى عمران موسى بن محمد الأندلسى الواعظ الضرير ، رحمه الله ، كان من كبار المشايخ ، جَمَعَ بين العِلْم والورَع ، وله مُصَنَّفَاتٌ فى عِدَّة فنون [١٠] ، وكان له مجلسُ وَعْظٍ ، وقصائد فى الزهد ، وغير ذلك .

وكان قد صنف قصيدة فى فَضْل أُمِّ المؤمنين [١١] عائشة رضى الله عنها ، منها هذه الأبيات [١٢] :

---

(١) فى « ص » : « لذى النون المصرى » .
(٢) مابين المعقوفين من عندنا لاستقامة السياق .
(٣) فى « م » و « ص » : « فاتصل » .
(٤) فى الكواكب السيارة : « فدخل بغداد » .
(٥) أى استرجعه وطلب منه أن يُرَدِّدَ الأبيات التى سَمِعَها الغلام منه .
(٦) فى « م » : « ذى النون » لا يصح .
(٧) فى « م » : « ثم خرج ذى النون » الصواب : « ذو النون » .
(٨) العنون من عندنا .
(٩) فى « م » : « من باب تربته » والضمير يعود على ذى النون .
(١٠) فى « ص » : « فى كل فن » .
(١١) فى « م » : « فى أم المؤمنين » .
(١٢) فى « ص » : « منها فى أولها » .

مـا شَأْنُ أُمِّ المُؤْمـنين وشَانِـى   هُدِىَ المُحِبُّ لها وَضَلَّ الشَّانِى [(١)]
إنِّـى أقُـولُ مُبَيِّنًـا عـن فَضْلِهَـا   ومُتَرْجِمًا عن فَضْلِهَا بِـلسَانِى [(٢)]
يامُبْغِضِى ، لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ   فَالْبَيْتُ بَيْتِى والمَكَـانُ مَكَانِـى

وكان ذلك فى زمَن [(٣)] أمير الجيوش [شاهنشاه بن بدر الجمالى] ، فَوُشِىَ إليه بذلك ، فأمر بِحَمْلِهِ مسحوبًا على وجهه ، فقال له بعضُ جُلسائه : هذا رجل ضرير البَصر ، ضعيف القُوَى ، لا يستطيع النهوض مع كبر سِنِّه . فقال : يُحْمَلُ إلى الجيزة ولا يسكن مصر ، فَحُمِلَ إليها .

واتفق فى بعض الأيام أنَّ أمير الجيوش ركب يومًا إلى الجيزة ، فدخل مسجدًا فوجد فيه موسى الأندلسى الواعظ المذكور هذا جالساً [(٤)] فى محرابه ، فَصَلَّى ركعتين ثم الْتَفَتَ إليه وسأله عن حاله ، فأخبره بقصته [(٥)] فقال له : تقرأ شيئًا من القرآن ؟ قال : نعم . [قال : اقرأْ . فقرأ] [(٦)] فأعجبته قراءته . فبكَى بكاءً شديدًا لِحُسْنِ صَوْتِهِ [(٧)] . فقال له : أَنْشِدْنى القصيدة التى أُخْرِجْتَ من مصر لأجلها . فأنشده إيَّاها ، فأَمَرَهُ بتكرارها [(٨)] ، فأَعَادَها ، فقال له : ياشيخ ، باللّٰه عليك لا تَدْعُ على السُّلطان ، فإنه ما عَلِمَ بحقيقة حالك [(٩)] ، وأنا أَحَدُ غلمانه [(١٠)] ، ولابد من ذِكْرِكَ له ، فَطَيِّبْ قلبك ، واشرح صدرك وادعُ

---

(١) فى « م » : « مَنْ شأن » ، « من » تصحيف . والشان : الحال والشأن . والشانى : الشانئ المُبغض .

(٢) فى « ص » : « ومترجم » لا تصح ، والصواب بالنصب .

(٣) فى « ص » : « فى أيام » . ومابين المعقوفتين بعدها عن « م » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فدخل مسجدًا فيه موسى الأندلسى هذا ، فوجده جالسًا » .

(٥) فى « ص » : « بقضيته » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٧) فى « م » : « لصوته الحسَن » .

(٨) فى « م » : « بعيادتها » أى: بإعادتها .

(٩) فى « ص » : « قصتك » مكان « حالك » .

(١٠) فى « م » و « ص » : « وأنا من أحد غلمانه » .

له [١] . ثم خرج من عنده ، فتبادَرَ الناس إليه وقالوا : أتعرفُ [٢] من كان عندك ؟ قال : لا . قالوا : أمير الجيوش ، فإيَّاكَ أنْ تكون تكلمتَ معه بشيء يُؤْذِيك ؟ قال : لا والله . وبقى خائفًا [٣] ، فلما وصَلَ أمير الجيوش إلى مصر أَمَر وَاليها أن يمضى إليه ويأتِىَ به إلى مصر [٤] ويسأله الدعاء . وأرسل إليه بدنانير كثيرة وكسوةٍ [٥] ، فَحُمِلَ - رضى الله عنه - مكرمًا ، ولم يزل يعظ الناس ويتكلم على منبره إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

قبر ابن الترجمان [٦] :

وبجانبه من القبلة إلى المشرق قبر ترجمان بن على المقرى المعروف بابن الترجمان ، شيخ التصوف بديار مصر والشام .

سمع الحديث الكثير عن أبى بكر محمد بن محمد الحميدى ، وأبى القاسم محمد بن الطُّرْطُوشى ، وأبى الحسن على بن عمر الدارقطنى ، وعيسى بن عبد الله ، وغيرهم .

ومن رواياته عن أبى هريرة ، أنَّ النبى ﷺ قال : « إنَّ أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء ، ولو يعلمون [٧] مافيها لأتَوْهَا حَبْوًا » .

---

(١) فى « ص » : « وبالله لا تَدْعُ على السلطان » .

(٢) فى « م » : « هل عَرَفْت » .

(٣) فى « ص » : « متخوفًا » .

(٤) فى « ص » : « ويحمله إلى موضعه بمصر » .

(٥) فى « م » : « وأرسل له دنانيرا - الصواب : دنانيرَ - وكسوة » .

(٦) العنوان من عندنا . وهذه الترجمة كلها عن « م » ولم ترد فى « ص » .

(٧) فى « م » : « يعلموا » لا تصح .

وعن الأزدىّ ، قال عمر بن الخطاب : « لو وُزِن إيمان أبى بكر وإيمان أهل الأرض لَرَجَح [1] إيمانُ أبى بكر » .

ويلاصقه قبر الشيخ سهل بن محمد بن الحسين بن أبى الخير الخشّاب [2] .

قبر أبى العباس أحمد بن عبد الله الفقيه المالكى [3] :

ثم تستقبل الجوسق المعروف بالكنز ، تجد تحته على يسارك تُربَةً فيها [قبر أبى العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحطيئة اللخمى] [4] . وهو مشهور ، كان من فقهاء المالكية ، وكان مسكنه بالشرق ، أقام فيه عدة سنين يُقْرِىء [5] الحديث ويأكل من نَسْخِهِ ، وكان له بنت يُعَلِّمُها النَّسْخَ فتعلمت حتى صارت تنسخ [6] وضَرَبَتْ على خطِّه .

وكان يُعْرَضُ عليه المالُ فلا يَقْبَلُ منه شيئًا ، وتجىء [7] سلاطينُ المصريين إليه فلا يقبل [من أحَدٍ] [8] منهم شيئًا . ويقف به التجار والأمراء ويبذلون له المال فيأبى قبوله منهم [9] .

---

(١) لَرَجَحَ : لَزَادَ . يقال : رَجَحَ الشىءُ : ثَقُلَ . ورَجَحَتْ إحدى الكِفَّتَيْنِ الأخرى : مالت بالموزون .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ٢٣٢ و ٢٣٣] .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » وغير واضح فى « ص » .

(٥) فى « م » : « يقرأ » . وفى الكواكب السيارة : « كان يسكن بالشارع الأعظم ، وأقام به عدة سنين يقرأ الحديث » .

(٦) فى « ص » : « فعَلَّمَها ، وكانت تنسخ » .

(٧) فى « ص » : « ويأتى » .

(٨) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٩) من قوله : « ويقف به التجار » إلى هنا ، عن « م » وساقط من « ص » .

وجاءَهُ رَجُلٌ من إخوانه ، فقال له : ياسيدى ، اشتريتُ هذا الثوب [١] على اسمك وأسألك [٢] أن تقبله منى . فقال : عاهدتُ الله ألّا أقبل من أحَدٍ شيئًا . فحلف بالطلاق الثلاث لابد من قبوله ، فقال : قد قَبِلْتُ ، فاجْعَلْهُ على الحبل – وكان فى مسجده – فجعله عليه ، فأقام ثلاثين سنة والثوب مُعَلَّق عليه !

ولم يزل مقيمًا بالشرق [٣] إلى نوبة مصر المشهورة ، وحريقها ، فأُدْخِلَ إلى القاهرة ، ونزل فى دويرة بها ، وتوفى فيها [٤] .

قبر شحّاذ الفقراء [٥] :

وبجانبه على الطريق [٦] بقُرْبِ – تحت المسجد – قبر الشيخ الصالح

---

(١) فى « م » و « ص » : « البلين » فى الموضعين ، وأيضًا فى الكواكب السيارة .

(٢) فى « م » : « وأنا أسألك » .

(٣) فى الكواكب السيارة « بالشارع » .

(٤) إلى هنا ينتهى ماكتب عن أبى العباس فى « م » و « ص » وزاد ابن الزيات فى الكواكب السيارة بعد ذلك مايلى : « وقبره مشهور بهذه الخطة ، معروف إلى الآن – أى إلى عصر ابن الزيات – وكان يقول : عاهدتُ الله على العُزْلَة والجوع . وقال عبد الله بن سعيد : غلطتُ فى حديثٍ ، فقلتُ : عَلَى مَنْ أُصَحِّحَه ، فنمتُ ، فرأيتُ رسول الله ﷺ ، فقال لى : صَحِّحْ حديثى على ابن الحطيئة ، فإنى أُحبه ، وإن الله يحبه بحبى إياه . وقال بعض الفقهاء المالكية : قلتُ لابن الحطيئة : قيل عن المُزَنِيِّ : إنه رأى رسول الله ، ﷺ ، فقال : يارسول الله ، ما فعَلَ الله بالشافعى ؟ فقال : سألتُ الله ألّا يُحاسبه . فقال ابن الحطيئة : أتدرى بماذا قلت ؟ قال : لا . قال : لأنه كان يقول : « اللهم صَلِّ على سيدنا محمد كلما ذَكَرَهُ الذَّاكرون ، وصَلِّ على سيدنا محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون » ، وهذه صلاة ما صَلّاها أحدٌ قبل الشافعى ، فلما قَدِمَ الشافعى على الله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : ربِّ ، أسألك ألّا تُحاسِبَ الشافعيَّ ، فإنه صَلَّى عَلَيَّ صلاةً ما صَلّاها أحدٌ عليَّ قبله .. وكان ابن الحطية ينسخ فلا يفرغ من كتابة الكتاب حتى يحفظه ويتكلم على معانيه . وكان إذا تكلم فى رجال الحديث كانوا كأنهم معه فى صحيفة . وله الحواشى على كتاب مسلم » .

(٥) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ٢٣٢] .

(٦) فى « ص » : « طريق » .

المعروف بِشَحّاذ الفقراء ، كان إذا رأى فقيرًا يمضى إلى الأغنياء ويطلب منهم ، ويأتى بما يتحصَّل إلى الفقير ، [ولا يترك لنفسه شيئًا] (١) ، فقيل : إنه أخذ للفقراء (٢) أشياء كثيرة ، وفرَّق فيهم على قَدْرِ حاجاتهم (٣) ، فبقى معه فَضْلَة ، فلم يجد فقيرا (٤) يدفعها إليه ، فَبَنَى المسجد المذكور بها .

المسجد المعروف بالكنز (•) : وتحته الكنز ، وكان هذا المسجد صغيرًا جدًّا ، فهدمه رَجُلٌ يُعْرَف بأبى الحسن القرقوبى (٥) وبناه .

أخبرنا (٦) أبو الحسن أحمد بن جمرة بن على بن الحسين بن الحسن المعروف بالهُورِينى قال : كتب إلىَّ القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن على القضاعى ، من مصر ، قال : وجدتُ فى الصحراء ثلاثة مساجد ، منهم مسجد هو غربىّ الخندق وبحرى قبر ذى النون ، وهو الذى بناه أبو الطّاهر ، وأبو الحسن محمد بن على المعروف بابن القرقوبى - المذكور آنفًا - هَدَمَهُ بعد أن كان صغيرًا ووسَّعَه (٧) .

رُوِىَ عن القاضى أبى جعفر محمد بن سلامة القضاعى عنه أنه قال (٨) : لمَّا هَدَمْتُ هذا المسجدَ وأَمَرْتُ بعمارته ، رأيتُ فى النوم قائلاً يقول : على أَذْرُعٍ من هذا كَنْزٌ (٩) . فاستيقظتُ وقلت : هذا من الشيطان (١٠) . ورأيت ذلك

---

(١) فى « م » : « للفقير » ومابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) فى « ص » : « على اسم الفقراء » .

(٣) فى « م » : « وفرَّقَ عليهم على قَدْر الحاجة » .

(٤) فى « ص » : « فلم يجد بمصر فقيرًا » .

(•) فى الكواكب السيارة : « ثم ترجع إلى التربة المعروفة بالكنز » . وفى تحفة الأحباب : « ثم ترجع إلى التربة المعروفة بالكنز ، وكان بها مسجد صغير ، وتحته الكنز » .

(٥) فى « ص » : « يُعرف بالقرقوبى » .

(٦) من هنا إلى قوله : « ووسَّعَهَ » عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٨) فى « ص » : « رَوَى القضاعى عنه ، قال » .

(٩) فى « م » : « ازرع فى هذا المسجد كنزًا » .

(١٠) فى « م » : « هذا شيطان » .

مرارًا [(١)] ، فلمّا أصبحت غَدَوْت [(٢)] إلى المسجد ، وأمرتُ بعض الفَعَلَة بِحَفر الموضع [(٣)] الذى قيل لى عنه ، فحفروه [(٤)] ، فإذا قبرٌ عليه لوح كبير وتحته ميتٌ فى لَحْدٍ كأعظم ما يكون من الناس جُثَّةً ، وأكفانه طَرِيَّة لم تُبْلَ ، ولم يَبْلَ منها شىء إلّا رأسه [(٥)] ، فإنى رأيتُ شَعْرَه قد خرج من الكفن . فقلتُ : هذا هو « الكنز » بلا شك ، فأمَرْتُ بإعادة اللَّوْح فى التراب ، وأحرفت القبر حتى أساس الحائط [(٦)] ، وأبْرَزْتُهُ للناس .

تربة سماسرة الخير [(٧)] :

وبجانب التُّرْبَة تُرْبَةٌ فيها قبور سماسرة الخير [(٨)] رحمهم الله تعالى . يقال : إنَّ رَجُلاً جاء إلى السوق – بعد موتهم – يطلب شيئًا لله تعالى ، فقال لِرَجُلٍ : عسى أنْ تدلَّنى علَى مَنْ يأخذ لى من المسلمين شيئًا . فقال : أنا أفعل ذلك [(٩)] . [ثم أَخَذَه ودارَ به على الناس ، فلم يُفْتَح عليه بشىء] ، فأخذه

---

(١) فى « ص » : « فرأيت ذلك ثلاث مرار » .

(٢) فى « م » : « عدتُ » .

(٣) فى « م » : « فحَفَر لى الموضع » .

(٤) قوله : « فحفروه » عن « ص » .

(٥) فى « م » : « وأكفانه لم يَبْلَ منها شيئا – الصواب : شىء – إلّا رأسه » . وفى الكواكب السيارة : « إلا نحو رأسه » .

(٦) فى « ص » : « على أساس الحائط » . وأحرفتُ القبر : أى جعلتُ له بُروزًا وحروفًا كالأسوار . وفى الكواكب السيارة : « وأَخْرَجَ القَبْرَ عن جدار الحائط » .

(٧) العنوان من عندنا وهى تربة عليها مهابة وجلالة . [انظر الكواكب السيارة ص ٢٣٠ و ٢٣١ ، وتحفة الأحباب للسخاوى ص ٣٦٣ و ٣٦٤] .

(٨) وهم : السيد أحمد ، والسيد عبد الله ، والسيد على ، ويعرفون بالسكريين ، قيل : إنهم فعلوا الخير وهم أموات كما كانوا يفعلونه وهم أحياء . والسماسرة مفردها سمسار ، وهو الوسيط بين البائع والمشترى لتسهيل الصفقة .

(٩) فى « ص » : « أنا أدلُّك » . ومابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

وجاء به إلى قبورهم ، ثم قال له [١] : هؤلاء سماسرة الخير . فقال له الرجل : أتَيْتَ بى إلى قبور ؟! فَجَلَس الرجلُ محزونًا جائعًا ، فَنَام مِمَّا لحقه من الهَمِّ ، فرأى فى منامه واحدًا منهم ، فقصَّ عليه قصته ، فقال له : امضِ إلى ولدى فى دارى الفلانية بالمكان الفلانى ، واسمه فلان ، وقُلْ له احفر فى مكان كذا وكذا من الدار [٢] ، وادْفَعْ لى ما أُنْفِقُ [٣] . فاستيقظ الرجل ، وجاء إلى الدار التى وصفها له الميت ، واجتمع بولده ، وذكر له المنام ، وعَيَّنَ له الموضع ، فحفر فيه فوجد « بَرْنِيَّة » [٤] فيها ثلاثمائة دينار ، فأخذها الرجل واستغنى بها .

* * *

قبر أبى شعرة صاحب الدار [٥] :

وبجانبه إلى الشرق قبر أبى شعرة ، يقال له : « صاحب الدار » رحمه الله تعالى ، كان له دار يُسْكِنُها لله تعالى ، ويجعل لمَن يسكنها ما يأكل وما يشرب ، والكسوة له ولعياله [٦] لمُدَّة ستة أشهر . ويشترط ذلك مع كُلِّ ساكن [٧] .

---

(١) فى « ص » : « فقال له » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « تمضى إلى دارى وتقول لولدى : احفر فى مكان كذا وكذا ؛ ووصف له موضعًا فى الدار » .

(٣) فى الكواكب السيارة : « وما وَجَدَهُ يدفع لك منه ما تُنفقه » .

(٤) البَرْنِيَّة : إناءٌ واسع الفم من خَزَف أو زجاج ثخين .

(٥) العنوان من عندنا .

(٦) فى « م » : « ولعائلته » .

(٧) قوله : « ويشترط ذلك مع كل ساكن » عن « م » وساقط من « ص » .

قبر الشيخ أبى الحسن الفرّار [١] :

وبجانبه إلى الشرق قبر الشيخ أبى الحَسَن على بن الحسَن بن عمر المعروف بالفرَّار ، رحمه الله ، وهو أحد المشايخ المُجيدين [٢] المُحَدِّثين ، والثقات المأمونين ، سمع الحديث كثيرًا [٣] ، وحَدَّثَ عن أبى زكريا عبد الرحيم [٤] بن أحمد البخارى ، [وأبى علىّ بن صالح الرُّوذَبارِى ، وأبى عبد الله الحسين بن محمد العيسى ، وأبى القاسم سعد بن على الريحانى ، وأبى الحسن عبد الباق بن فارس المقرىء ، وأبى القاسم خلف بن أحمد الحوفى] [٥] وغيرهم . ولم ينتشر الحديث بديار مصر إلّا منه ، وأخذوا عنه كثيرًا .

* * *

ثم تستقبل الجهة البحرية على يمينك [٦] تجد على شاطىء الخندق مَعْبَد ذى النون – رحمه الله – وقبالته قبر الشيخ أبى الخير الأقطع التيناتى رحمه الله تعالى – وسيأتى ذكره [إنْ شاء الله تعالى] [٧] ، فأمَّا المسجد الذى فيه معبد ذى النون هذا فهو الذى بناه الفخر الفارسى الآن ودُفِنَ به [٨] ، وكان سبب

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) قوله : « المجيدين » عن « م » .

(٣) فى « ص » : « سمع الكثير » .

(٤) فى « م » : « عبد الرحمٰن » تحريف من الناسخ . [وانظر ترجمته فى تذكرة الحُفَّاظ ج ٢ ص ١١٥٧] .

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) فى « ص » : « تستقبل البحرى عن يمينك » .

(٧) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٨) قوله : « ودُفن به » عن « م » .

بنائه أنه رأى فى المنام كأنَّهُ واقفٌ على قبر الشيخ أبى الخير التيناتى رحمه الله ، وهو ينظر إلى الصحراء وهى مملوءة رجالاً عليهم ثيابٌ بيض ، وفيهم النبى ، ﷺ ، [وكأنه جاء إلى رسول الله ﷺ] [١] فَقَبَّل يده ، فقال له : لِمَ لا تبنى هذا المسجد ؟ فقال : يارسول الله ، ما بيدى شىء . فقال : قُلْ للمسلمين يبنونه . ثم مَشَيَا إلى أنْ أتيا إلى قبر ذى النون ، فوقفا على شفير القبر ، فقال رسول الله ، ﷺ : السلام عليك ياذا النون ، فكأنَّ القبر انشق وقام منه رجل فقال : وعليك السلام يارسول الله ورحمة الله وبركاته . قال الفخر [٢] : ثم عُدْنَا إلى قبر الشيخ أبى الخير التيناتى رحمة الله عليه ، فقال : [له رسول الله ﷺ] [٣] : يا فَخْرُ ، ابْنِ هذا المسجد [٤] ، فإنه مَنْ توضأ ثم صلى فيه ركعتين يقرأ فى الأولى بفاتحة [٥] الكتاب وسورة تبارك ، وفى الثانية بفاتحة الكتاب وسورة « هل أتى على الإنسان » ويسلم ويخرج من المعبد ووجهه إلى القبر إلى أن يأتى قبر الشيخ أبى الخير التيناتى [٦] ، وسأل الله حاجته إلَّا أعطاه الله إيَّاها . قال الفخر رحمه الله : فانتبهتُ [٧] ، فذكرتُ هذا المنام ، فسمعه رجلٌ ، وكان يملك دارًا ، فباعها وبَنَى بها هذا المسجد .

قبر الشيخ أبى الخير التِّينَاتِى الأقطع - رحمة الله عليه :

قُبالة [٨] المعبد المذكور - كما تقدم شرحه - [قبر الشيخ أبى الخير

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .
(٢) قوله : « قال الفخر » عن « م » .
(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » ولم يرد فى « م » .
(٤) فى « م » : « إن هذا مسجد » .
(٥) فى « م » : « فاتحة » فى الموضعين .
(٦) فى « م » : « إلى أن يأتى إليه ، يعنى قبر الشيخ أبى الخير » .
(٧) فى « م » : « قال : فانتبهتُ » .
(٨) فى « م » : « يقابل » .

التيناتى] [1] واسمه حمّاد بن عبد الله ، وكان ينسج الخوص بإحدى يديه ، ولا يُعْلَم كيف ذلك [2] . وتأتى السِّباعُ إليه على الدوام ، وله العجائب فى أحواله ، وقُطِعت يده مع لُصوص أُخِذَ معهم ، إذْ دَخَل مغارة وجدهم فيها ، فأُخِذَ وقُطِعَ معهم . وستأتى حكايته بعد ذلك [3] .

كان رجلاً زاهدًا عابدًا ، أصله من المغرب ، وسَكَنَ « التينات » وهى من أعمال « حَلَب » ، وكان أسود اللَّوْنِ ، سيدًا من السادات [4] . وله كراماتٌ ، كانت السِّباع والهوام تأنس به ، فَسُئل عن ذلك فقال : الكلاب يأنس بعضها ببعض . مات سنة نَيِّف وأربعين وثلاثمائة .

وَقال أبو الخير المذكور : رأيتُ رسولَ الله ﷺ فى المنام ، فَقَبَّل بين عَيْنَىَّ ثم قال لى : يا أبا الخير ، عليك بالصلاة ، فإنى استوصيتُ ربِّى فأوصانى بالصلاة وقال : أقرب ما يكون منى العبد وهو يُصلى لى [5] .

وروى عنه أنه قال : دخلتُ مدينة الرسول ﷺ وأنا ذو فاقة ، فأقمتُ

---

(١) مابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة السياق ، وما بعده عن « م » وساقط من « ص » إلى قوله : « وستأتى حكايته بعد ذلك » . والتيناتى مذكورة فى الكواكب السيارة « التنياتى » بتقديم النون على الياء ، وهذا خطأ ، فقد جاء فى معجم البلدان التِّيناتى نسبة إلى « تِينات » وهى فُرْضَةٌ – أى مَحَطٌّ للسُّفن – على بحر الشام قرب المصيصة ، كانت تجهز منها المراكب بالخشب إلى الديار المصرية . وقد سماها أبو الوليد الفرضى « مدينة » فقال .. وبمدينة التِّينات أبو الخير الأقطع ، واسمه عبَّاد بن عبد الله ، كان من أعيان الصالحين ، له كرامات ، وسكن جبل لبنان ... الخ ، وستأتى هنا .

[انظر معجم البلدان – مادة « تينات » – ج ٢ ص ٦٨] .

(٢) أى ينسج الخوص بيد واحدة بعد أن قطع اللصوص اليد الثانية ، وستأتى حكايته .

[انظر المرجع السابق ، وانظر تحفة الأحباب ص ٢٣٢ – ٢٣٧ ، والكواكب السيارة ص ١١٠ – ١١٣] .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٤) من قوله : « وهى من أعمال حلب » إلى هنا ، عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) من قوله : « وقال أبو الخير » إلى هنا ، عن « م » ولم يرد فى « ص » .

خمسة أيام لم أَذُقْ [١] طعاماً ، فتقدمتُ إلى قبر النبى ﷺ وقلت : يارسول الله ، أنا ضيفُك الليلة ، وتَنَحَّيْتُ ناحية ونِمْتُ خلف المنبر ، فرأيتُ النبى ﷺ وأبا بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وعلىّ بن أبى طالب بين يديه ، فحركنى علىٌّ رضى الله عنه [٢] وقال : قُمْ ، قد جاء رسول الله ﷺ ، فقمتُ فَقَبَّلْتُ بين عينيه [٣] ، فدفع إلىّ رغيفًا ، فأكلتُ نصفه وانتبهت وفى يدى النصف الآخر .

وقال أبو بكر الدَّارانى : أنشدنى الشيخ أبو الخير الأقطع [٤] :

أَنْحَلَ الـحُبُّ قَلْبَـهُ والْحَنِيـنُ ... ومَحَاهُ الهَـوَى فَمَـا يَسْتَبِيـنُ [٥]

مَا تَـرَاهُ القلـوبُ إلّا ظُنُونًـا ... وهو أَخْفَى من أَنْ تَراهُ الظنونُ

وقال لى [٦] : لن يصفو قلبك إلّا بصحيح النِّيّة لله تعالى ، ولن يصفو بدنك إلّا بخدمة أولياء الله تعالى ، وما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلّا بمُلازمة الموافقة ، ومتابعة الأدب ، وأداء الفرائض ، ومحبة الصالحين ، وخدمة الفقراء الصادقين [٧] .

وكان يقول : حرامٌ على قلب مشرب بحب الدنيا أَنْ يَسْبَحَ فى روح الغيوب .

---

(١) فى « ص » : « ما ذُقتُ » .

(٢) فى « ص » : « عليه السلام » .

(٣) فى « م » : « قبّلْتُ الأرض بين يديه » .

(٤) فى « م » : « أنشدنى أبى – الصواب : أبو – الخير الأقطع شعرًا يقول » .

(٥) أتى الناسخ فى « ص » بالشطرة الثانية من البيت الثانى مكان الشطرة الثانية من هذا البيت سهوًا منه .

(٦) فى « م » : « وقالوا لى » .

(٧) فى « ص » : « ومحبة الصادقين وخدمة الفقراء الصالحين » .

ورُوِىَ عن أبى الخير – رحمة الله عليه – أنه دَخَلَ عليه جماعة من أهل بغداد [١] فأكثروا عنده الكلام ، فضاق صدره من كثرة كلامهم وحديثهم فى الدعاوى ، فَخَرَج عنهم ، فجاء السَّبُعُ فدخل البيت عليهم ، فَانْضَمَّ بعضُهم إلى بعض وسكتوا ، وتغيرتْ ألوانهم ، فدخل عليهم أبو الخير وقال : ياساداتى ، أين تلك الدعاوى ؟ وطَرَدَهُ عنهم .

وقال أبو الحسين : زُرْتُ أبا الخير التيناتى ، فلمَّا ودَّعته خرج معى إلى باب المسجد وقال : يا أبا الحسين ، أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلوماً ، ولكن خذ [٢] هاتين التُّفَّاحتين ، فأَخَذْتُهُمَا ووضعتهما فى جيبى وسرتُ ، فلم يُفْتَح لى بشىء [٣] ثلاثة أيام ، فأخرجتُ واحدة فأكلتها ، ثم أَرَدْتُ أن أُخرج الثانية فإذا بهما جميعًا فى جيبى ، وكنت آكل منهما ويعودان كذلك إلى [أنْ وصلتُ] [٤] إلى باب الموصل ، فقلتُ فى نفسى : إنهما يُفْسِدان علىَّ حالى وتوكُّلى على الله تعالى ، إذَا [٥] صَارَتَا معلوماً ، فأخرجتُهما من جيبى ، ونظرتُ فإذا فقيرٌ مَلْفُوفٌ فى عباءة وهو يقول : أشتهى تفاحة ! فناولتُه إيَّاها ، فلمَّا بعدتُ عنه وَقَعَ لى أنَّ الشيخ إنما بعث بهما إليه ، فطلبتُ الفقير فلم أجِدْهُ .

وقال [٦] حمزة بن عبد الله العلوى : دخلتُ على أبى الخير ، وكنتُ عقدتُ [٧] فى نفسى أنْ أُسلم عليه وأخرج ولا آكُل عنده شيئًا ، فلما خرجتُ من عنده إذا به خلفى يحمل طبقًا عليه طعام وقال : يافَتَى ، كُلْ هذا ، فقد خَرَجْتَ الآن من عَقْدِك .

---

(١) فى « م » : « دخل على جماعة من بغداد » .
(٢) قوله : « ولكن خُذْ » عن « ص » .
(٣) فى « م » : « فَسِرْتُ فلم يُفتح بشىء » .
(٤) مابين المعقوفتين عن « م » .
(٥) فى « ص » : « إذْ » .
(٦) فى « م » : « قالى لى » .
(٧) فى « ص » : « اعتقدتُ » .

وقال إبراهيم الرقّى : قصدتُ أبا الخير أزوره ، فَصَلّى المغرب و لم يقرأ الفاتحة صحيحة [١] ، فقلت فى نفسى : ضاعَتْ سَفْرَتى ، فلمّا سلَّمْتُ خرجتُ إلى الطَّهَارة ، فقصدنى السَّبُع ، فَعُدْتُ إليه وقلت : إنَّ الأسد قصدنى ، فخرج وصاح عليه وقال : أَلَمْ أَقُلْ لكَ لا تتعرض لِضيفانى ؟ فَتَنَحَّى السبعُ [٢] ، ومضيتُ ، وتطهرتُ ، فلما رجعتُ قال لى : اشتغلتُم بتقويم الظَّاهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد .

وقال بكر بن عبد الله [٣] : لم يكن لى علم بما كان سبب قطع يده ، إلى أنْ هجمتُ عليه وسألتُه عن سبب قطع يده ، فقال : يَدٌ جَنَتْ فَقُطِعَتْ . فظننتُ أنه كانت له صَبْوَة فى حداثته فى قَطْع الطريق أو غيره ، ثم اجتمعتُ به [٤] بعد ذلك بسنين مع جماعة من الشيوخ ، فتذاكروا مواهب الله تعالى لأوليائه ، وأكثروا كرامات [٥] الله لهم ، إلى أن ذكروا طَىَّ المسافات ، فتبرَّمَ الشيخ بذلك وقال : لِمَ تقولون فلانٌ يمشى إلى مكة فى ليلة ، وفلان فى يوم ؟ أنا أعرفُ عبدًا لله تعالى حَبَشِيًّا كان جالسًا فى جامع طرابلس ، ورَأسه فى جيب مُرَقَّعَتِهِ [٦] ، فخطر له لو كان فى الحَرَم [٧] فأَخْرَجَ رأسه من مرقعته فإذا هو بالحَرَم [٨] ، ثم أَمْسَكَ عن الكلام . فتغامَزَ الجماعةُ وأجمعوا [٩] على أنه ذلك الرجل .

---

(١) فى « م » : « فما أحسَنَ قراءة الفاتحة على الصحة » .

(٢) « السبع » عن « م » .

(٣) « بكر بن عبد الله » عن « م » .

(٤) « به » عن « ص » .

(٥) فى « ص » : « كرامة » .

(٦) فى « م » : « فى جيبه ، أى فى مرقعته » . وجيب القميص ونحوه : ما يُدْخَلُ منه الرأس عند لُبْسِهِ . والمُرَقَّعَة : من لباس الصوفية ، سُمِّيت بذلك لما فيها من الرُّقَع .

(٧) فى « ص » : « فخطَر له طِيبَةَ البيت الحرام ، فقال فى سِرِّه : ياليتنى كنتُ فى البيت الحرام » .

(٨) فى « م » : « فى الحرم أو بالحرم » .

(٩) فى « ص » : « واجتمعوا » .

وقام واحدٌ من الجماعة فقال : ياسيدى ، ما كان سبب قطع يدك ؟ فقال : يدٌ جَنَتْ فَقُطِعَتْ . فقالوا : سمعنا هذا منك مرارًا [(١)] كثيرة ، أَخْبِرْنا كيف كان السبب . فقال : أنتم تعلمون أنّى رجل من أهل المغرب [(٢)] ، فوقعَتْ فى قلبى مطالبة السَّفَر [(٣)] ، فَسِرْتُ حتى بلغتُ الإسكندرية ، فأقمتُ بها اثْنَتَى عَشْرَةَ سنة [(٤)] ، وكان فى الناس خَيْرٌ . ثم سِرْتُ منها إلى أنْ صِرْتُ بين شطا [(٥)] ودمياط ، لازرع ولا ضرع ، فأقمتُ اثنتى عشرة سنة [(٦)] ، وكان فى الناس خير ، وكان يخرج من مصر خلقٌ كثير يرابطون بدمياط ، وكنت قد بنيتُ كوخًا على شاطىء البحر ، وكنت أَجِىءُ من الليل إلى تحت السور ، وإذا أَفْطَر المرابطون ورَموا باقى سُفَرِهِم [(٧)] أزاحم الكلاب على اللباب [(٨)] فآخذ كفايتى ، وكان هذا قُوتى [(٩)] فى الصيف . قالوا : فما كان قُوتُكَ فى الشتاء [(١٠)] ؟ قال : كنتُ بَنَيْتُ حولى كوخًا [(١١)] من البردى آكُلُ أسفله وأعمل فى الكوخ أعلاه ، فكان هذا قوتى [(١٢)] إلى أنْ نُودِيتُ فى سِرِّى : يا أبا الخير ، تزعم أنك لا تُشارِكُ الخَلْقَ

---

(١) فى « م » : « قد سمعنا هذا منك مرار » والصواب : مرارًا .

(٢) فى « ص » : « من الغرب » تصحيف .

(٣) فى « م » : « فوقعتُ فى مطالبة السفر » .

(٤) فى « م » : « ثنتى عشر سنة » وفى « ص » : « اثنا عشر سنة » وكلاهما خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) شطا : بُلَيْدة – أو مدينة – على ثلاثة أميال من دمياط ، على ضفة البحر . [انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٢ و ٣٤٣ مادة شطا] .

(٦) فى « م » و « ص » : « اثنا عشر سنة » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) فى « م » : « ورَمَوْا سُفَرِهم » . والسُّفَرُ : جمع سُفْرَة ، وهو الطعام يُصنع للمسافر ، أو ما يُحْمَلُ فيه هذا الطعام .

(٨) اللُّبَاب : خالصُ كُلِّ شىء .

(٩) فى « م » : « وقتى » تحريف .

(١٠) فى « م » : « قالوا : ففى الشتاء ؟ » .

(١١) فى الكواكب السيارة : « كان ينبت حول كوخى » .

(١٢) فى « م » : « وقتى » تحريف .

فى أقوانهم وتُشير إلى التوكل وأنت فى وسط المعلوم جالس ! فقلت : إلٰهى وسيِّدى ومَوْلاى ، وعِزَّتك لامَدَدْتُ يدى إلى شيءٍ تُنْبتُه الأرض حتى تكون أنت الموصل إلَىَّ رزقى من حيث لا أكون أنا أتولاه . فأقمتُ اثْنَى عَشَرَ يومًا أُصلى الفرض والسُّنَّةَ ، ثم عجزتُ ، فأقمتُ اثْنَى عَشَرَ يومًا أُصلى جالسًا ، ثم عجزتُ عن الجلوس ، فرأيتُ أنّى إنْ طرحتُ نَفْسِى ذَهَبَ فَرْضِى ، فقلت فى سِرِّى [1] : إلٰهى وسيدى ، فَرَضْتَ علَىَّ فرضًا تسألنى عنه [2] ، وضَمِنْتَ لى رزقاً تُقيمنى به [3] . فتفضَّل عَلَىَّ برزق ولا تُؤَاخِذْنِى بما عقدتُه معك . وإذا [4] بين يدَىَّ قُرْصان [5] وبينهما شيء – ولم يذكر لنا ما كان [6] ذلك الشيء ، ولم يسأله أحد من الجماعة عنه – قال : فكُنتُ آخُذُه وقت حاجتى إليه من الليل إلى الليل [7] ، ثم طُولِبْتُ بالسَّفَر إلى الثغر ، حتى دخلت قرية ، فوجدتُ فى صَحْنِ الجامع قاصًّا يقص على الناس وحوله جماعة [8] ، فوقفتُ بينهم أسمع [مايقول] [9] ، فذكر قصة زكريا عليه السلام والمنشار ، وما كان من خطاب الله تعالى له حين هرب منهم ، وأنَّ الشجرة دعته وقالت : إلَىَّ يازكريا [10] ، فانفرجت ودخلها [11] وانطبقت عليه ، ولحقه العدوُّ ، فناداهم إبليس : إلَىَّ ، فهذا زكريا [12]

---

(١) فى « ص » : « فنظرتُ إلى سِرِّى وقلت » .

(٢) فى « م » : « أنت مُسَائلى عنه » .

(٣) فى « ص » : « تقيمه لى » . وفى التحفة : « تسوقه لى » .

(٤) فى « م » : « فإذا » .

(٥) فى « م » و « ص » : « قرصين » خطأً ، والصحيح ما أثبتناه .

(٦) فى « م » : « ولم يذكر ذلك الشيء ماهو » .

(٧) فى « م » : « فكنتُ آخُذُ القرصين من الليل إلى الليل على دائم وقتى » .

(٨) فى « م » : « وعنده خَلْقٌ كثير » .

(٩) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(١٠) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فنادته الشجرة : إلَىَّ إلَىَّ يازكريا » .

(١١) فى « م » : « وانفرَجَتْ له فدخل فيها » .

(١٢) فى « م » : « وأنَّ إبليس مَسَكَ طرف ثوبه وجعله خارج الشجرة ، وأعلم قومه بدخوله فيها » .

ثم أخرج لهم حيلة المنشار ، فَنُشِرَت الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا ، فَأَنَّ أَنَّةً ، فأوحى الله تعالى إليه : يازكريا ، إنْ أَنَّيْتَ ثانية لَأَمْحُوَنَّكَ من ديوان النُّبُوَّة . فَصَبَرَ [1] زكريا حتى نُشِرَ نصفين .

قال أبو الخير : فقلتُ [في نفسى] [2] : إلٰهى وسيدى ، إن ابتليتنى لَأَصْبِرَنَّ . وسِرْتُ حتى دخلتُ [3] أنطاكية ، فرآنى بعض إخوانى [4] ، وعلم أنى أريد الغزو ، وكنتُ يومئذ أستحى [5] من الله تعالى أنْ آوىَ إلى وراء سور ، فدفع لى سيفًا وتُرْسًا وحَرْبَة [6] ، فدخلتُ الثغر خيفة من العدو [7] ، فجعلت مقامى فى غابة أكون فيها بالنهار ، فإذا جاء الليل خرجت إلى الساحل فأغرز الحربة وأسند الترس إليها محرابًا [8] ، وأتقلد بسيفى وأصلى إلى الغداة [9] ، فإذا صليتُ الصبح عُدْتُ إلى الغابة فكنتُ فيها نهارى . ثم خرجتُ يومًا فنظرت إلى شجرة كَرْم قد أينعت وفيها عنقود قد وقع عليه النَّدَى [10] وهو يبرق ، فاستحسنْتُه ، ونسيتُ عهدى مع الله تعالى وقَسَمِى ألَّا أَمُدَّ يدى إلى شيء مما تنبته الأرض ، فمددتُ يدى إلى الشجرة فقطعتُ منها عنقودًا ، وجعلتُ بعضه فى

---

(١) قوله : « فصبر » عن « م » .. وفى « ص » : « فَغَصَّ » .

(٢) قوله : « قال أبو الخير » عن « ص » .. ومابين المعقوفتين عن « م » .

(٣) فى « ص » : « دخلنا » .

(٤) فى « م » : « أصحابى » .

(٥) فى « م » : « أحتشم » .

(٦) فى « ص » : « وحربة للسبيل » .

(٧) فى « م » : « فدخلت السفر خليفة العدو » تحريف من الناسخ .

(٨) فى « م » : « وأغرز الحربة وأجعلها لمحرابى » والمحراب : مقام الإمام من المسجد .

(٩) فى « م » : « إلى الصباح » .

(١٠) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فنظرتُ فى بعض الأيام إلى شجرة بُطْمٍ قد بلغ بعضها » ، والبُطم : شجرة من الفصيلة الفُستقية ، وطولها من ٤ إلى ٨ أمتار ، وثمرتها حَسَكَةٌ مفلطحة خضراء ، تنقشر عن غلاف خشبى يحوى ثمرة واحدة ، تؤكل ببلاد الشام .

فمى [١] ، فتذكرتُ العهد ، فرميت ما كان فى يدى ، ولفظت ما كان فى فمى ، ولكن بعد أن جاءت المحنة [٢] ، فرميت الحربة والترس وجلستُ فى موضعى ، ووضعت يدى على رأسى ، فلما استقر بى الجلوس جَازَ بى رجال كثير وفُرسان [٣] وقالوا لى : قُمْ ، وساقونى وخرجوا بى إلى السَّاحِل ، فإذا أميرٌ وحوله عسكرٌ وجماعة ، وبين يديه جماعةٌ من السودان كانوا يقطعون الطريق فى ذلك المكان قبل ذلك اليوم ، وقد أمسكهم ، وتفرقت الخيل فى الغابة يطلبون من ذَهَبَ منهم ، فوجدونى أُسْوَدَ ومعى سيف وترس وحربة [٤] ، وكان الأمير تُركيًّا ، فقال لى : مَنْ أنت ؟ قلت : عبدٌ من عبيد الله تعالى . فقال للسودان : أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال : بل هو كبيركم وأنتم تفدونه بأنفسكم . فَقَدَّمُوهم فَقُطِّعتْ أيديهم وأَرْجُلهم من خِلاَف ، ولم يبقَ غيرى ، فَقَدَّمُونى ثم قالوا [٥] : مُدَّ يدك ، فمددتُها ، فَقُطِعَتْ ، ثم قيل لى : مُدَّ رجلك ، فرفعتُ طَرْفى فى السماء وقلت : إلٰهى وسيدى ، يدى جَنَتْ ، فما بال رجلى ؟! وإذا بفارس وَقَفَ على الحلقة ونظَر إلَىَّ [٦] ، ورمى بنفسه عَلَىَّ وصاح ، وقال للأمير : هذا الشيخ أبو الخير المُناجِى الرجل الصالح ! فصاح الأمير : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وجعل الأمير يقبل يدِى ويعتذر إلَىَّ ويقول [٧] : بالله عليك ياسيدى اجْعَلْنِى فى حِلٍّ . فقلت له : أنت فى حِلٍّ قبل أن تقطع يدى [٨] .

* * *

---

(١) فى « م » : « ووضعتُ منه شيئًا فى فمى » .

(٢) فى « ص » : « وبصقتُ » . مكان : « ولفظت » وهى بمعناها . وفى « م » : « فنبذتُ ذلك من فمى بعد أن جاءت المحنة » .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فما استقر بى الجلوس حتى دار بى فارسان وَرجَّالة كثيرة » . وجَازَ : مَرَّ .

(٤) هكذا فى « م » و « ص » ولها وجه فى اللغة .

(٥) فى « م » : « فتقدمتُ وقيل لى » .

(٦) فى « م » : « فلما رآنى رَمَى بنفسه إلى الأرض وصاح » .

(٧) فى « ص » : « ورَمَى الأميرُ بنفسه وأخذ يدى يُقبلها ويبكى ويقول » .

(٨) هكذا العبارة فى تحفة الأحباب . وفى « م » : « فقلت : قد جعلتُك فى حِلٍّ من قبل –

وبجانب قبره إلى القبلة قبر العفيف العطّار ، ويعرف بعبد الخالق ، كان رجلاً جيدًا ، حَسَن الصحبة ، من فُعَلاء الخير ، يحب الخير وأهله [(١)] .

قبر الشيخ أبى موسى يونس بن عبد الله الصدفى ، صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنهما [(٢)] :

وتستقبل الغرب تجد قبرًا بَقِىَ عليه لوح كدان عند رأسه ، ولوح عند رجليه ، وهو قبر مسنم لطيف ، وفى آخر قباب الصدفيين والليث ، هو على يسار المارِّ إليه ، وهو قبر يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص بن جابر الصدفى ، وكيل الليث بن سعد ، وآخر أصحاب الشافعى ، يُكْنَى أبا موسى [(٣)] .

كان من كبار العلماء ، رَوَى عن جماعة ورَوَى عنه جماعة [(٤)] .

ومن حكاياته التى رواها عن غيره [(٥)] أنَّ إنساناً جاء إلى إنسانٍ فقال له : أَقْرِضْنِى [(٦)] أَلْفَ دينارٍ إلى أَجَل . فقال له : مَنْ يضمنك [(٧)] ؟ قال : الله

= أن تقطع يدى » . وفى « ص » : « من قبل القطع » .

(١) من أول الفقرة إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » . وفيها « العصار » مكان « العطار » ، وما أثبتناه عن الكواكب السيارة ص ١٠٦ و ١١٣ . واسمه « عفيف الدين » .

(٢) هذا العنوان عن « ص » ويونس بن عبد الأعلى من كبار الحفاظ ، رَوَى عن ابن عُيينة ، وتفقه على الشافعى ، وقرأ على « ورش » ، وانتهت إليه رياسة العلم وعلوُّ الإسناد فى الكتاب والسنة ، وكان ركنًا من أركان الإسلام فى عصره ، وكان ورعًا ، صالحًا ، عابدًا ، كبير الشأن .. ولد سنة ١٧٠ هـ ، وتوفى سنة ٢٦٤ هـ . [انظر : حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠٩ ، وانظر تحفة الأحباب ص ٢٢٣] .

(٣) من أول الفقرة إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « من كبار العلماء ، مُحَدِّثُ أهلِ مصر وعالمهم بالمعانى ، وأرواهم النكت فى الفقه عن الشافعى والرواية عنه ، وهو يشاركه فى ابن عُيينة وغيره من شيوخه ، رَوَى عن جماعة » .

(٥) فى « م » : « ورَوَى عن بعض مشايخه » .

(٦) فى « ص » : « أنَّ رَجُلًا جاء إلى النحاس فقال له : أسلفنى » .

(٧) فى « ص » : « فقال له النحاس : مَنْ يضمن لى المبلغ ؟ » .

تعالى . فأقْرَضَهُ ما طلب [١] . فسافر الرجل ليتجر فيها [٢] ، فباع واشترى وحَصَّلَ مالاً عظيماً [٣] فلما جاء الأَجَل [٤] أراد الخروج والسفر لوفاء دينه ، فلم يجد مركباً ، وحَبَسَتْهُ [٥] الريح ، والبلد الذى هو فيه بعيدٌ عن صاحب الدَّيْن ، فأخذ الرجل خشبة ونقرها ووضع فيها الألف دينار [٦] ورماها فى البحر وقال : يارب قد وفيتُ بضمانك فَأَوْصِلْها إليه . ثم إنَّ الرَّجُل صاحب المال خرج يومًا إلى البحر وجلس يتوضأ على حافته ، فطلعت له الخشبة بين يديه ، فأخذها ومَضَى إلى داره ، فكسرها فرأى فيها ألْفَ دينارٍ وورقة مكتوبًا فيها : « قد وفيت ضمان الله تعالى » [٧] . ثم إنَّ الرَّجُلَ جَمَعَ ألف دينار بعد ذلك [٨] . [وقال : إن لم تكن وصلت تلك ، دفعتُ له هذه . ثم وجد مركبًا] [٩] وطابت له الريح ، فركب وجاء إلى بلده ، ثم جاء للمقترض منه وسَلَّم عليه [١٠] ، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا صاحب الألف دينار ، وهذه أَلْفُكَ . فقال له الرجل [١١] : لا أَقْبَلُها منك حتى تخبرنى ما صنعت فيها . وأخبره بالذى صَنَعَ ، وأنه لم تطب له الريح . فقال له الرجل : لقد أَدَّى الله عنك الألف وَوَصَلَتْ .

---

(١) فى « ص » : « فأعطاه ألف دينار » .

(٢) فى « م » : « وسَافَر الرجل المقترض ليَتَّجِر بهذا القَدْر » .

(٣) من قوله : « فباع ... » إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) فى « م » : « الرجل » تحريف .

(٥) فى « م » و « ص » : « وحبسه » .

(٦) فى « ص » : « فعمل تابوتًا وجعل فيه ألف دينار ، وغلقه وسَمَّرَهُ سدَادًا .. » . ومن قوله : « ورماها » – بعد ذلك – إلى قوله : « ضمان الله تعالى » عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٨) فى « م » : « وحَصَّلَ المقترضُ ألفًا أخرى » .

(٩) مابين المعقوفين عن « م » وساقط من « ص » .

(١٠) فى « ص » : « فجاء إلى النحاس فسلَّمَ عليه .. » .. وتكملة القصة فى « م » هكذا : « ثم جاء للمقترض وسلم عليه ، فقال له : وصَلَتْ إليكَ الدراهم ؟ قال : نعم ، ولكن لا آخُذها حتى تخبرنى ما صَنَعْتَ بها ، فأخبره بالخبر من أوله إلى آخره ، فقال : والله وصلَتْ ، ووفَّى الله الضمان » .

(١١) فى « ص » : « النحاس » مكان « الرجل » فى الموضعين .

وقال الشافعى عند باب الجامع العَمْرى [١] : ما دَخَلَ من هذا الباب [٢] أعقل من يونس بن عبد الأعلى .

وكان كثير التَّنَسُّك ، فقيرًا ، وكان مقبولاً عند القضاة والحُكَّام . وَرَوَى عن الشافعى أنه قال له : يا أبا موسى ، إنه ليس إلى الإسلام من الناس سبيل ، فَخُذْ بما ينفعك ودَعْ ما سوى ذلك . قال : وقال لى الشافعى : يا أبا موسى ، دخلت بغداد ؟ قلت : لا . قال : [لم] تَرَ الدنيا [٣] .

وقال يونس [٤] : رأيتُ فى المنام قائلاً يقول لى إنَّ اسم الله الأعظم – أو قال : الأكبر – « لا إله إلَّا الله » قال يونس : وكنتُ أجد مَرَضا ، فقلتها عليه ومسحتُ بيدى فأصبحتُ مُعَافًى .

شكَى رجلٌ إلى يحيى بن بكر الفقر ، وسأله الدعاء ، فقال : هَلاَّ ذهبتَ إلى يونس الصَّدَفى فسألته الدعاء ، فوالله إنِّى لأَجِدُ لدعائه بركة [٥] .

وعن إبراهيم بن عثمان الفَرَّاء قال : كنت أختلف إلى يونس [٦] بمصر أسمع منه [الحديث فلما عزمتُ على السفر والرجوع إلى المغرب جئت لوداعه ، فسألنى عن اسمى واسم أبى وكُنْيَتى ولقبى وشُهرتى وبلدى] [٧] فأخبرته ، فأخرج قرطاسًا [٨] وكتب ذلك . فقلت له : ما هذا – أصلَحَكَ الله ؟ فقال لى : فى

---

(١) فى « ص » : « عند الباب الأول من جامع مصر » يريد جامع عمرو بن العاص .

(٢) فى « م » : « ما دَخَلَ هذا الجامع » .

(٣) من قوله : « وكان مقبولًا عند القضاة والحكام » إلى هنا ، عَن « م » وساقط من « ص » ، ومابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة المعنى .

(٤) فى « ص » : « قال أبو موسى يونس بن عبد الأعلى » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ص » جاءت هذه الفقرة باختلاف يسير فى بعض ألفاظها لا يغير المعنى .

(٦) فى « م » : « كنتُ أترَدَّدُ إليه » .

(٧) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٨) فى « ص » : « فأخرج ثلاثة قراطيس » .

باطن هذا القرطاس أسماء العلماء الذين أخذوا عنى العلم [(١)] ، وقد جعلتُ على نفسى ألّا أنام فى كل ليلة حتى أستغفر لجميعهم .

وتوفى يونس بن عبد الأعلى فى [شهر صفر الخير] [(٢)] سنة أربع وستين ومائتين ، وصَلّى عليه أحمد بن طولون .

قبر الفقيه الليث بن سعد [(٣)] :

ثم تمضى وأنت مُبَحِّرٌ [إلى آخر وسط قباب الصَّدَفيين] [(٤)] تجد قبرًا مضطبة ، هو قبر العالم العلاّمة الفقيه المجتهد الليث بن سعدبن عبد الرحمٰن الإمام أبو الحارث الفَهْمى المصرى ، أحد الأعلام ، شيخ أقاليم مصر ، الأصفهانى ، مولى عبد الرحمٰن بن خالد ، وقيل : خالد بن ثابت بن ظاعن بن عبد الرحمٰن .

قال [(٥)] يحيى بن بكير : كان الليث يقول : دخلتُ علَى نافع مولى ابن عمر ، فقال لى : مِنْ أين أنت ؟ قلتُ : من مصر ، مولًى لبنى فَهْم . وقد انتهت إليه الرياسة فى زمنه فى مصر ، رَوَى عن جماعة من العلماء ، منهم يزيد ابن أبى حبيب ، ومحمد بن أسلم الزهرى ، وأبى الزبير المكى ، وسعيد بن أبى

---

(١) فى « م » : « فقال لى باطنه اسم مَنْ أخذْتُ عنه الحديث ، وفى ظاهره أسماء من أخَذَ عنى الحديث » .

(٢) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٣) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٤٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٢٧ و ١٢٨ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٣١٨ – ٣٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣ – ١٤ ، وتذكرة الحُفاظ ج ١ ص ٢٢٤ – ٢٢٦ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٢٣ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٩ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ . وانظر الكواكب السيارة ص ٩٨ – ١٠١] .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٥) من هنا إلى نهاية الفقرة عن « م » وساقط من « ص » .

هلال ، وعبد الله بن أبي مليكة ، ورَوَى عن جماعة يطول شرحهم ، منهم محمد ابن عجلان ، وهشام بن سعد ، وقيس بن الربيع ، وعبد الله بن الربيع ، وعبد الله ابن المبارك ، وعبد الله بن وهب ، وجماعة يطول ذكرهم .

وقيل : إن الليث بن سعد أدرك نَيِّفًا وخمسين من التابعين ، قال ذلك أبو الحسن الواسطى (١) .

قال يحيى بن بكير : سمعتُ أبي يقول : مارأيت أحدًا أكمل من الليث بن سعد ، كان فقيه (٢) النفس ، عربيَّ اللسان ، يُحِسنُ القرآن والنحو ، ويحفظ (٣) الشعر والحديث ، حَسَنَ الذِّكْر (٤) . ومازال يذكر خصائله الحميدة حتى عَدَّ عشرًا (٥) .

وقال عبد الله بن وهب - [ويقال : إنَّ ذلك من كلام يحيى بن بكير] (٦) : لولا مالك والليث بن سعد لضَلَّ الناس .

وقال الحسن بن سعيد : قَدِمْنَا (٧) مع الليث من الإسكندرية ومعه ثلاث سفن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه (٨) .

وقال الشافعي رضى الله عنه . ما فاتَنِي أَحَدٌ كان أشَدَّ علَيَّ من ابن أبي ذئب ، والليث بن سعد . وقال الشافعي مرَّةً : الليث أفقه من مالك إلَّا أنَّ أصحابهٔ لم يقوموا به . وقال مَرَّةً : الليث أَتْبَعُ للأَثَر من مالك (٩) .

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) فى « م » : « فقير » تحريف .

(٣) فى « م » : « ويَرْوِى » .

(٤) فى « م » : « حَسَن المحاضرة » .

(٥) فى « ص » : « حتى عقد عشرًا وقال : لم أرَ مثله » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٧) فى « ص » : « قَفَلْنَا » أى : رَجَعْنَا . وفى الكواكب السيارة : « خرجنا مع الليث بن سعد إلى الإسكندرية » .

(٨) هكذا فى المصدر السابق وفى « ص » .. وفى « م » : « وسفينة فيها كتبه » .

(٩) من قوله : « وقال الشافعى » إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

وقال منصور بن عمّار : قَدِمْتُ مِصْرَ ، ووَعَظْتُ فى الجامع العتيق يوماً واحدًا ، وحضَرَ الليث رضى الله عنه فى ذلك اليوم ، فلما فَرَغْتُ قال لى : مِنْ أينَ أنت ؟ قلت : من بغداد . قال : وما تريد ؟ قلت : ألف دينار . فقال : هى لكَ علىَّ . ثم أنْزَلَنِى فى داره ، فلما عزمتُ على السفر دفع لى الألف دينار وقال لى : صُنْ هذه الحكمة التى آتاكَ الله . ثم دفع لى بنو الليث ألف دينار أخرى [1] .

وقال أبو الفتح : دخلنا [2] على مالك بن أنَس فقال : مَنْ فقيهكم ؟ فقلنا [3] : الليث بن سعد . فقال : جزاه الله خيرًا ، كتبنا له فى قليل عُصْفُرٍ [4] نَصْبُغُ به ثياب الصغار ، فأرسل إلينا ما صَبَغْنَا منه نحن وجيراننا وأصحابنا [5] ، وبِعْنَا الباق بألف دينار .

وقال أبو محمد بن أبى القاسم : قيل لِلَّيْثِ بن سعد [6] : أَمْتَعَ اللهُ بك يا إمام ، إنَّا نسمع منك ما ليس [7] فى كُتبك ! فقال : أَوَ كُلُّ ما فى صدرى فى كتبى ؟ لو كان كذلك ما وَسِعَهُ هذا المَرْكَب !

وقال [8] أبو عبد الله محمد بن أحمد : قال أبو جعفر المنصور لِلَّيْثِ :

---

(١) من قوله : « وقال منصور بن عمار » إلى هنا عن « م » .. ووردت هذه الفقرة مختصرة فى « ص » هكذا : « قال منصور بن عمار : أتيتُ الليثَ بن سعد فأعطانى ألف دينار وقال لى : صُنْ هذه الحكمة التى أعطاك الله تعالى » .

(٢) فى « م » : « دخلتُ » .

(٣) فى « م » : « قُلتُ » .

(٤) العُصْفُر : نبات صيفى يُستخرج منه صبغ أحمر .

(٥) فى « ص » : « فأَنْفَذَ إلينا ما صَبغنا به ثياب صبياننا وجيراننا » .

(٦) فى « م » : « قال الحسن بن على لِلَّيث بن سعد » وما أثبتناه عن « ص » .

(٧) فى « ص » : « نسمع منك الحديث » .

(٨) من أول هنا إلى قوله : « فصبر عليه » عن « م » وساقط من « ص » .

هل لكَ أنْ تَلِيَ مصر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنِّى أضعف عن ذلك ، وأنا رجل من الموالى . فقال أبو جعفر : ما بِكَ من ضعف ، فإذا أَبَيْتَ فَدُلَّنِى على رَجُلٍ أُقَلِّده أمر مصر . فقال : عثمان بن الحكم الجزامى ، رجلٌ فيه صلاح وله عَشِيرَةٌ . قال : فولّاه ذلك .

وقال ابن خِلِّكان : رأيتُ فى بعض التعاليق أنَّ الليث كان حَنَفِيَّ المذهب ، وأنه وَلِىَ القضاء بمصر . وكان الليث فى ابتداء أمره فقيرًا لم يكن بتلك السَّعَة العظيمة ، بل كان له مالٌ قليلٌ لم يكن بالواسع ، حتى حلف هارون الرشيد بالطلاق من زوجته زبيدة بنت القاسم أنه من أهل الجنة ، ثم نَدِمَ واعتزل عنها ، وجَمَع كُلَّ فقيه فى بلده ، فأَفْتَاهُ جميعهم بالوقوع [١] ، فأنفذ خلف الفقهاء المصريين ، فدخل عليه فى جُملتهم الليث بن سعد ، فجلس فى آخر الناس ، وضرب الرشيد ستر « الزبيدة » وقص عليهم قصتها ، فأَفْتى الجميعُ بالحِنْث إلّا الليث ، فإنه أَطْرَق ، فقال الرشيد لأُستاذٍ : امضِ وادعُ لى ذلك الرجل ، فجاء به إليه فقال : أنت فقيه ؟ قال : نعم . قال : ماتقول فيما قال أصحابك ؟ قال : إنْ أَرَدْتَ الجواب فَأْمُرْ بإخراج الجميع . فَأُخرِجُوا ، وبقى الرشيد والليث وزبيدة ، فدعا الليث بالمصحف الكريم فقال : سألتُك بالله العظيم ، هل قدرت على معصية وتركتها قط ؟ قال : نعم ، هويتُ امرأة ، وبذلتُ لها مالًا عظيمًا حتى أَذِنَتْ لى بالوصال ، ثم جاءت إلى عندى – وكانت ليلة جمعة – فلما دخلتُ إليها تذكرتُ عَظَمة الله تعالى ، وأنه جَبَّارٌ مُنتقم ، وقلتُ : هذه ليلة جمعة ، فخرجتُ على فَوْرِى . فقال الليث : قال الله تعالى : ﴿ وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه ونَهَى النَّفْسَ عن الهَوَى * فإنَّ الجَنَّة هى المَأْوَى ﴾ [٢] . ثم قال : أقسمتُ عليكَ بالله العظيم لَمَّا خِفْتَ ، هل كُنْتَ خائفًا فى ذلك الوقت من الله تعالى ، أو كُنْتَ بخلاف ذلك ؟ فقال : والله ما كنتُ إلّا خائفًا .

---

(١) أى : بوقوع الطلاق .

(٢) سورة النازعات – الآيتان ٤٠ و ٤١ .

فقال : افتح الختمة ، ففتحها ، فوجد الليث سورة الرحمٰن ، فاستدلَّ على صدق الرشيد ، فقال : اقرأْ ، فقرأ إلى أنْ وَصَلَ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خاف مقام ربِّه جَنَّتان ﴾ [١] . فقال : هل لكَ كلامٌ بعد الشاهد الأول والثانى ؟ قد أثْبَتَ الله لَكَ جَنَّتَيْن !

ففرح الرشيد ودخل على زبيدة ، وفرح أهل الدار فرحًا شديدًا ، ثم خرج الرشيد إليه فقال : تَمَنَّ علىَّ . فقال : إنَّ فى مصر عِمَالَةً [٢] بكذا وكذا من الدَّنانير فى كل يوم ، أنْ تستعملنى بأُجرة العمال . فقال الرشيد : هى لك بجميع غَلَّتها . ثم قال : هل تريد شيئًا آخر ؟ قال : نعم . قال : ما تريد ؟ قال : أريد أن تدفع لى هذين الأستاذين – وهما على رأس الرشيد – فقال : خُذْهُما . هل بقى لكَ حاجة ؟ قال : نعم ، تكتب لى كتابًا ألَّا يكون لأَحدٍ من عُمَّال مصر ، ولا من رؤسائها فى الديار المصرية معى كلمة . فكتب له بذلك . ثم تجهَّزَ ورجع إلى مصر – رحمةُ الله عليه .

وكان من كرمه ماهو مشهور ، وكان يقول : سَقَمُ الأبدان بالأوجاع ، وسَقَمُ القلوب بالذنوب ، فكما لا يجد [٣] الجسدُ لذَّةَ الطعام عند السَّقَم [٤] ، كذلك لايجد القلبُ لذَّةَ العبادة مع الذنوب . حَكَى ذلك عنه يحيى بن معاذ الرازى .

وقال ابن النحوى : صُودِرَ رَجُلٌ فى زمنه بمصر ، ونُودِىَ على داره ، فبلغتْ أربعة آلاف درهم ، فاشتراها الليثُ ، وبعثَ يُونس بن عبد الأعلى لأَخْذِ المفاتيح ، قال يونس : فذهبتُ لآخُذَ المفاتيحَ فوجدتُ فى الدار أطفالاً وعائلة

---

(١) سورة الرحمٰن – الآية ٤٦ .

(٢) العِمَالة : أُجرة العامل ، وحرفته . والمراد بها هنا ما تُغِلُّه هذه العمالة من خراج ، ففى وفيات الأعيان : « فأقطعه – أى هارون الرشيد – قطائع كثيرة بمصر . [انظر الوفيات : ج ٤ ص ١٢٩] .

(٣) فى « م » : « لا تجد » . فى الموضعين .

(٤) فى « م » : « القسم » تحريف .

وأيتاماً يكون ، فقالوا لى : بالله عليك أَنْظِرْنا [١] إلى اللَّيْل حتى ننظر خِرْبَةً [٢] نذهب إليها . قال : فتركتُهم وجئتُ إلى الليث فأخبرته بالخبر ، فبكَى وقال : عُدْ إليهم وقُل لهم : الدَّارُ لكم ، ولكم ما يقوم بحالكم من أُدْمٍ [٣] وكسوة فى كل يوم .

وقيل : وقف الشافعى على قبره فقال : لله دَرُّكَ مِنْ إمَامٍ ! حُزْتَ أربع خصالٍ لم يَحُزْهُنَّ عالِمٌ : العِلْمَ ، والعَمَلَ ، والزُّهْدَ ، والكَرَم .

وقال عبد الله بن صالح - كَاتِبُهُ : صَحِبْتُ الليث عشرين سنة لا يتغدَّى [٤] ولا يتعشَّى إلَّا مع الناس ، وكان لا يأكل إلَّا لحماً ، ويقول : إنه يزيد فى العقل ، إلى أن مات .

وخَرَجَ الليثُ راكباً ، فَقُوِّمَتْ ثيابُه ودابَّتُهُ وخاتمه وما عليه بثمانية عشر ألف درهم إلى عشرين ألفًا . وكان يتصدَّق كُلَّ يوم على ثلاثمائة مسكين .

وقال ابن صالح أيضاً : كان الليث إذا غَشِيَ أهله [قال] [٥] : اللهمَّ اشدُدْ لى أَصْلَه ، وَارْفَعْ لى صَدْرَهُ ، وسَهِّلْ لى مَخْرَجَه ومَدْخَله ، وَارْزُقْنِى لَذَّتَه ، وهَبْ لى ذُرِّيَّةً صالحة تُقاتل فى سبيلك .

وقال أبو سعيد : كان الليث يصلى عندنا فى المسجد ، فلا يسأله أَحَدٌ من أهل المسجد شيئًا إلَّا أعطاه إيَّاه .

وقال ابن زولاق : أُصيبَ اللَّيْثُ بِأَذًى كثير بمصر ، فصبر عليه [٦] .

---

(١) أَنْظِرْنا : أخِرْنا وأَمْهِلْنَا .

(٢) الخِرْبَة : موضع الخراب .

(٣) الأُدْمُ والإدام : ما يُستَمْرَأ به الخبز .

(٤) فى « م » : « لا يتغذى » .

(٥) غَشِيَ أهله : أتى أهله ، أو باشَرَ أهله ، وفى « م » : « عشى » لاتصح . ومابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة السياق .

(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » والمشار إليه فى ص ٤١٠ ، الهامش رقم (٨) .

وعن أبي الحسن قال [١] : مررتُ باللَّيْثِ بن سعد فتنحنح لي ، فرجعت إليه ، فدفع لي قرطاساً وقال : اكتب لي فيه أسماء [٢] من يلزم المسجد ، ومَنْ لا بضاعة له ولا غلة . فقلت له : جزاك الله خيرًا يا أبا الحارث ، وأخذت الوَرَق [٣] وسِرْتُ إلى المسجد ، فلما صليتُ قَدَّمْتُ السِّراجَ وكتبتُ : بسم الله الرَّحمٰن الرحيم ، فلان بن فلان ، ثم إنَّ نفسي لمْ تَدَعْنِي أكتب شيئًا ، وعَسُرَت عليَّ الكتابة ، وضاق صدري ، فبينما أنا كذلك إذْ غلبتني عيناي [٤] فنمتُ ، فأتاني آتٍ في منامي فقال لي : ها الله ياسعيد ، تأتي إلى قوم عاملوا الله تعالى سرًّا فتكشفهم لآدمِيٍّ ، مات الليث بن سعد ، ومات شعيب بن الليث ، أليس مرجعهم إلى الله تعالى الذي عاملوه ؟ قال : فاستيقظتُ ولم أكتب شيئًا ، فلما أصبحتُ أتيتُ إلى الليث بن سعد ، فلما رآني تهلل وجهه وفرح بقدومي ، فناولته [القرطاس] [٥] فنشره ، فإذا فيه مكتوب بسم الله الرحمٰن الرحيم ، فلان ابن فلان ، فسألني : لِمَ لا تكتب ؟ فأخبرته بالمنام [٦] ، فصاح صيحة عظيمة ، فاجتمع علينا الناس وقالوا : ما الخبر يا أبا الحارث ؟ فقال : ما تمَّ إلَّا الخير . ثم قال : ياسعيد ، صدق القائل ، مات الليث بن سعد ، ومات شعيب ابن الليث ، أليس مرجعهم إلى الله سبحانه وتعالى ؟!

قال [٧] عليّ بن محمد : وكان سعيد هذا من الأبدال .

---

(١) في « م » : « وقال الحسن بن علي » .

(٢) في « ص » : « فرجعتُ ، فقال لي ياسعيد ، خُذ هذا العيداق فاكتب فيه » .

(٣) في « م » : « وأخذتُ الدَّرج » .. وفي « ص » : « وأخذتُ منه العيداق » .

(٤) في « ص » : « فبينا أنا على ذلك إذْ غَلَبَني النوم » .

(٥) مابين المعقوفتين من عندنا . وفي « ص » : « فناولته العيداق » .

(٦) في « ص » : « ثم ذهب ينشره ، فقلت : مافيه شيء ، فقال لي : ياسعيد ، ما الخَبَر ؟ فأخبرتُه بما كان » .

(٧) من هنا إلى قوله : « وتغير المكان جميعه » عن « م » وساقط من « ص » .

وعن أبى الحسن علىّ بن أحمد بن محمد البغدادى قال : سمعتُ شعيب ابن الليث يقول : قدمت المدينة مع أبى لزيارة الرسول ﷺ بعد انقضاء الحج ، فأهْدَى مالك بن أنس لأبى طبقًا من تَمْرٍ ، فأهْدَى إليه أبى ألفَ دينار ، وكانت حجته سنة ١٣٣ هـ ، وسمع فى تلك السنة من نافع مولى ابن عمر [(١)] ، وقال : كان عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى يطلب بنى أمية - لمَّا آل إليه الأمر - للقتل ، قال : فدخلتُ مصر فى حالة رَثّة من جهة الملبس والحال ، ومعى هِمْيَانٌ [(٢)] فيه مال على وسطى ، فدخلتُ إلى مجلس الليث وهو يُحَدِّثُ ، فسمعتُ كلامه إلى أنْ قام من مجلسه ، فلما قام خرجتُ أنا ، فلَمَحَنى الليث وتَبِعَنِى خادمٌ وقال : اجلسْ حتى أخرج إليك ، فجلستُ ، فلما خرج ناولنى صُرَّةً فيها مائة دينار وقال : يقول لك مولاى : أصْلِحْ بهذه حالَكَ وَلُمَّ شَعَثَكَ . قال : فأخرجْتُ الهِمْيَانَ من حُزَّتِى [(٣)] وقلت : أنا فى غِنًى عنها ، ولكن أريد أن تستأذن لى على الشيخ . قال : فاستَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لى ، فدخلتُ عليه ، فأخبرتُه أنّى لستُ محتاجاً إلى مالٍ ، واعتذرتُ إليه فى ردِّها ، وأخبرته بما معى من المال ، فقال : هذه صِلَةٌ وليستْ بِصَدَقَة . فقلت [(٤)] : أكره أنْ أُعَوِّدَ نفسى عادة وأنا فى غِنًى عنها . فقال : ادفعها إلى بعض أصحاب الحديث مِمَّنْ تراه مستحقًا لها ، فلم يزل بى حتى أخذتُها وفَرَّقْتُها على جماعة . فانْظُرْ إلى كَرَمِه - رحمه الله - فى حال الضِّيق والسَّعَة .

---

(١) هو : نافع المدنى ، أبو عبد الله ، من أئمة التابعين بالمدينة ، كان علّامة فى فقه الدين ، كثير الرواية للحديث ، ثقة ، لا يُعْرَف له خطأ فى جميع ما رواه . وهو ديلمىُّ الأصل ، مجهول النَّسَب ، أصابه عبد الله بن عمر صغيرًا فى بعض مغازيه ، ونشأ فى المدينة . وأرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السُّنن . وكانت وفاته سنة ١١٧ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٨ ص ٥ و ٦ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٧ ترجمة رقم ٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٦٧ و ٣٦٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٦٠ و ٤٦١] .

(٢) الهِمْيَانُ : كِيسٌ للنفقة يُشَدُّ فى الوسط .

(٣) الحُزَّة : حُجْز السروال (الجيب) .

(٤) فى « م » : « فقال » وما أثبتناه هو المناسب للسياق .

وكان الليث يسكن بالحمراء ، وكان له مسجد هناك بجانب داره ، وقد خَرِبَ المسجد ، وخَرِبَت داره ، وتغيَّر المكان جميعه [١] .

وروى الفتح بن محمود قال : [حدثنى أبى ، قال] [٢] : بَنَى الليث ابن سعد دارًا [بقرقشندة بالريف] ، فهدمها ابن رفاعة [أمير مصر ، وهو ابن عمه] [٣] فى الليل عنادًا له ، ثم بناها ثانياً ، فهدمها أيضًا ، فلما كان فى الثالثة أتاهُ آتٍ فى منامه فقال : قُمْ ياليْثُ فَاسْمَعْ : ﴿ ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ على الذين اسْتُضْعِفوا فى الأرضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الوارثين * ونُمَكِّنَ لَهُم فى الأَرْض ﴾ [٤] فلمَّا أصبح إذا بابنِ رِفَاعَة قد لحقه الفالِجُ [٥] ومات بعد ذلك [٦] .

وقال محمد بن وهب : سمعتُ الليث يقول : إنى لَأَعْرِفُ [٧] رَجُلاً لَمْ يأتِ لله مُحَرَّمًا قط . قال : فَعَلِمْنَا أنه أرادَ نفسه ، لأنَّ أحَدًا لا يعلم هذا من أَحَدٍ .

وروى محمد قال [٨] : جالَسْتُ اللَّيْثَ بن سعد ، وشهدتُ جنازته مع أبى ، فما رأيتُ جنازة قط أعظَمَ منها ولا أكثر خَلْقًا ، ورأيتُ الناس وعليهم الكآبة والحُزن وهم يُعَزُّون [٩] بعضهم بعضاً ويبكون ، فقلت لأبى : يا أبى ،

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » والمشار إليه فى ص ٤١٤ ، الهامش (رقم ٧) .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ص » ولم يرد فى « م » فى الموضعين .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٤) سورة القصص - الآيتان ٥ و ٦ .

(٥) الفَالِج : شلل يُصيب أحَدَ شِقَّي الجسم طُولًا .

(٦) قوله : « بعد ذلك » عن « ص » .

(٧) فى « م » : « لأعلم » .

(٨) فى « م » : « وقال محمد بن وهب » .

(٩) فى « ص » : « والناس يعزون » .

كَأَنَّ كُلَّ واحدٍ من الناس صاحبُ الجنازة [١] . فقال : يا بُنَيَّ ، كان عالمًا كريمًا ، عزيزَ العقل [٢] ، حَسَنَ الفعل ، كثير الأفضال ، لا يُرَى مثله أبدًا .

ولمَّا دُفِنَ سَمِعَ الناس قائلا يقول :

قد مَضَى الليثُ فَلاَ لَيْثَ لكم ومَضَى العِلْمُ جميعًا وَقُبِرْ [٣]

وُلِدَ الليث بن سعد رضى الله عنه فى سنة ٩٤ هـ ، ومات فى ليلة الجمعة منتصف شهر رمضان المكرم فى سنة ١٧٥ هـ .

ويُحْكَى أنَّ امرأةً جاءت بإناءٍ صغير تطلب فيه من عسل النحل [٤] ، فأَمَرَ أن يُدْفَعَ لها زِقًّا مملوءًا [٥] ، فقيل له فى ذلك ، فقال : طلَبَتْ على قَدْرِها ودفَعْنَا لها على قَدْرِنَا .

وقيل : إنَّ غَلَّةَ ضِيَاعِه وأملاكه بمصر كانت فى كل سنة ثمانين ألف دينار ، وما وجَبَتْ عليه زكاة قط [٦] .

انظر [٧] إلى ما قال بعضهم فى معنى ذلك شعرًا :

ولَوْ نِلْتُ الَّذى يَبْغِيهِ قَلْبِى لَوَسَّعْتُ المعاشَ على العِبادِ
وما وجَبَتْ علَىَّ زكاةُ يومٍ فَهل تَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَى جَوادِ ؟

---

(١) فى « م » : « فقلتُ لأبى : هذا كأَنَّ منهم صاحبَ الجنازة » .

(٢) فى « ص » : « حَسَنَ العقل » .

(٣) من قوله : « ولمَّا دُفن » إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » . والشطرة الثانية من البيت فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠٢ : « ومَضَى العلم غريبًا وقُبِرَ » .

(٤) فى « ص » : « جاءته ومعها سُكُرُّجَة فطلبت عسَلَ نحل » .

(٥) فى « ص » : « مملوءًا عسلًا » .

(٦) فى « ص » : « ولم تجب عليه فيها زكاة » . وذلك لأن الحَوْلَ كان لا ينقضى عنه حتى ينفقها ويتصدّق بها .

(٧) من هنا إلى قوله : « بدينارين » عن « م » وساقط من « ص » .

وعن عبد الله بن محمد قال : سمعتُ منصور بن عمَّار يقول : لمَّا مَرِضَ [١] ابن لَهِيعَة مَرْضَهُ الذى مات فيه دَخَل عليه الليثُ بن سعد فقال : ما تشتكى ؟ قال : الدَّيْن . قال : كَمْ عليك ؟ قال : ألفُ دينار . قال : فدعاه الليث وأعطاه إيَّاها . وَلِىَ ابن لهيعة القضاء ثلاثين سنة ما غرسَ ريحانة يشمها ، ولا بنى بناءً .

وعن [أحد] [٢] أتباع الليث قال : جاء سائل إلى الليث فأمر له بدينار ، فأبطأ الغُلام ، فجاءَ سائلٌ آخَر فجعل يلح فى السؤال ، فقال له الأول : اسكُتْ . فسمعه الليث فقال : مالَكَ ولَهُ ؟ دَعْهُ يَرْزُقْه الله عزَّ وجَلَّ . ثم أمَرَ له بدينارين [٣] .

* * *

ثم تأتى من مشهده إلى مشهد السيدة أم كلثوم ابنة القاسم بن محمد [٤] ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علىٍّ زين العابدين [٥] بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وإلى جانبها مشهد والدها القاسم بن محمد [بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، صلوات الله على النبى محمد وعليهم أجمعين] [٦] ومشهد السيد يحيى

(١) فى « م » : « مات » . لا يصح معنًى . وابن لَهِيعة هو : عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمى ، أبو عبد الرحمٰن ، الفقيه ، قاضى مصر ومسندها . رَوَى عن عطاء ، وعمرو بن دينار ، والأعرج وغيرهم ، وروى عنه الثورى ، والأوزاعى ، وشعبة ، وماتوا قبله ، وقد وثقه أحمد وغيره . وكانت وفاته بمصر سنة ١٦٤ هـ .

[انظر ترجمته فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠١ ، والولاة والقضاة ص ٣٦٨ - ٣٧٠] .

(٢) مابين المعقوفتين زيادة يتطلبها السياق .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٤) فى « م » : « القاسم الشيخ ابن محمد المأمون » .

(٥) فى « م » : « على بن زين العابدين » وهذا خطأ ، فعلىٌّ هذا هو نفسه زين العابدين ، وقد مَرَّ .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

ابن زيد بن الحسين وقيل : بل هو يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسين بن علىّ أبى طالب ، المعروف بالمُتَوَّج ، ويُعرف بأخى نفيسة [١] رضوان الله عليهم أجمعين .

وبجواره مشهد السيد يحيى الشبيه بن القاسم الطيب الشيخ ابن محمد المأمون المذكور آنفاً ، وهو مشهد كبير بناه أبو الخير وأقاربه [٢] .

وتمشى على يمينك [٣] – وقيل : على يسارك ، وهو الصحيح – تجد تربة يقال : إن فيها أسماء بنت أبى بكر ، كذا مكتوبٌ على قبرها ، ويحتمل أن تكون من ذُرِّيَّة أسماء [٤] ، فإن أسماء لم تَمُتْ بمصر باتفاق . قال القضاعى فى كتاب الخطط : إنها أسماء بنت أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان ، بنت أخى سيدنا عمر بن عبد العزيز ، الإمام العادل ، وهى التى وضعت المصحف بالجامع العتيق بمصر ، وهو باقٍ على ماهو عليه [٥] .

قبر الشيخ أبى الخير سلامة بن إسماعيل المقدسى [٦] :

وتخرج [٧] من التربة وأنت مستقبل [القبلة] تجد حَوْمَة بها قبر

---

(١) من قوله : « وقيل بل هو يحيى » إلى هنا ، عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) فى « ص » : « وفى التربة قبة بناها أبو الخير أحمد بن إسماعيل الخزرجى الطرابلسى ، تحتها قبور عدة أشراف » .

(٣) فى « ص » : « تمشى على يسارك » .

(٤) فى « ص » : « من بنات أسماء » .

(٥) من قوله : « فإن أسماء ... » إلى هنا ، عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٦) العنوان من عندنا . [انظر ترجمته فى طبقات الشافعية ج ٧ ص ٩٩ ، والكواكب السيارة ص ٩٤] .

(٧) فى « ص » : « تخرج تجد على يمينك » ومابين المعقوفتين من عندنا .

أبى الخير سلامة بن إسماعيل بن جَمّاعة المَقْدِسى الشافعى الضَّرير ، كان فقيهًا عالمًا ، وله مصنفات فى الفقه ، وسمع الحديث ، ورَوَى عن عبد العزيز بن محمد النصيبى الأنصارى ، وأبى الفتح سلطان بن إبراهيم المقدسى .

ومن مَرْوِيَّاته : عن معاوية – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ وهو يخطب : « اللَّهُمَّ لا مانِعَ لما أَعْطَيْتَ ، ولا مُعْطِىَ لِمَا مَنَعْتَ ، مَنْ يُرِدِ الله به خيرًا يفقهه فى الدين » الحديث .

وقال ابن الزبير : قال معاوية لأبى عامر : « إنَّ الله لا يقبضُ العِلْمَ انتزاعًا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رُؤساءَ جُهَّالاً ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بغير علمٍ ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا » الحديث .

وتوفى أبو الخير سنة ٣٢٨ هـ ، وقبره بالقرب من قبر أبى العياش بن هاشم المقرىء [١] .

* * *

[ثم] مشهد السيدين : الحَسَن والمحسن ابْنَىِ القاسم بن محمد المأمون المذكور آنفاً [٢] .

مشهد السيدة آمنة ابنة موسى الكاظم [٣] : ومشهدها على اليسار .

قال شقيق البلخى : حججتُ سَنَةً من السنين ، فبينما أنا عند الكثيب الأحمر وإذا بشاب أصفر اللَّون رقيق البشرة ومعه إناء يجعل فيه رملاً ثم يصبُّ فوق

---

(١) من قوله : « ومن مروياته ... » إلى هنا ، عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) فى « ص » : « القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم » ، ومابين المعقوفتين من عندنا .

(٣) فى « ص » : « موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ... الخ » .

الماء ويشرب منه ، فعجبتُ من ذلك ودنوتُ منه وقلت : اسْقِنِى من هذا – رحمك الله – فناوَلَنِى ، فشربتُ ، فإذا هو سَوِيقٌ [١] وسُكَّر ، وسرت معه إلى أنْ دخلنا مكة ، فسألت عنه وقلت : مَنْ يكون هذا الشاب ؟

فقيل لى : هذا موسى الكاظم بن جعفر الصادق . ومات ببغداد . وهذه آمنة ابنته تُعْرَف بأمّ المؤمنين .

وحكى عنها خادمها أنه كان يسمع فى كل ليلة قراءة القرآن من قبرها . وجاءه رجلٌ بعشرين رطلاً من الزيت الطيب ، وعاهده أنْ يَقِدَ ذلك عليها ، فجعله فى القناديل جميعًا ، ثم أشعل النار فلم تشتعل فى شىء من القناديل ، ولم يقدر على إيقاد مصباح ، فتعجَّبَ من ذلك ، وأَوْقَدَ قنديلاً لها من غير ذلك الزيت ، ونام تلك الليلة فرآها فى المنام فقالت له : رُدَّ عَلَى الرجل ما جاء به من الزيت ، فَإنَّا لا نقبل إلَّا طيبًا . قال : فلما أصبحتُ أخذتُ الزيت ، فقال لى : إنه مَكَّاس [٢] .

* * *

وتخرج من التربة تجد قبر القَمَّاح ، كان رجلاً صالحاً كثير الخير [٣] .

* ثم [مشهد السيد على بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن جعفر الصادق] [٤] .

* ثم مشهد السيد محمد بن هاشم بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين عليهم السلام .

---

(١) السَّوِيق : طعام يُتَّخَذُ من مدقوق الحنطة والشعير ، سُمِّىَ بذلك لانسياقه فى الحَلْق .
(٢) المكّاس : مَنْ يُقَدِّرُ الضريبة على التُّجَّار ويجبيها .
(٣) من قوله : « شقيق البلخى » إلى هنا ، عن « م » .
(٤) مابين المعقوفتين عن « ص » .

* ثم مشهد السيدة زينب ابنة يحيى المُتَوَّج [1] المعروف بأخى نفيسة .

مشهد آسية بنت مزاحم [2] :

ثم تمضى إلى مشهد آسية ابنة مزاحم بن أبى الرضا بن سهيون بن خاقان [3] وكيل أحمد بن طولون رحمها الله تعالى ، وكانت من المتعبدات .

وفى هذا المشهد « محراب » ابن الجوهرى أبو الفضل الواعظ ، وعظ فيه مُدَّةً ، وفيه حائط على اليسار يُعرف بالمُصَلَّى القديم ، بناه بن أبى السَّرْح الصحابىّ سنة ٣٥ من الهجرة فى ولايته مصر من جهة أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان ، وصَلَّى فيه عمرو بن العاص ، وجدَّدَ بناءَهُ أحمدُ بن طولون [4] .

قبر مالك بن سعيد الفارقى [5] :

تخرج منه على يمينك وأنت مُشَرِّق إلى باب السُّور الجديد على يسارك قبل

---

(١) فى « ص » : « يحيى بن الحَسَن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام » .

(٢) العنوان من عندنا .. وآسية بنت مزاحم هذه كانت من المتعبدات الزاهدات ، اعتزلت عن أبيها وإخوتها واشتغلت بالعبادة وزيارة القرافة ، وكان غالب إقامتها بمشهد السيدة نفيسة ، واشتهرت عند الناس بالخير والصلاح ، وكانت وفاتها سنة ٢٥٩ هـ . وقد اختلف المؤرخون فى نَسَبها . [انظر ترجمتها فى تحفة الأحباب للسخاوى ص ١١٧ و ١١٨ ، والكواكب السيارة ص ٤٢] .

(٣) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « آسية ابنة زرزور بن خمارويه . وقيل : إنها آسية ابنة مزاحم بن أبى الرضا مطر بن سمنون بن خاقان » . والصحيح أنها ابنة مزاحم ، والله أعلم .

(٤) من قوله : « وفى هذا المشهد » إلى هنا ، عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) العنوان من عندنا . وهو : مالك بن سعيد بن مالك الفارق ، أبو الحسن من قضاة مصر ، ولّاه الحاكم العبيدى بعد عزل عبد العزيز بن محمد بن النعمان سنة ٣٩٨ هـ . وعلت منزلته عند الحاكم حتى صار يجالسه ويسامره . وكان فصيحًا ، بليغًا ، متأنيًا ، وقورًا ، مساعدًا على الخير ، استمر فى القضاء ست سنين وتسعة أشهر ، وَوُشِىَ به إلى الحاكم وشاية باطلة فَضَرَبَ عنقه سنة ٤٠٥ هـ . وفى تحفة الأحباب أن الحاكم أحْضَرَه عنده وأمَرَهُ أن يكتب سَبَّ الصحابة على أبواب المساجد . فلم يكتب على المساجد =

أن تخرج من الباب [١] تجد قبرًا تحت السور ، هو قبر مالك بن سعيد بن مالك الفارقى ، يُكْنَى أبا الحسن ، وَلِيَ القضاء من قِبَلِ الحاكم [أبى على المنصور فى النصف من رجب سنة ٣٩٨ هـ قضاءً جامعاً ، فلما كان فى اليوم الخامس من ذى القعدة سنة أربع وأربعمائة [٢] انْتُزِعَتْ منه المظالم وأُعيدت إلى ولىّ عهد المسلمين . وفى يوم السبت لأربع بقين من شهر ربيع الآخر [٣] سنة خمس وأربعمائة [٤] ضُرِبَ عُنُقه بأمر الحاكم] [٥] . وبقيت مصر بغير قاضٍ ثلاثة أشهر [٦] ، وكان يتوسط فى هذه المدة بين الناس أبو يوسف يعقوب ، وأبو منصور بن المحتسب .

وكان مالكٌ محمودًا فى ولايته ، عفيفاً عن أموال المسلمين ، مُنْصِفًا [٧] للخاص والعام [٨] .

* * *

— إلّا قوله تعالى : ﴿ لقد تاب الله على النبىّ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العُسْرة ﴾ ، ثم عاد إليه ، فقال الحاكم : فَعَلْتَ ما أمرتُك به ؟ قال : نعم ، فعلتُ مايرضى الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ وفقال له : ماهو ؟ فقرأ الآية ثم انصرف ، فأمر الحاكم بضرب عنقه . وكان رحمه الله محمودًا فى ولايته ، عفيفًا عن أموال الناس ، لا يخاف فى الله لومة لائم . [انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٦٢ ، والولاة والقضاة ص ٦٠٣ ، ٦٠٨ ، وتحفة الأحباب ص ١١٥ و ١١٦ ، والكواكب السيارة ص ٤١] .

(١) فى « م » : « تخرج منه على يمينك – وقيل : على يسارك – قبل أن تخرج من الباب » .

(٢) فى « م » : « سنة أربعة وأربعين » خطأ . والصواب ما أثبتناه .

(٣) فى « م » : « الآخرة » لا تصح .

(٤) فى « م » : « سنة خمسة وأربعين » تحريف من الناسخ . والصواب ماذكرناه .

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » وسقط من « ص » سهوًا من الناسخ . وذُكر فيها أنه ولِىَ القضاء من قبل الحاكم ، وصرفه ، وضرب عنقه .

(٦) فى « م » : « ثلاث شهور » لا تصح لُغَةً ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) فى « م » : « متيقظًا » مكان « منصفًا » .

(٨) من قوله : « وكان مالك محمودًا .. » إلى هنا عن « م » . والفقرة التالية أيضًا عن « م » .

ثم تخرج من باب السور الجديد إلى الخارج ، وتمشى وأنت مُشَرِّق تجد قُبَّةً بها قبر الشريفة زينب . وعلى يمينك وأنت مُشَرِّق تجد حائطًا [(١)] تحته قبر يقال : إنه للحسن بن الحسين ابن ولد جعفر الصادق . وبجانبه قبر « فاطمة » ابنة العَبَّاس . ثم تمشى وأنت مُبَحِّرٌ تجد قبر محمد بن الفضل ، من بنى برمك . وفى تلك الناحية قبور أشراف . وتجد على الطريق قبور أولاد أبى هريرة ، رضى الله عنه [(٢)] .

قبر ميمونة العابدة [(٣)] :

وتمشى وأنت رائحٌ إلى قبر « أشهب » تجد قبر ميمونة العابدة ، أُخت رابعة فى العبادة .

حُكِىَ أَنَّ ذا النون [(٤)] المصرى رضى الله عنه قال : وُصِفَتْ لى جاريةٌ فى الجبل المقطم تتعبَّد به يُقال لها « ميمونة » العابدة ، فانطلقتُ إليها لأَزورها ، فلقينى بعض العُبَّاد فقال لى : إلى أين ياذا النون ؟ فقلت : إلى زيارة ميمونة . فقال لى : إنها امرأة مجنونة . فأردتُ أَنْ أرجع ، فقلت : وما علىَّ منها ، لَعَلِّى أراها ، فَعُدْتُ فرأيتها ، فقالت لى : سلامٌ عليك ياذا النون ! فقلت لها : مِنْ أين عرفتينى ؟ فقالت : جالت روحى وروحك فى الملكوت ، فَعَرَّفَنِى بك الحىُّ الذى لا يموت ، واللهِ ياذَا [(٥)] النون لستُ مجنونة ، وإنما أنا بِحُبِّه مفتونة ! فقلتُ

---

(١) فى « م » : « حائط » لا تصح ، والصواب بالنصب .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) وتعرف بميمونة السوداء .. وهذا العنوان عن « ص » ولم يُذكر بعده فى « ص » سوى أنها « أخت رابعة فى العبادة – رحمة الله عليهما » وما أثبتناه هنا عنها عن « م » [وانظر الكواكب السيارة ص ٤١ و ٤٢] .

(٤) فى « م » : « أنَّ ذو النون » لا تصح ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) فى « م » : « ياذو النون » لا تصح .

لها : أَوْصِينِى . فقالت : ياذا النون ، اجْعَلِ التَّقْوَى [١] زادَكَ ، والزُّهْدَ شعارَكَ ، والوَرَع دثارَكَ ، لا يبعد عليك المطلوب ، ولا يغلق فى وجهك باب المحبوب . ياذا النون ، إنَّ لله أحبابًا عَرَّفَهُم [به] [٢] فَعَرفُوه ، وأَطْلَقَ أَلْسِنَتَهُمْ بِذِكْرِه فَنَزَّهُوهُ ، لو احتجَبَ عنهم طرفة عين لتقطَّعُوا من أَلَمِ البَيْنِ .

وحُكِىَ عنها أنها كانت تناجى ربها فى بعض الأيام فقالت : « ياسيدى ، هل تحرقُ قلبى بحبك ؟ » . فإذا النداء : ياميمونة ، لا تَظُنِّى [٣] بنا إلا خيرًا فإنَّا لا نفعل ذلك أبدًا . فقالت : وَاشَوْقِى إليك ، وإنْ قَرَّبْتَنِى ! وَاحَيَائِى مِنْكَ ، وإنْ غَفَرْتَ لى !

وأنشدتْ تقول شعرًا [٤] :

مـا بَقَـا دَمْـعٌ فَأَبْكِـى ... هـا فُـؤَادِى فَـتَشُوهُ [٥]
إنْ وجَدْتُـمْ غَيْـرَ رَبِّـى ... فَدَعُـــونِى ودَعُـــوهُ

* * *

قبر أشهب – صاحب مالك بن أنس [٦] :

وإلى جانبها من الشرق تربة بها قبر الفقيه الإمام العالم أبو عمر أشهب

---

(١) فى « م » : « جَعَلَ الله التقوى » وما أثبتناه عن المصدر السابق ، وهو المناسب للسياق ، فالمقام ليس مقام دعاء ، بل مقام « توصية » .

(٢) مابين المعقوفتين عن الكواكب السيارة .

(٣) فى « م » : « لا تظنين » لا تصح .

(٤) فى الكواكب السيارة : « وكان مكتوبا على عكازها » وذَكر البيتين .

(٥) بَقَا : بَقِىَ . وكتبت هكذا لضرورة الوزن .

(٦) هو صاحب الإمام مالك ، وفقيه الديار المصرية فى عصره ، ولد سنة ١٤٠ هـ ، وقيل ١٤٥ هـ وتوفى سنة ٢٠٤ هـ .. والترجمة التى معنا كلها عن « م » أيضًا – مثل سابقتها – ولم ترد فى « ص » . [انظر ترجمة أشهب فى الأعلام ج ١ ص ٣٣٣ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٢٧٠ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٥٥] .

ابن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القَيْسِيّ العامِرِيّ الجَعْدِيّ ، من ولد جَعْد ابن كلاب بن ربيعة بن عامر المالكى . أحد فقهاء مصر ، من أصحاب مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن لَهِيعَة ، وغيرهم . وَرَوَى عنه هارون ابن سعيد ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الحَكَم ، وسليمان بن أبى طيبة ، وبحير ابن سابق الخولانى ، وغيرهم .

يقال : اسمه مسكين ، ويقال : هو لقبه ، وقيل : أشهب لقبه ، والله أعلم .

أثنى عليه الإمامُ الشافعيُّ وقال : ما رأيتُ أفقه مِنْ أشهب لولا طَيْشٌ فيه . وَلِيَ الشُّرطَةَ ، وانتهتْ إليه الرياسة فى زمنه ، وكان يصحب ابن القاسم [1] ومنه شىء فى نفسه ، فحلف ابن القاسم بالمَشْي إلى مكة [2] ألَّا يكلم أشْهَبَ .

وكان أشهب إذا ناظَرَ فى الفقه يهدر كالأسد ، وكان له كلمةٌ وجاهٌ ، قَرَأ على الإمام مالك بن أنس . وكانت له حلقة عظيمة بالجامع العتيق تحت الحائط البحرى .

قال بعض المالكية : لما حلف ابن القاسم بالمَشْى إلى مكة ألَّا يكلم أشْهَبَ [أرسل] [3] يطلب رضا ابن القاسم لِمَا يعلم فيه من الزهد والورع ، قال سحنون : فلم أَزَلْ بابن القاسم وأنا أتلطف معه وأرضيه حتى رَضِيَ عن أشهب وقال : أمْشِى إلى مكة وأُكلمه [4] .

---

(١) هو الإمام عبد الرحمٰن بن القاسم العتقى . كان عابدًا زاهدًا ورعًا ، وكان يختم فى كل يوم وليلة ختمتين ، وكان كثير الصيام ، حتى رُئِىَ بياض عظمه من شدة نحوله ، وكان مجاب الدعوة ، وسيأتى بعد قليل . [انظر الكواكب السيارة ص ٣٩ و ٤٠] .

(٢) أى : أثناء سيره إلى مكة .

(٣) مابين المعقوفين من عندنا لاستقامة المعنى .

(٤) فى « م » : « امش إلى مكة » . وما أثبتناه عن المصدر السابق ص ٤٠ .

ثم تجهز ابن القاسم وخَرَجَ إلى مكة ماشيًا ، وخرج أشهب ماشيًا ، وخرج معه عبد الله بن وهب ، وخرج معه سحنون . وكان أشهب يمد سماطاً عظيماً بطول الطريق ، وكان ابن وهب يمد سماطاً دونه ، فيطعمون الناس ، وكان ابن القاسم لا يحضر من ذلك شيئًا . فقال ابن وهب لأشهب : هل لكَ أنْ تُحضر ابن القاسم طعامك ؟ فقال : افْعَلْ مابدا لك من الأمر إن قدرتَ على ذلك ، فجئتُ إلى ابن القاسم وقُلتُ له : هل لكَ أنْ تحضر بنا على طعام أشهب ؟ فسكَتَ ، فما زِلْتُ به حتى أنْعَمَ بالمَجِيء ، فجاء وجلسَ ، وجلسَ أشهبُ إلى جانبه ، وجلستُ أنا ، فلما قُدِّمَ الطعامُ نظر ابن القاسم إلى الملح ، وجعل أُصبعه فيه ثلاثًا ثم قام وانصرفَ ، ولم يَجْسُرْ عليه منا أحد [1] . فلما خَلَوْتُ به قلتُ له : لِمَ اقتصرت على الملح وحده ولم تأكل غيره ؟ فقال : إنى لا أعلم فيه شبهة .

وقال ابن النحوى : كان الإمام أشهب فقيهًا ، عالماً ، زاهدًا ، وَرِعًا ، مُحَدِّثًا ، خطيبًا ، يُعَدُّ من الفقهاء والمُحَدِّثين والمتَصدرين للخطابة ، وكان إذا خطب تصدع خطبته القلوب لفصاحته وبلاغته .

وحَكَى عنه الجوهرى الواعظ قال : كان إنسان من طلبته ، وكان من الفضلاء ، وكان له والد ، فمات وخَلَّف مائة دينار ، وكانت نفسه تتوق إلى النساء ، فاستشار رجلاً من أصحابه فى الزواج ، فقال له : عليك بشراء جارية ، فذهب إلى سوق الرقيق فوجد جارية كأنها البدر ، ويُنَادَى عليها بمائة دينار ، فاشتراها بما معه من المال وجاء بها إلى منزله ، ولم يكن معه ما ينفق عليها ، فأقامت عنده عشرة أيام فشاهدَتْ ضيقًا عظيمًا ، وافتتن هو بحبها ، فطلبت منه [أن يبيعها فى] السوق [2] ، فنزل بها على كُرْهٍ وباعها ، ورجع إلى منزله ، فبات

---

(١) أى : لم يجرؤ منا أحدٌ أن يُكلمه فى ذلك .

(٢) مابين المعقوفتين من عندنا ، ولم يرد فى « م » .. وفى الكواكب السيارة فقالت له : « إمَّا أن تعيدنى إلى السوق أو أقتل نفسى » .

[انظر المصدر السابق ص ٣٨] .

تلك الليلة فوجد لفراقها ألمًا عظيمًا ، ولزم الوِسَادَ من ألم فراقها ، فلما كان بعد أيام قلائل تفقده الإمام أشهب فى الحلقة فلم يجده ، وكان الإمام محبًا له ، فسأل عنه فقيل : هو مريض ، فقام وجاء إلى منزله فطرقَ البابَ ، فلم يُجِبْهُ أحدٌ ، فعالج الإمامُ البابَ حتى فتحه ، ثم دخل إليه فوجده قد أشرف على الموت ، فسأله عن سبب مرضه ، فلم يُجِبْه بشيء ، فلم يزل به حتى أخبره وقَصَّ عليه القصة . فقال له : ومَنِ الذى شَرَاها [1] ؟ فقال له . الأمير محمود بن سالم وهو صاحب الجامع [2] الذى بسفح الجبل . فقام الإمام إلى الأمير [3] محمود هو وجماعته من الطلبة فدخل عليه ، وسَلَّم عليه وعَظَّمَهُ ، واستعرض حوائجه وسأله عن سبب حضوره عنده ، فأخبره خبر الفقيه وما وجَدَ من فراق الجارية ، فقال له الأمير : إنَّ جميع ما يراه الشيخ لها ، وإنَّ ولدى يدخل عليها فى هذه الليلة . فقام الشيخ وأراد الانصراف ، وإذا بولد الأمير قد دخل ، فلما رأى الشيخ أخبره أبوه خبر الجارية ، وكان الولد من أهل الخير والصلاح ، فقال الصَّبِيُّ للشيخ : إنَّ الجارية وما جُهِّزَتْ به ، الجميعُ للفقيه كَرامةً لمَجِيء الشيخ . ثم حُمِلَتْ وما معها إلى بيت ذلك الفقيه ، فأصبح كأنَّما نَشِطَ من عِقَالٍ .

قال الفقيه أبو بكر بن عربى المالكى : كان أشهب فصيحاً ، حافظاً ، ذكيًا ، وكان إذا خطب يُسْمَعُ لصوته دَوِىٌّ .

وذكره القاضى عياض فى طبقات الفقهاء وأثْنَى عليه . وكان أكثر الناس معرفة بأقوال مالك . وقال سليمان بن أبى طيبة : نهانا أشهب أن نتخطَّى الكتب التى فيها حديث رسول الله ﷺ ، وقال : إيَّاكم وأصحاب البدع . قيل له : وما أصحاب البدع ؟ قال : الذين يتكلمون فى أسمائه وصفاته وقُدرته وعلمه ولا يسكتون عَمَّا سكتَ عنه الصحابة والتابعون .

---

(١) شراها : اشتراها .

(٢) فى المصدر السابق : « اشتراها ابن محمود صاحب الجامع » .

(٣) فى « م » : « الإمام » مكان « الأمير » تحريف .

وُلِدَ أشهب سنة أربعين ومائة ، وتوفى سنة أربع ومائتين [(١)] .

ولم يدرك الشافعي [(٢)] – رحمه الله تعالى – بمصر من أصحاب مالك – رضى الله عنه – سوى أشهب وابن عبد الحَكم . وقال ابن عبد الحكم : سمعتُ أشهب يدعو على الشافعي بالموت ، فذكرتُ ذلك للشافعي ، فقال مُتَمَثِّلاً [(٣)] :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وإنْ أَمُتْ فتلكَ سَبِيلٌ لستُ فيها بأَوْحَدِ [(٤)]
فَقُلْ لِلَّذِى يَبْغِى خِلافَ الذى مَضَى تَزَوَّدْ لِأُخْرَى غَيرِها فكأَنْ قَدِ [(٥)]
وقد عَلِمُوا لو ينفعُ العِلْمُ عندهم لَأَنْ مِتُّ ما الدَّاعِى عَلَىَّ بِمُخْلَدِ

ثم توفى الشافعي عن قُرْبٍ ، ومات أشهب بعده بثمانية عشر يوماً [(٦)] .

* * *

قبر الشيخ عبد الرحمٰن بن القاسم [(٧)] :

وإلى جانب قبر أشهب [(٨)] صاحب مالك بن أنس ، رضى الله عنه ،

---

(١) فى تاريخ ولادته اختلاف . وفى « م » : « توفى سنة أربعين ومائتين » وهذا خطأ ، والصواب ما أثبتناه وأجمعت عليه المصادر التى ترجمت له [انظر المصادر الواردة فى ص ٤٢٥ ، الهامش رقم ٦] .

(٢) وردت فى « م » بعض العبارات الآتية وفيها اضطراب فى سياقها وبعض الكلمات التى سقطت سهوًا من الناسخ ، وقمتُ بتصويبها بالرجوع إلى المصادر السابقة .. وجملة : « لم يدرك الشافعى » سقطت من « م » سهوًا من الناسخ .

(٣) هكذا العبارة فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٩ .. وفى « م » : « فلما قيل له ذلك ، أنشد يقول شعرًا » وهذا الشعر ليس له ، وإنما يتمثل به .

[انظر المصدر السابق ، وانظر ديوان الشافعى ص ٦٨ بتحقيق عبد المنعم خفاجى] .

(٤) فى « م » : « فتلك طريق » وهى بمعناها .

(٥) فى « م » : « يبقى » مكان « يبغى » تحريف .

(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٧) العنوان من عندنا . [انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٣٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢٩ و ١٣٠ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٢٣٨ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٢٩ ، والكواكب السيارة ص ٣٩ ، ٤٠] .

(٨) فى « م » : « من بَحْرِيِّه » أى : من بحرى قبر أشهب .. وقد وردت ترجمة ابن القاسم فى « ص » مختصرة ، لا تتعدى ستة أسطر .

قبر الشيخ الإمام العالم المفتى ، ابن القاسم ، وقيل : كُنيته أبو عبد الله عبد الرحمٰن ابن القاسم بن خالد العُتَقِىّ المالكى ، صاحب المُدَوَّنة . ويُكنى أيضًا أبا عبد الله مولاهم المصرى ، والعُتقى ، والطُّلقى . والعتقى قوم عتقهم رسول الله ﷺ يوم الفتح ، والطُّلَقَاء قوم أطلقهم الله ، فَسُمُّوا هؤلاء العُتقاء ، وهؤلاء الطُّلقاء .

كان ابن القاسم [رجلاً صالحاً ، نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام] (١) وكان من كبار العلماء والزُّهَّاد ، وأخذ العِلْمَ عن جماعةٍ ، منهم الإمام مالك ، وسُفيان بن عُيَيْنة ، والزهرى . ورَوَى عنه الحارث بن مسكين وجماعة ، منهم الإمام البخارى ، والنَّسَائى ، وغيرهما ، كأبى موسى عيسى بن إبراهيم الغافقى .

ومن مَرْوِيَّاتِ الحارث بن مسكين عنه حديث عمر بن الخطَّاب ، عن النبى ﷺ ، أنه قال : « إنَّمَا الأعمال بالنِّيَّات ، وإنَّمَا لكل امرىء ما نَوَى ، فمَنْ كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومَنْ كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها ، أو امرأة يتزَوَّجُها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

ورَوَى عنه أبو الحسَن بن سعيد ، عن النبىِّ ﷺ : « أنه أُتِىَ إليه بلبنٍ قد شِيبَ بِماءٍ ، وعن يمينه أعرابىٌّ ، وعن يساره أبى بكر رضى الله عنه ، فشربَ النبىُّ ﷺ ، ثم أعطى الأعرابىَّ وقال : الأيمن » .

وقال أبو الفتح محمود : سمعت الشيخ عبد الرحمٰـن بن القاسم يقول : سمعتُ مالكَ بن أنس يقول : « ليس العِلْم بكثرة الرِّواية ، إنَّمَا هو نورٌ يضعه الله تعالى فى القلوب » . وإلى تلك الإشارة يقول الشافعى رضى الله عنه : « ليس العِلْمُ ما حُفِظَ ، إنما العلم ما نفع » .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » .

قال أبو العباس أحمد : سمعتُ الحارث بن مسكين يقول : كان ابن القاسم كثير العِلْم والزُّهْدِ والسخاء والشجاعة ، وكان مُجَابَ الدعوة ، وأَحَدَ الأعلام القائمين بمذهب مالك . أنفق أموالاً جَمَّةً فى طلب العلم .

وقال النسائىُّ : ثقةٌ مأمون ، وأَحَدُ الفقهاء .

وعن مالك أنه ذُكِرَ عنده عبد الرحمٰن بن القاسم ، فقال : « عافاه الله ، مَثَلُه كَمَثَلِ جِرَابٍ فيه مِسْك » . وصحب مالكاً عشرين سنة ، وانتفع به أصحابه بعد موته . وكان مالكٌ شَيْخَه فى العِلم ، وشَيْخُهُ فى الوَرَعِ والعبادة سُليمان [١] .

وقال الحارث : سمعتُ ابن القاسم يقول : رأيتُ فى المنام كأنَّ قائلاً يقول : إنَّ الله يُصَلِّى عليك وعلى سعيد بن زكريا ، يعنى سعيد الأدم [٢] .

وحُكِيَ عنه - رحمه الله - أنَّ رَجُلاً من التُّجَّار أَوْدَعَ عنده مائتى دينار ، فأخذها الشيخ وخَبَّأها فى مكان عنده فى داره ، فجاءت زوجته وأَخَذَتْهَا ، وجَهَّزَتْ ابنته بها وزَوَّجَتْهَا ، فجاء صاحب المال وطلبه ، فدخل الشيخ ليأتيه به فلم يجده ، فقال لزوجته : أين مال الرجل ؟ فقالت له : قد جهزتُ به ابنتك . فقال لها : كيف العمل ؟ فقالت له : علىَّ رَدُّهَا إنْ شاء الله تعالى . فقال لها : مِنْ أين ؟ فقالت له : مِنْ كَنْز لا ينفد ، فَقُلْ لصاحبها أَنْظِرْنى [٣] إلى الغد !

فجاء ابن القاسم إلى الرجل وقال : أَنْظِرْنِى إلى الغد ، فإنَّ هُناك ضرورةً [٤] .

---

(١) يعنى سليمان بن القاسم الزاهد المصرى .

(٢) هو سعيد بن زكريا الأدم المصرى ، أبو عثمان ، كان له عبادة وفضل ، وتوفى بالجميم سنة ٢٠٧ هـ . [انظر حُسن المحاضرة ج ١ ص ٢٨٥] .

(٣) أَنْظِرْنِى : أمْهِلْنى .

(٤) فى « م » : « فإنَّ ثَمَّ هناك ضرورة » وثَمَّ بمعنى هناك ، فهو تكرار .

ثُمَّ لمَّا جَنَّ الليل قامت زوجته وتوضَّأَتْ وجعلت تُصلى وتدعو وتسأل الله تعالى ، فرأى « أشهب » رسول الله ، ﷺ ، فى المنام وهو يقول له : إنَّ صاحِبَكَ ابن القاسم محتاج إلى مائتى دينارٍ ، فلا تصلى الصبح إلَّا وهى عنده . فانْتَبَهَ من منامه وقت الفَجر ، ثم أخذ مائتى دينار وأتى بها إلى دار ابن القاسم ، وطرق عليه الباب ، فَخَرَجَ إليه ابن القاسم ، فسَلَّمَ عليه « أشهب » وأعطاه الذهب [1] ، فبينما هو يُحَدِّثُه فى تلك القضية إذا بصاحب المال قد أقبل وقال له : يا سيدى لا تأخُذْ منه شيئًا ، فقد اشتريتُ بها البارحة قصرًا من ربِّى فى الجَنَّةِ . فَرَدَّ ابن القاسم المال إلى « أشهب » ، فقال : والله لا رُجُوعَ لى فيما خرجتُ عنه . وقال ابن القاسم : وأنا لا حاجةَ لى بها ، فتصدَّق بها أشهب وابن القاسم فى وقت واحد ، رضى الله عنهم .

وحَكَى زيد بن أبى يزيد قال : سمعتُ أبى يقول : سمعتُ ابن القاسم يقول : كنتُ بالإسكندرية فرأيتُ أنِّى اصطَدتُ طيرًا بازيًّا فقصصته ، فإذا هو مملوء جوهرًا ، قال : فجئتُ إلى ابن أبى شُعيب ففسرته عليه ، فقال : لعَلَّكَ حدَّثْتَ نفسك بشىء من طلب العَلم . قال : فقلت هو ذاك . قال : من ذا الذى ذكَرْتَ ؟ فقلت : مالِكَ [2] . فقال : هو بَازُكَ صِدْتَهُ .

وقال ابنَ القاسم : رَجُلان أقتدى بهما فى دينى : سليمان فى الوَرَع ، ومالكُ بن أنس فى العلم .

وقال محمد بن يحيى : سمعتُ عبد الرَّحمٰن بن القاسم رضى الله عنه يقول : « ما أظن أحدًا تعلَّمَ من الناس كعلمى فأفْلَحَ ، لقد كنتُ أحضر مجلس مالك وأسمع منه ، فإذا لم يحضر أصحابى أُخبرهم إذا سألونى عن جميع ما سمعت ، وكنتُ إذا غبتُ وسألتهم لم يخبرونى ولم يلتفتوا إلَىَّ ، فأفلحتُ وخابوا — أو عَلِمْتُ وجَهِلُوا » .

---

(١) هكذا فى « م » .

(٢) أى : الإمام مالك .

قال : وكان من دعاء ابن القاسم : « اللهُمَّ امْنَعْنِى من الدنيا وامْنَعْهَا منى ما منعت به عبادك الصالحين » .

وقال أسد : قال لى ابن القاسم : كنتُ أختم كل يوم وليلة ختمتين ، فلما جئتنى نزلتُ لك عن ختمة رغبةً مِنى فى إحياء العِلم .

قال بعض أصحاب ابن القاسم : صليتُ معه صلاة عيد الفطر والأضحى ، ثم دخل المسجد ودخلتُ معه ، فصلى ثم سجد فأطال السجود حتى خِفْتُ فَوْتَ الغداء مع أهلى ، فدنوتُ منه ، فسمعته يقول : « إلٰهى ، انقلب عيدك إلى ما أَعَدُّوهُ له لهذا اليوم ، وانقلب عبد الرَّحمٰن إليك يرجو أن تغفر له فى هذا اليوم العظيم ، فإن كُنتَ فَعَلْتَ فَبَخٍ بَخٍ [1] ، وإنْ لم تفعلْ فيا خَجْلَتَه ، ويا معصيته ، وياحسرته ! » . قال الرجل : فمضيتُ إلى أهلى فتغديتُ معهم ونِمْتُ هنيهة وجئتُ إلى المسجد فوجدتُ ابن القاسم على هيئته كما تركته .

وقال يحيى بن عمر : خرج ابن القاسم فى بعض صحارى مصر ، فَعَطِشَ ؛ وكان قد خرج أمير مصر متنزهًا بتلك الصحارى ، فبينما هو سائر إذْ وقفت دَوَابُّه وجِمَالُه ولم تنطلق ، فَضُرِبَتْ فلم تنهضْ . فقال لإخوانه وخَدَمِه : انظروا ما الذى أَوْجَبَ ذلك ؟ فما حَبَسَنا إلَّا الله سبحانه .

فنظروا إلى شخصٍ يُلَوِّحُ ، فإذا هو ابن القاسم ، فجاء إليهم ، فسألوه عن خبره ، فأخبرهم بالعَطَشِ ، فجاءوا له بالماء ، فشرب إلى أن روى ، فسارت دوابُّهم ، فعلموا أنَّ تلك الوقعة كانت بسببه .

وقال الحارث – يعنى ابن مسكين : قال سحنون : رأيتُ ابن القاسم فى النوم فقلت : ما فَعَلَ الله بك ؟ قال : وجدتُ عنده ما أَحْبَبْتُ .

---

(١) بخٍ : كلمةٌ تُقال عند الرضا والإعجاب بالشيء ، أو المدح ، أو الفخر ، وكثيرًا ما تستعمل مكررة .

وكان ابن القاسم فى الزهد شيئًا عجيبًا . وتوفى سنة إحدى وتسعين ومائة . ويقال : إنه دُفِنَ بالقرب من قبر أبى الحسَن الدِّينَورِىّ من جهة الباب البحرى على يسار الدَّاخل فى تُربة هناك ، والصحيح أنه بهذه المقبرة [1] .

قال سَحْنُون : لو لمْ يكن من أصحاب مالك إلّا ابن القاسم لكفاه .

وكان سَحْنُون من خواص أصحابه . وهو سحنون أبو سعيد عبد السلام ابن سعيد التنوخى ، يُكْنَى أبا سعيد ، وكان عالم القيروان فى مذهب الإمام مالك ، خبيرًا بالمذهب ، عالمًا بالآثار ، وألَّفَ كتابه المشهور جَمَعَ فيه العِلْم والفقه ، وهو المسمى بالمُدَوَّنة ، وكتاب السير ، وهو عشرون مجلدًا ، وكتاب التاريخ ، وهو فى ستة أجزاء ، وكتاب الرَّدّ على الشافعى وأهل العراق ، وكتاب الزهد والأمانة . وله تصانيف كثيرة . وُلِدَ – رضى الله عنه – سنة ستين ومائة ، وتوفى سنة اثنتين [2] وأربعين ومائتين [وقيل] [3] : توفى فى شهر رجب سنة أربعين ومائتين . وكان من أصحاب مالك ، نَزَلَ مصر وأقام بها ، ومات بالمغرب ، وكان زاهدًا وَرِعاً . وكان يقول : العِلم حُجة الله على عباده ، والعلماء مع الأنبياء ، وخير الناس علماؤهم .

وقال عبد الوهاب : ركبتُ مع سَحْنُون البحر المالح فهاج علينا ريح ، فَخِفْتُ ، فنمتُ من شدة خوفى ، فرأيتُ رسول الله ﷺ ، فقال لى : أتخاف – أو يخاف أهل السفينة وفيهم سحنون ؟ فاستيقظتُ فإذا البحر قد سكن ، ووجدتُ سحنوناً يصلى ، فلما انتقل من صلاته قال لى : أُسْكُتْ ، لا تخبر أحدًا من أصحاب السفينة . فقال : فلم أتكلم .

---

(١) أى بمقبرة أشهب . [وانظر الكواكب السيارة ص ٤٠] .

(٢) فى « م » : « اثنين » لا تصح .

(٣) مابين المعقوفتين زيادة لاستقامة المعنى والسياق .

وقال بعض العلماء : تَفَقَّهَ سَحْنُون على ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهب ، وانتهت إليه الرياسة فى العلم بالمغرب .

وكان يقول : قَبَّحَ الله الفقر ، أدركنا مالكاً ، وقرأنا على ابن القاسم . وَوَلِيَ القضاء بالقيروان وعُوِّلَ عَلى قَوْلِهِ [1] بالمغرب ، كما عُوِّلَ على قول ابن المواز بمصر . وحصل له من الأصحاب والتلامذة ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك . وكان فى طبقة يحيى بن بكير – رضى الله عنهم .

وقَدِمَ سَحْنُون من بلاد المغرب للمدينة الشريفة يقصد القراءة على مالك ، فوجده – لمَّا قَدِمَ المدينة – توفى ، فقيل : إنَّ ابن القاسم فى مصر ، وهو مالكٌ الصغير ، فجاء إلى مصر وطلب من ابن القاسم أن يُقربه ، فوجده قد تعبَّد وترك الإقراء ، فجاء سَحْنُون يوم الجمعة إلى الجامع العَمْرى ، وصبر إلى انقضاء الصلاة ، وشكَى حاله إلى الناس ، فأشاروا عليه بِرَجُلٍ بَزَّاز ، وكان يقوم بمصالح ابن القاسم ، وكان ابن القاسم يقرأ عليه القرآن ، فجاء سَحْنُون إلى البزاز وكلَّمه ، فَكَلَّمَ البزَّازُ ابن القاسم فى إقراء سحنون ، فأنعم له [2] لأجْل البزَّاز . وكانت له وظيفة فى القراءة ، فاختصرها لأجل إقْراء سَحْنُون ، وكان مع سحنون – مِمَّا فضل من نفقته – ثلاثمائة دينار ، فدفعها للبزَّاز وقال له : اتَّجِرْ لى فيها بما يحصل لى منه القوت ، فأخذها منه وجعل له أنْ يأخذ منه كُلَّ يوم ما يحتاج إليه فى مصالحه .

ومكث سَحْنُون ثلاثة أعوام يقرأ على ابن القاسم حتى تعلَّم ما عَلِمَهُ ابن القاسم من مالك ، ثم عزم على السفر إلى بلاده ، فطلب من البزَّاز مالَهُ ، فحاسبه البزَّازُ على الرِّبح المتحصل له ، فإذا هو ثلاثمائة دينار ، فدفع إليه ستَّمائة دينار ، فقال : ألَمْ تكن تدفع لى فى كل يوم كذا وكذا من الدَّراهم ؟ فقال البزَّاز :

---

(١) عُوِّلَ على قوله : اعتُمِدَ عليه .

(٢) أنْعَمَ له : قال له : نَعَم .

من يحصل لى [١] مثل سحنون ، يقرأ على ابن القاسم وأقوم ؟ والله لا آخُذُ شيئًا من ذلك !

وحُكِيَ أنَّ أمير مصر قال لعبد الرحمٰن بن القاسم : إنّى أُريد أنْ أُزَوِّجَكَ ابنتى وأقوِّمَ عنك بجميع لوازمها . فقال : حتى أُشاوِرَ معلمى سليمان – يعنى الزاهد – فشاوره ، فقال له سليمان [٢] : أتحبُّ أنْ تلبسَ الخزَّ ؟ قال : لا والله . قال : أتُحِبُّ أنْ تركب الخيل ؟ قال : لا والله . قال : أتحبُّ أنْ تخدمكَ الصقالبةُ ؟ قال : لا والله . قال : أفتُحِبُّ أنْ يُرَاحَ عليك بالجِفان غُدوةً وعشية ؟ قال : لا والله . قال : أفتُحب أنْ يُشارَ لكَ بالأصابع ؟ قال : لا والله . قال : فما تُريد بمصاهرة هذا ؟ ارْجِعْ عن ذلك تَلْقَى الخيرَ إنْ شاء الله تعالى .

وقيل لابن القاسم : متى يكون العالم عالمًا ؟ قال : إذا لم يكن بينه وبين الله رياء .

وكان يداوم الصوم حتى يُرَى كالشَّنِّ البالى .

وقال الشيخ عبد الوهاب البغدادى : كان ابن القاسم قد مَحَلَ من العبادة [٣] والصوم حَتَّى كان يُرَى باطِنَ عَظْمِه .

وقال الجوهريُّ : الوُعَّاظُ [٤] ثلاثةٌ ، كانت تُرَى خُضْرَة البقل من تحت جلودهم ، وهم : ابن الوردى ، وعُتبة الزاهد ، وابن القاسم .

وقال ابن القاسم لابن المَاجِشُون [٥] – وقد قال له : أَوْصِنِى – قال :

---

(١) أى : مَنْ يكون لى ، أو مَنْ يَجْلب لى .

(٢) فى « م » : « فقال له : يا سليمان » لا تصح . فالقائل هنا هو سليمان ، والمَوَجَّهُ إليه القول هو ابن القاسم .

(٣) مَحَلَ من العبادة : ذهبتْ نضارتُهُ ورَقَّ جِلْدُه .

(٤) فى « م » : « الواعظ » .

(٥) هو أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون ، من أصحاب الإمام مالك ، كان فصيحًا مُفَوَّهًا ، وعليه دارت الفتيا فى زمانه بالمدينة ، وتوفى سنة ٢١٣ هـ . =

حَقِّقْ عملَكَ ، واعْمَلْ لِمَا بينَ يديك ، وإنْ قدرتَ على عُزْلَةٍ فافْعَلْ ، وأَغْضِبِ الدنيا تُرَى الأُخرَى ، وَاتْرُكْ ما عند الناس تجد ما عند الله .

قال القاضى عياض : مات والد عبد الرحمٰـن بن القاسم وخَلَفَ عشرة آلافِ دينار ، فلم يأْخُذْ منها شيئًا تَوَرُّعًا .

* * *

قبر صاحب الإبريق [1] :

يقال عنه : إنَّ رَكْبًا [2] مَرَّ عليه وقد أدركهم العطش ، فسقاهم جميعًا من إبريق له . وقيل : بات عنده قومٌ فلم يجدوا ماءً — سوى إبريق فيه ماء — فأرادوا الانصراف ، فقال لهم : اشربوا وتوضَّئُوا وقولوا : بسم الله ، يكفيكم إنْ شاء الله تعالى ، ففعلوا ذلك ، فلم ينقص الإبريق شيئًا .

وإلى جانب قبر ابن القاسم من جهة القبلة فى الركن قبر السيد الشريف بدر الدين أبى محمد حسن بن محمد بن عبد الله الحسينى ، الشهير بالعريان ، له كرامات وخوارق .

وإلى جانبه قبر ولده محمد ، وهذه التربة مشهورة به .

= [انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٦٦ و ١٦٧ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٥٣ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨] .

(١) العنوان عن « م » ، واسم صاحب الإبريق : الشيخ أبو الحسن ، كما ورد فى الكواكب السيارة ص ٢٩٠ ..

ومن هنا إلى صفحة ٤٨٢ عن « م » وساقط من « ص » ، وأغلب الظن أنه من وَضْع من جاء بعد مؤلف الكتاب ، حيث وردت بعض التراجم التى لم يدركها مؤلف الكتاب موفق الدين بن عثمان ، وجاءت بعد وفاته ، وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه .

(٢) فى « م » : « راكبًا » تحريف من الناسخ .

وبهذه التربة قبر محمد بن يحيى [بن] [1] الإمام مالك بن أنس ، وكانت وفاته بمصر . وبها قبر أبى الأزهر عبد الصمد بن الإمام عبد الرحمٰن بن القاسم ، كان يروى عن أبيه وعن سفيان بن عُيَيْنَةَ ، توفى سنة مائتين وواحد وثلاثين فى شهر رجب ، وكان فقيهًا فاضلاً يقرأ القرآن على الإمام وَرْش ، ومن أجله اعتمد أهل الأندلس على قراءة وَرْشٍ .

وإلى جانبه قبر أخيه موسى بن عبد الرحمٰن ، توفى سنة مائتين وواحد وأربعين . وبها قبر الفقيه أبى رجاء محمد ابن الإمام أشهب ، توفى فى ذى الحجة سنة مائتين وتسع وأربعين .

ثم تخرج من التربة إلى مسجد أشهب ، إلى الجهة الشرقية من قبره ، تجد قبرًا به « التَّالى لكتاب الله » شرف الدين يحيى ، المكنى بأبى زكريا ، والملقب بالتَّلاَ ، قبره دَاثِرٌ ، وكان من عُبَّاد الله الصالحين ، كثير التلاوة لكتاب الله تعالى .

ثم تمضى من قبره إلى قبلة المشهد تجد قبر الفاضل أبى الحسن على التمار ، كان من ذوى الأسباب ، عُرِفَ بزيارة الحسين ، وكان محافظًا على زيارته .

وإلى جانبه من الغرب تربة بها قبر أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن على الواسطى المُحَدِّث ، رَوَى عن مجاهد أنه لَقِىَ فى كَنْزٍ لوحاً من ذهب ، على إحدى وَجْهَيْه مكتوب : « لا إلٰه إلّا الله الأحد الصمد ، لم يلد ولم يُولد ، ولم يكن له كُفوًا أحد » . وعلى الوجه الآخر : « عجباً لِمَنْ رأى الدنيا وتَنَقُّلَها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها ؟ » .

جِسْمٌ عَلَى البِرِّ ليسَ يَقْـوَى ... ولا عَلَـى أيْسَرِ الْحَــرَارَهْ

فكيـفَ يَقْـوَى عَلَـى جَـحِيمٍ ... وَقُودُهَـا النَّـاسُ وَالْحِجَـارَهْ

* * *

(١) مابين المعقوفتين من عندنا ولم ترد فى « م » ، وقد كان للإمام مالك من الأولاد يحيى ومحمد وحمّاد ، وله ابنة واحدة تدعى : فاطمة .

ومن غربيّ هذه التربة قبر « ميمونة » المذكورة ، ثم تجيء إلى قبر الفضل ابن بحر التاجر ، كان له صَدَقَةٌ ومعروف .

حَكَى عنه قال : بينما أنا أسير فى الجبل المقطم رأيت شابًّا عليه أَثَرُ العبادة ودموعه تَتَحَدَّرُ على خُدُودِهِ ، فَسَلَّمْتُ عليه وقلتُ : مَنْ أنت ؟ قال : عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ مَوْلَاه . فقلتُ له : يعود ويتعذّر ، فقال : العَوْدُ يحتاج إلى إقامة حُجَّة ، ولا حُجَّة للمفرط ، فقلت له : هل لك فيمن يشفع لك عند مولاك ؟ فقال : مولاى ربَّانى صغيرًا فعصيته كبيرًا ، ثم صاح صيحة عظيمة وقع منها ميتًا ، فخرجت لى عجوزٌ من مغارة وقالت : مَنْ ذا الذى أعان على قتل هذا البائس الحيران ؟ ثم بكت ، فقلت لها : هل لكِ فى المعاونة على دفنه ؟ فقالت : دَعْهُ دليلاً بين يدى مولاه ، فعسى أن يراه بعين عَفْوِه فيرحمه ، فَوَلَّيْتُ عنها وانصرفت فسمعتُها تنشد وتقول :

لا عُدْتُ أركبُ ما قد كنتُ أركَبُه ... جُهْدِى فَخُذْ بِيَدِى يا خَيْرَ مَنْ رَحِمَا
هذا مقامُ ظَلُومٍ خائفٍ وَجِلٍ ... لَمْ يَظْلِمِ النَّاسَ إِلَّا نَفْسَهُ ظَلَمَا
فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَمَّا جَاءَ مُعْتَرِفًا ... بِزَلَّةٍ سَبَقَتْ منه وقَدْ نَدِمَا
مَالِى سِوَاكَ ولا عِلْمٌ ولا عَمَلٌ ... فَامْنُنْ بِعَفْوِكَ يامَنْ عَفْوُهُ عَظُمَا

* * *

وبهذه الحومة قبر زينب بنت الأباجلى ، كان على قبرها قُبَّةٌ حَسَنة . حُكِىَ عنها أنه كان بجوارها رجلٌ ، وكان مسرفًا [1] على نفسه ، مدمنًا للخمر ، وكان يؤذيها فى الليل من كثرة « عياطه » [2] ، فلما مات سألت الله تعالى أَنْ تراه

(١) ف « م » : « وكان مسرفٌ » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) أى : صياحه وجَلَبَتِهِ .

فى منامها ، فرأته بعد موته وهو يرفل فى حُلَّة خضراء ، فقالت له : ما فعل الله بك ؟ فقال لها : أوقفنى بين يديه وحاسَبَنِى حسابًا شديدًا ، وأمَرَ بى إلى النار ، فضُرِبْتُ بكل شريفة ألف ضربة . فقالت له : بأى وسيلة حصل لك هذا الأمر ؟ فقال : كانت زوجتى - لمَّا متُّ - حاملًا ، فوضعت بعد موتى ، فلما ولدت وربَّتْهُ وكبر تكلَّم فقال : « لا إلـه إلَّا الله » فَأَعْتَقَنِى الله بها من النار ، فَلَمَّا دخَل « الكُتَّاب » لَقَّنَهُ الفقيه « بسم الله الرحمن الرحيم » فأدخلنى الله بها الجنة ، وأعطانى فيها مالا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلب بشر .

شعر :

ذُنُوبِى كَثِيرٌ لا أُطِيقُ احْتِمَالَهَا وعَفْوُكَ ياذَا الْعَرْشِ أَعْلَى وأَكْبَرُ
وقَدْ وَسِعَتْنِى رَحْمَةٌ مِنْكَ ها هُنَا وإنِّى لها يوم القيامَـة أَفْقَـرُ

* * *

ثم تمشى إلى قبر ، قيل : إنه عنتر النَّجَّار ، يقال : هو نجار النبى ﷺ ، وكان عليه رخامةٌ أنَّهُ ابن أبى جَعْفَر فقيه مصر وعالمها ، انتهت إليه الرياسة فى العلم والفتوى ، وكان عظيم الشأن ، جليلَ القَدْرِ ، كثيرَ الصَّمْتِ ، وكان يقول : لسانُ ابن آدم سَبُعٌ ضَارٍ ، إنْ أَطْلَقَهُ نَدِمَ ، وإنْ أَمْسَكَهُ سَلِمَ . ذكره ابن يونس فى تاريخه .

[وبالقرب من] [1] الحومة قبر المرأة الصالحة « فاطمة » من ذُرِّيَّة العباس ابن مرداس السُّلمى الصحابى . وبالقرب منها قبر الرجل الصالح أبى القاسم الفُوَطِى ، كان يصنع الفُوَط الحَمَّامية ويتصدق بأجرتها ، ويَتَقَوَّتُ بشىء يسير .

---

(١) مابين المعقوفتين لم يرد فى « م » .

ويجاوره قبور السادة المعافرية ، ويُقال لهم : اللَّوَّاحِين ، قيل : إنهم كانوا يصنعون الألواح ويُفَرِّقُونَها على الأيتام والأطفال فى المكاتب لِتَعَلُّمِ القرآن .

وإلى جانبهم قبر « أعلاهم » الشامى ، قيل : اسمه عبد الله ، وقيل : عبد الرحمٰن ، وقيل : عبد الحافظ ، ولُقِّبَ بذلك لأنه صحب أربعمائة وَلِىٍّ ثم قال : اللّهُمَّ إنى أعلاهم ، فرأى فى منامه تلك الليلة قائلاً يقول له : أنت أعلاهم ، فَمِنْ ثَمَّ كان يُدْعَى بذلك . وقبره معروف بإجابة الدعاء .

قبر أبى يعقوب البويطى الشافعى (١) :

وبالقرب من قَبره قبرٌ يقال : هو لأبى يعقوب يوسف بن يحيى البويطى الشافعى ، وأبو يعقوب هذا منسوب إلى قرية من صعيد مصر التحتانى ، كان من أصحاب الشافعى ، وأَوْصَى له الشافعى عند موته بأن يخلفه فى حلقة العِلْم ، وكان أنفع أصحابه للطلبة بعده ، وانتهت إليه الرياسة بمصر بعد الشافعى ، رضى الله عنه . وقال له الشافعى : أنت تموتُ فى المِحْنَة (٢) ، وكان كذلك ، فإنه حُمِلَ إلى بغداد وسُئِلَ عن خَلْقِ القرآن ، فلم يجب بشىء ، وكان فى كل يوم يخرج من السجن مع الأعيان يَرْفُلُ فى قيده فيُسْأَل ، فيقول : هو كلام ربِّى ليس بمخلوق ، فيُضْرَب ويُعَاد إلى السجن .

قال أبو بكر بن ثابت : بعث ابن أبى دؤادٍ (٣) إلى البويطى بعضَ أصحابه

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) فى « م » : « المحبة » تحريف . والمحنة هى « محنة خَلْق القرآن » .

(٣) فى « م » : « داود » مكان « دؤاد » فى كل المواضع ، وهو تحريف وقد تسهل الهمزة . وهو أحمد بن أبى دؤاد بن جرير بن مالك الإيادى ، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ، ورأس فتنة القول بخَلْق القرآن ، وكان شديد الدهاء ، محبًا للخير ، اتصل بالمأمون ثم المعتصم ثم الواثق ، وكانت له منزلة عندهم ، وتوفى مفلوجًا فى أول خلافة المتوكل ببغداد سنة ٢٤٠ هـ . [انظر الأعلام ج ١ ص ١٢٤ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٤١ - ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٨١ - ٩١ ، وطبقات المعتزلة ص ٦٢ و ١٢٣ - ١٢٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩٣] .

إلى السجن وهو يقول له : إنه يسلم عليك – وكانت بينهما صداقة – وإذا كان الغد وأُحْضِرْتَ بين يدى أمير المؤمنين وسألك عن خَلْقِ القرآن فَقُلْ به ، ولَكَ علَىَّ أربعون [١] حملاً مُحَمَّلَة مِمَّا تريد ، تعود بها إلى مصر . فقال للرسول : نعم فى غدٍ نتكلم إنْ شاء الله تعالى .

فلما أُحْضِرَ جلس الخليفة ، وجلس ابن أبى دُؤَاد ، فقال له البويطى : والله لا أقول ذلك ولو أُعْطِيتُ وَزْنَ جبل تهامة ذهباً ، فَضُرِبَ ، فكان إذا شرب الماء خرج من بين أضلاعه . وكان يقول : مَنْ قال إنَّ القرآن مخلوق فهو كافر . هكذا قال المُزَنِىُّ والربيع ، وكُلٌّ منهما يروى ذلك عن الشافعى .

ولأبى يعقوب مُخْتَصَرٌ غايةٌ فى الحُسْن ، على مذهب الإمام الشافعى ، على نَظْم أبواب المبسوط .

وحكى عنه صاحب جمع الجوامع ، مع القاضى تاج الدين السبطى ، عن البويطى ، عن الشافعى : أنَّ الإنسان إذا مات وعليه اعتكافٌ واجبٌ اعتكف عنه أولياؤه . وفى رواية : يُطعم عنه أولياؤه . وفى رواية : يسقط ولا شيء عليه .

ومن اختياره أنَّ الجُنُبَ إذا تيمم بِنِيَّةِ الطَّهَارَة الصُّغْرَى لم يصح تَيَمُّمُه ، وبهذا قال الربيع . وهو قول مالك وأبى حنيفة .

قال البويطى : رأيتُ مكتوبًا على حائط : « الزاهد مَنْ لايجد فيزهد » . قلت : « إنَّمَا الزَّاهِد مَنْ يجد فيزهد » .

قال السَّاجِى : كان أبو يعقوب إذا سمع المُؤَذِّن وهو فى السجن يوم الجمعة ، اغتَسَلَ ولبس ثيابه ، ويمشى حتى يبلغ باب السجن ، فيقول له السَّجَّان : إلى أين تريد ؟ فيقول : أُجِيبُ دَاعِىَ الله . فيقول : ارجعْ عافَاكَ الله . فيقول : اللّهُمَّ إنك تعلم أنِّى قد أجبتُ دَاعِيكَ فَمُنِعْتُ [٢] .

---

(١) ف « م » : « أربعين » خطأ .

(٢) هذا الفعل فعله واقتدى به أيضًا القاضى « بكّار » حينما سجنه أحمد بن طولون ، فإذا =

وقال أبو الوليد بن أبي الجارود : كان البويطى جارِى ، فما كنتُ أنتبه من الليل إلَّا سمعته يقرأ ويصلى .

وقال الشافعي ، رضى الله عنه : ليس مِنْ أصحابى مَنْ هُوَ أحقُّ بمَجْلِسى من يوسف بن يحيى [١] ، وليس من أصحابى مَنْ هو أعلم منه . وَرُوِىَ عنه أنه قال : أبو يعقوب لسانى .

وقال بعض المؤرخين : كان البويطى واسطة عقد جماعته [٢] ، وأظهرهم نجابةً ، اختصَّ به فى حياته ، وقام مقامه فى الدرس والفتوى بعد وفاته . سمع الحديث من عبد الله بن وهب ، ومن الشافعى ، ورَوَى عن جماعةٍ ، منهم أبو عيسى الترمذى ، وإبراهيم بن إسحاق الخولى ، والقاسم بن المغيرة الجوهرى ، وأحمد بن منصور الرمادى ، وغيرهم .

وقال الربيع بن سليمان : رأيتُ البويطى على بَغْلٍ ، وفى عُنقه غِلٌّ ، وفى رجليه قيدٌ ، بينهما سلسلة [٣] من حديد فيها طوبة ، زِنَتُها ما يقارب الأربعين رطلاً . ومات مسجونًا ببغداد يوم الجمعة ، قبل الصلاة ، فى شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

قبر فاطمة بنت جعفر الصادق [٤] :

وإلى جانبه حوش لطيف به قبر السيدة الصالحة الشريفة فاطمة بنت جعفر الصادق .

= كان يوم الجمعة اغتسل غسل الجمعة ولبس ثيابه ثم يخرج إلى السجان ، فيقول له السجان : إلى أين تريد ؟ فيقول بكار : أريد صلاة الجمعة . فيقول له السجان : لا سبيل إلى ذلك . فيقول بكار : « الله المستعان » ، ويرجع . [انظر : الولاة والقضاة ص ٤٧٨] .

(١) يعنى البويطى .

(٢) أى : جماعة الشافعى .

(٣) أى : بين الغِلّ والقيد سلسلة .

(٤) العنوان من عندنا .

حكى ابن عثمان – صاحب هذا الكتاب – عن المسكىّ : أنها كانت متزوجة برجل من آل بيت النبوة ، من ذُرِّيَّة الحسن ، رضى الله عنه ، فتوفى إلى رحمة الله تعالى وتَرَكَ لها مالًا عظيمًا ، فأنفقَتْهُ جميعه فى وُجوه الخير . وكانت كثيرة البِرِّ للفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والمنقطعين . وافتقرتْ فقرًا عظيمًا ، وجاءَ غلاءٌ عظيم ، فمكثت هى وبناتُها – وكُنَّ [(١)] ثلاثًا من الشريف – جياعًا ثلاثة أيام ، وكان زوجها تاجرًا جوهريًّا ، وكان من جُملة متروكاته التى [(٢)] تركها حبَّات من جَوْهَر فى خيط من حرير ، تركها فى جانب البيت حتى تَصَدَّتْ ولم تعرف بها ، فوجدتها [(٣)] بنت لها صغيرة من بناتها ، فقالت لأُمها : ياسيدتى ، رأيت خرزًا فى خيط . فقالت : أين هو [(٤)] ؟ فجاءت لها به [(٥)] ، فَدَفَعَتْهُ إلى جارية لها وقالت : اذهبى بهذا [(٦)] إلى السوق وبيعيه [(٧)] بما يَسَّرَهُ الله تعالى ، وَأْتِينَا بما نأكل .

فأخذت الجارية الخرز ودارت به [(٨)] على عوام الناس ، فلم يدفع أَحَدٌ فيه شيئًا [(٩)] ، فجاءت به [(١٠)] إلى سوق الصَّاغَة ، فوجدت بُشْرَى بن سعيد

---

(١) فى « م » : « وكانوا » لا يصح .

(٢) فى « م » : « الذى » .

(٣) فى « م » : « تصدتْ ولم تعرف بهم ، فوجدتهم » . وتصدت : علاها الصدأ والغبار من الإهمال .

(٤) فى « م » : « هم » .

(٥) فى « م » : « بهم » .

(٦) فى « م » : « بهؤلاء » .

(٧) فى « م » : « وبيعيهم » .

(٨) فى « م » : « بهم » .

(٩) فى « م » : « فيهم شىء » .

(١٠) فى « م » : « بهم » .

الجوهرى جالسًا على باب الصَّاغة ، فدفعت الخرز إليه (١) ، فأَخَذَهُ ومَضَى ، وغاب ساعة ثم عاد إليها وقد جَلَى حبَّةً فجابت مائة دينارٍ (٢) ، فجاء إلى الجارية وقال : لِمَنْ هذه الحبَّات ؟ قالت : لا مرأة شريفة من ذُرِّيَّة جعفر الصادق . فقال لها : قد أصلحتُ حَبَّةً وناديتُ عليها ، فَسَاوَتْ (٣) مائة دينار ، فهل تَقْبضين (٤) فيها ذلك ؟ فقالت : أتهزأ بى وبسيدتى وهى شريفة ؟ فقال لها : أعوذ بالله . فقالت له : اقْبِضِ المالَ وامضِ معى إليها .

فأخذ المائة دينار وجاء إلى دارها ، فدخلت الجارية وأخبرتْ سيدتها ، فخرجت إليه ، فدفع لها المال وأخذَ أُجرته ، وشاوَرَها فى إصلاح الباقى وبَيْعِهِ (٥) ، فقالت له : افعَلْ ما تريد ، ثم بكت ، فسمع بُكاءَهَا (٦) ، فقال لها : ياسيدتى ، ما الذى أبْكَاكِ ؟ أكَرِهْتِ ما كان منى ؟ قالت (٧) : لا ، ولكنِّى ذَكَرْتُ مخلوقًا أصْلَحَ حَبَّةً كانت مجهولة القيمة فَبِيعَت بمائة دينار ، فكيف إذا أصلح الله قلب العبد كيف يكون حاله ؟!

ثم تَوجَّهَ بُشرى وأصلح ما بقى من الحبَّات ، فطلبت زوجة الخليفة حَبَّتَيْن ، فتوَجَّهَ بهما إلى دار الخليفة فعرضَهُمَا عليها (٨) ، فعجبت من حُسْنِهِمَا ، ودفع الخليفة ثمنهما ، وأعطاه لأجلهما بَغْلَةً وخِلْعَةً ، وولَّاه رِيَاسَةَ الجوهريين ، فجاء للشريفة بثمن الحبتين ، وأخبرها الخبر بأمر البغلة والخِلْعَة وولايته ، فقالت له : بارَكَ الله لكَ فيما رزقك .

---

(١) فى « م » : « فدفعتهم له » .

(٢) أى : قُدِّرَتْ لَدَى المشترين بمائة دينار .

(٣) فى « م » : « فسويت » .

(٤) فى « م » : « فهل تقبضى » .

(٥) فى « م » : « وبيعهم » .

(٦) فى « م » : « بكاؤها » خطأ .

(٧) فى « م » : « قال » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٨) فى « م » : « فأعرض عليهما » تحريف من الناسخ .

ثم باع الباقى وجاء بالثَّمن إليها ، فقالت له . هَوَّنَ الله عليكَ سكراتِ الموت ، وجعل من نسلك الصالحين ، فَرَزِقَ بُشْرَى بِحُسين ، الذى هو والد أبى الفضل الجوهرى ، الواعظ المصرى . وحصل الغناء لبُشرى ، وللشريفة ، وسيأتى ذكر بُشْرَى عند قبره .

قبر الشيخ أبى الحسن نور الدين [1] :

وعند رجليها قبرٌ به الشيخ الصالح نور الدين على ، المذكور بالصلاة ، يُكْنَى أبا الحسن . حُكِيَ عنه أنه كان لا ينام الليل من كثرة بكائه وذِكْرِه ، وكان يدور فى الليل وينادى : الصَّلاة .. الصلاة قبل الرحيل .

ومن كلامه : إذا أَحَبَّ الله العَبْدَ أَيْقَظَهُ لخدمته . وكان إذا أَوَى إلى فراشه يتقلَّب كالفَرْخ إذا ذُبِحَ ، ويقول : اللَّهُمَّ إنَّ جَهَنَّمَ لا تدعنى أنام . وكان يقول : أَخشَى مِنْ إتيان أَمْرِهِ وأنا نائم .

وفى معنى ذلك رُوِىَ أنَّ أُمَّ سليمان قالت : يانبىَّ الله ، لا تُكْثِر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تَدَعُ الرجل فقيرًا يوم القيامة .

وقال سعيد بن المُسَيِّبِ : « ما مِنْ عَبْدٍ قام فى الليل فتوَضَّأ إلَّا تَبَسَّمَ الجَبَّارُ فى وجهه ويقول : يا ملائكتى ، انظروا إلى عبدى ، أُشْهِدُكُمْ علَىَّ أَنِّى قد غفرتُ له ، فإنْ صَلَّى أَفَاضَ عليه الرحمة » .

حكاية :

قال منصور بن عَمَّار : بينما أنا نائم ذات ليلة إذْ رأيتُ كأنَّ القيامة قد قامت ، والصراط نُصِبَ ، والميزان قد عُلِّقَ ، والجنة قد أُزْلِفَتْ ، والنار قد

---

(١) العنوان من عندنا .

سُعِّرَتْ ، والنداء من العَلِيّ : أين منصور بن عمَّار ؟ فلما سمعتُ ذلك اصْفَرَّ لَوْنِى ، وتلجلج لسانى ، ثم جئتُ فوقفتُ فى الموقف وأنا خائفٌ وَجِلٌ ، فسمعتُ ذلك النداء : يامنصور بن عمَّار ، بماذا جئتنى ؟ قلتُ : جئتُك بثلاث [١] وثلاثين حَجَّةً ، وثلاث وثلاثين غزوة ، وثلاث وثلاثين سَنَةً أقوم الليل وأصوم النهار ! فقال : يامنصور ، وعِزَّتى وجَلالى ما قبلتُ شيئًا من ذلك ! فقلت : ياربِّ ، شَقِيٌّ أنَا أم سعيد ؟ فقال : سعيدٌ ! فقلت : ياربِّ بِمَ [٢] استوجبتُ عندك هذه السعادة ولم تَقْبَلْ من أعمالى شيئًا ؟ فقال : يامنصور ، إنك جلستَ يومًا مجلسًا فَشَوَّقْتَ عبادى إلى الجَنَّةِ وحَذَّرْتَهم من النار ، فجال اسمى فى سرك ، فقلت فى دعائك : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَقْسَانَا قلبًا ، ولأَجْمَدِنَا عينًا [٣] ، وكان هناك وَلِيٌّ من أوليائى فأَمَّنَ عَلَىَّ وعليكَ ، فَاستجبتُ ذلك لأَجْلِه ، فغفرتُ لكَ ولِمَنْ حَضَرَ مجلسك !

* * *

وقيل : هذا القبر تاريخه قديم ، فيه ابن شماسة المهدى ، ويُعَدُّ من أكابر العلماء والتابعين ، رَوَى عن جماعة ، منهم عمرو بن العاص ، وعقبة بن عامر الجُهَنِىّ ، وَرَوى عن جماعة من رجال الصحيح ، وكان من الأئمة الفضلاء الحُفَّاظ – وُجِدَ هذا على القبر :

يا أيها الغَافِلُ جَدَّ الرحيل ... وأنتَ فى اللَّهْوِ وزَادُك قليل
لو كُنْتَ تَدْرِى ما تُلاقى غدًا ... لَذُبْتَ مِنْ فطرِ البُكَا والعَوِيل
فَأَخْلِصِ التَّوْبَةَ تَحْظَى بها ... فَما بَقِى فى العُمر إلَّا القليل
ولا تَنَمْ إنْ كُنْتَ ذَا فِطْنَةٍ ... فَإِنَّ قُدَّامَكَ نَوْم طَوِيل [٤]

---

(١) فى « م » : « بثلاثة » فى المواضع الثلاثة التى هنا .
(٢) فى « م » : « بما » خطأً ، والصواب حذف ألف « ما » .
(٣) المراد بجمود العين : قلة دمعها .
(٤) هكذا فى « م » لضرورة الشعر ، وهو خطأ فى اللغة ، والصواب : « نومًا طويلًا » .

قبر أبى القاسم الفريد – المعروف بصاحب الخيار [١] :

ثم تمضى إلى قبر السيد الشريف أبى القاسم الفريد المعروف بصاحب الخيار . حُكِىَ عنه أنَّ إنسانًا وَرِثَ [٢] من أبيه مالًا فَأَذْهَبَهُ [٣] ، ثم تداينَ دَيْنًا وذهبَ منه ، فَطُولِبَ به ، فقال : لم يكن عندى ما أدفعه ، فَلَزِمَهُ [٤] صاحب الدَّيْن إلى القاضى وطالبه بالمال ، فأَقَرَّ به ، فَأَمَرَهُ بدفعه ، فاعترفَ بالعجز ، فأمَرَ باعتقاله . ثم أَنْظَرَهُ صاحبُ الدَّيْن مع القاصد الشَّرْعِىّ ثلاثة أيام ، فإنْ جاء بالمال .. وإلَّا اعتُقِلَ . فلما كان فى اليوم الثالث قال فى نفسه : مِنْ أين لى ما أعطى هذا الرجل ؟

ثم ذهب إلى القرافة ، ورأى كثرة المقابر ، حتى انتهى إلى هذا القبر ، وكان عليه حاجزٌ بالطوب اللَّبِن ، فجلس عنده وابتهل إلى الله تعالى ، فأخذه النوم ، فرأى فى منامه كأنَّ هذا الشريف صاحب القبر [ناوله] [٥] خيارًا ، وكان فى أيام عدمه ، فاستيقظ فوجد فى حِجْرِه الخيار ، فتعجَّبَ من ذلك ، فبينما هو متعجبٌ من ذلك إذا بالأمير أحمد بن طولون [واقف] على رأسه ، فقال له : مَنْ أنت [٦] ؟ وما الذى أجلسَكَ هنا ؟ فذكر له قصته ، وما وقَعَ له فى منامه ، فأعطاه الأمير أحمد مالًا وقال له : اقْضِ به دَيْنَكَ . وكان الأمير أحمد كثير الزيارة لقبور الصالحين والأولياء .

---

(١) العنوان من عندنا [وانظر الكواكب السيارة ص ٦٧] .

(٢) فى « م » : « أن أناسا ثاورت » تحريف . وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٣) فى « م » : « مالًا فانيًا جَمَعَه » . وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٤) لَزِمَهُ : تعلَّق به ولم يفارقه .

(٥) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق ، وسقط سهوًا من الناسخ فى « م » فى الموضعين .

(٦) فى المصدر السابق أن ابن طولون قال له : « مررتُ من هنا مرارًا عديدة ما رأيتُك إلا اليوم ... » .

شعر :

أَخْلَقَ الذَّنْبُ والخطيئة وَجْهِي ... بَعْدَما كُنْتُ فى الصَّلاحِ نَبيلَا [1]
طَرَدَتْنِى الذُّنُوبُ عن باب رَبِّى ... أَوْرَثَتْنِى الذُّنوبُ حُزْنًا طويلَا
أَسَرَتْنِى الذنوبُ فاَسْتَرْهَنَتْنِى ... طَوَّقَتْنِى الذنوبُ طَوْقًا ثَقِيلَا [2]
ما أُرَى لى مِنَ العُصَاة نَظِيرًا ... لا ، وَلاَ لى فى الذُّنوبِ عَدِيلَا [3]
نَكَّسَتْ رَأْسِىَ الخطايا خَفِيضًا ... صَيَّرَتْنِى فى العالمين عبدًا ذليلَا

* * *

قبر أبى عبد الله بن هامان المقرئ [4] :

ومنه إلى قبر الفقيه المقرئ أبى عبد الله محمد بن هامان المعافرى المقرئ . وكان على هذا القبر بخط قديم « أحمد بن زين العابدين » ، وليس بصحيح .

وكان ابن هامان من مشايخ مصر المشهورين المتبحرين فى القرآن [5] ، قرأ على ابن غلبون ، وكان له صوتٌ حسن إذا قرأ يكاد الإنسانُ أن يموت من لُغَة قرآنه [6] . ونُقِلَ عنه أن إنساناً سمعه يقرأ : ﴿ وَآخَرونَ اعترفُوا بِذُنُوبِهم خَلَطُوا عَمَلًا صالحًا وآخَرَ سَيِّئًا عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عليهم ... ﴾ [7] . فما زال يكررها إلى أنْ فارَقَ الدنيا .

---

(١) أَخْلَقَ : أَبْلَى .
(٢) فاسترهَنَتْنِى : فحَبَسَتْنِى .
(٣) عديلًا : مثيلًا .
(٤) العنوان من عندنا .
(٥) فى « م » : « فى القرافة » تصحيف .
(٦) يعنى : من أدائه وقراءته .
(٧) سورة التوبة – الآية ١٠٢ .

قبر حمدونة العابدة [1] :

وإلى جانبه قبر المرأة الصالحة العابدة « حمدونة » ابنة الحسين ، أخت ميمونة العابدة فى العبادة . قال الهَرَوِىُّ : هى معدودة عند طائفة من الأولياء بأربعين من زُهَّادِ الرجال .

حكى عنها ابن الطوير فى أخبار الدولة الطولونية : أَنَّ رَجُلاً خرج هاربًا من دَيْنٍ لَزِمَه لعُمَّال أحمد بن طولون ، وقد طُولِبَ بالمال ، فأتى إلى قبر هذه السيدة رضى الله عنها ، فقرأ عندها شيئًا من القرآن ، وبكى وتوسَّلَ إلى الله تعالى ، فأَخذَتْهُ سِنَةٌ من النوم ، فنام ، فأيقظَهُ وَقْعُ حَافِرِ دَابَّة أو جوادٍ يضرب الأرض برجله ، فأفاق من نَوْمِه ، فرأى فَارِسًا واقفًا على رأسه ، فَسَلَّمَ عليه ، ثم قال له : مَنْ أنت ؟ وما الذى أجلسَكَ هنا ؟ فقال : هاربٌ من رَجُلٍ ظالمٍ من عُمَّالِ الظَّالم أحمد بن طولون ، وقصَّ عليه قصته . فقال له : قُمْ وامضِ معى إلى هذا الرجل أشفع لك عنده . ثم أَرْدَفَهُ خلفه ، وسَارَ حتى لحق بالعسكر ، وكان فَارَقَهُم فى مَحَلٍّ ، فلمَّا وصَلَ تَرَجَّلُوا عن خيولهم إجلالًا له ، ونزَلَ ذلك الرجل من خلفه ، وأَمَرَهُ بالركوب خلفَ غُلامٍ ، وأَوْصَى الغلامَ بِحِفْظِه . فقال الرجلُ للغلام : مَنْ هذا ؟ فقال له : أحمد بن طولون ! فخاف الرجل خوفاً عظيماً من قَوله ، وظَنَّ أَنَّهُ مقتولٌ لا مَحَالَةَ .

ثم وَصَلَ أحمد إلى قصره ، فلما وصَلَ طلبَ الرَّجُلَ وقد تَغَيَّرَ لونه ، فلمَّا رآه قال له : طَمْئِنْ قلبك ، لا تَخَفْ ، فَوَاللهِ ما جاءَ بى عندكَ إلَّا بَرَكَة هذه المرأة الصالحة التى كُنْتَ عند قبرها ، فإنى كنتُ نائمًا فرأيتُها فى منامى وهى تقول : أَدْرِكْ هذا المظلومَ الجالسَ عند قبرى !

---

(١) جاء فى الكواكب السيارة ص ٦٧ و ٦٨ : كانت وفاتها سنة ٢٣٦ هـ ، وقبرها الآن داثر ، لكنه معروف بإجابة الدعاء .

ثم أَمَرَ بإحضار العُمَّال ، فلما حضروا أَمَرَهُم بإسقاط ما على الرجل ، ثم أعطاه خمسمائة دينار .

وحُكِيَ عنها أنها لقيتْ عُثمانَ الزنجانى فى طريق بيت المقدس وعلى بدنها جُبَّةٌ من صوف وهى تقول : « إلـهى وسيدى ، ما أبعد الطريق على مَنْ لَمْ تكن أنت دليله . وَوَا وَحْشَتَاهُ على من لم تكن أنيسه ! » . قال : فدنوتُ منها وسلمتُ عليها ، فرَدَّتْ عَلَيَّ السَّلامَ وقالت لى : مَنْ أنت – يرحمك الله ؟ فقلتُ لها : أنا عثمان الزنجانى . فقالت : حَيَّاكَ الله ياعثمان ، إلى أين تُريد ؟ فقلت : أريد بيت المَقْدِس . فقالت لى : وما تصنع ؟ قلت : لِحَاجَةٍ . فقالت لى : ياعثمان ، أفلا أَعْلَمْتَ [1] صاحِبَ الحاجة حتى يُوَجِّهَ إليك بها ولا يتعبك فيها ؟ فقلتُ : ليس بينى وبينه معرفة . فقالت : ياعثمان ، ما الذى قطعك عن معرفته ؟ قلت : كثرة الذنوب . فقالت لى : والله بئس ما صَنَعْتَ ، أَمَا وَاللهِ لو وَصَلْتَ حَبْلَكَ بِحَبْلِ سَيِّدِك لأَوْقَفَكَ بالباب وقَضَى حوائجَكَ ، وأَمَرَ الخَزَنَةَ أَلَّا يعصوا لك أَمْرًا .

قبر الشيخ الزاهد يعلى بن عمران [2] :

ومن الشرق من قبرها قبرٌ به الشيخ الزاهد يعلى بن عمران ، عُرِفَ بحلاوة الغيب ، حُكِيَ عنه أنه كان يُطعم الناس حلاوة سُخْنَةً من الهواء ، فاشتهر بذلك .

وحكي عنه أنه قال : كانت لى حُجرة آوِى إليها ، وكنتُ إذا خرجتُ منها أَغْلَقْتُهَا وأَخَذْتُ مفتاحَها معى ، فقفلتُهَا يوماً على جارِى العادة ، وتوجهتُ لحاجة ، ثم جئتُ وفتحت الباب ، فوجدتُ شخصًا قائمًا يصلى ، فانتظرتُه حتى

---

(١) أعلَمْتَ : أخبَرْتَ .

(٢) العنوان من عندنا .

انْفَتَلَ من صلاته (١) . فَسَلَّمَ عليَّ وقال : يايعلى ، أنا الخَضِرُ . فقلتُ : ياسيدى ، بالذى جَمَعَ بينى وبينك ، عَلِّمْنِى شيئًا أقوله ينفعنى ، أو إذا قُلْتُه نفعنى . فقال لى : « استغفرِ الله من كُلِّ ذنبٍ أذْنَبْتَهُ ثم تُبْتَ منه ثم عُدْتَ إليه ، واسأَلْهُ التَّوبَةَ ، واستغفرِ الله عَزَّ وجَلَّ من عَهْدٍ عَهِدْتَهُ لله على نَفْسِكَ فلم تُوفِ (٢) به ، وَاسأَلْهُ التوبة ، وَاستغفِرْ الله تعالى من كُلِّ نعمة أنعمَهَا عليكَ فى طُول عُمرِكَ (٣) فاستعنتَ بها على معاصيه ، وَاسأَلْهُ الحَمِيَّةَ والعِصْمَةَ من ذلك كله ، واسأَلْهُ التوبةَ والمغفرة ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله العليِّ العظيم » .

شعر :

يا سَاهِياً غافِلاً عَمَّا يُرَادُ بِــهِ ... حَانَ الرَّحِيلُ ، فَمَا أَعْدَدْتَ مِنْ زَادِ ؟
تَظُنُّ أَنَّكَ تَبْقَــى سَرْمَــدًا أَبَــدًا ... هَيْهَاتَ أَنْتَ غدًا مَعْ مَنْ غَدًا غَادِ

* * *

قبر بُشْرَى بن سعيد الجوهرى (٤) :

وشرقيه قبر الشيخ الصالح بُشْرَى بن سعيد الجوهرى ، جَدّ سيدى أبى الفضل الواعظ المذكور .

قال القضاعى : مَلَكَ بُشرى ألف دينار ، فتصدق بها كلها ، وكان إذا جاءه بعد ذلك فقيرٌ يَقترض على ذِمَّتِه ويعطيه خَشْيَةَ أنْ يَرُدَّهُ خائبًا ، فاجتمع

---

(١) انفتل من صلاته : انصرف منها . وفى « م » : « انتقل » .

(٢) فى « م » : « على نفسى فلم أوفِ » ، ولا تناسب السياق .

(٣) فى « م » : « أنعمها علىَّ فى طول عمرى » .

(٤) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ٦٨ و ٦٩] .

عليه جُمْلَةُ دُيونٍ ، فجاء إليه أصحاب الديون وطالبوه بِدَيْنِهِمْ ، فَوَاعَدَهُم يوم السبت ، وكان الطلب له فى يوم الجمعة ، فدخل إلى زوجته وأعلمها أنَّ أصحاب الديون طلبوا ما عليه لهم ، فقالت له زوجته : لو كُنْتَ إذا جاء إليك رجلٌ فقير يطلب شيئًا اختفيت منه ، كان أَوْلَى بك ، ولم تَحْتَجْ إلى الاستدانة ، واسترحت من طلب الناس . فقالت ابنة له صغيرة : بالله يا أبت لا تَسْمَعْ كلامَ أُمِّى ، ومَنْ له الأمرُ كُله يُوَفِّى عنك .

فقعد وفَكَّرَ فى الوفاء ، وحان وقت صلاة الجمعة ، فتوضَّأ وذهب إلى الجامع لصلاة الجمعة ، فلما وَلَّى إذا بشخص يطرق الباب ، فقالت ابنته : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا ، افْتَحِى ، ففتحت الباب ، فَرَمَى لها كيسًا من داخل الباب ، فوَجَدَتْ فيه أَلفَ دينار ، ثم قال : قُولى للشيخ : اقترضْ ولا تَخَفْ ، فَعَلَى الله الوفاء !

فلما عاد الشيخ من صلاته أخبرته ابنته بذلك ، فأخذ الكيس ، وأَوْفَى ما كان عليه من الدَّيْنِ ، وفضلت فَضْلَة [١] فتصدق بها . وكان – رحمه الله – من أهل الخير ، وقد تقدمت حكايته مع ابنة جعفر الصادق .

وحَكَى عن رَجُلٍ كان فى جواره ، وكان منصرفًا على نفسه ، فلما مات سأل الله تعالى أن يُرِيَهُ إياه فى منامه ، فرآه بعد موته ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لقيت من الأهوال شيئًا كثيرًا ، وذلك أنى لَمَّا سُئِلْتُ فى قبرى تلجلج لسانى فلم أَدْرِ ما أقول ، فقلت فى نفسى : أَلَمْ أَمُتْ على التوحيد ؟ فماذا أَتَى علىَّ ؟ فقيل لى : إنَّ هذه عقوبةٌ فى حَقِّك لكثرة معاصيك فى الدنيا ، فلمَّا هَمَّ المَلَكان بعقوبتى حَالَ بينى وبينهم رجلٌ جميلُ الوَجْهِ [٢] ، طيب

---

(١) فَضْلَة : بقية .

(٢) فى « م » : « جميلا الوجه » لا تصح .

الرائحة ، فلما نظرتُ إليه وإلى فِعْلِهِ معى قلت له : مَنْ أنت يرحمك الله ؟ فقال : أنا رجلٌ خلقنى الله من كثرة صلاتك على النبى ﷺ ، وأُمِرْتُ أنْ أنْصُرَكَ فى الشدائد ، وهـأنذا أنصرك فى الشدائد فى كل موضع ، ومُعينك فى كل شِدَّة .

قبر الفقيه أبى الحَسن على بن كبيش (١) :

ومن بَحَرِيِّه قبر الفقيه المقرئ أبى الحَسن على بن كبيش ، كان من القُرَّاء السادة ، العالمين بكتاب الله ، الملازمين لتلاوته .

ومن كلامه : « لو صَدَقَ قارئُ القرآن لم تحرقه النار فى الدنيا . وإذا زَنَى قارئ القرآن اعتزله القرآن ، ولم تَبْقَ آيةٌ من كتاب الله تعالى إلّا لَعَنَتْهُ » .

وكان يقول : « أكبر الكبائر فسَادُ العلماء ، وأشَدُّ المصائب زِنَى القُرَّاء » .

وقال : « إنَّ القرآن يأتى يوم القيامة ويأتى حوله المخلصون وهم كالنجوم ، ويدور حوله قومٌ آخرون ، فيقول لهم القرآن : بُعْدًا بُعْدًا ، سُحْقًا سُحْقًا ، ضَيَّعْتُمونى فى الدنيا فلا تَصْحَبُونى فى الآخرة » .

وأبو الحسن هذا ليس هو شيخ الشيخ أبى الربيع المالقى الذى ذكره أبو العباس نعمة بن القسطلانى .

قبر الشيخ الصالح أبى الحسن الصَّفَّار (٢) :

وبَحرِيُّهُ قبرٌ مُسَنَّم بالطوب الأحمر ، به الشيخ الصالح أبو الحَسَن على بن عمار بن طالب الصَّفَّار .

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ٦٨] .

(٢) العنوان من عندنا .

حَكَى عنه المسكى وابن بصيلة : أنَّ جُنديًا أَتَى إليه وقَاوَلَه على عمل طبق من النحاس الأصفر ، فجلس ، وجلس الجندى عنده حتى فرغ ، وكان لا يفتر لسانه عن ذكر الله سبحانه وتعالى ، فلما فرغ من الطبق دفعه للجندى ، فأعطاه الجندى دينارًا ، فنظر إليه ورماه وقال : ادْفَعْ إلَىَّ ما شارَطْتُكَ عليه . فألَحَّ الجندى عليه فى قبوله ، فقال : إنَّ لله عبادًا لو قالوا لهذا النحاس الذى بين يدىَّ كُنْ ذَهَبًا صَارَ ذهبًا !

فدفعَ الجندىُّ إليه ما شارَطَهُ عليه ، وأخذ الطبق وسار به إلى منزله فوجده ذهبًا ، فجاء إليه فوجده قد مات . وكانت وفاته فى سنة ٤٣٨ هـ .

* * *

وبالقرب من تربته أشهب [(١)] ، وقبر به إنسان يُقال له الشيخ أبو بكر المُصَفَّر ، وهو على مُسَامَتَةِ قبر الصُّفَّار [(٢)] ، لكن على بُعْدٍ من جهته البحرية ، ولُقِّبَ بِالْمُصَفَّر لكثرة نحوله واصفراره ، وكان مقيماً برباط الفقيه نصر ، وأوصى بأن يُدْفَن بهذا المكان ، وأنه إذا وُضِعَ فى قبره يُؤْخَذُ الكَفَنُ من عليه . وقال : أُحِبُّ أنْ أخرج من الدنيا عُريانًا .

حُكِيَ عنه قال : حججتُ سَنَةً من السنين وإذا بأعرابىٍّ فى الطواف يقول : « إلٰهى ، مَنْ أَوْلَى الناس بالتقصير منى وقد خَلَقْتَنى ضعيفًا ؟ ومَنْ أَوْلَى منك بالكَرَم وقد تَسَمَّيْتَ رءوفاً ؟ أَطَعْتُكَ بِمَنِّكَ ولك المِنَّةُ علَىَّ ، وقد عَصَيْتُكَ بحِلْمِكَ فَلَكَ الحُجَّة علَىَّ ، فَبِانْقِطَاع حُجَّتِى ووجوب حُجَّتِكَ ، وفقرى إليك وغناكَ عنى إلَّا ما غفرتَ لى » .

---

(١) هو أشهب بن عبد العزيز الفقيه ، صاحب الإمام مالك ، وقد مَرَّ .

(٢) على مُسامَتَة قبر الصُّفَّار ، أى : يُقابله ويوازيه .

ثم أنشد يقول :

يارَبِّ ، أَنْتَ أَمَرْتَنِي وَنَهَيْتَنِــي ... وسَلَكْتَ بِى طُرُقَ الضَّلالَة والهُدَى
وعَلِمْتَ أَنِّى لا أَمَرُّ مِنَ الَّذِى ... قَدَّرْتَ لى ، إنْ كانَ خَيْرًا أو رَدَى
وسَلَكْتَ بِى ما شِئْتَ للشَّىْءِ الذى ... فى الخَلْقِ ما أَخْفَيْتَهُ عنهم سُدَى
ودَخَلْتُ من غيرِ اخْتِيَارٍ تَحْتَهُ ... والعَبْدُ محكومٌ عليه وإنْ غَـدَا
فَاقْبَلْ بِفَضْلِكَ تَوْبَتِى لكَ مُخْلِصًا ... وَارْحَمْ فإنِّى قد بَسَطْتُ لَكَ اليَدَا
وَاغْفِرْ بِفَضْلِكَ ما مَضَى حتى أُرَى ... بِرِضَاكَ مَسْرُورًا عَلَى رَغْمِ الْعِدَا
واصْفَحْ عَنِ العَبْدِ المُسِيءِ ياسَيِّدِى ... قَدْ جَاءَ مُعْتَرِفًا وَعَاشَ مُوَحِّـدَا

* * *

وفيما بين قبر المصفر والصفّار قبر مصطبة ، به الرجل الصالح الأمير « خيثمة » ، من كبار الزُّهَّاد بمصر ، وكان أميرًا مُعْتَبَرًا ، مات فى سجن أحمد ابن طولون . وكان له بنتٌ من الصالحات بسفح المقطم ، دُفنت إلى جانب خيزرانة ، من المُكَاشَفات .

قبر القاضى الزاهد أبى محمد عبد الوهاب الفقيه المالكى (١) :

ومن بحرى قبر القاضى العالم الفقيه الإمام العلاَّمَة أبو محمد عبد الوهاب ابن على بن نصر بن أحمد بن الحَسَن بن هارون بن مالك بن طوق الثعلبى ،

---

(١) العنوان من عندنا . [انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ١٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢٢ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٤١٩ - ٤٢١ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٧٦ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣١ و ٣٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٧٠ و ١٧١ ، وانظر الكواكب السيارة ص ٧٥ - ٧٧ ، وتحفة الأحباب للسخاوى ص ١٧٥ - ١٧٧] .

الفقيه المالكى البغدادى ، من ذُرِّيَّةِ مالك بن طوق صاحب الرَّحْبَة ، ذكر هذا النَّسَب ابن مُيَسَّر فى تاريخه ، وأثْنَى عليه جماعةٌ من علماء المالكية ، ولم يكن فى زمانه أشْهَر منه فى مذهب مالك ، ولا أحفظ لِفِقْه مالك [١] ، وكانت تَرِدُ إليه الأسئلة من بلاد المغرب . وسمع الحديث كثيرًا ، وحَدَّثَ عن أبى القاسم عبد الواحد بن محمد بن عثمان بن إبراهيم البلخى ، وأبى حفص عمر بن أحمد ابن شاهين ، وأبى القاسم عبد الله بن الحسين بن الجلاب الفقيه ومَنْ فى طبقتهم . ورَوَى عنه جماعة من العلماء يطول شرحهم .

وكان جليلَ القَدْرِ ، عظيم المَنْزِلَة فى العلم ، وله من المُصَنَّفَات كتاب « المعونة » [٢] وكتاب فروض الصلاة ، وكتاب التلقين ، وهو مع صغره من خيار الكتب ، وشرح المُدَوَّنَة شرحاً فائقًا ، وشرح الرسالة أيضًا شرحاً فائقاً ، قال القاضى عياض فى المدارك : مارُئِىَ كَحِفظ القاضى عبد الوهاب فى زمانه . وفيه قال أبو العلاء المَعَرِّى لمَّا اجْتَازَ الشيخ عبد الوهاب بمعرَّة النُّعمان وأضافه أبو العلاء المذكور ، وذلك عند توجُّهه إلى مصر :

والمَالِكِىُّ ابْنُ نَصْرٍ زَارَ بَلْدَتَنَا لَمَّا نَأَى ، فَحَمِدْنَا النَّأْىَ والسَّفَرَا [٣]
إذَا تَكَلَّمَ أحْيَا مالكاً جَدَلاً ويَنْشُرُ المَلِكَ الضِّلِّيلَ إنْ شَعَرَا [٤]

والملك الضِّلِّيل [٥] هو امرؤ القيس بن حجر كما زعموا .

---

(١) كانوا يسمونه : مالكًا الصغير .

(٢) فى تحفة الأحباب : « المعونة لمذهب عالم المدينة » . وفى الكواكب السيارة على لسانه – القاضى عبد الوهاب : « المعونة فى شرح الرسالة » .

(٣) فى فوات الوفيات : « زار فى سَفَرٍ » مكان « زار بلدتنا » . و« بلادنا » مكان « لمَّا نأى » فى الشطرة الثانية من البيت .

(٤) فى المصدر السابق : « إذا تفقَّه » مكان « إذا تكلم » .

(٥) فى « م » : « الظليل » تحريف من الناسخ فى الموضعين .

وقيل له : لو وقفت للخليفة ورَفَعْتَ قِصَّتَكَ وعَرَّفْتَهُ حالَكَ أعطاك ما يحصل لكَ به الغِنَى . فقال : والله تلك العلامة على شقاوة العالِم إذا وقفَ بباب السلطان ، لا يرانى الله تعالى واقفاً أبدًا [1] بباب أَحَدٍ من أبناء الدنيا .

وكان - رضى الله عنه - يحب المُصافحة ، لحديث أَنَس بن مالك ، رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ الْتَقَيَا فأَخَذَ أَحَدُهما بيد صاحبه إلَّا كان حقًّا على الله تعالى أن يحضر دعاءهما ، ولا يُفَرِّق بين أيديهما حتى يغفر لهما . وما مِنْ قوم يذكرون الله تعالى لايريدون بذلك إلَّا وجهه ، إلَّا نَادَاهُم مُنَادٍ من السَّمَاء أَنْ قُومُوا مغفورًا لكم ، قد بُدِّلَتْ سَيِّئاتكم حَسَنات » أخرجه أحمد .

وعن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحَمِدَا الله تعالى واستغفراه غَفر لهما » .

وعن قتادة قال : « قُلْتُ لأَنس بن مالك : أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله ، ﷺ ؟ قال : نعم » . أخرجه البخارى .

وحُكِيَ أَنَّ بعض الفاطميين جلس مع بعض أصحابه فتحدث معهم ، فقال لهم : هل فيكم مَنْ يعرف سبب قول القائل : « لا يُفْتَى ومالكٌ بالمدينة » ؟ فسكتوا كلهم وقالوا : إنْ كان ولابد فَعِلْمُ هذا يُوجد عند عبد الوهاب البغدادى . فقال الخليفة : هل هذا يوجد عنده ؟ قالوا : نعم . قال : قوموا بنا إليه ولا تُعَرِّفُونى إليه . فقالوا : حُبًّا وكرامة .

فقام الخليفة ومن معه حتى جاءوا إلى منزل القاضى عبد الوهاب ، فطَرَق الخليفة الباب ، فخرج إليه الشيخ عبد الوهاب ، وأَذِنَ له ولِمَنْ معه بالدخول ، فدخلوا ، فقال له الخليفة بعد أَنْ سَلَّم عليه : يامولاى ، هل فى ذِكْرِكُم لأَىّ سبب قيل : لا يُفْتَى ومالكٌ بالمدينة ؟ فقال الشيخ : نعم ، بَلَغَنِى أَنَّ مالكاً -

---

(١) فى « م » : « قط » .

رضى الله عنه – كان شابًّا ، وكان يقرأ على ربيعة ، وكانت فى زمانه غاسلة تُغسِّل الموتى ، فَأُدْخِلَتْ على امرأة جميلة ماتت لتغسلها ، فعندما جَرَّدَتْها من أثوابها على دكَّة المُغْتَسَل وضَعَتْ يدها على فَخِذِها وقالت : ما كان أَزْنَاهُ مِنْ فَخِذٍ ! فالتصقتْ يدها على فخذ المرأة ، ولم يقدر أَحَدٌ على خلاصها ، فَاسْتُفْتِىَ الفقهاء فى ذلك ، فاختلفَ علماءُ المدينة اختلافاً عظيماً ، فقال بعضهم : نقطع يد الغاسلة . وقال بعضهم : يُقطع من فخذ المَيِّتَةِ بقدر الحاجة ، واشتد الخلاف فى ذلك ولم يبق إلّا مالك ، فأَتَوْهُ فأخبروه بهذه المسألة ، فقال : تُضْرَبُ الغاسلة حَدَّ القذف . فجاءوا إليها ، وفعلوا ذلك بها ، فخلصتْ يَدُ الغاسِلَة عند آخِرِ ضربة ، فتعجبوا من ذلك ، فضَرَبَ الناسُ المَثَلَ بقولهم : « لا يُفْتَى ومالكٌ بالمدينة » .

ويُرْوَى أنه رُئِىَ فى المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعَل الله بك ؟ قال : أثابنى بكل كتاب وضعتُه ، إلّا كتاب « التلقين » ، فإنّى كنتُ صنعته لمضاهاة كتاب إنسان على مذهب مالك [(١)] ، ولم أُرِدْ به وجه الله تعالى ، وانتفعت كثيرًا بكتاب « المعونة » ، فإنى أردتُ به وجه الله سبحانه .

قيل : وله كتاب يُسَمى « النصرة » ، قال بعض المالكية : لو وُجِدَ هذا الكتاب لم يُحْتَجْ إلى كتاب فى مذهب مالك .

وسُئِلَ عن سبب خروجه من بغداد – وهى دار العلم – فقال : لم أَجِدْ بها ما أَقْتَاتُ به ، ولو وجدتُ ما خرجتُ ، ثم أنشد :

فو الله ما فَارَقْتُهَا عَنْ قِلًى لها وإنِّى بِشَطَّى جانِبَيْهَا لَعَارِفُ [(٢)]

---

(١) فى الكواكب السيارة : « فإنى جعلته مُناظَرةً لشخصٍ صَنَّفَ كتابًا فلم ينفعنى » .

(٢) قِلًى : بُغض .

ولكنها ضَاقَتْ عَلَـيَّ بِأَسْرِهَـا ولَمْ تكُن الأَرْزَاقُ فيها تُساعِفُ
وكانَتْ كَخِلٍّ كُنْتُ أرجو دُنُوَّهُ وأَخلاقُهُ من سُوءِ قَسْمِى تُخالِفُ [1]

وكان له أخٌ بَزَّازٌ بمصر ، فبلغه قُدوم الشيخ من بغداد إلى أرض مصر ، فنَذَرَ : أنَّ أوَّلَ مَنْ يُبَشِّرُهُ بقُدوم أخيه يدفع له مائة دينار ، ثم إنَّهُ وزَنَها وصَرَّها فى صُرَّة ، وجعلها فى رفٍّ فى حانُوتِه ، وبلغ ذلك الشيخ عبد الوهاب ، فجاء إلى القرافة ودخل إلى سوقها فوجَدَ رَجُلاً يُضَفِّر الخوص [2] ، فجلس عنده وتحدث معه ، ثم قال له : بكم تعمل كُلَّ يوم ؟ قال : بنصف درهم . فقال : أَلَكَ عيال ؟ قال : نعم . فقال له : هل أَدُلُّكَ على شىء يُغنيك عن هذا ؟ قال : ياسيدى افْعَلْ ما أنت أهله . فقال له : قُمْ واذْهَبْ إلى سوق البَزَّازِين بمصر ، واسأل عن أخِى عبد الوهاب البغدادى ، فإذا اجْتَمَعْتَ عليه سَلِّمْ عليه وقُلْ له : إنَّ أخاكَ وصل إلى هنا وهو يُقرِئُكَ السلام وهو عندى .

فقام الرجل من وقته وساعته وتوجَّه إلى مصر ، ودخل سوق البزازين ، وسأل عن أخى عبد الوهاب ، فَدَلَّهُ الناسُ عليه ، فلما اجتمع به سَلَّمَ عليه وأخبره ، ففرح بذلك فرحًا شديدًا ، وأعطاه المائة دينار ، وقام معه إلى الشيخ ، واجتمع كُلُّ وَاحِدٍ منهما بصاحبه . وأقام الشيخ عبد الوهاب بمصر ، ورُزِقَ بها حَظًّا عظيماً . وكان مولده فى سابع شوال سنة ٣٦٢ هـ . وتوفى فى رابع صفر الخير سنة ٤٢٢ هـ ، وقيل بل فى شهر شعبان . وحُكِىَ عنه أنه لَمَّا مات أضاء البيت نورًا ، وسمع أهل المنزل قائلاً يقول : هذه أنوار الأعمال الصادرة عن الأبرار .

وقال العلاَّمَةُ شمس الدين محمد بن أحمد بن خِلِّكان فى كتابه المُسَمَّى بوفيات الأعيان فى ترجمته بعد ذِكْر نَسَبِهِ المذكور : ذَكَرَهُ الخطيبُ فى تاريخ بغداد

---

(١) هكذا فى « م » .. والشطرة الثانية من البيت فى فوات الوفيات : « وأخلاقه تنأى به وتخالف » .

(٢) فى « م » : « يعمل الخوص » ، واللفظ هنا للسخاوى ، ومعناه : يجعله ضفائر ، أى : ذوائب يُعمل منها المكاتل ، ونحوها .

فقال : سَمِعَ أبا عبد الله بن العسكرى ، وعمر بن محمد بن سنبك [١] ، ولم تَلْقَ فى المالكية أَفْقَهَ منه . وكان حَسَنَ النَّظر ، جيد العبارة ، وتولى القضاء بباذرايا وباكُسايا . وخرج فى آخر عمره إلى مصر فمات بها .

وذكره ابن بَسَّام فى كتاب الذخيرة فقال : كان ثقة ، وكان بقية الناس ، ولسانَ أصحاب القياس ، وقد وجدتُ له شِعْرًا معانيه أَجْلَى من الصُّبح ، وألفاظه أحلى من الظَّفَر بالنُّجحِ [٢] ، ونَبَتْ به بغدادُ كعادة البلاد بذوى فضلها ، وعلى حكم الأيام فى مُحْسِنِى أهلها ، فَخَلَعَ أهلها ، ووَدَّعَ ماءَها وظِلَّها ، وحُدِّثْتُ أنه شَيَّعَهُ - يومَ فَصَلَ عنها - من أكابِرِهَا ، وأصحاب محابِرِهَا جُملة موفورة ، وطوائف كثيرة ، وأنه قال لهم : لو وجدتُ بين ظهرانيكم رغيفين كُلَّ غَداةٍ وعَشِيَّة ما عَدَلْتُ عن بلدكم بلوغ أمنية ، وفى ذلك يقول :

سَلامٌ عَلَى بغداد منى تحية ... وحَقٌّ لها مِنِّى السَّلام مُضَاعَفُ [٣]
فوالله ما فَارَقْتُهَا عن قِلًى لها ... وإنِّى بِشَطَّىْ جانِبَيْهَا لَعَارِفُ
ولكنها ضاقتْ علىَّ بِأَسْرِهَا ... ولَمْ تكن الأرزاقُ فيها تُساعِفُ
وكانت كَخِلٍّ كُنْتُ أَهْوَى دُنُوَّهُ ... وأخلاقُهُ تَنْأَى بِهِ وتُخَالِفُ [٤]

ثم تَوَجَّه إلى مصر فحَمَل لواءَها ، ومَلَأَ أرضَها علومًا ، واستتبع ساداتها وكبراءها ، وتناهت عليه الغرائب ، وانثالت [٥] فى يديه الرغائب ، فمات لأوَّلِ

---

(١) فى « م » : « سبيل » والتصويب من وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢١٩ .
(٢) فى « م » : « بالحج » تصحيف .
(٣) البيت فى فوات الوفيات :
سلامٌ على بغداد فى كل مَوْطِنٍ ... وحَقٌّ لها مِنِّى سلامٌ مُضَاعَفُ
(٤) كَخِلٍّ : كصديق وخليل .. وفى « م » : « كنخل » تصحيف .
(٥) تناهت : بلغت نهايتها وسكنت - وانثالت : تتابعت وكَثُرت وانهالت .

وَصْلِها مِنْ أَكْلَةٍ اشتهاها فأَكَلَها ، وزعموا أنه قال وهو يتقلّب ونفسه تتصعّد وتتصوّب : « لا إلٰـه إلّا الله ، إذا عِشْنَا مِتْنَا » .

وله أشعار رائقة ، فمن ذلك قوله :

وَنائِمَـــةٍ قَبَّلْتُهَـــا فَتَنَبَّـــهَتْ ... وقَالَتْ : تَعالَوْا فَاطْلُبُوا اللِّصَّ بِالحَدِّ
فَقُلْتُ لها : إنِّى فَدَيْتُكِ غَاصِبٌ ... وَمَا حَكَمُوا فى غَاصِبٍ بِسِوَى الرَّدِّ
خُذِيها وَكُفِّى عَنْ أَثِيمٍ ظُلاَمَةً ... وَإنْ أَنْتِ لَمْ تَرْضَىْ فَأَلْفًا على العَدِّ
فقالت : قِصَاصٌ يَشْهَدُ العقلُ أَنَّهُ ... عَلَى كَبِدِ الجَانِى أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ
فَباتَتْ يَمِينى وَهى هِمْيَانُ خَصْرِهَا ... وبَاتَتْ يَسَارِى وهى وَاسِطَةُ الْعَقْدِ
فَقَالَتْ : أَلَمْ أُخْبَرْ بِأَنَّكَ زَاهِدٌ ... فقلتُ لها : مازِلْتُ أَزْهَدُ فى الزُّهْدِ

وله أيضًا شعر :

مَتَى تَصِلُ العِطَاشُ إلى ارْتِـوَاءٍ ... إذا اسْتَقَتِ البحارُ مِنَ الرَّكَايَا
ومَنْ يثنى الأَصَاغِرَ عَنْ مُـرَادٍ ... وقَدْ جَلَسَ الأَكابِرُ فى الزَّوَايَـا
وَإنَّ تَرَفُّـعَ الوُضَعَـاءِ يَوْمًـــا ... على الرُّفَعَاءِ مِنْ إحْدَى الرَّزايا [1]
إذَا اسْتَـوَتِ الأَسَافِلُ والأعـالى ... فَقَـدْ طَـابَتْ مُنَادَمَـةُ المَنَايَـا [2]

وله أيضًا :

بَغْدَادُ دَارٌ لأَهْـلِ المَـالِ طَيِّبَـةٌ ... ولِلْمَفَالِيسِ دارُ الضَّنْكِ وَالضِّيقِ
ظَلَلْتُ حَيْرَانَ أَمْشِى فى أَزِقَّتِهَا ... كَأَنَّنِى مُصْحَفٌ فى بَيْتِ زِنْدِيقِ

---

(١) البيت فى « م » :

وإنْ تَرَفُّـع بَـدُ الوُضَعَـاء يومًـا ... على الرُّفَعَـاء مـن إحـدى البلايـا

وما أثبتناه عن الوفيات .

(٢) فى « م » : « والأدانى » مكان « والأعالى » وما أثبتناه عن المصدر السابق هو الأَوْجَه فى المعنى .

وله أيضًا :

أَيَا مَنْ قَوْلُهُ نَعَمُ وكُلُّ فَعَالِهِ نَعَمُ
تَقُولُ لَقَدْ سَعَى الوَاشُو نَ بِالتَّحْرِيشِ لا سَلِمُوا
وَقَدْ رَامُوا قَطِيعَتَنَا فَقُلْتُ : بَلَى أنا لَهُمُ

وله أيضًا :

أَتَذْكُرُ إذْ نِهَايَةُ ما تَمَنَّى مُلاحَظَةٌ بما منه تَثُورُ
فَحِينَ نَسَجْتُ بينكما التَّصَافِى دخَلْتَ ، وصرتُ منبوذًا أُجُورُ

وذكَرَ صاحبُ الذَّخِيرة أنه وَلِىَ القضاء بمدينة « اسعرد » ، وسُئِلَ عن مولده فقال : يوم الخميس السابع من شوال سنة ٣٦٢ هـ ببغداد ، وتوفى ليلة الاثنين فى الرابع عشر من صفر سنة ٤٢٢ هـ بمصر . وقيل إنه توفى فى شعبان من السنة المذكورة - رحمه الله تعالى - ودُفِنَ بالقرافة الصُّغْرَى ، وزُرْتُ قبره ما بين قبة الإمام [الشافعى] [١] ، رحمه الله ورضى عنه ، وباب القرافة بالقُرب من ابن القاسم وأشهب - رَحِمَهُمَا الله تعالى .

وكان أبوه من أعيان الشهود المُعَدَّلِينَ ببغداد ، وكان أخوه أبو الحسن محمد بن علىّ بن نصر أديبًا فائقًا فاضلاً ، صَنَّفَ كتاب « المفاوضة » [٢] للملك العزيز جلال الدولة [٣] أبى منصور بن أبى طاهر بَهَاء [٤] الدولة بن عضد الدولة ابن بويه ، جمع فيه جميع ما شاهده ، وهو من الكتب العظيمة ، فى ثلاثين كرَّاسَة . وله رسائل ضمن ديوان . ومولده فى بغداد فى إِحْدَى الجُمَادَيْن سنة ٣٧٢ هـ ،

---

(١) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق .

(٢) فى « م » : كتاب « المعارف » وما أثبتناه عن المصدر السابق وغيره .

(٣) فى « م » : « جلال الدين » تصحيف .

(٤) من « م » : « بن عباد » مكان « بهاء » تصحيف .

وتوفى يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٣٧ هـ بواسط ، وكان قد صعد إليها من البصرة فمات بها . وتوفى أبوهما أبو الحسن يوم السبت ثانى شهر رمضان سنة ٣٩١ هـ .

انتهى كلام العلاّمة ابن خلكان – رحمه الله تعالى .

* * *

قبر القاضى سَرِىّ الدين أبى الوليد المالكى [١] :

ومعه فى الحوش من جهة قبره البحرية قبر الشيخ الصالح سرى الدين المالكى ، وهو : سَرِىُّ الدِّين أبو الوليد إسماعيل ابن الفقيه بدر الدين بن عبد الله محمد اللَّخْمِى الأندلسى الغرناطى المالكى النحوى ، نزيل حَمَاة .

كان فاضلاً ، حُجَّةً نبيلاً ، يوازى الشيخ عبد الوهاب فى المذهب ، توفى سنة ٧٧١ هـ . ولى القضاء بحماة مُدَّة ، وكان مُتصديًا بالإقراء لإيضاح علم البيان والبديع ، وَوَلِىَ القضاء بدمشق مدة ، ثم عاد إلى حَماة متوليًا أمر النقض والإبرام ، ثم عُزِلَ وقَدِمَ مصرَ لِشُغْلٍ عَرَضَ له ، فأدركه الموتُ وحالَ بينه وبين حاجته التى قَدِمَ بسببها .

قبر الفقيه عتيق بن بكار [٢] :

وإلى جانبه قبر الشيخ الإمام العالم الفقيه ، عتيق بن بكّار [٣] يُكْنَى أبا القاسم ، كان من أكابر العلماء ، وكان يقول : ما أَذَّنَ المُؤَذِّنونَ قَطُّ إلّا وأنا على وضوء . وتوفى ليلة الاثنين الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٢٠ هـ .

---

(١) العنوان من عندنا والجدير بالذكر أن مؤلف مرشد الزوار كانت وفاته سنة ٦١٥ هـ ، كما ذكرنا فى المقدمة ، وعليه فإنه لم يدرك القاضى سرى الدين هذا ، حيث إن وفاة القاضى المذكور كانت سنة ٧٧١ هـ .

(٢) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ٧٧] .

(٣) فى « م » : « عتيق بكار » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

قبر العابدة الناسكة أم الفضل (١) :

وهناك قبور أصحاب الحانوت ، وقبلى هذا الحوش تربة بها قبر المرأة الصالحة أم الفضل فاطمة بنت الحسين بن على بن الأشْعَث بن محمد البصرى ، من ذُرِّيَّة الأشعث بن قيس الكندى .

كانت من العابدات الصَّالحات النَّاسِكات ، ملازمة لزيارة قبور الغُرباء ، وقبرها عُرِفَ بإجابة الدعاء .

وشَرْقِيُّهَا فى حد باب التربة قبر الشيخ الصالح شرف الدين الأخفافى ، من أرباب الأسباب ، ومن فعلاء الخير ، يُعْرَفُ « بِعَطِّى يَدَكَ » .

قبر الفقيه أبى جعفر الطحاوى (٢) :

ومِنْ قِبْلِيِّه بخطوات حُوش دَاثِرٌ ، به قبر الشيخ الفقيه ، الإمام المُحَدِّث أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدى الطحاوى الحنفى الحافظ ، أَحَد الأعلام ، سمع جماعة ، وخرج إلى الشام سنة ٢٦٧ هـ (٣) ، ولقى قاضيها أبا حازم ، فَتَفَقَّهَ به وبغيره .

وكان ثقة نبيلاً ، تقيًّا ، فقيهاً ، عاقلاً ، لَمْ يُخْلَقْ بعده مثله ، يكنى أبا جعفر ، اشتغل فى أول عمره على خاله أبى إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُزَنِى الشافعى ، ثم غضب منه فقال له : والله لا أَفْلَحْتَ ولا جاء منك . فغضب

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر تحفة الأحباب ص ١٧٨] .

(٢) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ٢٠٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٧١ و ٧٢ ، والعبر للذهبى ج ٢ ص ١١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨٨ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥٠ ، وتحفة الأحباب ص ١٧٨ - ١٨٠] .

(٣) فى الأعلام سنة ٢٦٨ هـ .

الطحاوى من ذلك ، وانتقل إلى أبى جعفر بن أبى عمران الحنفى واشتغل عليه بمذهبه ، وصار رأسًا فيه .

كان يقول : رَحِمَ الله خالى – يعنى أبا إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُزَنِىّ – لو كان حيًّا لَكَفَّرَ عن يمينه – يعنى قوله : والله لا أفلحت – قال بعض المشايخ : ما أراه كان يُكَفِّر عنه ، إذِ المعتقد أنه انتقل من الصواب إلى الخطأ لِمَنْ يعتقد ذلك فيه ، ولَمْ تَجِبْ الكَفَّارة لِمَنْ حلف على عدم ذلك .

وكان يلبس الصوف على جلده ، فقال له بعض تلامذته : يا إمام ، لِمَ لا تلبسُ ثيابًا فاخِرَة ؟ فقال : يابُنَىَّ ، هذا كثيرٌ فِيمَنْ يموت . وكان مُجَاب الدعوة . وكان كثيرًا مايقول : مَنْ طهَّرَ قلبه من الحرام فُتِحَتْ لدعوته أبوابُ السماء .

وكان « تكين » الجبَّار يُحبه محبة عظيمة ، فأرسل إليه فى وقت وقال له : هَلْ لكَ فى أنْ أُزَوِّجُكَ ابنتى ؟ قال : لا . قال له : فاسألنى أرضًا أقطعكها . قال : لا . قال : فاسألنى ما شِئْتَ . قال : وتسمع ؟ قال : نعم . قال : احفظ دينك كيلا ينفلت منك كما تنفلت [١] الإبل من عقالها ، واعمَلْ فى فكاك نفسك ، وإيَّاك ومظالمَ العِباد ، فإن الله تعالى يقول : « اشتدَّ غضبى على مَنْ ظَلَم مَنْ لم يجد غيرى ناصرًا » . فَاحْذَرْ أن يشتد غضبه عليك .

وكان للطحاوى نَظْمٌ رائق ونثر فائق ، فمنه ما كان جواباً عن سؤال وردّ صورة السؤال :

أَبَا جَعْفَرٍ ماذَا تقـول فَإِنَّــهُ ... إذَا نَابَنَا خَطْبٌ عليك نُعَوِّلُ [٢]
ولا تُنْكِرَنْ قَوْلِى وَأَبْشِرْ بِرَحْمَةٍ ... مِنَ الله فى الأَمْرِ الذى عنه تَسْأَلُ
أَفِى الحُبِّ مِنْ عَارٍ أَمِ العَارُ تَرْكُـهُ ... وهَلْ مَنْ لَحَا أَهْلَ الصَّبَابَةِ يَجْهَلُ [٣] ؟

---

(١) فى « م » : « ينقلب » مكان « ينفلت » فى الموضعين .
(٢) الخَطْب : الأمْرُ الشديد يَنزل .. ونُعَوِّل : نعتمد ونتكل .
(٣) لَحَا : لامَ وقَبَّحَ وعذَلَ .

وهَلْ بِمُبَاحٍ فيه قَتْلُ مُتَيَّمٍ ... يُهَاجِرُهُ أَحْبَابُهُ وَيُواصِلُ ؟
فَرَأْيُكَ فى رَدِّ الجَوابِ فَإِنَّنى ... بِمَا فِيهِ تَقْضِى أَيُّهَا الشَّيْخُ أَفْعَلُ

فأجابه على ظَهر الرُّقعة التى فيها السؤال [1] :

سَأَقْضِى قَضَاءً فى الذى عنه تَسْأَلُ ... وَأَحْكُمُ بَيْنَ العَاشِقِينَ فَأَعْدِلُ
فَدَيْتُكَ ، ما بِالحُبِّ عارٌ عَلِمْتُهُ ... ولا العارُ تَرْكُ الحُبِّ إنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
ومَهْمَا لَحَا فى الحُبِّ لاحٍ فإنَّهُ ... لَعَمْرُكَ عِنْدِى مِنْ ذَوِى الجَهْلِ أَجْهَلُ
ولَكِنَّهُ إنْ مَاتَ فى الْحُبِّ لَمْ يَكُنْ ... لَهُ قَوَدٌ عِنْدِى ولا عَقْل يَعْقِلُ [2]
وَوَصْلُكَ مَنْ تَهْوَى وإنْ صَدَّ وَاجِبٌ ... عَلَيْكَ ، كَذَا حُكْمُ المُتَيَّمِ يَفْعَلُ
فَهَذَا جَوَابِى ، فيه عِنْدِى قَنَاعَةٌ ... لِمَا جِئْتَ عنه أَيُّهَا الشَّيْخُ تَسْأَلُ

* * *

وُلِدَ الطحاوى سنة ثمانٍ وثلاثين ومائتين [3] وتوفى مستهل ذى القعدة الحرام سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة . وهو منسوب إلى « طَحَا » وهى بلدة بصعيد مصر .

* * *

قبور الصالحين من بنى الأشعث [4] :

وبالحوش المذكور [5] قبر الشيخ الصالح عمر بن الحسين بن على بن

---

(١) فى « م » : « الرقعة الواصلة فيها السؤال يقول » .
(٢) قَوَدٌ : قِصاصٌ .
(٣) فى « م » : « وستمائة » وهذا خطأ من الناسخ ، قال أبو سعد السمعانى : ولد سنة تسع وعشرين ومائتين . وهو الصحيح . [انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٢] .
(٤) العنوان من عندنا . [وانظر تحفة الأحباب ص ١٨٠] .
(٥) أى : الحوش المدفون فيه العلامة أبو جعفر الطحاوى .

الأشعث بن محمد البصرى ، من أعيان العلماء ، وحوله جماعة من ذُرِّيَّته ، ومعه أخوه عبد الله بن الحسين .

وكان على قبر عمر المذكور لَوْحٌ من الرخام مكتوبٌ فيه : هذا قَبْرُ مَنْ أَكْثَرَ قراءَةَ القرآن فى الدَّياجى ، وعَمِلَ عَمَلَ الأبرار فيما هو إليه صائر ، ولم يزل يترقى فى ذروة الفَلاح حَتَّى عُدَّ من الأكابر الأبرار .

والدعاء مُجَابٌ عند هذه المقبرة ، كما حُكِىَ عن بعض مشايخ الزيارة قال : كنتُ كثير الزيارة لهذه المقبرة ، وكنتُ كثير القراءة لهذا اللَّوْحِ الرخام ، فجئت للزيارة على جارى العادة ، ففقدتُ اللَّوْحَ ، فَتَأَلَّمْتُ لِفَقْدِه ، فلما كان الليل رأيتُ فى منامى رَجُلاً جميلاً ذا هَيْبَة حَسَنَة ، فقلت له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا عُمَر بن الأشعث ، وإنّى سألتُ الله فى إزالة تلك الرخامة مِنْ على قبرى ، ففعل ، فاسْأَلْ عند قبرى ماشئتَ .

وبهذه التربة قبر الحسين بن الأشعث ، والد عُمَر المذكور . وعبد الله توفى فى شهر رمضان سنة ٢٩٦ هـ . وإلى جانبه قبر ولد ولده عبد الله ، يقال له إبراهيم ، توفى سنة ٣١٠ هـ . وإلى جانبهم قبر الفقيه العارف محمد بن محمد ابن عبد الله بن الأشعث ، يُكْنَى أبا بكر ، توفى فى المحرم لإحدى عشرة ليلةً خَلَتْ منه سنة ٢٩٢ هـ . وإلى جانبهم قبر الفقيه يحيى بن الحسين بن على بن الأشعث ، يُكْنَى أبا العباس ، أحد شهود القاضى أبى محمد عبد الله بن أحمد ابن زين ، توفى سنة ٣٣٥ هـ ، وهو معروف بصاحب الدار ، وهو غير صاحب الدار الذى عند المفضل بن فضالة ، والذى عند « سماسرة الخير » . ولُقِّبَ بصاحب الدَّار لأن دَارَهُ كان يَنْزِلُ فيها مَنْ وَرَدَ مِنَ القُضَاة على مصر [١] .

وعلى باب تُربتهم القبلى قبر الشيخ الصالح جمال الدين عبد الله بن يحيى ابن إسماعيل بن محمد بن الأشعث ، توفى سنة ٢٦٠ هـ [٢] .

---

(١) فى التحفة : كان ينزل فيها القضاة وغيرهم .

(٢) هكذا فى التحفة . وفى « م » : سنة ٢٠٦ هـ . والأول هو الصحيح .

ولبنى الأشعث مقابر أُخْرَى سِوَى هذه المقبرة .

وبهذه المقبرة قبر الفقيه الإمام الأصيل أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى المُطَّلِبى ، يجتمع مع الشافعى فى العباس بن عثمان . كان من أجِلاَّء العلماء ، رَوَى عنه أبو بكر بن أحمد .

قبر الفقيه الزاهد أبى الفدا رشيد الدين الدمشقى [1] :

ومِنْ شرقى تربة الطحاوى المذكور قبر الشيخ الصالح ، الفقيه المعتقد ، المفتى الكبير ، أبى الفضل إسماعيل بن عثمان بن محمد بن عبد الكريم بن تمَّام القُرَشِى اليمانى الدمشقى الحنفى ، يُلَقَّبُ برشيد الدين ، ويُكنَى أبا الفدا ، ويُعْرَفُ بابن المعلم ، مولده فى شهر رجب الفرد سنة ٦٢٣ هـ ، وقرأ القرآن بالسبع على العالم السخاوى ، شارح الشاطبية ، وتفقه على الحضرى وغيره ، وقرأ النحو على الشيخ جمال الدين بن مالك [2] ، ورَوَى الحديث عن الحسين الزبيدى [3] ، وعن شيخه السخاوى ، وابن الصلاح ، وابن خليل ، والعَزّ النَّسَّابة ، وبَرَعَ فى الفقه وفى العربية ، ودَرَّسَ وأَفْتَى وأَفَاد ، وانفرد بالرواية عن الزبيدى ، وسمع من جماعة من أعيان مصر .

وكان عنده زهدٌ وانقطاع عن الناس ، قَدِمَ من دمشق إلى ديار مصر سنة ٦٩٩ هـ عند دخول التتار [4] هو وولده الشيخ تقى الدين أبو المحاسن يوسف .

---

(١) العنوان من عندنا . والموفق بن عثمان مؤلف هذا الكتاب لم يدرك أبا الفدا هذا ، حيث كانت وفاة الموفق بن عثمان سنة ٦١٥ هـ ، أى قبل مولد أبى الفدا بثمانى سنين . [وانظر تحفة الأحباب ص ١٨٧] .

(٢) فى المصدر السابق : « قرأ النحو على الإمام محمد بن مالك » .

(٣) هكذا فى المصدر السابق – وفى « م » : « ورَوَى الحديث عن الحسن بن الزبيدى » .

(٤) أى : عند دخول التتار دمشق .

وتوفى الشيخ تقى الدين هذا بعد والده فى شهر جُمادى الآخرة ، فى الخامس والعشرين منه سنة ٧٢٤ هـ . ونَزَل بدار بجوار الجامع الأزهر قبل موته بنحو سنتين ، وأقام بمصر بضع عشرة سنة .

وكان الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يحبه ويُعَظِّمُه ويثنى عليه فى علمه . وكانت وفاته يوم الأربعاء خامس شهر رجب سنة ٧١٣ هـ [١] .

قبر الشيخ الزَّقَّاق [٢] :

ثم ترجع إلى قبلى حوش الإمام أبى جعفر الطحاوى تجد تُربة بها قبر الشيخ الصالح أحمد [٣] بن نصر الزَّقَّاق ، يكنى أبا بكر ، من أقران الجنيد ، ذكَرَهُ الإمام أبو القاسم القشيرى فى الرسالة ، وأبو نعيم فى الحلية ، وأبو الفرج بن الجوزى فى الصفوة .

كان من أكابر مصر ، قال بعضهم : سمعتُ الكتَّانىّ يقول لَمَّا مات الزَّقَّاق : « انقطعتْ حُجَّةُ الفقراء فى دخولهم مصر » ، لأن الفقراء كانوا يقصدون ديار مصر لِمَا فيها من الأرزاق ، وكثرة الرخاء فى الأسعار ، ويزعمون أنهم إنَّما قصدوا مصر لزيارته .

قال الزَّقَّاق : « مَنْ لَمْ يَصْحَبْهُ التُقَى فى فَقْرِهِ أَكَلَ الحرام المَحْضَ » [٤] .

---

(١) فى التحفة : سنة ٧١٤ هـ . وكل هؤلاء لم يدركهم المؤلف .

(٢) العنوان من عندنا . [وانظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٤٤ ، وطبقات الأولياء ص ٩١ و ٩٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٣١ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٥١٢ ، والكواكب السيارة ص ٧٩ و ٨٠ ، وتحفة الأحباب ص ١٨٢ و ١٨٣] .

(٣) فى « م » : « محمد » خطأ من الناسخ ، والتصويب من المراجع السابقة .

(٤) المَحْض : الخالص .

وقال أيضاً : « تُهْتُ فى تِيهِ بنى إسرائيل خمسة عشر يوماً ، ثم وجدتُ الطريق ، فرأيتُ جُنْدِيًّا فَسَقَانى . شَرْبَةَ ماء ، فلما سقانى أَحْسَسْتُ بِكَرْبٍ عظيم ، فأنا أجد قسوتها فى قلبى ثلاثين سنة » .

وقال الرَّفَّاء : سألتُ الزَّقَّاق : مَنْ أَصْحَبُ ؟ قال : من أسقط بَيْنَكَ وبينه مُؤْنَةَ التَّحفُّظ .

وقال : لا يصلحُ الفقراءُ إلَّا لأقوامٍ كَنَسُوا بأرواحهم المزابل .

وقال الزَّقَّاق : كنت أُبكر للجامع فى كل جمعة أجلسُ عند الجنيد ، فمررتُ فى يوم جمعة على جارى العادة ، فرأيتُ فى طريقى رَجُلَيْن يقول أحدهما [١] للآخر : اذهبْ بنا للجنيد نسأله عن الزَّقَّاق ، فتبعتهما حتى دَخَلاَ سِقَايَةً يتطهران [٢] ، فرأيت معهما شيئاً كرهته ، فقلت : لا حولَ ولا قوةَ إلَّا بالله العَلِىِّ العظيم ، إنَّا لله وإنا إليه راجعون .

ثم جَاءَا وأنا معهما [٣] حتى وقَفَا على الجنيد ، فقال : أين المُغْتَابُ ؟ فقلت فى نفسى : قد عَلِمَ بى وتكَلَّمَ على خاطرى . ثم قال الثانية : أين المغتاب ؟ اسألنا حتى نجعلكَ فى حِلٍّ . فقلت : ياسيدى ، ما قلتُه إلَّا غَيْرَةً . فقال : يا أبا بكر ، لا تَتَّهِمْ أقواماً أتْحَفَهُمُ الحقُّ فى سابق عِلْمِه وأَزَلِيَّتِه ، وطهَّرَهُمْ بكرامة وحدانيته ، حتى إذا كان وقت بَدْئِهِمْ استخرجهم من أنوارٍ خاصة [٤] ، وعجن أرواحَهم بأنواع أنوار قدسه ، وأقامهم بين يديه ، ونظر إليهم بعين رحمته ،

---

(١) فى « م » : « إحداهما » خطأً من الناسخ ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) فى « م » : « حتى دخلا سياقه يتطهرون » تحريف من الناسخ والصواب ما أثبتناه من الكواكب السيارة . والسِّقَاية : موضع السَّقْى .

(٣) فى « م » : « جاءوا وأنا معهم » .

(٤) فى الكواكب السيارة : « حتى إذا استخرجهم من الذَّرِّ عجن أرواحهم بنور قُدْسه » .

وألبسهم تيجان ولايته ، فإنْ دَعُوهُ أجابهم ، وإنْ سألُوهُ أعطاهم ، فلا تُدركهم خفياتُ الألحاظ ، ولا تُغيِّرهم جُمَّاتُ الأشرار [١] ، فهم ينظرون به وإليه فى جميع الأحوال ، مُستَغْنُونَ به عَمَّنْ سِوَاه . ثم قال : إنى نظرتُ فلم أُرَهُم .

وقال أبو علىٍّ الرُّوذباريُّ : دخلتُ على أبى بكر الزَّقَّاق ، فرأيته بحالة عجيبة وهو غائب ، فصبرتُ حتى رجع ضحوة ، فقلتُ : مالكَ أيها الشيخ ؟

فقال : اجْتَزْتُ ببعض الخرابات فإذا بشخصٍ ينشد [٢] :

أَبَتْ غَلَبَاتُ الشَّوْقِ إِلَّا تَقَرُّبـا ... إليكَ ويَأْبى العَذْلُ إلَّا تَجَنُّبا [٣]

وَمَا كَانَ صَدِّى عَنْكَ صَدَّ مَلالَةٍ ... وَمَا كَانَ ذَاكَ البُعْدُ إلَّا تَقَرُّبا

وما كانَ ذَاكَ العُذْرُ إلَّا نَصِيحَةً ... وما كانَ ذَا الإغْضَاءُ إلَّا تَعَقُّبَا [٤]

عَلَىَّ رَقِيبٌ مِنْكَ حَلَّ بِمُهْجَتِى ... إِذَا رُمْتُ تَسْهِيلاً عَلَيْهِ تَصَعَّبَا [٥]

فما هو إلَّا أنْ سَمِعْتُ ذلكَ حتى صرتُ إلى ما ترى مِمَّا لحقنى ، فلما أفقتُ قال لى : [هَكَذَا] مَنْ تَحَقَّقَ فى عبوديته [٦] ، لم يَخْلُ [مُحِبٌّ] من البلاء . فقمتُ وتركته .

والزَّقاق منسوب إلى بيع الزِّقِّ [٧] وعمله ، وكانت وفاة الزَّقَّاق سنة

---

(١) جُمَّات : جماعات . وفى المصدر السابق : « ولا يغيرهم ترجمان الأسرار » .

(٢) فى « م » : « ينشد وهو يقول شعرًا » .

(٣) فى « م » : « ونادى » مكان « ويأبى » تحريف ، والتصويب من المصدر السابق .

(٤) فى المصدر السابق : « تَغَيُّبا » مكان « تَعَقُّبا » .

(٥) فى « م » : « إذا مت » مكان « إذا رُمْتُ » والتصويب من الكواكب السيارة . ورُمْتَ : طلبتُ .

(٦) فى « م » : « عبودته » تحريف ، ومابين المعقوفتين – فى الموضعين – من المصدر السابق وسقط سهوًا من الناسخ .

(٧) الزِّق : الوعاء . وقيل : سُمِّى الزَّقَّاق لأنه جلس يومًا على باب رباطه ، وإذا بشاب أتى إليه هاربًا ومعه زِقٌّ ، وقيل إن فيه خمرًا ، فقال له : أنا أستجير بك ياسيدى . قال له : ادخُلْ .. فلما دخل الرباط جاءت الشرطة فى طلبه ، فسألوا عنه الشيخ ، فقال لهم : دخَلَ الرباط ، فلما سمع الشاب ذلك =

٢٩٢ هـ [١] نُقِلَ ذلك من اللَّوْح الرُّخام الذى كان على قبره .

* * *

ومِنْ بحرىِّ قبره قَبْرٌ به السيدة عائشة ، عُرِفَتْ بِجَبْرِ الطَّيْرِ [٢] ، كان الطَّير كثير الإِلْفِ لها .

حُكِىَ عنها أنها مَرَّتْ على رَجُلٍ شَوَّاء قد طلع بِخَرُوفِ شواء مِنْ تَنُّورٍ ، فلما رأَتْهُ بَكَتْ ، فظنَّ أنها بكت لمَّا رأَتِ الشواء وليس لها قُدْرَةٌ على شرائه ، فجاء لها بشيء منه ، فقالت : لَمْ أقصد ذلك ، ولكن نظرتُ إلى الحيوانات تدخل النار ميتة وأنَّ الآدَمِىَّ يدخل حيًّا ، ثم بكت حتى غُشِىَ عليها ، فلما أفاقت أَنْشَدَتْ [٣] :

كَيْفَ الرَّحِيلُ بلا زَادٍ إلى وَطَنٍ   لا يَنْفَعُ الْمَرْءَ فيه غَيْرُ تَقْـوَاهُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ زَادُهُ التَّقْوَى فَلَيْسَ لَهُ   يَوْمَ القِيَامَةِ عُـذْرٌ عِنْـدَ مَـوْلاَهُ

* * *

= اشتدخوفه ، وإذا بالحائط انفرجت فخرج منها ، فدخل أصحاب الشرطة الرباط فلم يجدوه ، فخرجوا وقالوا للشيخ : ماوجدنا أحدًا ، ثم ذهبوا ، فجاء الشاب إلى الشيخ وقال له : يا سيدى استجرتُ بكَ فدللتهم علىَّ ! قال له : يا بُنى ، لولا الصدق ما نَجَوْتَ ! [انظر تحفة الأحباب ص ١٨٣ ، والكواكب السيارة ص ٨٠] .

(١) اخْتُلف فى تاريخ وفاته ، فقال قوم إنه تُوفى سنة ٢٩٠ هـ ، وقيل ٢٩١ ، وقيل ٣٠٠ ، وقيل ٣١٣ هـ . [انظر المراجع السابقة ، والسخاوى ص ١٨٣ ، وطبقات الأولياء ص ٩١] .

(٢) هكذا فى « م » وفى تحفة السخاوى ، واسمها فيها عائشة بنت هاشم بن أبى بكر البكرية . وفى الكواكب السيارة : عائشة المعروفة ببرء الطير ، قيل : إن الطيور تأتى إلى قبرها وهى متألمة فتبرأ بإذن الله تعالى . وذكرها ابن الزيات بعائشة بنت هشام بن محمد بن أبى بكر البكرى .
[انظر الكواكب السيارة ص ٧٩ ، وتحفة الأحباب ص ١٨٤] .

(٣) فى « م » : « وأنشدت تقول شعرًا » .

ومِنْ بحرىٍّ قبرها قبر الشيخ الصالح علىّ ، يُكْنَى أبا الحَسَن ، ويُعرف بِطِبِّ الْوَحْشِ .

حَكَى عنه قال : حَجَجْتُ سَنَةً من السِّنِين فى البحر المالح فَهَبَّتْ [1] علينا ريحٌ كسرت المركب ، فصعدتُ على لَوْحٍ ، فما زالت الأمواج تلعب بى حتى أَلْقَتْنِى عَلَى جزيرة من جزائر البحر ، فطلعتُ إلى الجزيرة ومشيتُ فيها ، فرأيت بها ما أدهش عقلى من الفواكه من غير مباشرٍ لزرع ذلك ، ثم مشيت قليلاً فرأيت قردًا راقدًا على ذراعه ، قال : فدنوتُ منه ، فوجدتُ يده فى شق من الأرض مشبوكةً وهو يتألم منها ، فأخذت عودًا وحفرتُ حولها حتى تخلصَتْ وطلع بها ، فوجدتُها قد انسلخَتْ وقَيَّحَتْ ، فمسحتُها له ، وقطعتُ شريطاً [2] من خَلَق عمامتى وربطتُ به يده ، فلما رأى الإحسان منى إليه أشار إلَىَّ بالجلوس ، فجلستُ ، ومَضَى قليلا ثم عاد ومعه ورق على صورة ورق التفاح ، فجعل يأكل منه ويُشير إلَىَّ أنْ كُلْ منه ، فأكلتُ منه ، فَمِنْ ثَمَّ لمْ يُصِبْنِى أَلَمٌ ، وعَمَرْتُ عمرًا طويلاً .

* * *

قبر المقرىء إسماعيل الحداد :

ثم ترجع منحرفاً إلى الغرب إلى قبر أبى محمد إسماعيل المقرىء المُحَدِّث ، المعروف بالحدَّاد ، وهو أبو محمد إسماعيل بن راشد بن يزيد بن خالد الحداد ، انتهت إليه رياسة الإقراء فى زمانه بمصر ، وكان قد قرأ القرآن على أبى أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجبَّاس ، وأبى الطيب أحمد بن محمد المعروف بابن بنت الشافعى .

---

(١) فى « م » : « فخرجت » .

(٢) فى « م » : « شرموطًا » .

وروى عنه أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى : رَوَى إسماعيل – المذكور – بإسناده عن سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : « بَخٍ بَخٍ ، خَمْسٌ ما أَثْقَلَهُنَّ فى الميزان : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـه إلّا الله ، والله أكبر ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله العَلِىِّ العظيم ، وفَرَطٌ صالحٌ يَفْرِطُه المسلم » [1] .

ورَوَى بسنده إلى عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرأ بالمعوذتين كُلَّما قُمْتَ وكُلَّما نِمْتَ » .

وقال : لَقِىَ حكِيمٌ حكيماً ، فقال : أحدهما [2] للآخر : لا يراك الله عندما نَهاكَ ، ولا يفقدك عندما أَمَرَكَ .

وقال : جاء رجلٌ فقال : سمعتُ صالح بن الحسين يبكى فى طول الليل . فجئتُ إليه فسمعتُ قراءته فى ليلة وهو يُرَدِّدُ قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنَا يومًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [3] وما زال كذلك إلى أنْ طلعَ الفجر ، فسقط مغشيًّا عليه فى محرابه ، قال : فدخلتُ عليه فوجدتُه ميتًا .

وكان هذا الإمام حدَّادًا فى شبابه [4] ، فَمَرَّتْ به امرأةٌ فقيرة وقالت له : إنَّ لى بناتًا [5] سافَرَ أَبُوهُنَّ وما تَرَكَ شيئًا . فمضَى وتركَ حانُوتَهُ واشترى طعاماً وحمَلَهُ معها إلى بيتها ، فخرَجَ إليه البناتُ ، فقالت إحداهن : « كَفاكَ الله نَارَ الدُّنْيَا ونار الآخِرَة » . ثم مَضَى إلى دُكَّانِه فَحَمَى حَدِيدَةً إلى أنْ صارت نارًا ، وَمَسَكها بالكَلْبَتَيْن [6] ، فوقعت الحديدة على رجله وهى باردة ،

---

(١) وفَرَطٌ صالح يَفْرِطه المسلم ، أى : وعَمَلٌ صالحٌ يُقدمه المسلم ينال عليه أجرًا عظيمًا ويسبقه إلى الجنة .

(٢) فى « م » : « إحداهما » لا تصح .

(٣) سورة الإنسان – الآية ١٠ .

(٤) فى « م » : « صباه » .

(٥) فى « م » : « بنات » لا تصح .

(٦) الكلبتان : أداة يأخذ بها الحدّاد الحديد المُحَمَّى . يقال : حديدة ذات كلبتين .

فقال : « لا إلـه إلّا الله » ، وقيل : بل قال : « سبحان الله ! استُجِيبتِ الدَّعْوَة ، وقد رأيتُ بَعْضَها ، وأرجو من الله السلامة من نار الآخرة » . ثم ترك حانوته وتَعَبَّدَ وصار من الصالحين ، وتوفى سنة ٣٢٩ هـ [١] .

* * *

قبر الفقيه محمد بن يحيى الأسوانى أبو الذكر « القاضى » [٢] :

ثم تمشى وأنت مستقبل القبلة منحرفاً تجد قبر الفقيه القاضى الصالح محمد ابن يحيى بن مهدى بن هارون بن عبد الله بن هارون بن إبراهيم الأسوانى المالكى التَّمَّار ، يُكْنى أبا الذِّكر .

وُلِدَ بأسوان فى سنة ٢٥٥ هـ ، وكان من أهل القرآن والسُّنَّة والتَّعَبُّد . وتوفى فى يوم عيد الفطر سنة ٣٤٠ هـ ، وكانت مدة ولايته القضاء ثلاثة أشهر وعشرة أيام من قِبَلِ الأمير محمد بن طُغْج [٣] .

وكان أبو الذكر من كبار المُحَدِّثين ، سُئِلَ عن بيع التمر [٤] فقال : قال رسول الله ﷺ : « العجوة من الجنة وهى شفاء من السم » .

ولَمَّا ولى القضاء كان يحكم بين الناس إلى المغرب ، فإذا كان المساء أخذ قُفَّةَ التمر وخرج إلى السوق يبيع من ذلك بما يحصل منه القوت له ولعياله ، فَأُخْبِرَ الخليفة بذلك فعَزَلَهُ ، فَحَمِدَ الله تعالى على ذلك ، فَلامَ الناسُ الخليفةَ على عَزْلِهِ ، لِدِينه وعِفَّتِه ، فأرسل له بالولاية مرة ثانية ، فَرَدَّ التقليد ولم يقبله ، فَطُلِبَ إلى

---

(١) انظر الكواكب السيارة ص ٧٠ .

(٢) العنوان من عندنا . وانظر المصدر السابق ص ٨٠ .

(٣) فى « م » : « طفيح » تصحيف .

(٤) فى « م » : « الثمر » .

بغداد ، فَحُمِلَ إلى الخليفة ، فلما دخل عليه رَحَّبَ به وسأله عن القضاء أن يعود فيه ، فقال له : ثَمَّ [1] مَنْ هُوَ أحَقُّ به مِنِّى . فأكَّدَ الخليفة عليه فى القبول ، فقال : بشرط أنْ أكُونَ على حالى فى تَكَسُّبِ القُوتِ ، فأَمَرَ له الخليفة بمالٍ جزيل ، فَأَبَى أن يقبله ، وخرج من عنده ولم يقبل شيئًا .

وحُكِيَ عنه أنه مَرَّ يوماً فى بعض الشوارِع ومعه جماعة من طَلَبته ، فرأى جارية خَلْفَ باب تبكى ، فقال لها القاضى : ما يُبكيكِ ؟ فقالت [2] : إنَّ لى عشرة أيام لم أستطعم بطعام . فلما سمع الشيخ كلامها رَقَّ لها قلبُه وذَهَبَ إلى منزله ، وأرسل لها طعاماً وخبزًا مع بعض الطلبة ، ثم نام الشيخ ، فرآها فى تلك الليلة وهى هابطة من السماء ، فسَلَّمَتْ عليه ، فعرفها ، فقال لها : مِنْ أين ؟ فقالت له : من عند سيدى . فقال لها : ما الذى صَنَعْتِ ؟ فقالت : استَوْهَبْتُكَ منه ! فانتبه القاضى من نومه وصاح صيحة عظيمة ، وظل يفكر [3] فى هذه القضية ، وقال : إنْ كان الأمرُ كما زَعَمَتْ فهى تموت اليوم . قال الشيخ : فلما أصبحتُ جِئْتُ إلى بيتها فوجدتُها قد ماتت - رحمة الله عليها .

* * *

مقابر الصدفيين [4] :

ثم تمضى من قبره إلى قبة ، وهى أول قباب الصَّدَفيين ، بها قبر الفقيه الصالح محمد الصَّيْمَرِىّ ، وبها قبر الفقيه الإمام أبو العباس أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفى الشافعى ، المصرى ، الحافظ ، المؤرخ ، مؤرخ مصر ، وُلِدَ

---

(١) ثَمَّ : هناك .

(٢) فى « م » : « فقالت : ياشيخ » .

(٣) فى « م » : « وتفكَّر » .

(٤) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ٨٣ ، وتحفة الأحباب ص ٢٢٠ ومابعدها] .

سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وتوفى سنة ٣٤٧ هـ ، ولم يرحل ، ولكنْ كان إماماً فى فن التاريخ ، رَوَى عنه ابن منده ، وأبو محمد النحّاس ، وعبد الواحد أبو محمد البلخى ، وجماعة من الرجال ، ومعرفته بالعلل ، وعمل تاريخين لمصر ، أحدهما [1] – وهو الأكبر – يختص بالمصريين ، والآخر – وهو صغير – يختص بذكر الغُرباء الواردين على مصر ، وقد ذَيَّلَهُمَا [2] أبو القاسم يحيى بن الحضرمى ، وبنى عليهما .

وهذا أبو سعيد [3] هو حفيد يونس بن عبد الأعلى ، صاحب الإمام الشافعى . ولمّا مات أبو سعيد المذكور رثاه أبو عيسى عبد الرحمٰن بن إسماعيل ابن عبد الله الخولانى الخشّاب النحوى العَرُوضِىّ بقوله :

بَثَثْتَ عِلْمَكَ تَشْرِيقًا وتَغْرِيبا ... وَعُدْتَ بَعْدَ لَذِيذِ الْعَيْشِ مَنْدُوبَا [4]

أَبَا سَعِيدٍ ، وما نَأْلُوكَ أَنْ نَشَرَتْ ... عَنْكَ الدَّوَاوِينُ تَصْدِيقاً وتَصْوِيبَا

مَازِلْتَ تَلْهَجُ بِالتَّارِيخِ تَكْتُبُه ... حَتَّى رَأَيْنَاكَ فى التَّارِيخِ مَكْتُوبَا [5]

نَشَرْتَ عَن مصر من سُكانها عَلَمًا ... مُبَجَّلاً لجمال القوم منصوباً [6]

---

(١) فى « م » : « إحداهما » لا تصح .

(٢) ذَيَّل الكتاب : أَرْدَفَهُ بكلام كالتتمة له .

(٣) هو أبو سعيد عبد الرحمٰن بن أبى الحسن أحمد بن أبى موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفى . كان مُحَدِّثًا ومؤرخا ، وهو الذى جمع لمصر تاريخين ، أحدهما – الأكبر – يختص بالمصريين ، والآخر – صغير – يشتمل على ذكر الغرباء . وكانت وفاته سنة ٣٤٧ هـ كما مر بنا .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٣٧ و ١٣٨ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥١] .

(٤) مندوبا : يبكون عليك ويُعددون محاسنك بعد موتك . والأبيات وردت فى المصدر السابق (الوفيات) .

(٥) تلهج : تُولَع به ، وتُثابر عليه . وبعد هذا البيت فى الوفيات :

أَرَّخْتُ موتك فى ذكرى وفى صُحُفِى ... لمن يؤرخنى إذْ كنت محسوبا

(٦) فى الوفيات : « بجمال القوم » .

كَشَفْتَ عَنْ فَخْرِهِم لِلنَّاسِ ما سَجَعَتْ ... وُرْقُ الحَمامِ على الأغْصَانِ تَطْرِيَا
أَعْرَبْتَ عَنْ عَرَبٍ نَقَّبْتَ عن نُجُبٍ ... سَارَتْ مَنَاقِبُهُمْ فى النَّاسِ تَنْقِيبَا [(١)]
أَنْشَرْتَ مَيِّتَهُـمْ حَيًّـا بِنِسْبَتِـهِ ... حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَمُتْ إِذْ كان مَنْسُوبَا
إِنَّ المكـارم لـلإنْسَانِ مَرْحَبَـةٌ ... وفيكَ قَدْ رُكِّبَتْ ياعَبْدُ تَرْكِيبا [(٢)]
حُجِبْتَ عَنَّا وما الدُّنيا بِمُظْهِرَةٍ ... شَخْصًا وإِنْ جَلَّ إِلَّا عَادَ مَحْجُوبَا
كَذَلِكَ الموتُ لا يُبْقِى عَلَى أَحَدٍ ... مَدَى اللَّيَالِى من الأَحْبَابِ مَحْبُوبَا

قوله : « مازِلْتَ تلهجُ بالتاريخ تكتبه ... » البيت . مأخوذٌ مِنْ خَبرٍ لعلىٍّ ابن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وهو : أنه كان رجلٌ [(٣)] فى زمانه يمشى أمام الجنائز وينادى : الرحيل .. الرحيل ، لا تكاد جنازة [تمُرُّ] [(٤)] منه ، فمرتْ يومًا جنازة بعلىٍّ بن أبى طالب فلم يَرَهُ ولم يسمع نداءه ، فسأل عنه ، فقيل : هو هذا الميت . فقال : لا إِلٰه إِلَّا الله ...

مـازالَ يَصْرُخُ بالرحيـلِ مناديًـا ... حتـى أنـاخَ ببابـه الجَمَّـالُ [(٥)]

وقال الأصمعى : حَدَّثنى أبى قال : رأيت رَجُلاً على قصر « أوليس » أيام الطَّاعون وبيده كُوزٌ يعد الموتى فيه بالحَصَى ، فَعَدَّ فى أول يوم ثمانين ألفاً ، ثم عَدَّ فى اليوم الثانى مائة ألف ، فمرَّ قَوْمٌ بِمَيِّتِهِم فَوارُوهُ ثم رجعوا وعلى الكوز رجلٌ غيره ، فسألوا عنه ، فقال : وَقَعَ فى الكوز !

---

(١) فى « م » : « نخبت عن نخب » مكان « نقبت عن نجب » تحريف من الناسخ ، والتصويب من الوفيات .
(٢) الشطرة الأولى من البيت فى الوفيات :
« إن المكارم للإحسان موجبة »
(٣) فى « م » : « رجل مجنون » .
(٤) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا لاستقامة المعنى .
(٥) فى « م » « يصرح » مكان « يصرخ » . وورد البيت فى « م » كأنه نثر . وأناخ بالمكان : أقام ، وحَلَّ ، وأناخ الدابَّة : أَبْرَكَها .

ومِثْل هذا قول التِّهامِىّ (١) قال :

حُكْـمُ الْمَنِيَّـةِ فى البرِيَّة جَـارٍ   ما هَـذِهِ الدُّنْيَـا بـدار قَـرارِ
بَيْنَا يُـرَى الإِنْسانُ فيها مُخْبِـرًا   حَتَّى يُرَى خبرًا مـن الأخبـارِ

* * *

وعلى باب هذه القُبَّة [قبر] (٢) الفقيه أبى عبد الله محمد بن بشّار ، إمام حَرَم المصطفى ﷺ . رَوَى الحديث الكثير وسَمِعَ ، ومن رواياته التى رواها عن أبى ذَرٍّ ، عن النبىّ ﷺ أنّه قال : « يا أَبَا ذَرٍّ ، جَدِّدِ السفينة فإنَّ البحر عميق ، وأَكْثِرِ الزَّادَ فَإِنَّ السَّفَر بعيد ، وَخَفِّفِ الحِمْلَ فَإِنَّ العَقَبَةَ طويلة ، وأَخْلِصِ العملَ فَإِنَّ الناقِدَ بَصِير » (٣) .

ومن شرقىّ هذه القُبَّة قبرٌ فى تربة ، هو للشيخ زكىّ الدين عبد المنعم ابن عبد الملك ، المتصدر بالجامع الأكبر .

قبر شيخ الإسلام أبى العباس بن نصر الإزبلى (٤) :

ومن جهة القبلة من هذه القبة تربة أخرى تُعْرَفُ بتربة بنى عقيل ، بها قبر شيخ الإسلام الفقيه العالم المُحَدِّث أبى العباس الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الإِزْبلىّ الفقيه الشافعى .

---

(١) [انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٨ - ٣٨١] .

(٢) مابين المعقوفتين من عندنا .

(٣) بعد هذا فى « م » : « قد أفلح المؤمنون » .

(٤) العنوان من عندنا - [وانظر ترجمته فى الوفيات ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٩] .

اشتغل ببغداد على الكِيَا الهراسى [١] ، وابن الشاشى [٢] ، ثم رجع إلى إِرْبِل ، وبَنَى له بها الأميرُ سَرَفْتَكِينُ صاحب إربل [٣] مدرسةً ، ودَرَّسَ الشيخ بها زماناً طويلاً . وله التصانيف الحسَنَة فى التفسير والحديث والفقه وغير ذلك ، وشرح كتاب الألفية لابن مالك ، وله كتاب ذكَرَ فيه ستًّا وعشرين خطبة لرسول الله ﷺ ، وكلها مُسْنَدة إلى النبى ﷺ . واشتغلَ عليه خَلْقٌ كثير وانتفعوا به وبتصانيفه .

ذَكَرَهُ الحافظ ابن عساكر فى « تاريخ دمشق » وأثْنَى عليه . وتخرَّج عليه [٤] الفقيه ضياء الدين أبو عَمْرو عثمان بن عيسى بن دِرْباس شارح « المهذب » [٥] وتخرَّجَ عليه أيضًا ابن أخيه الشيخ أبو القاسم نصر بن عقيل ، وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وتوفى سنة سبع وستين وخمسمائة ، ودُفِنَ بمدرسته بإربل فى قُبَّة منفردة ، وقبره يُزَار .

ولَمَّا توفى الشيخ تولى التدريس فى المدرسة التى بُنيت ابن أخيه ، ثم خرج إلى الموصل وسكن بظاهرها بجوار رباط المغربى ، وقرر له صاحب الموصل راتباً [٦] ، ولم يزل هناك إلى أنْ تُوفى فى ثالث عشر ربيع الآخر [٧] سنة تسع عشرة وستمائة [٨] .

* * *

---

(١) [انظر ترجمته فى الوفيات ج ٣ ص ٢٨٦ - ٢٩٠] .
(٢) فى المصدر السابق : وَافَى بها - ببغداد - عِدَّة من مشايخها .
(٣) فى الوفيات : « نائب صاحب إربل » [انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٩] .
(٤) فى « م » : « تخرَّج به » . والعبارة هنا لابن خلكان .
(٥) فى « م » : « المذهب » تحريف ، والتصويب من الوفيات ، ج ٢ ص ٢٣٨ وج ٣ ص ٢٤٢ .
(٦) فى « م » : « مرتب » .
(٧) فى « م » : « الآخرة » لا تصح .
(٨) أى كانت وفاته بعد وفاة مؤلف هذا الكتاب بأربع سنين ، وقد علقنا على ذلك من قبل [انظر : ص ٤٣٧ ، الهامش رقم (١) ، وص ٤٦٤ ، الهامش رقم (١) ، وص ٤٦٩ ، الهامش رقم (١) .

قبر الفقيه أبى إسحاق المَرْوَزِى [١] :

ثم تذهب من هذه التربة إلى الحوش المجاور لتربة الإمام محمد بن إدريس الشافعى . بهذا الحوش الجليل والمعظم ، والمحل الأنْوَر المُفَخَّم ، قبر الشيخ الإمام ، العالم العَلاَّمة الفاضل أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المَرْوَزِىّ الشافعى .

كان إمام عصره فى الفتوى والتدريس ، تَفَقَّه على ابن سُرَيج [٢] ، وبرع فى الفقه ، قال ابن خِلِّكان فى حقه : انتهت إليه الرياسة فى الفقه بالعراق بعد ابن سريج ، وصَنَّفَ كتبًا كثيرة ، وشرح مختصر المُزَنِىّ .

وقال الشيخ أبو إسحاق فى حقه : انتهت إليه رياسة الفقه ببغداد ، وصنَّفَ فى الأصول ، وعنه أخَذَ الأئمة ، وانتشر الفقه عن أصحابه فى البلاد .

ومن أحسن ما ذُكر عنه من شعره قوله [٣] :

لا يغلوَنَّ عليكَ الحَمْدُ فى ثَمَنٍ   فليسَ حَمْدٌ وإنْ أثْنَيْتَ بِالغَالِى
الْحَمْدُ يَبْقَى عَلَى الأيَّامِ مابَقِيَتْ   ويذهبُ الدَّهْرُ بالأيَّامِ والمَالِ

وخرج إلى مصر فى آخر عمره فتوفى بها لسَبْع [٤] خَلَوْنَ من رجب الفرد سنة أربعين وثلاثمائة . وقيل : ليلة الأحد الحادى والعشرين منه [٥] سنة ٣٤٠ هـ . وقبره يُزار ويُتبرك به — رحمه الله تعالى ورضى عنه [٦] .

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٦ و ٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ١١] .

(٢) فى « م » : « تفقه بابن شريح » تحريف من الناسخ ، والتصويب من الوفيات فى الموضعين .

(٣) فى « م » : « يقول » .

(٤) فى الوفيات : « لتسع » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى الوفيات وتاريخ بغداد : « ليلة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب » .

(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » والمشار إليه فى صفحة ٤٣٧ ، الهامش رقم (١) .

مَشْهَد الإمام الشافعي – رضى الله عنه (١) :

ثم من قبره (٢) إلى مشهد الإمام الأعظم ، والأستاذ الأفخم ، إمام الأئمة ، وناصر الكتاب والسنّة أبى عبد الله محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان ابن شافع بن السّائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف القُرَشِيّ الهاشِميّ ، ابن عَمّ النبيّ ﷺ ، فضائله ومناقبه أشهر من أنْ تُذكر ، ولابد من تَذْكِرَة هاهنا فنقول (٣) :

رُوِىَ عن المُزَنِيّ رضى الله عنه (٤) قال : سمعتُ الشافعى رضى الله عنه يقول : كنتُ ببغداد فرأيتُ علىّ بن أبى طالب عليه السلام (٥) فى النوم ، فسَلَّمَ علىّ وصافَحنِى ، وجَعَلَ خاتمه فى أُصبعى (٦) ، وكان لى عَمٌّ فَفَسَّرَهَا لى فقال : أمَّا مصافحته فَأَمَانٌ من العذاب (٧) ، وأمَّا لبس خاتمه فسيبلغ اسمك ما بلغ اسم علىّ من المشرق إلى المغرب (٨) .

[وإنْ صدقَتْ رؤياك لم يبق بالمشرق والمغرب موضع إلّا ذُكِرْتَ فيه وعُمِلَ بقولك] .

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦٣ – ١٦٩] .

(٢) أى : من قبر الإمام أبى إسحاق المروزى .. وفى « ص » : « وتمشى إلى الغرب تجد قبرًا عند ابنة عبد الرحمٰن بن عوف الزهرى ، رضى الله عنهما ، وتمشى إلى الشرق تجد التربة والمشهد الجليل ، مشهد الإمام الشافعى ، رضى الله عنه » .

(٣) فى « ص » : « ولابد من إيراد نِسْبة من ذلك » .

(٤) فى « ص » : « رحمة الله عليه » .

(٥) فى « م » : « رضى الله عنه » .

(٦) فى « ص » : « وخلع خاتمه وجعله فى أُصبعى » .

(٧) فى « ص » : « أما مصافحتُك لعلىّ أمان من العذاب » .

(٨) فى « ص » : « فى الشرق والغرب » . ومابين المعقوفتين – بعدها – عن « م » وساقط من « ص » .

ورَوَى الربيع بن سليمان قال : رأيتُ الشافعيَّ رضى الله عنه فى النوم بعد موته فقلت له : ما فعَلَ الله بك ؟ قال : أجلسنى على كرسيٍّ من ذَهَب ونثر علىَّ اللُّؤْلُؤَ الرَّطِبَ .

قال الشافعى رضى الله عنه : عَرَضَ علىَّ مالكٌ أربع مرات ، ولو شئتُ أنْ أكتبها كتبتها [1] .

قال الربيع [2] بن سليمان : سمعت الشافعى يقول : « قَدِمْتُ على مالك ابن أُنسٍ وقد حفظتُ المُوَطَّأَ ظاهِرًا ، فقلت : أُريد أنْ أَسْمَعَ منكَ المُوَطَّأَ . فقال : اطلبْ مَنْ يقرأ لكَ . فقلت : لا عليكَ أنْ تسمع قراءَتِى ، فإن خَفَتْ عليك وإلَّا طلبتُ من يقرأ لى . فقال : اقرأْ . فقرأتُ صفحة من الكتاب ثم سَكَتُّ . فقال لى : اقرأ – وفى رواية : فقال : هِيِهِ – فقرأْتُهُ عليه ، وكان رُبَّمَا قال لى : أَعِدْ حديث كذا » . وأعجبَتْ مالِكَ قراءَتُهُ وقال : « إنْ يكنْ أحَدٌ يفلح فهذا الغلام » . ولازَمَهُ الشافعى مُدَّةً وانتفع به .

ثم توجه الشافعى رحمه الله إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ [3] . ورَوَى [عنه] أحمد بن محمد الحنبلى الشيبانى [4] ، وسليمان بن داود الهاشمى ، وأبو ثور إبراهيم ابن خالد ، والحسين بن على [الكرابيسى] [5] ، والحسن بن محمد بن الصباح

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « عرض مالكٌ كتبه أربع عرضات وأنا حاضر ، ولو شئتُ أن أكتبها إملاءً لكَتَبْتُهَا » .

(٢) من قوله : « قال الربيع » إلى قوله : « صلاة النافلة » عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) أقام الشافعى ببغداد سنتين ، ثم خرج إلى مكة ، ثم عاد إلى بغداد سنة ثمانٍ وتسعين ومائة ، فأقام بها شهرًا ، ثم خرج إلى مصر ، وكان وصوله إليها فى سنة تسع وتسعين ومائة – وقيل : سنة إحدى ومائتين – ولم يزل بها إلى أن توفى سنة ٢٠٤ هـ .
[انظر الوفيات ج ٤ ص ١٦٥] .

(٤) هو الإمام أحمد بن حنبل تلميذ الإمام الشافعى . ومابين المعقوفتين من عندنا .

(٥) مابين المعقوفتين عن تاريخ بغداد ج ٢ ص ٥٧ .

الزعفرانى ، ومحمد بن سعيد العطار ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، ويونس ابن عبد الأعلى الصَّدَفى ، وإسماعيل المُزَنى ، وأبو الحسن المقرئ ، ومحمد بن أحمد بن سابق الخولانى ، وحَرْمَلة بن يحيى التجيبى ، وأحمد بن عبد الرحمٰن ، وأبو بكر عبد الله (١) بن الزبير الحميدى ، والحارث بن سُرَيج ، وعبد العزيز ابن يحيى المكّى وغيرهم .

وأَخَذَ عنه جملة محذوفة الأسانيد الربيعُ بن سليمان ، ورَوَى عنه ، قال : سمعتُ الشافعى يقول : « طَلَبُ العِلْم أفضل من صلاة النافلة »] (٢) .

وعن حُمَيْد بن زنجويه (٣) قال : سمعت أحمد بن حنبل ، روى عن النبى ﷺ : « أنَّ الله يَمُنُّ على أهل دينه فى رأس (٤) كل مائة سنة برجل من أهل بيتى (٥) يُبين لهم أمر دينهم » . وإنى نظرتُ فى رأس المائة الأولى [فإذا هو] (٦) عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائة الثانية الشافعى محمد بن إدريس رضى الله عنه .

وعن أحمد بن حنبل رضى الله عنه قال : ما رأيتُ أحدًا تبع الأثر مثل الشافعى . وعن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قِلّة ، والورَع فى خَلْوَة ، وكلمة حق عند مَنْ يُرجَى ويُخاف .

وعن أبى بكر الحميدى قال : قَدِمَ الشافعى رضى الله عنه من صنعاء ومعه عشرة آلاف دينار ، فنزل قريبًا من مكة ، فأتاه أصحاب يسلمون عليه ، فما بَرِحَ ومعه منها شىء (٧) .

---

(١) فى « م » : « وأبى بكر بن عبد الله » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

[انظر تذكرة الحفاظ ص ٤١٣ ، وانظر الإمام الشافعى للدكتور مصطفى الشكعة ص ١٨٣] .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » ، والمشار إليه بالهامش رقم (٢) فى ص ٤٨٤ .

(٣) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « حميد وابن ريحانة » .

(٤) فى « م » : « فى كل رأس » .

(٥) فى « م » : « أهل بيت النبى ﷺ » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٧) فى « م » : « فما برح بشىء من المال » .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل لأبيه : يا أَبَتِ ، أَىُّ رَجُلٍ كان الشافعىّ ، فإنِّى رأيْتُكَ تكثر الدعاء له [(١)] ؟ فقال : يا بُنَىَّ ، كانَ الشافعى كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فانظُرْ هل تجد لهٰذين مِنْ خَلَفٍ أو عنهما من عوض [(٢)] ؟ .

وعن الربيع بن سليمان قال : كان الشافعى يفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ، وكان يُحيى الليل إلى أن مات [(٣)] .

وعن الحميدى [(٤)] قال : سمعتُ الشافعىَّ رضى الله عنه يقول : قال لى خالد الزنجى : « أَفْتِ يا أبا عبد الله ، فقد آنَ لكَ أنْ تفتى » . والشافعى إذْ ذاكَ سِنُّه ما ذُكِر [(٥)] . نفعنا الله بعلومه وبركاته .

وقال حسين بن علىٍّ الكرابيسى [(٦)] : بِتُّ مع الشافعى ليلة ، فكان يصلى عامَّة الليل ، فما رأيتُه يزيد على خمسين آية فى التلاوة ، وإذا أكثر فمائة ، وكان لا تمر به آية رحمة إلَّا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين ، ولا تمُرُّ به آية عذاب إلَّا تعوَّذَ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين أجمعين .

---

(١) « له » عن « ص » .

(٢) فى « ص » : « من خَلَفٍ منهما أو عوض عنهما ؟ » . ولم ترد فى « م » جملة : « أو عنهما من عوض » .

(٣) فى « م » : « كان الشافعى يُحيى الليل وهو ابن خمسة عشر سنة (هكذا) وأفتى فى هذه السن إلى أن مات » .

(٤) من هنا إلى قوله : « ويضعف صاحبه عن العبادة » عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) أى : خمس عشرة سنة . هكذا فى « م » . وفى تاريخ بغداد : « نبأنا الحميدى عبد الله بن الزبير قال : سمعت مسلم بن خالد الزنجى – ومَرَّ على الشافعى وهو يفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ، فقال : يا أبا عبد الله ، أفْتِ ، فقد آنَ لك أن تفتى » . وقد علَّق على ذلك الخطيب البغدادى قائلا : « وليس ذلك بمستقيم ، لأن الحميدى كان يصغر عن إدراك الشافعى وله تلك السن . والصواب ما أخبرنا على بن الحسن قال : نبأنا محمد بن إسحاق الصفار قال : نبأنا عبد الله بن محمد بن جعفر القزوينى قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول : سمعت عبد الله بن الزبير الحميدى يقول : قال مسلم بن خالد الزنجى للشافعى : يا أبا عبد الله أفتِ الناسَ ، آنَ لكَ والله أن تفتى ، وهو ابنُ دون عشرين سنة . [انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٦٤] .

(٦) فى « م » : « السبتى » وما أثبتناه عن تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦٣ ، وانظر الإمام الشافعى للشكعة ص ١٨٩ .

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال : مَشَى أبى مع بغلة الشافعى ، فرآه يحيى بن معين فقال : يا أبا عبد الله ، تمشى مع بغلته ؟ قال : يا أبا زكريا ، اسكُتْ لو لزمْتَ البغلة لا نتفعت [١] .

وقال الشافعى : ما شبعتُ مُدة ست عشرة سنة إلَّا شبعة واحدة طرحتها ، لأن الشبع يُثقل البدن ، ويُقَسِّى القلب ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة [٢] .

وعن الربيع قال : كان الشافعى يختم فى كل شهر ثلاثين ختمةً [٣] ، وفى شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يَقْرَأ فى الصلاة [٤] .

وقال [٥] : ما رأيت أَوْرَعَ من الشافعىّ ، ما كلَّمْتُه قطُّ إلَّا وأنا مقشعرٌ من هيبته على لينه وتواضعه .

وقال أحمد بن صالح : قال الشافعى : يا أحمد ، تَعَبَّدْ قبل أن تَرَأس ، فإنَّك إنْ ترأسْتَ لم تقدر أن تتعبد .

وعن ابن أخى المزنى ، عن المزنى ، أنَّ هارون الرشيد أمَرَ للشافعى بعشرة آلاف دينار ، فما بلغ الباب حتى فَرَّقَها فى بنى هاشم . وفى رواية الزبير بن أحمد الزهرى قال : أمَرَ هارون الرشيد للشافعى بألف دينار ، فدعا بالحجَّام فأصلح له من شَعْرِه فأعطاه خمسين دينارًا ، ثم صرف الباقى صُرَرًا وفَرَّقَها على مَنْ حَضَرَ من القرشيين .

---

(١) فى « م » : « لو مشيت من الجانب الآخر كان خيرًا أو شرفًا » وما أثبتناه عن المراجع السابقة .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) فى « م » : « ثلاثين ختمة من القرآن » .

(٤) فى « م » : « سوى مابقى يقرأ فى الصلاة » .

(٥) من هنا عن « م » وساقط من « ص » .

وقال الربيع : سمعتُ الشافعى يقول : عليك بالزُّهْدِ ، فالزُّهْد على الزَّاهِد أحسن من الحلى على الناهد .

وقال الربيع : سمعتُ الشافعى يقول : ما نظرتُ أحَدًا إلَّا تمنيتُ أنْ يكون الحق معه ، وفى رواية : تمنيتُ أنْ يظهَر الحقُّ على يديه ، ومعناه – كما قال البيهقىُّ رحمه الله : لن يستنكف [1] عن الأخذ به ، بخلاف خصمه ، فإنه قد يستنكف ، فلا يأخذ به .

وكان جَهْوَرِىَّ [2] الصوت ، وبلغ فى الكرم والشجاعة [ودقة] [3] الرمى ، وصحة الفِراسة ، وحُسن الأخلاق إلى الغاية . وقوله حُجَّة فى اللغة .

وقال عبد الرحمٰن بن مهدى : سمعتُ مالكًا يقول : ما أتى على قريش أفهم من الشافعى . وسمعت الربيع يقول : لو وُزِنَ عقل الشافعى بنصف أهل الأرض لَرَجَحَهُم ، ولو كان فى بنى إسرائيل لاحتاجوا إليه . وقال أحمد بن حنبل : ما مِنْ أحَدٍ مَسَّ بيده مِحْبَرة إلَّا وللشافعى فى عُنُقه مِنَّة [4] .

وذَكَر القاضى عياض فى المدارك عن الربيع أنه قال : كنا فى حلقة الشافعى جلوسًا [5] بعد موته بيسير ، فوقف أعرابىٌّ عليها وسَلَّمَ ثم قال : أين قمرُ هذه الحلقة وشمسها ؟ فقلنا : مات ! فقال : رحمه الله وغفر له ، كان يفتح ببيانه مُغْلَقَ الحُجَّة ، ويسدُّ فى خَصْمِه واضحَ المَحَجَّة ، ويغسل من العار وجوهاً مُسْوَدَّة ، ويوسع بالرأى أبواباً مُنْسَدَّة . ثم انصرف .

---

(١) لن يستنكف ، أى : لن يأنف أو يتكبر أو يمتنع عن الأخذِ به . وفى « م » : « أن » مكان « لن » . لا يصح .

(٢) جَهْورى : مرتفع .

(٣) مابين المعقوفتين عن المصادر السابقة ولم ترد فى « م » .

(٤) المِنَّة : الإحسان والفضل .

(٥) فى « م » : « جلوسًا ثَمَّ » أى : هناك .

وعن أحمد بن خلاد قال : قال لى رجل من أولاد الفضل بن الربيع (١) : بعث إلىَّ هارون الرشيد فى ساعة لم تكن العادة أنْ آتى فى مثلها ولا أُدْعَى ، فأسرعتُ إلى أنْ وقفتُ بين يديه ، فقال لى وهو فى غاية الحنق : يافضل ، قلت لبيك يا أمير المؤمنين . قال : ما فَعَلَ الحجازىُّ (٢) ؟ قلت : هو بالباب يا أمير المؤمنين . قال : أَدْخِلْهُ . فانطلقتُ وقلت له : ادخُلْ . فقام وهو يحرك شفتيه ، فلما دخلنا عليه قام له الرشيد ، وأقبل إليه يمشى ، ثم قال له : لم تَرَ من حقنا على نفسك أنْ تزورنا حتى بعثنا إليك ، وقد أمرْنَا لك بعشرة آلاف درهم . فقال : لا أَرَبَ لى فيها (٣) يا أمير المؤمنين . فقال له بالقرابة التى بينى وبينك إلَّا ما أَخَذْتَها ، احْمِلْهَا معه يافَضْل .

فلما خرجنا وسكن عنه الرعب قلتُ له : رأيتُكَ تحرك شَفَتَيْكَ بشىء ، فما الذى قُلْتَ ؟ قال : حَدَّثَنى مالك عن نافع عن عبد الله بن عُمر ، أنَّ رسول الله ﷺ دعا يوم الأحزاب على قريش فقال : « اللهم إنِّى أعُوذُ بنور قُدْسِك ، وعَظَمةِ طهارتك ، وبركة جلالك ، من كل آفة وعاهة ، ومِنْ طارقِ الليل والنهار ، إلَّا طارِقاً يطرق بخير ، يارحْمن . اللهم أنت مَلاذِى فَبِكَ أَلُوذُ ، وأنت عِيَاذِى فبك أُعُوذ ، وأنت غِيَاثى فبك أغوث . يامَنْ ذَلَّتْ له رقابُ الجبابرة ، وخضعت له مقاليد الفراعنة ، أعوذ بك من خزيك ، ومن كشف سترك ، ومن نسيان ذكرك ، والانصراف عن شكرك ، أنا فى كنفك ليلى ونهارى ، ونومى وقرارى ، وظَعَنى وأسفارى ، ذِكْرُكَ شِعَارِى ، وثَناؤُكَ دِثَارِى ، لا إلٰه إلَّا أنت ، تعظيماً لاسمك ، تكريماً لسبحات وجهك ، أَجِرْنى من خِزْيِكَ ومن شَرِّ عقابك ، واضرب علىَّ سُرادِقات حِفْظِك ، وأَدْخِلْنِى فى حفظ عنايتك ، وعُدْ عَلَىَّ بخيرٍ منك يا أرحم الراحمين » .

---

(١) فى « م » : « الفضل الربيع » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .
(٢) يريد بالحجازىّ : الشافعى . [وانظر القصة فى الحلية ج ٩ ص ٧٨ – ٨٠] .
(٣) أى : لا حاجة لى بها .

قال الفضل بن الربيع : فكتبتُ هذا الدعاء وحفظته ، فما دخلتُ على أَحَدٍ كنتُ أخافُ سطوته إلَّا كشفَ الله تعالى عنى سطوته . فهذا من أول بركات الشافعى رضى الله عنه .

وقال عبد المحسن العدوى رحمه الله تعالى : مانالنى شيء كرهته إلَّا صليتُ الصبح فى جماعة بالجامع العتيق بمصر ، ثم صعدتُ الكهف فصليت رَكْعَتى الضُّحَى ، ثم نزلتُ إلى قبر الشافعى فترحَّمْتُ عليه ، وسألتُ الله تعالى هناك فى كشف كربى إلَّا وجدتُ الإجابة . فعليكم بملازمة ذلك .

وحَدَّثَ هشام بن عمَّار ، مؤدب المتوكل على الله تعالى قال : سمعتُ المتوكل يقول : واحَسْرَتِى عَلَى محمد بن إدريس الشافعى ، كنتُ أحبُ أنْ أكون فى أيَّامه فأراه وأشاهده وأتعلم منه ، فإنى رأيت رسول الله ﷺ يقول فى المنام ثلاث ليالٍ متواليات : يا أيها الناس ، إنَّ محمد بن إدريس المُطَّلِبى قد سار إلى الله وخلف فيكم علمًا حسنًا فاتَّبِعُوهُ تهتدوا ، فإنَّ كلامه من سُنَّتِى . يا أيها الناس ، مَنْ تَرحَّمَ عَلَى محمد بن إدريس الشافعى غفر الله تعالى له ما أسَرَّ وما أعلن .

ثم قال المتوكل : محمد بن إدريس الشافعى بين العلماء كالشمس بين الكواكب - رحمة الله عليه .

وقال نفطويه فى أبيات له (*) :

مَثَــلُ الشَّافِعِــىِّ فى العُلَمَـــاءِ   مَثَلُ البَدْرِ فى نُجُومِ السَّمَـاءِ
قُـلْ لِمَـنْ قَـاسَهُ بـغير نَظِيـرٍ   أَيُقَـاسُ الضِّيَـاءُ بالظُّلْمَـاءِ ؟
كانَ واللهِ مَعْدِنًـــا لِعُلُـــومٍ   سَيِّـدَ النـاسِ أفْقَـهَ الفُقَهـاءِ
اقْتَدَى بِالنَّبِـىِّ فى حُسْنِ قَـوْلٍ   وأَقَـامَ البِـدار للسُّفَهَـاءِ

(*) فى وفيات الأعيان أنها من أمالى حَفَدَة العطاردى الفقيه الشافعى . انظر المصدر المذكور ج ٤ ص ٥٩٦ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٢٤٠ ، ومعنى من أماليه أى : من العلوم التى كان يمليها على تلاميذه .

ورُوِىَ عن أبى إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُزَنِىّ رحمه الله ، قال : رأيتُ النبىَّ ﷺ فى المنام ، فسألته عن الشافعى ، فقال عليه السلام : مَنْ أرادَ مَحَبَّتِى وسُنَّتِى فعليه بمحمد بن إدريس الشافعى المُطَّلِبى ، فإنه مِنِّى وأنا منه .

وقال أبو جعفر الترمذى : كنتُ أكتُب الحديث فخطر بقلبى الفقه ، وكنت بالمدينة النبوية ، فنمت تلك الليلة فرأيت رسول الله ﷺ ، فقلت : يارسول الله ﷺ ، أنْظُرُ فى رَأْىِ الشافعى ؟ فقال : لاتَقُلْ « رَأْى » تلك « سُنَّتِى » .

وقال بلال الخواص : كنتُ فى التِّيه فى طريق الحجاز فإذا برجل يُكانِعُنِى [1] ، فتعجبتُ ، ثم أُلْهِمْتُ أنَّهُ الخَضِر ، فقلت : بحق الحق ، مَنْ أنت ؟ فقال : أخوك الخَضِر . فقلت : أريد أنْ أسألك . قال : سَلْ . قلتُ : ماتقول فى الشافعى ؟ قال : هو من الأوتاد . قلت : فبأى شىء رأيْتُكَ ؟ قال : بِبِرِّكَ لوالدتك . قلت : فما تقول فى أحمد بن حنبل ؟ قال : رجل صِدِّيق . ثم استتر عنى .

وحُكِىَ عن محمد بن نصر المروزىّ المُحَدِّث ، ولم يكن يُحسن الرأى فى الشافعى ، قال : أُغفيتُ فى المسجد النبوى وأنا قاعدٌ ، فرأيتُ النبىَّ ﷺ ، فقلت : يارسول الله ، أكتب رأى فلان ؟ قال : لا . قلت : أكتُب رَأْىَ الشافعى ؟ فطأطأ رأسه كالغضبان وقال : لا تقل « رَأْىَ » ، ليس بالرأى ، هو رَدٌّ على مَنْ خالف سُنَّتى . قال : فخرجتُ فى إثْرِ هذه الرُّؤْيا إلى مصر ، وكتبتُ كُتُبَ الشافعى ، وصرتُ من أتباع مذهبه . وهذا محمد بن نصر ، من أصحاب الوجوه المشهورة .

ودخَلَ رجلٌ على الربيع بن سليمان المرادى [2] خادم الشافعى وصاحبه

---

(١) يُكانعنى ، أى : يقترب مِنِّى حتى يكاد يلاصقنى .

(٢) فى « م » : « المادرى » تحريف من الناسخ .

يعوده فى مرضه ، فقال للربيع : رأيتُ النبى ﷺ قائماً بحذاء الكعبة عند المقام ، فقلت : يارسول الله اختلفَ الناسُ بعدكَ ، إلى أنْ قلت : فما تقول فى محمد ابن إدريس الشافعى ؟ فقال ﷺ : ابن عَمِّى اتَّبَعَ سُنَّتِى ، اتبعْهُ تُرْشَد .

وقال أبو الحسن على بن أحمد الدينورى الزاهد : رأيتُ النبىَّ ﷺ فى المنام فقلت : يارسول الله ، بِقَوْلِ مَنْ آخُذُ ؟ فأشار إلى علىّ بن أبى طالب فقال : خُذْ بيد هذا فَأْتِ به ابن عمنا الشافعى ليعمل بمذهبه فَيُرْشَدُ ، ويبلغُ باب الجنة . ثم قال : الشافعى بين العلماء كالبدر بين الكواكب . ويكفيه هذا الثناء .

ويحكى عن الشافعى رحمه الله قال : رأيتُ النبىَّ ﷺ فى المنام فقال لى : ياغلام ، فقلت : لبيك يارسول الله ، فقال : مِمَّنْ أنت ؟ فقلت : مِنْ رَهْطِكَ يارسول الله ، فقال : أُدْنُ منى . فدنوتُ منه ، فَمَرَّ من ريقه على لسانى وشَفَتى وقال : امض باركَ الله فيك . فما أذكر أنْ لَحَنْتُ فى حَدِيثٍ بعد ذلك .

وأفْتَى الشيخ محيى الدين النواوى فيما لو حلفَ الحالفُ بالطلاق أنَّ الشافعى أفضلُ الأئمة فى عصره ، ومذهبه خير المذاهب ، أنه لايقع عليه الطلاق [1] .

وبالجملة فالكلام كثير على فضله . ولما مرض مرضه الذى مات فيه ، وذلك فى سنة ٢٠٤ هـ [2] ، أمْلَى وصية منه على إنسان صورتها : « هذا كتاب كتبه محمد ابن إدريس الشافعى فى شهر كذا ، فى سنة كذا ، وأَشْهَدَ اللهَ عالِمَ خائنة الأَعْيُنِ وما تُخْفِى الصدور ، وكفى به – جَلَّ ثناؤُه – شهيدًا ، ثم مَنْ سَمِعَهُ ، أنه يشهد أنْ لا إلٰـه إلَّا الله وحـده لا شريك لـه ، وأنَّ محمـدًا عبـده ورسولـه ،

---

(١) كرر الكاتب هنا سهوًا ماسبق أن ذكره ، من رواية « رؤيا نزع الخاتم من يد علىّ وجعله فى يد الشافعى » وقد وردت فى أول ترجمة الشافعى لذا تعمدنا عدم إثباتها هنا مرة ثانية .

(٢) حينما أحسَّ الشافعى باقتراب رحيله إلى عالم الخلد فى العام السابق على وفاته – أى : سنة ٢٠٣ هـ – حرر وصيتين اثنتين . واحدة فى صفر سنة ٢٠٣ هـ . والثانية فى شعبان سنة ٢٠٣ هـ أيضًا .
[انظر الوصيتين فى كتاب الإمام الشافعى لعبد الحليم الجندى ص ٢٩١ – ٢٩٣] .

ﷺ ، لم يزل يدين الله بذلك ، وبه يدين حتى توفّاه الله ويبعثه عليه لو شاء الله ، وأنه يوصى نفسه وجماعته ومَنْ سمع وصيته بإحلال ما أحَلَّ الله تعالى فى كتابه ، ثم على لسانِ نَبِيِّه ﷺ ، وتحريم ما حَرَّمَ الله فى الكتاب ثم فى السُّنَّة ، ولا يُجاوِزَنَّ من ذلك إلى غيره ، وإنَّ مُجاوَزَتَهُ تركُ فَرْضِ الله ، وتركُ الكتاب والسُّنَّة [١] وهما من المُحْدَثَات ، والمحافظة على أداء فرائض الله تعالى فى القول والعمل ، والكفّ عن مَحارِمه خوفًا لله تعالى ، وكثرة ذكر الوقوف بين يدى الله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مُحْضَرًا ، وما عملت من سوء تَوَدُّ لو أنَّ بينها وبينه أمدًا بعيدًا ، وأن يترك الدنيا حيث أذَلَّها الله ولم يجعلها دار مُقام ، إلَّا مقام مدة عاجلة الانقطاع ، وإنما جعلها دار عمل ، وجعل الآخرة دار قرار وجزاء بما عمل فى الدنيا من خير أو شر - إنْ لم يُعِنْهُ جل ثناؤهُ .. [٢] .

وأنْ يعرف المرء زمانه ، ويرغب إلى الله فى الخلاص من شر نفسه ، ويمسك عن الإسراف بقولٍ أو فعلٍ فى أمْرٍ لا يلزمه ، وأنْ يُخلص النِّيَّةَ لله فيما قال وعَمِلَ ، فإن الله يكفى مِمَّا سواه ولا يكفى منه شيء » .

ثم أكمل بعد هذا إقران [٣] الوصية بذكر ما أَوْصَى من عتق وصَدَقَة وغير ذلك . ثم قضى بعد ذلك [٤] .

قال يونس بن عبد الأعلى : دخلتُ عليه [٥] ، فقال لى : « يا أبا مُوسَى ، اقرأ عَلَيَّ مابعد العشرين والمائة من آل عمران وأَخِفَّ القراءة ولا تُثقل » . فقرأتُ عليه ، فلما أردتُ القيام قال : « لا تغفلْ عنى فإنِّى مكروب » .

---

(١) فى « م » : « وترك ماخالف الكتاب والسُّنَّة » وهذا وهْمٌ ولَيْس من الناسخ .
(٢) هنا فى « م » جملة مقحمة لا معنى لها أهملناها .
(٣) فى « م » : « ثم أكمل بعد هذه الإقران » .
(٤) قَضَى ، أى : توفى ، وكان ذلك عام ٢٠٤ هـ .
(٥) أى : على الشافعى ، وكان ذلك فى آخر لحظات حياته وهو يودع الدنيا .

ودخل عليه المُزَنِيُّ في صبيحة يومه فقال : كيف أصْبَحْتَ يا أستاذ ؟ قال : « أصبحتُ من الدنيا راحِلاً ، ولإخواني مفارقاً ، ولكأس المَنِيَّة شاربًا ، وعلى الكريم واردًا ، ولسوء أعمالي ملاقيًا »، ثم رمَق بطرفه إلى السماء واستعبر وأنشأ يقول :

إليكَ إلٰـهَ الخَلْقِ أَرْفَـعُ رَغْبَتِـي ... وإنْ كنتُ ياذَا المَنِّ والجُودِ مُجْرِمَا (١)
وَلَمَّا قَسا قَلْبِي وضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا (٢)
تَعَاظَمَنِـي ذَنْبِـي فَلَمَّـا قَرَنْتُـهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي ، كانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا (٣)
فَمَازِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُـودُ وتَعْفُـو مِنَّـةً وتَكَرُّمَـا
وَلَوْلاَكَ ما يغوى بإبليسَ عابدٌ ... فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمَا (٤)
فَإنْ تَعْفُ عَنِّي تَعْفُ عَنْ مُتَمَرِّدٍ ... ظَلُومٍ غَشُومٍ لا يُزَايِلُ مَأْثَمَا (٥)
وَإنْ تَنْتَقِمْ مِنِّي فَلَسْتُ بِـآيِسٍ ... وإنْ دَخَلَتْ نَفْسِي بجُرْمِي جَهَنَّمَا (٦)
فَذَنْبِي عَظِيمٌ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ ... وعَفْوُكَ ياذَا المَنِّ أَعْلَى وأَجْسَمَا (٧)

وتوفي – رضي الله عنه – في ليلة الجمعة بعد المغرب ، كما قال الربيع ، قال : وكنتُ عنده ، ودُفِنَ يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من شهر رجب ، وانصرفنا من جنازته فرأينا هلال شعبان سنة ٢٠٤ هـ .

---

(١) قوله « مجرمًا » عن الديوان ولم ترد في « م » . [انظر ديوان الشافعي بتحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي] .

(٢) هكذا في « م » .. والشطرة الثانية من البيت في الديوان : « جعلتُ الرَّجَا مني لِعَفْوِك سُلَّما » .

(٣) تعاظَمني : عَظُمَ عليَّ .

(٤) هكذا البيت في « م » .. والشطرة الأولى من البيت في الديوان : « فلولاكَ لم يَصْمُدْ لإبليسَ عابدٌ » .

(٥) في « م » : « ما يزال مأثَما » وما أثبتناه عن الديوان ، وكلاهما صحيح الوزن والمعنى .

(٦) هكذا في « م » .. وفي الديوان جاءت الشطرة الثانية من البيت هكذا :

« ولو أَدْخَلوا نَفْسِي بجرمٍ جَهَنَّمَا »

(٧) في الديوان : « فَجُرْمِي » مكان « فذنبي » .. وفيه « وعفوك يأتي العبد » مكان « وعفوك ياذا المَنِّ » .

كما ذكر بعضهم حاكياً عن المُزَنِيّ : نَاحَتِ الجِنُّ ليلة مات الشافعيُّ .
ودُفِنَ – رضى الله عنه – بمقبرة بنى عبد الحكم . قال الفضل بن أبى نصر :
قرأتُ على قبر الشافعى – رضى الله عنه – بمصر ، فى مقابر بنى عبد الحَكَم .

وعلى جانب القبر : هذا ما شهد محمد بن إدريس : أنْ لا إلٰه إلَّا الله
وحده لا شريك له ، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهُدَى وَدِينِ الحق بشيرًا
ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجاً منيرًا ، ويشهد أنَّ الجَنَّة حق ، والنار حق ،
والموت حق ، وأنَّ الله يبعثُ مَنْ فى القبور . على هذه الشهادة حَيِيَ محمد بن
إدريس ، وعليها مات ، وعليها يُبْعَثُ إنْ شاء الله مِنَ الآمنين .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذنبه ، ونَوِّرْ قبره [1] ، وَاحْشُرْهُ مع نبيِّهِ ﷺ ، واجْعَلْهُ من
رفقائه ، آمين ياربَّ العالمين .

وقال أبو عبد الله الحسن بن جعفر الورَّاق ببغداد : قرأتُ على حَجَرٍ عند
قبر الشافعى من جهة رأسه بيتين ، وهما فى نفس الحجر :

قَدْ وَفَيْنَا بِنَذْرِنَا يَابْنَ إدْرِيس (م) وَزُرْنَاكَ مِن بِلادِ الْعِرَاقِ
وقَرَأْنَا عليكَ ماقد حَفِظْنَا مِنْ كلامِ المُهَيْمِنِ الخَلَّاقِ

وحَدَّثُونا أنَّ إنساناً من أهل العراق ، من أَجِلَّةِ الفُقَهاء ، نَذَرَ بالعراق أنْ
يخرج إلى مصر ، ويختم عند قبر الشافعى أربعين ختمة ثم يرجع ، فخرج مسافِرًا ،
وختم أربعين ختمة ، وحفر هذين البيتين فى الحَجَر المنصوب على رَأْسِ القبر .

وقيل : لَمَّا دُفِنَ الشافعى وقف المُزَنى على قبره وقال :

سَقَى الله هَذَا القَبْرَ مِنْ أَجْلِ مَنْ بِهِ مِنَ العَفْوِ ما يُغْنيهِ عَنْ طَلَلِ الْمُزْنِ
فَقَد كَانَ كُفْوًا لِلعِدَاةِ ومَعْقِلاً وَرُكْنًا لِهَذَا الدِّين ، بل أَيُّمَا رُكْنِ

---

(١) فى « م » : « قلبه » .

وقال غيرة :

لِلّهِ دَرُّ الثَّرى ما ضَمَّ من كَرَمٍ بالشّافِعِيِّ خليفَ السُّقْمِ والسَّهَرِ
ياجَوْهَرَ الجَوْهَرِ المَكْنُونِ مِنْ مُضَرٍ ومِنْ قُرَيْشٍ ومِنْ سَادَاتِهَا الأُخَرِ
لَمَّا تَوَفَّيْتَ وَلَّى العِلْمُ مُكْتَئِبًا وَضَرَّ مَوْتُكَ أَهْلَ البَدْوِ والحَضَرِ

وبلغ سِنُّ الشافعى – رحمه الله تعالى – يوم مات أربعاً [١] وخمسين سنة ، فإنه ولد – رضى الله عنه – بغزة – وقيل بعسقلان – وقيل بل بغزة وحَمَلَتْهُ أمه إلى عسقلان كما نقل ذلك ابن عبد الحَكَم فى سنة خمسين ومائة ، وهى السنة التى تُوفى فيها أبو حنيفة . وكان يُخَضِّبُ لحيته بالحنَّاء . وخَلَّف من الأولاد ولده محمدًا المكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا عثمان ، وقيل : بل إنَّ أبا عثمان ولد آخر . وولده المكنى أبا الحسن ، وابنته فاطمة وزينب .

ودُفِنَ حول قبره جماعة من بنى عبد الرحمٰن بن عوف الزهرى وغيرهم [٢] .

قبر عبد الله [٣] بن عبد الحكم :

وإلى جانب قبره من القبلة عبد الله بن عبد الحَكَم بن أعين بن ليث بن رافع القُرَشِى ثم المصرى . قَدِمَ أعين إلى الإسكندرية [٤] وَوُلِدَ له بها عبد الحَكَم . وكان عبد الله فقيهًا كاتبًا عزيز المنزلة [٥] عند السلطان . وقد توفى سنة ٢١٢ هـ وكانت ولادته فى سنة ١٥٤ هـ .

---

(١) فى « م » : « أربع » لا تصح ، والصواب بالنصب .
(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » والمشار إليه فى الهامش رقم (٥١٢) .
(٣) فى « ص » : « الشيخ أبو محمد عبد الله » والعنوان لم يرد فى « م » .
(٤) فى « ص » : « لما قدم مصر سكن الإسكندرية » .
(٥) فى « ص » : « له منزلة » .

وبجانبه قبر وَلَدَيْه عبد الرحمٰن ومحمد ، أمَّا محمدٌ فكان عالمًا وَرِعًا ، وكان أحد الأئمة المشهورين ، حَدَّث عن محمد بن إدريس الشافعى وغيره [١] ، كابن وهب ، وابن عياض ، وإسماعيل بن مرزوق ، والحسن بن الفرات .

وكان ثقة ، ووَلِىَ القضاء بمصر ، وهو الذى استقبل الشافعى لَمَّا قَدِمَ بألف دينار . وتوفى سنة ٢٦٨ هـ .

وبجانبه [٢] فى قبره عبد الرحمٰن ، وهو صاحب كتاب « فتوح مصر » ، وله من المؤلفات غيره . وكان عالماً فاضلاً ذكيًّا ، وتوفى يوم الخميس الرابع عشر من المحرم الحرام سنة ٢٥٧ هـ .

وبجانبهم قبر أبى الحسن المقرىء المعروف بالحبّال [٣] . كان من خِيار خَلْقِ الله تعالى ، وسمع الكثير ، وحَدَّثَ عن أبى الفتح ، وأبى الحسن على بن الحسين ابن عز الدين الموصلى ، وأبى عيسى بن خليل بن غلبون ، وغيرهم .

ومن مروياته من طريق مروان بن الحكم : قال مروان : قلت لعائشة : هل كان النبى ﷺ يقول : « لو أنَّ لِابنِ آدَمَ جَبَلَيْنِ من ذَهَبٍ لَابْتَغَى لهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلَّا التراب ، ويتوب الله على مَنْ تاب » [٤] ؟

قبر العَلَّامة نجم الدين بن الموفق الخُبُوشانِيّ [٥] :

ويلى قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعى من الشرق قبر العلَّامة الفاضل نجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد بن على بن الحسين الخُبُوشانىّ ، الفقيه الصوفى

---

(١) فى « ص » : « وغيره من الأئمة – رحمة الله عليهم – وكان ثقة » ولم يذكر الأئمة الذين حَدَّثَ عنهم ، وهم هنا عن « م » .

(٢) من أول هنا عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) فى « م » : « المقرى المعروف بالحيال » .

(٤) هكذا الحديث فى « م » ولم يثبت فيها الرد بالإيجاب أو النفى . والحديث صحيح ، رواه البخارى فى الرقاق ، ومسلم فى الزكاة ، وابن ماجه فى الزهد ، والترمذى فى الزهد ، والدارمى فى الرقاق .

(٥) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى طبقات الشافعية ج ٧ ص ١٤ – ١٦ ، ووفيات =

الشافعى [(١)] . يُكْنَى أبا البركات ، مَوْلِدُه بِأُسْتَوَى خُبُوشان فى سنة ٥١٠ هـ ، وهى بلدة بنواحى نيسابور ، وأُسْتَوى ناحيةٌ كثيرةُ القُرَى من أعمال نيسابور ، قال ذلك بعض [(٢)] المؤرخين .

وتفقّه المذكورُ عَلَى محمد بن يحيى [(٣)] تلميذ الغزالى ، وحَدَّثَ عن أبى الأسعد هبة الرحمٰن بن عبد الواحد القُشَيْرِى . وقَدِمَ مصر سنة ٥٦٥ هـ واستوطنها ، وأقام ببعض المساجد ، وذلك فى دولة العبيديين ... والمسجد قيل : هو بباب الجوانية ، ثم انتقل إلى القرافة ، وجاور بتربة الإمام الشافعى . ولمَّا مَلَكَ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر ، أفتاه بقتل « العاضد » [(٤)] ، وأشار عليه ببناء المدرسة الصلاحية [(٥)] المجاورة لضريح الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، فَقَبِلَ ذلك منه وبناها [(٦)] .

= الأعيان ج ٤ ص ٢٣٩ و ٢٤٠ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٦ و ٤٠٧ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ١١٥ و ١١٦ ، وشذرات الذهب ٤ ص ٢٨٨ ، والعبر للذهبى ج ٣ ص ٩٥] .

(١) فى وفيات الأعيان : أنه دُفِنَ فى قُبَّةٍ تحت رجلى الشافعى ، وبينهما شباك .
[انظر المصدر المذكور ج ٤ ص ٢٤٠] .

(٢) فى « م » : « بعد » تصحيف .

(٣) هو محمد بن يحيى بن أبى منصور النَّيْسَابورى الملقب محيى الدين،فقيه شافعى ، أستاذ المتأخرين وأوحدهم علمًا وزهدًا ، ولد سنة ٤٧٦ هـ ، وتفقه على الإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى ، وأبى المظفر أحمد بن محمد الخواف . انتهت إليه رياسة الفقه بنيسابور وقتله الغُزُّ سنة ٥٤٨ هـ لَمَّا استولوا على نيسابور فى وقعتهم مع السلطان سنجر السلجوق .
[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ١٣٧ ، وطبقات الشافعية للسبكى ج ٧ ص ٢٥ - ٢٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٢٣ و٢٢٤ ، والعبر للذهبى ج ٣ ص ٧ و ٨ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٠٥ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ١٥١] .

(٤) هو العاضد عبد الله العبيدى صاحب مصر . [انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٠٩ - ١١٢ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٣٤ - ٣٥٧] .

(٥) فى « م » : « المدرسة الصالحية » تصحيف ، وما أثبتناه عن حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٦ نسبه إلى صلاح الدين .

(٦) فى « م » : « وبناه » لا يصح ، فالضمير يعود على المدرسة المذكورة .

وسمعتُ من بعض الفقهاء أن المنقوش فى الرخام الذى [١] بباب المدرسة المذكورة ما شَرَطَهُ الواقف ، وصورة الشرط : « هذه المدرسة موقوفة على الشيخ نجم الدين الخُبُوشانى ، والفقهاء الشافعية الأُصولية الأشعرية » إلى آخره ..

واستمر المذكور يُدَرِّسُ بها ، ولم يأكل شيئًا [٢] من وَقْفِهَا ، ولم يأكل من مال الملوك درهمًا ، وكان علاَّمَةً قليل النظير فى وقته فى الزهد ، وكان يستحضر « المحيط » [٣] لمحمد بن يحيى – على ما قيل – حتى أنه عَدِمَ الكتاب فأملاه من خاطره .. ورأيتُ له كتاب « تحقيق المحيط » وهو فى ستة عشر مجلدًا . وصنف أيضًا فى الخلاف . وتوفى يوم الأربعاء ثانى عشر [٤] ذى القعدة سنة ٥٨٧ هـ .

وكان السلطان صلاح الدين يقربه ويكرمه ويعتقد فيه ، وقيل : حَضَرَ إليه الملك العزيز وصافَحَه ، فدَعَا بماءٍ وغسل يده وقال : ياولدى ، إنك تُمْسِكُ العِنَان [ولا يُتَوَقَّى الغِلْمَان عليه] [٥] فقال له : نعم ، واغْسِلْ [٦] وَجْهَكَ فإنكَ بعد المصافحة لَمَسْتَ وجهك . فقال : نعم . وغسَل وجهه .

وكان إذا رأى ذِمِّيًّا راكبًا قصد قَتْلَه . وكان أهل الذِّمَّة يتحامونه .. ولما مات دُفِنَ فى الكساء الذى حَضَر فيه من خُبُوشَان .

ويقال : إنَّ « العاضد » خليفة مصر رأى فى منامه – آخِرَ دولته – أن عقرباً [٧] خرجت إليه من مسجد [معروف] فى مصر ولسعته [٨] ، فلما قَصَّهُ

---

(١) فى « م » : « التى » لا تصح .

(٢) فى « م » : « شىء » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) هو كتاب « المحيط فى شرح الوسيط » .

(٤) فى « م » : « ثامن عشر » وما أثبتناه عن السيوطى والوفيات ، وهو الصحيح .

(٥) مابين المعقوفتين سقط سهوًا من الناسخ فى « م »،وقد أثبتناه عن طبقات الشافعية ج ٧ ص ١٦ . ويتوق : يُصان عن الأذى ويُحفظ .

(٦) فى « م » : « وامسح » . وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٧) فى الطبقات : « حية » . [انظر طبقات الشافعية ج ٧ ص ١٨] .

(٨) فى « م » : « فلذعته » ، ومابين المعقوفتين عن المصدر السابق .

على المُعَبِّر قال : ينالُكَ مكروهٌ من شخصٍ مقيم فى المسجد الفلانى [فأرسَلَ جماعة فى صبيحة ليلته إلى ذلك المسجد ، فما رَأَوْا فيه إلَّا شخصًا أعجميًّا فقيرًا ، فَرَدُّوهُ إليه] (١) فلما رَآهُ سأله : من أين حَضَرَ (٢) ؟ ومَتَى قَدِمَ ؟ فكلما يسأله عن شيء يجيبه . فَلَما ظهرَ له حاله وضعفه وعجزه عن إيصال مكروه منه (٣) أعطاه شيئًا وقال : ياشيخ ، أُدْعُ لنا ، وأَطْلَقَهُ . فلما استولى السلطان صلاح الدين وعزم على القبض على « العاضد » استَفْتَى الفقهاء فى خَلْعَه (٤) ، فكان أكثرهم مبالغة فى الحطِّ على العاضد وأشدهم قيامًا فى أمره ذلك الشيخ المقيم فى المسجد ، الذى أحضره (٥) .

* * *

ثم تأتى إلى [قبر] (٦) القاضى عبد الوهاب ، وتنحرف إلى الخندق ، ثم تُشَرِّق قليلاً تجد قبرًا (٧) كان عليه رخام مكتوب عليه : الحسين بن كثير (٨) .

قبر الإمام وَرْش المَدَنى (٩) :

ثم تمرُّ مُستَقْبِلاً (١٠) ، تجد قبر الإمام الفاضل عثمان ، المُلَقَّب بِوَرْش

---

(١) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق ، وقد ورد فى « م » مضطرب السياق .

(٢) فى « م » : « من أين حضوره » .

(٣) فى « م » : « منه إلى العاضد » .

(٤) فى الوفيات : « فى قتله » .

(٥) فى « م » : « ذلك الصوفى الذى أحضره » ، يعنى الخُبوشانى ، وذلك لما كان عليه العاضد وأشياعه من فساد العقيدة .

[انظر الوفيات ج ٣ ص ١١١ والمصادر السابقة] .

(٦) مابين المعقوفتين من عندنا .

(٧) فى « م » : « قبر » خطأ ، والصواب بالنصب .

(٨) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٩) فى « ص » : « قبر الشيخ أبى عمرو عثمان بن سعيد المعروف بوَرْش المدنى » . وهو عثمان ابن سعيد بن عدى المصرى ، من كبار القراء ، غلب عليه لقب « ورش » لشدة بياضه ، ولد سنة ١١٠ هـ وتوفى سنة ١٩٧ هـ . [انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ٢٠٥ ، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبى ج ١ ص ١٢٦ – ١٢٨ – الطبقة الخامسة ، وتحفة الأحباب ص ٣٢٣] .

(١٠) أى : ناحية القبلة . وهذا القبر موجود الآن بداخل مدفن عبد الفتاح بك محرم ، أحد قضاة =

المَدَنِىّ ، المكنى أبا عمرو ، صاحب الرواية ، كان من أكابر القُرَّاء [١] . والوَرْش جنس من اللبن ، لُقِّبَ به لشدة بياضه [٢] ، وكان كاتبًا للقاضى أبى الطاهر عبد الحَكَم بن محمد الأنصارى ، وتوفى سنة ١٩٧ هـ .

وحُكِىَ [٣] عنه أنَّ لِصًّا جاء إلى بابه فوجَدَهُ حصينًا ، فقال : يُحتمل أن يكون فى داخل هذا الباب مالٌ كثير ، فلابد من دخولى فى داخله ، فأراد فتح الباب فلم يقدر ، فاستعان بنجار ودفع له درهمًا ، ففتح له الباب ، ودخل الدَّار ليأخذ ما فيها ، فوجد فيها إبريقاً مكسورًا وجَرَّةً مكسورة ، ولم يجد قليلاً ولا كثيرًا ، فقال فى نفسه : جئتُ أَسْرِق [فسرقونى] [٤] ، فبينما هو كذلك إذ جاء وَرْش فرآه جالسًا فى الدار ، فقال له : مَنْ أَدْخَلَكَ هنا ؟ فقال : أنت نَصَبْتَ على الناس بِبَابِكَ الوثيق ، دخلتُ لآخُذ شيئًا [٥] واستعنتُ على فتح الباب بدرهم كان معى ، فلما دخلت لم أجد قليلاً ولا كثيرًا ! فقال له : هل لك فى مصاحبتى ؟ قال : نعم . ثم جلس معه ، فجاء تلامذة الشيخ ، فقص عليهم قصته ، فدفعوا له شيئًا كثيرًا [٦] ، ثم قال له ورش : استَغْفِرِ الله . فجلَسَ واستغفَرَ الله مائة مرَّة ، ولمَّا فرغ قال للشيخ : ياسيدى استغفرت الله مائة مرة ، فقال له : هل هى بصدقٍ أو بغيره ؟ فقال : بل بصدق ياسيدى ، قال : سوف تَرَى أَثَرَ ذلك ، فَاجْلِسْ قليلاً ، فجلس يتحدث مع الشيخ ، وإذا بالباب يطرق ، فقال : انْظُرْ مَنْ بالباب . وإذا بالباب غُلامُ الخليفة ، [فَسَلَّمَ

= المحاكم الأهلية ، وهو يقع على شارعى الفارسى وابن حبيش ، فى اتجاه شارع ابن الجباس المحدود من الجهة البحرية بمدفن موسى باشا غالب . [انظر تحفه الأحباب ص ٣٢٣ حاشية] .

(١) فى « ص » : « كان قارئ مصر ، ويُعد أحد القُرَّاء المشهورين » .

(٢) فى « ص » : « فَلُقِّب به ، لأنه كان شديد البياض » .

(٣) هذه الحكاية وردت فى « ص » مختصرة . وفيها اختلاف فى بعض ألفاظها ولا يؤثر ذلك فى المعنى ، وما أثبتناه هنا عن « م » .

(٤) مابين المعقوفتين عن التحفة ولم ترد فى « م » .

(٥) فى التحفة : « ظننتُ أن فى بيتك شيئًا آخُذه » .

(٦) فى « ص » : « ودفعوا له شيئًا كثيرًا ، ومات عند رجليه » . وانتهت الحكاية عند هذا الحد . ثم أتى بعدها بترجمة شيبان الراعى .

وقال : الخليفة] [١] أرسل لكم هذه الصُّرَّة ، ويسلم عليكم ويقول لكم : ادفعوها إلى مُستحقها . فقال له : سَلِّمْ عليه وقُلْ له : قد سَبَقَها مُستحقُّها ، فأعطَى الصُّرَّةَ للرَّجُل ، وإذا بالمطر قد نزل من السماء ، فقال له : أَبْشِرْ ، فإنَّ زَوْجَتَكَ تَضَعُ ذكرًا . فذهب الرجل إلى منزله فوجد زوجته قد وضعت ذَكَرًا ، فاشترى لها مايقوم بحالها ، ثم عاد إلى الشيخ وقال : ياسيدى ، ماتعجبت من المالية [٢] كيف حصلت ، إنَّما تعجبتُ من قولك : زوجتُكَ تضع ذكرًا ، وقد وضعت !

فقال : يابُنَىَّ ، أخَذْتُ ذلك من كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ فقلتُ استغفروا رَبَّكُمْ إنَّهُ كان غَفَّارًا * يُرسِل السَّمَاء عليكم مِدْرَارًا * ويُمْدِدْكُم بأَمْوالٍ وبَنِينَ ويجعل لكم جَنَّاتٍ ويجعل لكم أنهارًا ﴾ [٣] فلما أَنْ حَصَلَ الاستغفار والمالية والمطر ، اسْتَدْلَلْتُ [٤] بهذه على الولد .

ثم تاب الرجل وَلَزِمَ خدمة الشيخ إلى أن مات ، ودُفِنَ تحت رجليه .

تربة الشيخ الزاهد شيبان الرَّاعِى [٥] :

ثم تمضى إلى تربة الشيخ الصالح شيبان ، واسمه محمد [٦] بن عبد الله

---

(١) مابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة المعنى .

(٢) هكذا فى « م » .. ويريد بها حكاية الصُّرَّة التى أُرسلت إليهما من الخليفة .

(٣) سورة نوح – الآيات من ١٠ – ١٢ .

(٤) فى « م » : « استدليت » .

(٥) العنوان من عندنا – [انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ٨ ص ٣١٧ ، وتحفة الأحباب ص ٣٢٤ و ٣٢٥ ، والكواكب السيارة ص ١٩٢ و ١٩٣] .

(٦) هكذا فى « م » والتحفة والكواكب السيارة .. وفى الحلية : « أبو محمد » .

المعروف بالراعى ، أحد زُهَّاد الدنيا ، سَمِعَ قارئًا يقرأ [(١)] ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه ﴾ [(٢)] ، فذهَبَ فارًّا على وجهه ، ثم عادَ بعد عامٍ [(٣)] فقيل له : لِمَ هَرَبْتَ ؟ قال : مِنْ هذا الحساب الدقيق .

ورَوَى زيد بن الحبَّال المقرىء عن سفيان الثورى ، قال : خرجتُ حاجًّا أنا وشيبان الراعى ، فلما كنا فى بعض الطريق عارَضَنا أسدٌ ، فقلت لشيبان : أمَا ترى هذا الكلب قد عَرَض لنا [(٤)] ؟ فقال : لا تَخَفْ . فما هو إلَّا أنْ سمع كلام شيبان فبصبص [(٥)] وضرب بذَنَبه مثل الكلب . فَالْتَفَتَ إليه شيبان وعَرَكَ أُذُنه [فَوَلَّى هاربًا] [(٦)] فقال له سفيان : ما هذه الشهرة ؟ فقال : وأى شهرة ياثوريُّ ؟ لولا كَراهَة الشهرة ما حملتُ زادِى إلى مكة إلَّا على ظهره !

وقيل : إن رابعة العدوية مَرَّتْ به وقالت له : إنى أريد الحج [(٧)] إلى بيت الله الحرام . فأَخْرَجَ لها من جيبه ذهبًا وقال لها : اجعلى هذا فى مصلحتك للحج . فَمَدَّتْ يدها إلى [الهواء] [(٨)] وقالت : أنت تأخذ من الجيب ، وأنا آخذُ من الغيب ، وإذا كفّها مملوءٌ ذهبًا ، فمضَى معها على التوكل .

ومَرَّ الشافعى هو وأحمد بن حنبل – رضى الله عنهما – على شيبان ، رضى الله عنه ، فأراد الشافعى أنْ يَقْصِدَ إليه للسلام عليه ، فقال له أحمد [(٩)] : إنَّ

---

(١) فى « ص » : « قُرِئَ عليه » .

(٢) سورة الزلزلة – الآيتان ٧ و ٨ .

(٣) فى « ص » : « فذهب على وجهه ، فلم يُرَ سَنَةً ، فلما كان بعد السَّنَة رُئِىَ » .

(٤) « لنا » عن « ص » .

(٥) فى « م » و « ص » : « بصبص » أى : حَرَّكَ ذيله .

(٦) مابين المعقوفتين عن السخاوى .

(٧) فى « م » : « أريد منك الحج » وما أثبتناه عن السخاوى .

(٨) مابين المعقوفتين عن السخاوى ولم ترد فى « م » .

(٩) فى « م » : « فقال أحمد والمُزَنى » .

الله لا يتخذ وليًّا جاهلاً . فقال له [الشافعى] [١] : سَلْهُ . فتقدم إليه [٢] فقال له : كَمْ يَلْزَمُكَ زَكاةً على غَنَمِك ؟ فقال : مذهبكم فى كُلِّ أربعين رَأْسٌ [٣] . فقال له : وهل مذهبك غير ذلك ؟ قال نعم .. الكل لله [٤] . قال له : ما الدليل على ذلك ؟ قال : ما قال أبو بكر رضى الله عنه حين قال له ﷺ : ما خَلَّفْتَ لعيالك ؟ قال : الله ورسوله ... فقال : ما يلزَمُكَ إذا سَهَوْتَ فى الصلاة ؟ فقال : إنْ كان على مذهبكم فسجدتين ، وإنْ كان على مذهبى فأُعيد الصلاة . فقال له : ما [٥] الدليل ؟ فقال : قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذِكْرِ الله ﴾ [٦] . فأُعيدها عقوبة لما ادعيتُ ، ويجب عَلَيَّ حَدٌّ ، وهو أنْ أُضْرَبَ بالجريد ويُقال لى : هذا جزاءُ قَلبٍ غَفَلَ عن الله تعالى .

فقال له : ما حقيقة المعرفة ؟ فقال له : نُورٌ فى القلب . ثم وَلَّى [٧] ، فقال أحمد : أَتَيْتُ إلى مَنْ يفتى فى الشرع والحقيقة [٨] .

ولَمَّا ماتَ « المُزَنِىُّ » – رحمه الله تعالى – أَوْصَى أَنْ يُدْفَن قريبًا منه وقال : إنه كان عارفًا بالله تبارك وتعالى [٩] .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٢) فى « ص » : « فتقدم أحمد إلى شيبان رضى الله عنه » .

(٣) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « فقال : على مذهبكم ؟ قال : نعم . قال : الكل لله » والسياق بهذه الصورة سقطت منه بعض العبارات ، وستأتى .

(٤) فى « م » : « الكل لله زكاة » .

(٥) « ما » عن « ص » .

(٦) سورة النور – من الآية ٣٧ .

(٧) فى « م » : « وَلَّى وغاب فلم يره » .

(٨) فى « م » : « وفى مذهب الحقيقة » .

(٩) فى « ص » : « ولما مات المزنى قال : « ادفنونى قريبًا منه ، فإنه كان عارفًا بالله » .

وكانت الذئاب ترتع مع غنمه فى المَرْعَى ، قال ابن وهبان : جئتُ إلى بئر فلم أجد عليها سِقَاءً [١] ، فوقفتُ فإذا شيبان قد أقبل بِغَنَمِه ، فقلت : لَعَلَّ معه السِّقَاء والحبل فَأَشْرَبُ وأَنْصَرِف . فرأيته قد بَسَطَ يديه ثم قال للغنم : اذهبى فَاشْرَبِى . فَأَتَتِ الغنم إلى البئر ، فارتفع الماء إلى فم البئر [٢] .

ورُوِىَ أنه أَتَى إلى بَرِّيَّةٍ [٣] قليلة الماء ، فَأَخَذَتْهُ سِنَةٌ من النوم ، فنَامَ فَأَجْنَبَ [٤] ، فبقى حائرًا فى الغُسْلِ ، فَهَمْهَمَ [٥] ، فأتته سحابة فَمَطَرَتْ عليه ، فاغْتَسَلَ ، وعُرِفَ [٦] هذا المكان بإجابة الدعاء ، ولم يَزَلِ المشايخ يتذاكرون شيبان بهذا المكان ، وقال بعضهم : إنه بأرض الشام . وببركته يُستجاب الدعاء بهذا المكان حيث كان ، والأصل فى الزيارة إخلاص النِّيَّة .

وفى تربته قبر سليمان اليشكرى ، ويُكْنَى أبا الربيع ، تُوفى سنة ٣٢١ هـ . وإلى جانبه قبر محمد المؤذن بالجامع الحاكمى . ثم تخرج إلى قبر الخياط [٧] ، وهو فيما بينه وبين المُزَنى . كان رَجُلاً صالحاً من أرباب الأسباب وأهل الحال .

قبر المُزَنِىّ صاحب الشافعى ، رضى الله عنهما [٨] :

هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المُزَنِىّ [٩] ،

---

(١) السقاء : وِعاء من جلد يكون للماء .

(٢) من قوله : « وكانت الذئاب ترتع مع غنمه » إلى هنا عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) البرِّيَّة : الصحراء . وفى « ص » : « تربة » .

(٤) أَجْنَبَ : صار جُنُبًا . وفى « ص » : « فَجَنُبَ » وهى بمعناها .

(٥) همهم : تكلم كلامًا خفيًّا يُسمع ولا يُفهم مدلوله .

(٦) من هنا إلى قوله : « قبر الخياط » عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » . وقد ورد اسم الخياط فى تحفة الأحباب ص ٣٢٤ ، واسمه « شاور الخياط » .

(٨) العنوان عن « ص » .. وفى « م » : « ذكر تربة الإمام إسماعيل المزنى » . وهذه التربة معروفة للآن وتقع بشارع ابن بقاء خلف مدرسة الإمامين بداخل حوش يعرف بحوش رضوان أغا ، ويعرف بالمزنى . [انظر تحفة الأحباب ص ٣٢٥ حاشية » .

(٩) [انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ٣٢٩ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢١٧] .

صاحب الشافعى ، نسبته إلى قبيلة من العرب تُسمى مُزَيْنَة [(١)] ، وهو مصرى ، كان من كبار العلماء ، جَمَعَ بين العِلْم والزهد والورع والعبادة [(٢)] .

ورَوَى [(٣)] عنه أبو جعفر الطحاوى ، ومحمد بن إسحاق بن خُزَيْمة ، وأحمد بن محمد بن حسين الصابونى ، وعبد الرحمٰـن بن أبى حاتم الدَّارى ، وأحمد بن عبد الرحمٰـن الجارود ، وغيرهم . وكان من الثقات ، وكان أَنْقَلَ أصحاب الشافعى لأقواله ، وكان زاهدًا ، ورعاً ، مِحْجَاجاً ، مجتهدًا ، غَوَّاصًا على دقائق الفقه ، عارفًا بنكته .

قال الأنماطى : قال المُزَنى : أنا منذ [(٤)] خمسين سنة أنظر فى كتاب الرسالة للشافعى ، ما نظرتُ فيه مرة إلَّا استفدتُ منه مالم أستفد قبل .

وكان كثير العبادة ، ملازماً للسُّنَّة ، مِنْ أعرف الناس بإرادات الشافعى [(٥)] ، بحيث يُقَدَّمُ نَقْلُه عنه على كل نقل ، وذلك لعدالته وتحقيقه لمذهبه . وعنه انتشر مذهب الشافعى انتشارًا كبيرًا [(٦)] ، وذلك بإشارة الشافعى حيث قال : « المزنى صدرى .. المُزَنى ناصر مذهبى » .

وكان المُزَنى قبل دخول الشافعى [مصر] [(٧)] بليدًا ، لا إِلْمَامَ له بالعلم ، فلما دخل الشافعى رَأَى الناسَ يزدحمون عليه ، فقال : ما بال الناس يزدحمون على هذا الرجل الحجازىّ ؟ قالوا : لعلمه . فقال : وما لى لا أقرأ العلم .

---

(١) فى « م » : « مزينة ، وهم جمعٌ كثير » .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « أزهد علماء مصر ، وإمام الشافعيين فى وقته ، تفرَّد عن الشافعى برواية كتاب السنن وأحاديث من المأثور ، يقال إنها ألف حديث ، يرويها عنه أبو جعفر الطحاوى .

(٣) من هنا إلى قوله : « ثم يرجع » عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) فى « م » : « من منذ » .

(٥) أى : أعرفهم بطُرقه وفتاويه وما ينقله عنه .

(٦) فى « م » : « كُليًّا » .

(٧) مابين المعقوفتين عن السخاوى .

قال المزنى : فجئتُ إليه وصَحِبْتُه وقرأتُ عليه ، وكنت أحفظ فى اليوم مائة سطر ، وقرأتُ كتاب الرسالة له عليه غير مرة ، واستفدتُ منه فوائد كثيرة . وكان يقول لى : عليك بالعُزْلَة تتفقه . وكان يقول لى : يامُزَنِيُّ ، إيَّاك والهَوَى ، فإنه يَهْوِى بكَ إلى جهنم !!

ومِمَّا نُقِلَ عن الشافعى أنه قال : « كان المُزَنِيُّ بليدًا تنقصه المواظبة » .

وصَنَّفَ المُزَنِيُّ تصانيف ، منها الجامعان : الكبير والصغير ، ومختصر المختصر ، والمنثور ، والمسائل المعتبرة [1] ، والترغيب فى العلم ، وكتاب الوثائق . وكان فى أثناء تصنيفه لكتابه « المختصر » كلما فرغ من مسألة قام إلى المحراب وصَلَّى ركعتين شكرًا لله تعالى . وانتفع [2] الناس بهذا المختصر انتفاعاً لم يكن له نظير ، وأقام أهل مذهب الشافعى [وَهُمْ] عليه عاكفون ، وله دَارِسُونَ ومُطالِعُون ، ثم كانوا بين شارح يُطَوِّلُ ، ومُخْتَصِرٍ يُقَلِّلُ ، والجَمْعُ منهم معترفٌ أنه لم يدرك من حقائقه سوى اليسير . وقال الإمام أبو العباس أحمد بن سُرَيْج [3] : مختصر المُزَنى يخرج من الدنيا بِكْرًا لَمْ تُفْتَض [4] . لأنه كان من أعرف الناس به ، وكان لا يُفارق حَمْلَه ، وإليه أشار بقوله :

لَصِيقُ فُؤَادِى مُذْ ثَلاثِينَ حِجَّةً ... وَصَيْقَلُ ذِهْنِى وَالْمُفَرِّجُ عَنْ هَمِّى [5]
جَمُوعٌ لأَنْوَاعِ العُلُومِ بِأَسْرِهَا ... حَقِيقٌ عَلَى أَلَّا يُفَارِقَهُ كُمِّى
عَزِيزٌ عَلَى مِثْلِى إِعَارَةُ مِثْلِهِ ... لِمَا فِيهِ مِنْ نَسْجٍ بَدِيعٍ وَمِنْ نَظْمِ

---

(١) فى « م » : « والمسائل والمعتبر » والتصويب من الوفيات ج ١ ص ٢١٧ .
(٢) فى « م » : « فانتفع » .
(٣) فى « م » : « شريح » والتصويب من الوفيات .
(٤) فى « م » : « يُفتض » .
(٥) فى « م » : « مذ ثلاثون » خطأ ، والصواب ما أثبتناه . والحجة : السنة ، وجمعها حجج . والصَّيْقَل : الصَّقَّال الذى يصقل الشيء ويهذبه وينقيه .

وهذا المختصر أَوَّل مُصَنَّفٍ فى مذهب الشافعى صنَّفَهُ أصحابُهُ . ورُوِىَ عن المُزَنى أنه قال : لو أدْرَكَنِى الشافعى وقت تأليف هذا الكتاب لَسَمِعَهُ مِنِّى لِحُسْنِه . ومنه قولهم : دُعاءٌ مسموعٌ ، أى : مقبول .

وحَكَى أبو محمد أحمد بن عبد الله المُزَنِىّ قال : سمعتُ يوسف بن عبد الأحد القمنى يقول : صَحِبْتُ المزنى ليلة من ليالى الشتاء وبعينيه رَمَدٌ ، فكان يُجَدِّدُ الوضوء ثم يعود فيُصَلِّى ، ثم يَنْعَسُ ، فيقوم ثانياً فيجدد الوضوء ، ثم يعود فيصلى ، ثم يَنْعَسُ ثالثاً فيجدد الوضوء ، حتى فَعَلَ ذلك سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّة ، وكان لا يتوضأ مِنْ جِبَابِ [1] أحمد بن طولون ، وكان يجدد الوضوء فيخرج من الجامع ويذهب إلى النيل ، وبين الجامع والنيل مسافة بعيدة ، فيجدد وضوءه ثم يرجع [2] .

رُوِىَ عنه أنه خَرَجَ من جامع مصر فرأى عبد الله بن عبد الحَكَم وقد أقبل فى موكبه ، [ومعه جماعة من القُضَاة ، والقلانس على رُءوسهم] [3] فَبَهَرَهُ ما رأى من حُسْنِ حاله وبزَّته وحسن هيبته [4] ، فَسَمِعَ قارِئًا يقرأ : ﴿ وجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ [5] ؟ فقال : بلى والله ، أَصْبِرُ وأرضى .

وكان [6] يشرب فى الشتاء والصيف من كوز أصفر ، فقيل له فى ذلك ، فقال : بَلَغَنِى أنهم يستعملون السِّرْجينَ فى هذه الكيزان ، والنار لا تُطهره .

---

(١) الجِبَابُ : جمع جُبٍّ ، وهى البئر .. وفى طبقات الشافعية : « حباب الماء » أى : معظمه أو طرائقه . [انظر المصدر المذكور ج ٢ ص ٩٤] .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٤) من قوله : « فبهره » إلى هنا عن « ص » ولم يرد فى « م » .

(٥) سورة الفرقان – الآية ٢٠ .

(٦) من هنا إلى أول ترجمة « كافور الإخشيدى » عن « م » وساقط من « ص » .. وفى الوفيات ج ١ ص ٢١٨ : « وكان غايةً فى الورع ، وبلغ من احتياطه أنه كان يشرب – فى جميع فصول السنة – من كوز نحاس ، فقيل له فى ذلك ، فقال : بلغنى أنهم يستعملون السِّرْجين فى هذه الكيزان ، =

وأخبرنا قاضى بَلَدِهِ نصرُ بن محمد بن أحمد قال : سمعتُ أبا علىٍّ الرُّوذَبَارِىّ يقول : سمعت بحرًا [١] يقول : قال المُزَنى : خرجت [إلى] [٢] « البرلس » أطْلُبُ المِيرَة [٣] ، فَمَرَرْتُ بقوم يشربون النبيذ على شاطىء البحر ، والملاهى تخرجُ إليهم مِن بابِ دارٍ بحذائهم ، فَهَمَمْتُ أنْ أعِظَهُم وأنكر عليهم ، فخشيتُ الضَّرَرَ بالرَّكْب ، فلما رجعتُ رأيتُ بابَ الدار مسدودًا ! فذكرتُ قول الشاعر :

قد شَابَ رَأْسِى ورَأْسُ الْحِرْصِ لَمْ يَشِبِ
إنَّ الحَرِيصَ عَلَى الدُّنْيَا لَفِى تَعَبِ

بِاللهِ رَبِّكَ كَم بَيْتٍ مَرَرْتَ بِـهِ
قد كَانَ يُعْمَرُ باللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ [٤]

طَارَتْ عُقَابُ الْمَنَايَا فى جَوَانِبِـهِ
فَصَارَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ والحَرَبِ [٥]

فقلت [٦] أُنْشِدُكَ ماهو أحسنُ من هذا ؟ فقال : هاتِ يابَحْرُ [٧] . فَقُلْتُ عند ذلك :

نُـــرَاعُ إذَا الْجَنَائِـــزُ قَابَلَتْنَـــا
ونَغْفُـلُ حِيـنَ تَبْـدُو ذَاهِبَـــاتٍ [٨]

= والنار لا تطهره » . وفى « م » : « السرقين » مكان « السِّرجين » وهى لفظة معربة بمعنى الزبل .

(١) فى « م » : « بحر » لا تصح ، والصواب بالنصب ، وهو بحر بن نصر بن سابق [انظر ترجمته فى طبقات الشافعية ج ٢ ص ١١٠] .

(٢) مابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة المعنى .

(٣) فى « م » : « الميرة التى هى الطعام » .

(٤) فى « م » : « وكان يُعْمَر » وما أثبتناه هنا عن « سراج الملوك » وفيه : « كم قصرٍ مررتَ به » مكان : « كم بيت ... » .

(٥) فى « م » : « دارت » مكان « طارت » وما أثبتناه عن المصدر السابق ، وفيه : « فصاح » مكان « فصار » .

(٦) القائل هو بحر بن نصر .

(٧) فى « م » : « يابن بحر » تحريف .

(٨) الشطرة الثانية من البيت فى عيون الأخبار ج ٣ ص ٧١ (المجلد الثانى) : « ونلهو حين تخفى ذاهبات » .

كَرَوْعَـةِ ثَلَّـةٍ لَمُغَـارِ سَبْـعٍ ... فلما مَـرَّ عَـادَتْ رَاتِعَـاتِ [(١)]

فَلَوْ أَنَّـا نَدِينُ بِفَضْلِ حَـزْمٍ ... لَخِفْنَـا الْمَـوْتَ أَيَّـامَ الْحَيَـاةِ

وأَخْبَرَنَا أبو الفضل بن نصر قال : سمعتُ عبد الرحمٰن غُلام الزَّقَّاق يقول : سمعتُ أبا سعيد السُّكَّرِىّ [(٢)] يقول : رأيتُ المُزَنِىَّ [(٣)] يقول : سمعتُ أبا بكر محمد بن رَيَّان المصرى يقول : رَجَعَ خالى من جنازة المُزَنِى فقال : يابُنَىَّ ، رأيتُ اليوم عجبًا ! رأَيْتُ طيورًا بيضاء [(٤)] جاءَتْ تُرفرف على جنازة المُزَنىِّ ، فَجَعَلَتْ تُلْقِى نفسها وتتمسَّحُ به ، فقال الربيعُ بن سليمان : لا تُنَفِّرُوهَا ، فإنا لم نَرَهَا إلَّا فى جنازة ذى النون المصرى ، وأنها فَعَلَتْ به مثلما فَعَلَتْ بذى النون .

ورُوِىَ أنه كان يقول : لا مُرُوءَة لِمَنْ لا جَهْلَ له ، ولا جَهْلَ لِمَنْ لا مُرُوءَةَ له . وأَنْشَدَ يقول :

وَلاَ خَيْرَ فى حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ له ... بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا [(٥)]

وَلاَ خَيْرَ فى جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ له ... حَلِيمٌ إِذَا ما أَوْرَدَ القَوْمُ أَصْدَرَا [(٦)]

ورَوَى محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَم قال : قال الشافعىُّ للمُزَنِىِّ وقد أَقْبَلَ يوماً : أَهْلاً بِمَنْ لو نَاظَرَ الشيطانَ لَقَطَعَهُ [(٧)] .

---

(١) فى « م » : « كمروع ثلة بلقاة سبع » .. والشطرة الثانية من البيت فى المصدر السابق : « فلما غاب ظَلَّت راتعات » .

الثَّلَّة ، بفتح الثاء : جماعة الغنم الكثيرة ، وبالضم : جماعة الناس . والراتعات من رتعت الماشيةُ ، أى : أكلت ما شاءت .

(٢) فقيه ذُكر اسمه فى طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ .

(٣) هذا المزنى غير المترجم له إسماعيل بن يحيى ، ولم أقف على ترجمة له .

(٤) فى « م » : « طيرًا أبيضًا » الصفة لا تصح ، فهى ممنوعة من الصرف (التنوين) .

(٥) فى « م » : « ولا خير فى علمٍ » وهذا البيت والذى يليه للنابغة الجعدى . انظر : أدب الدنيا والدين للمحقق ص ٣٠٨ ، الفصل الرابع فى الحلم والغضب .

(٦) فى المصدر السابق : « إذا ما أوردَ الأمر » .

(٧) لقطعه : لَغَلَبَه .

وَرَوى أيْضًا عن الربيع بن سليمان قال : كُنَّا عند الشافعى فأقْبَلَ المُزَنِىُّ فقال : قد جاءكم مَنْ لَوْ نَاظَرَ الشَّيْطَانَ لَقَطَعَه ، فَالْتَفَتُّ فَإذَا المُزَنِىُّ .

ورُوِىَ عن الحَسَن بن أحمد بن عبد الواحد قال : سَمِعْتُ المُزَنِىَّ يقول – وقد قال [(١)] له رَجُلٌ : يا أبا إبراهيم ، إنَّ فلانًا يبغضك ، فقال : « ليس فى قُرْبِهِ أُنسٌ ، ولا فى بُعْدِهِ وَحْشَةٌ » .

وقالَ يُوسُف بن عبد الأَحَد : سَمِعْتُ المُزَنِىَّ يقول : « المُحِبُّ لِمَنْ أطَاعَهُ المنتقم مِمَّنْ عَصَاه » .

وقال المُزَنِىُّ : أَخْبَرَنَا الشافعىُّ عن مالكِ بن أنَسٍ ، عَنْ نافِعٍ ، عن ابن عُمَر : « أنَّ النبىَّ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الفِطْرِ من شهر رمضان على الناس صاعًا من بُرٍّ ، أو صاعاً من تَمْرٍ ، أو صاعاً من شعير ، على كل حُرٍّ وعَبْدٍ ، ذكرٍ أو أُنْثَى مِنَ المسلمين » .

وعن محمد الخلاطى قال : سمعتُ المُزَنِىَّ يقول : سمعتُ الشافعى يقول : مَنْ تَعَلَّمَ القرآن عَظُمَتْ قيمته ، ومَنْ نَظَرَ فى الفقه نَبُلَ قَدْرُهُ ، ومَنْ كَتَبَ الحديثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ ، ومَنْ نَظَرَ فى اللغة رَقَّ طبعه ، ومَنْ نَظَر فى الحساب جَزُلَ رَأْيُه ، وَمَنْ لم يَصُنْ نَفْسَهُ لم [(٢)] ينفعه علمه . وليس العِلْمُ ما حُفِظَ ، إنَّما العِلْمُ ما نَفَع .

وذُكِرَ عنده حديث النبى ﷺ : « نحن أحق بالشك من إبراهيم » [(٣)] .

---

(١) فى « م » : « وقال » .

(٢) فى « م » : « من » مكان « لم » تحريف .

(٣) هذا الحديث رواه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء وغيره ، ومسلم فى الإيمان والفضائل ، وابن ماجه فى الفتن ، ورواه غيرهم ، ونصه : « أن رسول الله ﷺ قال : نحنُ أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِى كيف تحيى الموتى ، قال : أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قال : بَلَى ولكن لِيَطْمَئِنَّ قلبى ﴾ » . واختلف السلف فى المراد بالشك هنا ، فحمله بعضهم على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسة =

فقال المُزَنِيُّ لم يَشُكَّ النبي ﷺ ، ولا إبراهيم عليه السلام ، فإنَّ الله تعالى قادرٌ على أَنْ يُحْيِي الموتى ، وإنَّمَا شَكَّا أَنْ يجيبهما إلى ما سَأَلاَ .

وكانت وفاة المزنى سنة ٢٦٤ هـ وهو ابن سبع وثمانين [١] ، وصَلَّى عليه العبَّاس بن أحمد بن طولون ، ورَثَاهُ أحمد بن يحيى بن داود ، وكان صديقًا له ، رحمه الله تعالى ، فقال :

لا تَهْجَعِي ، فَبِمِثْلِهِ لَمْ تَفْجَعِي ... وَاسْتَنْزِفِى غَرَبَى نَجِيعِكِ وَاهْمَعِى [٢]
لَيْسَ الدُّمُوعُ وَإِنْ تَتَابَعَ فَيْضُهَا ... فِيمَا دَهَاكِ بِهِ الحِمَامُ بِمَقْنعِ [٣]
إِنَّ الرَّزِيَّةَ يَابْنَ يَحْيَى أَصْبَحَتْ ... عَمَّ الْعَشِيرَةَ وَالْبَعِيدَ الأَشْسَعِ [٤]

= الشيطان ، لكنها لم تستقر ، ولا زلزلت الإيمان الثابت . وذهب آخرون إلى تأويل ذلك . وعن ابن جريج قال : « بلغنى أن إبراهيم أتى على جيفة حمار عليه السباع والطير ، فعجب وقال : ربِّ لقد علمتُ لتجمعنها ، ولكن ربِّ أرنى كيف تحيى الموتى » . وفى رواية : حتى أعلم أنى خليلك وليطمئن قلبى بالخلة ، ولأعلم أنك تجيبنى إذا دعوتك .

وقيل : سأل إبراهيم ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى من غير شك منه فى القدرة ، ولكنه أحبَّ ذلك واشتاق إليه ، فأراد أن يطمئن قلبه بحصول ما أراده . وقال عكرمة : ليطمئن قلبى أنهم يعلمون أنك تحيى الموتى . ثم اختلفوا فى قوله ﷺ : « نحن أحق بالشك » فقال بعضهم : نحن أشد اشتياقًا إلى رؤية ذلك من إبراهيم . وقيل معناه : إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى ألَّا يشك ، أى : لو كان الشك متطرقًا إلى الأنبياء لكنتُ أنا أحق به منهم ، وقد علمتم أنى لم أشُك ، فاعلموا أنه لم يشك .

وقيل : إن سبب هذا الحديث أنَّ الآية المذكورة لما نزلت قال بعض الناس : شك إبراهيم ولم يشك نبينا ، فبلغه ذلك ، فقال : نحن أحق بالشك من إبراهيم ، وأراد ماجرت به العادة فى المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئًا . وهذا الذى ترون أنه شك ليس بشك ، إنما هو طلب لمزيد البيان .

[انظر فتح البارى ج ٦ ص ٤١١ - ٤١٣ كتاب أحاديث الأنبياء] .

(١) وتذكر بعض المراجع أنه وُلد فى سنة ١٧٥ هـ .

(٢) يخاطب الشاعر نفسه أو عينه قائلا : لا تهدئ أولاتنامى ، وَاذْرِفِى دموعك الغزيرة على الفقيد ، فبمثله لم تفجعى أو تُصابى .

(٣) الحِمَام : الموت . والمَقْنَع : العدل يُرْضَى بشهادته . أو ما يُرْضَى من الآراء . وقد جاءت هذه الأبيات من قبل عند وفاة ذى النون عندما اكتنفت جنازته طيور خُضر ورفرفت عليه .

(٤) عَمَّ العشيرة : شَمِلَ الأقارب .. والأشْسَع : الأكثر بُعْدًا .

لَهْفِى عَلَى المُزَنِىِّ لَهْفَةَ حَائِرٍ ... عَزِىَ الحِمَامُ بِهِ بِأَضْيَعِ مَوْضِعِ (١)
وَرَأَيْتُ أَعْجَبَ مَارَأَيْتُ وَلَمْ أَكُنْ ... مِنْ قَبْلِ ذَاكَ رَأَيْتُهُ بِمُشَيَّعِ
طَيْرًا تُرَفْرِفُ فَوْقَهُ وتَحُفُّهُ ... حَتَّى تَوَارَى فى حِجَابِ الْمَضْجَعِ (٢)
ثُمَّ اخْتَجَبْنَ عَنِ العُيُونِ وَلَمْ يَحِطْ ... أَمْرٌ بِكُنْهِ مَسِيرِهَا فى المَرْجِعِ
وَأَظُنُّهَا رُسُلَ الإِلٰهِ تَنَزَّلَتْ ... والله أَعْلَمُ فَوْقَ ذَاكَ الشَّرْجَعِ (٣)
وتَنَزَّلَ الْقَطْرُ الَّذِى كُنَّا نَرَى ... وَهُبُوبُ تِلْكَ الذَّارِيَاتِ الْوَعْوَعِ (٤)
إِنْ شِئْتَ قُلْ : بَكِتَ السَّمَاءُ لِفَقْدِهِ ... أَوْقُلْ : سَقَتْهُ بِمُهْذِبٍ لم يُقْلِعِ (٥)

* * *

تُربة الشيخ أبى عمرو عثمان بن مَرْزُوق (٦) :

ثم تمضى إلى تربة الشيخ أبى عمرو عثمان بن مرزوق بن سلامة بن حميد القُرَشِىّ ، رضى الله عنه ، وهو بالقرب من تربة كافور الإخشيدى رحمه الله . وهذا الشيخ من أكابر مشايخ مصر المشهورين ، وصدور العارفين المذكورين ،

---

(١) لَهْفِى : كلمة يتحسر بها على مافات ، وعَزِىَ : صَبَّرَ على ما نَابَهُ . والحِمَامُ : المَوْت .

(٢) تَحُفُّه : تستدير حوله وتحدق به .

(٣) الشَّرْجَع : النَّعْش .

(٤) الذَّاريات : الرياح . الوَعْوَع : ذات الأصوات المختلطة الشديدة . وفى رواية : « الزعزع » ، وهى بمعناها .

(٥) المُهْذِب : السيل . ويقال : أَهْذَبَتِ السحابة ماءَها ، أى : أسالته بسرعة . وفى رواية : بهَيْدَب : وهو السحاب المتدلِّى الذى يدنو من الأرض .

(٦) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى طبقات الشعرانى ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٢ ، والكواكب السيارة ص ١٩٧ ، وكرامات الأولياء ج ٢ ص ٢٨٧] .

وأعيان العلماء المحققين ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والأحوال الفاخرة ، والأفعال الخارقة ، والأنفاس الصادقة ، والمفاخر والمعالى ، والتقدم والتّعالى . وهو أحد العلماء المُتعَفِّفِينَ ، والفضلاء المُتعَيِّنِينَ ، والأئمة البارعين ، والسادة القائمين بالسُّنَّة وأحكام الدِّين . أَفْتى بمصر على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، ودَرَّسَ ، ونَاظَرَ ، وأَمْلَى ، وقَصَدَ إليه طَلَبَةُ العِلْم ، ورَوَى عن غير واحد بمصر من العلماء .

وهو أحد أركان الطريق ، وأعلم العلماء بأحكامها وكَشْفِ مشكلاتها وأحوالها ، وفَرْدُ سَاداتِ أئمَّتها ، وعظماء القادة إليها عِلْمًا وعَمَلاً ، وحَالاً ومقَالاً ، وتحقيقاً وتمكيناً ، وزهدًا ومَجْدًا ، وجَلالَةً ومَهابَةً ، مع تَدْآبٍ فى المجاهدة ، وتجوال فى المُشَاهَدَة ، وَجِبِلَّة [١] طُبِعَتْ من الحِلْمِ والتَّوَاضُع ، ومُزِجَتْ بالكَرَم والحياء .

وهو أَحَدُ مَنْ أظْهَرَهُ الله تعالى للخَلْق ، وأوقع له عندهم القبول التام ، والهيبة العظيمة ، وصَرَّفَهُ فى الوجود ، ومَكَّنَهُ فى الأموال ، وقَلَبَ له الأعيان ، وخَرَقَ له العوائد [٢] ، وأَنْطَقَهُ بالمُغَيَّبات ، وأَظْهَرَ [٣] على يديه العجائب ، وأَجْرَى على لسانه ما عَمَّرَ به القلوب ، ونَوَّرَ به الأسرار ، وأحيا به الشريعة المطهرة ، وأقَامَهُ حُجَّةً على المسلمين ، وقُدْوَةً للسالكين .. انتهت إليه مَرْتَبَة [٤] المريدين الصادقين بمصر وأعمالها [٥] ، وكشف مواردهم الخافية ، وانتفَعَ بصُحبته غيرُ واحدٍ من الأجِلَّاء ، وتَلْمَذَ له جماعة مِمَّنْ لهم قَدَمٌ راسِخَةٌ [٦] فى هذا الشَّأْنِ ، وقال بإرادته جَمٌّ غفير من أصحاب الأحوال ، وَانْتَمى إليه خَلْقٌ

---

(١) تدآب : دوام ومثابرة من غير فتور . والتجوال : الطواف الكثير . والجِبِلَّة : الخِلْقَة .

(٢) العوائد : كل ما اعتاد عليه الناس .

(٣) فى « م » : « وأبهر » تصحيف .

(٤) المرتبة : المكانة والمنزلة الرفيعة .

(٥) أعمال مصر : ماتحت حكمها من القُرَى والأقاليم التابعة لها .

(٦) فى « م » : « ممن له قدم راسخ » . والقدم مؤنثة . وتَلْمَذَ له ، أى : كان تلميذًا له .

كثير من الصُّلَحاء ، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والاحترام ، وحَكَّمُوهُ فيما اختلفوا فيه ، ورجعوا إلى قوله ، وأبرزوا (١) عدالته ، واعترفوا بفضيلته .

وكان ظريفاً جميلاً ، مُشتملاً على أطيب الأخلاق ، وأَكْمَل الآداب ، وأشرف الصِّفات .

وكان له كلام على لسان أهل التحقيق ، منه : « الطريقُ إلى معرفة الله تعالى وصفاته الفكرُ ، والاعتبارُ بحكمه وآياته ، ولا سبيلَ للأَلْبَاب إلى معرفة كُنْه ذاته ، ولو تناهَتْ (٢) الحِكَم الإِلٰهيَّة فى حَدِّ (٣) العقول وانْحصَرتِ (٤) القُدْرَةُ الرَّبَّانية فى دَرْكِ (٥) العُلُوم لَكَانَ ذلك تقْصيرًا فى الحِكْمَة ، ونقصًا فى القُدْرَة ، لكن احْتَجَبَتْ أسرار (٦) الأَزَل عن العقول ، كما استترتْ سُبُحَاتِ (٧) الجلال عن الأبصار ، فقد رجع معنى الوصف ، [فى الوصف] (٨) ، وعَمِىَ الفَهْمُ عن الدَّرْكِ (٩) ، ودَارَ المُلْكُ فى المُلْكِ ، وانتهى المخلوق إلى مثله ، وَاشْتَدَّ الطلبُ (١٠) إلى شكله ، ﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ للرَّحْمٰنِ فلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ (١١) . فجميع المخلوقات – من الذَّرَّة إلى العَرْش – سُبُلٌ مُتصلة [إلى

---

(١) فى « م » : « وبرزوا » . وأبرزوا : أظهروا .

(٢) تناهت : بلغت النهاية .

(٣) فى « م » : « جِدَّة » وما أثبتناه عن طبقات الشعرانى ج ١ ص ١٥١ .

(٤) فى « م » : « والحضرة » تحريف والتصويب من المصدر السابق .

(٥) الدَّرْك : الإدراك .

(٦) فى « م » : « الأسرار » .

(٧) سُبُحات : أنوار .

(٨) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق وساقط من « م » .

(٩) أى : عجز العقل عن فهم المعنى المراد .

(١٠) فى « م » : « وأسند الطب » تصحيف . وما أثبتناه عن المرجع السابق .

(١١) سورة طه – الآية ١٠٨ .

معرفته] [١] ، وحُجَجٌ بالغة على أَزَلِيَّتِه [٢] ، والكونُ جَمِيعُه أَلْسُنٌ ناطقة بوحدانيته ، والعالَمُ كله كتابٌ يَقْرأُ حُروفَ أشْخَاصِه المُتَبَصِّرُونَ على قَدْرِ بصائرهم » [٣] .

ومنه : « إذا هَبَّتْ ريح السعادة ، وتألَّق بَرْقُ العناية على رياض القلوب ، وأمْطَرَتْ وَدْق [٤] الحقائق [٥] من خلال سحائب الغيوب ، ظَهَرتْ فيها أزهار [٦] قرب المحبوب ، وأيْنَعَتْ ببهجَةِ أنوار نَيْلِ المطلوب ، فَوَجَدَتْ ريحَ القُرْبِ فى لَذَّةِ المُشَاهَدَة ، واسْتِجْلاء الحضور فى التغذى بالسماع ، وآنَسَتْ نارَ الهيبة حين أضْرَمَها ضَوْءُ المَحبة [٧] مع الشخوص عن الأُنس إلى المَقَام [٨] إلى الفَنَاء ، فى خلوة الوَصْل على بساط المسامرة بِمُنَاجاة تَشَبُّث الكون [٩] بِصَفَاء اتصال تَعَرُّف [١٠] نهايات الخير فى بدايات العيان ، وتطوى حَواشِى الحَدَث فى بقاء [١١] عِزِّ الأَزَل ، فهناك رسَخَتْ أرواحهم فى غَيْبِ الغيب ، وغاصت أسرارهم فى سِرِّ السِّرِّ ، فَعَرَّفَهُم مولاهم ما عَرَّفَهُم ، وأرادَ منهم مِنْ مُقْتَضَى الآيات مالَمْ يُرِدْ من غيرهم ، وخاضُوا بحارَ العِلْم اللَّدُنِّى [١٢] بالفَهْمِ

---

(١) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق .
(٢) فى « م » : « إلى أزليته » .
(٣) فى طبقات الشعرانى : « يقرأ حروفه المبصرون على قَدْر بصائرهم » .
(٤) الوَدْق : المَطر .
(٥) فى « م » : « الدقائق » . وما أثبتناه عن المصدر السابق .
(٦) فى « م » : « أنهار » .
(٧) فى « م » : « قد أضرمها صفو المحبة » .
(٨) فى « م » : « القمام » تحريف .
(٩) فى « م » : « نسبت بها الكون » . وما هنا عن طبقات الشعرانى .
(١٠) فى « م » : « أفضال تفرق » .
(١١) فى « م » : « بقا » .
(١٢) العِلم اللَّدُنِّى : هو العِلم الرَّبَّانى الذى يصل لصاحبه عن طريق الإلهام .

الغيبى (١) ، لِطَلَب [الزيادات ، فانكشف لهم من مَذْخُور الخزائن تحت كل ذَرَّةٍ من ذرّاتَ الوجودَ] (٢) عِلْمٌ مكنونٌ ، وسِرٌّ مخزونٌ ، وَسَبَب مُتَّصِل بحضرة القدس ، يدخلون منه على سَيِّدِهم - عَزَّ وَجَلَّ - فأَرَاهُم من عجائب ما عنده مالا عينٌ رأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَر على قلب بَشَر » .

ومنه : « مَنْ لَمْ يَجِدْ فى قلبه زاجِرًا فهو خَرابٌ ، ومَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لم يَغْتَرَّ بِثَنَاءِ الناس عليه ، ومَنْ لم يصبر على صُحْبَة مولاه ابتلاه الله بصُحبة العبيد ، ومَن انقطعتْ آمَالُهُ - إلا مِنْ مولاه - فهو عبدٌ حقيقة . والدَّعْوَى من رؤية النفس ، واستلذاده بالبَلاء تحقيقٌ بالرِّضَا . وحِلْيَةُ العارِف الخشيَة والهَيْبَة ، وإياكم ومُحاكاة أصحاب الأحوال قبل إحْكَام الطَّريق وتَمكُّنِ الأَقْدام ، فإنَّها تَقْطَعُ بكم [عن السَّيْر] (٣) ، ودليلُ تَخْلِيطِكَ صُحْبَتُكَ للمُخْلطين (٤) ، ودليلُ بَطالَتِكَ رُكُونُكَ لِلْبَطَّالِين ، ودليلُ وَحْشَتِكَ أُنْسُكَ بالمستوحشين .

وكان يتمثل بهذه الأبيات :

يَا غَارِسَ الحُبِّ بَيْنَ الجِلْدِ والْكَبِدِ ... هَتَكْتَ بِالصَّدِّ سَتْرَ الصبْرِ والْجَلَدِ
يَامَنْ يَقُومُ مقامَ المَوْتِ فُرْقَتُــهُ ... ومَنْ يَحِلُّ مَحَلَّ الرُّوح فى الْجَسَدِ
قَدْ جَاوَزَ الْحُبُّ بِى أَعْلَى مَراتِبَهُ ... فَلَوْ طَلَبْتَ مَزِيدًا منه لَمْ أَجِدِ
إِذَا دَعَا النَّاسُ قَلْبِى عَنْكَ مَـالَ بِـهِ ... حُسْنُ الرَّجَاءِ فلم يصدر وَلَمْ يَرِدِ (٥)
إِنْ تُوفِنِى لَمْ أُرِدْ ما دُمْتُ فى بَلَدٍ ... وإِنْ تَغَيَّرتُ لَمْ أَسْكُنْ إلى أَحَدِ

---

(١) فى طبقات الشعرانى : « العينى » مكان « الغيبى » .
(٢) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق وساقط من « م » .
(٣) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق .
(٤) فى « م » : « لصُحبة المخلصين » وما أثبتناه عن المصدر السابق .
(٥) يصدر : يرجع وينصرف . ويَرِد ، من وَرَدَ المكان ، أى : أشرَف عليه .

ورُوِىَ عن الشيخ العارف أبى إسحاق إبراهيم بن مزيبيل [١] الضرير أنه قال : كان الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القُرَشِىّ ، رضى الله عنه ، مِنْ أَوْتَادِهِم ، وكان سابغ الكَفّ ، ظَاهِرَ الكرامات .. زاد النيل فى زمانه سنة من السنين زيادة كادت مصر أنْ تغرق ، فأقام الناسُ على الأرض حتى كاد وقت الزرع أن يفوت ، فضج الناس وجاءوا إلى الشيخ أبى عمرو بسبب ذلك ، فَأَتَى إلى شاطئ النيل فى ذلك الوقت ، وتوضَّأ فيه بإبريق كان مع خادمه ، فنقص النيل لوقته نحو ذراعين ونقص حتى انكشفت الأرضُ ، وزَرَعَ الناس فى اليوم الثانى [٢] . وبَلَّغَ اللهُ سبحانه وتعالى به المنافع ، وبارك فى زرع الناس تلك السنة .

قال : وحكى لى خادمه الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن بركات السعدى المقرى ، رحمه الله تعالى : أنَّ الشيخ صلى العشاء بمنزله بمصر فى ليلة مظلمة ، وخرج ، وخرجتُ خلفه والأرضُ تُطْوَى تحتنا كالكُرة ، والأنوار تسعى بين أيدينا وعَنْ أيماننا وشمائلنا ، ولا تنتهى إلى جَبَلٍ ولا نَشْزٍ [٣] من الأرض إلَّا انْدَكَّ بين يديه وكأنه لم يكن ، حتى أتينا فى أسرع وقت إلى مكة – شَرَّفَها الله تعالى – فطاف ، وصَلَّى بها أكثر الليل ، حتى خرج – وأنا خلفه – يسير كذلك إلى المدينة الشريفة النبوية ، صلى الله على صاحبها وسلم ، فزار وصلى ماشاء الله تعالى أنْ يُصلى ، ثم خرج – وأنا خلفه – يسير كذلك إلى بيت المَقْدِسِ ، فزار وصلى ماشاء الله تعالى أن يُصلى ، ثم خرج – وأنا خلفه – يسير كذلك إلى أن دخلنا مصر والمؤذن ينادى بالفَجْر ، فوالله لقد رجعت وأنا لا أقوى من أول الليل ، ولم أكن وجدتُ تعباً ولا نَصَبًا ، وأَخَذَ عَلَىّ الشيخ ألَّا أتكَلَّمَ بذلك فى حياته ، فما تكلمتُ به إلَّا بعد وفاته ، رضى الله عنه .

---

(١) فقيه ، من أكابر الحنابلة ، وكان أكثر كلامه قوله : « أكبر الناس عيشًا مَنْ تَرَك الدنيا لأهلها » . [انظر الكواكب السيارة ص ٣٠٤] .

(٢) هذه العبارة وردت فى « م » وفيها اضطراب فى المعنى ، وما أثبتناه هنا عن كرامات الأولياء ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٣) النَّشْزُ : ما ارتفع وظَهر من الأرض .

وقال خادمه المذكور : خدمته تسع سنين ، فكان لا يمر عليه وقتٌ من الليل أو النهار إلّا وهو معمورٌ بأنواع القُرُباتِ : إمَّا بقراءة قرآنٍ ، أو قراءة ، أو سَمْعِ الحديث ، أو تَمْلِيَة ، أو يشتغل بالعِلْمِ ، أو يؤدب مريديه ، أو يتوجه إلى الله سبحانه – عَزَّ وجَلَّ – بإحكام أحوال قُرْبِه ، ومنازلات سِرِّهِ .

وشَهِدْتُه يوماً وقد دخل عليه شيخٌ أَشْعَثُ أَغْبَرُ ، ما رأيتُه من قَبْلُ ولا من بَعْدُ ، فجلس بين يدى الشيخ مُتَأَدِّباً خاضعًا ، فأَطْرَقَ الشيخُ ساعةً ثم نظر إلى الرجل ، فَخَرَّ مَغْشِيًّا عليه ، فقال الشيخ : ارفعوه . فوضعناه فى بيت ، فمكث فيه أربعة أشهر لا يتحرك ولا يفيق ، فحالته كحالة الميت إلّا أنه يتنفس ، ثم أتَاهُ الشيخ ومسح بيده على صدره فأفاق ، فسألته عن أمره ، فقال : يا أبا العباس ، كبر سِنِّى ، وتتابعت مجاهداتى ، وطالَتْ سياحاتى ، وما رأيت من أحوال هذا الشأن شيئًا ، فاستغثتُ إلى الله تعالى بِسِرِّى ، فَنُودِيتُ : اذْهَبْ إلى سلطان هذا الوادى ، فعنده ما تريد . فقلت : ومَنْ هو ؟ فقيل لى : هو الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق [1] ، فلما جلستُ بين يديه ونَظَرَ إلَىَّ قَطَعَتْ نظرتُه حُجُبِى ، واخْتَرَقَتْ فِىَّ سُرادقات الوصل ، وطَوَيَتْ لى مسافاتِ البُعْدِ ، واخْتطَفَتْنِى عن جسمى وعالمى ، وغَيَّبَتْنِى عن الوجود وما فيه ، وقمتُ على قدم الفناء والغَيْبَة عن الأكوان فى مقام القُرب ، ونلتُ مطلوبى ، ووصلتُ إلى محبوبى ببركة نظرته ، فَمَرَّ بى رسول الله ﷺ وأنا على هذا الحال فى مقامى ذلك ، فنظر إلَىَّ وقال : مُرُوا مَنْ حَالَ بين هذا وبين عقله أن يضع فيه تمكينًا يقهر بقوته شيطان هذا الحال ليرجع إلى تمييزه فيقوم بأحكام الشرع .

وأَسْرَعَ إلَىَّ الشيخ أبو عَمرو ، فوجدتُ عندى قُوَّةً ملكتُ بها حالى ، ورجعتُ إلى وجودى كما تَرَى . ثم ذهب فما رأيته بعد .

---

(١) فى « م » : « أبو عمر مرزوق » خطأ ، وما أثبتناه هو الصحيح .

وقال : صَحِبْتُهُ مرةً إلى الشام على قَدَم التجريد ، وليس لنا ثالث ، فمَكَثْنَا ثلاثَةَ أيّام لا نأكل ولا نشرب ، وكدتُ أسقطُ إلى الأرض ، فلما رأى الشيخ حالى عَرَجَ على كثيبٍ من رمل فجعل يغترف منه سَوِيقًا مشوباً [١] بسُكر ، فأكلتُ منه حتى شبعت ، ثم ضرب بيده فى الكثيب فنبعَتْ عينُ ماءٍ عَذْبٍ من مياه الدنيا ، فشربتُ حتى رويت .

وقال : حضرتُ عنده يوماً بمصر ، وحضر عنده رَجُلان ، أحدهما [٢] عربى لا يُحسن [٣] بالعجمية شيئًا ، وعَجميٌّ لا يعرف بالعربية شيئًا ، ولا كلمة واحدة ، فجعل كُلٌّ منهما يتكلم ولا يفهم الآخر ما يقول صاحبه ، فقال العربى : وددتُ لو أنى أعرف بالعجمية ! وقال العجمى : وددتُ لو أنى أعرف بالعربية ، وقاما وتفرقا ، ثم أتيا إلى الشيخ فى الغد ، وكل واحد منهما يتكلم بلسان صاحبه كأفصح مايكون ، فَسُئِلاَ عن ذلك ، فقال العربىُّ : رأيتُ إبراهيمَ الخليل ﷺ ومعه الشيخ أبا عمرو [٤] ، فقال الخليل ﷺ لأبى عمرو : عَلّمْهُ العجمية نيابةً عنى ، فَتَفَل أبو عمرو [٥] فى فمى ، فاستيقظتُ ، وأنا أتكلم بالعجمية . وقال العجمى : وأنا رأيتُ المصطفى ﷺ [فقال] [٦] لأبى عمرو : عَلّمْهُ العربية نيابة عنى ، فتفل أبو عمرو فى فمى ، فاستيقظتُ وأنا أتكلم بالعربية .

وحكى عنه ولده أبو الخير سعد ، قال : سمعتُ والدى رضى الله عنه يقول : خرجتُ مَرّةً سائحاً فى القرافة ، وصعدتُ الجبل المقطم فمكثتُ فيه أياماً لا أرَى أحدًا ، فسمعتُ ليلة عند السَّحَر قائلاً يقول فى مناجاته [ببكاء] [٧]

---

(١) السويق : طعامٌ يُتّخذ من مدقوق الحنطة والشعير . ومشوبًا : مخلوطًا .
(٢) فى « م » : « إحداهما » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) فى « م » : « لا يسمن » تحريف من الناسخ .
(٤) فى « م » : « أبى عمرو » لا يصح ، والصواب « أبا عمرو » معطوف على منصوب .
(٥) فى « م » : « أبى عمرو » خطأ ، والصواب « أبو عمرو » فاعل مرفوع بالواو . وتَفَلَ : بَصَقَ .
(٦) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا يتطلبها السياق .
(٧) مابين المعقوفتين من عندنا ولم ترد فى « م » .

يزعج القلوب ، وحنين يذهل العقول : « كتمتُ بلائى من غيرك ، وبُحْتُ بسرِّى إليك ، واشتغلتُ بِكَ عَمَّنْ سِواكَ » . ثم انْتَحَبَ بالبكاء وقال : « عَجِبتُ لِمَنْ عرفَكَ ، كيف يسلو عنك ؟ ولِمَنْ ذاق حُبَّكَ ، كيف يصبر عنك ؟ يامَسَرَّى العارفين ، وحبيب المقربين ، وأنيس المُحبين ، وغاية أمل الطالبين ، ومعين المنقطعين » . ثم صاح : « واشَوْقَاه ! واكَرْبَاه ! » .

فتتبعتُ الصوتَ وقد أخذ بمجامع قلبى حتى انتهيتُ إليه ، فإذا هو شيخٌ نحيفُ الجِسم ، مُصْفَرُّ اللون ، تعلُوهُ الهَيْبَة ، ويُجَلِّلُهُ الوقار ، وعليه سيما [1] أهل المعرفة ، فدنوتُ منه وسَلَّمْتُ عليه ، فقال : مرحبًا بك يا أبا عَمرو ! فقال : وكيف عَرَفْتَ اسمى وما رأيتنى قبل هذه الساعة ؟ فقال : نظرتُ إلى شخصك فى الأرض فعرفتُ مقامك فى السماء ، وقرأتُ اسمك فى اللَّوْحِ المحفوظ ! فقلت له : ياسيدى ، أَفِدْنِى فائدةً . فقال :

« يا أبا عَمرو ، أَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إلى نَبِيِّه داود ، صلوات الله على نبينا وعليه وسلامه : ياداود ، قُلْ لأوليائى وأحِبَّائى : ليفارقْ كُلٌّ منكم صاحِبَهُ ، فإنى مُؤْنِسُهُمْ بذِكرى ، ومُحَدِّثُهُمْ بِأُنْسِى ، وكاشفٌ الحجابَ فيما بينى وبينهم لينظروا عَظَمَتِى وجلالى وبهاء وجهى ، فى كل يوم أُدْنِيهم ، وفى كل ساعة أُقربهم من نور وجهى ، وأُذِيقُهُم من طعم كرامتى ، فإذا فعلت ذلك عَمِيَتْ هُوِيَّتُهُم عن الدنيا وأهلها ، فما شىء آنَسُ إليهم مِنِّى ، ولا أَقَرَّ لعيونهم من النَّظَر إلَىَّ ، يستعجلون القُدوم علىَّ ، وأنا أكره أَنْ أُمِيتَهُم ، لأنهم مواضع نظرى من بين خلقى ، أنظر إليهم وينظرون [2] إلىَّ ، فلو رأيتهم ياداود ، وقد ذابَتْ نفوسهم ، ونَحَلَتْ أجسامهم ، وخشعت عيونهم ، وتهشمت أعضاؤهم ، وانخلعت قلوبهم إذا سمعوا بذِكْرِى ، فَأُباهِى بهم ملائكتى وأهل سماواتى ، ينظرون إلىَّ فيزدادون

---

(١) السِّيما : العلامة . وفى « م » : « سيمة » .

(٢) فى « م » : « وينظروا » لا يصح .

خوفاً وعبادة ، إنْ نَاجُونى أصْغَيْتُ إليهم ، وإنْ نادونى أقبلت عليهم ، وإنْ أقبلوا إلَىَّ أَدْنَيْتُهُم ، وإنْ دنوا منى قَرَّبْتُهُم ، وإنْ والونى واليْتُهم ، وإنْ صافُونى صافَيْتُهُم ، وإنْ عملوا إلَىَّ جَازَيْتُهُمْ ، أنا مُدَبِّرُ أُمورهم ، وسائس قلوبهم ، ومُتَوَلِّى أحوالهم ، لمْ أجعلْ لقلوبهم راحة فى شيء غير ذِكْرِى ، لا يستأنسونَ إلَّا بى ، ولا يحطُّونَ رِحَالَ قلوبهم إلَّا عندى ، فَوَعِزَّتِى وجلالى ، لأُمَكِّنَنَّهُمْ من رؤيتى ، ولأُشْبِعَنَّهُمْ مِنَ النظر إلَىَّ حتى يرضوا ، وفوق الرضا .

فأَخْبِرْ ياداود أهل الأرض أنى حبيبٌ لِمَنْ أحَبَّنِى ، وجليسٌ لِمَنْ ذَكَرَنِى ، وأنيسٌ لمن أَنِسَ بى ، وصاحِبٌ لِمَنْ صاحَبَنِى ، ومطيعٌ لِمَنْ أطاعنى ، ومختارٌ لِمَنِ اختارنى ، فَهَلُمُّوا إلى كرامتى ومُصَاحَبتِى ، وأنا الجَوَادُ الماجدُ ، أقول للشىء : كُنْ فيكون » .

ثم خَنَقَتْهُ العَبْرَةُ وغشى [١] عليه ، فلمَّا أفاق قلتُ له : ياسيدى ، أَوْصِنِى ! قال : « يا أَبَا عَمرو ، اقطع [٢] عن قلبك كل علاقة ، ولا تقنع بشىء دونه » .

فقلت : ياسيدى ، ادعُ لى . فقال : « خَفَّفَ الله عنكَ مُؤَنَ نَصَبِ السير إليه ، ولا يجعل بينك وبينه حجابًا » .

ثم وَلَّى كالهارب مِنَ الأسد . وأَنْشَدَ يقول :

ذَكَرْتُكَ لا أَنِّى نَسِيتُكَ لَحْظَةً ... وَأَيْسَرُ مافى الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِ
وَكِدْتُ بلا وَجْدٍ أَمُوتُ مِنَ الهَوَى ... وَهَامَ عَلَىَّ القَلْبُ بِالْخَفَقَانِ [٣]
فَلَمَّا أَرَانِي الوَجْدُ أَنَّكَ حَاضِرِى ... شَهِدْتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانِ
فَخَاطَبْتُ مَوْجُودًا بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ ... وَلاَحَظْتُ مَعْلُومًا بغير عيان

---

(١) فى « م » : « على غشى » .
(٢) فى « م » : « واقطع » .
(٣) فى « م » : « وأكدت » مكان « وكدت » تحريف .

سكن أبو عمرو المذكور « مصر » واستوطنها ، وتوفى بها سنة ٥٦٤ هـ [١] .

* * *

قبر كافور الإخشيدى [٢] :

ثم تمضى قليلاً إلى قبة بها قبر « كافور الإخشيدى » [٣] الخادم الأسود ، مولى الإخشيدى أبى بكر محمد بن الإخشيدى ، جُلِبَ فى سنة ٣١٢ هـ [٤] رحمة الله عليه . ووزَرَ له أبو بكر محمد بن على الماذَرَائىّ [٥] .

قال أبو بكر الماذَرَائىّ : قلتُ لكافور وهو يُعَدِّدُ نِعَمَ الله عليه ، كيف كان فى بلاد السودان ؟ وكيف جُلِبَ ؟ وكم كان سِنُّه [٦] ؟

قال : أَرْبَع عشرة [٧] سنة ، جَلَبَنِى [٨] إبراهيم اليلوفى ، فأدخلنى إلى مصر ، وباعنى من محمد بن هاشم من بنى ماجد بن عياش ، فوهبنى لجارية له ، ثم وَهَبَ أبو أحمد بن عياش الجارية بعد مُدة لمولاى الإخشيدى ، وهو

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » والمشار إليه فى ص ٥٠٨ ، الهامش رقم (٦) .

(٢) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ١١٩ و ٢٠٠] .

(٣) فى « ص » : « ترجع وأنت طالبٌ للشرق تجد قبة فيها كافور - الخادم الأسود الإخشيدى » .

(٤) هكذا التاريخ فى « ص » وفى الأعلام ، وفى الوفيات ، وغيرها من المراجع .. وفى « م » : « سنة ٣١٣ هـ » .

(٥) فى « ص » : « الماردانى » . وفى « م » : « أبو بكر بن على المادرانى » فى الموضعين . سبق التعليق عليها .

(٦) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « سنك » .

(٧) فى « م » أربعة عشر » وفى « ص » : « أربعة عشرة » وكلاهما خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٨) من هنا إلى قوله : « هذه الحالة » عن « م » ولم يرد فى « ص » .

يومئذ من جُملة أتباع « تكين » ، فقالت له الجارية : لى عندهم عبد كان لى ، فأرسل الإخشيدى فطلبنى ، فأرسلنى إليه ، فلم أَزَلْ عنده حتى جاءته ولاية دمشق ، وترقيتُ إلى أنْ صِرْتُ إلى هذه الحالة [١] .

وقال إسحاق بن إبراهيم : كان لكافور أفضالٌ فى كل سنة لِحَاجِّ البَرِّ ، يبعث معهم مالًا وكسوة وطعاماً ، ويبعث معهم صندوقين من كسوة بَدَنِهِ يُفَرِّق ذلك على أولاد رسول الله ﷺ . وكان له من غِلْمَانِ التُّرك ألف وسبعون [٢] تُركيًّا يغلق عليهم بابَ داره [٣] ، وتمام الألْفَىْ غلام .

[وهم مقيمون معه [٤] ، سوى المُوَلَّدِينَ والسودان ، كان الجميع أربعة آلاف غلام] [٥] .

وكان له راتبٌ فى مطبخه ، فى كل يوم ألف وسبعمائة رطل لحم [٦] ، ومن الدجاج الفائق مائة طائر [سوى غيره من الدجاج والفراريج] [٧] ، ومِنَ الخِرَاف المشوية مايزيد على الخمسين ، سوى النفقة على ذلك والحلوى . وكان يخرج فى كل يوم من خزانة الشراب مايزيد على خمسين قِرْبَة من سائر الأشربة تُفَرَّقُ على سائر الحاشية .

وكان يهدى إليه قاضى أسيوط محمد بن عبد الله فى كل سَنة خمسين ألف سَفَرْجَلَة [٨] تُعمل شراب سفرجل .

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .
(٢) فى « م » : « وسبعين » لا تصح .
(٣) فى « م » : « يغلق عليهم داره » .
(٤) فى « ص » : « وهم مقيمين معه » .
(٥) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .
(٦) وقيل أكثر من ذلك .. انظر النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩ .
(٧) مابين المعقوفتين عن « ص » .
(٨) السَّفرجل : شجر مثمر من الفصيلة الوردية .

وقال الحسن بن إبراهيم : أرسل عبد الرحمٰن صاحب الأندلس إلى مصر مالًا يفرقه على المالكيين ، فبلغ أبا بكر الحَدَّاد ، فقال : لَعَلَّهُ لسائر أهل العِلْم .

فقال : بل للمالكيين [١] خاصة . فقال لكافور : « أَرَضِيتَ من مُلْكِكَ أَنْ تُرسَلَ الأموالُ إلى المالكيين ، والشافعيون معك [بلا شيء] [٢] ؟ إِنْ لم تقابل هذا الفِعْل [٣] فى الشافعيين بأكثر منه لأَكْتُبَنَّ فى ذلك ولأُكتُبَنَّ » .

فأرسل كافور عشرة آلاف درهم ، فجلس أبو بكر وفرَّقها على الشافعيين .

ولما مات كافور - رحمه الله - وُجِدَ فى خزانته عينًا ، وجواهرَ ، وثيابًا وسلاحًا ، وغير ذلك ، ما مبلغه ألف ألف دينار .

وكان متواضعًا حليمًا ، ويُحْكَى عنه أنه [٤] لَحِقَهُ جَرَبٌ كثير وهو صغير ، حتى كان لا يظهر ولا يقابل ، فطرده سيده ، فكان يمشى فى سوق بنى حَبَاسَة ، وفيه طباخٌ يبيع الطبيخ ، فعبر به كافور يوماً وطلب منه [٥] ، فضربه بالمِغْرَفَةِ [٦] على يده وهى حَارَّةٌ ، فوقع مغشيًّا عليه ، فأخذه رجلٌ من المصريين ورَشَّ عليه الماء حتى أفاق ، وجعله عنده [٧] وداواه حتى وجد العافية ، فأتى سَيِّدَهُ ، فأَخَذَهُ سَيِّدُهُ وقال للذى داواه : خُذْ أُجْرَةَ مافعلتَ . قال : لا ، ولكن أجرى على الله تعالى .. فكان كافور كلما عَزَّتْ عليه نفسه يُذَكِّرُها بضربة الطَّبَّاخ بالمغرفة . وربما يركب ويأتى ذلك الزقاق وينزل ويسجد شكرًا لله تعالى ، ويقول لنفسه : اذكرى ضربة المغرفة .

---

(١) فى « م » : « للمساكين » تحريف .

(٢) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٣) فى « ص » : « يقابل هذا الفضل » .

(٤) فى « ص » : « يحكى أن كافور » .

(٥) فى « ص » : « وطلب منه وألَحَّ عليه » .

(٦) المِغْرَفَة : ما يُغْرَفُ به الطعام ونحوه .

(٧) قوله : « حتى أفاق وجعله عنده » عن « ص » .

وحديثه مع ابن جابار مشهورٌ ، وهو من عزيز مناقبه ، وقد ذُكِرَ فى أخبار ابن جابار فيما تقدم .

وحكى أبو جعفر المنطقى [١] قال : دعانى كافور يوماً وقال لى : أتَعْرِفُ مُنَجِّماً كان يجلس عند دار فُلانٍ ؟ فقلت : نعم . فقال : ما حاله [٢] ؟ قلت : مات منذ سنين كثيرة . فقال : اعْلَمْ أنِّى كنتُ [٣] مررتُ عليه يوماً فدعانى وقال لى : أَنْظُرُ لك ؟ قلت : افعلْ . فَنَظَرَ ثم قال : ستملك هذه المدينة وتأمُرُ فيها وتنهى . وكان معى درهمان [٤] فدفعتهما إليه ، فقال : ماهذا [٥] ؟ فقلت : مامعى غيرهما [٦] . فقال : وإنَّ يَدَكَ [٧] ستملك هذه المدينة وغيرها ، وتبلغ مبلغاً عظيماً ، فَاذْكُرْنى . وانصرفتُ [بعد أن عاهدته على الوفاء والإحسان] [٨] ، فلما نمتُ البارحة رأيته فى منامى وهو يقول لى : ما على هذا فارقتنى ! فأُريد أن تمضى [٩] وتسأل عن حاله ، وهل له وَرَثَة [١٠] ؟ .

فمضيتُ إلى داره التى كان يسكنها ، فسألتُ عنه ، فقيل لى : له ابنتان [١١] ، إحداهما متزوجة والأخرى لم تتزوج ، وهى بِكْرٌ ، فعدتُ إليه

---

(١) فى « م » : « النطقى » .

(٢) فى « ص » : « ما فَعَل ؟ » .

(٣) فى « م » : « قد كنت » .

(٤) فى « ص » : « درهمين » . وفى « م » : « وكان معى من الفلوس درهمين » وكلاهما خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، اسم كان مرفوع بالألف لأنه مثنى .

(٥) فى « ص » : « أى شىء هذا ؟ » .

(٦) فى « م » : « غير هذين » .

(٧) فى « م » : « وأزيدُكَ » .

(٨) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٩) فى « م » : « تمضى إلى محلته » .

(١٠) فى « ص » : « وهل خَلَّفَ له ورثة » .

(١١) فى « م » : « إن له ابنتان » لا تصح ، والصواب : ابنتين ، اسم إن .

فأخبرته ، فأرسل لهما أربعمائة دينار ، واشترى لهما دارًا بأربعة آلاف درهم ، وجهز البكر أيضًا بمائتى دينار (١) .

وقيل : لقى الإخشيدى ابنَ سعيد المكفوف المُفَسِّر ، فقال له : رأيتُ (٢) فى المنام كأنَّ أُمَّ الفتيان رَفَعَتْ إلَىَّ دُرْجا (٣) فيه خواتيم ، فسلمتُ الدُّرْجَ إلى أخى (٤) المظفر ، ثم عدتُ فأخذتُه منه وسلمته لهذا الغلام – يعنى كافور – فقال : يبلغ بك مبلغًا عظيمًا . فلما انصرف الإخشيدى قام ابن سعيد فقال : اطلبوا لى كافورَ (٥) ، فطلبوه ، فلما جاء قال : اتَّقِ الله فى المسلمين ، فإنك ستبلغ درَجَة مولاك . فاذكُرْنِى ولا تَنْسَنِى !

فلما بلغ كافور مابلغ أرسل إليه إلى دمشق وأحْضَرَهُ ، وأجْرَى عليه [رزقًا كثيرًا] (٦) إلى أنْ تُوفى كافور .

ودخل على كافور غلامٌ ، فقال له : ما اسمُك ؟ قال : كافور . قال : نعم ، ما كُلُّ مَن اسمه محمد نَبِيٌّ !

وقيل : كثرت الزلازل بمصر فى زمنه ، وأقامت ستة أشهر (٧) ليلاً ونهارًا ، فأنشده محمد بن القاسم قصيدة يقول فيها :

مَازُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ سوءٍ يُرادُ بها … لَكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِهِ فَرَحَا

وتوفى كافور – رحمه الله تعالى .. سنة سبع وخمسين وثلاثمائة (٨) .

---

(١) فى « ص » : « فأرسل فاشترى لها دارًا بأربعمائة دينار ، ودفع للبكر مائتين تُجَهَّز بهما » .

(٢) فى « م » : « رأيت لى » .

(٣) الدُّرْج : سفيط أو (شبه صندوق) توضع فيه الأشياء .

(٤) فى « م » : « لأخى » .

(٥) هذه العبارة عن « م » ، ومضطربة فى « ص » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٧) قوله : « أشهر » عن « ص » .

(٨) فى « م » و « ص » : « سنة ٣٤٥ هـ » . وما أثبتناه عن النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠ ، وغير ذلك من مراجع .

تربة أبى الفضل جعفر بن الفرات :

ثم تمضى من قبته إلى الشرق [١] تجد قُبة لطيفة ، يقال إن تحتها سيده مدفون فيها [٢] . [وبجانبها من الشرق سبعة قبور على صُفَّة ، يقال إنهم وزراء ، رحمهم الله تعالى] [٣] وبجانبها من الشرق تربة تعرف بالوزير [٤] أبى الفضل جعفر بن الفرات رحمه الله ، نزل مصر [٥] وتقلَّد الوزارة لكافور ، وكان أبوه وزيرَ المقتدر بالله ، وله [٦] رحلة فى [طلب] الحديث . وحَدَّثَ [٧] عن أبى طالب عبد الله السابورى ، وأبى الحسن ، ومحمد بن فرج الحضرمى [٨] ، وغيرهم . ورَوَى عنه جَمْعٌ غفير .

قال أبو الفضل المذكور : حدثنى سعيد قال : أخبرنى أيوب عن وَهْب : « مكتوب فى مزامير داود : أتدرى لِمَنْ أغفرُ من عبادى ؟ قال : لا يارب . قال : للذى أَذْنَبَ ذنبًا فارتعدت فرائصه من ذلك . آمُرُ الملائكة ألَّا يكتبوا [٩] عليه ذلك .

ومن كلامه – رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته فى الدنيا والآخرة – شعر :

---

(١) فى « م » : « إلى الرستق » .
(٢) فى « م » : « يقال إنه سيده فيها مدفون » .
(٣) مابين المعقوفتين عن « ص » .
(٤) فى « ص » : « فيها قبر الوزير » .
(٥) فى « م » : « ترك مصر » تحريف . [انظر ترجمته فى الوفيات ج ١ ص ٣٤٦ – ٣٥٠ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ١٦٣ – ١٧٧] .
(٦) فى « ص » : « وكان له » . ومابين المعقوفتين من عندنا .
(٧) من هنا إلى نهاية الترجمة عن « م » وساقط من « ص » .
(٨) هكذا فى « م » .. وفى وفيات الأعيان : محمد بن هارون الحضرمى ، وفى معجم الأدباء : محمد بن هارون الحصرى ، ولم أقف عليه .
(٩) فى « م » : « ألّا يكتبون » لا تصح .

مَنْ أَخْمَلَ النَّفْسَ أَحْيَاهَا وَرَوَّحَهَا ... وَلَمْ يَبِتْ طَاوِيًا مِنْهَا عَلَى ضَجَرِ [١]
إنَّ الرِّيَاحَ إذا اشْتَدَّتْ عَوَاصِفُهَا ... فَلَيْسَ تَرْمِى سِوَى العَالِى مِنَ الشَّجَرِ

وله أيضًا – رضى الله عنه :

مَنْ لى بِصُحْبَةِ مَنْ إِذَا أَغْضَبْتُهُ ... وسَخِطْتُ كَانَ الحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ
وَإِذَا طَرِبْتُ إلى المُدَامِ سَكِرْتُ مِنْ ... أَخْلاقِـهِ وَطَـرِبْتُ مِـنْ آدابِـهِ
وَتَرَاهُ يُصْغِى لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ ... وَبِقَلْبِـهِ وَلَعَلَّـهُ أَدْرَى بِـهِ

وكانت وفاة الوزير فى سنة ٣٩١ هـ [٢] .

وتخرج من باب التربة تجد على يمينك قبرين ، بهما سيدتان شريفتان [٣] قيل : هما من أولاد جعفر بن محمد الصادق ، وفى ذلك نَظَر ، والله أعلم [٤] .

قبر أبى الحسن الطرائفى [٥] :

وهناك قبر الطرائفى [٦] – رحمه الله – كان يَقْرِى الضيفان [٧] . واسمه علىٌّ ، وكُنيته أبو الحَسَن ، كان مُكْرِمًا للفقراء ، كثير الضيافة لهم .

---

(١) هكذا البيت فى المصدرين السابقين .. وفى « م » : « الناس » مكان « النفس » ، تحريف من الناسخ . وأَخْمَلَ النفس : أخفاها ولم يجعل لها نصيبًا من الشهرة . والطاوى : الضامر المنكمش .

(٢) يقال : إنه أوصى أن يُدفن فى المدينة ، حيث اشترى دارًا بالقرب من المسجد النبوى – على ساكنه أفضل الصلاة والسلام – ولما مات حُمِل تابوته من مصر ودفنوه فى الدار المذكورة ، والله أعلم . [انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٩] .

(٣) فى « م » : « السيدتين الشريفتين « ثناء وثناء » .

(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٥) العنوان من عندنا .

(٦) فى « ص » : « تخرج من التربة على يمينك تجد قبر الطرائفى .

(٧) يقرى الضيفان : يضيفهم ويكرمهم .. وما بعد ذلك إلى نهاية الترجمة عن « م » وساقط من « ص » .

ويحكى عنه أنَّ رجلاً جاء إلى حانوته وهو فى قوة بيعه واجتماع الناس عليه ، فقال له : ما حَاجَتُكَ أيها الشيخ ؟ فسكَتَ ومَشَى ، فقام إليه الطرائفى وترك بيعه وقال له : ما حاجتُك ؟ فقال له : أحتاج إلى ثوب وعمامة وسراويل . فقال : بسم الله ، ثم أَمَرَ الطرائفى غُلامَه فاشترى ذلك ، وأخذ الطرائفى الرجل وجاء به إلى البيت ، ثم قال له : هل بَقِيَتْ حاجة ؟ قال : نعم ، نحن عَشَرَةٌ وأنا واحدٌ منهم ، ما ينبغى لى أنْ أَتَخَصَّصَ . فقال له : امْضِ وَأْتِنِى بهم . فَذَهَبَ وجَاءَ بهم . فلما حضروا قال لهم : ما تشتهون ؟ فَاشْتَهَى كل واحد منهم لَوْنًا ، فطَبَخَ لهم جميع ما طلبوه ، وقَدَّم لهم الطعام ، فأَكَلَ كُلُّ واحدٍ ما اشتهاه ، ولَمَّا فرغوا [1] سأَلَهُم : هل تشتهون ؟ هل بقيتْ لكم حاجة ؟ قالوا : نعم ، أَنْ يُوقِفَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وأَنْ يُدَلِّلَكَ كما دَلَّلْتنا ! فَبَكَى .

ثم إنه كَسَا الجميع ، وقال لصاحبه الأول : هل بقيتْ لكَ حاجة ؟ قال : نعم ، تُزَوِّجُنِى بِابْنَتِكَ . قال : بسم الله . ثم زَوَّجَهُ ابنته وأسكنه عنده ، وقام له بما يحتاج إليه فى ليلة عُرْسِهِ ، وأَدْخَلَ زَوْجَتَهُ عليه .

ثم إن الطرائفى نام تلك الليلة ، فرأى أنَّ القيامة قد قامت ، وقد تَجَلَّى الله سبحانه وتعالى ، وجاء به وأوقفه بين يديه وقال له : تَدَلَّل كما تَدَلَّلَتِ الفقراء عليك .. ثم أُعْطِىَ قصرًا عظيمًا ، ووجد طعاماً كثيرًا ، ووجد دَاخِلَ القصر حُورًا لم يَرَ مثل صِفَتِهَا . فلما [استيقظ] [2] من منامه جاء إلى زوج ابنته فقال له : كيف كانت ليلتك مع زوجتك ؟ قال : كليلتكَ مع رَبِّكَ ! فقال له : كيف وجدت البيت ؟ قال : كيف وجدتَ القصر ؟ قال : أعجبتك الحور ؟

والطرائفى منسوب إلى بيع الطرائف ، وهى الأشياء الحَسَنَة [3] .

* * *

---

(١) فى « م » : « ثم لمّا فرغوا » .

(٢) مابين المعقوفتين من عندنا ، سقط سهوًا من الناسخ .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

ثم تخرج إلى الخندق وتنزل منه وتطلع تجد تربة فيها الياسمينى والنسرينى وجماعة من الصالحين – رحمة الله عليهم .

قبر الفقيه نجم الدين عُمَارة بن على اليمنى [١] :

ثم تمضى إلى تربة تُعرف بتربة بنى المنتجب ، بها قبة فيها قبر الفقيه الفاضل نجم الدين عُمارة بن على بن زيدان [٢] ، المكنى أبا محمد الحَكَمِى المَذْحِجِىّ اليمنى الشَّافِعِىّ الفَرضى ، الشاعر المشهور .

تَفَقَّهَ بِزَبيد مدة أربع سنين [٣] ، وَهُو من قَحْطَان ، ثم الحَكَم بن سعد العشيرة المَذْحِجِىّ . وُلِدَ بتهامة من أرض اليمن فى مدينة يُقال لها « مَرْطان » من وادى « وَسَاع » [٤] ، وبُعْدُها من مكة فى مهب [٥] الجنوب أَحَدَ عشر يوماً [٦] ،سنة ٥١٥ هـ ، وبلغ بها الحُلم سنة ٥٢٩ هـ ، ورَحَل [٧] إلى زبيد سنة ٥٣١ هـ ، وحج سنة ٥٤٩ هـ ، فَسَيَّرَهُ صاحبُ مكَّةَ قاسمُ بن هاشم بن فليتة رسولاً إلى الفائز [٨] خليفة مصر ، فمدحه بقصيدة ميمية ، فَوَصَلَهُ [٩] ، ومَدَحَ ابن رُزِّيك فأَحْسَنَ صِلَتَهُ .

---

(١) العنوان من عندنا . وهذه الشخصية لم يرد لها ذكر فى « ص » . [وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٥٩٢ – ٥٩٦ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٠ و ٧١ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٣١ – ٤٣٦ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٢٣٤ و ٢٣٥] .

(٢) فى الوفيات : « ريدان » بالراء المهملة .

(٣) فى « م » : « أربع سنين فى المدرسة بزبيد » .

(٤) فى « م » : « وادى السباع ، وقيل : وادى وساع » ، والأخيرة التى أثبتناها هى التى ورَدَ لها ذكر فى الوفيات وفى معجم البلدان ، وذكر ياقوت أنها من قُرَى اليمن .

(٥) فى « م » : « محل » مكان « مهب » . وما أثبتناه عن الوفيات ج ٣ ص ٤٣٢ .

(٦) فى « م » : « إحدى عشر » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) فى « م » : « ودخل » .

(٨) هو الفائز بن الظافر .

(٩) فوصَلَهُ : أجزل له العطاء والصِّلة . وهذه القصيدة فى الوفيات ج ٣ ص ٤٣٢ و ٤٣٣ ومطلعها :

الحمدُ للعيسِ بَعْدَ العَزْمِ والهِمَمِ حمدًا يقومُ بما أَوْلَتْ من النِّعَمِ

ثم عاد إلى مكة ، وذهب إلى زَبِيد ، ثم حج ، وأعاده صاحب مكة فى رسالة إلى مصر ثانية ، فدخل مصر واستوطنها إلى أنْ صُلِبَ .

وكان شافعيًا شديد التعصب للسُّنَّة ، وأديبًا ماهرًا ، وشاعرًا مجيدًا ، ولم يَزَلْ فى عُلُوٍّ فى دَوْلة المصريين إلى أنْ مَلَكَ السلطان صلاح الدين ، فمدحه كثيرًا ، ومدح الفاضل [1] كثيرًا ، ثم إنه شرع فى أُمورٍ ، وأَخَذَ فى اتفاقٍ مع رؤساء البلد فى التعصب للعبيديين وإعادة أمرهم ، فنُقِلَ أَمْرُهُم ، وكانوا ثمانية من الأعيان ، فأَمَرَ صلاح الدين بشنقهم فى رمضان سنة ٥٦٩ هـ .

ويقال : إن صلاح الدين لمَّا استشار الفاضل فى أمره فقال : نسجنه . فقال : يُرْجَى خَلاصُهُ .. فقال : نضربه عقوبةً .. فقال : الكَلْبُ يُضْرَبُ فيسكت ثم ينبح . فقال : نشنقه . فقال : الملوك إذا أرادوا شيئًا فعلوه ، ونهض قائماً ، فَعَلِمَ السلطانُ أنَّ هذا هو الرأى .

وقيل : أُحْضِرَ عمارة ، فأخذ الفاضل فى تلطيف أمره مع السلطان — بينه وبينه — فقال عمارة : بالله ياMولانا لا تسمع منه مايقول فِىَّ . فقال السلطان : نعم ، والله أعلم بأمر الفاضل وأمر عمارة ، ثم إنه رسم فيه بما رسم ، فقال عمارة للمُوَكَّلِينَ به : بالله مُرُّوا بى على باب القاضى الفاضل لَعَلَّهُ يرق لى .. فَمَرُّوا به ، وكان الفاضل جالسًا على باب داره ، فلما رآه مُقْبِلاً دخل داره وأغلق بابه ، فقال عمارة :

عَبْدُ الرَّحِيمِ قَدِ احْتَجَبْ   إنَّ الخَلاَصَ مِنَ العَجَبْ

ويقال : إنه مَرَّ قبل كائنته [2] بيومين أو ثلاثة ، فرأى بين القصرين مصلوبًا فقال :

---

(١) هو القاضى الفاضل ، عبد الرحيم بن على بن الحسن البيسانى ، وزير صلاح الدين وكاتب سره .

(٢) هكذا فى « م » .. ولعله يريد : قبل موته .

وَمَدَّ عَلَى صَلِيبِ الصُّلْبِ مِنْهُ يَمِينًا لا تَطُولُ إلى الشِّمَالِ
وَنَكَّسَ رَأْسَهُ لِعِتَابِ قَلْبٍ دَعَاهُ إلى الغَوَايَةِ والضَّلَالِ

وقال بعضهم : عَبَرْتُ بين القصرين وأنا عائدٌ على دار السلطان صلاح الدين عَشِيَّةَ النهار الذى شُنِقَ فيه عمارة اليمنى ، فشاهدته هناك مشنوقًا ، فذكرتُ أبياتًا له عملها فى الصَّالح [(١)] ، وهى هذه ، قال :

إِذَا قَدَرْتَ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْغَلَبِ فَلا تُعَرِّجْ عَلَى سَعْيٍ وَلاَ طَلَبِ
وَلاَ تَرِقَّنَّ لى إِنْ كُرْبَةٌ عَرَضَتْ فَإِنَّ قَلْبِىَ مَخْلُوقٌ مِنَ الكُرَبِ
وَاسْتَخْبِرِ الْهَوْلَ كَمْ آنَسْتُ وَحْشَتَهُ وَكَمْ وَهَبْتُ له رُوحِى ولَمْ أَهَبِ

ومن نظمه - رضى الله عنه :

بَاتَ يَرْعَى السُّهَا بِطَرْفٍ مُؤَرَّقْ وفُؤَادٍ مِنَ الْغَرامِ مُحَرَّقْ [(٢)]
لَيْتَ أَيَّامَهُ السَّوَالِفَ يَرْجِعْنَ وَيَجْمَعْنَ طِيبَ عَيْشٍ تَفَرَّقْ
دِمَنٌ أَنْبَتَ الْجَمَالُ ثَرَاهَا وَرَعَى الشَّوْقُ غَضَّهَا حِينَ أَوْرَقْ [(٣)]
فَتَحَ الطَّلُّ زَهْرَهَا وَتَوَلَّى نَشْرَهُ رَاحَةُ النَّسِيمِ الذى رَقْ

وله أيضًا :

يا أَيُّهَا النَّاسُ والخِطَابُ إلى مَنْ هُوَ مِنْ حَيْثُ فَضْلُهُ إِنْسَانُ
هَذِهِ خُطْبَةٌ إِلَى غَيْرِ شَخْصٍ نَظْمَةٌ عِقْدُ نَثْرِهَا الأَوْزَانُ
لَمْ أُخَصِّصْ بِهَا فُلاَنًا لِأَنِّى فى زَمَانٍ مَا فِى بَنِيهِ فُلَانُ
مَنْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَزِيَّةُ فَهْمٍ فَلْيَكُنْ سَامِعاً فَعِنْدِي لِسَانُ [(٤)]

---

(١) هو الوزير الصالح ابن رُزِّيك .

(٢) السُّها : كوكب صغير خَفِىُّ الضوء .

(٣) الدِّمنُ : آثار الناس وماسَوَّدُوا .

(٤) مَزِيَّة فَهْم : فضيلة فهم ، أو تمام عقل .

لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ إِلَّا ... حَسَنَاتٌ يَزِينُهَا الإِحْسَانُ (١)
وَالْخَطَايَا بِالْعَطَايَا [تُوَلَّتْ] ... كَمْ جَمِيلٍ بِها المَسَاوِى تُصَانُ (٢)
لا يَغُرَّنَّكُمْ زِيَادَةُ حَالٍ ... فَالزِّيَادَاتُ بَعْدَهَا نُقْصَانُ
وَإِذَا الدَّوْمُ لَمْ يُظَلِّ مِنَ الشَّمْسِ ... فَلاَ أَوْرَقَتْ لَهُ أَغْصَانُ (٣)
وَأَحَقُّ الأَنَامِ بِالذَّمِّ جِيلٌ ... بَيْنَ أَبْنَائِهِ كَرِيمٌ يُهَانُ
طُرُقُ الْجُودِ غَيْرُ ما نَحْنُ فِيهِ ... قَدْ سَمِعْنَا الدَّعْوَى فَأَيْنَ الْبَيَانُ ؟
أُصَيِّرَ الْجُودَ قِصَّةً عند قَوْمٍ ... مُسْتَحِيلاً فى حَقِّهَا الإِمْكَانُ
وَعَدِمْنَا نَشْرًا يَدُلُّ عليه ... إِنَّمَا النَّارُ حَيْثُ ثَمَّ الدُّخَانُ
كَذَّبُونِى بِوَاحِدٍ يَهَبُ الأَلْفَ ... وَأَنَّى مِنَ السَّمَاعِ الْعَيَانُ ؟

وقال أيضًا - عفا الله عنه :

إِذَا لَمْ يُسَالِمْكَ الزَّمَانُ فَحَارِبِ ... وَبَاعِدْ إِذَا لَمْ تَنْتَفِعْ بِالأَقَارِبِ
وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدًا ضَعِيفًا فَرُبَّمَا ... تَمُوتُ الأَفَاعِى من سُمُومِ الْعَقَارِبِ (٤)
فَقَدْ هَدَّ قِدْماً عَرْشَ بِلْقِيسَ هُدْهُدٌ ... وَخَرَّبَ فَأْرٌ قَبْلَ ذا سَدَّ مَأْرِبِ (٥)
إِذَا كان رَأْسُ المَالِ عُمْرَك فَاحْتَرِزْ ... عَلَيْهِ مِنَ الإِنْفَاقِ فى غَيْرِ وَاجِبِ
فَبَيْنَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالصُّبْحِ مَعْرَكٌ ... يَكِرُّ عَلَيْنَا جَيْشُهُ بِالْعَجَائِبِ
وَمَارَاعَنِى غَدْرُ الشَّبَابِ لِأَنَّنِى ... أَنِسْتُ بِهَذَا الخُلْقِ مِنْ كُلِّ صَاحِبِ (٦)
وَغَدْرُ الْفَتَى فى عَهْدِهِ وَوَفَائِهِ ... وَغَدْرُ الْمَوَاضِى فى نُبُوِّ المَضَارِبِ (٧)

---

(١) البريّة : الخلق .
(٢) مابين المعقوفتين من عندنا ، وورد مكانه بياض بالأصل .
(٣) الدَّوْمُ : شجر المُقْل .
(٤) فى « م » : « ولا تحترق » مكان « ولا تحتقر » تحريف ، وما أثبتناه عن الوفيات .
(٥) فى « م » : « وجرب » مكان « وخرّب » تحريف . وسقط منها « ذا » ولا يستقيم الوزن إلا به .
(٦) فى « م » : « وما راعنى فَقْدُ الشباب » وما أثبتناه عن الوفيات .
(٧) المواضى : السيوف القواطع . ونُبُوّ السيوف : عدم إصابتها الهدف . وفى « م » : « فى بنود » تحريف .

إِذَا كَانَ هَذَا الدُّرُّ مَعْدِنُهُ فَمِى   فَصُونُوهُ عَنْ تَقْبِيلِ رَاحَةِ وَاهِبِ
رَأَيْتُ رِجَالاً أَصْبَحَتْ فى مَآدِب   لَدَيْكُمْ ، وَحَالِى وَحْدَهَا فى نَوَادِبِ
تَأَخَّرْتُ لَمَّا قَدَّمَتْهُـمْ عُلاَكُـمُ   عَلَىَّ ، وَتَأْبَى الأُسْدُ سَبْقَ الثَّعَالِبِ
تُرَى أَيْنَ كَانُوا فى مَوَاطِنِىَ التى   غَدَوْتُ لَكُمْ فِيهِنَّ أَكْرَمَ نَائِبِ [١]
لَيَالِىَ أَتْلُو ذِكْرَكُمْ فى مَجَالِس   حَدِيثُ الْوَرَى فيها بِغَمْزِ الْحَوَاجِبِ

* * *

قبر كمال الدين ابن العديم [٢] :

ثم تمضى من تُربة « عُمارة » إلى حُوش كبير يُعْرَف بحوش بنى يعمر ، به القاضى الأَجَلُّ الصَّاحِب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبى الفضل هبة الله بن أبى غانم محمد بن هبة الله بن قاضى حلب أبى الحسن أحمد بن يحيى ابن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبى جَرَادَة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عُقَيْل ، رئيس الشام العُقَيْلى الحلبى المعروف بابن العديم ، وُلِدَ - رحمه الله - سنة ٥٨٦ هـ ، وتوفى سنة ٦٦٠ هـ وقيل : بل سنة ٦٦٦ هـ . وقيل ٦٦٨ هـ [٣] .

وَسمِعَ من أبيه ، ومن عمه أبى غانم ، وابن طَبَرْزَد ، والافتخار ، والكندى ، والحرستانى [٤] . وسمع جماعة كثيرة بدمشق وحلب والقدس

---

(١) فى « م » : « عَدَدْتُ » مكان « غَدَوْتُ » . وماهنا عن الوفيات .

(٢) العنوان من عندنا ولم يرد فى « ص » أيضًا . [وانظر ترجمته فى معجم الأدباء ج ١٦ ص ٥ - ٥٧ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٩ ، والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٠٨ - ٢١٠ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٣] .

(٣) أكثر المصادر التى ترجمت له مجمعة على أن وفاته كانت سنة ٦٦٠ هـ . وتاريخ وفاته هذا يدل على أن ما كُتِبَ عنه هنا ، كُتِبَ بعد وفاة موفق الدين بن عثمان ، مؤلف « مرشد الزوار » ، والمتوفى سنة ٦١٥ هـ ، كما أشرنا إلى ذلك آنفًا فى أكثر من موضع .

(٤) هكذا فى وفيات الوفيات . وفى « م » : « وابن الحرستانى » .

والحجاز والعراق . وكان مُحَدِّثًا حافظاً ، مؤرخًا صادقًا ، فقيهًا مُفتيًا ، مُنْشِئًا بليغًا ، كاتباً مُجَوِّدًا . دَرَّسَ ، وأَفْتَى ، وصَنَّفَ ، وترسل [١] عن الملوك ، وكان رأسًا فى الخط المنسوب ، لاسيما النسخ والحواشى .

وَرُئِىَ فى النوم بعد وفاته ، فقيل له : مافعل الله بِكَ ؟ فقال : نفعنى ما كتبته بيدى من العِلْم . فقيل له : هل تعلم بنا إذا زُرْنَاكَ ؟ قال : نعم ، ويُقَالُ لى : هذا فلان ابن فلان .

أَطْنَبَ الحافظ شرف الدين الدمياطى فى وصفه وَقال : ولى قضاء حَلَب خمسةٌ من آبائه متوالية [٢] ، وله الخط البديع والخط الرفيع ، والتصانيف الرائقة ، منها : « تاريخ حلب » ، أَدْرَكَتْهُ المنيَّةُ قبل كمالِ تَبْييضِهِ ، وكتاب « الدَّرَارِى فى ذكر الذَّرَارى » جَمَعَهُ للملك الظاهر ، وقدمه إليه يوم وُلِدَ وَلَدُهُ العزيز . وكتاب « ضوء الصباح فى الحَثِّ على السَّمَاح » [٣] ، صَنَّفَهُ للملك الأشرف . وكتاب « الأخبار المستفادة فى ذكر بنى [أبى] [٤] جرادة » . وكتاب فى الْخَطِّ وعُلومه ، ووصف آدابه ، وطروسه وأقلامه . وكتاب « دَفْع الظلم والتجرى عن [٥] أبى العلاء المَعَرِّى » . وكتاب « الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار » .

ومِمَّنْ كَتَبَ إليه يسترفِدُهُ شيئًا من خَطِّه [٦] سعد الدين مَنُوجَهْرُ

---

(١) أى : أرسل رسولًا أو رسالة .

(٢) متوالية ، أى : متتابعين .

(٣) فى « م » : « السماع » وما أثبتناه عن فوات الوفيات ج ٣ ص ١٢٧ ، ومعجم الأدباء ج ١٦ ص ٤٥ .

(٤) مابين المعقوفين عن المصدرين السابقين .

(٥) فى « م » : « دفع التجرى على .. » وما أثبتناه عن فوات الوفيات .

(٦) فى « م » : « يسترفده خطه » . وما أثبتناه عن معجم الأدباء ج ١٦ ص ٤٦ .

المَوْصِلِىُّ ، وأمين الدين ياقوت المعروف بالعالم [١] ، صِهْر ياقوت الكاتب الذى يُضْرَبُ به المثل [فى جودة الخط] [٢] .

وكان فى بعض سَفْراته يركب فى مِحَفَّة تُشَدُّ له بين بَغْلَيْنِ ويجلس فيها ويكتب .

قال ياقوت : سألْتُه لِمَ سُمِّيتُمْ بِبَنِى العَدِيم ؟ فقال : سألتُ جماعةً من أهلى عن ذلك فلم يَعْرِفُوهُ ، وقالوا : هو اسم مُحْدَثٌ لم يكن آبائى القدماء يُعْرَفُونَ [بهذا] [٣] ولم يكن فى نساء أهلى مَنْ يعرف به ، ولا أَحْسَبُ إِلَّا أَنَّ جَدَّ جَدِّى القاضِىَ أَبَا الفضل هِبَةَ الله بن أحمد بن يحيى بن زُهَيْر بن أبى جَرادَةَ — مع ثروة واسعة ونعمة شاملة — كان يُكْثِرُ فى شِعْرِهِ من ذِكْر العُدْمِ [٤] وشَكْوَى الزمان ، فَسُمِّىَ بذلك ، فإنْ لم يكن هذا سَبَبَهُ فلا أَدْرِى ما سَبَبُهُ ؟

وقال : ختمتُ القرآن ولى تسع سنين ، وقرأتُ بالعَشْرِ ولى عَشْرُ سنين ، ولم أكتبْ عَلَى أَحَدٍ مَشْهُورٍ إِلَّا تَاجَ الدِّين محمد بن أحمد بن البَرَفْطِىِّ [٥] البغدادىِّ ، وَرَدَ إلينا حَلَب ، فكتبتُ عليه أياماً [٦] قلائلَ لم يَحْصُلْ مِنْهُ فِيهَا طَائِلٌ .

ورَوَى عنه الدواداريُّ ، وغيره ، ومِنْ شعره [٧] :

---

(١) هكذا فى المصدر السابق .. وفى « م » : « بالمعلم العالم » .

(٢) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق ولم يرد فى « م » .

(٣) مابين المعقوفتين عن ياقوت ولم يرد فى « م » .

(٤) العُدْم : الفقر . والعديم : الفقير الذى لا مالَ له .

(٥) فى « م » : « أحمد البرفطى » وما أثبتناه عن معجم الأدباء ج ١٦ ص ٤٢ .

(٦) فى « م » : « أيام » لا تصح ، والصواب بالنصب .

(٧) الشعر وَرَد فى الوفيات ج ٣ ص ١٢٨ ، وورد فى معجم الأدباء ج ١٦ ص ٥١ .

وَأَهْيَفَ مَغْسُولِ الْمَرَاشِفِ خِلْتُهُ ... وَفِي وَجْنَتَيْهِ لِلْمُدَامَةِ عَاصِرُ [(١)]

يُسِيلُ إِلَى فِيهِ اللَّذِيذِ مُدَامَةً ... رَحِيقًا وَقَدْ مَرَّتْ عليه الأَعَاصِرُ [(٢)]

فَيَسْكَرُ مِنْهُ عِنْدَ ذَاكَ قَوَامُهُ ... فَيَهْتَزُّ تِيهًا وَالْعُيُونُ فَوَاتِرُ [(٣)]

كَأَنَّ أَمِيرَ النَّوْمِ يَهْوَى جُفُونَهُ ... إِذَا هَمَّ رَفْعًا خَالَفَتْهُ الْمَحَاجِرُ [(٤)]

خَلَوْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ أَهْلُهُ ... وَقَدْ غَابَتِ الجَوْزَاءُ واللَّيْلُ سَاتِرُ [(٥)]

فَوَسَّدْتُهُ كَفِّي وَبَاتَ مُعَانِقِي ... إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءٌ مِنَ الصُّبْحِ سَافِرُ [(٦)]

فَقَامَ يَجُرُّ الْبُرْدَ مِنْهُ عَلَى تُقًى ... وَقُمْتُ وَلَمْ تُحْلَلْ لِإِثْمٍ مَآزِرُ [(٧)]

كَذَلِكَ أَحْلَى الْحُبِّ ما كَانَ فَرْجُهُ ... عَفِيفًا وَوَصْلٌ لَمْ تَشِنْهُ الْجَرَائِرُ [(٨)]

* * *

وبالحوش المذكور قبر يوسف بن يوسف ، المكنى أبا سهل القصيرى ، الأديب ، تولى تدريس الحديث بالمدرسة الكاملية ، وكان قليل الرواية ، وتوفى بالمدرسة الكاملية المذكورة .

---

(١) الأهيف : دقيق الخصر والضامر البطن . والمراشف : الشفاه ، أو جمع مَرْشف ، ويُطلق على موضع الرشف . والمُدامة : الخمر .

(٢) فيه : فمه .

(٣) العيون الفواتر : التى فيها ضعف وانكسار ، وهذا مستحسن فيها .

(٤) فى « م » : « أمير القوم » . ومَحَاجِر العين : ما أحاط بها .

(٥) فى المصدرين السابقين « غارت » مكان « غابت » وهى بمعناها .

(٦) فى « م » : « وباب » مكان « وبات » تحريف .

(٧) فى « م » : « البر » مكان « البرد » خطأ ، والصواب ما أثبتناه من المصدرين السابقين .

(٨) لم تَشِنْه : لم تَعِبْه ، وفى الفوات : « لم تَشُبْهُ » وهى بمعناها . والجرائر : جمع جريرة ، وهى الجناية والذنب وكل ما يُعاب .

قبر الإمام عمر بن دَحْيَة الكلبى [١] :

ثم تخرج من الحوش وتأتى إلى حوشٍ يُلاصقه من الجهة البحرية ، بالحوش المذكور ، قبر الإمام الحافظ الحُجَّة عمر بن حسن بن على بن محمد الجُمَيِّل بن بدر بن أحمد بن دَحْيَة – بكسر الدال وفتحها ، والفتح أفصح ، صاحب رسول الله ، ﷺ ، الذى كان يهبطُ الأمين جبريل على صورته وهيئته – ابن خليفة ابن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخَزْج [٢] – بغير راء – ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف [٣] ، واسمه زيد اللّات بن رُفَيْدَة ابن ثَوْر بن كُلَيْب [٤] بن وَبَرَة بن ثعلب . وقيل : تَغْلِب بن حُلوان بن عمران ابن الحافِى بن قضاعة الكلبى الدَّانِّى السَّبْتى الأندلسى البلنسى الأنصارى الخزرجى ، المعروف بذى النسبين ، والمكنى أبا الفضل وأبا الخَطَّاب ، كما ذكر ذلك يحيى الكلبى ، وأنه سبط ابن البسام الحَسَنى الفاطمى .

وكان المذكور من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء ، مُتْقِنًا لعلم الحديث النبوى ، وكل ما يتعلق به ، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العَرَب [٥] ، وأشعارها .. اشتغل بطلب الحديث فى أكثر بلاد الأندلس الإسلامية [٦] ، ولقى بها العلماء والمشايخ ، ثم رحل واجتمع بفضلاء مراكش ، ثم رحل إلى إفريقية ، ومنها إلى الديار المصرية ، ثم رحل إلى الشام والشرق والعراق ، ودخل إلى عراق العجم وخراسان ، وما وراء كل ذلك فى طلب الحديث والاجتماع بأئمته ، والأخذ عنهم ، وهو فى تلك الحالة يؤخذ عنه ، ويُستفاد منه .

---

(١) العنوان من عندنا ، ولم يرد فى « ص » أيضًا وتوفى عمر بن دحية هذا سنة ٦٣٣ هـ كما سيأتى – أى بعد وفاة مؤلف مرشد الزوار بثمانى عشرة سنة . [انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٤٨ – ٤٥٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٢٠ – ١٤٢٣ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٨٦ – ١٨٩ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ١٦٠ و١٦١ ، ونفح الطيب ج ٢ ص ٣٠٥ – ٣١١] .

(٢) فى « م » : « الخزرج » تحريف من الناسخ .

(٣) فى « م » : « الأبكر » تحريف .. وفى أسد الغابة : « ابن بكر بن عوف » .

(٤) فى أسد الغابة : « كلب » .

(٥) فى « م » : « القرب » تحريف .

(٦) فى « م » : « السلامية » تحريف .

وقَدِمَ مدينة إربل سنة ٦٠٤ هـ وهو مُتَوجِّهٌ إلى خراسان ، فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين – رحمه الله تعالى – مُحِبًّا لعمل مولد النَّبِيِّ ﷺ ، والاحتفال به ، فعمل له كتابًا سَمَّاه « التنوير فى عمل مولد البشير النذير » [١] وقرأه عليه بنفسه ، وأجازه المعظم بألف دينار ، وله عدة تصانيف .

وولى القضاء بدانية مرتين وصُرِفَ عنها ، وحج ، ولَمَّا عاد إلى مصر بعد طوافه البلاد استَأْدَبَه [٢] العادل لِوَلَدِهِ [٣] الكامل ، وأسكنه القاهرة ، فنال بذلك دنيا عريضة ، وصَنَّفَ كتابًا سَمَّاه « النص المبين فى المفاضلة بين أهل صِفِّين » . وكان يقول : إنه حفظ صحيح مسلم . وقيل عنه : إنه كان ظاهريَّ المذهب [وكان كثير] [٤] الوقيعة فى أئمة الجمهور من العلماء والسلف الماضيين .. قال مُحب الدين بن النجار : وكان خبيث اللسان ، أَحْمَقَ ، شديدَ الكِبْرِ ، قليل النظر فى الأمور الدينية [٥] ، منها فتاوى دينه ، وقال : قيل ذلك .

وذَكَرَ أنه سمع كتاب « الصِّلَة » لتاريخ الأندلس من ابن بشكوال ، وأنه سمع من جماعة ، وَادَّعى [٦] لقاءَ مَنْ لم يَلْقَهُ ، وسَمَاعَ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ ، وكانتْ أمارات ذلك لائحة عليه [٧] . وكأنَّ القلب يَأْبَى سَمَاعَ كلامه ، ويشهد ببطلان قوله ، وكان صادَفَ قبولًا عند السلطان الملك الكامل ، وأقبل عليه إقبالًا عظيماً ، وكان يُعَظِّمُهُ ويحترمه ، ويعتقد فيه ، ويتبرك به تبركاً تامًّا ، وسمعتُ مَنْ يذكره أنه كان يسوى له المَداس إذا قام ، قال الشيخ شمس الدين : ولأَجْلِهِ

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى الوفيات : « التنوير فى مولد السراج المنير » .
(٢) استأدبه : جعله مُؤَدِّبًا ومعلماً لولده .. وفى « م » : « استفاد به » تصحيف .
(٣) فى « م » : « تولده » تحريف ، والتصويب من نفح الطيب ج ٢ ص ٣١١ .
(٤) مابين المعقوفتين عن تذكرة الحفاظ وساقط من « م » .
(٥) فى « م » : « الدنية » تصحيف .
(٦) فى « م » : « وادعائه » .
(٧) لائحة عليه : واضحة وبادية عليه .

بَنَى السلطان الكامل دار الحديث بالقاهرة وجعله شيخها ، وكان يُرَى بشيء من المُحَارَفَة [١] ، وقيل ذلك عنه للسلطان ، فأمره بتعليق شيء على الشهاب ، فعلَّق كتاباً تكلم فيه على الأحاديث والأسانيد ، فلما وقف عليه الكاملية ، قال له بعد أيام : لقد ضاع منى ذلك الكتاب فَعَلِّقْ لى مثله ، فَفَعَل ، وجاء به ، فرأى الكامل فى الثانى مناقضة الأول ، فَعَلِمَ الكامل صِحَّةَ ما قيل عنه وفيه .

يقول شرف الدين بن عنين [٢] ، لمَّا أنكر الناس عليه فى تَلَقُّبِهِ [٣] بذى النَّسَبَيْنِ [٤] ، وأنَّ دحية لم يُعْقِبْ قال :

دَحْيَةُ لَمْ يُعْقِبْ فَلِم تَفْتَرِى إليه بالبُهْتَانِ والإفْكِ [٥]
ما صَحَّ عِنْدَ النَّاسِ شَىْءٌ سِوَى أَنَّكَ من كَلْبٍ بلا شَكٍّ [٦]

وكان شخص من أدباء النصارى يتعصب لابن دحية ويزعم أنَّ نَسَبَهُ صحيح ، فقال فيه تاج العلى (شاعر) :

يَا أَيُّهَا الْعِيسِىُّ ماذَا الَّذِى تَرُومُ أَنْ تُثْبِتَهُ فى الصَّرِيحْ
إنَّ أَبَا الْخَطَّابِ مِنْ دِحْيَةٍ شَبَهَ الذى تَذْكُرُهُ فى الْمَسِيحْ
ما فِيهِ من كُلِّ كَلْبٍ سِوَى أَنَّهُ يَنْبِحُ طُولَ الدَّهْرِ لا يَسْتَرِيحْ
أَخْرَفُ لا يُهْدَى إلى رُشْدِهِ كَالنَّارِ شَرٌّ أَوْ كَلامٍ كَرِيحْ
فَرَدَّهُ اللهُ إلى غُرْبَةٍ أَوْ هَا هُنَا يَسْتُرُهُ فى الضَّرِيحْ

---

(١) المحارفة : الحرمان وضيق العيش ، والمراد بها هنا « التحريف » .
(٢) هو أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين . [انظر نفح الطيب ج ٤ ص ١٣٤] .
(٣) فى « م » : « تقلبه » تحريف .
(٤) أى : بين دَحْيَة والحسين ، فقد كان يذكر أنه ولد دحية ، وأنه من سبط أبى بسام الحسينى .
(٥) فى نفح الطيب : « تعتزى » مكان « تفترى » . والبيتان من السريع .
(٦) من كلب ، أى : من قبيلة كلب .

فقال ابن دَحْيَة :

يَاذَا الَّذِى يُعْزَى إلى هَـاشِمٍ ذَمُّكَ عِنْدِى فى الْبَرَايَا نَبِيخْ [١]

أَلَسْتُ أَعْلَى النَّاسِ فى حِفْظِ لِمَا يُسْنَدُ إلى جَدِّكُمُ فى الصَّحِيحِ ؟

يَكُون حَظِّى مِنْكُمُ طَعْنُكُم وَأَنَّنِى أُحْمَى بِقَوْم الْمَسِيح

قلت : والله إنَّ ابن دحية معذورٌ فى القول ، ولكن حظ الأفاضل من الدنيا هكذا ، سبحانَ مَنْ له الأمر .

وكانت ولادة أبى الخطاب فى مستهل ذى القعدة الحرام سنة ٥٤٤ هـ . وتوفى فى الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٣٣ هـ بالقاهرة .

وقال عنه وَلَدُ أخيه : كان عمى يقول : وُلِدْتُ فى ذى القعدة أول الشهر سنة ٥٤٦ هـ [٢] .

وبجانبه قبر ولده شرف الدين أبى الطَّاهر محمد ، وُلِدَ – رحمه الله تعالى – سنة ٦٠٠ هـ ، وَسَمِعَ من أبيه ، وتولى [٣] مشيخة دار الحديث الكاملية [٤] مدة مديدة ، وكان يحفظ جُملة من كلام والده ويورده إيرادًا جيدًا ، وتوفى سنة ٦٦٧ هـ .

* * *

ويجاوره تُرْبَةٌ بها قبر الشيخ الإمام المقرئ غياث بن فارس اللَّخْمى المالكى [٥] ، تلميذ السيد الشريف الخطيب ، تلميذ أبى الحَسَن الخَشَّاب علىّ

---

(١) يُعْزَى : يُنْسَب .

(٢) انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٥٠ ، ونفح الطيب ج ٢ ص ٣٠٥،وفيها أنه دُفن بسفح المقطم .

(٣) فى « م » : « وتولى » تحريف .

(٤) انظر « المدرسة الكاملية » فى حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٥) له ترجمة فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٩٨ .

ابن محمد بن أحمد العجلى ، تلميذ أبى بكر اللخمى ، تلميذ موسى بن يونس ابن عبد الأعلى المعروف بالصَّدفى تلميذ وَرْش نافع ، عُرِفَ المذكور بأبى الجود غياث ، توفى - رحمه الله - سنة ٦٠٥ هـ .

قبر عبد الله بن لَهِيعَة [١] :

ثم تمضى إلى حومة بها قبر يُعرف بعبد الله بن لهِيعَة ، وهو أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن لَهِيعَة بن عُقْبَةَ بن فُرْعان الحَضْرَمِىّ ، ولد سنة ٩٧ هـ [٢] ، وولى القضاء على مصر من جهة أبى جعفر المنصور فى مستهل سنة ١٥٥ هـ [٣] ، وكانت ولايته بسبب أنَّ ابن خَدِيج [٤] دخل على المنصور بالعراق فسلم عليه وقال له : توفى ببلدك رجلٌ أُصِيبَتْ به العامَّة ! قال : ذلك أبو خَيْثَمَة [٥] ؟ قال : نعم . فَمَنْ ترى أَنْ نولى ؟ قال : أبو معدان . قال : ذلك رَجُلٌ أصم

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ١١٥ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٧٥ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠١ و ٣٤٦ ، وج ٢ ص ١٤١ ، واسمه عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمى ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٨ و ٣٩ ، والولاة والقضاة ص ٣٦٨ - ٣٧٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٠٥] .

(٢) فى ميلاده ووفاته اختلاف .

(٣) وقيل : سنة ١٥٤ هـ .

(٤) فى الوفيات : « ابن حُديج » بالحاء المهملة . وفيها : « ذكر ابن الفراء فى تاريخه أن سبب ولايته أن ابن حُديج كان بالعراق ، قال : فدخلتُ على أبى جعفر المنصور ، فقال لى : يابن حُديج ، لقد توفى ببلدك رجلٌ أُصيبَ به العامة ، قلت : يا أمير المؤمنين ذاك إذَنْ أبو خزيمة ؟ قال : نعم ، فمن ترى أن نولى القضاء بعده ؟ قلت : أبا معدان [عامر بن مُرَّة] اليحصبى يا أمير المؤمنين ، قال : ذاك رجلٌ أصمُّ ، لا يصلح للقاضى أن يكون أصمَّ ، قال : فقلتُ : فابن لهيعة يا أمير المؤمنين . قال : فابن لهيعة على ضعف فيه ، فأمر بتوليته ، وأجرى عليه كل شهر ثلاثين دينارًا ، وهو أول قضاة مصر أُجرى عليه ذلك » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى المصدر السابق . أبو خزيمة ، وهو إبراهيم بن يزيد القاضى .

لا يصلح . قال : فابن لَهِيعَة ؟ قال : [فابن لهيعة] [١] على ضعفٍ فيه ! فَوَلَّاهُ ، وأَمَرَ له بثلاثين دينارًا فى كل شهر . وهو أول قاضٍ أُجْرِىَ عليه هذا المعلوم ، وأول قاضٍ وَلِىَ مصر على مذهب أبى حنيفة ، وأول قاضٍ وَلَّاهُ الخليفة .

وصُرِفَ عن القضاء سنة ١٦٤ هـ ، وذلك بعد أَنْ كتب الليث إلى الخليفة المهدى ببغداد أَنِ اصْرِفْهُ عنَّا . فجاء كتاب المهدى إلى الليث بعزله . فعزله ووَلَّى عَوْنَ بن سليمان .

وَوَلِىَ عبد الله القضاء عشر سنين ، وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين ومائة . وَرَوَى عن جماعة منهم مِشْرَح [٢] بن هاعان ، ورَوَى عنه الليث وابن المبارك . وهو معدود فى الضعفاء [٣] .

قبر الشيخ الإمام أبى يحيى البغدادى [٤] :

ثم تمضى إلى تُربةٍ عند قبر يُعْرَفُ بالبغدادى الناسك ، بهذه التربة قبر الشيخ الإمام محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسين [٥] بن إبراهيم البغدادى ، يُكنى أبا يحيى ، وهو أخو أبى الحسن [٦] البغدادى المُحَدِّث الذى تُوفى سنة ٣٤٧ هـ ، ويُعرف هذا بصاحب الحُنَفَا ، كان كافور يُكثِر زيارته ، فجاء إليه يوماً وهو مُتَنَكِّرٌ ومعه ألف دينار ، فَسَلَّمَ على الشيخ وعَرَضَ [٧] عليه المالَ ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ . فقال له : اصْرِفْهُ فى المحتاجين ، فَأَبَى ذلك . فلما أَرَادَ الخروج قال : هل مِنْ حاجة ؟

---

(١) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق .

(٢) فى « م » : « مسروخ » تحريف . وهو : مِشْرَح بن هاعان المعافرى ، أبو المصعب المصرى .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٤) العنوان من عندنا .

(٥) فى « ص » : « محمد بن الحسن بن إبراهيم البغدادى » وما بعده عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) فى « م » : « أبو الحسن » خطأ ، والصواب « أبى ... » .

(٧) فى « م » : « وأعرض » تصحيف .

قال : نعم ، ألَّا تَعُودَ [١] إليَّ بعدها أبدًا . فخرج كافور يبكي ولم يجتمع به بعد ذلك .

وكان أبُوهُ مِنْ أَجَلِّ تجار بغداد ، وَلمَّا مات ترك له سبعين ألف دينار ، فأخذها الشيخ محمد وانقطع إلى الله سبحانه وتعالى [٢] .

قبر الشيخ أبي بكر بن محمد المالكي [٣] :

وبهذه التربة قبر يعرف بقبر الشيخ [٤] أبي بكر بن محمد المالكي الفقيه ، يُقال إنه من السبعة الأبدال ، وهو شيخ الشيخ عبد الصمد البغدادي .

قيل : إنه مَرَّ [٥] عَلَى امرأة مُقْعَدَة ، فقالت له : هل مِنْ شيءٍ لله [٦] ؟! فقال : والله لا أملكُ من مال الدنيا شيئًا [٧] ، ولكن ادْفَعِي لي يَدَكِ [٨] . فَنَاولته يَدَها ، فجَذَبَها ، فقامت تمشي كأَنْ لمْ يكن بها مَرَضٌ ، وأقامت في خدمته إلى أنْ ماتت [٩] .

وقيل : إذا جَعَلْتَ قبره خلفَ ظَهْرِكَ واستقبلتَ الجبل وسَلَّمْتَ على رسول الله ، ﷺ ، رَدَّ عليكَ السَّلام .

وكان إذا دخل الحمَّامَ غَمَّضَ عينيه إلى أن يخرج . وكان يقول : إنَّ المؤمن لا تَمَسُّهُ النار ولا تحرقه ، ولولا خوف الشهرة لأَدْخَلْتُ يدى في النار [١٠] .

---

(١) في « م » : « هو ألَّا تعود » .
(٢) إلى هنا ينتهي الساقط من « ص » .
(٣) العنوان من عندنا . وقد ورد ذكره في « م » و « ص » مَعًا .
(٤) في « م » : « يُعرف بالشيخ » .
(٥) في « ص » : « جاز » وهي بمعناها .
(٦) في « ص » : « عسى شيء لوجه الله » .
(٧) في « ص » : « ما معي شيء » .
(٨) في « ص » : « ولكن هاتي يدك » .
(٩) في « ص » : « فأَخَذَ بيدها فقامت معه بإذن الله تعالى ، والدعاء عنده مستجاب » .
(١٠) من قوله : « وكان إذا دخل الحمام » إلى هنا عن « م » ولم يرد في « ص » .

قبر سُلطان العاشقين عمر بن الفارض (١) :

ثم تخرج من هذه التربة إلى تربة الشيخ الصالح المعتقد شرف الدين أبى القاسم عمر بن أبى الحَسَن على بن المرشد بن على ، الحَمَوِى الأصل ، المصرى المولد والدّار والوفاة ، عُرِفَ بابن الفارض . كان – رضى الله عنه – رَجُلاً

(١) هو الإمام قدوة العارفين ، وسلطان المحبين الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض ، تلميذ الشيخ أبى الحسن على البقال ، صاحب الفتح الإلهى والعلم الوهبى ، نشأ فى العبادة من حال صغره ، كان مهيبًا ، وكان سخيًّا معتدل القامة ، وله وجه جميل حَسَن مُشْرَبٌ بحمرة ظاهرة ، وإذا استمع وتواجد وغلب عليه الحال يزداد وجهه جمالًا ونورًا ، ويتحدر العَرَق من سائر وجهه حتى يسيل من تحت قدميه على الأرض ، وكان عليه نور وخفر ، وكان إذا حضر فى مجلس يظهر على ذلك المجلس سكون وسكينة ، وكان يحضر مجلسه جماعة من المشايخ والفقراء وأكابر الدولة وسائر الناس وهم فى غاية مايكون من الأدب معه ، والاتضاع له ، وإذا مشى فى المدينة يزدحم الناس عليه ، ويلتمسون منه البركة والدعاء ، ويقصدون تقبيل يده فلا يُمَكِّن أحدًا من ذلك ، بل يصافحهم .. وكانت ثيابه حَسَنَه ، ورائحته طيبة ، وكان ينفق على مَنْ يَرِدُ عليه نفقة متسعة ، ويعطى من يده عطاءً جزيلًا ، ولم يكن يتسبب فى تحصيل شىء من الدنيا ، ولا يقبل من أحَد شيئا . وبعث إليه السلطان الملك الكامل ألف دينار فَرَدَّها إليه ، وسأله الملك الكامل أن يجهز له ضريحًا عند قبر أمه فى قُبة الإمام الشافعى ، فلم يأذن له بذلك ، ثم استأذنه أن يجهز له مكانًا يكون مزارًا يُعْرَفُ به فلم يُمَكِّن له فى ذلك .

قال ابن الفارض : كنتُ فى أول تجريدى أستأذن والدى وأطلع إلى وادى المستضعفين بالجبل الثانى وآوِى فيه ، وأقيم فى هذه السياحة مدة ليالٍ والِهًا ، ثم أعود إلى والدى لأجل بَركته ومراعاة قلبه ، وكان والدى يومئذٍ خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ومصر ، وكان من أكابر أهل العلم والعمل ، فيجد سرورًا برجوعى إليه ، ويلزمنى بالجلوس فى مجالس الحكم ، ثم أشتاق إلى التجريد ، فأستأذنه وأعود إلى السياحة ، وما برحتُ أفعل ذلك مُدّة إلى أن سُئِلَ والدى أن يكون قاضى القضاة ، فامتنع ونزل عن الحكم واعتزل الناس ، وانقطع إلى الله تعالى فى الجامع الأزهر ، إلى أن توفى ، فعدتُ إلى التجريد والسياحة وسلوك طريقة الحقيقة ، فلم يُفتح علىّ بشىء ، فحضرت من السياحة يومًا إلى المدرسة السيوفية ، فوجدتُ شيخًا بقالًا على باب المدرسة يتوضأ وضوءًا غير مرتب ، يغسل يديه ثم يغسل رجليه ، ثم يمسح برأسه ، ثم يغسل وجهه .. فقلت : ياشيخ ، أنت فى هذه السن فى دار الإسلام ، على باب المدرسة بين الفقهاء ، وأنت تتوضأ وضوءًا خارجًا عن ترتيب الشرع .. فنَظَرَ إلىّ وقال : ياعمر ، أنت ما يُفْتَحُ عليك بمصر ، وإنما يُفتح عليك بمكة – شرفها الله تعالى – فاقصدها ، فقد آن لك وقت الفتح .. فعلمتُ أن الرجل من أولياء الله تعالى ، وأنه يتستر بالمعيشة وإظهار الجهل ، فجلستُ بين يديه وقلت : ياسيدى : أين أنا وأين مكة ؟ ولا أجد رَكْبًا ولا رفيقًا فى غير أشْهُر الحج ؟ فنظر إلىّ وأشار بيده وقال : هذه مكة أمامك . فنظرتُ مكةَ –

صالحاً ، كثير الخير على قدم [١] التجريد ، جَاوَرَ بمكة زماناً فَأَحْسَنَ المجاورة .

وكان حَسَنَ العِشْرَة ، محمود الصُّحْبَة ، وُلِدَ سنة ٥٧٦ هـ [٢] بالقاهرة ، وتوفى بها سنة ٦٣٢ فى ثانى جمادى الأولى [٣] بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر .

وكان [٤] أبو الحَسَن يقول :

لَمْ يَبْقَ صَيِّبُ مُزْنَةٍ إِلَّا وَقَـدْ ... وَجَبَتْ عَلَيْهِ زِيَارَةُ ابْنِ الفَارِضِ
لا غَرْوَ أَنْ يُسْقَى ثَرَاهُ وَقَبْرُهُ ... بَاقٍ لِيَوْمِ الْعَرْضِ تَحْتَ العَارِضِ

وقال سبط ابن الفارض – ابن بنته الشيخ على [٥] :

جُزْ بِالْقَرَافَةِ تَحْتَ ذَيْلِ العَارِضِ ... وَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَابْنَ الفَارِضِ
أَبْرَزْتَ فى نَظْمِ السُّلُوكِ عَجَائِبًا ... وَكَشَفْتَ عَنْ سِرٍّ مَصُونٍ غَامِضِ
وَشَرِبْتَ مِنْ بَحْرِ الْمَحَبَّةِ وَالْوَلاَ ... فَرَوِيتَ مِنْ بَحْرٍ مُحِيطٍ فَائِضِ

= شرفها الله تعالى – فتركته وطلبتُها ، فلم تبرح أمامى حتى دخلتها فى ذلك الوقت ، وجاءنى الفتح حين دخلتها .

وتوفى رضى الله عنه بالقاهرة بالجامع الأزهر – بقاعة الخطابة ، وذلك فى جمادى الأولى سنة ٦٣٢ هـ ودفن بالقرافة بسفح المقطم عند مجرى السيل تحت المسجد المبارك المعروف بالعارض وقد دفن تحت رجلى شيخه أبى الحسن البقال . وعمر بن الفارض كان معاصرًا للموفق بن عثمان مؤلف مرشد الزوار غير أن الأخير توفى قبله ، وماهنا كُتِبَ عنه بعد وفاة المؤلف .

[انظر الكواكب السيارة ص ٢٩٧ – ٣٠٠ وتحفة الأحباب ص ٤٢١ وانظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٥٥ و ٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٥٤ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٨٨ – ٢٩٠ ، ومعجم المؤلفين ج ٧ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ١٤٩ – ١٥٣ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٥١٨] .

(١) فى « م » : « قد » تحريف .

(٢) وقيل : سنة ٥٧٧ . انظر تحفة الأحباب ص ٤٢٤ .

(٣) فى « م » : « جماد الأول » .

(٤) فى « م » : « وقال » مكان « وكان » . وأبو الحسن هو أبو الحسن الجزار .

(٥) فى « م » : « وله آخر » ، وما أثبتناه هنا عن ديوان ابن الفارض ص ٢٥ .

وقال ابن الفارض سيد شعراء عصره ، وشِعْرُهُ صنعٌ ظريفٌ إلى الغاية العظمى ، أكْثَرَ فيه من الجِنَاس ، فَقَلَّ مَنْ يُحْسِنُ قِرَاءَتَه وفَهْمَهُ ، كقوله [١] :

لَوْ تَرَى أَيْنَ خَمِيلَاتُ قُبَا   وَتَراءَين جَمِيلَاتُ الْقُبَى [٢]
كُنْتَ لاكُنْتَ بِهِمْ ، صَبًّا يَرَى   مُرَّ مالاقَيْتُهُ فِيهِمْ حُلَى [٣]

وسَمِعَ بالقاهرة من بهاء الدين بن عساكر قليلاً . قال الشيخ شمس الدين ابن خِلّكان : أنشدَنا غيرُ واحد أنه قال عند موته لما انكشفَ الغِطَاءُ له قال :

إنْ كَانَ مَنْزِلَتِى فى الْحُبِّ عِنْدَكُمُ   مَاقَدْ رَأَيْتُ ، فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِى
أُمْنِيَةٌ وَقَفَتْ رُوحِى بِهَا زَمَنًا   وَالْيَوْمَ أَحْسِبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلامِ [٤]

وكان يقول : عملتُ [٥] فى النوم بيتين وهما :

وَحَيَاةِ أَشْوَاقِى إِلَيْـــ   ـكَ وَتُرْبَةِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ [٦]
لا أَبْصَرَتْ رُوحِى سِوَا   كَ ، وَلاَ أَنِسْتُ إِلى خَلِيلِ [٧]

---

(١) البيتان من قصيدة طويلة عدد أبياتها ١٥١ بيتًا ، وأولها :

سائق الأظعان يطوى البيد طَىّ   مُنعِمًا ، عَرِّجْ عَلَى كُثبان طَىّ

[انظر الديوان ص ٤٥ – ٦٢ بتحقيق د. عبد الخالق محمود ط دار المعارف]

(٢) خميلات : جمع خميلة ، وهى المنهبط من الأرض مكرمة للنبات ، أو رملة تنبت الشجر الكثيف الملتف ، أو الموضع الكثير الشجر . وقُبَا : بئر عُرفت بها قرية قُباء وهى قرية على بعد ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . وقُبَى : أصله قباء فصُغِّر .

(٣) صَبًّا : مشتاقًا .

(٤) فى الديوان : « ظَفِرَتْ » مكان « وقَفَتْ » . والبيتان من قصيدة مكونة من ٢٥ بيتًا ، أولها :

نشرتُ فى موكب العُشّاق أعلامى   وكان قَبْلى بُلِى فى الحبِّ أعلامى

[انظر المرجع السابق ص ٢٤٠ و ٢٤١] .

(٥) فى « م » : « علمتُ » مكان « عملت » وما أثبتناه عن الديوان ص ٢٢٣ و ٢٢٤ ، وهذان البيتان مما رواه عنه الشيخ الإمام زكى الدين عبد العظيم المنذرى المحدث بالقاهرة .

(٦) فى الديوان : « وحُرْمة الصبر الجميل » .

(٧) فى الديوان : « ما استَحْسَنَتْ عينى سواك » .

وقال بعض أصحابه : تَرَنَّمَ الشيخ يَوْماً بِبَيْتٍ للحريرى فى خلوته :

مَنْ ذَا الَّذِى مَا سَاءَ قَطّ ؟ وَمَنْ لـه الْحُسْنَـى فَقَـطْ ؟

فَسَمِعَ قائلاً يَسْمَعُ صَوْتَهُ ولا يَرَى شَخْصَه يَقُول :

مُحَمَّـدُ الهَـادِى الَّـذِى عَلَيْهِ جِبْرِيـل هَبَـطْ [١]

وَلَمَّا [حج] [٢] اجتمع بالشيخ العارف السُّهْرَوَرْدِىّ فى مكة [٣] .

---

(١) فى الديوان : قال ولده - ولد ابن الفارض - سمعتُ الشيخ - يعنى أبيه - رضى الله عنه يقول : حصلت منى هفوة ، فوجدتُ مُؤاخذة شديدة فى باطنى بسببها ، وانحصرتُ باطنًا وظاهرًا حتى كادت روحى تخرج من جسدى ، فخرجت هائمًا كالهارب من ذنبٍ عظيمٍ فعله وهو مطلوب به ، فطلعت الجبل المقطم ، وقصدتُ مواطن سياحتى وأنا أبكى وأستغيث وأستغفر ، فلم ينفرج مابى ، فنزلت إلى القرافة ومرغت وجهى فى التراب بين القبور ، فلم ينفرج مابى ، فقصدت جامع عمرو بن العاص ووقفت فى صَحْن الجامع خائفًا مذعورًا ، وجددتُ البكاء والتضرع والاستغفار ، فلم ينفرج مابى ، فغلب علىّ حالٌ مزعج لم أجد مثله قط قبل ذلك ، فصرختُ وقلتُ ... وذكر البيتين .

[انظر المصدر السابق ص ٣٢] .

(٢) مابين المعقوفتين من عندنا .

(٣) خلط الناسخ هنا وأتى بكلام مبتور وغير تام المعنى .. وقصة اجتماع السهروردى بابن الفارض كما ذكرتها المصادر ، أنه لما حج الشيخ شهاب الدين السهروردى ، شيخ الصوفية ، وكان آخِر حجه فى سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة ، وكانت وقفة الجمعة ، وحج معه خلقٌ كثير من أهل العراق ، ورأى كثرة ازدحام الناس عليه فى الطواف بالبيت ، والوقوف بعرفة ، واقتدائهم بأقواله وأفعاله ، وبلغه أن الشيخ رضى الله عنه فى الحرم ، فاشتاق إلى رؤيته وبكى ، وقال فى سِرّه : ياترى هل أنا عند الله كما يظن هؤلاء القوم فىّ ؟ وياترى هل ذكرت فى حضرة الحبيب فى هذا اليوم ؟ فظهر له الشيخ رضى الله عنه وقال له : ياسهروردى :

لك البشارة فاخلـع مـا عليك فقـد ذكـرت ثم على مافـيك مـن عِـوَجِ

فصرخ الشيخ شهاب الدين وخلَعَ كُلّ ما كان عليه ، وخلع المشايخ والفقراء والحاضرون كل ماكان عليهم . وطلب الشيخ فلم يجده فقال : هذا إخبارُ مَنْ كان فى الحضرة ، ثم اجتمعا بعد ذلك اليوم فى الحرم الشريف واعتنقا ، وتحدَّثا سِرًّا زمانًا طويلًا .

[انظر المصدر السابق ص ٣٦ و ٣٧ ، وانظر ابن الفارض - سلسلة أعلام العرب ص ٦٨ و ٧٠] .

وسمع ابن الفارض قَصَّارًا [١] يقصر مقطعًا ويقول فيه :

قَطَّـعْ قَلْبِــى هــذا الْمَقْطَــع   قَـالَ ما يَصْفُـو أو يَتَقَطَّــعْ [٢]

فَصَرَخَ وبكَى وناح - رحمه الله تعالى .

وحكى عنه بعضهم أشياء كثيرة ، وقال بعضهم : لَمَّا مات شعر فقال :

مَدْفُونٌ فى سَفْحِ المُقَطَّمِ يافَتَى   مَازَالَ يُعْرَفُ قَبْرُ ابنِ الفَـارِضِ

مَنْ مَاتَ بِالْخِطَّاتِ كَانَ مَقَامُهُ   فى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ تَحْتَ العَارِضِ [٣]

* * *

قبر بُنَان بن محمد الحَمَّال الواسطى [٤] :

ثم تمضى إلى تربة الشيخ الصالح أبى الحسن بُنَان بن محمد بن حمدان بن سعيد الحمّال [٥] ، رحمه الله ، واسطى الأصل نشأ ببغداد ، وسمع بها الحديث [٦] ، ثم خرج إلى ديار مصر وأقام بها ومات فيها ، وهو من جملة المشايخ المذكورين فى الرسالة [٧] . صَحِبَ الجنيد وغيره ، وكان أستاذ النورى [٨] ،

---

(١) القَصَّار : المُبيض للثياب ، وكان يُهَيِّئ النسيج بعد نَسْجه بِبَلّه ودَقّه بالقَصَرَة .

(٢) هكذا فى ديوان ابن الفارض .. وفى « م » وردت الشطرة الأولى هكذا : « ماحيلتى فى ذا المقطع » . [انظر المصدر المذكور ص ٣٨ ط دار المعارف] .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٤) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى طبقات الصوفية ص ٢٩١ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٢٤ ، وحُسن المحاضرة ج ١ ص ٥١٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٤٨٨ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٠٠ ، والكواكب السيارة ص ٢٩٠ - ٢٩٢] .

(٥) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « بنان بن أحمد بن أحمد بن سعيد الحمَّال » .

(٦) هنا فى « ص » : « سكن مصر وأقام بها » وسيأتى .

(٧) أى : الرسالة القشيرية [انظر ص ١٧٣ منها] وهذه الجملة لم ترد فى « ص » .

(٨) فى « م » : « وهو أستاذ الثورى » والأخيرة تحريف . والنورى هو : أبو الحسين النورى . [انظر ترجمته فى طبقات الصوفية ص ٢٩١] .

ويُكنى بأبى الحسن ، مات سنة ٣١٦ هـ [١] . وقبره مشهور بسفح المقطم مما يلى محمود [٢] .

وكان يدخل على الأمراء ويأمرهم بالمعروف ، وله مع « تكين » مقامات ، وكان ذا منزلة عند الخاص والعام ، يضربون بعبادته [٣] المثل ، وكان لا يقبل مِنَ السّلاطين شيئًا .

سُئِلَ عَنْ أَجَلّ أحوال الصوفية ، فقال : « الثقة بالمضمون ، والقِيام بالأوامر ، ومُراعاةُ السِّرّ ، والتّخلّى عن الكَوْنَيْنِ بالتّشبُّث بالحق » [٤] .

وقال : « رُؤْيَةُ الأسباب على الدوام قاطعةٌ عن مُشَاهَدةِ المُسَبِّب . والإِعْرَاضُ عن الأسباب جُمْلَةً يؤدى بصاحبه إلى رُكُوبِ البواطل » [٥] .

وتكَلّمَ يومًا بكلام عجيب فى المَحَبّة [٦] وقال : « مَنْ كَانَ يَسُرُّهُ مَا يَضُرُّهُ مَتَى يُفلح ؟ » [٧] .

ومِنْ كلامِهِ : « الْحُرُّ عَبْدٌ ما طَمِعَ ، وَالْعَبْدُ حُرٌّ ما قَنَع » .

وقال : « البَرِىءُ جَرِىءٌ ، والخَائِنُ خَائِفٌ ، ومَنْ أَسَاءَ اسْتَوْحَشَ » .

---

(١) فى « م » و « ص » : « مات سنة ٣١٠ » . وما أثبتناه ذكرته المراجع السابقة جميعها .

(٢) فى الكواكب السيارة : « عَدّهُ القضاعى من مدافن محمود » وليس فى قبره اختلاف .

(٣) فى « م » : « بعباده » تحريف .

(٤) قوله : « والتخلى عن الكونين بالتشبث بالحق » عن طبقات الصوفية .. وفى « ص » والكواكب السيارة : « والتخلى عن الكونين بالمُسَبِّب » وكلاهما بمعنى واحد .

(٥) فى « م » : « إلى ركوبه فى البواطل » وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٦) فى هذا الموضع أقحم الناسخ جملة : « ثم أنشده على أثره » وستأتى بعد ذلك .. ولم يرد هذا فى « ص » .

(٧) فى « م » : « مَن يفلح من كان سره لا يضره » تحريف من الناسخ والتصويب من المصادر التى ترجمت له .

وقال : « لَيْسَ بمتحقق فى الحُبِّ مَنْ رَاقَبَ أَوْقَاتَهُ ، أَوْ تَحَقَّقَ [١] فى كِتْمَانِ حُبِّه حتى يَتَهَتَّكَ [٢] فيه وَيَفْتَضِح ويخلَعَ العِذَارَ [٣] ، ولا يُبَالى عَمَّا يَرِدُ عليه من مَحْبُوبِهِ [٤] أو بِسَبَبِهِ ، ويَتَلَذَّذُ بالبلاء [٥] فى الحب كما يتلذَّذُ الأغيار [٦] بأسباب النعم » . ثم أَنْشَدَ على إثْرِهِ [٧] :

لَحَانِى العَاذِلُونَ فَقُلْتُ : مَهْلاً فَإِنِّى لا أَرَى فى الْحُبِّ عَارَا [٨]
وَقَالُوا : قَدْ خَلَعْتَ . فَقُلْتُ : لَسْنَا بِأَوَّلِ خَالِعٍ خَلَعَ الْعِذَارَا

ورُوِىَ أَنَّهُ أُلْقِىَ بين يَدَىِ السَّبُع ، فكان يَشَمُّه ولا يَضُرُّه [٩] . وسبب ذلك أنَّ « خُمَارَويه » بن أحمد بن طولون كان قد اتَّخَذَ له وزيرًا نصرانيًّا ، وكان قد نصح فى خدمته ، وبالَغَ فى جَمْعِ [١٠] الأموال وتحصيلها ، فأكرمه « خُمَارَوَيْه » على ذلك وَزَادَ فى إكرامه ، وخَلَع عليه فى بعض الأيام خِلْعَةً جميلة ، وحَمَلَهُ على فَرَسٍ عظيم جميل ، وأَمَرَ أَرْبَابَ الدولة بتحميله والمُضِىِّ فى صحبته إلى داره ، فركب بتحميلٍ زائِدٍ ، فلما مَرَّ على باب دار « بُنَان » – وكانت فى ناحية الصفا – سمع بنان الضوضاء ، فقال : ماهذا ؟ فَأُخْبِرَ بالخبر ، فقام مسرعًا إلى باب داره ، فلما رأى النصرانىَّ قال : أعوذُ بالله ، يُحْمَلُ كافِرٌ بالله تعالى على رءوس المسلمين فى هذا الزِّىِّ والتعظيم ؟! وتقدم إلى النصرانىِّ وقال : انزلْ ياعَدُوَّ الله وعَدُوَّ الإسلام ! .

---

(١) فى طبقات الصوفية : « أو تحمَّل » .. وفى الكواكب السيارة : « أو بمحقق » .
(٢) فى المصدر السابق : « ينهتك » .
(٣) فى « ص » : « الزار » تحريف . والعذار : اللَّوْم .
(٤) فى المصدر السابق : « من جهة محبوبه » .
(٥) فى « م » و « ص » : « بالنعما » مكان « بالبلاء » وما أثبتناه عن طبقات الصوفية ص ٢٩٤ .
(٦) فى « م » : « الأغنياء » مكان « الأغيار » وما أثبتناه عن المصدر السابق .
(٧) فى « م » : « ثم أنشد وقال » .
(٨) لَحَانى العاذلون : لامَنِى اللائمون .
(٩) إلى هنا ينتهى ما ورد فى « ص » عن « بُنان » وما بعد ذلك إلى قوله : « سؤر السباع » عن « م » .
(١٠) فى « م » : « جميع » تحريف .

فَتَرَجَّلَ وقال : ياسيدى ، ماعن اختيارى رَكِبْتُ ، ولكن أَمَرَنِى الأمير بذلك .

ثم مَضَى رَاجِلاً وتَفَرَّقَ موكبه ، وبلغ « خُمارويه » ذلك ، فاستشاط غضبًا وقال : عَلَىَّ بِبُنَان ... فَأُحْضِرَ ، وقد جَلَسَ « خُمارويه » فى مَنْظَرة مُشْرِفَةٍ على قاعة ، وأَرْسَلَ فيها سَبُعًا عظيمًا كبيرًا ، فَأُدْخِلَ بُنَان على السَّبُع ، ثم قال له « خُمارويه » : يابُنان ، ما حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ بوزيرى ما فعلت ؟!

قال : أنتَ حَمَلْتَنِى على ذلك إذْ كَظَمْتَ مِنْ أَمْرِ الله تعالى بإذلاله وتحقيره .

فقال – وقد أَلْقَى الله هَيْبَتَهُ فى قلبه : ياشيخ ، لاتَعُدْ .. فقال [١] : « إنْ عَدْتُمْ عُدْنَا » .

وأقبل السبع إلى « بُنان » فَجَعَلَ يدور حوله ويُبَصْبِصُ [٢] له ويلحسه بلسانه ، ويُنَحِّيهِ « بُنَان » عنه بِكُمِّ جُبَّتِهِ ، يُراعى الخروج عن اختلاف العلماء فى طهارة لُعَابه ونجاسته ...

فقال له خُمَارَوَيْهِ لَمَّا شَاهَدَ ذَلِكَ منه : أَلَكَ حَاجَة ؟ قال : نعم .. أَلَّا تبعث إلَىَّ حتى آتيكَ !

ثم خَرَجَ – رحمه الله – فقيل له : كُنَّا نَراكَ حين أُلْقِيتَ إلى السبع متفكرًا .. فى أَىِّ شىءٍ كُنْتَ تُفَكِّر ؟ قال : كنتُ أُفَكِّرُ [٣] فى اختلاف العلماء فى سُؤْرِ السِّبَاع [٤] !!

---

(١) فى « م » : « فقال ياشيخ » .

(٢) يُبصبص : يحرك ذيله طمعًا أو مَلَقًا .

(٣) فى « م » : « متفكرًا » .

(٤) السؤر : بقية الشيء ، والمراد هنا لُعاب السبع . وإلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

ورُوِىَ أنَّ قَاضِى مصر سَعَى به إلى أنْ ضُرِبَ سبع دِرَرٍ [١] ، فَدَعَا عليه ، فَحُبِسَ سبع سنين .

وقال : كنتُ فى طريق مكة ومعى زادٌ [٢] ، فجاءتنى امرأة فقالت لى : يابُنَان ، أنت حَمَّالٌ تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقُك ؟! قال : فرمَيْتُ زادى ، وأقمتُ ثلاثة أيام بمكة لم آكل شيئًا [٣] ، فوجدتُ فى الطريق خلخالًا ، فقلت فى نفسى : [أحمله] [٤] حتى يجىء صاحبه لعلَّه أنْ يطعمنى شيئًا . فإذا أنا [٥] بتلك المرأة وهى تقول : أنت تقول : أَحْمِلُه حتى يطعمنى صاحبه [٦] ؟! ثم إنَّهَا رَمَتْ لى بشىء من الدراهم وقالت : أَنْفِقْهَا . فاكتفيتُ بها [٧] إلى مصر .

وقال : بينما أنا أسير فى طريق مكة إذا بشخصٍ قد تَرَاءَى لى ، فَأَمَّمْتُ نحوه [٨] ، فلما قَرُبْتُ منه سَلَّمْتُ عليه ، وقلت له : أَوْصِنِى ! . فقال : « يابُنان ، إنْ كان الله تعالى أعطاكَ مِنْ سِرِّ سِرِّهِ سِرًّا فَكُنْ مع ما أَعْطَاك .. وإنْ كان الله تعالى لَمْ يُعْطِكَ مِنْ سِرِّ سِرِّهِ سِرًّا فَكُنْ مع الناسِ عَلَى ماهم عليه [٩] مِنَ الظاهر » .

---

(١) فى « م » : « دروب » تحريف . والدِّرَر : جمع دِرَّة ، وهى السوط يُضْرَبُ به . وفى تاريخ بغداد : فدعا عليه أن يحبسه الله بكل دِرَّة سنة ، فحبسه ابن طولون سبع سنين . [انظر تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٤٨٨ ، وطبقات الأولياء ص ١٢٤] .

(٢) فى « م » : « وليس معى زاد » . والقصة غير مكتملة فى « ص » . ووردت فى شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٣ ، وفيها لُقِّبَ بالحمَّال لأنه خرج إلى الحج سنةً وحمل على رقبته زَادَهُ ... إلخ .

(٣) فى « م » : « ثم أتى إلىَّ ثلاثة أيام لم آكُل » .

(٤) مابين المعقوفتين من عندنا .

(٥) « أنا » عن « ص » .

(٦) فى « ص » : « ما تحمله حتى يعطينى صاحبه شيئًا ؟ » .

(٧) فى « م » و « ص » : « أنفقهم ، فاكتفيت بهم » .

(٨) هكذا فى طبقات الأولياء .. وفى « م » : « إلى نحوه » ولم ترد هذه الحكاية فى « ص » . وأَمَّ الشىءَ : قَصَدَهُ .

(٩) فى « م » : « مع ماهم عليه » .

وقال : دخلتُ البَرِّيَّةَ على طريق تبوك وحدى ، فَاسْتَوْحَشْتُ ، فإذا هاتِفٌ يهتف [١] : « يابُنان ، نَقَضْتَ العهد ! لِمَ تَسْتَوْحِشُ ؟! أَلَيْسَ حَبِيبُكَ معك ؟! » [٢] .

وَرُوِىَ أنه احتَاجَ إلى جارية تخدمه ، فانبسط إلى إخوانه والتمس جارية ، فجمعوا له ثمنها وقالوا : إذا جاء النفر بشىء نشترى له جارية توافقه [٣] . فلما جاء النفر أجمعوا رأيهم على جارية وقالوا إنها تصلح له [٤] فقالوا لصاحبها : بكم هذه الجارية ؟ [فقال : إنها ليست للبيع ، فألَحُّوا عليه] [٥] فقال : إنَّها لبُنَان العابد أهْدَتْهَا له امرأةٌ من سَمَرْقَنْد ، فحملوها لبُنان وذكروا له القصة .

وقال : كنتُ فى بعض الأوقات فلحقتنى [٦] ضرورة ، فرأيتُ قطعة من ذهب مطروحة فى الطريق ، فأردتُ أُخذَها وقلتُ : لُقَطَةٌ ، فتركتُها ، ثم ذكرتُ الحديث الذى وَرَد عَنِ [٧] النبى ﷺ : « لو كانت الدنيا دمًا غبيطًا لكان للمؤمن قُوتُهُ [٨] منها » . فأخذتُها وجعلتُها فى فمى ، ومشيتُ غير بعيد ، فإذا حلقة فيها صبيانٌ ، وواحدٌ منهم [٩] على شىء مرتفع يتكلم عليهم فى التصوف ، فوقفتُ أسمعُ كلامهم ، فقال واحدٌ منهم للمُتَصَدِّر [١٠] : تقول متى يجد العبد

---

(١) فى « م » : « فهتف بى هاتفٌ » .

(٢) فى « م » : « أليس الله حبيبك معك ؟ » .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « إذا جاء النفر نشترى له ما يوافق » .

(٤) فى « م » : « فلما جاء النفر توجهوا فنظروا جارية ، وأجمعوا رأيهم على شرائها ، وقالوا : إنها تصلح له » .

(٥) مابين المعقوفين عن « ص » وساقط من « م » .

(٦) فى « ص » : « لحقنى » .

(٧) فى « م » : « على » تحريف .

(٨) فى « م » : « قوة » .. ومعنى غبيطًا : يغطى الأرض ، وهو كناية عن السعة وكثرة النعم . والحديث لم أقف عليه فى كتب الحديث الستة .

(٩) فى « م » : « فيهم » .

(١٠) قوله : « للمتصدر » عن « م » .

حلاوة الصِّدْق ؟ فقال : إذا رَمَى القِطْعَةَ مِنَ الشِّدْق ! قال : فأخرجتُها ورميتُها [(١)] من فمى .

وقال مسروق [(٢)] : أَنْشَدَنى بُنان عند المسجد الحرام :

مَـــنْ دَعَانَـــا فَأَبَيْنَـــا فَلَـهُ الْـفَضْلُ عَلَيْنَـــا [(٣)]
فـــإِذَا نَحْـــنُ أَجَبْنَـــا رَجَـعَ الْـفَضْلُ إِلَيْنَـــا [(٤)]

وروى عن يونس بن عبد الأعلى ، قال بسنده عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزداد الأَمْرُ إلَّا شِدَّةً ، والدُّنيا إلَّا إدبارًا ، والناس إلَّا شُحًّا ، ولا مَهْدِىَّ إلَّا عيسى بن مريم ، ولا تقوم الساعة إلَّا على شرار الناس » .

ومِما نُقِلَ عنه أنه قال : « إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ سبعَ سماوات ، فى كل سماءٍ له خَلْقٌ وجُنودٌ ، وكُلٌّ له مُطيعون [(٥)] ، وطاعتهم على سبع مقامات [(٦)] :

فطاعةُ أَهْلِ السَّماء الدُّنيا على الخوف والرجاء .

وطاعةُ أَهْلِ السَّماء الثانية على الحُبِّ والحُزْن [(٧)] .

---

(١) فى « م » : « فرميتها » .

(٢) فى طبقات الأولياء : أحمد بن مسروق .

(٣) الشطرة الثانية من البيت فى « م » : « كان له الفضل علينا » ، لا تصح وزنًا ، وما أثبتناه عن « ص » والمصادر السابقة .

(٤) فى « م » : « أتينا » مكان « أجبنا » .. وفى « ص » : « رجعنا » وما أثبتناه عن المصادر السابقة .

(٥) فى « م » : « فى كل سماء طوائف كثيرة من الملائكة ، وكلهم طائعون » . [وانظر طبقات الصوفية ص ٢٩٣] .

(٦) هكذا فى « م » والمصدر السابق ، والمقام هنا بمعنى الطاعة ، ولذا ذَكَّر العدد « سبع » ، ولم يقل « سبعة مقامات » .

(٧) هذان السطران سقطا من « م » سهوًا من الناسخ ، وأيضًا السطران اللذان بعد هذا . [وانظر المصدر السابق] .

وطاعةُ أَهْلِ السَّماء الثالثة على المِنَّةِ والحياء .

وطاعةُ أَهْلِ السَّماء الرابعة على الشَّوْقِ وَالْهَيْبَة .

وطاعةُ أَهْلِ السَّماء الخامسة على المُنَاجاةِ والإجْلال .

وطاعةُ أَهْلِ السَّماءِ السَّادسَة على الإِنَابَةِ والتعظيم .

وطاعةُ أَهْلِ السَّماءِ السَّابعة على المِنَّةِ والقُرْبَة .

وقال : « إنْ أَفْرَدْتَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ أَفْرَدَكَ [1] بالعِنَايَة ، والأمْرُ بيدكَ : إنْ نَصَحْتَ صَافَوْكَ ، وإنْ خَلَطْتَ جَافَوْكَ » [2] .

قيل : جاء رجلٌ إلى بُنان يشكو إليه وجعًا فى جوفه [3] ، فقال له : قُمْ فَخُذْ من تُراب القبلة فاسْتَفَّ منه قليلاً تَهْدَأ ، [فَفَعَل ، وحصل له الشفاء] [4] . ثم جاء مَرَّةً أخرى وقال : ياسيدى ، أشكو لكَ من المرض عَادَ إلىَّ ، وكُنْتَ دَعَوْتَ لى فَشُفِيت [5] ! فقال : أنا دعوتُ لَكَ ؟ هذا التراب بين يديك !

وقيل : إن « تكين » أمير مصر أَمَرَ بِحَمْلِ « بُنان » إلى عامل [6] الإسكندرية ليحمله فى المراكب إلى « أَقْرِيطِش » [7] ، [فَأُتى بصاحب البِغَال ليأتى ببغل يحمل عليه « بُنان » إلى الإسكندرية ، فدخل إلى صاحب البغال [8] ،

---

(١) فى « م » : « فأفرد » ، تحريف من الناسخ ، والتصويب من المصدر السابق .

(٢) « جَافَوْك » عن المصدر السابق وسقطت من « م » سهوًا من الناسخ . ولم يرد هذا فى « ص » .

(٣) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « وجعًا فى فؤاده » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٥) فى « ص » : « فجاء وقت آخر فقال : ياسيدى ، ودعَوْتَ لى فهديت .. » .

(٦) فى « م » : « حامل » تحريف . والمراد : حاكم الإسكندرية .

(٧) أقريطش – بفتح الهمزة وكسرها والقاف ساكنة ، اسم جزيرة فى البحر المتوسط ورد ذكرها فى معجم البلدان ج ١ ص ٢٣٦ قال : جزيرة فى بحر المغرب يقابلها من بَرِّ إفريقية ولوبيا » وهى جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى ، ويُنْسبُ إليها جماعة من العلماء . وهى الآن تعرف بجزيرة « كريت » .

(٨) فى « م » : « حامل البغال » .

فلم يَقْدِر أنْ يُخْرِجَ منها بغلًا ، حتى جاء إلى البغل الذى نفى عليه « الدينورى » فخرج معه ، فَأُرْكِبَ عليه « بُنان » [1]] .

فَاغْتَمَّ مَنْ حَضَرَ من الناس ذلك المجلس . وكان فى الميناء [2] سبع مراكب قد شُحِنَتْ [3] وهى تنتظر الريح ، فطلبوا رؤساء المراكب لِحَمْلِهِ ، فقال كل واحد : والله لو ضُرِبَ عُنقى ما حملته ، إلَّا واحدًا منهم ، قال : أنا أحمله . فوجم الناس لذلك وأخذتهم كآبة عظيمة [4] . فَرآهُم « بُنان » منكسرين فقال : قد وعدنى صاحب الريح ألَّا تَجْرِى فى هذه السنة جَارِيَة [5] !

[قال : فَوَالله لقد أقامت المراكب إلى أن جاء الشتاء وحُمِلَ مافيها ورُدَّ إلى المخازن بالإسكندرية ، وما جَرَتْ فى تلك السَّنَة جارية] [6] .

قال : ولمَّا ولى مصر « النُّوشَرِى » بدأ « بُنان » يُكثِر الأَمْرَ بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقيل للنُّوشَرِى : إنَّ هذا لم يكن يجترىء أن يفعل ذلك [7] فى الأيام الطولونية . فأرسل وقال له : لِمَ فَعَلْتَ هذا فى أيامنا ولم تفعله فى غير أيامنا [8] ؟ فقال « بُنان » : فَهَلْ تَرَى لَهُم مِنْ باقية ؟ فقال : اذهبْ وَأْمُرْ بالمعروف وانْهَ [9] عن المُنْكَرِ وأنا من وَرَائك .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٢) فى « م » : « وكانت الميناء » وسقط حرف الجر « فى » منها .

(٣) فى « م » و « ص » : « أشحنت » لا تؤدى المعنى المراد .

(٤) فى « ص » : « فطلبوا ريسًا من رؤسائها ليحمله ، فقال والله لو ضربت عنقى ما حملته ، فوجه خلف جماعتهم ، فقالوا مثل مقالته ، إلَّا واحدًا منهم ، فقال : أنا أحمله ، فوجم الناس وأخرسهم » .

(٥) الجارية : السفينة أو المركب ، وكل مايجرى على صفحة الماء .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٧) فى « ص » : « يفعل مثل هذا » وفيها « التوشرى » بالتاء فى الموضعين والصواب بالنون ، وهو عيسى بن محمد النوشرى ، من ولاة الدولة العباسية ، ولاه المكتفى إمارة مصر سنة ٢٩٢ هـ فلم يزل فيها إلى أن توفى بها سنة ٢٩٧ هـ .

(٨) فى « ص » : « فدعا به وقال : لِمَ لَمْ تفعل هذا فى غير أيامنا ؟ » .

(٩) فى « م » : « وانهى » لا تصح ، والصواب ما أثبتناه .

وحكى رجلٌ متعبد قال : كنتُ فى يوم جمعة فى شهر رجب [١] فى جامع ابن طولون ، فإذا ببنان الزاهد فى يده [٢] عصًا يحملها ويدور فى الجامع ، فقلت فى نفسى : الدوران [٣] بالعصا فى الجامع عبادةٌ وزُهْدٌ ، ثم جئت إلى الصَّفِّ الأول فوقفت أصلى ، وجلست أتلو القرآن ، وجاء « بُنان » فجلس [٤] إلى جانبى ، فختمتُ ختمة ، ثم أَذَّنَ المؤذن ، ورَقِىَ الإمام المنبر ، فأحرمتُ [٥] بالصلاة ثم جلست ، فأخذنى النعاس ، [فرأيتُ] [٦] قائلاً يقول : مَالَكَ والاعتراض [على أولياء الله تعالى] ؟ لَدَوَرَانُ « بُنان » فى المسجد أفضل من ختمتك [٧] ! ففتحت عينى برعب ، ثم نَزَلَ الإمام ، فأقبلتُ عليه [٨] لأُحَدِّثه ، فقال : اسْكُتْ ، واكْتُمْ [٩] ما رأيت ! .

وقال [١٠] « بُنان » : كنتُ قاعدًا بمكة وبين يَدَى شابٍّ ، فجاء إنسان وحَمَلَ إليه كيسًا فيه دراهم ووضعه بين يديه ، فقال : لا حاجة لى فيه ، فَرِّقْهُ على المساكين ، فَفَعَل ، فلما كان وقت العشاء رأيته يطلب لنفسه ، فقلتُ له : لِمَ لَمْ [١١] تترك لنفسك شيئًا ؟ فقال لى : لا أعلم أنى أعيش إلى هذا الوقت !

---

(١) فى « ص » : « وعن رجُلٍ كان يتعبد فى رجب فى جامع ابن طولون يوم الجمعة » .

(٢) فى « م » : « يدها » تحريف .

(٣) فى « ص » : « الدوران أيضًا » .

(٤) فى « ص » : « فوقفتُ ، فجاء وجلس إلى جانبى » .

(٥) فى « ص » : « فجلست » مكان « فأحرمتُ » لا تصح معنًى ، وأَحْرَمَ بالصلاة : دَخَل فيها .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » فى الموضعين .

(٧) فى « م » : « لَدَوَرَانُ « بُنان » فى صحن الجامع خيرٌ من قراءتك هذه الختمة » .

(٨) فى « ص » : « قال : فأقبلت عليه » أى : على « بنان » .

(٩) فى « ص » : « واختم » تحريف .

(١٠) من هنا إلى قوله : « مَنْ أطاعَ الله أطاعَ له كُلُّ شىء » عن « م » وساقط من « ص » .

(١١) فى « م » : « لمَ تترك » وسقطت « لَمْ » النافية سهوًا من الناسخ .

وحكى « بُنان » قال : كنتُ مجاورًا بمكة ، ورأيت بها إبراهيم الخواص ، ولم يكن بينى وبينه أُنسٌ ولا مُجالَسة ، وكنتُ إذا رأيته أهابه ، ووقع أنى مكثتُ أيامًا لم يُفتَح لى بشىء ، وكان بمكة رجلٌ يحب الفقراء وَيَحْجُمُهُمْ (١) من غير شىء ، وكان من أخلاقه أنه إذا جاءه الفقير للحِجَامَةِ أرسل غُلَامًا له يشترى [لحمًا] (٢) ويطبخه ، فإذا فرغ من الحِجَامَة قال له : بسم الله ، فيتقدم ذلك الفقير ، ويُطعمه ذلك الطعام .

قال : فقصدتُه يوماً وقلت : أريد أن أحتجم ، فأُرسل الغلام على عادته فاشترى لحماً وطبخه ، وجلستُ بين يديه ، فَجَعَلَتْ نفسى تقول لى : تُرَى هل يكون استواء اللحم عند فراغى من الحِجَامَة ؟ فقلت : يانفسُ ، إنما جِئْتِ (٣) للحِجَامَةِ لا للأكل ، ثم عاهدتُ الله سبحانه أنى إذا فرغتُ من الحِجَامَة أنْ أذهب بغير أكل ، وألّا أذُوقَ من طعامه شيئًا . قال : فلما فرغتُ من الحِجَامَة انصرفتُ ، فقال : ياسبحان الله ! أمَا تعرف عادتى (٤) ؟ فقلت : بَلَى (٥) ، غير أن هناك عهدًا يعفينى (٦) من الأكل .

قال : ثم جئتُ إلى المسجد الحرام فلم أجِدْ شيئًا آكله ، فبقيتُ (٧) يومى ، فلما كان فى اليوم الثانى بقيت إلى آخر النهار لم يتيسر لى ما آكله ، فلما قُمْتُ لصلاة العصر سقطتُ (٨) وغُشِيَ عَلَيَّ من الجوع ، فاجتمع الناس حولى

---

(١) يحجمهم : يشرطهم بالمشرط لاستخراج الدم الفاسد .
(٢) مابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة المعنى .
(٣) فى « م » : « جئتى » خطأ إملائى .
(٤) فى « م » : « أنت ماتعرف عادتى ؟ » .
(٥) فى « م » : « نعم » .
(٦) فى « م » : « عقد معنى » تحريف من الناسخ .
(٧) فى « م » : « فى بقيت » تحريف .
(٨) فى « م » : « سطت » تحريف .

وقالوا : مجنون ، فقام الخواص وجاء إلى عندى ، وجعل يواسينى ثم قال : هل تأكل شيئًا ؟ فقلت : بعد المغرب . فقال : أحسنتم يا أهل الابتداء ، أنتم على هذا تفلحون .

ثم قام ، فلما صَلَّيْنا العشاء الأخيرة جاءنى بقصعة فيها عدس ، ثم جاءنى برغيفين من خبز البرود ، ودَوْرَق من الماء ، قال : فوضعتهم ناحيةً ، ثم جلستُ أُحَادِثُهُ ، فقال لى : دَعِ الكلامَ وكُلْ . قال : فأكلتُ الرغيفين والعَدس ، ثم قال لى : هل لك فى الزيادة ؟ قلت : نعم . فجاءنى بقصعة أُخرى ورغيفين ، فأكلتُ الجميع ، وشربتُ الماء ، ونِمْتُ إلى الصباح ، ولم أَقُمْ تلك الليلة ، ولم أُطُفْ ، فرأيت النبى ﷺ ، فقال لى : « يابُنان ، مَنْ أكل بِشَرَهٍ أَعْمَى الله عينَ قلبه »[1] . قال : فانتبهتُ وعقدتُ مع الله ألَّا أشبع بعد هذه الرُّؤْيا .

وروى عن ابن القاسم غلام « بُنان » قال : كنتُ يومًا عند « بُنان » فخرج من منزله ، فلقى أبا جعفر الطحاوىَّ ، فقال له : أنا قاصدٌ إلى منزلك يا « بُنان » ، فرجع « بنان » معه ، وتَرَجَّلَ الطحاوى عن دابته ومشى معه ، فنزع « بُنان » نَعْلَيْهِ وقال : « تَرَجَّلَ لى وتَرَجَّلْتُ له » .

ورَوَى ابن حمزة قال : كان أبو الحسَن « بُنان » جالسًا عندى على طرف حانوتى[2] وأنا فى صدر الحانوتِ ، فبينما نحن جلوسٌ إذْ أَقْبَلَ رجلٌ من أهل اليسار راكباً على بَغْلَةٍ وعليه ثياب حَسَنَة ، فَتَرَجَّلَ عن دابته ودَخَل إلىَّ فى صدر الحانوت ، وقال : أريد من إحسانك أنْ تسأل لى هذا الشيخ أن يدعو لوالدتى فإنها مريضة من حُمَّى لا تفتر عنها .

قال : فقلت : يا أبا الحسن ، إن هذا الرجل ذَكَرَ لى أنَّ والدته مريضة من حُمَّى لا تفتر عنها ، وسألنى أنْ أسألك الدعاء لها .

---

(١) فى « م » : « من أكل شره عمى » هكذا . وما أثبتناه هو المذكور فى المراجع التى ترجمت له .
(٢) الحانوت : محل التجارة .

قال : فتكلَّمَ بما لم أسمعه ، ثم تَنَاوَلَ ترابًا دقيقًا (١) من مجرى الباب فشدَّهُ فى كاغدة (٢) ورَمَى بها إلَىَّ وقال : قُلْ له يبخرها بهذا .

قال : فأخذها الرجل ومَضَى ، ثم عاد فى اليوم الثانى وقال : لا أخْلَى الله هذه البَلْدَةَ من هذا الرجل ، ماهو إلَّا أنْ بَخَّرْتُ أُمِّى بالورقة حتى رَاقَتْ (٣) وزال أَلَمُهَا !

ثم طلب منه بخورًا ، فقال : يابُنَىَّ ، من أين أعطيك ؟ إنما اجتهدتُ لها فى الدعاء .

وأخبرنا أبو جعفر محمد قال : حَدَّثَنِى الوليد الهاشمى قال : ذكر لى أنَّ رجلاً كان له على إنسان مال بوثيقة ، وهو مائة دينار ، إلى أَجَل ، فلما مَضَى الأَجَل طلب الرجل الوثيقة فلم يجدها ، فجاء إلى أبى الحسن بُنان وسأله الدعاء . فقال : أنا رَجُلٌ قد كَبِرْتُ ، وأنا أُحِبُّ الحلوى ، فاذهبْ فَاشْتَرِ لى رطلاً وَأْتِنِى به حتى أدعو لك (٤) .

فَذَهَب الرجل واشترى له ذلك ، ثم جاء به ، فقال له بُنان : افتح القرطاس ، ففتح القرطاسَ فإذا هى الوثيقة . فقال له : يا أستاذ ، هذه هى الوثيقة (٥) ! فقال : خُذْها ، وأَطْعِمْ صبيانَكَ الحلوى (٦) .

وحكى بعض المشايخ عن أبى علىٍّ الرُّوذَبارىِّ الصُّوفىِّ قال : كنتُ يومًا فى داخل الحَمَّام إذْ دخل علىَّ رسول يونس الخادم ، غلام الخليفة ، وكان الخليفة

(١) أى : ترابًا ناعمًا .

(٢) فى « م » : « كاغضة » تحريف من الناسخ .. ومعنى شدَّهُ فى كاغدة ، أى : صَرَّهُ فى قرطاس كالصُّرَّة .

(٣) فى « م » : « فراقَت » أى : شُفِيَتْ من مرضها .

(٤) هكذا العبارة فى شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٢ . وفى « م » : « أنا أحب الحلاوة والبرطيل فاذهب إلى وخذ لى معقودًا وأتنى به حتى أدعو لك » .

(٥) فى « م » : « هذه الوثيقة » .

(٦) فى « م » : « وأطعم المعقود لصغارك ، مع السلامة » [انظر هذه القصة فى سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٤٨٩ و ٤٩٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٢ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٥١٣] .

قد أرسَلَ يُونَسَ [١] من بغداد لقتال طائفة بمصر خرجت على أميرها [٢] وقاتلوه ، وكان الأمير إذْ ذاك « تكين » ، فلما كشف الله تعالى الغُمَّة تصدَّقَ يونس بمالٍ جزيل ، فلما دخل غلام يونس الحمَّام كان السِّدْرُ [٣] على رأسى ، فقال لى : الأستاذ يونس يدعوك [٤] ، وقد طلبناك فى بيتك وقيل لنا إنك فى الحمَّام .

فقمتُ معهم وجئتُ إلى يونس ، فقال لى : بلغنى أنك أقرب الناس إلى « بُنان » ، وعندنا مالٌ تمضى به إليه ، فإنْ أَخَذَهُ وإلَّا فَفرِّقْهُ على الناس . قال : وألْقَى إلىّ [٥] كيسًا فيه ألف دينار . قال : فأخذتُه ومضيتُ إلى « بُنان » وأنا مسرور ، لعلمى بما هو فيه ، فلما دخلتُ عليه قال لى : ما وراءك ؟ فَحَدَّثْتُهُ القصة ، فتغير لونه وقال : يا أحمق ، لئن لم تفعل ما آمُرُكَ به لَأَهْجُرَنَّكَ ، خُذِ الكيسَ وَارْجِعْ إليه ، فإذا دَخَلْتَ عليه فلا تَمْشِ [٦] على بساطه وَاطْوِهِ ، وَارْمِ بالكيس بين يديه .

وقال : عَلَيَّ بالطشت والإبريق واغسل يديك مِنْ مَسِّ الكيس ، وقُلْ له : يقول لك « بُنان » : « أَخَذْتَ هذا من دماء المسلمين تريد أن تضعه فى عُنُقِى ؟ يكون فى عُنُقِكَ أَوْلى » ! .

قال أبو عَلِيٍّ : ففعلتُ ما أَمَرَنِى به . فبكى يونسُ بكاءً شديدًا . وأخبرتُ « بُنان » بذلك ، فَسُرَّ سُرورًا عظيماً .

---

(١) فى « م » : « يونسًا » لا تصح ، عَلَمٌ ممنوع من الصرف .

(٢) فى « م » : « طائفة بغوا بمصر على أميرها » .

(٣) السِّدْر : شجر يصلح ورقه للغَسُول ، يشبه شجر العُنَّاب . [انظر لسان العرب ، مادة : سدر] .

(٤) فى « م » : « يدعو لك » تحريف .

(٥) فى « م » : « فيه » مكان « إلىّ » .

(٦) فى « م » : « لا تمش » والفاء هنا رابطة لجواب الشرط .

وحَكَى « بُنان » قال : كنتُ فى مسجدٍ ، وإذا بجماعة من الصَّيارف دخلوا فى المسجد ومعهم مالٌ كثير ، فنظروا فيه ووَزَنُوه ، فجاء لهم فقيرٌ من زاوية المسجد ، وقال : هَلْ مِنْ شيء [١] لله تعالى ؟ فقالوا له : فَتَحَ اللهُ عليك . قال : فانصرفَ إلى مُصَلَّاه ، فلما انصرفوا جاء الفقير إلى مكانهم ، فوجَدَ كيسًا فيه خمسمائة دينار ، فأخذه الفقير ووضعه تحت الحصير ، فافتقد الصيارفُ المالَ فوَجَدُوهُ قد نقص ، فرجع أحدهم للمسجد وطلبه ، فلم يجده ، فسألَ الفقِيرَ عنه ، فقال : خُذْهُ من تحت الحصير ، فأخذه وفتحه وأَخْرَجَ [٢] منه عشرين دينارًا ، وقال للفقير : خُذْ هذه . فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا . فقال له : إنكَ سألتنا الساعة دِرْهَمًا ولم تُعْطَهْ [٣] ، وقد دفعتُ لكَ عشرين دينارًا فى هذا الوقت !

فقال له : « لَمَّا سألتكم درهماً لم تعطونى إيَّاه لِفَقْرِى وفَاقَتِى ، وأنتم الآن دفعتم ذلك لى لأَجْلِ دِينِى وأَمانَتِى بالدنيا ! » . ولم يقبل منه شيئًا .

وقال « بُنان » : حَجَجْتُ سَنَةً من السنين فرأيت فى الطريق جارية ليس معها زادٌ ولا راحِلَة ، فقلتُ لها : أينَ تَذْهَبِينَ ؟ قالت : إلى بيته . فَأَخْرَجْتُ لها مِنْ جَيْبِ مُرَقَّعَتِى [٤] خمسة دنانير وناولتهم لها ، فلما وقع بصرها عليهم رَمَتْ بهم إلَىَّ ، ومَدَّتْ يدها فى الهواء وَفَتَحَتْهَا فإذا هى مملوءة ذَهَبًا ! ثم قالت لى : يا « بنان » ، أَنْتَ تنفق من الجيب وأنا أنفق من الغيب !

ثم إنها مازالت معنا حتى ذهبنا إلى مكة ، ورجعت معى إلى مصر . فتُوُفِّيَتْ ودُفِنَتْ تحت رِجْلَيْهِ ، وكانت من العابدات ، وَاسْمُهَا « سعيدة » ، حَجَّتْ ثلاثين حَجَّةً رَاجِلَةً على قَدَمِ التَّوَكُّلِ .

---

(١) فى « م » : « هل شىء » .

(٢) فى « م » : « وخرج » .

(٣) فى « م » : « يُعطه » .

(٤) المُرَقَّعَة : من لباس الصوفية لِمَا فيها من الرقع .

والدعاء عند قبريهما مُجَابٌ .

وقال « بُنان » : « لى أربعون [1] سَنَةً ما دخلت فى يدى بيضاء ولا صفراء » .

ومِنْ كلامه [2] رضى الله ورحمه :

قَبَّحَ اللهُ نَائِلاً تُرْتَجِيهِ ... مِنْ يَدَىْ مَنْ يُرِيد أَنْ تَقْضِيهِ [3]

إِنَّمَا الْجُودُ والسَّمَاحُ لِمَنْ أَعْـ ... ـطَاكَ بِرًّا وَمَاءُ وَجْهِكَ فِيهِ [4]

وقال – رضى الله عنه : « دخل أبو جعفر محمد بن يعقوب الفَرَجى إلى مصر ، وكثر الناس عليه ، فأحببتُ المُضِىَّ إليه ، وكان لى أيّام لَمْ [5] أتناول شيئًا من الطعام ، فجئتُ إليه وهو جالسٌ وعنده جمعٌ كثير يكتبون عنه ، وهو فى بيت ملآن بالكتب [6] ، فقلتُ له : رحمك الله ، اخْتَصِرْ لى من هذا العِلْم كله كَلِمَةً أنتفعُ بها وأعمل عليها . فقال لى : نعم ، عليكَ بِأَخْذِ [7] الأَقَلّ من الدُّنْيا ، وَارْضَ [8] فيها بِالذُّلّ . فقلت : « حَسْبِى » .

* * *

---

(١) فى « م » : « أربعين » لا تصح لُغَةً .

(٢) البيتان ليسا من كلامه ، وربما كان يستشهد بهما ، فقد وَرَدَا فى عيون الأخبار ج ٣ ص ٢١٥ و ٢١٦ ضمن ستة أبيات منسوبة إلى أعرابى ، أولها :

أيُّها الذائب الحريصُ المُعَنَّى ... لَكَ رِزْقٌ وسَوْفَ تستوفيه

ولم يردا فى المصادر المذكورة هنا ، والتى ترجمت له . وهما من بحر الخفيف .

(٣) فى عيون الأخبار : « تقتضيه » .

(٤) فى المصدر السابق : « لِمَنْ يعصيك عَفْوًا » . والعفو من المال : مازاد على النفقة . وماء الوجه : كناية عن الحياء والكرامة .

(٥) سقطت « لم » من « م » .

(٦) فى « م » : « من الكتب » .

(٧) فى « م » : « تأخذ » .

(٨) فى « م » : « وارضى » لا تصح لُغَةً .

قبر الشيخ على بن محمود المغربى [١] :

ثم تخرج من باب تربة « بنان » تجد عند الباب [٢] قبر الشيخ الصالح على ابن محمود المغربى الأَقْرِيطشى [٣] ، يُكْنَى أبا الحَسَن ، توفى سنة ٣٧٠ هـ . ذَكَرَهُ القُضَاعِى .

قبر الفقيه محمد بن سهل الثعالبى [٤] :

وبالحومة قبر الفقيه محمد بن سهل بن الفضل الثعالبى المالكى ، توفى فى يوم الجمعة عند الزوال فى مستهل شهر رمضان سنة ٣٨٠ هـ .

قبر زردانة القابلة (أم محمد) [٥] :

وغَرْبِىّ تُربة « بُنان » قبرٌ تحت قُبَّة [٦] ، به المرأة الصالحة « زردانة » القابلة ، ابنة الحسين بن عبد الله ، عُرِفَت بأم محمد ، وقيل : إنها كانت من أهل الخير [٧] ، وكانت تَقْبَلُ النساء الفقراء والمساكين ولا تأخذ على ذلك أُجرة [٨] .

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) فى « م » : « فعند الباب » .

(٣) نسبة إلى جزيرة « أُقريطش » كريت الحالية - ويُنسب إليها جماعة من العلماء ، وقد مرت . [انظر ص ٥٥٧ ، الهامش رقم (٧) السابق] .

(٤) العنوان من عندنا .

(٥) فى السخاوى « قبر أم أحمد القابلة » . [انظر تحفة الأحباب ص ٤١٨] . وهذا العنوان من عندنا .

(٦) فى « م » : « هو تحت قبة » .

(٧) فى « م » : « أنها كانت تخدم من غير شىء » أى : بدون مقابل .

(٨) تَقْبَل النساء : تقوم بتوليدهن وتُلَقِّى الوَلَد عِنْد الولادة .. وجملة : « ولا تأخذ على ذلك أجرة » عن السخاوى ، وفى « م » : « من غير شىء » وقد مرت .

وحُكِيَ عنها أن امرأة جاءت إليها فقالت لها : هل لكِ أَنْ تأتى معى إلى امرأة فقيرة ؟ قالت : نعم . ثم إنها قامت معها وجاءت إلى بيتٍ ، فدَخلَتْ فَرأَتْ [1] فيه صَبِيَّةً كأنَّهَا بَدْرٌ ، ولم يكن عليها شيءٌ تَسْتَتِرُ به ، فلما رَأَتْهَا أُمُّ محمد قَالَتْ للمرأة التى دَعَتْهَا : ما تكونُ هَذِهِ مِنْكِ ؟ فقالت : بِنْتِى ، وإنَّ بَعْلَها خرج إلى الغزو [2] فى أول حَمْلِهَا ، فقال قومٌ : إنه قُتِلَ ، وقال قوم : إنه حَىٌّ ، وقَدْ صِرْنَا إلى ما تَرَيْنَ مِنَ الفقر !

ثم إنَّ الصَّبِيَّةَ تمخَّضَتْ ساعة ، ووضعتْ غلاماً كأنه البدر فى تمامه ، فقامت القابلة ونَزَعَتْ قميصًا كانَ عليها وقَطَعَتْهُ نِصْفَيْنِ ولَفَّتْ به الصَّغير ، ثم انصَرَفَتْ ، وجَاءَتْ لها بما يصلح للنساء اللاتى يَضَعْنَ . وظَلَّتْ شهرًا [3] كاملاً تأتيها فى كل يوم . ثم بعد الشهر جَاءَتْ أُمُّ الصَّبِيَّةِ إلى أُمِّ محمد القابلة وهى فرحانة .. فقالت لَهَا : مَابِكِ ؟ قالت : قُومِى معى لِتَقَرَّ عَيْنُكِ !

فجاءَتْ معها إلى منزل الصَّبِيَّة ، فرَأَتْ به خيرًا كثيرًا ، ورَجُلاً جالساً إلى جانب الصَّبِيَّة ، فقالت : مَنْ يكونُ هذا الرجل ؟ فقالت : هذا بعل ابنتى قد جاء من السفر ومعه هذا الخير الكثير !

فقام الرجلُ إلى أُم محمد وقَبَّلَ رأسها ، ودَفَعَ لها مائة دينار ، فجعلَتْ تُرْعَدُ [4] وقالت : معَاذَ الله أَنْ أَبيع آخِرَتى بها ! ثم رَمَتْ بها إليهم وخرجَتْ من عندهم ، ولم تَعُدْ إليهم بعد .

وحَكَى عنها ولدُهَا أنها قالت له فى ليلة شاتية : يابُنَىَّ ، أَضِئْ

---

(١) فى « م » : « فرأيت » تحريف .

(٢) فى « م » : « الغزاة » .

(٣) فى « م » : « وقامت شهرًا » .

(٤) تُرْعَد : أخذتها رِعْدَة .

الْمِصْبَاحَ [(١)] . فقلتُ لها : ليس عندنا [(٢)] فى هذه الليلة زيت . فقالت : ياولدى ، اسكب فى السراج من ماءِ الإبريق وسَمِّ الله تعالى . قال : ففعلتُ ذلك ، فأضاءَ السِّراج كأحسن مايكون ! فقلتُ لها : يا أُمَّاه ، الماءُ يَقِدُ [(٣)] ؟ فقالت : لا ، ولكن مَنْ أَطَاعَ الله تعالى أَطَاعَ لَهُ كُلُّ شىء [(٤)] .

* * *

قبر الشيخ أبى علىّ (الكاتب) الحَسَن بن أحمد [(٥)] :

ثم تُبَخِّرُ قليلاً من قبرها إلى قبر الشيخ أبى الحسن علىّ بن أحمد .. وقيل : أبى علىّ الحسن بن أحمد ، الشهير بالكاتب .. [أَحَد مشايخ الرسالة ، كان من الزاهدين العابدين ، وكان الجُنَيْدُ يُعَظِّمُهُ ، وكان] [(٦)] أوحد مشايخ وقته ، حتى قال فيه أبو عثمان : إنه مِنَ السَّالكين ، وكان يعظمه كثيرًا [(٧)] . وكانت وفاته سنة أربعين وثلاثمائة ونَيِّف [(٨)] .

---

(١) هكذا فى السخاوى .. وفى « م » : « أنها أفاقت فى ليلة من الليالى ، وكانت ليلة شاتية ، قال : فأيقظتنى وقالت لى : يابنى ، أَسْرِج لنا السراج » .

(٢) فى « م » : « لم يكن عندنا » .

(٣) يقد : يشتعل .

(٤) هكذا فى السخاوى .. وفى « م » : « فقالت : يابنى ، من أطاع الله أطاعه كل شىء ».والى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٥) العنوان من عندنا . وقد جاءت ترجمته فى « ص » بعد ترجمة « بنان » – التى لم تكتمل فيها – وقال : « عند رأسه [أى رأس بنان] من ظاهر التربة قبر الشيخ أبى علىّ الكاتب الحسن بن أحمد رحمه الله تعالى » . [انظر ترجمته فى طبقات الصوفية ص ٣٨٦ وغيرها] .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) فى « ص » : « وكان يعظمه ويعظم شأنه » .

(٨) فى « ص » : « مات سنة نَيِّف وأربعين وثلاثمائة » .. وفى « م » أتى بالنيف أولًا ، والنيف من واحدٍ إلى ثلاث ، ولا يُقال « نيف » إلّا بعد عقْدٍ ، نحو : عَشَرة ونيف ، ومائة ونيف ، وألف ونيف .. [انظر المصباح المنير – مادة : نيف] .

قال أبو عَلِيٌّ – رحمه الله تعالى : « المعتزلة [١] نَزَّهُوا الله تعالى مِنْ حيث المعقول فَخَلَطُوا . والصوفية نَزَّهُوهُ من حيث العِلْم فأصابوا » .

وَيُرْوَى [٢] عن الجُنَيْدِ – رحمه الله – أنه قال : « تنزل الرحمة على هذه الطائفة – يعنى الصوفية – فى ثلاثة مواطن :

– عند الأكل ، لأنهم لا يأكلون إلَّا عَنْ فَاقَة .

– وعند المُذاكرة ، لأنهم يَتَجَارُونَ [٣] فى مقامات الصِّدِّيقين ، وأحوال النَّبِيِّين .

– وعند السَّمَاع [٤] ، فقد كانَ بَعْضُهُم يَطْوِى اليومين والثلاثة ، فإن اشتاقت نفسه إلى القوت عَدَا بِها إلى السَّماع ، فيجد ما يغنيه عن الطعام » [٥] .

وقال [٦] : « إذا سَمِعَ الرَّجُلُ الحِكْمَةَ فَلَمْ يَقْبَلْهَا فَهُوَ مُذْنِبٌ ، وإذَا سَمِعَهَا و لم يَعْمَلْ بها فهو منافق » .

وقال : « إذَا انْقَطَعَ العَبْدُ إلى الله بالكُلِّيَّة ، فأوَّل ما يُفيده اللهُ الاسْتِغْنَاءُ به عن سواه ، وقد قيل : مَنْ صَبَرَ علينا وَصَلَ إلينا » [٧] .

وقال : « إذَا سَكَنَ الخوفُ فى القَلْب لَمْ ينطق اللِّسَانُ إلَّا بما يعنيه » [٨] .

---

(١) فى « م » : « المنزلة » تحريف من الناسخ .

(٢) من هنا إلى قوله : « يغنيه عن الطعام » عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) يتجارون : يَتَناظرون .

(٤) فى هذا الموضع أقحم الناسخ سطرين لا معنى لهما ، ثم استدرك وأعاد الصياغة مرة ثانية .

(٥) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٦) أى : وقال أبو علىّ .

(٧) هكذا فى « م » و « ص » .. وفى طبقات الصوفية : « وصَلَ إلينا مَنْ صَبَرَ علينا » .

(٨) هكذا فى « ص » وفى طبقات الصوفية .. أمَّا فى « م » فقد جاء « الجوف » مكان « الخوف » وهو تحريف من الناسخ ، كما سقط منها أداة النفى « لم » .

وقال : « إنَّ الله تعالى يرزقُ العبدَ حَلاوَةَ ذِكْرِهِ ، فَإِنْ فَرِحَ بِهِ وشَكَرَهُ [١] ، آنَسَهُ بِقُرْبِهِ ، وَإِنْ قَصَّرَ فى الشكر أَجْرَى الذِّكْرَ على لِسَانِهِ [٢] وسَلَبَهُ حَلاَوَتَهُ » .

قبر الشيخ أبى الحَسَنِ الوَرَّاق [٣] :

وغَرْبِيَّهُ قبر الشيخِ أبى الحَسَن بن سعد الورَّاق .. كان – رحمه الله – عابدًا ، صالحاً ، زاهدًا [٤] ، عارفًا بالأوقات ، مُسْلَمًا [٥] مِنَ الشُّبُهَات .

ومن كلامه – رضى الله عنه [٦] : « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَدَلَ عنها ، وآفة الناس قِلَّةُ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ » .

وقال : « حياة القلوب [٧] فى ذِكْرِ الحَىِّ الذى لا يَمُوتُ ، والعَيْشُ الهَنِىءُ مع الله تَعَالَى لا غَيْر » .

وقال : « الأُنْسُ بِالْخَلْقِ وَحْشَةٌ ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إليهم حُمْقٌ ، والسُّكُونُ إِلَيْهِمْ عَجْزٌ ، وَالاعْتِمادُ عَلَيْهِم وَهَنٌ ، وَالثِّقَةُ بِهِم ضَيَاعٌ . وإذا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ أُنْسَهُ به وبِذِكْرِهِ ، وَتَوَكُّلَهُ عليه ، وَصَانَ سِرَّهُ عَنِ النَّظَرِ إليهم ، وَظَاهِرَهُ عَنِ الاعْتِمَادِ عليهم » .

وقال – رضى الله عنه : « مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ شُبْهَةٍ أو مُحَرَّمٍ [٨] ، نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ بِنُورٍ يَهْتَدِى به إلى طَرِيقِ رَجَائِهِ » .

---

(١) قوله : « فإنْ فرح به وشكره » سقط من « م » سهوًا من الناسخ .
(٢) فى « م » : « لسانك » والسياق يتطلب ما أثبتناه .
(٣) العنوان عن « ص » .
(٤) قوله : « عابدًا صالحًا زاهدًا » عن « م » .
(٥) مُسْلَمًا : سليمًا .
(٦) فى « ص » : « قال » مكان « ومن كلامه ... » .
(٧) فى « ص » : « القلب » .
(٨) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وقال : مَنْ شَخَصَ بَصَرُه [أى لم يطرف به مُتأمِّلًا] =

وقال : « مَنْ أَسْكَنَ نَفْسَهُ مَحَبَّةَ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ قَتَلَهَا بِسَيْفِ الطَّمَعِ ، ومَنْ طَمِعَ فى شَيْءٍ ذَلَّ لَهُ [١] وهَلَكَ » .

وقال : « لا يَصِلُ العَبْدُ لِشَيْءٍ مِنَ التَّقْوَى وعليه بَقِيَّةٌ مِنَ الزُّهْدِ والوَرَعِ والتَّقْوَى مَقْرُونَةٌ بِالمُرَاضَاةِ [٢] . قال الله تَعَالَى : ﴿ ومَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ » [٣] .

قيل [٤] : إنَّهُ كان يُعطى الورَقَ احتساباً ، وكان الشيخ أبو الحَسَن الكاتب – المُقَدَّم ذكره – يكتب احتساباً أيضًا ، فغاب الوَرَّاقُ يوماً ، فأعطَى الكاتبَ الورقَ مع الكتابة ، فلما عَادَ الوَرَّاقُ لم يكتب إليه أَحَدٌ ، فَأَخذَ الورق ، وانفردَ الكاتبُ بالمعلمين ، فغضب منه الوَرَّاقُ وقال : أَخَذْتَ الأَجْرَ كُلَّه ، ولم يُكَلِّمْهُ زَمَانًا ، وماتا مُتَغَاضِبَيْنِ ، فَرَأَى رجلٌ من الصالحين أَبَا الحسَن الدينورى وهو على نجيبٍ [٥] من نُورٍ ، وعليه من خِلَعِ الرَّحمٰن ، قال : فَجِئْتُ إليه وقَبَّلْتُ يديه ، وقُلتُ له : مِن أين ياسيدى ؟ قال : من دَعْوَةِ الصُّلْحِ بين الكاتب والوَرَّاق ، أَصْلَحَ بينهما رَبُّ العالمين على موائد الفضل والرحمة [٦] !

* * *

= عن مُحَرَّمٍ ، ورَثَّهُ الله تعالى حكمة على لسانه يهتنى بها [من الهَناء] وَمَنْ غَضَّ بصره .. الخ » .

(١) فى « ص » : « ذَلَّ بذُلِّه » . وطمع فى شيء : اشتهاه ورغب فيه .

(٢) فى « ص » : « مقرون بالراحة » .

(٣) سورة الطلاق من الآيتين ٢ و ٣ .

(٤) من هنا إلى نهاية الترجمة عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) النجيب : من خيار الإبل .

(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

قبر أبى الحَسَنِ علىّ بن محمد بن سَهْل الدِّينَوَرِىّ [١] :

ثم [٢] تمضى إلى قبر الشيخ الصَّالِحِ ، الوَلىّ الكبير ، والقطب الشهير ، إمام وقته ، والعارف بربه ، أبى الحسَن علىّ بن محمد بن سَهْل الدِّينورِى ، عُرِفَ بابن الصَّائِغ .

وهو فى تُرْبَة عظيمة . قال بعض المُؤَرِّخِينَ : الشيخ الصَّالحُ ، العابِد ، الزَّاهِد ، المُكاشف ، أبو الحَسَن علىّ بن محمد بن سهل الدِّينَورِىّ ، نِسْبَةً إلى « دِينَوَر » من بلاد الجبل [٣] ، يُعْرَفُ بابن الصائِغ ، وتُوفِّى سنة ٣٣١ هـ [٤] .

وكان يتكلم على الخاطر والباطِن ، وكان حوله جماعة [لا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً من أهل الإرادة] [٥] قد آخَى بينهم ، واشْتَرَطَ عليهم فى مُؤَاخاتهم أشياءَ ، وتكلَّم عليهم فيها .

وكانَ كثير الذِّكْر ، حَسَنَ الوَرَع ، يأمُر بالمعروف ، ويَنْهَى عن المُنكر . وكان [٦] علماء الديار المصرية يحضُّونَ أولادهم على صُحبته والتماس بركته [٧] ، ويقولون : « لا يَجُوزُ أنْ يتكَلَّمَ علَى النَّاسِ إلَا مَنْ كانَتْ حالَتُهُ كحَالَةِ أبى الحَسَن الدِّينَورِىُّ » .

---

(١) هذا العنوان عن « ص » والكنية « أبى الحسن » عن « م » .. [وانظر ترجمته فى طبقات الصوفية ص ٣١٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٥٣ ، وتحفة الأحباب ص ٤١٤ ، وحُسن المحاضرة ج ١ ص ٥١٣ و ٥١٤] .

(٢) من هنا إلى قوله : « من بلاد الجبل » عن « م » وساقط من « ص » .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٤) فى الرسالة القشيرية وفى طبقات الصوفية : مات سنة ٣٣٠ هـ وستأتى بعد قليل .

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٦) من هنا إلى قوله : « ضاقت عليه الأرض » – بعد ذلك – عن « م » وساقط من « ص » .

(٧) فى « م » : « والالتماس ببركته » .

وخَرَجَ يوماً على أصحابه ، وكان فيهم أَحْدَاثٌ حِسَان ، فقال : ياملاَحُ ، ياملاح ! ثم [قال] [١] : أردتُ بقولى « ياملاح » أعنى : مِلاحَ القلوبِ لا مِلاحَ الصُّوَر .

وكان يقول لأصحابه إذا كانوا بين يديه : « اسكُتُوا حتى يكون سكوتُكم يُنْبِىءُ عنكم » . وكان كثير المؤاخاة بين أصحابه .

قال أبو عثمان المَغْرِبِىُّ : « ما رَأَيْتُ مِنَ المشايخِ [أَنْوَرَ] [٢] مِنْ أَبِى يَعْقُوبَ النَّهْرَجُورِىِّ ، ولا أَكْثَرَ هَيْبَةً [٣] مِنْ أَبى الحَسَن بن الصَّائغ » . مات سنة ٣٣٠ هـ . هكذا قال القشيرى .

وسُئِلَ – رضى الله عنه – عن الاستدلال بالشاهِد على الغائب ، فقال : « كَيْفَ يُسْتَدَلُّ بِصِفَاتِ مَنْ لَهُ مِثْلٌ ونَظِير عَلَى مَنْ لا مِثْلَ له ولا نظير ؟ » [٤] .

وسُئل عَنْ صِفَةِ المُرِيد ، فقال : « ضَاقَتْ عليه الأَرْضُ » [٥] .

وَلمَّا خرج بِأَمْرِ « تكين » [٦] إلى بيت المقدس ، أُغْلِقَ [٧] البَلَدُ ،

---

(١) مابين المعقوفتين زيادة لاستقامة المعنى .

(٢) مابين المعقوفتين عن الرسالة القشيرية وطبقات الصوفية وسقطت من « م » سهوًا من الناسخ .

(٣) هكذا فى « م » وفى الرسالة القشيرية .. وفى طبقات الصوفية : « أكبر هِمَّة » .

(٤) فى « م » : « على من لاله مثل » ... وفى طبقات الصوفية : « كيف يُسْتَدَلُّ بصفاتِ مَنْ يُشَاهَدُ ويُعَايَنُ ، وهو ذو مِثْلٍ ، على صِفَةِ مَنْ لا يُشَاهَدُ فى الدنيا ولا يُعَايَنُ ، ولا مِثْلَ له ولا نظير ؟ » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى الرسالة القشيرية : « ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ وضاقت عليهم أنفسهم » وفى طبقات الصوفية : « صفته ماقال الله عز وجل : ﴿ ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ وضاقت عليهم أنفسُهُم وظَنُّوا أَلَّا ملجأ مِنَ الله إلَّا إليه ﴾ .. » وهى من الآية ١١٨ من سورة التوبة .. وإلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٦) فى « ص » : « ويوم أُخرج به تكين » وحكايته مع تكين حاكم مصر هى أن الشيخ كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما مَرَّ بنا .

(٧) فى « م » : « أغلقت » والبلد مذكر فى اللغة .

وخَرَجَ معه الجَمُّ الغفيرُ ، وقُدِّمَ له بَغْلٌ ، فلما أرادَ ركوبه [(١)] ، قال له بعضُ مَنْ حَضَرَ : أُدْعُ الله تعالى . فقال : « يابُنَىَّ ، هذا ليس وقت دعاء ، البلاءُ قد نَزَلَ ، والبَغْلُ قد قُدِّمَ [(٢)] ، هذا وقتُ رِضًا وتسليم » !

وَرَكِبَ ، وبَكَى النَّاسُ ، ووَدَّعُوه ورجعوا .

وقيل : إنَّ البغلَ وقَفَ يبولُ فى الرَّمْلِ ، فوقفَ أصحابُه يبكون ويَنظرون إليه ، فقال لهم : « لا تَيْأَسُوا ، فَإِنَّ الذى أَنْفَذَنَا على هذا البَغْلِ يموتُ ، ويُعْمَلُ له صُندوقٌ يُحْمَلُ فيه إلى بيت المَقْدِس ، ويدورُ البغلُ ويبولُ عليه ، وأركبُ البَغْلَ وأعودُ إليكم عليه ، إنْ شاء الله تعالى » .

ففرِحُوا ، وجَرَى الأَمْرُ على ما قالَ - رَحْمَةُ الله عليه - فما زال فى بيت المقدس حتى ماتَ « تكين » ، وحُمِلَ فى تابوتٍ عَلَى البغلِ الذى حُمِلَ عليه الشيخ إلى بيت المقدس . [ثم عاد الشيخ إلى مصر] [(٣)] .

وكانت له كراماتٌ ومقامات معروفة ، وقد حَدَّثَ بمصر عن أهلها ، وعن أهل بلده . وكان من شأنه أنَّ السَّلاطِينَ تَهَابُهُ ، وكان الجُنَيْدُ يُعَظِّمُه ويُجِلُّهُ .

وقد كان للجنيد حاجة إلى السُّلطان فقالوا له : نأْخُذُ أبا الحَسَنِ معنا ، فقال لهم : إن ذاك رجلٌ ليس فيه فَضْلَة [(٤)] لمثل هذا . فتركوه .

وقال [(٥)] بعض المؤرخين - وهو الشريف محمد بن سعد الحرَّانى الحُسَيْنى ، المعروف بالنَّسَّابة - روايةً عن أبى حفص عمر بن محمد غزال ، أنه

---

(١) فى « ص » : « أن يركبه » .

(٢) فى « ص » : « تقدَّم » .

(٣) فى « ص » : « وحُمِلَ تابوته إلى بيت المقدس » وقوله : « ثم عاد الشيخ إلى مصر » عن السخاوى .

(٤) فى « ص » : « مافيه فَضْلَه » . والفضلة مابقى من الشىء .

(٥) من هنا إلى قوله : « كما آكل » عن « م » وساقط من « ص » .

قال : لَمَّا وُلِدَ أبو الحَسَن الدِّينَوَرِىُّ أضاء المنزل بنور عظيم ، ولما أَنْ وقع على الأرض قال : لا إلـه إلَّا الله ، محمد رسول الله ، بنغمة عَقَلَها جميعُ مَنْ فى المنزل .

وقالت فاطمةُ الدِّينَوَرِيَّةُ : وَضَعْنَا لأبى الحسَن قَدَحًا من لبنٍ حليب وخُبْزٍ ليأكل ، فرأينا حَيَّةً عظيمة تأكل معه ، فإذا أمْعَنَتِ [١] الحيَّةُ بالأكل ضَرَبَها بِكَفِّهِ ويقول : كُلِى قليلاً بأَدَبٍ كما آكل [٢] .

وقال أبو علىّ مُمْشَاد [٣] : أتَى أبو الحَسَن الدِّينَوَرِى – وهو ابن خمس عشرة سنة [٤] – إلى شيخنا ابن سنان ، فسأله أَنْ يسأل له والدته أَنْ تَهَبَهُ لله ، فَسِرْنَا معه إليها ، فسألها الشيخ ، فقالت : كيف أَهَبُهُ لله ؟ أَخْشَى [٥] أَلَّا يحصل له ولا لى . ولكنْ قد أَبَحْتُهُ [٦] أَنْ يطلع الجَبَل ، فإذا وجَدَ الله فقد وهبتُهُ ، وإنْ لَمْ يَجِدْ فكنتُ أنا خيرًا له مِنْ أَنْ يشقى [٧] .

فَصَعِدَ الجَبَلَ ، فأقامَ خمسين يوماً ثم نَزَلَ وهو كالخِلاَلِ [٨] اليابس ، فقلتُ له : كيفَ كانَ حالُكَ فى غَيْبَتِكَ ؟ فقال : ما دُفعت إلى فاقَةٍ [٩] ، وما بَقِىَ فِىَّ جَارِحَةٌ إلَّا وهى تقتضى المزيد .

فَسِرْنَا معه إلى أُمه ، فَسَأَلْتُهُ كما سألناهُ ، فأَخْبَرَهَا [١٠] بِمَا أَخْبَرَنَا ،

---

(١) أمعنَتْ : بالَغَتْ .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٣) لعله أبو على بن جِمْشَاد الصائغ أو ممشاد الدينورى المتوفى سنة ٢٩٩ هـ [انظر طبقات الصوفية ص ٣١٦] .

(٤) فى « م » و « ص » : « خمسة عشر سنة » خطأ ، وما أثبتناه هو الصحيح لُغَةً .

(٥) قوله « أخشى » عن « ص » ولم يرد فى « م » .

(٦) أبَحْتُه : أذِنْتُ له وسَمَحْتُ .

(٧) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « فكنتُ أنا له خير (هكذا) مما يشقى » .

(٨) كالخِلال : كالعُود .

(٩) الفاقة : الفقر والحاجة .

(١٠) فى « م » : « لمَّا سألناها فأخبرها » .

فَعَتَقَتْهُ [١] وقالت : « اللَّهُمَّ ، إنَّهُ وَدِيعَتِي عندك ، فَقَدْ صَلَحَ لكَ ، وقد وهَبْتُهُ لَكَ » .

فخَرَجَ من يومه وغَابَ عنها سنين كثيرة [٢] . قال أبو بكر : فلقيتُه بعد ذلك ، فذكرتُ له الحكاية ، فبكَى بكاءً شديدًا وقال بالفارسية : وَاخرابَ قَلْبَاه !!

وقال : حَجَجْتُ أنا وَأبى مِنْ دِينَوَرَ فى ثلاثة أيامٍ .

وقال أبو الحسين بن علىّ : اجتمعتُ مع جماعة من الصالحين بمكة ، فتذاكرنا [٣] أخبار الصالحين ، إلى أن ذكَرْنا أبا الحسن [٤] علىّ بن سهل الدينورى ، وبِقُرْبِنَا [٥] امرأةٌ عجوزٌ عليها آثار العبادة تسمع كلامنا ، فقالت : بأبى أنت ، هل [٦] رَأَيْتَ ابنَ الصَّائغ ؟ قُلْتُ لها : نعم ! فَأَكَبَّتْ [٧] على رِجْلَىَّ ويَدَىَّ تُقَبِّلُهَا [٨] وقالت : يابُنَىَّ ، شهدتُ أبا الحسن وهو ابن خَمْسَ عَشْرَةَ سنة [٩] وقد خرج إلى الصحراء ، وحَضَّرَ حَضِيرًا [١٠] وَجَلَسَ فيه ، فَأَقْبَلَتِ الأمطار [١١] حول الحَضِيرِ ، وليس فى الحضير نقطةُ ماء ، فلما اجتمعتُ به قلتُ له : تَأْذَنْ لى أنْ أسألَكَ عن حكاية ؟ قال : نعم . فحكيتها له ، فَشَخَصَ ببصره إلى السماء ، ثم أقبلت الدموع [١٢] تريد أن تسيل من عينيه وهو يمنعها ، ثم قال : دَعْنَا مِنْ هذا وَهَاتِ ما ننتفع به !

---

(١) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « فعَانَقَتْهُ » .
(٢) قوله : « عنها » عن « ص » .. و« كثيرة » عن « م » .
(٣) فى « ص » : « فتذاكروا » .
(٤) فى « ص » : « أبو الحسن » خطأ ، وبقية الاسم لم يرد فى « م » .
(٥) فى « ص » : « وكان بقربنا » .
(٦) أداة الاستفهام « هل » من « م » .
(٧) فى « م » : « فاكتب » تحريف .
(٨) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « تقبلهم » .
(٩) فى « م » و « ص » : « خمسة عشر سنة » خطأ ، وقد سبق التعليق عليها .
(١٠) الحضير : الموضع الذى يَجْلُبُ منه الناس الماء .
(١١) فى « ص » : « الأمطار والثلوج » .
(١٢) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فشخص ببصره ساعة وقال ، وأقبلت الدموع ... » .

قال : ولقد رأيتُه يوماً وقد خنقته [١] العَبْرَةُ ، فغمضَ عينيه يمنعها وقال : ما أشَدَّ الزكامَ ! ثم غَلَبَتْهُ أيضًا ، فالْتَفَتَ لَمَّا بَكَى وقال لعينيه : يا [٢]مُرَائِيتان !

وقال أيوب : كان أبو الحسَن يجيء إلى النهر وقد جَمَدَ من الثلج ، والدَّوابُّ تَمُرُّ عليه ، فإذا وصل إليه يريد أن يَتَطَهَّرَ نَظَرَ [٣] إلى نُقْرَةٍ صغيرة ، وكُلَّمَا [٤] مَالَ إليها ذَهَبَ البردُ منها وثَارَ الحَرُّ [٥] ، وليس عليه من ذلك أثَرٌ . ولقد جِئْتُ من ورائه يومًا – من حيث لا يَعْلَمُ – لأَنْظُرَ مايكون من أَمْرِهِ ، فلما وَصَلَ إلى النهر هَدَأَ جَرَيَانُهُ ، ولم أسمع له صَوْتًا [٦] ، فَتَقَدَّمْتُ ، فلما سمع حِسِّى التفتَ إلَىَّ وقال : مَالَكَ ولهذا ؟!

وقال فارسٌ الجَمَّالُ : أصابنى فى وجهى وَرَمٌ شديدٌ فَأَتَيْتُ إليه ، فَتَفَلَ فى وجهى [٧] ، فأصبحتُ وليس فى وجهى منه شيء .

وقال أيضًا : كُنْتُ معه يومًا فى سَفَرٍ ، فَلَحِقَنَا عَطَشٌ شديد ، وأتَى وقتُ صلاةِ الفَرْضِ ، فجاءَتْ سَحابةٌ وأمطرَتْ حتى ملأَتْ بِرْكَةً ، فقال لى : اشْرَبْ ياعطشان ، فشربتُ حتى رَوَيْتُ ، وتوَضَّأْتُ للصلاة .

وقال بعض أصحابه : نَزَلْتُ مع أبى الحَسَن إلى البحر ومعى فَتًى مِنَ المُتَعَبِّدِينَ ، فَجَازَ أبو الحَسَن البَحْرَ ، فلما رآه الفَتَى صَعِقَ وخَرَّ مَغْشِيًّا عليه ، فَمَلأَ أبو الحسن « فياشة » [٨] ولم يكن فيها إلَّا ماء البحر [٩] ، وَرَشَّ على الفَتَى

---

(١) فى « ص » : « وقد جاءته » .

(٢) سقطت « يا » من « م » .

(٣) الفعل : « نظر » عن « م » وساقط من « ص » .

(٤) فى « م » : « فكل ما » .

(٥) فى « ص » : « ذهب منها البرد وثار منها الحر » .

(٦) فى « م » : « صوت » خطأ .

(٧) فى « م » : « على وجهى » .

(٨) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « الفياشة » ولم أقف عليها ، ولعلها آنية رقيقة من جلدٍ ونحوه ، كالقربة ، فمادة « فيش » فيها معنى الضعف والرخاوة .

(٩) فى « ص » : « ماء من البحر » .

ماءَ وَرْدٍ طيب [١] ، فقلت : مالى لا تُرِشُّ [٢] عَلَىَّ ؟! فقال : إنك لَسْتَ من هُناك !

وقال [٣] بعضهم : كان - رضى الله عنه - يخرج إلى خارج « دِينَوَرَ » إلى [٤] نهرٍ هناك شديد الحرارة ، لايقدر إنسانٌ [٥] على الوضوء منه لحرارته ، فلما وضع رجله عليه صار كالزَّيْتِ ، فإذا توضأ منه وفرغ رجَعَ إلى حاله .

وقال إبراهيم بن أحمد : كان فى المسجد جماعةٌ يتعرَّضون لى [٦] بالأَذَى ، وزَادَ عَلَىَّ أَذَاهُم ، وأنَا حَدَثٌ ، فشكوتُ ذلك إلى شيخ من شيوخنا ، فقال : امْضِ بنا إلى أبى الحسن الدينورى واذكُرْ له ما وَقَع لكَ من الأَذَى ، فَلَعَلَّهُ يدعو [٧] لكَ .

قال : فصعدنا إليه ، فلما نَظَرَ إلىَّ قال : يابُنَىَّ ، لا بأْسَ عليك ، لا تَغْتَمَّ .. ارجُوا الله من فَضْلِه يكفيكم ، فكان كذلك - رضى الله عنه وأرضاه .

وحَدَّثَ بعضُ الثقاتِ ، قال : كان للشيخ أبى الحسن الدينورى حَضِيرٌ [٨] فى الجبل بغير سَقْفٍ يأوى إليه ، وفيه محاريب [٩] قد عملها ، فجاء مطرٌ عظيم وثلجٌ كثير ، فأصبح الناسُ وعلى أثوابهم الثلج ، وكل إنسان يستعين بمن يزيل الثلج عن بابه ، ثم قالوا : نذهب إلى أبى الحسَن الدينورى فَرُبَّمَا مات من الثلج والمَطَر . فخرج جماعةٌ من الناس إلى الجبل فوجدوه جالسًا فى وسط الحَضِير وليس عليه شىء من الثلج ، فرجعوا متعجبين [١٠] .

---

(١) هكذا فى « م » و « ص » على أنها صفة لِوَرْدٍ .
(٢) فى « ص » : « لا تَرُش » .
(٣) من هنا إلى قوله : « متعجبين » عن « م » وساقط من « ص » .
(٤) « إلى » زيادة من عندنا لاستقامة المعنى .
(٥) فى « م » : « إنسانًا » خطأ والصواب ما أثبتناه .
(٦) فى « م » : « له » لا تصح ، فالسياق يستدعى ما أثبتناه .
(٧) فى « م » : « فلعل أن يدعو » .
(٨) أى : موضع ، وقد مرت .
(٩) جمع محراب .
(١٠) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

وكان – رضى الله عنه – يقول : مَنْ لم تَظْهَرْ كراماتُهُ بعد مَمَاتِه كما كانت [١] فى حياته فليس بصادقٍ .

وكان يقول : دلائلُ الصِّدْقِ لا تَخْفَى ، لا فى الحياةِ ولا فى الممات .

وقال يحيى بن الربيع : رأيتُ أبى فى المنام وهو يقول لى : إنْ أَرَدْتَ أَنْ تتقرب إلى الله تعالى فعليكَ بأبى الحسن !

وجاءه شابٌّ فَقَبَّلَ رَأْسَه ، فقال له : امْضِ إلى أُمِّك وسَلْهَا أَنْ تَهَبَكَ [٢] الدَّفْعَة [٣] التى دَفَعْتَهَا ، فهو أَوْلَى بكَ مِنْ هَذا .

وكان يتكلم يوماً [٤] فى مَجْلسِه فدخل عليه رجلٌ متعبدٌ من أهل الصعيد ، فلما وقعتْ عينُ الشيخ عليه قال : « ماهذا السُّوء الأَدب ؟ قَوْمٌ يَشْتَهُونَ [٥] أَنْ ينظروا إلينا فإذا رَأَوْنا طَلَبُوا على ذلكَ بُرْهَانًا ! » فصعق الرجل المتعبد مكانه .

وذهبَ الشيخُ أبو الحسن إلى منزله [٦] ، فَسُئِلَ الرجلُ عن سبب قول الشيخ وعن صعقته ، فقال [٧] : « كنتُ فى الصعيد كثيرًا ما أقول : وددتُ لو رأيتُ الشيخ أبا الحسن ، لِمَا يَبْلُغُنِى عنه ، وكنتُ أسأل عنه شيخًا من المتعبدين ، فقال لى : أليسَ كُنتَ تُحب أنْ تَرَى الشيخ ؟ قلتُ : نعم . قال : هُوَ ذَا قَدْ جاءنا الليلة زائرًا من مصر ! فنظرتُ إلى هذا الشيخ بعينه وَصفَتِه ،

---

(١) فى « ص » : « مثلما كانت » .

(٢) فى « ص » : « امضِ واستوهب من والدتك » .

(٣) فى « م » : « الرفعة » .

(٤) « يومًا » عن « م » .

(٥) فى « ص » : « يشهدون » تحريف .

(٦) فى « ص » : « إلى مرة » تحريف .

(٧) فى « ص » : « فقيل له القصة ، فقال ... » .

ولم أَكُنْ رأَيْتُه قط ، فَوَقَعَ فى نفسى [١] أنَّ الشَّيْخَ يجىء من مصر إلى الصعيد فى ليلة واحدة [٢] ... وأمْسَكْتُ عن هذا ، ثم عَزَمْتُ على الخروج إلى مصر ، فجئتُ فى يومى هذا وسألتُ عنه ، فَأُرْشِدْتُ إليه ، فلما وقعَتْ عينى عليه إذا هو الذى رأَيْتُهُ بعينه » .

وقال جعفر : « كُنْتُ بالصحراء فى مُتَعَبَّدٍ لى [٣] وكانَ الشيخُ قريبًا مِنِّى ، فقمتُ لِأَفْتَقِدَهُ [٤] ، وإِنِّى لَأَنْظُرُ [٥] قنديلاً يقف فى الجو على رأسه يَقِدُ إلى الصباح ، فإذا أصبحتُ لم أَجِدْ شيئًا » [٦] .

وقال بعضُ أصحابه : « كُنْتُ يوماً جالسًا فى حلقته ، والناسُ قيامٌ وقعودٌ [٧] ، فَالْتَفَتَ [٨] – رضى الله عنه – إلى رَجُلٍ منهم وعليه ثَوْبٌ [٩] دَنِسٌ ، فقال : اذْهَبْ – وَيْلَكَ – فَاغْتَسِلْ ! فَخَرَجَ من الحلقة وفَتَّشَ ثَوْبَهُ ، فإذا فيه أَثَرُ احْتِلامٍ .

وقال : إِنِّى لَأَعْرِفُ رَجُلًا وَقَفَ على نهرٍ ، فعَرَضَ فى نفسه شىءٌ ، فقال : إنْ كُنْتِ صَادِقَةً فَقُولِى لهذا النهر : قِفْ . فَوَقَفَ النهر .

---

(١) فى « ص » : « وكان وقع فى نفسى » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « أن الشيخ بمصر يجىء إلى الصعيد فى ليلة » أى أنه استبعد حدوث ذلك فى دخيلة نفسه ، أو استحالته .

(٣) فى « ص » : « إلىّ » . والمُتَعَبَّد : مكان التعبد .

(٤) قوله : « فقمت لأفتقده » عن « ص » وساقط من « م » .

(٥) فى « م » : « وكنتُ أرَى » .

(٦) فى « ص » : « قنديلًا يَقِدُ على رأسه ، فإذا أصبحت لم أرَ القنديل » .

(٧) فى « م » : « كنت جالسًا فى بعض الأوقات فى حلقته والناس محدقون به قيامًا وقعودًا » .

(٨) فى « ص » : « إذ التفت » .

(٩) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « تراب » .

وقال بعض أصحابه : كنتُ أراه سائرًا فى الشتاء [1] وهو على رُءُوسِ الجبال يَرْفَضُّ [2] عَرَقًا .

وقال ممشادُ الدِّينَوَرِىُّ : كان أبو الحَسَن يصعد الجبل الذى هو مَعْدِنُ السِّبَاعِ [3] ، ولا يجسرُ أَحَدٌ أَنْ يَصْعَدَ إليه ، فيبقى أربعين يوماً ثم يرجع ، فلا يبقى أَحَدٌ [4] إلَّا تَرَكَ البيعَ والشِّراءَ وخَرَجَ ينظرُ إلى الدِّينَوَرِىِّ [5] تَبَرُّكًا به ، وتعظيمًا له .

وكَانَ أَحَدُ مُرِيدِيه مارًا فى بعض الأسواق ، فرأى الرُّمَّانَ فى أول طلوعه ، فاشْتَهَاهُ [6] فاشترى منه شيئًا وخَبَّأَهُ فى رِكْوَتِه [7] خَوْفًا من الشيخ أَنْ يراه ، ثم جاءَ فجَلَس فى مجلس الشيخ [8] ، فقال الشيخ - رضى الله عنه [9] : « أَدْرَكْنَا قَوْمًا [من أهل الإِرَادَةِ] [10] لا يَشْتَهُونَ المِلْحَ ، ونَرَى الآنَ قوماً [11] يشتهون الرُّمَّانَ ويُخَبِّئُونَهُ فى الرُّكا إذَا اشتروه ! » [12] . فسمع المُرِيدُ ذلك فَوَقَعَ [13] مغشيًّا عليه ، ولَمَّا أَفَاقَ أَخْرَجَ الرُّمَّانَ مِنْ رِكْوَتِهِ ووَضَعَهُ لِمَنْ يأكُلُهُ ، ونَزَعَ الله شهوةَ الرُّمَّانِ من قلبه .

---

(١) فى « م » و « ص » : « سائرًا الشتاء » .

(٢) يَرْفَضُّ : يسيل .

(٣) فى « ص » : « الجبل معدن السباع » والمَعْدِن : مكانُ كل شىء فيه أصله وموطنه . [وانظر الكواكب السيارة ص ٢٨٧] .

(٤) « أَحَدٌ » عن « م » .

(٥) فى « ص » : « وهم ينظرون إليه » .

(٦) فى « ص » : « اجتاز بالسوق فاشتهى الرُّمَّان فى أول وقته » .

(٧) الركوة : إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء .

(٨) قوله : « ثم جاء فجلس فى مجلس الشيخ » عن « م » وساقط من « ص » .

(٩) فى « ص » : « فلما وعَظَ الشيخ قال » .

(١٠) مابين المعقوفتين عن « م » .

(١١) فى « ص » : « ونرى الآن مريدين » .

(١٢) قوله : « إذا اشتروه » عن « م » .

(١٣) فى « م » : « فسقط » .

وقيل : إنه [١] ختم الميعاد يوماً عند اصفرارِ الشمس ، ثم مَضَى إلى بيته لِيصَلّى المغرب ، فوقع فى نفس بعض الحاضرين : لَوْ صَلَّى الشيخُ مع الجماعة كان أَفضَلَ [٢] من صلاته وَحْدَهُ [٣] . فقال الشيخ : « إنَّ الباعة يُخْرِجون نيرانهم [٤] فى طُرُقِ المسلمين ، وما أُحِبُّ أَنْ أَستَضِىءَ [٥] بنور ظالم » .

وقال بعض الصوفية : « كنتُ أَعْمَلْتُ فكرى فى مسألة [٦] فى الجامع ، وقُمْتُ إلى حلقة الدِّينَورِىّ لِأَسْأَلَهُ عنها ، ونَوَيْتُ أَنْ أَمْتَحِنَهُ فيها ، فَجِئْتُ فوقفتُ عليه وَالمَجْلِسُ حَفْلٌ [٧] ، فَنَظَرَ إلىَّ من قبل أَنْ أسأله عنها ، وقال : « يافلان [٨] ، بِأَىِّ مَسْأَلَةٍ عَمِلْتَهَا وَجِئْتَ تسألنى عنها ؟ عليكَ بالتوبة » ، فَوَقَعَ علىَّ البكاء ، وبكَى أكثر مَنْ كان فى مجلسه ، فرجعتُ من المجلس [٩] وأنا أبكى !

وقال ابن الحَسَن الحَضْرَمى [١٠] : مَرَرْتُ بقبر أَبِى الحَسَنِ الدِّينَوَرِىِّ — رحمة الله عليه — فقرأتُ « يٓس » و « تبارك » [١١] وغيرهما ، وقلتُ : اللهم اجعلْ ثوابها [١٢] — يعنى القراءة — لأبى الحسن الدينورى ، وانصرفتُ .

---

(١) أى : الشيخ أبو الحسن الدِّينورى .

(٢) فى « م » : « كان أَوْلى » .

(٣) فى « ص » : « فَذًّا » وهى بمعناها .

(٤) فى « ص » : « إن هذه الباعة يخرجون ملعقاتهم » وكلمة « ملعقاتهم » تحريف ، والصواب : معلقاتهم ، أى مصابيحهم التى يعلقونها فى الطُّرقات .

(٥) فى « م » : « يستضىء » تحريف .

(٦) فى « م » : « أعلمت » مكان « أعملت » تحريف . وفى « ص » : « عملت مسألة » .

(٧) والمجلسُ حَفْلٌ ، أى : به جَمْعٌ كثير من الناس .

(٨) فى « ص » : « يابنى » .

(٩) فى « م » : « عن المسجد » .

(١٠) فى « ص » : « ابن الحضرمى » وفى « م » : « الحسن الحضرى » وما أثبتناه عن الكواكب السيارة ص ٢١٦ ، وهو من أصحاب أبى الحسن الدينورى .

(١١) فى « م » : « تبارك الملك » . يعنى سورة المُلْك .

(١٢) فى « ص » : « فقلت فى نفسى : اللهم إنى جعلت ثواب ماقرأت » .

ومَرَرْتُ على أبى بكر بن المهلب ، فقال لى : كُنْتَ اليومَ عند قبر الشيخ [أبى الحسن الدينورى] [١] ؟ فقلتُ : نَعَم ، ما الخبر [٢] ؟ فقال : رأيتُه الساعةَ فى المنام وهو يقول : جاءنا الساعة ابنُ الحسَن وقرأ عند القبر وقال : اللهم إنى جعلتُ [٣] ثوابَ ما قرأتُ لأبى الحسن الدينورى . فقلتُ : آه ، والله هو أحوج إلى ذلك [٤] منا ، نحن فى غِنًى ، وهذا ما كان ! فقلت : سبحان الله ، هذا رجل مُكَاشَفٌ فى الحياةِ وفى المَمَات [٥] .

وقَدِمَ عليه [٦] رجلٌ مغربىٌّ برسالةٍ له من المغرب [٧] [وصار يسأل الناس عن منزل الشيخ ، فسأله إنسان : مامعك للشيخ ؟ فقال : معى رسالة له من المغرب . فأخَذَهُ وجاء به إلى منزل الشيخ ، فَطَرَقَ الرجلُ البابَ] [٨] فقال الشيخ [٩] : مَنْ بالباب ؟ فقال الرجل : أنا ياسيدى فُلانٌ ومعى رجلٌ مغربىٌّ معه رسالة لكم من المغرب [١٠] . فقال : قُلْ للمغربى : الشيخ لا حاجةَ له بالرسالة ، ولا يقبلها ، فإنَّكَ رجلٌ خائنٌ فَتَحْتَ الكتاب فى الطريق ، ونظرتَ إلى ما تَضَمَّنَهُ . فقلت ذلك للمغربى ، فأطْرَقَ خَجَلاً وقال : كيف أنتم مع هذا الشيخ ؟ ثم مضى [١١] .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » ولم يرد فى « ص » .
(٢) فى « ص » : « أيش الخبر » وهو تعبير عربى سليم .
(٣) فى « ص » : « وقال : قد جعلت » .
(٤) فى « ص » : « قلت : آه ، أنت والله أحوج منا » يريد بذلك الحسن .
(٥) فى « م » : « يكاشف فى الحياة والممات » .
(٦) فى « ص » : « وجاءه » .
(٧) فى « م » : « برسالة من الغرب له » .
(٨) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .
(٩) فى « ص » : « فصاح الشيخ من فوق » .
(١٠) فى « م » : « برسالة من الغرب » .
(١١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « قل له : لستُ أقبلها ، هذا رجل خائن قد فتح الكتاب فى الطريق ، وكان كذلك » انتهى .

وقال أبو الحَسَنِ بنُ اللَّيْثِ بن سعد : أصابنى مَرَّةً وَجَعُ الأَرْوَاحِ ، فَاشْتَدَّ بى ذَاتَ ليلةٍ [(١)] ، فذكرتُ الشيخَ أبا الحَسَنُ الدِّينَوَرِىَّ ، [فتوضأتُ للصلاة وصليتُ ركعتين ، وقلتُ فى سجودى : « اللّهمَّ ببركة الشيخ أبى الحَسن الدِّينورى] [(٢)] خَفِّفْ عنى ما أَجِدُ من هذا البلاء » فحصلتْ لى العافيةُ مِنْ وَقْتِى [(٣)] ، ونِمْتُ من ليلتى ، فلما كان وقت الصبح جاءتنى جارية الشيخ أبى الحَسَن فَطَرَقَتْ علىَّ البابَ [(٤)] ، فقلتُ : مَنْ بالباب ؟ فقالت : أنا جاريةُ الشيخ أبى الحَسَنْ ، أريدُ أنْ أَصْعَدَ إليك . قال : فنزلتُ وفتحتُ الباب [(٥)] ، فقالتْ : إنَّ الشيخ يُقرِئُكَ السَّلامَ ويقولُ لكَ : كيف وَجَدْتَ اسْتِشْفَاعَكَ بنا اللَّيْلَةَ ؟ قد شُفِّعْنَا فيكَ وشَفَعْنَا !

فقلتُ لها : قَبِّلِى عنى يَدَ الشيخ وأَبْلِغِيهِ مَزِيدَ السَّلام ، وقولى له : جَزَاكَ الله عنه خيرًا [(٦)] .

وحُكِىَ أنَّ الشَّيخ وقَعَتْ بَيْنَهُ وبين ابن يونس مُقَاوَلَةٌ [(٧)] ، قال ابن يُونُسَ : فَمَا أَفْلَحْتُ فى جِسْمِى منذُ خَاطَبْتُ الشيخ . وماتا فى [(٨)] سنة ٣٣١ هـ . فَرُئِىَ ابن يُونُس فى المنام فقيل له : ما فعَلَ الله بكَ ؟ قال : غَفَرَ لى وأَصْلَح بينى وبينَ الدِّينَوَرِىِّ ، وأَبَاحَ لنا الجَنَّةَ [(٩)] .

---

(١) فى « م » : « فى ليلة من الليالى » .

(٢) مابين المعقوفين عن « ص » وساقط من « م » .

(٣) فى « ص » : « .. إلا خَفَّفْتَ عنى ما أَجِدُ ، ووهَبْتَ لى العافية ، فَنِمْتُ من وقتى » .

(٤) فى « ص » : « فَدَقَّ الباب علىَّ » .

(٥) فى « ص » : « قلت : أيش الخبر ؟ » مكان « فنزلت وفتحت الباب » .

(٦) فى « ص » : « فقلت لها : أقرئيه مِنِّى السلام وقولى له : جزاك الله عنى خيرًا » .

(٧) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وكان جَرَى بين الشيخ وبين ابن يونس كلام » .

(٨) فى « م » : « وتوفيا جميعًا » .

(٩) فى « ص » : « أَصْلَحَ بيننا ربُّ العالمين جَلَّتْ قُدْرَتُه » وجملة : « أباح لنا الجنة » عن « م » .

وحُكِيَ [(١)] عن بعضهم ، قال : حَصَلَتْ لى ضَائِقَةٌ شَدِيدةٌ ، فَتَوسَّلْتُ إلى الله سُبْحَانَهُ وتعالَى بأبى الحسن الدِّينورِىِّ ، فَفَرَّجَ عَنِّى .

وحَصَلَتْ لِزَوْجَتِى شِدَّةٌ فى بعض الأَوْقَاتِ من الطَّلْقِ ، فَأَخذْتُ إِنَاءً وجِئتُ به إلى الشيخ ، وقُلْتُ : ياسيدى ، أُرِيدُ أَنْ تكْتُبَ لِزَوْجَتِى شيئًا لِتَسْهِيلِ الولادة ، فَأَخَذَ الإِنَاءَ وكَتَبَ فيه : « بسم الله الرَّحْمٰنِ الرحيم » ، فَانْفَلَقَ الإِنَاءُ . فَمَضَيْتُ وجِئتُ بإِناءٍ آخَرَ ، فكَتَبَ فيه ، فانْفَلَقَ أَيْضًا ، فَعَلَ ذلكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ ، فقال : « يابُنَىَّ ، لا تُتْعِبْ نَفْسَكَ ، لَوْ جِئْتَنِى بِكُلِّ إِنَاءٍ لم يكن إلَّا كما تَرَى ، فإنِّى عَبْدٌ إِذَا ذَكَرْتُ اللهَ تَعَالَى ذَكَرْتُهُ بِهَيْبَة وحُضُور ! » .

وقالَ بعضُ أصحابه : اغْتَسَلْتُ يَوْمَ جمُعة ، وَلَبِسْتُ ثيابًا حَسَنَةً ، وتَطَيَّبْتُ ، فَعَرَضَتْ لى زَوْجَتِى عند بابِ البيتِ ، وكُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ ، فَرَجَعْتُ إلى البَيْتِ فَغَشَيْتُهَا ، ثم اغْتَسَلْتُ ومَضَيْتُ إلى الجَامِعِ ، فَوَقَفْتُ عند عَمُودٍ خَلْفَ ظَهْرِ الشيخ بالجامع وقرأتُ خَتْمًا فى ركعة واحدة ، وكنتُ أفعلُ ذلك كثيرًا فى يوم الجُمعة ، وكنتُ إذا انصرفتُ لا يُكَلِّمُنِى الشيخُ ، فلما كان ذلك اليوم دعانى فقال لى : أَمَا أَنْتَ حَافِظٌ القُرْآنَ ؟ قلتُ : نعم . قالَ : وقرأتَ خَتْماً فى هَذِهِ الرَّكْعَة ؟ قلتُ : نعم . قال : يابُنَىَّ ، كيفَ تكونُ حَافِظًا لكتابِ الله تعالى وتَغْتَسِلُ للجُمُعَةِ ثم تكونُ منك حالَةٌ تنقضُ طَهارَتَكَ ؟ أَمَا استَحْيَيْتَ من فَسَادِ الطَّهَارَة ؟ وما هذه الثياب الرفيعة ؟ « إيش تعمل بهذه ؟ » .

قال : فَأَطْرَقْتُ حَيَاءً من هَيْبَتِهِ ، ورَجَعْتُ إلى منزلى ، فَنَزَعْتُ تلكَ الثِّيَابَ ولبسْتُ دونها .

ومِنْ كَراماتِهِ أنَّ إنساناً كان ساكناً فى قَيْسَارِيَّة هشام بن عبد الملك ، فَسأَلَ بعضَ العلماء عن الصلاة فيها ، فقال : أَحْسَبُكَ أَلَّا تُصَلِّى فيها ولا فى شيء من

(١) من هنا إلى قوله : « وتوفى عنده » عن « م » ولم يرد فى « ص » . [انظر الهامش رقم (٤) ص ٥٩٢] .

الصَّوافِّ [١] . وقالَ له بَعْضُهُم : صَلِّ فيها . قال : فَأَتَيْتُ إلى الشيخ أبى الحَسنِ الدِّينَوَرِىِّ ، فلما وَقَفْتُ على مَجْلِسِه ووَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَىَّ قال : يابُنَىَّ ، الصَّلاةُ فى الجامِعِ خيرٌ من الصَّلاةِ فى القَيْسَارِيَّةِ والصَّواف . قال : فَمِنْ ثَمَّ لَزِمْتُ الصَّلاةَ فى الجَامِعِ .

ومن كَراماتِهِ أيضًا ، ما ذَكَرَهُ صاحِبُ الحكاية السابقة ، قال : خَرَجْتُ فى لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فى الشِّتَاء إلى صَحْنِ الجَامِعِ ، [وكان الشيخ جالسًا مع أصحابه ، فجاءَ فَتًى فَجَلَسَ معى ، ونَظَرَ إلى السماء وقال] [٢] : أَلَا تَرَى هذا الغَيْمَ وهذا الضياء ؟! هذا نُورُ رَبِّ العِزَّةِ ! فقلتُ : « هذا نُورٌ مخلوقٌ ، ونُورُ الله ليس بمخلوق » .

فَخَالَفَنِى الفَتَى فى ذلك ، وقُمنا على ذلك . فَوَجَّهَ إلَىَّ الدِّينَوَرِىُّ رَجُلاً من أصْحَابه فقال له : قُلْ له : « أَثْبُتْ على ما أَنْتَ عليه ولا تُبَالِ مِمَّنْ خَالَفَكَ ، فَإِنَّ الحَقَّ معكَ ، ولا تُكَلِّمْ مَنْ خَالَفَكَ إلى أَنْ يَتُوبَ » !

فَعَجِبْتُ من الرَّجُلِ وقُلْتُ : مَنْ أَبْلَغَهُ ما كانَ بيننا ؟! لا أعلمُ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ ذلكَ إِلَّا الله سُبْحَانَه وتعالى ، وهَجَرْتُ الْفَتَى مُدَّةَ اثْنَى عَشَرَ يوماً إلى أَنْ رَجَعَ عَمَّا كان عليه .

ومِنْ ذلكَ أَنِّى كنتُ أَلْزَمُ الصَّفَّ الأَوَّلَ فى المَقْصُورَة ، فَإِذَا خَلَوْتُ جَاءَنى إبليسُ بِوَسْوَاسٍ يُلْقيه فى قلبى فأَغْتَمُّ لذلك ، فقلت : ليس لى إِلَّا الدِّينَوَرِىّ ، فجئتُ إليه وهو فى مجلسه يتكلم على الناس ، فَهِبْتُ أَنْ أَسأَلَهُ ، فأجابنى عن سُؤالى قبل أَنْ أسأله ، وأحسن فى جوابه ، ثم ختم بأَنْ قال : ابْتَهِلْ إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء .

---

(١) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام ، وتعد فى أعمال فلسطين ، ولا أدرى مايريد بالصواف ، وربما كان يعنى بها مرابط الإبل أو مكانًا بعينه .

(٢) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا لاستقامة السياق والمعنى .

وقال أبو كثير المؤذن : تنزهتُ مع جماعة من الأصحاب ، فَجِئْتُ ، فَنَهانِى الشيخ عن النُّزْهَةِ وصَاحَ عَلَىَّ وطَرَدَنى ، فَقُمْتُ من الجمعة إلى الجمعة أُدَبِّرُ حُجَجًا [١] أقولها له ، ثم جِئْتُ يوم الجمعة لِأقولَ له : « رَوِّحُوا القُلوبَ [٢] ساعَةً فساعةً » أو « رَوِّحُوا القُلوبَ مع الذِّكْرِ » . فلما جئتُ قال لى : أين الذى تَعِبْتَ عليه [٣] ؟! .

وقال أيضًا : كنا فى مَجْلِسِه بِدَارِهِ ، وكان هناك إنسانٌ صالحٌ معنا يُسَمَّى عمر ، فَسَمِعْنَا ضَرْبَ آلاتٍ وغِنَاء ، فقال : ياعمر ، عندك هِمَّةٌ [٤] تُسْكِتُ بها هذا المُنكر ؟ قال : فأطْرَقْتُ أنا وقُلْتُ : لا . فقال الشيخ : أمْرٌ عجيبٌ ! إنسانٌ يُخْبِرُ بأَحْوَالِ غيرِهِ من غير اطِّلاعٍ ؟! ثم الجَمَعَ [٥] الشيخُ وأطْرَقَ ، فما سمعتُ من المنكر شيئًا .

وقال أَحَدُ الصُّوفِيَّة [٦] : كنتُ فى الصحراء مع جماعة ومعنا قَوَّالٌ [٧] ، فَدَخَلْنَا بعض الحُجَزِ [٨] ، فقال القَوَّالُ شيئًا ، فَقُمْنَا ، فَطَرِبْنَا ورَقَصْنَا وَصَفَّقْنَا ، ثم جِئْتُ إلى الشيخ بعد مُدَّةٍ ، فَسَأَلْتُهُ عن مسألة ، فقال لى : « ليس لكَ جوابٌ عندى ، لأنك لَمْ تُخْلَقْ [٩] للرَّقص والتصفيق ! » .

---

(١) حُجَجًا : أدِلّة وبراهين ، جمع حُجَّة .

(٢) رَوِّحُوا القلوب : أريحوها .

(٣) أى : أين الذى دبَّرْتَهُ من الحجج والبراهين وأتعبت نفسك من أجل أن تقوله لى اعتذارًا ؟!

(٤) الهِمَّة : ماهُمَّ به من أَمْرٍ لِيُفْعَل ، أو العَزْم القوىّ .

(٥) انجمع : عَزَم على شىء .

(٦) فى « م » : « بعض الصوفية » .

(٧) القَوَّال : الرجل البليغ ، والكثير القول ، صيغة مبالغة ، والمراد بها هنا الشاعر الراوية .

(٨) الحُجَز : النواحى يُحْتَجَزُ بها

(٩) فى « م » : « لا تُخلَق » .

ورُبَّمَا كان ينظرُ إلى السماء إذا سُئِلَ عن مسألة ، ويُجيبُ كأنَّهُ مُشاهِدٌ لشيءٍ .

وقال أَزْهَرُ بن عَمَّار : رأيتُ الشيخَ وهو قائمٌ يُصَلِّى فى حَلْقَتِهِ ، فَقُلْتُ فى نفسى : « لَوْ صَلَّى ناحِيَةً [(١)] وجاء إلى الحَلْقَة كان أولى » . فلما فرغَ من صلاته الْتَفَتَ إِلَىَّ وقال : « ياهذا ، مالَكَ وللاعتراضِ عَلَىَّ ؟! » فَكَبُرَ فى عينى ولَزِمْتُهُ .

وقال مُمْشَادُ الدِّينَوَرِىُّ : كان أبو الحَسَن بن الصَّائغ قد انْفَرَدَ فى الجَبَلِ للعبادة ، فخرجتُ يومًا إليه لأَفْتَقِدَهُ ، وكان يوماً حَارًا ، فإذا نِسْرٌ قد نَشَرَ جَناحَيْهِ وهو قريبٌ من مكانه ، فذهبتُ أنظرُ تحت النِّسْرِ ، فرأيتُ أبا الحَسَن قائماً يُصلى والنِّسْرُ يُظِلُّه من الحَرِّ [(٢)] .

وقال أبو حَفْصٍ الأسوانى : آخى أبو الحَسَن بَيْنى وبَيْنَ أخٍ لى ، فَخَرَجْتُ أنا وهو إلى السَّفَر ، فَوَقَعَ بينى وبينه كلامٌ ، فَتَهَاجَرْنَا ، فلما قَدِمْتُ قال لى الشيخُ : « أَتَظُنُّ أنك فى سفرك خارجٌ عنى ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنِّى أهتمُّ بأصحابى فى أسْفَارِهِم كاهتمامى [(٣)] بهم فى حالِ حُضورِهم ؟ تَكَلَّمْتَ مع صاحِبِكَ حتى تَهاجَرْتُمَا .. أَتَظُنَّانِ أَنَّ أَعْمَالَكُمَا لَيْسَتْ تُعْرَضُ عَلَىَّ ؟! » .

وقال أيضًا : خَرَجَ لى صاحبٌ بِسَفَرٍ للحجاز ، فذهبتُ معه لتوديعه [(٤)] ، وكنتُ صائمًا فى ذلك اليوم تَطَوُّعًا [(٥)] ، فأَحْضَرَ المُسَافِرُ رغيفًا

---

(١) أى : خارجَ حَلْقَتِه .

(٢) النِّسْرُ : بفتح النون وكسرها .

(٣) فى « م » : « باهتمامى » .

(٤) فى « م » : « لأجل توديعه » .

(٥) فى « م » : « تطوع » ، لا تصح .

حُوَّارِيًّا وقَدَحًا [١] فيه ماءٌ باردٌ [٢] ، وقال لى : هَيَّا يا أَخِى فَكُلْ معى ، فإنى لا أَعْلَمُ هل نجتمع ونأكل معاً أنا وأنت أَوْ لا [٣] !

فقلت فى نفسى : إدْخالُ السُّرورِ على أخى أَفضَلُ من صيامى تطوعًا . فأكلتُ ، ثم ودَّعْتُهُ ورجعتُ ، فَمَرَرْتُ بدارِ الشَّيْخِ ، فقلتُ : أَصْعَدُ حَتَّى أُسَلِّمَ عليه ، فلما صعدتُ إليه وسَلَّمْتُ عليه قال لى : يافُلان ، قلت : لَبَّيْكَ سَيِّدِى . قال لى : أَفطَرْتَ اليومَ وأَكَلْتَ رغيفًا حُوَّارِيًّا [٤] وشَرِبْتَ الماءَ الباردَ ؟ قلتُ : نعم . فَنَظَرَ إلَىَّ وقال : ليسَ هذا عَجَبًا [٥] ، إنما العَجَبُ فُتْيَاكَ [٦] لِنَفْسِكَ أَنَّ إدْخالَكَ السُّرورَ على أَخِيكَ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِكَ التطوع !

فقلت : هذا عِلْمُ الغيب . فقال الشيخُ : « الوَيْلُ لَكَ ، ثم الويلُ لكَ إنْ قُلْتَ وَاعْتَقَدْتَ أَنَّ هَذَا عِلْمُ الغَيْبِ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أعمالَ أَصْحَابِى تُعْرَضُ عَلَىَّ ؟ » فَوقَعَ الفَتَى مَغْشِيًّا عليه .

ومِنْ كَراماتِ الدِّينَورِىِّ أيضًا ، قال أبو علىٍّ الحسين بن عبد الله الأسوانى الزاهد : آخَى الشيخُ أبو الحسَن الدينورى بينى وبين أبى حفص الأسوانى ، فوجدتُ فى نفسى شيئًا ، فشكوتُه إلى الشيخ ، فقال لى : « لا تفطرْ معه ، ولا تشربْ معه فى كُوزٍ واحدٍ ، ولا تَرْقُدْ فى موضع واحد » .

---

(١) فى « م » : « وقدح » ، لا تصح ، والصواب ما أثبتناه . والرغيف الحُوَّارِىّ : المصنوع من الدقيق الأبيض . وقد مَرَّ .

(٢) فى « م » : « باردًا » لا تصح ، والصواب بالرفع .

(٣) فى « م » : « ياأخى فإنى لا أعلم هل أجتمع أنا وأنت ونتواكل أَوْ لا » .

(٤) فى « م » : « رغيفَ الحوارىّ » .

(٥) فى « م » : « عجب » ، خطأ ، والصواب بالنصب .

(٦) الفُتْيا : الفَتْوَى .

فَأَقَمْنَا على ذلك زماناً ، حتى أَنَّنَا إذا كُنَّا فى مسجدٍ نامَ أَحَدُنَا فى أسفل [١] المسجد والآخر فى أعلى [٢] المسجد ، ويفطر كُلُّ واحدٍ منا على حِدَتِهِ [٣] ، فعطشتُ ليلةً وليس فى كُوزِى ماءٌ ، فَوَجَدْتُ كُوزَهُ ، فقُلْتُ : أَشْرَبُ ولا أَعُودُ ، تُرَى هل يَدْرِى الدِّينَوَرِى ويَرانَا [٤] ؟ فشربتُ ، ووقع فى نفسى الإنكارُ ، فلما أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إليه أنا وعُمر ، و لم يكن عمر عَلِمَ بِشُرْبِى ، لأنه كان نائمًا ، فلمَّا سَلَّمْنَا عليه وسألناه عن مسألةٍ ، فقال : « لا تَأْتِيَانِى ، أنتما لا تَصْلُحَانِ لى ، أنتما لم يكن لى عليكما حُكْمٌ فى شَرْبَةِ ماءٍ ، ليس بينى وبينكما قُرْبٌ ! » .

فَهَالَنَا ذلك منه ، فنظَرَ إلينا وقال : « الوَيْلُ لَكُمَا إنْ قُلْتُمَا [٥] : إنَّ ذَا عِلْمُ غَيْبٍ » .

وقال عَلِىُّ بنُ الخَوارَزْمِىِّ الفقير [٦] : دخَلْتُ حَمَّامَ عَمْرِو بن العاص ، رضى الله عنه ، يومَ جُمعةٍ لِغُسْلِ الجُمعةِ مع جماعة من الفقراء ، فلما خَرَجْنَا رأينا الرُّمَّانَ أَخْضَرَ فى أول مَجِيئِهِ ، فاشتهاه رَجُلٌ مِنَّا وقال : اشتروه ، فقال له بعضُ أصحابنا : « أَيْش [٧] عَزْمُكَ ، اليومُ الجُمعةُ ، يومُ مَجْلِسٍ [٨] ، عَزْمُكَ أَنْ يتكلَّم علينا ؟! » .

---

(١) فى « م » : « سُفْل » .
(٢) فى « م » : « عُلْو » .
(٣) أى : بمفرده .
(٤) فى « م » : « ترى الدينورى يرانا ويدرى ؟ » .
(٥) فى « م » : « الويل لكم إن قلتم » .
(٦) رويت هذه الحكاية من قبل باختلاف يسير فى ألفاظها مع زيادة طفيفة .
(٧) أيش : أى شىء ، وهى كلمة عربية [انظر المجرد فى غريب كلام العرب للهنائى ص ٢٤٤] .
(٨) يعنى : مجلس الشيخ الدِّينورى .

قال : اشتروهُ فإنى أشتهيه ، فاشتريناه وجعلناه فى رِكْوَةٍ ، وحَشَيْنَاهَا بِمِئْزَرٍ ، وذَهَبْنَا [(١)] فَصَلَّيْنَا وجَلَسْنَا عند الشيخ فى الحلقة ، فالتفت إلينا وقال : « قَوْمٌ يَشْتَهُونَ الرُّمَّانَ لِوَقْتِ الإفطار ! لقد كنتُ أَرَى بعضَ المُرِيدِينَ إذا بَدَا الرُّمَّانُ من قِشْرِهِ لا يستطيع أَنْ يَنْظُرَ إليه صَوْنًا ، [وعِشْنَا] [(٢)] فى زمان يشتهِيهِ المُبْتَدِئُونَ فَيَشْتَرُونَهُ ويُخَبِّئُونَهُ لِوَقْتِ الإفطار » . فصعق الرجل ورَمَى بالرِّكْوَةِ فخرجَ الرُّمَّان .

ومِنْ كراماته العظيمة أَنَّ صَاحِبَ الشُّرْطَة اجتمع ببعض مُرِيديه وقال له : قُلْ للشيخ يأْخُذُ أَسْبَابَهُ [(٣)] ويمضى من بلدنا إلى غيره [(٤)] من البلاد .

فجاءَ المريدُ وجلسَ فى حَلْقَةِ الشيخ . فقال له الشيخ : ما الذى قال لكَ فلانٌ ؟ - يعنى صاحِبَ الشرطة . قال : ياسيدى قال لى كَيْتَ وكَيْتَ [(٥)] .

قال : لا عليكَ يابُنَىَّ ، فَإِنَّهُ يموتُ بِرِيقِهِ !

وكان كذلك ، فقد طلع الأمير [(٦)] إلى داره ، ودَفَعَ له غُلامُهُ كأسًا فَشَرِبَهَا [(٧)] فَشَرِقَ بِهَا فى الحال [(٨)] ومات .

ومِنْ كراماته أَنَّ رجلًا يُسَمَّى أحمد بن النعمان التَّرَّاس ، كان من أصحاب المذكور [فمات] [(٩)] فصلى عليه الشيخ إمامًا بمصلى خولان ،

---

(١) فى « م » : « ورُحْنَا » .
(٢) صَوْنًا : وقاية .. ومابين المعقوفين زيادة من عندنا لاستقامة المعنى والسياق .
(٣) أسبابه : حوائجه .
(٤) فى « م » : « غيرها » .
(٥) كَيْتَ وكَيْتَ : كذا وكذا ، وهى كناية عن القصة والأُحْدُوثة ، ولا تستعملان إلّا مكررتين .
(٦) يعنى : صاحب الشرطة .
(٧) فى « م » : « فَشَرِبَه » . والكأْس : القدح مادام فيه الخمر ، وهى مؤنثة فى اللغة .
(٨) فى « م » : « فشرق به للوقت » .
(٩) مابين المعقوفين من عندنا .

وأُنْزِلَ فى القبر ، فجلس الشيخُ على شفير القبر وصاح : « يا أحمد ، اذْكُرْ العَهْدَ الذى خَرَجْتَ به من الدُّنيا وقَدِمْتَ به على الله .. يا أَحْمَدُ ، لا تَخَفْ من ملائكة رَبِّكَ » . فَنادَاهُ مِنْ جَوْفِ القبر : ياسَيِّدِى ، فُزْتُ ، والله فُزْتُ !

وقال بعض أصحابه : كان الشيخ جالسًا بمسجدٍ يُعْرَفُ بمسجد « دعلان » فى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر رجب الفرد الحرام سنة ٣٣١ هـ ، وكنتُ جالسًا معه ذلك اليوم ، فقال : أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ قراءة رَجُلٍ صالحٍ . فَجِيءَ إليه بابن بكلور الأعمى ، فقرأ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الذينَ هُمْ فى صَلاَتِهِم خَاشِعُونَ ﴾ [1] فصَاحَ الشيخ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عليه ، فَحُمِلَ إلى منزله ، ومات ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة [2] خلت من شهر رجب الفرد ، سنة ٣٣١ هـ - كما ذُكِرَ فى أول الترجمة إجمالًا - فَغَسَّلَهُ أبو بكر بن المُهَلَّب ، وصَلَّى عليه ودَفَنَهُ ، ونَزَل فى حُفْرَتِهِ ، وسَمِعَهُ يقول وهو نَازِلٌ فى لَحْدِهِ : ﴿ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ [3] . وكان ابنُ المُهَلب يريدُ أَنْ يَبِيتَ الشيخُ عنده وهو يَأْبَى ، إلى أَنْ كانت الليلةُ التى تُوُفِّىَ فيها ، جَاءَ إلى منزله ، وتُوُفِّىَ عنده [4] .

وحُكِيَ [عنه] [5] أَنَّ رَجُلاً طَحَّانًا كان لبعض الأكراد عنده ستة دنانير من ثَمَنِ قمحٍ ، فَزَارَ [الطَّحَّانُ] قبرَ الشيخ ، وجاءَ الكُرْدِىُّ فَوَجَدَهُ عند قبر الشيخ [6] ،

---

(١) سورة المؤمنون - الآيتان ١ و ٢ .

(٢) فى « م » : « لثلاثة عشر ليلة » خطأ فى اللغة ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) سورة المؤمنون - الآية ٢٩ .

(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » ، والمشار إليه فى الهامش بالصفحة رقم (٥٨٥) .

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » فى الموضعين .

(٦) فى كرامات الأولياء للنبهانى : « فاتفق أن لَقِيَ الكردى .. » أى لَقِيَ الكردىُّ الطحانَ وهو يزور قبر أبى الحسن الدينورى مصادفة .

[انظر القصة فى المصدر المذكور ج ٢ ص ٣١٥ ، وقد أوردها النبهانى مختصرة ، وانظر الكواكب السيارة ص ٢٨٧] .

فَطَالَبَهُ وأَلَحَّ عَليه ، فَتَوَسَّلَ إليه بالشَّيْخِ فى المهلة (١) ، فَأَبَى [الكُرْدِىُّ] ، وأَخَذَهُ وَمَضَى ، فلم يَتَقدَّمِ الكُرْدِىُّ سِوَى عشرين خُطْوَة ، وهَمَزَتْ به دَابَّتُهُ ، فانْخَسَفَ به قَبْرٌ ، فَوَقَعَ وَانْدَقَّتْ رَأْسُه (٢) .

وقال أبو حَفْصِ بن غَزَال بن عُمَر (٣) الحَضْرَمى الإمام : « مَنْ أَرَادَ الحَجَّ إلى بيت الله الحرام فَلْيَغْتَسِلْ (٤) فى يوم الأربعاء آخر الشهر ، مِنْ أَىِّ شهرٍ كان (٥) ، ويلبس ثَوْبًا نظيفًا ، ويَتَطَيَّبْ بِطِيبٍ إنْ كان عنده ، ويمضى إلى قبر الشيخ أبى الحَسَنِ الدِّينَورِىِّ ويُصلى عنده أَرْبَعَ ركعات ، يقرأ فى الأُولَى : فاتحة الكتاب وآية الكُرْسِىّ (٦) . وفى الثانية : الفاتحة وسورة القَدْر (٧) . وفى الثالثة : الفاتحة وسورة أَلْهَاكُم التكاثُر (٨) . وفى الرابعة : الفاتحة وسورة الإِخْلاص (٩) . ثم يُسَلِّمُ ويقول : « يافَرْدُ لا يُزْدَوَج ، يامالِكَ الأَشْبَاحِ والمُهَج ، ياوَدُود ، ياودود (١٠) ، ياذَا العَرْشِ المَجيد ، يامبدىء ، يامعيد ، يافَعَّالَ لِمَا يُريد ، أسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الذى مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ ، وبِقُدْرَتِكَ التى قَدَرْتَ بِهَا على خَلْقِكَ (١١) ، وبِرَحْمَتِكَ التى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ، يامُغِيثُ أَغِثْنِى ، يامغيث أَغِثْنِى » (١٢) .

---

(١) فى « ص » : « فتحَسَّبَ بقبر الشيخ فى المهلة عليه » . ومابين المعقوفتين – بعد ذلك – عن « ص » وساقط من « م » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فلم يتقدم أكثر من عشرين خطوة حتى همَزَ الدَّابة فانخسَفَ به قبر واندقت عنقه ومات » . والرأس مذكر فى اللغة ، وأيضًا العنق ، ولكن الأخير قد يؤنث بمعنى « الرقبة » .

(٣) فى « م » : « عمران » .. وما أثبتناه عن « ص » والكواكب السيارة ص ٢٨٧ وهو الصحيح .

(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « يغتسل » .

(٥) فى « ص » : « فى آخر أربعاء فى أى شهر كان ، بعد صلاة الفجر » .

(٦) فى « ص » : « يقرأ فى الأوله (هكذا) بعد الفاتحة آية الكرسى » .

(٧) فى « ص » : « وفى الثانية بعد الفاتحة إنَّا أنزلناه فى ليلة القَدْر » .

(٨) فى « ص » : « بعد الفاتحة ألهاكم التكاثر » .

(٩) فى « ص » : « بعد الفاتحة سورة الإخلاص » .

(١٠) هكذا مكررة .

(١١) فى « م » : « على جميع خَلْقِك » .

(١٢) هكذا فى « م » .. وفى « ص » لم تتكرر الجملة .

وتُشِيرُ بإصبعك إلى القبر ، ويكون ذلك قبل طُلوعِ الشمس . ثم تقول : « اللهُمَّ اجْعَلْ ثَوابَ القراءةِ والصَّلاةِ للشيخ أبى الحَسَن الدينورى صاحِبِ هذا القبر » .

ثم تنزعُ ثيابَكَ ، وتجعلُ فى وسَطِكَ سَراوِيلَ ، وتَتمرَّغُ (١) على القبر ، وتَجعَلُ رِجْلَيْكَ خارِجَ القبر (٢) ، فإنك تحج إنْ شاء الله تَعَالَى . وإيَّاكَ أنْ تكْذِبَ أو تجعله على سبيل التجربة ، فإنَّكَ لا تنتفع به (٣) .

وحُكِيَ أنَّ العَادِلَ بن السَّلَّار (٤) – قَبْلَ وزارته – اسْتَدْعَاهُ الأميرُ حَسَنُ بن الحافظ [الخليفة الفاطمى] (٥) لِلْقَتْلِ ، وكان فى تلك الليلة قد قَتَلَ أربعينَ أميرًا فى القصر الغَرْبِيِّ ، وكان العادِلُ إذْ ذاكَ ساكناً بمصر القديمة (٦) ، فقال للمُوَكَّلِينَ به : أُريد منكم الإنعام علىَّ بزيارة القرافة ، قبل أن أطلع إلى القرافة (٧) ، فإن حَضَرَ

---

(١) هذه الفقرة وردت فى « م » بضمير الغائب لا المخاطب ، هكذا : « ثم ينزع ثيابه ويجعل فى وسطه سراويل ، ويتمرغ ... » الخ .

(٢) فى « ص » : « خارجًا عن القبر » .

(٣) فى « م » : « وَلْيَحْذَرْ أن يكذبه ، أو يجعل ذلك سببًا للتجربة ، فإنه لا ينتفع به » . ويقول ابن الزيات معلقًا على هذا : « وهذا أغرب ما رأيته فى تاريخ ابن عثمان » يعنى مؤلف مرشد الزوار . [انظر الكواكب السيارة ص ٢٨٨] .

(٤) عُرِف فى تاريخ الدولة الفاطمية بلقب الملك العادل سيف الدين ناصر الحق ابن السلَّار ، وكان سُنّيًا مغاليًا ، وقد هيأ لرجوع المذهب السُّنّى إلى مصر ، وكان شافعى المذهب ، وهو من أصل كردىّ ، وقد نشأ فى القاهرة وشغل مناصب مختلفة فى الوجه القبلى وتدرج فيها حتى ولى الوزارة فى عهد الخليفة الظافر فى رجب سنة ٥٤٣ هـ . وقد اعتمد الخليفة الظافر فى الكيد لابن السلَّار واغتياله سنة ٥٤٨ هـ على يد نصر بن عباس ، وهو شاب من أخص خواصه . [انظر تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم ص ١٨٠ – ١٨٥ ، والدولة الفاطمية فى مصر للدكتور أيمن فؤاد ص ٢٠٨ – ٢١٢ وغيرها من الصفحات] .

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » . [وانظر المصدر الأخير ص ١٩٠ – ١٩٢] .

(٦) فى « ص » : « وكان مسكن العادل مصر » .

(٧) فى « ص » : « فسأل المستخدمين أن يمكنوه من زيارة الشيخ أبى الحسن فى طريقه » ومعنى قوله : « قبل أن أطلع القرافة » أى : قبل أن أُقْتَل .

أَجَلِى كان آخِرَ العهد بتلك الأماكنِ ، وإلَّا فأكون قد حصلتُ على خيرٍ بزيارتى لقبور الصَّالحين .

قال : فَفَعَلُوا ما أَمَرَهُمْ به ، وزَارَ قُبُورَ المشهورين فى الجَبَّانَة إلى أَنْ جاء إلى قبر أبى الحسن الدِّينَورِىّ ، فقرأ شيئًا من القرآن ، وتَوَسَّلَ إلى الله فى خَلاَصِهِ وَبَكَى ، ثم خَرَجَ مع القوم ، فَرأَى فى دهليز التربة رجلًا يبكى ويستغيثُ ، فسأله عن سبب بكائه ، فقال :

اجتمعَ علىَّ دَيْنٌ ، وقال أَهْلِى : امْضِ إلى قبر الشيخ أبى الحسَن فَتَوَسَّلْ إلى الله فى وَفَاءِ دَيْنِكَ . قال : فدفَعَ له دنانيرَ وذَهَبَ إلى القاهرة ، ودَخَلَ إلى القصر ، فَأُخْبِرَ الأميرُ بِمَجِيئِهِ ، فقال : يَمْضِى ، فَقَدْ وَلَّيْتُهُ « مِصْرَ » وعَفَوْتُ عنه [1] .

* * *

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وقال إن حَضَرْتُ [أى : ساعة وفاتى] فأكون قد تبركتُ بهذه الأماكن . ودفَعَ لهم شيئًا ، فأتوا به إلى القرافة ، فجاء إلى القبر [أى : قبر أبى الحسن الدينورى] ولقى عنده رجلًا ، فقال : مايقعدك هاهنا فى هذا الوقت ؟ فقال : اجتمع علىَّ دَيْنٌ ، وقال لى أهلى : امضِ إلى قبر الشيخ أبى الحسن الدينورى . فأعطاه دينارين ، ودخل معهم ، فشاوروا عليه ، فقيل لهم : يمضى ويتولى مصر ، فقد عفونا عنه » .

قبر أبى بكر محمد بن داود الدُّقّى [١] :

بجانبه [٢] قبر الشيخ أبى بكر محمد بن داود الدِّينَوَرِىّ المعروف بالدُّقّى ، ويُقال القابلىّ [٣] . صَحِبَ ابنَ الجَلّاء والزَّقاق [٤] ، وعاش مائة عام ، وتوفى سنة ٣٥٧ هـ [٥] .

وكان يقول : « المَعِدَةُ موضعٌ يُجْمَعُ [فيه] [٦] الأطعمة ، فإذا [٧] طَرَحْتَ فيها الحَلالَ صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة ، وإذا طَرَحْتَ فيها [٨]

---

(١) العنوان من عندنا .. وهو : أبو بكر محمد بن داود الدينورى ، أحد الأعيان ، البغدادى ، ثم الدمشقى ، أقام بالشام ، وعُمِّر فوق مائة سنة ، ومولده سنة ٢٥٠ هـ تقريبًا ، وصحبَ أبا عبد الله ابن الجلّاء وأبا بكر الزقّاق ، وأكابر القوم ، وكان من أجَلّ المشايخ . وسُمّى بالدُّقّى نسبة إلى أبى بكر أحمد بن محمد بن إبراهيم الدُّقّى ، المؤدب المعروف بابن الدُّق . وقد ذكرت بعض المراجع هذا الاسم مرة بالراء المهملة ، « الرق » ، مثل ابن الزيات فى الكواكب السيارة ، والشعرانى فى طبقاته ، ومرة بالزاى المعجمة ، « الزق » ، مثل الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ، وكلا الاسمين محرف ، وما أثبتناه هو الصحيح ، وذكره السمعانى فى الأنساب ، والسلمى فى طبقات الصوفية ، وأبو القاسم فى الرسالة القشيرية .

[انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ١١٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٨٠ ، والأنساب للسمعانى ج ٢ ص ٤٨٦ ، وطبقات الصوفية ص ٤٤٨ – ٤٥٠ ، والكواكب السيارة ص ٢٨٨ ، وطبقات الأولياء ص ٣٠٦ – ٣١٠] .

(٢) أى بجانب الشيخ أبى الحسن الدينورى ، وفى الأنساب ، وتاريخ بغداد ، وطبقات الأولياء ، والرسالة القشيرية ، أنه مات بدمشق .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « القبالى » .. وفى الكواكب السيارة : « الفتالى » ولم ترد هذه الكلمة فى المراجع التى ترجمت له .

(٤) فى « ص » : « ابن الزقاق » وما أثبتناه عن « م » هو الذى ذكرته سائر المراجع التى ترجمت له . وهو أبو بكر الزقاق .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « مات سنة خمسين وثلاثمائة » – وقد اختلف فى تاريخ وفاته ، ففى تاريخ بغداد أنه توفى سنة ٣٥٩ هـ . وفى طبقات الأولياء سنة ٣٦٠ هـ . وفى طبقات الصوفية وطبقات الشعرانى أنه مات بعد الخمسين وثلاثمائة .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٧) فى « م » : « فإنْ » .

(٨) فى « م » : « فيه » أى الموضع .

الشُّبهة اشتَبَه عليك الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ، وإذا طَرَحْتَ فيها الحرامَ كان حِجاباً بينك وبين الله تعالى »[١] .

وكان يقول[٢] : « لا يكون المُرِيدُ مُرِيدًا حتى لا يكتب عليه صاحبُ الشمال عشرين سنة » .

وقيل له : « ما علامة الصُّوفِيّ ؟ قال : أَنْ يكون مشغولًا بكل ماهو أَوْلَى به مِنْ غيره ، ويكون معصوماً من المَذْمُومات » .

وقال : « علامةُ القُرْب الارتفاع عن كل شيء سوى الله تعالى ، ومَن انقطع إلى الله لجأَ إليه ، ومن انقطع إلى المخلوقين لجأَ إليهم » .

وسُئل عن سوء أدب الفقراء مع الله فى أحوالهم ، فقال : « انحطاط هومهم مِنْ حقيقة العِلْم إلى ظاهره » .

وقال : « كَمْ من مَسْرُورٍ سُرورُهُ بَلاؤُهُ ، وكم من مَغْمُومٍ غَمُّهُ نَجاتُهُ » .

وقال : « الإخلاص أَنْ يكونَ ظَاهِرُ الإنْسَانِ وباطِنُهُ ، وسُكونُه وحَرَكَتُهُ خالصًا لله عَزَّ وَجَلَّ »[٣] .

وقال : « الفقيرُ [هو][٤] الذى عَدِمَ الأَسْبَابَ من ظَاهِرِهِ ، وعَدِمَ طَلَبها مِنْ باطنه » .

وقال : « خَلَقَ الله الخَلْقَ مُتَحَرِّكِينَ فى أَسْبابِهم ، وجَعَلَ الحياةَ[٥] فِيهم

---

(١) فى « ص » : « كان بينك وبين الله حجاب » .
(٢) فى « ص » : « وكان أبو بكر يقول » .
(٣) بعد هذا فى طبقات الصوفية : « .. لا يشوبه حَظُّ نفْسٍ ، ولا هَوًى ، ولا خَلْق ، ولا طَمَع » .
(٤) مابين المعقوفين عن المصدر السابق .
(٥) فى « ص » : « الحيلة » . وفى طبقات الصوفية : « خَلَقَ الله تعالى الخلائق كلُّهم متحركين يدبُّون على الأرض ، وجَعَلَ الحياة منهم لأهل المعرفة ، فالخَلْق متحركون فى أسبابهم ، وأهلُ المعرفة أحياء بحياة مَعْرُوفِهم ، فلا حياة – حقيقةً – إلا لأهل المعرفة ، لا غَيْر » . [انظر المصدر المذكور ص ٤٥٠] .

لأَهْلِ المَعْرِفَة ، فالخَلْق يتحركون فى أسبابهم ، وأهل المعرفة أحياءٌ بحياة معروفهم ، فلا حياة حقيقية إلّا لأَهْلِ المعرفة لاغير » .

وقال : « كنتُ فى البادية ، فَوَافَيْتُ قبيلةً من العَرب ، فأَضَافَنِى رَجُلٌ منهم ، فرأيتُ غلامًا أَسْوَدَ مقيدًا هناك ، ورأيتُ جِمَالًا مَيِّتَةً بفناء البيت ، فقال لى الغُلام : أنتَ ضَيْفٌ ، وأنت كريمٌ على مولاىَ ، فاشْفَعْ لى عنده ، فإِنَّهُ لا يَرُدُّكَ [١] .

فقلتُ لصاحب البيت : لا آكُلُ لَكَ طعاماً حتى تُطْلِقَ هذا الغلام [٢] . فقال : قد أَفْقَرنِى وأَتْلَفَ مالى . فقلتُ له : ما الذى [٣] فَعَلَ ؟ قال : كانت لى جِمَالٌ ، وكُنْتُ أعيشُ من ظُهورِهَا [٤] ، فَحَمَّلَها أَحْمَالًا ثِقَالًا [٥] ، وَحَدَا عليها [٦] ، فَأَخَذَتْ مَسِيرَةَ ثَلاثَةِ أيامٍ فى يومٍ واحد ، فلما حَطَّ عنها أَحْمَالَها ماتَتْ لِوَقْتِهَا [٧] . ولَكِنْ وهَبْتُهُ لكَ .

وَحَلَّ عنه القَيْد ، فلما أَصْبَحَ أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ ، فقلتُ ذلك لِسَيِّدِهِ ، فقال : لا نَقْدِرُ ، قُلْتُ : لابُدَّ من ذلك ، فأَمَرَهُ [٨] أَنْ يَشُدَّ جَمَلًا بِحَمْلٍ وثيق ، ثم حَدَا [٩] بصوتٍ عظيمٍ ما سمعتُ قَطُّ أَنْدَى منه ولا أَطْيَبَ ، فقَطَعَ

---

(١) فى « ص » : « فتشَفَّعْ لى فإنه لا يردُّك » .

(٢) فى « ص » : « لا آكُلُ طعامًا حتى تحل هذا الغلام » .

(٣) فى « ص » : « فقلت : ما الذى » .

(٤) فى « ص » وطبقات الأولياء ، والرسالة القشيرية : « قال : له صَوْتٌ طيب ، وكنتُ أعيش من ظَهْر هذه الجمال » .

(٥) فى « ص » : « فقالا » تحريف من الناسخ . وفى طبقات الأولياء : « أحمالًا ثقيلة » .

(٦) فى « م » : « وجَرَى عليها » وما أثبتناه عن « ص » ، وفى المصدر السابق : « وحَدَا لها » من الحُدَاء ، وهو الغِناءُ للإبل فتشتد فى السير .

(٧) قوله : « لوقتها » عن « م » أى : فى الحال .. وفى المصدر السابق : « ماتت كلها » .

(٨) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « فسألتُه ذلك ، فأَمَرَهُ ... » .

(٩) هكذا فى « م » .. وفى المصدر السابق : « فأَمَرَ الغلام أن يحدو على جَمَلٍ كان على بئرٍ هناك يسقى عليه ، فَحَدَا ... » الخ .

الجَمَلُ الْحَبْلَ وهَامَ على وَجْهِهِ ، ووَقَعْتُ أَنَا على وَجْهِى ، فلم أسمع ، فأَشَارَ سَيِّدُهُ له بأَنْ يَسْكُتَ ، فأَفَقْتُ وقُلْتُ [١] :

إِنْ كُـــنْتَ تُنْكِـــرُ أَنَّ لِلا   صْوَاتِ فَائِـــدَةً وَنَفْعَـــا
فَانْظُـــرْ إلى الإِبِـــلِ اللَّـــوَا   تِى هُـنَّ أَقْوَى مِنْكَ طَبْعَـا [٢]
تُصْغِـــى إلى قَـــوْلِ الْحُـــدَا   ةِ فَتَقْطَـعُ الْفَلَـواتِ قَطْعَـا [٣]

ورُوِىَ عنه أنه قَامَ لَيْلَةً إلى الصَّباح يقومُ ويقعد ويسقُط على هذا البيت [٤] :

يـارب فَـارْدُدْ فُـؤَادَ مُكْتَـئِبٍ   لَيْسَ لـه مـن حبيبـه خَلَـف [٥]

والناس حوله يبكون .

وَحُكِىَ [٦] عنه أنه قال : « صَلَّيْتُ فى ليلة شاتية فقلتُ : ليتنى أَدْرِى مَنْ وَافَقَنِى فى هذه الليلة ! قال : فَسَمِعْتُ مَنْ يقول : وافَقَكَ فيها غُلامٌ مِنْ أهل دِينَوَرَ يقال له : أبو الحَسَن بن الصائغ ، دعاه الله إليه فأجابه .

---

(١) فى « ص » : « .. وحَدَا ، فقطع الجمَلُ الحَبْلَ وهام .. فوقعتُ على وجهى ، فلم أسمع حتى أشار إليه بالسكوت ، وأنشدتُ .. » . وفى المصدر السابق : « فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ، ولا أظن أنى سمعتُ صوتًا أطيب منه ، ووقعتُ لوجهى حتى أشار عليه بالسكوت .. وأُنشد فى المعنى » . وقد ورد الشعر فى « ص » متداخلًا فى بعضه ومتصلًا كأنه نثر .

(٢) فى « م » : « هو » مكان « هن » تحريف . وفى طبقات الأولياء : « هن أغلظُ منك طبعًا » .

(٣) فى المصدر السابق : « تُصْغِى إلى حَدْوِ الحداة » .

(٤) فى « م » : « مفرد » أى : بيت واحد . وفى المصدر السابق : « قام ليلة إلى الصباح يصيح ويبكى وينشد » .

(٥) فى المصدر السابق : « بالله » مكان « يارب » .. وفى « ص » : « حنينه » مكان « حبيبه » .

(٦) هنا فى « ص » : « قبر الشيخ الفقيه أبى عبد الله عبد الرحمٰن بن القاسم بن خالد » وقد مر .. ومن هذا الموضع إلى نهاية المخطوط اثرنا الاقتصار على « م » ، حيث أن ماورد فى « ص » — إن وجد — فهو بصورة مختصرة ، وسنشير إلى ذلك فى موضعه .

قال : فخرجتُ مسافرًا حتى جئتُ إلى دِينَوَر ، فسألتُ عنه ، فقيل لى إنه بدُكَّانِ أبيه ، فجئتُ إليه ، فإذا أنا بغلامٍ عليه هَيْبَةٌ ووقارٌ ، وهو فى خِدْمَةِ أبيه بين يديه فى الدُّكّان ، وهو يعمل الصنعة ، قال : فَوَقَفْتُ قليلًا ، فَدَفَعَ له والدُهُ لَحْماً وقال : امْضِ بهذا إلى أُمِّك . قال : فأَخَذَ اللَّحْمَ وذَهَبَ ، وقد أَخَذَ بِمَجَامِعِ قلبى ، فذهبتُ معه ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ يُوقد نارًا وهو يُؤَرِّثُهَا [(١)] بِالحَطَب الصِّغَار ، ثم بعد ذلك أَوْقَدَها بالحطَب الكبار ، فوقَفَ أبو الحسن طويلًا ونَظَر إليه ، وبكَى بُكاءً شديدًا ، فجئتُ إليه وقُلْتُ له : مِمَّ تبكى يابُنَىَّ ؟ فقال : « ياعَم ، أَمَا تنظر إلى ما فَعَلَ هذا الرجل وهو يُوقِدُ النارَ بالحطَبِ الصِّغار قبل الكبار ؟! فربما يكون ذلك فى نار الآخرة ، وأكون أنا منهم ! فأبكانى ذلك » ، فقلت : لله دَرُّكَ ، ما أَخْوَفَكَ مِنْ رَبِّكَ !

وسَارَ ، وسِرْتُ خلفه ، [وحين سَمِعَ] أَذَانَ الْمؤَذِّنِ [(٢)] بالظُّهر وهو يقول : « حَيَّ على الفلاح » قال [(٣)] : لبيك دَاعِيَ الله ، ثم تَرَكَ اللَّحْمَ ، فقلتُ فى نَفْسِى : أَمَا خافَ من كلبٍ يأتى فيأخذ اللحم ؟

ثم وقفتُ أنظر إلى ما يقع فى اللحم ، فإذَا أنا بكلبٍ قد جاء مسرعًا إلى أنْ وقَفَ يحرسُ اللَّحْمَ ، فلما انقضت الصَّلاة خَرَجَ وأخذَ اللَّحم وانصرف ، فتبعتُه إلى منزله ، فدخل منزلًا عظيماً وغاب ساعة ، ثم خرج ووجهه مشرقٌ ، فقلتُ له : ما اسمُكَ ياحبيبى ؟ فقال لى : أَمَا تعرفنى ؟ أنا أبو الحَسَن الذى رأَيْتَهُ فى منامك . فقلتُ له : حبيبى ، مِثْلُكَ مَنْ يصلح للعبادة . ثم وَدَّعْتُه [(٤)] وتوجهت .

---

(١) يُؤَرِّثُها : يوقدها ويشعلها .

(٢) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا لاستقامة المعنى . وفى « م » : « أذان المؤذنون » لا تصح بهذه الصورة .

(٣) فى « م » : « فقال » .

(٤) فى « م » : « دعوته » تحريف ، وما أثبتناه هو الصواب .

قبر الشيخ سليمان بن عبد السميع القوصى [١] :

وبالقُرب قبر الشيخ الصَّالح المُحَدِّث سليمان بن عبد السميع القوصى ، المُحَدِّثُ عن رسول الله ﷺ ، كان فقيهًا ، حافظًا ، صُوفِيًّا .

من كلامه : « كِتْمَانُ المُصِيبَةِ مِنَ الإيمان » . أَخَذَ ذلك من قوله ﷺ : « مِنْ كنوز البِرِّ كتمان المصائب » .

ومن كلامه – رضى الله عنه وأرضاه فى الدنيا والآخرة [٢] : .

اصْبِـرْ لِكُـلِّ مُصِيبَـةٍ وَتَجَلَّـدِ ... وَاعْلَمْ بأَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ [٣]
أَوَ مَا تَرَى أَنَّ المَصَائِبَ رَحْمَةٌ ... وَتَرى المَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرْصَدِ [٤] ؟
مَنْ لا يُصَابُ بِمَنْ تَرَى بِمُصِيبَةٍ ... هَذَا طَرِيقٌ لَيْسَ فِيهِ بِأَوْحَـدِ [٥]
وَإِذَا أَتَـتْكَ مُصِيبَـةٌ فَاصْبِـرْ لها ... وَاذْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِىِّ مُحَمَّدِ [٦]

وتوفى – رحمه الله تعالى – فى سنة ٣٨٠ هـ .

* * *

(١) العنوان من عندنا . ذكره القرشى فى كتاب مهذب الطالبين وقال : قبره فى التربة التى على باب أبى الحسن الدينورى ، وله ذرِّيَّة صلحاء بمدينة قوص . [انظر الكواكب السيارة ص ٢٩٠] .

(٢) فى المصدر السابق : « وكان يتمثل بهذين البيتين » وذكر البيتين الأولين فقط . وجاء البيتان المذكوران فى مجمع الحكم والأمثال فى الشعر العربى غير منسوبين [انظر المصدر المذكور ص ٢٦٨ ، وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٦٧] .

(٣) فى عيون الأخبار : « الدَّهر » مكان « المرء » .

(٤) هكذا البيت فى الكواكب السيارة .. وفى « م » : « أن المصائب رحمة » .. وفى عيون الأخبار : « أنَّ الحوادث جمَّة » وجمَّة : كثيرة متوالية .

(٥) فى « م » : « يُصِيب » مكان « يُصاب » لا تصح معنًى .

(٦) فى « م » « اصبر » مكان « فاصبر » . والبيت فى عيون الأخبار :

وإذا أَتَـتْكَ مُصِيبَـةٌ تَشْجَـى بها ... فاذكُـرْ مُصابَكَ بالنَّبِـىِّ مُحَمَّـدِ

ثم تمضى إلى تربة بها الإمام الفاضل أبى القاسم وأبى إسحاق بن شعبان القرطبى المالكى ، كان إماماً فاضلًا جليلًا ، وكانت وفاته سنة ٣٥٥ هـ .

قبر إبراهيم بن اليَسَع بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، وقبر روبيل ابن يعقوب عليه السلام [١] :

ثم تمضى من قبره إلى مشهدٍ به قبر إبراهيم بن اليَسَع بن إسحاق بن إبراهيم ، خليل الرحمٰن . وبظاهر القُبَّة التى بالمشهد قبر وَلَدٍ من أولاد يعقوب . وهذا المشهد من مشاهد الرُّؤْيَا .

حُكِيَ أنَّ رجلًا باتَ عند القبر فى هذا المكان قديماً ، فقرأ سورة يوسف وصَلَّى على النبى ﷺ ، ونَامَ ، فرأى قائلًا يقول : هذه والله قِصَّتُنَا ، مَنْ أَعْلَمَكَ بها ؟ فقال : هذه القصة مذكورة فى كتاب الله الذى أَنْزَلَهُ على نَبِيِّهِ ﷺ ، فَمَنْ أنت ؟ قال : أنا روبيل بن يعقوب إسرائيل الله ، أحد إِخْوَةِ يوسف . فلما أصبح الرجل أَخْبَرَ الناسَ بهذه الرُّؤْيَا ، فَبَنَوْا هذا المسجد لِمَا عَلِمُوا من صِدْقِ الرَّائى .

قبر الشيخ العفيف عبد الجَبَّار الفَرَّاش [٢] :

ثم تذهب إلى قبر الشيخ العفيف عبد الجبار الفراش ، وهو تُرْبَة يُرْقَى إليها بسلالم ، وهو على يمين الخارج من المشهد . كان رجلًا صالحاً ، جيدًا ، متعبدًا ، وكان صائمَ الدَّهْرِ .

---

(١) العنوان من عندنا ، وهو من مشاهد الرؤيا . [وانظر ماكتب عنه فى الكواكب السيارة ص ٢٨٢] .

(٢) العنوان من عندنا . وهو الفقيه الجليل القَدْر ، العابد الزاهد عبد الجبار الفراش - وفى الكواكب السيارة : المعروف بابن الفراش - من أكابر القوم ، كان ابن طغج يأتى لزيارته ماشيًا .. وكان صائم الدهر ، ويُشَم عند قبره رائحة طيبة [انظر الكواكب السيارة ص ٢٩٥ و ٢٩٦] .

حُكِيَ عنه أنه شَفَعَ فى إنسان عند الوالى ، فَأَبى أَنْ يَقبَلَ شَفَاعته ، فأرسَلَ يقول : « إنَّكَ تُقتَلُ (١) فى نصف الليل » . فلما بَلَغَهُ ذلك قال : والله لَئِنْ لم يَتِمَّ هَذا الأَمْرُ لأَهْدِمَنَّ دَارَهُ عليه .

فلما كان فى نصف الليل جاء رجلٌ من بغداد مِنْ قَضَاءِ الخليفة [أُمِرَ] (٢) بِمَسْكِهِ وَقَتْلِهِ . فَمُسِكَ فى وَقْتِهِ وقُتِلَ ، كما أشارَ الشيخُ ، فَارْتَدَعَ الناسُ عن مُخَالَفَتِهِ وصاروا يَبْتَدِرُونَ أَمْرَهُ .

قبر الشيخ أبى بكر الإصطبلى (٣) :

كان من أكابر الصَّالِحِين (٤) ، جَلَسَتْ على قبرهِ امرأة عليها دَمُ حَيْضٍ ، فَسَمِعَتْ قائلًا يقول مِنْ جَوْفِ (٥) القبر : أَتَجْلِسِينَ على قبر رَجُلٍ أَحَبَّ الله فأَحَبَّه (٦) ؟

قبر الشيخ محمود بن سالم بن مالك الطويل (٧) :

وبجانبه قبر الشيخ الصالح الحامى (٨) محمود بن سالم بن مالك ، الأمير ، المعروف بالطويل ، صاحب المسجد بسفح الجبل .

---

(١) فى « م » : « تغزل » تحريف من الناسخ .

(٢) مابين المعقوفتين لم يرد فى « م » .. وفى الكواكب السيارة : « .. حَضَرَ من بغداد جماعةٌ أُمِرُوا بقتله » .

(٣) العنوان عن « ص » . وفى الكواكب السيارة : « كانت له دعوة مجابة ، ويُرَى على قبرهِ نورٌ كثير ... وقبره القبر المسطوح فيما بين ابن الفارض وعبد الجبار الفراش » [انظر المصدر المذكور ص ٢٩٦] .

(٤) هكذا فى « ص » .. واكتفى بهذه العبارة عنه ثم أتى بعده بترجمة الشيخ محمود بن سالم . وفى « م » : « الصدفين » مكان « الصالحين » لعلها تحريف من « الصوفيين » .

(٥) فى « م » : « خوف » مكان « جوف » تحريف . وفى الكواكب السيارة « خَلْف » .

(٦) فى المصدر السابق : « كيف تُطَئِينَ قَبْرَ رَجُل صالح مادنس بمعصية ؟! فسكتت ، ثم تابت ولم تزل تعبد الله حتى ماتت » أما قوله : « أتجلسين على قبر رجل أحب الله فأحبه » فقد ورد منسوبًا إلى الفقيه خليفة المخزومى الشافعى المعروف بالناطق [انظر المصدر السابق ص ٣٠٥] .

(٧) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الكواكب السيارة ص ٢٨٢] .

(٨) الحامى ، أى : الجندى .

ذكر أبو جعفر الطحاوى عنه أنه كان جُنْدِيًّا من جُنْدِ السَّرِىّ بن الحَكَم أمير مصر ، فركبَ السَّرِىُّ يومًا من بعض الأيام ، وكان محمودٌ معه ، فَعارَضَ السَّرِىَّ رجلٌ فى طريقه ووَعَظَهُ بشىءٍ أَغَاظَهُ ، فالتفتَ إلى محمود وقال له اضْرِبْ عُنُقَ هذا . فانْتَضى [١] محمودٌ سَيْفَهُ ورَمَى برأسِ الرَّجُل فى الطريق ، فلما رجع محمود إلى منزله خَلاَ بنفسه ، وتفكَّر وندم ، وقال : تكَلَّمَ الرَّجُلُ بكلمة حَقٍّ فَقَتَلَهُ ، عَلَى ماذا ؟! لِمَ لَمْ أَمْتَنِعْ ؟! [٢] .

وَكثُرَ أَسَفُهُ وبُكاؤُهُ ، وَآلَى على نَفْسِهِ أَلَّا يرجع إلى [٣] خدمة الأمير أبدًا .

ثم أقبل على العبادة ، وتَقَرَّبَ إلى الله تعالى ، فيقال إنه رأى المقتول فى منامه وهو يتبختر [٤] فى الجنة ، فقال له : ما فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قال : غَفَرَ لى وأَدْخَلَنِى الجَنَّةَ . وقال له : يامحمود ، قُلْ لأُستاذِكَ : ياظالمُ ، قد سَبَقَكَ غَرِيمُكَ إلى أَحْكَمِ الحاكمين !

ثم إنَّ محمودًا [٥] عَمَّرَ المسجدَ المذكورَ [٦] ، المجاوِرَ لِمَشْهَد إبراهيم بن اليَسَع ، وأَقَامَ به شرائع الإسلام ، وأول من خَطَبَ به السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن السيد الشريف شمس الدين بن عبد الله محمد ، قاضى العساكر المنصورة ، والمدرس بمدرسة السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب ، المجاورة لجامع عَمْرو ، به عُرِفَتِ المدرسةُ إلى الآن ، وكان أيضًا نقيبَ الأشراف .

---

(١) انتضَى سيفَه : أخرجه من غمده .. وفى « م » : « فانتضى » تحريف من الناسخ .

(٢) فى الكواكب السيارة : « تكلم رجلٌ بكلمة حقٍّ فقتلتُه فكيف يكون حالك إذا وقفت بين يدى الله ؟! وبكى بكاءً شديدًا ... » الخ .

(٣) فى « م » : « أنه لا يرجع على » وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٤) يتبختر : يتمايل ويمشى مشية المعجب بنفسه .. وفى « م » : « يتمختر » عامية . وفى المصدر السابق : « يخطر فى الجنة » .

(٥) فى « م » : « محمود » لا تصح ، والصواب بالنصب .

(٦) هو مسجد « محمود » المسمى باسمه .

قبر الفقيه المُحَدِّث أبي الحَسَن عليّ بن مرزوق الرُّدَيْنِيّ [(١)] :

ثم تمضى إلى قبر الفقيه الفاضل ، المُحَدِّث ، المُفَسِّر ، أبى الحَسَن علىّ ابن مَرْزُوق [(٢)] بن عبد الله الردينى .

كان كثير الإنكار على أبى عمرو عثمان بن مرزوق الحوفى وعلى أصحابه ، وكان مقبول الكلمة عند الملوك ، وكان يَأْوِى بمسجد سعد الدولة ، ثم تَحَوَّلَ إلى مسجدٍ عُرِفَ به ، وهو الموجود بقلعة الجبل ، وعليه وَقْفٌ بالإسكندرية .

وفى المسجد قبرٌ يزعمون أنه قبره ، والصحيح أنه بالقرافة ، وأنه توفى سنة ٥٤٠ هـ ، وهو بخط « سَارِيَة » شَرْقِىّ تُرْبَة أُمّ مَوْدُود [(٣)] ، وتربة بنى درباس . واشتهر قبره بإجابة الدعاء بِوَفاء الدَّيْن .

وحَكَى عنه بعضُ المؤرخين ، قال معن بن زيد بن سليمان : إنه كان عليه عشرةُ آلافِ درهم ، وإنه قصدَ الرُّدَيْنِىّ بالزيارة ، ونام عنده بجوار قبره ، فرأى الشيخَ فى المنام ، فقال له : يافلان ، فقال : لبَّيك . قال : ماتريد ؟ قال : أشكو إليك من دَيْنٍ لَزِمَنِى . فقال : قُلِ : « اللّهُمَّ بما كان بينك وبين عبدك الرُّدَيْنِى إلّا قَضَيْتَ عنى دَيْنِى » .

قال : فاستيقظتُ وأنا أقولها ، وإذا بشيخٍ أعمى جاء إلى عندى وقال لى : أنت الذى توَسَّلْتَ إلى الله بِبَرَكة الشيخ ؟! قلت : نعم . قال : خُذْ هذه العشرة آلاف درهم أَوْفِ بها دَيْنَك .

وحُكِىَ عنه أنَّ إنسانًا جاء إلى أبى عمرو الحوفىَ وقال له : إنَّ الرُّدَيْنِىَّ كثير الإنكار [عليك] [(٤)] وعلى أتباعك . فقال : إذا كان الصباح جمعتُ له جَمْعًا وجِئْتُ إليه .

---

(١) العنوان من عندنا . [انظر ترجمته فى الكواكب السيارة ص ٣٠٢] .

(٢) فى « م » : « مرة زوق » تصحيف .

(٣) فى المصدر السابق « أم مردود » بالراء .

(٤) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق وسقط من « م » سهوًا من الناسخ .

فلما كان نصف الليل والشيخ عثمان على سطح داره نَزَلَ عليه إنسانٌ من الجو كالطائر ، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الرُّدَيْنِيُّ ، جِئْتُ إليك قبل أنْ تجيءَ إلىَّ . فقال له : يا أخى ، أنا ما أجىء إلَّا لِمَنْ يمشى على قَدَمَيْهِ ، وأمَّا مَنْ يأتى [طائرًا] (١) فليس معه كلام !

قبر القاضى يونس الوَرِع (٢) :

ثم تمشى إلى قبر القاضى يونس الوَرِع ، قاضى مصر .. كان رجلًا زَاهِدًا ، أُكْرِهَ على القضاء ، وكان يأكل من قمحٍ يأتى به من الغَرْب ، يُزْرَع له فى أرضٍ وَرِثَهَا عن بعض أهله ، وكان أيضًا يشربُ من بئرٍ وَرِثَها عن آبائه ، وكان مُجَابَ الدعوة .

وحُكِيَ عنه أنَّ السلطان قال له فى بعض الأيام : اسْمَعْ فلانًا (٣) وشهادته . فقال له : قد سمعتُ قوله ولا أقبلُ شهادته . فقال له : آمُرُكَ بأَمْرٍ فَتَأْبَى عن قبوله ؟ فقال له : قَدْ أَمَرَ مَنْ أَمْرُهُ لا يُخَالَفُ ، قال الله تعالى : ﴿ وأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ (٤) وهذا ليس كذلك !

* * *

صحة قبر معاذ بن جبل (٥) :

وعلى يمين قَبْرِهِ قَبْرٌ مكتوبٌ عليه « مُعَاذُ بْنُ جَبَل » الصحابىّ ، وليس

---

(١) مابين المعقوفتين زيادة يستدعيها السياق ولم ترد فى « م » .. وفى المصدر السابق : « وأمَّا من يأتى من الجو فليس لى معه كلام » .

(٢) العنوان من عندنا . [انظر ترجمته فى الكواكب السيارة ص ٣٠٥ و ٣٠٦] .

(٣) فى « م » : « فلان » لاتصح ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) سورة الطلاق – من الآية الثانية .

(٥) العنوان من عندنا . وقد نبه على هذا القبر أبو عبد الله القرشى فى تاريخه وقال : هو رجل =

كذلك ، فإنه مات بعَمَواس [(١)] فى طاعون جارف [(٢)] . ويحتمل أن يكون هذا رجلٌ من التابعين ، ومعاذٌ الصَّحَابِىُّ يُكْنَى [أبا عبد الرحمٰن] [(٣)] .

ورُوِىَ أنَّ مُعَاذًا [(٤)] – رضى الله عنه – استعمله عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – على جِهَةٍ من الجهات ، فلما انْقَضَى عَمَلُهُ [(٥)] رجَع إلى أهله ، فلما دَخَلَ قالت له زَوْجَتُهُ : أين الذى جِئْتَ به كما يجىءُ العُمَّالُ [به] [(٦)] إلى أهليهم ؟ فقال لها – رضى الله عنه : إنَّ عُمَرَ جَعَلَ عَلَىَّ رقيبًا ! فقالت : أَلَمْ يَكُنِ النَّبِىُّ ﷺ استَعْمَلَكَ ، وأبو بكر ، وما أرسلَ واحِدٌ منهما عليكَ رقيبًا ؟!

ثم إنها أَتَتْ إلى عُمَرَ ، فقال له [(٧)] : أنا أَرْسَلْتُ مَعَكَ رقيبًا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّهَا طَالَبَتْنِى بما لَمْ أقدر عليه ، وأنت قُلْتَ لى لَمَّا اسْتَعْمَلْتَنِى : « جَعَلْتُ اللهَ عليكَ رقيبًا » فكيف أَعْمَلُ ؟!

فتعجب عمر من ذلك ، ودَفَعَ له شيئًا أَرْضَاهَا به – رضى الله عنهما .

* * *

= من الصالحين ، واسمه معاذ ، وقد أجمع العلماء أن معاذًا مات بعمواس بالشام فى عام الطاعون وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة . وقيل إن هذا القبر لأحد التابعين . [انظر الكواكب السيارة ص ٣٠٨] .

(١) فى « م » : « بعمراس » بالراء . وهو خطأ ، وعَمَواس : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس .

[انظر معجم البلدان – مادة عمواس] .

(٢) فى « م » : « الجارف » . وكان ابتداء هذا الطاعون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم فشا فى أرض الشام فمات فيه خَلْقٌ كثير لا يُحصى من الصحابة رضى الله عنهم ، ومن غيرهم ، وذلك فى سنة ١٨ هـ .

(٣) مابين المعقوفتين عن الأعلام وسقطت من « م » سهوًا من الناسخ . وقد قيل إنه لم يُعَقِّب .

(٤) فى « م » : « معاذ » لا تصح ، والصواب بالنصب .

(٥) فى « م » : « غله » تحريف .

(٦) مابين المعقوفتين من عندنا .

(٧) فى « م » : « أتت إلى معاذ وقال له » ولا يستقيم المعنى بهذا ، والصواب ما أثبتناه .

قبر الفقيه العالم أبى السَّمراء الضرير [١] :

ثم تمشى من التربة التى تُعْرَفُ بمُعَاذٍ قليلًا ، ثم تنحرف على يَدِكَ اليُمْنَى تجد قبرًا كبيرًا ، هو قبر الفقيه العالم الوَلِىِّ أبى السَّمْراء الضرير ، كان من أَجَلِّ الفقهاء والعلماء ، وكان فقيهًا ، عالمًا ، نحويًّا ، أُصُوليًّا ، لا يُطَاقُ فى علومه ، وكان له قَدَمُ صِدْقٍ مع الله تعالى ، وكان كثير الاجتهاد فى الحفظ ، قيل : إنَّه لَمَّا عَمِىَ كان يحفظُ تلقينًا فى كل يومٍ مايزيد على مائة سطر .

وسأَلَ الله تعالى فى ذَهَابِ بَصَرِه ، وأَلَّا يَرُدَّهُ عليه إلَّا بين يديه ، فاستجاب الله له ذلك ، فلمَّا مات رُئِىَ فى النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : أَوْقَفَنِى بين يديه وقال : افْتَحْ بَصَرَك وَانْظُرْ ، فقد أَعْطَيْتُكَ ما سَأَلْتَ . قال : ففتحتُ بصرى فرأيتُ ربى !

قال ابن دحية : وكان السلطان الملك الكامل يأتى إلى قبره ، ويدعو الله تعالى عنده فى قضاء حوائجه ، فَيُسْتَجَاب له ، وقد وَقَعَ له [٢] مرارًا عديدة (انتهى) .

وكان – رضى الله عنه – شافعىَّ المذهب ، يفتى الناسَ على مذهبهم .

* * *

قبر المرأة الصالحة خَيْزُرَانَة المُكاشَفَة [٣] :

ثم إذا فَرَغْتَ من زيارته فَاذْهَبْ إلى المرأة الصالحة خَيْزُرَانَة المُكَاشَفَة الزاهدة .

---

(١) العنوان من عندنا . واسمه فى الكواكب السيارة أبو « السَّمْرا » الضرير . [انظر المصدر المذكور ص ٣٠٨ و ٣٠٩] .

(٢) وقع له : أى استجابة الدعاء .. وفى المصدر السابق : « وقف الكامل عند أبى السمرا وقال : هاهنا يُستجاب الدعاء ، وقد دعوتُ الله هاهنا مِرَارًا فاستُجيبَ لى » .

(٣) العنوان من عندنا .. وفى الكواكب السيارة : « خيزران » [انظر المصدر المذكور ص ٣٠٦] .

حُكِيَ عنها أنها كانت تُكاشِفُ الناسَ فى خَواطِرِهم ، فقال رجلٌ فى بعض الأيام : أَظُنُّ أَنَّ هذه المرأة ساحِرَةٌ ، فلما كان الليل نام الرجلُ ، فَحَصَلَتْ له لَوْقَةٌ (١) ، فلما أصبح جاء إليها ، فلما نظرَتْ إليه قالت : « والله يا أخى ما أنا ساحرة ، ولكننى أَتَيْتُهُ بِنِيَّة لَمْ تَشِنْهَا غَفْلَتُهُ ، فَتَفَجَّرَتْ من قلبى ينابيع الحكمة » .

ثم قالت له : « اذْهَبْ عَافَاك الله تعالَى وشَفَاكَ » فَعُوفِيَ لِوَقْتِهِ وسَاعَتِه .

وكانت عابداتُ مصر يَأْتِينَ (٢) إليها لسماع الوعظ منها ، ويَنْتَفِعْنَ به . وكانت (٣) - رحمة الله عليها - من أَجَلِّ العابدات .

* * *

قبر الفقيه الإمام أبى إسحاق إبراهيم بن محمد :

ثم تأتى إلى تربة تجد بها قبر الشيخ الإمام الفقيه أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن سعد بن أبى بكر بن سيف بن يوسف بن خَلَف بن موسى ابن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمىّ ، القُرَشِىّ ، العباسىّ ، المالكىّ .

كان - رضى الله عنه - إمامًا ، عالمًا ، شريفًا ، عفيفًا ، كريمًا ، متواضعًا ، تقيًّا ، خاشعًا ، له تصانيف مشهورة ، وتآليف (٤) مذكورة ، وإشاراتٌ واضحة ، وعبارات لائحة (٥) ، وأشعارٌ رقيقة ، ومعانٍ دقيقة .

---

(١) حَصَلَتْ له لَوْقَة : اعْوَجَّ فَمُهُ فَصار لا يُحسن الكلام .

(٢) فى « م » : « تأتى » .

(٣) فى « م » : « وهى » .

(٤) فى « م » : « وتواليف » .

(٥) لائحة : ظاهرة .

وكان إمامًا بمسجد الزبير بمصر ، وكان مُجَابَ الدعوة ، كثير البَرَكَة . تفقَّهَ على مذهب مالك ، وسمع الحديث بمصر من أبى محمد عبد المَوْلَى بن محمد اللَّخْمِىّ ، وبدمشق من أبى أكثم على بن الحسين بن عساكر . وحَدَّث وصَنَّفَ كتاب « البُغْيَه والاغتباط فيمن ولى مصر الفُسْطَاط » (١) وصنَّفَ كتابًا فى الوعظ . ومولده فى آخر شهر رمضان سنة ٢٧٥ هـ . وله كرامات عديدة .

ومِن كراماته (٢) العظيمة أنَّ رَجُلًا دَخَلَ عليه فى وقت صلاة الصُّبْح ، وقال له : ياسيدى إنَّ عَمِّى سَجَنَهُ كاتبٌ من كُتَّابِ السلطان بسبب ضَمَانَةٍ (٣) ضمِنَها له ، فَعَسَى أنْ تكتب له رُقْعَةً تستعطفه فيها !

فقال له : يابُنَىَّ ، أنا لا أعرفُ الكاتب ، ولكنْ أنا أدعو له بالخَلاَص .

ثم سَأَلَ الله تعالى أن يُحْسِنَ خَلَاصَ الرَّجُلِ . وذَهَبَ الرجلُ ، ثم دَخَلَ عند صلاةِ المغرب ومعه رجلٌ آخَرِ ، فقال : ياسيدى ، هذا عَمِّى الذى سألْتُكَ فى أمْره ، أَطْلَقَهُ الكاتب !

فقال له : كيف وَقَعَ (٤) ؟ قال : ياسيدى ، لَمَّا ذهبتُ من عندك دعاه الكاتب إليه (٥) وقال له : أنا أعرفُ أنك رجلٌ مظلوم ، وكل جهة فى مصر . » .. (٦) .

فقال : ليس لِى أَحَدٌ سوى الله تعالى ، غير أن إنسانًا من الفقهاء الصلحاء دعا لى . قال : فَأَطْلَقَهُ ثم قال له : اسْأَلْ لى الرَّجُلَ (٧) الذى دَعَا لكَ أنْ يدعو لى بِحُسْنِ الخاتمة .

---

(١) مصر الفسطاط ، أى : مصر القديمة . وفى « م » : « الفسطاس » تحريف .
(٢) فى « م » : « الكرامات » .
(٣) الضَّمانة : وثيقة – أو تعهد شفوى – يضمن بها الرجل صاحبه .
(٤) أى : كيف حدث ذلك ؟ .
(٥) فى « م » : « إلى عنده » .
(٦) هكذا فى « م » ، ويبدو أن هنا كلامًا سقط من الناسخ .
(٧) فى « م » : « من الرجل » .

وحُكِيَ عنه أنه حَجَّ فى سَنَةٍ إلى بيت الله الحرام ، ورجع إلى العراق فى قافلة ، فاجتاز [١] بمكان يُعْرَف برأس العين من بلاد « حَلَب » ، فصادفه أميرُ البلدة – وكان ظالماً – يُقال له : حُسَام الدين . فقال له : ياشيخ ، انْزِلْ أنتَ والقافلة – وكان الشيخ مُقَدَّمًا فيها – فَنَزَلَ الشيخ ونَزَلَ الناس ، وجاءَ العَشَّارُ [٢] فأَخَذَ عادَتَهُ من أعمال التجار ، ثم جاء الأميرُ وأعوانُه والعَشَّارُ لينظُروا ما مع الشيخ ، فقال له الأمير : ما معكَ أيها الشيخ ؟ قال : معى هذا الحِمْلُ من الكتب لا غير . قال : فأَمَرَ الأميرُ بعض غلمانه وقال له : افتحْ هذا الحِمْلَ وآتِنِى بما تجده [٣] من كتب الأدب واللغة والأشعار الرَّائقة ، والخطوط الفائقة .

فجاء الغلام لفتح العِدْلَيْنِ [٤] ، وتَوَجَّهَ الأمير ، فدفع الشيخ للغلام دينارين ، وقال له : سألتُك بالله لا تفتح هذا الحِمْلَ واتْرُكْهُ . قال : فتركَ الغلامَ وذهب ، ورحلت [٥] القافلة . فسَأَلَ الأميرُ الغُلام : هل وَجَدْتَ شيئًا ؟ قال : لا . قال : لابُدَّ لى من أَنْ أنظر فى هذا الحِمْل .

ثم أَمَرَ برجوع القافلة ، فرجَعَتْ ، ثم إنَّ الشيخ اعتزل ناحية وصَلَّى ، ودعا الله سُبحانه وتعالى ألَّا يجعل عليهم سبيلًا ، وأن يصرف عنه كيدهم . ثم إنَّ الأمير دعاه وقال له : افْتَحْ هذا الحِمْلَ . ففتحه ، وتقدَّمَ الغلام فأَخْرَجَ كتابَ « المُوَطَّأ » بخطٍّ ردىء ، ثم أخرج كتابًا آخَرَ بخط ردىء ، ثم آخَرَ .. فقال : الظَّاهِرُ أَنَّ جميع الكُتُب بهذه الخطوط الرديئة ! ثم قال : ياشيخ ، سِرْ فى حِفْظِ الله تعالى .

---

(١) اجتاز : مَرَّ .

(٢) العَشَّار : مَنْ يأخذ على السلع مَكْسًا ، أى : ضريبة .

(٣) فى « م » : « وجدته » .

(٤) العِدْل : نصف الحِمْل يكون على أحد جنبى البعير .

(٥) فى « م » : « ورحلة » لا تصح إملائيًا .

قال : فشَدَّ الشيخ الحِمْلَ ووضعه على ظَهْر الجَمل وسارَ ، وسارت القافلة قليلاً فإذا بإنسانٍ يَعْدُو خَلْفَ القافلة وهو يقول : ياشيخ ، ارجعْ وخُذْ ما دَفَعْتَ للغُلام . فقال الشيخ : لا رَجْعَةَ [١] لى فيما خَرَجْتُ عنه . فرجع الغلام ، وسار الشيخ سالمًا ، وكَفَاهُ الله شَرَّهُم ببركته .

وقيل : إنَّ رَجُلًا ادَّعَى على وَلَدِ أخى الشيخ أنه أَوْدَعَ عنده وديعة تساوى عشرة دنانير ، وأنَّ الشيخ يشهد على ابن أخيه بالوديعة .

فَأُحْضِرَ الشيخ ، فقال : ليس لى عِلْمٌ بذلك . فقال : لا ، بل عَلِمْتَ ذلك ، وقد دَخَلَ بالوديعة إلى منزلك ، وهى فى دارك . فقال ولدُ أخيه للرَّجُل : هل لك فى المحاكمة ؟ قال : نعم .

فجاء الرجلُ والشيخُ وولدُ أخيه إلى القاضى [٢] ، فأخبره المُدَّعِى بقصته ، فقال القاضى للشيخ : أَحَقٌّ ما قاله هذا الرجل ياسيدى ؟ قال : لا والله . فقال المُدَّعِى : بل والله حَقٌّ ذلك . فقال القاضى : أنا أَدْفَعُ لكَ شيئًا من مالى وَدَعِ الشيخ . فقال : والله لا أتركُهُ إلّا بعَشَرَة دنانير أو يحلف أنَّ الوديعة لم تَدْخُلْ إلى داره ، وأنه لا يعلم ذلك .

فحلفَ الشيخُ أنه لم يعلم ذلك ، ولم يعلم بذلك . ثم لمَّا فَرَغَ من اليمين قال : اللّهُمَّ إنْ كان هذا ظَلَمَنِى وهو يعلم أننى برىء مِمَّا قال ، فَأَظْهِرْ فيه آيةً لِخَلْقِكَ .

ثم تَوَجَّهَ كُلٌّ منهما إلى حالِ سبيله ، فلم تَمْضِ على الرَّجُل ثلاثةُ أيام حتى عَمِىَ [٣] وصار إلى حالة دميمة ، ثم صار شَحَّاذًا وصار يقول : ارحموا مَنِ اسْتُجِيبَتْ فيه دَعْوَةُ رَجُلٍ صالحٍ . ومات بعد ذلك فى مَخْزَنٍ ولم يُعْلَمْ به إلّا بعد ثلاثة أيام .

---

(١) فى « م » : « لا رجعت » خطأ إملائى .

(٢) فى « م » : « إلى القاضى بجل » .

(٣) فى « م » : « ثم عَمِىَ » .

وحُكِيَ عنه أنه دَفَعَ إلى رَجُلٍ ثلاثين دينارًا ليعمل له فيها ، فأَقَامَتْ معه مُدَّةً ، ثم ادَّعَى أنها ضاعت منه وتَلِفَتْ ، فقال له الشيخ : اتَّقِ الله يا أخى ، وَوَعَظَهُ فلم يتعظ ، فقال الشيخ لِمَنْ حَضَرَ : أُقْسِمُ بالله لئن بَقِىَ هذا على هذه النِّيَّة لَمْ يَخْرُجْ من الدُّنيا حتى يُبْتَلَى بالفقر والطلب ، وكان الرجل ذا جَدَّةٍ [١] وحالة حَسَنَة ، فما مَرَّتْ عليه أيَّامٌ قلائل حتى نفد جميع ما كان معه وافتقَرَ وصارَ شَحَّاذًا يسأَلُ النَّاسَ ويدقُّ أَبْوَابَهُم ويقولُ : تَصَدَّقُوا عَلَى مَنْ غَرَّهُ الطَّمَع .

وحكي عنه أيضًا أنَّ أمير مصر أقامه على تفرقة الزكوات ، فكان يفرقها فى كل شهر مَرة ، فاتفق فى بعض الأيام أنه جلس يفرق الزكاة ثم تذكر أنه خَلَطَ ماله بمال الصَّدَقَة ، فتصدق بالجميع ، [فَسُئِلَ : لِمَ] [٢] فَعَلْتَ ذلك ؟ قال : لأنَّ مالَ الزَّكاةِ مُحَرَّمٌ [٣] علينا ، وليس لى حاجةٌ بمال خَالَطَ مالَ الزكاة . فقيل له : لو انْتَفَعْتَ ببعضه [٤] كان أَوْلَى . فقال : لا أنتفعُ بمالٍ خالطَتْهُ الزكاة .

وكان الشيخُ بليدًا فى بداية أَمْرِهِ ، فرأى قائلاً يقول له : إنَّ الحاكم قد سمع قولك ، فأصبحَ [٥] ينطق بالحكمة ، ثم وضع المصنفات العجيبة .

وقيل : إنه شهد عند قاضى القضاة الذى كان بزمانه فلم يقبل شهادته ، فلمَّا كان فى تلك الليلة نامَ القاضى ، فرأى فى منامه رَجُلًا دخَلَ عليه من غير إذْنٍ ، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا إنسانٌ من خَلْقِ الله تعالى . قال : كيف دَخَلْتَ إلى دَارِى بغير إذْنِى ؟ قال : أَذِنَ لى رَبُّ الدَّار . قال : ما تريد ؟ قال :

---

(١) ذا جَدَّة : صاحب حظٍّ وغِنًى .

(٢) مابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة المعنى ، وسقط من « م » سهوًا من الناسخ .

(٣) فى « م » : « محرمة » .

(٤) فى « م » : « ببعضها » .

(٥) أى : الشيخ .

لِمَ لا تَقْبَل شهادة الشيخ إبراهيم القُرَشِيّ وهو عَدْلٌ عند الله تعالى ؟ قال : إنه بليد . قال : إنه فى غدٍ [١] يأتيك وهو ينطق بالحكمة !

وقيل : لَمَّا احْتُضِرَ [٢] قيل له : كيف حالُكَ ؟ قال : كيفَ حالُ مَنْ يريدُ سَفَرًا بعيدًا بغير زاد ؟ ويدخُلُ قبرًا مُوحِشًا بلا مُؤْنِسٍ ؟ ويقدم على مَلِكٍ عادلٍ ؟ ثم بكَى بُكَاءً شديدًا ، وتُوُفِّىَ بعد ذلك .

* * *

وبالقرب قبر ابنته ، المرأة الصالحة ، أُمّ الخير .

ويليها من الجهة البحرية قبر الشيخ الصالح ، القُدْوَة ، القاضى برهان الدين ابن عبد العزيز بن إبراهيم الزهرى خطيب قلعة صور ، توفى فى يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم سنة ٣٠٥ هـ .

* * *

قبر الشيخُ أبى البقاء صالح بن الحسين [٣] :

ثم تأتى إلى قبر الشيخ الوَلِىّ العالم أبى البقاء صالح بن الحسين بن عبد الحميد المُبْتَلَى ، الشَّافِعىّ المذهب . كان فقيهاً زاهدًا ، تُضْرَبُ الأمثالُ بعبادته ، وكان منقطعًا فى جَوْسَقٍ [٤] ابنِ أُصْبُغ ، وكان يشمل الطلبة بالجامع العَمْرِىّ ، فجاء يومًا فوجَدَ الطَّلَبة جُلُوسًا يتضاحكون ، فقال : « لا إله إلّا الله ! فَسَدَ الناسُ ،

---

(١) فى « م » : « فى غدًا » لا تصح .

(٢) احتضر : حَضَرَهُ الموتُ .

(٣) فى « م » : « أبى النجا » والتصويب من الكواكب السيارة ص ٣٠٧ .

(٤) الجوسق : لفظة معربة تطلق على القصر الصغير .

حتى أهل العِلْم ، لقد كُنَّا ندخُلُ فى حِلَقِ [١] العِلْم فلا يقومُ الرَّجُلُ مِنَّا إلَّا باكيًا خاشعًا ، وإذا عاد [٢] فى اليوم الثانى وُجِدَ قد ارْتَقَى عن الحالة الأولى فى الحُزْنِ والكآبة » .

ثم إنه خَرَجَ وانقطع عن الحضور ، ولاَزَمَ العبادة إلى أنْ مات بالجَوْسَق .

وكان فى ابتداء أمْرِهِ مَلِيحَ الصُّورَة ، حَسَنَ الهيئة ، وكان إذا مَرَّ افْتَتَنَ النِّسَاءُ بِمَلاحَتِهِ وحُسْنِ صُورَتِهِ ، فسأَلَ الله تعالى أنْ يبتليه ببلاءٍ يمنعُ مِنَ افتتانِ الناس به ، فَابْتُلِيَ ، رضى الله عنه ، فكان إذا مَرَّ أعْرَضَ [٣] النساءُ بوجُوهِهِنَّ عنه ، فَحَمِدَ الله تعالى على ذلك .

وكان له رَجُلٌ يخدمه ، ويأتى إليه فى كل يومٍ بأوراقٍ من مَغَاسِل [٤] البَقْل ، فيطبخها بشىءٍ من المِلْحِ ، ويُقدمها له عند إفطاره ، فجاء له الخادم يومًا بغير شىء ، فقال له : لِمَ لَمْ تأْتِ بشىء ؟ قال : رأيتُ فى طريقى جماعةً من السودان يتحاربون ، فرجعتُ بغيرِ شَىْءٍ . فقال له : خُذْ هذه العُكَّازَةَ وَامْضِ ، فإنَّكَ تأْمَنُ مِنْ شَرِّهِمْ . قال : فأخذ الخادمُ العُكَّازَةَ ومَضَى ، ومَرَّ بينهم فلم يتعرَّضْ له أَحَدٌ بِسُوء ، فأَخَذَ حاجة الشيخ ورجع سالمًا .

وحَكَى عنه القاضى الفاضل عبد الرحيم بن الحسَن [٥] البَيْسَانِىّ حِكَايَةً عجيبة ، نَقَلَها عنه أبو الحَسَن [٦] الكاتب . قال أبو الحسَن : قال لى القاضى الفاضل – رحمه الله تعالى : هل لَكَ فى زيارة القرافة ؟ قلت : نعم ، سمعاً وطاعة .

---

(١) حِلَق : جمع حَلْقَة .

(٢) فى « م » : « دعاه » تحريف .

(٣) أعرَضَ : صَدَّ ووَلَّى . وفى « م » : « عرض » .

(٤) مَغاسِل : جمع مَغْسَل ، وهو موضع الغَسْل .

(٥) فى « م » : « ابن الحسين » وسيأتى بعد قليل .

(٦) فى الكواكب السيارة : « أبو الحسين » فى كل المواضع .

وخَرَجَ ، وخرجتُ معه ، إلى أنْ جئْنَا إلى سفح الجبل المقطم إلى قبر الإمام الوَلِّيّ الصالح المُبْتَلَى . فقال لى : يا أَبَا الحَسَن ، هل أَحْكِى لك (١) حكايةً من أَعْجَبِ ما رأيتُ من كراماتِ هذا الرجل ؟ قلتُ : (٢) : نعم يامولاى . فقال لى (٣) : « لَمَّا دَخَلْتُ إلى مصر دخلتُ وليس معى ما أَتَقَوَّتُ به فى تلك الليلة ، فجئتُ إلى هذه المقبرة ، وجلستُ عند هذا القبر ، وقرأتُ شيئًا من القرآن ، فأخذَتْنى فى أثناء القراءة سِنَةٌ من النوم ، فرأيتُ فى مَنامى رجلًا جميلًا طلع من القبر وقال لى : مابكَ ياعبدَ الرَّحِيم ؟ فنظرتُ أَمَامِى فرأيتُ السلطان صلاح الدين بن أيوب كأنَّهُ جالسٌ على سريرٍ ، فلما رآنى وَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَىَّ قامَ لى وأَجْلَسَنِى إلى جانبه وقال لى : افْتَحْ حَجْرَكَ (٤) ، فَفَتَحْتُ حَجْرِىَ فَصَبَّ لى فيه جُمْلَةً مِنَ الدَّنانير ، ثم أَشَارَ لأَهْلِ دولته من الحاضرين بتقبيل يدى .

قال : ثم استيقظتُ وذكرتُ الرُّؤْيَا ، وتعجبتُ غايةَ العَجَب ، فسمعتُ قائلًا - أسمعُ صَوْتَهُ ولا أَدْرِى شخصه - يقول : « إنكَ رأيتَ هذا فى المنام وسيكونُ فى اليقظة » (٥) .

قال : فَمَضَيْتُ إلى منزلى وأنا أُفَكِّرُ (٦) فى شَأْنِ الرُّؤْيَا ، فسألَنِى جماعةٌ فى طريقى أنْ أكتب لهم قِصَّةً (٧) قال : فكتبتُ : « لِلْمَمَالِيكِ الحرسِيَّةِ ، بالقَلْعَةِ

---

(١) فى « م » : « يا أبا الحسن احكى لى » ولا يستقيم المعنى بهذا السياق . [انظر الكواكب السيارة ص ٣٠٧ و ٣٠٨] .

(٢) فى « م » : « قال » .

(٣) فى « م » : « قال : فقال لى » .

(٤) الحَجْر من الإنسان : حِضْنُه .

(٥) أى : سيتحقق فى الواقع .

(٦) فى « م » : « متفكر » .

(٧) القصة كما تُطلق على الحكاية النثرية الطويلة تُطلق أيضًا على الخبر ، والحديث ، والجملة من الكلام .

الصَّلَاحِيَّةِ ، يُقَبِّلُونَ الأَرْضَ بين المَواقِفِ العَلِيَّةِ الأَعْظَمِيَّةِ ، وينهون [١] أنهم بَاعُوا لَذَّةَ نَوْمِهِمْ بِقُوتِ يومهم [٢] ، وقَدْ حُرِمُوا ذَلِكَ ، أَنْهَوْا ذَلِكَ » [٣] .

قال : فلما وقَفَ السلطان عليها قال : مَنِ الذى كَتَبَ لهم هذه ؟ قال : رَجُلٌ يُقالُ له : عبد الرَّحِيم الفاضِل . قال : أَسْمَعُ به ، إِنَّهُ كان من رُؤَسَاء الكَتَبَةِ بالديوان ، وقال : علىَّ بِه . فما جَلَسْتُ فى بيتى إِلَّا قليلًا وإذا بالباب يُطْرَقُ [٤] ، فنظرتُ مَن الطَّارِق ، فإذا رَجُلٌ من جهة السُّلطان ، فقال لى : أَجب السُّلطان .

قال : فَمَضَيْتُ معه إلى حَضْرَةِ السُّلطان صلاح الدين ، فلما دخلتُ عليه رأيتُه على سريرٍ كالذى رأيته فى منامى ، فلما رآنى قام وَأَجْلَسَنِى إلى جانبه ، وسألنى عن أحوالى ، فأخبرته بالأحوال جُمْلَةً وتفصيلًا ، قال : فَدَعَا بدنانير وصَبَّهَا فى حَجْرِى ، وَفَوَّضَ إِلَىَّ الوزارة ، وصِرْتُ الآنَ بما تَرَى مِنْ هَذِهِ الأَحْوَالِ العظيمة ، كُلُّ هذا بِبَرَكَةِ هذا الرَّجُل [٥] - رضى الله عنه .

وكانت وفاةُ صَالِحٍ هذا فى سنة ٥٤٠ هـ [٦] .

* * *

(١) أَنْهَى الشىء : أبلَغَه وأَوْصَلَهُ .

(٢) أى : أنهم كَدُّوا وتعبوا وهجروا الراحة من أجل الحصول على قُوتهم . وهذا الأسلوب فى الكتابة اشتهر به القاضى الفاضل .

(٣) هكذا فى « م » .. والمعنى أنهم امتنعوا وكَفُّوا عن فِعْلِه لعدم حصولهم على أجرهم .

(٤) فى « م » : « فما جلستُ فى بيتى إلَّا وأنا أسمع الباب يطرق » .

(٥) يعنى بالرجل الفقيه الزاهد صالح بن الحسين المبتلى .

(٦) فى الكواكب السيارة : أنه عاش طويلًا حتى توفى بعد الأربعين وخمسمائة .

صحة قبر الصّحابِىّ سارية [1] :

وبجانبه [2] قبر يقال له قبر سَارِيةَ بن زُنَيْم ، الصحابىّ الذى ناداه عمر ابن الخَطَّاب يوم الجمعة وهو يخطب : « ياسَارِيةُ ، الجَبَلَ » ، وفى هذا الخبر أقوالٌ .

ولم يكن حين نُودِىَ بديار مصر ، بل كان فى أرض « نهاوند » فى بلاد العجم ، وقصته : أنَّ عُمَرَ بن الخطَّاب ، رضى الله عنه ، بينما هو يخطب يوم الجمعة إذْ قَطَعَ الخطبة ونَادَى : « ياسَارِيةُ ، الجَبَل ، ياسَارِيَةُ ، الجَبَلَ - ثلاثاً - ثم عاد إلى خُطْبَتِهِ ، فقال الناس : إن عُمَرَ جُنَّ ، إنَّه لمجنون [3] . فسمع ذلك عبد الرحمٰن بن عوف الزُّهْرىّ ، رضى الله عنه ، وكان مِمَّنْ يردُّ عنه ، فجاء إليه بعد أَنْ فَرَغَ من الصلاة وقال له : هل تحب أن تجعل لهم عليك كلاماً ؟

---

(١) العنوان من عندنا . وهو سارية بن زُنَيْم بن عبد الله بن جابر الكنانى الدئلى ، صحابىٌّ ، من الشعراء ، والقادة الفاتحين ، كان فى الجاهلية لصًّا كثير الغارات ، يسبق الفَرَس عدوًا على رجليه ، ولما ظهر الإسلام أسلم وجَعَله عمر أميرًا على جيشٍ وسيرَّه إلى بلاد فارس سنة ٢٣ هـ ففتح بلادًا ، منها أصبهان فى رواية . وتوفى سنة ٣٠ هـ . وهذه التربة المعروفة بسارية فى مصر فيها اختلاف ، فلم يثبت أنه مدفون بمصر ، والله أعلم .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٦٩ و ٧٠ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٠٦ ، والكواكب السيارة ص ٣٠٧ وغيرها من الصفحات] .

(٢) أى بجانب قبر صالح المبتلى ، وقيل معه فى التربة نفسها . [انظر الكواكب السيارة ص ٣٠٧] .

(٣) فى أسد الغابة : « فالتفتَ الناسُ بعضهم إلى بعض ، فقال علىٌّ : ليخرجُنَّ مِمَّا قال . فلما فرغ من صلاته قال له علىٌّ : ماشىء سَنَحَ لك فى خُطبتك ؟ قال : وماهو ؟ قال : قولك : ياساريةُ ، الجبَلَ الجَبَلَ ، من استرعى الذئب ظلم . قال : وهل كان ذلك منى ؟ قال : نعم . قال : وقع فى خَلَدِى أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا مَنْ وجدوا ، وقد ظفروا ، وإنْ جاوزوا هلكوا ، فخرج منى ما تزعم أنك سمعته .. قال - راوى الحديث عبد الله بن عمر عن أبيه - فجاء البشير بالفتح بعد شهر ، فذكر أنه سمع فى ذلك اليوم ، فى تلك الساعة - حين جاوزوا الجبل - صوتًا يشبه صوت عمر : ياساريةُ ، الجَبَلَ الجَبَلَ ، قال : فعدلنا إليه ، ففتح الله علينا » وهذه الرواية مشهورة .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٣٠٦] .

[فقال] [١] : ما بالهم ؟ قال : إنك قُلْتَ : كذا وكذا فى أثناء الخطبة . قال له : لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِى حِينَ رأيتُ الكُفَّارَ قد أَحْدَقُوا بالمسلمين أَنْ صِحْتُ : « ياسَارِيَةُ الجَبَلَ » .

قال : فلما قال عمر ذلك لعبد الرحمٰن ، جاء عبد الرحمٰن إلى الناس وقال لهم : اعْلَمُوا أنَّ عُمَرَ ، رضى الله عنه ، لم يَدْخُلْ فى شَىءٍ إلَّا كان له منه مَخْرَجٌ ، ولا يتكلَّم إلَّا بما فيه فائدة . ثم أخبرهم بخبر « سارية » .

فلمَّا كان بعد مُدَّةٍ جاء رسولُ سارية وأَخْبَرَ أَنَّ سَارية ظفرَ وانتصَرَ ، ودَفَعَ كتابًا مِنْ سَارِيَةَ إلى عُمر ، فقرأ عُمَرُ الكتابَ على الناس .. أَخْبَرَ سَارِيَةُ أَنَّ المسلمين قاتلهم الكُفَّارُ يومَ جُمُعَةٍ من أول النهار إلى وقت الزوال ، وأَنَّا سَمِعْنَا صَوْتًا ينادى : « ياسَارِيَةُ ، الجَبَلَ » فَانْزَوَيْنَا إلى الجبل ، ثم رَجَعْنَا على المشركين وقاتلناهم ، وهزمناهم [٢] .

فقال الصحابة ، رضوان الله عليهم : إنَّ عُمَرَ مُؤَيَّدٌ [٣] من الله عزَّ وجَلَّ بالبصيرة التامَّة . (انتهى) .

قبر القارىء أبى حَفْصٍ العَمْرُوشِىّ [٤] :

ثم تجىء إلى قبر « العمروشى » ، يُكْنَى أبا حَفْصٍ ، واسمه عمر ، كان - رضى الله عنه - مقيمًا بالجامع العَمْرِىّ ، وكان يقرأ على كل عَمُودٍ من عُمُدِ الجامع خَتْمًا كاملًا إلى أنْ مات . وهو يُعْرَفُ إلى الآن بالقارىء .

---

(١) مابين المعقوفتين زيادة لم ترد فى « م » .

(٢) فى « م » : « وماكناهم » تصحيف .

(٣) فى « م » : « يؤيد » تصحيف .

(٤) العنوان من عندنا .. وهو معدود من طبقة القراء . [وانظر الكواكب السيارة ص ٣٠٩] .

تُربة القاضى الفاضل [١] :

ثم تأتى إلى تُربة القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسَانى ، وهو القاضى الفاضل مُحْيِى الدِّين أبو على ، عبد الرحيم ، ابن القاضى الأشرف أبى الحسَن [٢] علىّ ابن الحسَن بن أحمد بن الفرج بن أحمد بن عبد الله ، اللَّخْمِىُّ الأَصْل ، العَسْقَلانِىُّ المَوْلِد ، البَيْسَانى ، المصرى الدار والوفاة ، الشافعىّ .

كان والده قاضيًا بمدينة بَيْسَان . قال الحافظ عبد العظيم [٣] : « وبَيْسَان هذه التى نُسِبَ إليها هى قصبة غور الأردن من أرض الشام » . وقيل : إنها المذكورة فى حديث الجسَّاسة [٤] . وبَيْسَانُ أيضًا من نواحى « اليمامة » . وبَيْسَان أيضًا قرية من قرى « مَرْو » . وبَيْسَان مَوْضِعٌ جاء ذِكْرُهُ فى غَزْوَة ذى قَرَد . ولأَجْلِ ولاية والده القضاء بها نُسِبَ هذا الفاضِلُ إليها ، وكان والده قاضيًا بَعسْقَلان قبل ولاية بَيْسان .

وكانت ولادته يوم الاثنين خامس عشر جُمَادَى الآخرة سنة ٥٢٩ هـ [٥] . ثم قَدِمَ القاهرة وخَدَمَ الموفق يوسف بن محمد بن الخلال [٦] صاحب ديوان الإنشاء فى أيام الحافظ لدين الله ، وعنه أخذ صناعة الإنشاء .

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٣٤٦ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٨ – ١٦٣ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٥٦ – ١٥٨ ، وطبقات الشافعية ج ٧ ص ١٦٦ – ١٦٨ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٥٦٤ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٤ – ٣٢٧] .

(٢) فى « م » : « أبا الحسن » لا تصح .

(٣) هو الحافظ عبد العظيم المنذرى .

(٤) الجسَّاسَة : دابَّة يزعمون أنها فى جزائر البحر تجسُّ الأخبار وتأتى بها الدَّجَّال [وانظر حديث الجسَّاسة فى معجم البلدان ج ٤ ص ٥٣ مادة طَيْبَة ، وج ١ ص ٥٢٧ مادة بيسان ، ولسان العرب مادة جسس] .

(٥) هذه العبارة فى « م » فيها اضطراب فى سياقها ، والتصويب من الوفيات والمراجع التى ترجمت له .

(٦) فى « م » : « ابن جلال » خطأ ، والتصويب من الوفيات ج ٧ ص ٢١٩ .

ثم خدم بالإسكندرية مُدَّة عند قاضيها محمد بن حديد [١] . وكانت كُتُبه تَرِدُ غايةً فى البلاغَة [٢] . ولا يزال يتنقل فى الخِدَمِ الديوانية بها أيضًا ، فلما قام بوزارة مصر العادل بن رُزِّيك المُلَقَّب بِرزِّيك بن الصالح طلائع بن رُزِّيك [كَتَبَ] [٣] إلى والى الإسكندرية بِتَسْيِيرِه إلى الباب ، فلما حضَرَ استخدمه بحضرته وبين يديه فى ديوان الجيش ، فلما مات الموفق بن الخلال فى سنة ٥٦٦ هـ ، وكان القاضى آنَ ذاك نائبًا عنه فى ديوان الإنشاء ، عَيَّنَهُ الكامل بن شاور بن مجير ، وهو والد الوزير ، وسَعَى له عند أبيه ، فأَقَرَّهُ عوضًا عن ابن الخلال ، فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج إلى كاتب ، فأحضره وأُعجِبَ بِنَفَاذه وسَمْتِه ونَصْحَتِه [٤] ، فاستكتبه ، إلى أنْ ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فاختفى قليلا لَمَّا قامت الفتنة بين العاضد الفاطمى والسلطان صلاح الدين ، ونُهْبَة [٥] أمواله ، ثم أنه ذكر السلطان صلاح الدين وأثْنَى عليه عنده . قال : فدعاه واستخلصه وحَسُنَ اعتقاده فيه ، فاستعان به على إزالة الدولة الفاطمية .

فلما تم للسلطان ما أَرَادَ ، اتَّخَذَ القَاضِىَ وزيرًا ومُشِيرًا ، بحيث كان لا يُصْدِرُ أمرًا إلَّا عن مَشُورَته ، ولا يُنَفِّذُ شيئًا إلَّا من رَأْيه ، ولا يُحْكِمُ قضيةً إلَّا بتدبيره .

فلما مات السُّلطان صلاح الدين استمرَّ على ما كان عليه عند وَلَدِهِ الملك العزيز عثمان فى الرِّفْعَةِ والمكانة ، فلما مات العزيزُ وقام مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ المَلِكُ

---

(١) فى « م » : « بن جرير » تصحيف ، والتصويب من المصدر السابق ص ٢٢١ .
(٢) فى « م » : « فى غاية البلاغة » .
(٣) مابين المعقوفتين من عندنا لاستقامة المعنى .
(٤) بنفاذه : بمهارته وقضائه الأعمال وإنفاذها . وسَمْته : هيئته . ونَصْحَته : إخلاص مشورته .
(٥) النُّهْبَة : الانتهاب .

المنصور بالمُلْكِ ، بِتَدْبِيرِ [١] عَمِّه الأفضل [نور الدين ، كان أيضًا على حاله ، ولم يزل كذلك إلى أن وصل] المَلِكُ العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لِأَخْذِ دِيارِ مِصر ، وخرجَ الأفضلُ لقتاله ، [وعند دُخوله القاهرة] مات القاضِى [الفاضِلُ] [٢] ساكتًا ، أَحْوَجَ ما كان إلى الموت ، عند تَوَلِّى الإِقْبال ، وإِقْبَالِ الإِدْبَار ، فى سَحَرِ يوم الأربعاء ، سابع عشر ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هـ ، ودُفِنَ بهذه التربة [٣] .

قال بعض المؤرخين فى ترجمته : وَزَرَ القاضى الفاضل للسلطان صلاح الدين ، وتمكَّنَ منه غاية التمكين ، وبَرَزَ [٤] فى صناعة الإنشاء ، وفَاقَ [٥] المتقدمين ، وله فيه الغرائبُ مع الإكثار [٦] .

وأخبرنى [٧] أَحَدُ الفُضَلاءِ الثِّقَاتِ المُطَّلِعِينَ عَلَى حقيقة أَمْرِهِ أَنَّ مُسَوَّدَات رسائله [٨] فى المجلدات والتعليقات فى الأوراق إذا جُمعت ما تقصر عن مائة مجلد ، وهو مُجِيدٌ [٩] فى أكثرها .

وقال عبد اللطيف البغدادى : دخلنا عليه فَرَأَيْنَا شيخًا ضئيلًا ، كُلُّه رأسٌ وقَلْبٌ ، وهو يكتب ويُمْلى على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلعبُ بألوانِ الحركات ، لِقُوَّةِ حِرْصِهِ على إخراج الكلام ، وكان يكتب بجملة أعضائه ، وكان له

---

(١) هكذا فى الوفيات .. وفى « م » : « ودَبَّرَهُ بتدبير » .

(٢) مابين المعقوفتين عن الوفيات وسقط من « م » سهوًا من الناسخ – فى المواضع الثلاثة .

(٣) أى : التربة المشار إليها بسفح المقطم فى القرافة الصغرى ، ومازالت قائمة إلى اليوم .

(٤) فى « م » : « فوز » تصحيف . والتصويب من الوفيات ج ٣ ص ١٥٨ .

(٥) فى « م » : « وقال » تصحيف ، والتصويب من المصدر السابق .

(٦) فى « م » : « وله فى الغرائب من الإكثار » فيها بعض تحريف ، وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٧) هكذا الفعل فى الوفيات (ج ٣ ص ١٥٨) والمُخْبَر هنا هو المؤلف الموفق بن عثمان ، حيث كان معاصرًا له .

(٨) فى « م » : « الرسائل » .

(٩) فى « م » : « جيد » .

غرامٌ [١] بالكتابة وبتحصيل الكتب . وكان من الدِّين والعَفافِ والتُّقَى ، والمواظبة على قيام الليل ، والصيام ، وقراءة القرآن على جانب كبير ، قيل : كان يقرأ فى اليوم والليلة خَتْمًا كاملًا .

وكان قليل اللَّذَّات ، كثير الحَسَنات ، دائم التهجد ، كثير الاشتغال بعلوم الأدب وتفسير القرآن ، غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو ، ولكن قُوَّة الدُّرْبَة تُوجب له قِلَّة اللحن . وكان لايكاد يضيع شيئًا من زمانه إلَّا فى طاعة .

وسمع الحديث من جماعة ، كالحافظ السِّلَفِى ، والحافظ ابن عساكر ، وغيرهما . وكَتَبَ فى الإنشاء مالم يكتبه أَحَد ، وكان مُتَقَلِّلًا فى مَطْعَمِهِ ومَلْبَسِهِ ومَنْكَحِهِ ، وكان يكثر [٢] من لباس البياض ، لا يُساوِى ما عليه - إنْ قُوِّمَ - أَكْثَرَ من خَمْسَةِ [٣] دنانير صَلاحِيَّة [٤] .

وكان إذا ركب كان معه غلامٌ ، وكان لا يُمَكِّنُ أَحَدًا من صُحْبَتِهِ ، وكان يكثر زيارة القبور ، وتشييع الجنائز ، وعيادة المرضى ، وله معروفٌ فى السِّرِّ والعلانية .

وكان [٥] وزيرًا صالحًا ، مجتهدًا ، عالِمًا ، لم ينطق قَطُّ إلَّا فى إيصالِ رِزْقٍ أو مَعُونَةِ محتاجٍ ، أو تجديد نعمة . وأَوْقَفَ أَوْقَافًا على الفقراء والمساكين بالحرمين وغيرهما . وأنشأ مدرسته [بدرب] [٦] مُلُوخِيًّا بالقاهرة ، بجوار

---

(١) فى « م » : « غرامًا » خطأ فى اللغة ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) فى « م » : « كثير » وما أثبتناه هو المناسب مع حرف الجر « من » .

(٣) فى « م » : « خمس » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) نسبة إلى صلاح الدين .

(٥) الفعل « وكان » سقط سهوًا من الناسخ فى « م » .

(٦) مابين المعقوفتين عن الوفيات ولم يرد فى « م » .. ودرب ملوخيا هو مايُعرف اليوم بدرب القزازين ، وقد افتتحت هذه المدرسة للتدريس يوم السبت مستهل المحرم من سنة ٥٨٠ هـ .
[انظر الخطط التوفيقية ج ٦ ص ٣١ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٦٢] .

داره ، وَأَوْقَف جميع كتبه وأقرهم بها ، ودَرَّسَ بها الشاطبى علوم القرآن ، والفقهاء [1] الفرائض . وجَدَّدَ عمارة العين الزرقاء التى بمدينة النبى ﷺ ، وحصل لأهل المدينة بها نفعٌ عظيم . وما تَركَ [2] – رحمه الله تعالى – باباً من أبواب الخير إلَّا وأَحْرَزَ منه أَوْفَى نصيب . [وأَوْقَفَ] [3] وَقْفًا عظيمًا على فكاك الأَسْرَى من أيدى الكُفَّار .

وحكى أنه خرج يوماً إلى صحراء القاهرة راكبًا ، فلقيه لصٌّ وَرَاوَدَهُ على أَخْذِ ثيابه ، فقال له الفاضل : هل تريد شيئًا غير الثياب والبغلة ؟ قال : لا . فقال له : سِرْ معى إلى دارى ، وَاحْمِلْنِى على مُروءَتِى . قال : نعم رَضيتُ ذلك . ثم سار معه وهو لا يعرفه ، إلى أنْ وصَلَ إلى باب النصر ، فلما دَخَل القاضى من باب النصر قام له خَدَمُهُ وأعوانُهُ ، فقال لهم : احفظوا هذا الرَّجُلَ إلى الدَّار . فأيقن الرجلُ أنه لا مَحَالَةَ هالكٌ . فلما وصل القاضى إلى داره ، واستقر فى مجلسه ، دعا بالرجل فَأُدْخِلَ عليه وقد ارتَاعَ ، فقال : لا تَخَفْ يارَجُل . ثم إنه دعا بطعامٍ فأَطْعَمه ، ثم دَعَا بشرابٍ وسقاه ، ثم دَفَع له البَغْلَة والثياب ، ودفع له جائزةً أُخْرَى فوق ذلك .

ونُقل أيضًا عنه أنَّ رجلًا زَوَّرَ توقيعًا بخط صلاح الدين أنَّهُ أَعْطَاهُ رِزْقَهُ فى مكانٍ ، ثم كُشِفَ أَمْرُهُ لإنسانٍ ، فَوَشَى به إلى السلطان صلاح الدين ، فدعاه

---

(١) فى « م » : « والكلاى » لا معنى لها .. وما أثبتناه من الخطط المقريزية وفيها : « ووقفها – أى المدرسة المذكورة – على طائفتى الفقهاء الشافعية والمالكية ، وجعل فيها قاعه للإقراء ، أقرأ فيها الإمام أبو محمد الشاطبى ناظم الشاطبية و ... ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب فى سائر العلوم ، يقال إنها كانت مائة ألف مجلد .. وقد ذهبت كلها لما وقع الغلاء بمصر فى سنة ٦٩٤ هـ ، فصار الطلبة يبيعون كل مجلد برغيف خبز ، حتى ذهب معظم ماكان فيها من الكتب ، ثم تداولت أيدى الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت .. » .

[انظر المدرسة الفاضلية فى الخطط المقريزية ج ٢ ص ٣٦٦ و ٣٦٧] .

(٢) فى « م » : « وترك » لا يصح ، وقد سقطت « ما » سهوًا من الناسخ ، والسياق يستدعى وجودها .

(٣) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا لاستقامة المعنى .

وقال : أين التوقيع الذى فى يَدِكَ ؟ فَأَبْرَزَهُ له ، فلما [١] رآهُ السلطان غَضِبَ غضبًا عظيمًا وقال : كأنَّهُ – والله خَطِّى ! ثم أَمَرَ بقطع يد الرَّجُل . فقال القاضى : يامولانا ، نريدُ مِنْ فَضْلِكُم أَنْ تكتبوا لنا خَطَّكُم بجانب خَطِّه حتى نَرى ما بينهما من الفَرْق . فقال السلطان : نعم . ثم رقم اسمه ، فلما رآه الفاضل قال : لا إلـه إلَّا الله !! كان باطلًا فصَارَ حقًّا ، إن الله تعالى قد أَذَلَّ قَلَمَهُ وأَعَزَّ قَلَمَكَ ، وما كان لكَ أَنْ تكتب شيئًا ولا تمضيه .

فتبَسَّمَ السُّلطان وعَفَا عن الرجل ، كُلُّ ذا بِلُطْفٍ من القاضى .

وقد وَصَفَهُ العماد الأصفانى فى كتاب الخريدة ، وقال فى حقه : « رَبُّ القَلم وَالْبَيان ، واللَّسَن واللِّسَان ، والقَرِيحَةِ الوَقَّادَة ، والبصيرة النَّقَّادَةِ [٢] ، والبَدِيهَة المُعْجِزَة ، والبَدِيعَةِ المُطَرِّزَة ، والفَضْل الذى ما سُمِعَ مِنَ الأوائل [٣] ، فهو كالشريعة المحمدية التى نَسَخَتِ الشرائع ، ورسَخَتْ بها الصَّنائع ، يخترعُ الأفكار ، ويفترع [٤] الأبكار ، ويُطْلع الأنوار ، ويُبدع الأزهار ، وهو ضَابِطُ المُلْكِ بآرائه ، ورابط السِّلْكِ بآلائه ، إنْ شَاءَ [أَنْشَأَ] [٥] فى اليوم الواحد ، بل فى السَّاعة الواحدة ، مالَوْ دُوِّنَ لَكَانَ لِأَهْلِ الصِّناعَةِ خَيْرَ بضاعة .

أَيْنَ قُسٌّ [٦] عند فصاحته ؟ وأين قيسٌ فى مقام حصافته [٧] ، ومَنْ

---

(١) فى « م » : « فلما أن » تحريف من « فما أن » .

(٢) فى « م » : « الناقدة » ، وما أثبتناه عن النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٥٦ ، والوفيات ج ٣ ص ١٥٩ .

(٣) هكذا العبارة فى « م » – وفى المصدرين السابقين : « الذى ما سُمِع فى الأوائل بمَن لو عاش فى زمانه لتعلق بغباره ، أو جَرَى فى مضماره » .

(٤) فى « م » : « ويقترع » بالقاف ، لا تصح ، وافترع البِكْرَ : افتضها ، وهذا التعبير هنا كناية على تفوقه وبراعته ونبوغه .

(٥) مابين المعقوفتين عن المصدرين السابقين وسقط من « م » سهوًا من الناسخ .

(٦) فى « م » : « قيس » تحريف . وقُس هو : قُسُّ بن ساعدة الإيادى ، ويضرب به المثل فى الفصاحة .

(٧) فى « م » : « خصافة » تصحيف ، والتصويب من الوفيات والحصافة : استحكام العقل وجَوْدَة الرأى .

حاتمٌ [١] وعَمْرو فى سماحته وحماسته ؟ .. » . وأطال القول فى تقريظه [٢] .

ومن رسائله رسالة كَتَبَها على يد خطيب عَيْذَاب إلى صلاح الدين يوسف ابن أيوب يشفع عنده فى الخطيب أن يكون خطيبًا بجامع الكرك [٣] . صورتها بعد البسملة الشريفة : « أدامَ اللهُ السلطان [٤] الملك الناصر وثَبَّتَهُ ، وتَقَبَّلَ عَمَلَهُ بِقَبُولٍ صالحٍ وأَنْبَتَهُ ، وأَرْغَمَ أَنْفَ عَدُوِّهِ بسَيْفِه وكَبَتَهُ [٥] ، خدمةُ المَمْلُوكِ هذه واردةٌ [٦] على يد خطيب عَيْذاب ، ولما نبا [٧] به المنزل عنها ، وقَلَّ عليه المرفق [٨] فيها ، وسمع بهذه الفتوحات التى طَبَّقَ الأَرْضَ ذِكْرُهَا ، ووجب على أهلها شكرها ، هَاجَرَ من هجير عَيْذَاب وملحها ، ساريًا فى ليلة أَمْنٍ [٩] كلها نهار ، فلا يسأل عن صُبْحِهَا ، وقد رَغِبَ فى خطابة الكَرَك وهو خطيب ، وتَوسَّلَ بالمملوك فى هذا المُلْتَمَسِ وهو قريب ، ونَزَع من مصر إلى الشام ، ومن عَيْذَاب إلى الكَرَك ، وهذا عجيب ، والفقر سائق عنيف [١٠] ، والمذكور عائل ضعيف ، ولُطْفُ الله بالخَلْقِ بوجود مولانا لَطِيف [١١] ، والسلام » .

---

(١) هو حاتم الطائى المشهور بالكرم .

(٢) فى « م » : « واطلال » مكان « وأطال » تحريف ، وما أثبتناه عن المصدر السابق . والتقريظ : المدح .

(٣) فى المصدر السابق : « يشفع له فى توليته خطابة الكرك » .

(٤) قوله : « أدام الله السلطان » عن المصدر السابق ، وسقط من « م » سهوًا من الناسخ .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى المصدر السابق : « وأخذ عَدُوَّه قائلًا أو بيته ، وأرغم أنفه بسيفه وكَبَتَه » .

(٦) فى « م » : « خدمة الملوك واردة » وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٧) فى « م » : « غيد اب » مكان « عَيْذاب » فى كل المواضع وقد صوبناه بالرجوع إلى المراجع المذكورة .. و« بنا » مكان « نبا » .

(٨) فى « م » : « الموقف » تحريف .

(٩) فى المصدر السابق : « أَمَل » مكان « أَمْن » .

(١٠) فى « م » : « عتيق » تحريف ، والتصويب من المصدر السابق .

(١١) فى « م » : « اللطيف » وما هنا عن المصدر السابق .

وقيل : إنه مَرَّ فى بعض الأيام فوجد العماد الكاتب ، فقال له : « دَامَ عُلاَ العِمَاد » . فقال العماد له مُجيبًا : « سِرْ [1] فَلا كَبَا بِكَ الفَرَسُ » .

وهاتين اللَّطِيفَتَيْنِ تُقْرَأُ كُلُّ واحدة منهما طَرْدًا وعَكْسًا [2] .

ومِنْ شعره – رحمه الله – وقد تَشَوَّقَ إلى نيل مصر [عند] [3] وصوله إلى الفرات فى خدمة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، رضى الله عنه ، يقول :

بِـاللهِ قُـلْ لِلنِّيـلِ عَنِّـى إنَّنِـى ... لَمْ أَشْفِ مِنْ مَاءِ الفُرَاتِ غَلِيلَا

وَسَلِ الفُـؤَادَ فَإنَّـهُ لى شَاهِـدٌ ... إنْ كَانَ جَفْنِى بالدموعِ بَخِيلَا [4]

ياقَلْبُ كَـمْ خَلَّـفْتَ ثَـمَّ بُثَيْنَـةً ... وأُعِيذُ صَبْرَكَ أَنْ يَكُونَ جَمِيلَا [5]

وكان كثيرًا ما ينشد ويقول [6] :

وإذَا السَّعَادَةُ لاَحَظَتْكَ عُيُونُهَـا ... نَمْ فَالمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَـانُ [7]

وَاصْطَدْ بِهَا العَنْقَاءَ فهى حَبَائِل ... وَاقْتَدْ بها الْجَوْزَاء فهى عِنَانُ [8]

ومن شعره [9] :

بِتْنَـا عَلَـى حَـالٍ يَسُرُّ الهَـوَى ... ورُبَّمَـــا لا يمكـــن الشَّرْحُ

---

(١) فى « م » : « سره » تحريف .

(٢) أى : تُقْرَأُ من آخر حرف فى كل جملة ، كما تقرأ من أول حرف فيها .

(٣) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق ، وسقط من « م » سَهْوًا من الناسخ .

(٤) الشطرة الثانية من البيت فى « م » بها تحريف ، فقد كرر الناسخ الفعل « كان » وفيها : « بالدوع بخيل » هكذا مكان « بالدموع بخيلا » . وما أثبتناه عن الوفيات (ج ٣ ص ١٦٠) .

(٥) فى « م » : « وأعيذ ... جميل » خطأ ، والصواب ما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٦) فى وفيات الأعيان : « وكان كثيرًا ماينشد لابن مكنسة ، وهو أبو طاهر إسماعيل بن محمد ابن الحسين القُرشى الإسكندرى » .

(٧) وفى بعض الروايات : « وإذا العناية لاحَظَتْكَ عُيونها » .

(٨) فى « م » : « النقا » تحريف . والعنقاء : طائر خرافى ، لا وجود لها . والجَوْزاء : برج من بروج السماء .

(٩) فى « م » : « غيره » أى : غير الشعر الذى ذُكر مكان « ومن شعره » ، وما أثبتناه هنا عن الوفيات .

بَوَّابُنَا اللَّيْلُ ، وقُلْنَا لَهُ : إنْ غِبْتَ عَنَّا دَخَلَ الصُّبْحُ

ومُلَحُهُ ونوادره كثيرة ، وشِعْره فى الذِّرْوَة الخطيرة ، وكان من مَحاسِن الدهر ، وهيهات أنْ يخلف الزمان مثله ، وما شىء كمثله .

قبر القاضى الأشرف ابن القاضى الفاضل [1] :

وإلى جانبه قبرُ وَلَدِهِ [القاضى] الأشرف بهاء الدين أبى العباس [أحمد] [2] . كان كبير المَنْزِلَة عند الملوك ، وكان مُكِبًّا [3] على سَماعِ الحديث وتحصيل الكُتُب . ومولده فى المحرم سنة ٥٧٣ هـ . وسمع من القاسم ابن عساكر وابن بنان الذى يُسمى الأمير ، والعماد الكاتب ، وجماعة ، وأَقْبَل على الحديث فى الكهولة [4] ، واجتهد فى الطلب ، وحَصَّلَ الأُصُول الكثيرة ، وسمع أولاده [5] ، وكان صَدْرًا نبيلا يصلح للوزارة .

وسمع ببغداد ودمشق ، ودَرَّسَ بمدرسة أبيه ، وكان مجموعَ الفضائِلِ ، كثيرَ الأَفْضَالِ على المُحَدِّثِينَ [6] ، استَوْزَرَهُ الملكُ العادلُ ، فلما ماتَ عُرِضَتْ عليه الوزارة فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَها ، وكان الملكُ الكامل [7] قد سَيَّرَهُ بِرِسالة إلى بغداد ، فأنشدَ الوزيرُ يقول [8] :

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٦٣ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٢١٨] .

(٢) مابين المعقوفتين عن الوفيات فى الموضعين .

(٣) فى المصدر السابق : « وكان مثابرًا » .

(٤) فى « م » : « الهدلة » تصحيف ، والتصويب من شذرات الذهب .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى المصدر السابق : « فَسَمِعَ الكثير ، وكَتَبَ واسْتَنْسَخ ، وكان رئيسًا نبيلًا » .

(٦) أى : المشتغلين بعلم الحديث .

(٧) وهو ابن الملك العادل .

(٨) فى الوفيات : « فأنشد الوزير من نَظْمِه » .

يا أيُّهَا المَوْلَى الوَزِيرُ ومَنْ لَهُ   مِنَنٌ حَلَلْنَ مِنَ الزَّمَانِ وَثاقِى (١)
مَنْ شَاكِرٌ عَنِّى نَدَاكَ فَإِنَّنِى   مِنْ عُظمِ ما أوْلَيْتَ ضَاقَ نِطَاقِى (٢)
مِنَنٌ تَخِفُّ عَلَى يَدَيْكَ وَإِنَّمَا   ثَقُلَتْ مَئُونَتُهَا عَلَى الأَعْنَاقِ (٣)

ولمَّا دَخَلَ بغداد أظهر من الحِشْمَة والصَّدَقات والصلاة أمرًا عظيمًا ، وما أعطاه الخليفة من جوائز فَرَّقَهُ ، وحُسِبَ ما أنْفَقَهُ فى تلكَ المُدَّة ستة عَشَرَ ألف دينار .

وصلى عليه لمَّا مات وَلَدُهُ ضياء الدِّين (٤)

ومن شِعْرِه ، يقول :

قَدْ وَفَدَ الصُّبْحُ فَقُمْ نَصْطَبِحْ   مِنَ الَّذِى لا صَبْرَ لِى عَنْهُ (٥)
فَنَهْرُنَا قَدْ مَزَجَتْهُ الصَّبَا   فصار شاذ رواتـه منـه (٦)

وله أيضًا :

مِنْ شَرَفِ العِفَّةِ لا كانَ لى   فى غَيْرِهَا قَسْمٌ ولا رِزْقُ (٧)
[إنَّكَ إنْ رُحْتَ] بها موسِرًا   أحَبَّكَ الخالقُ والخَلْقُ (٨)

---

(١) فى « م » : « وقاق » تصحيف ، والتصويب من المصدر السابق .

(٢) هكذا فى المصدر السابق .. وفى « م » : « خناق » . والندى : الكَرَم .

(٣) هكذا فى المصدر السابق .. وفى « م » : « مِنَنٌ عَلَىَّ » مكان « مِنَنٌ تَخِفُّ » .. وفيها : « الأقناق » مكان « الأعناق » .. والأخيرة تصحيف من الناسخ . والمِنَن ، جَمعُ مِنَّة ، وهى : الإحسان والإنعام . وتخفُّ : تُسْرِع .

(٤) كانت وفاته فى سابع جُمادَى الآخرة سنة ٦٤٣ هـ .

(٥) نَصْطَبِح : نشربُ شرابَ الصباح .

(٦) هذا البيت غير مقروء فى « م » ولم أقف عليه فيما تحت يدى من المصادر ، وقد ورد فى « الوافى بالوفيات » . والصَّبَا ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار . ومزجته : خالطته .

(٧) القَسْمُ : مصدر بمعنى النصيب .

(٨) مابين المعقوفتين غير واضح ومشطوب فى « م » .

وله أيضًا :

أَسْتَـوْدِعُ اللهَ الَّذِيـنَ فَقَدْتُهُـمْ فَقْدَ العُيُونِ السَّاهِرَاتِ كَرَاهَا [١]
وَحَمِدْتُ رَبِى حَيْثُ كان لِقَاؤُهُمْ يَوْمًا على الحَالَيْنِ حِيـنَ يَرَاهَـا

* * *

قبر الإمام الشَّاطبى – القاسم بن فِيرُّه الرُّعَيْنِى [٢] :

وبالتربة المذكورة [٣] قبر الشيخ الإمام الفاضل ، العُمدة القاسم – ويقال : أبو القاسم ، على أنَّ كُنْيَتَهُ اسمه ، والمشهور الأول – ابن فِيرُّه [٤] بن أبى القاسم خَلَف بن أحمر الرُّعَيْنِى [٥] الشاطبى ، صاحب القصيدة المَوْسُومة بحِرْزِ الأَمَانِى ووجه التهانى فى القراءات السَّبع [٦] ولقد أبدع فيها إبداعًا عظيماً ، وهى عُمْدَةُ قُرَّاء العصر .

وله قصيدة دالية أحاط فيها بمقاصد التمهيد لابن عبد البر ، والقصيدة الرَّائية فى موسوم الخط ، وغير ذلك .

وسمع من جماعة ، منهم أبو الطَّاهر [٧] السَّلَفِى ، وأبو الحَسَن على بن محمد بن هُذَيْل ، وغيرهما . ورَوَى عنه ابن الجُمَّيْزِى ، والكمال الضرير ، والعَلَم

---

(١) الكَرَى : النُّعَاس والنوم .

(٢) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ١٨٠ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٧١ ، ومعجم الأدباء ج ١٦ ص ٢٩٣ ، والكواكب السيارة ص ٣١٠ ، وتحفة الأحباب ص ٤٣٦] .

(٣) أى : تربة القاضى الفاضل وابنه .

(٤) ستأتى بعد قليل .

(٥) فى « م » : « خلف الرعينى » وما أثبتناه عن المراجع السابقة .

(٦) هذه القصيدة عدتها ألْف ومائة وثلاثة وسبعون (١١٧٣) بيتًا .

(٧) فى « م » : « الظاهر » بالظاء المعجمة ، تحريف .

السخاوى (١) ، وغيرهم . ذكره النووى فى طبقاته ، وغيره ، وقال ابن خِلِّكان فى تاريخه : « كان عالمًا بكتاب الله عَزَّ وجَلَّ قراءةً وتفسيرًا ، وبحديث رسول الله ﷺ ، مُبرزًا فيه ، وكان إذا قُرِئَ عليه صحيح البُخارِى ومُسْلِم والمُوَطَّأُ تُصَحَّحُ (٢) النُّسَخُ من حِفْظِه . وكان أَوْحَدَ (٣) أهل عصره فى علم النحو واللغة ، عَارِفًا بعلم الرُّؤْيَا ، حَسَنَ المقاصِدِ ، مُخْلِصًا فيما يقول ويفعل » .

ومَوْلِدُهُ فى آخر سنة ٥٣٨ هـ . ودَخَلَ مصر سنة ٥٧٢ هـ ، وكان يقول عند دخوله إليها : إنه يحفظ وَقْرَ بَعِيرٍ [من العلوم] (٤) . ورَتَّبَهُ القاضى الفاضل بمدرسته للإقراء . وتوفى سنة ٥٩٠ هـ فى يوم الأحد بعد صلاة العصر ، الثامن والعشرين من جمادى الآخرة .

وفِيرُّه : بِكَسْرِ الفاء وسكون الياء المُثَنَّاة من تحت ، وتشديد (٥) الراء المُهْمَلَة المَضْمُومَة ، وهو بِلُغَة اللطينى (٦) من أعاجم الأندلس ، ومعناه بالعربى : الحديد .

والرُّعَيْنِى : بِضَمِّ الراء ، وفتح العين المهملة ، نِسْبَةً إلى « ذى رُعَيْن » من أَقْيَالِ اليمن (٧) .

والشَّاطِبى : نسبة إلى « شاطبة » ، مدينة بشرق الأندلس .

---

(١) هكذا فى « م » .. وهو الإمام علم الدين أبو الحسن على بن محمد السخاوى ، تلميذه وشارح قصيدته .

(٢) فى « م » : « وإذا قرأ على الصحيحان [هكذا] والموطأ يصح » ، وهذا خطأ وتحريف ، والتصويب من وفيات الأعيان .

(٣) فى « م » : « أحد » ، وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٤) مابين المعقوفتين عن المصدر السابق .

(٥) فى « م » : « شديد » تصحيف .

(٦) فى « م » : « بغلة » تحريف والتصويب من المصدر السابق . ويعنى بها « لُغة اللَّاتين » .

(٧) القَيْل : من ملوك اليمن فى الجاهلية . وجمعه : أقيال .

وكان كثيرًا ما يقول هذا اللُّغز .. يقول :

أتَعْرِفُ شيئًا فى السَّمَاءِ يَطِيرُ ... إذَا سَارَ صَاحَ النَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ [(١)]
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وتَلْقَاهُ رَاكِبًا ... وَكُلُّ أمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أسِيرُ
يَحُضُّ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبُهُ ... وتَنْفِرُ منه النَّفْسُ وهو نَذِيرُ
وَلَمْ يَسْتَزِرْ عَنْ رَغْبَةٍ فى زِيَارَةٍ ... ولَكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَزُورِ يَزُورُ [(٢)]

وحُكِيَ عنه قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ فى منامى عَشْرَ ليالٍ متوالية بالرَّوْضَة ، وقرأتُ عليه فيها القرآن ، فلما ختمتُ عليه ، قال لى : حَمَاكَ الله مِنَ الشُّبَه .

وإلى جانبه قبر ولده أبى عبد الله محمد بن القاسم الشاطبى ، حَدَّثَ عن أبيه ، وتوفى بالقاهرة (انتهى) .

* * *

قبر الفقيه العالم الشيخ أبى المعالى مُجَلّى [(٣)] :

ثم تخرج من التربة إلى تُربة بها محرابٌ بالحَجَر [(٤)] ، وهو على يسارك ، بها قبر الفقيه الإمام العالم مُجَلّى [(٥)] بن جُمَيْعٍ بن نَجَا القُرَشى المخزومى ،

---

(١) فى « م » : « يصير » تحريف ، والتصويب من الوفيات .

(٢) لم يَسْتَزِرْ ، أى : لم يُطْلَب أو يُسْأَل الزيارة - من الفعل : استزار ، بمعنى : سأل أن يُزار . وقد ورد هذا الشعر فى وفيات الأعيان .. وفى شذرات الذهب أنه كان - أى الشاطبى - كثيرًا ما ينشد هذا اللغز فى « نعش الموتى » .

(٣) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٨٠ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٥٤ - ١٥٨ ، وطبقات الشافعية ج ٧ ص ٢٧٧ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٥ ، وتحفة الأحباب ص ٤٣٦ ، والكواكب السيارة ص ٣١٠] .

(٤) فى الكواكب السيارة : لم يبق من آثار تربته إلّا محراب صغير .

(٥) فى « م » : « مجلى القرشى المخزومى » .

الأَرْسُوفِيّ [١] الأصل ، المصرى الدار ، المَكْنِى أَبَا المَعَالِى ، الفقيه الشافعى .

كان من أعيان الفقهاء ، [تفقه] [٢] المذكور على الفقيه سُلطان ، تلميذ الشيخ نصر المقدسى . قال بعضهم ، والكمال القليوبى [٣] ، قال عنه : إنه تَفَقَّه مِنْ غيرِ شيخ ، وسمع من أبى الحَجَّاج علىّ بن يوسف القضاعى ، والإمام أبى الحسَن الخِلعى [٤] ، وجماعة أُخر ، وسِوَاهُمَا ، وأُخَذَ عنه « العراق » شارح المُهَذَّب ، ومحفوظ بن على ، وأبى القاسم عبد الرحمٰــن بن محمد الصَّدفى ، ومحمد ابن ثابت بن فرج الجيزانى ، وغيرهم .

وكان رَجُلًا صالحاً ، عالماً ، وكان يسكن « قليوب » . وَوَلَّاه العادل ابن السَّلار القضاء بالديار المصرية [٥] سنة ٥٤٧ هـ ، ثم صُرِفَ عن القضاء [٦] سنة ٥٤٩ هـ . وقال : ما دَخَلْتُ القضاء إِلَّا لِضَرُورة ، [ولقد] بَعُدَ عَهْدُ أَهْلِى باللَّحْم ، فَأَخَذْتُ لهم منه ، فما هو إِلَّا أَنْ وضَعُوا أيديهم فيه [مَرَّةً] [٧] ثم لم يضعوها ثانية [٨] .

وصَنَّفَ كتابًا فى الفقه سَمَّاه « الذخائر » ، وهو كتابٌ جليلٌ مشهور ، مبسوط ، كثير الفروع والغرائب ، عزيزُ الوجود ، كاملٌ [٩] ، وقَفْتُ على

---

(١) الأرسوفى : نسبة إلى « أرسوف » وهى مدينة على ساحل بحر الشام .

(٢) مابين المعقوفتين لم يرد فى « م » .

(٣) فى الكواكب السيارة : « أخبرنا القاضى كمال الدين أحمد ، عُرف بابن القليوبى » .

(٤) فى « م » : « الخلفى » تحريف ، والتصويب من حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٠٤ ، وفى الكواكب السيارة : « رَوَى عن أبى الحسن على الخِلعى وغيره » .

(٥) فى « م » : « قضاء القضاة » .. وفى وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٥٤ : « تولى القضاء بتفويض من العادل أبى الحسن على بن السَّلار » .

(٦) فى « م » : « ثم عزل عنها » . وما أثبتناه عن المصدر السابق .

(٧) مابين المعقوفتين عن طبقات الشافعية ج ٧ ص ٢٧٨ فى الموضعين .

(٨) هكذا فى المصدر السابق .. وفى « م » : « ثم لم يضعوا لها ثانيًا » .. يشير إلى كثرة العيال وقلة الطعام .

(٩) فى « م » : « كاملًا » خطأً ، والصواب بالرفع .

مغظمه ، إلَّا أنَّ ترتيبه عجيب ، صعبٌ لِمَنْ يريد استخراج المسائل منه ، وفيه أوهامٌ [١] . وقد صَنَّفَ بعضُ الحَمَوِيِّين الواردين إلى مصر عقب موت مُجَلِّى كتابًا لطيفًا ذَكَرَ فيه أَوْهَامَه ، ولم يذكر فيه شيئًا طائلًا ، وأبانَ عن مُجْمَلٍ وعرضٍ .

ومنها [٢] كتاب « أدب القضاء » ، وكتاب « جوائز بعض المخالفين فى الفروع ببعض » ، صَنَّفَهُ فى تَوَجُّهِهِ إلى الحجاز الشريف . وله تصنيفٌ فى المسألة السريجية .

وكان جَيِّدًا ، حَسَنَ الخَطِّ [٣] ، حَسَنَ التعليق .

وتوفى فى شهر ذى القعدة الحرام سنة ٥٥٠ هـ . وقيل : سنة ٥٥٥ هـ . وقيل سنة ٥٦٥ هـ [٤] .

ومِنْ مَرْوِيَّاتِهِ التى رواها بسنده إلى أبى الدَّرْدَاء ، عن النبى ، ﷺ ، أنه قال : « المَسْجِدُ بيتُ كُلِّ تَقِىٍّ ، وقد ضَمِنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ كانت المساجدُ بُيوتَهُم الرَّوْحَ والرَّاحَةَ ، والجَوازَ على الصِّراطِ إلى رضوان الله عَزَّ وجَلَّ » (انتهى) .

تربة الشيخ أبى عبد الرحمٰن رسْلان [٥] :

ثم تجىء إلى تُربة الشيخ الصالح الفقيه أبى عبد الرحمٰن رسلان بن عبد الله المقرى الشافعى ، يُكْنَى أيضًا أبا محمد ، كان فى حَالِ حياته مقيمًا بزاويته ؛

---

(١) قال الأذرعى عنه : « إنه كثير الوهم ، قال : ويستمد من كلام الغزالى ويعزوه إلى الأصحاب ، قال : وذلك عادته » .

[انظر شذرات الذهب ج ٤ ص ١٥٧] .

(٢) أى : من تصانيفه .

(٣) فى طبقات الشافعية : « جيد الحفظ » .

(٤) ذكرت أكثر المراجع التى ترجمت له أن وفاته كانت سنة ٥٥٠ هـ .

(٥) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى كرامات الأولياء ج ٢ ص ٧٥ ، والكواكب السيارة ص ٣١١ ، وتحفة الأحباب ص ٤٣٧] .

وحُكِيَ عنه أنه مَرَّ على رَجُلٍ يبيع الحِنْطَةَ ، فسَلَّمَ عليه ، وسأله أَنْ يَضَعَ يَدَهُ فى حِنْطَتِهِ ، فوضَعَ الشيخُ يده فى الحنطة ، فأقامَ الرجلُ ثلاثةَ أيّام يبيع بيعًا كثيرًا ، والقمحُ بحاله ، فَمَرَّ عليه فى اليوم الرابع رجلٌ يهوديٌّ فوَضَعَ يَدَهُ فى الحنطة ثم مَضَى ، فَنَفِدَ القمحُ فى الحال .

وحُكِيَ عنه ، رضى الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أقاربه جاءه زائرًا من بلاد الريف وأَهْدَى له جَرَّةً من اللَّبَنِ ، فأَخَذَها الشيخ منه ، وأَضَافَهُ فى تلك الليلة ، فلمَّا أَصْبَحَ الصباحُ من اليوم الثانى قال الرجل : إنى أريد التَّوَجُّه (١) ، فقال له الشيخ : اصْبِرْ . ثم عَمَدَ الشيخ (٢) إلى جَرَّتِه التى جاء بها ، فَمَلأَهَا ماءً ، ودَفَعَ الجَرَّةَ له ، وقال له : لا تَفْتَحْهَا إلّا فى بلدك . فأَخَذَ الرجل الجَرَّةَ وسَافَر إلى بلده ، فلما وَصَلَ إلى داره (٣) قال لامرأته : افْتَحِى هذه الجَرَّةَ ، فَفَتَحَتْهَا ، فوجَدَتْ عَسَلًا صافيًا من عسل النحل (٤) الجيد . وهذا من بعض كراماته . وكانت وفاته سنة ٥٧١ هـ فى ثانى عشر شوال .

ومِمَّا نُقِلَ أيضًا من كراماته – وهو ما حكاه عبد الرَّحمٰن السُّلَمِىّ (٥) – أنه قال : كانت لنا بئرٌ فى دارنا ، وكانت مالحةً لايقدرُ أَحَدٌ على الانتفاع بشىء من مائها لشِدَّةِ ملوحته ، وكنتُ أتألم ألماً شديدًا لذلك (٦) . قال : فنمتُ فى بعض الليالى فرأيتُ قائلًا يقول لى فى المنام : إذا أَصْبَحْتَ فَاذْهَبْ إلى

---

(١) أى : أريد السفر إلى بلدى .

(٢) فى « م » : « ثم إن الشيخ عمد » .

(٣) فى « م » : « وصل داره » .

(٤) فى « م » : « العسل النحل » .

(٥) أى حكى ذلك على لسان أحد معاصريه ، أو ذكره فى كتاب من كتبه ، إذ أن عبد الرحمٰن السُّلَمِى لم يدركه ، فقد كانت وفاته سنة ٤١٢ هـ .

(٦) فى « م » : « لكونها » مكان « لذلك » .

الشيخ رسلان وَأَمْرُهُ أَنْ يَتْفُلَ فيها (١) . قال : فلما أصبحتُ جئتُ إليه وأخبرتُه بالرُّؤْيَا التى رأيتُها ، فَضَحِكَ وقال : أَفْعَلُ ما عَلَىَّ (٢) .

ثم إنه قَامَ معى إلى منزلى وتَفَلَ فى البئر ، فعادَتْ للوقت (٣) حُلْوَةً .

(انتهى) .

* * *

قبر الفقيه أبى القاسم عبد الرحمٰن بن رسلان (٤) :

وإلى جانبه قبر ولده أبى القاسم عبد الرَّحمٰن بن رسلان ، كان إماماً فقيهًا مُحَدِّثًا ، وهو الذى جَدَّدَ بناء المسجد المعروف ، بوالده ، الذى هو برأس اليانسية ، ولمَّا فرغ من بنائه قال لأصحابه : بقى المسجد محتاجًا إلى بئر ، وليس معنا ما نصرفه على عمارتها . ثم إنه نام تلك الليلة ، فلما أَصْبَحَ وصَلَّى الصُّبْحَ وَجَدَ صُرَّةً تحت السَّجَّادة ، ففتحها ، فوجد فيها خمسَةً (٥) وعشرينَ دينارًا ، ووجَدَ فيها رُقْعَةً ، مكتوب (٦) فيها بِرَسْمِ عمارة البئر . ولم يعلم من أين جاءت .

* * *

(١) أى : يبصق .

(٢) فى « م » : « وما علىَّ » ويكون التقدير : وما علىَّ بأس .

(٣) للوقت : فى الحال .

(٤) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ٣١١ و ٣١٢] .

(٥) فى « م » : « خمسًا » لا تصح .

(٦) هكذا فى « م » وفى المصدر السابق ، بالرفع ، على الابتداء ، ويصح فيها النصب على الوصفية .

قبر الفقيه أبي عبد الله محمد بن رسلان (١) :

وإلى جانبه قبر أخيه أبي عبد الله (٢) محمد ، كان ملازمًا لتلاوة القرآن ، وكان خَيَّاطًا . ذُكِرَ عنه أنه كان إذا خاطَ لأَحَدٍ شيئًا وجاءَهُ بالأُجْرَةِ ، فإنْ كان ما دفعه حلالًا وجَدَ الطَّوْقَ مفتوحاً ، وإنْ كان حرامًا وَجَدَ الطَّوْق مسدودًا إلى أنْ يأتي بأَجْوَدَ منه (٣) .

وكان أبناء الدُّنيا يَدَعُونَ له الأموالَ فيأبى أَنْ يَقْبَلَها (٤) . وكانت وفاته في سنة ٥٩١ هـ .

قبر الإمام أبي محمد بن أبي الفتح الكتامي الشارعي (٥) :

وبجانبهم قبر الإمام أبي (٦) محمد بن أبي الفتح الكتامي الشارعي ، المقرىء المُحَدِّث الفاضل ، سَمِعَ من البوصيري ، والقاسم بن علّي الدمشقي ، وعثمان ابن فرج العبدري ، وغيرهم . وأجَازَ له السُّهَيْلي وغيره . ومولده – ظَنًّا – في سنة ٥٥٨ هـ . وتوفي بالشارع ، ظاهر القاهرة ، في ليلة الأربعاء الثاني عشر من جُمَادَى الآخرة سنة ٦٣٩ هـ .

---

(١) العنوان من عندنا . [وانظر الكواكب السيارة ص ٣١١ ، وتحفة الأحباب ص ٤٣٨] .

(٢) في « م » : « أبي عبد الرحمٰن » وما أثبتناه عن المصدرين السابقين . أما أبو عبد الرحمٰن فهو المعروف برسلان الفقيه .

(٣) هكذا في « م » .. وفي الكواكب السيارة : « كان يخيط الثوب بدرهم ، فإن أعطاه صاحب الثوب درهمًا طيبًا وجد الثوب مفتوحًا ، وإن أعطاه درهمًا رديئًا وجد الثوب مسدودًا ، فيعود إليه فيقول : خُذْ درهمك فإنه ليس بجيد ، فيعطيه غيره فيجد الثوب مفتوحًا » . والطوق : الفتحة المستديرة في أعلى الثوب . وفي « م » : « الطرق » بالراء ، تحريف .

(٤) في « م » : « فيأبى عن قبول ما يدفعون » .

(٥) العنوان من عندنا .

(٦) في « م » : « أبو » لا تصح .

قبر أبى المنيع رافع بن دغش الأنصارى [١] :

ثم تمشى إلى [الغرب] [٢] وأنت طالبٌ تُربة الشّافِعىّ ، [رضى الله عنه] تجد قبر أبى المنيع رافع بن دغش [٣] الأنصارى [رحمه الله] . سمع الحديث [٤] ، وحَدَّثَ عن أبى القاسم مكى بن عبد السلام الرُّمَيْلى [٥] وغيره من العلماء .

ورَوَى عنه محمد بن إبراهيم بن ثابت بن فرج الكيزانى المقرئ الشافعى ، ومِمَّا رواه عنه أن عائشة أُمّ المؤمنين قالت : قال رسول الله [٦] ﷺ : « العِلْمُ عِلْمَانِ ، عِلْمٌ ثَابِتٌ فى القَلْبِ ، وَعِلْمٌ فى اللِّسَانِ ، فذلك حُجَّةُ الله عَلَى خَلْقِهِ » .

ومات أبو المنيع شهيدًا [٧] ، دَخَلَ عليه إنسانٌ فى مسجده وهو جالسٌ

---

(١) العنوان من عندنا [وانظر الكواكب السيارة ص ٢٠٣ ، وتحفة الأحباب ص ٣٣٧] .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٣) فى الكواكب السيارة : « دغمش » .

(٤) فى « م » : « سمع الحديث كثيرًا » .

(٥) من هنا إلى قوله « شهيدًا » عن « م » وساقط من « ص » .. وقد ورد هذا الاسم مُخْتَلَفًا فيه ، ففى « ص » : « أبو القاسم بن عبد السلام الرسلى » . وفى تحفة الأحباب : « حدَّث عن أبى مكى وابن عبد السلام الرملى » ، وهذا تحريف ووهم من الناسخ بأنه شخصان . وفى الكواكب السيارة : « حَدَّث عن أبى القاسم مكى وعن عبد السلام الرملى » وكل ماتقدم فيه خلط ووهم وتحريف من النساخ ، والصواب ما أثبتناه عن « م » وعن الذهبى فى تذكرة الحفاظ .

[انظر المرجع المذكور ج ٤ ص ١٢٢٩ و ١٢٣٠ ترجمة رقم ١٠٤٦] .

(٦) فى « م » : « قالت يارسول الله » تحريف من الناسخ ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » . وفى الكواكب السيارة : أنه كان إذا صلى الصبح جلس فى مكانه فى محرابه حتى تطلع الشمس ، فدخلوا عليه يومًا فوجدوه مذبوحًا فى محرابه . ولم يعلموا قاتله ، فاجتمع أهل مصر يبكون عليه ، ومشى الأمراء والسلطان فى جنازته ، وكان يومًا مشهودًا ... » إلخ الحكاية المذكوره هنا .

فيه وَحْدَهُ ، فَذَبَحَهُ فى المحراب (١) ، وذلك بعد صلاة الصبح ، فاجتمعَ الناسُ ، ولَمْ يُعْلَمْ قاتِلُه . ثم غُسِّلَ وكُفِّنَ وصُلِّىَ عليه ، وكانت له جنازةٌ عظيمة ، فلما كان فى الجمعة التالية (٢) ذُبِحَ رَجُلٌ يهوديٌّ إلى جانب داره (٣) ولم يُعْلَم قَاتِلُه ، فرآه بعضُ أصحابه (٤) فى النوم ، فقال له : مَنْ قَتَلَكَ يافُلان ؟ قال : قتلنى فلانٌ ، وهو الذى قتل الفقيه رافعًا (٥) وهو فى المحل الفلانى .

فجاء الرجل الرائى (٦) إلى الحاكم وأخبره ، فأرسلَ خَلْفَ الرَّجُلِ ، فَجِيءَ به ، فلما وقفَ بينَ يَدَيْهِ سَأَلَهُ : أنت قَتَلْتَ الفقيه رافعًا (٧) وقتلت اليهوديَّ ؟ قال : فَضُرِبَ ضَرْبًا شديدًا ، فَأَقَرَّ بالقَتْلِ ، فَقُتِلَ وطُرِحَتْ جُثَّتُهُ ، فجاء كلبٌ (٨) ووَلَغَ فى دمه ، فقال بعض العلماء : إنِّى أُعْلَمُ أَنَّ الكلبَ لا يَلَغُ فى دَمِ مسلم قَطّ (٩) .

وقُتِلَ رافعٌ هذا فى يوم الأحد ، سَلْخَ (١٠) ذى الحجة سنة ٥٣٣ هـ .

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « كان أبو المنيع قد صلى صلاة الصبح ثم جلس مكانه ، فلم يشعر حتى دخل عليه مَنْ ذبحه فى محرابه » .

(٢) فى « ص » : « الآتية » .

(٣) فى الكواكب السيارة : « بجانب مسجده » .

(٤) فى « ص » : « ثم دُفن ، فرآه بعض جيرانه من المسلمين » .

(٥) فى « م » و « ص » : « رافع » خطأ ، والصواب بالنصب ، وما بعد ذلك عن « م » وساقط من « ص » .

(٦) أى : الذى رأى ذلك فى منامه .

(٧) فى « م » : « رافع » لا تصح .

(٨) فى « م » : « الكلب » . ووَلَغَ فى دمه : شرب منه بطرف لسانه .

(٩) هكذا فى « م » .. والصواب « أبدًا » مكان « قطّ » التى هى لتأكيد نفى الماضى . وفى الكواكب السيارة : « فقال الإمام عبد الغنى : أشهد أن الكلب لا يَلَغ فى دم مسلم .. وَرَوى القاضى عياض هذا اللفظ عن رسول الله ﷺ فى أمر الرجل الذى قُتل حين رأى المطرود فى الطريق ، فقال : اطلبوه ، فإن الكلب لا يَلَغ فى دم مسلم » .

(١٠) السَّلْخ : آخر الشهر .

قبر الشيخ أبى غلبون رجاء [(١)] :

ثم تجد قبر الشيخ أبى غلبون رجاء – وقيل : أبى الزاهد – كان من عباد الله الصالحين ، ويُذْكَرُ عنه حكايات عجيبة وكرامات . وسَمِعَ الكثير ، وحَدَّث عن أبى القاسم مكى بن عبد السلام الرُّمَيْلىّ وغيره .

ورَوَى بإسناده ، أنَّ النَّبِىَّ ، ﷺ قال : « مَنْ تَطَهَّرَ فى بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ فَسَبَّحَ الله فيه تَسْبِيحَةً فى الضُّحَى ، كَتَبَ الله له كَأَجْرِ المُعْتَمِرِ المُحْرِمِ ، وإذَا صَلَّى صَلَاةً فى إِثْرِهَا لا لَغْوَ فيها كانَتْ فى عِلِّيِّين [(٢)] . ومَنْ تَطَهَّرَ فى بَيْتِهِ ثم [أَتَى] [(٣)] المسجد فَصَلَّى فيه صلاةً مكتوبة فى جماعة ، كتب الله له كَأَجْرِ الحاجِّ المُحْرِم » .

ورَوَى بِسَنَدِهِ إلى أبى هُرَيْرَة ، عن النبى ﷺ أنه قال : « مامِنْ أَحَدٍ يَغْدُو أو يَرُوحُ إلى المسجد ، ويُؤْثِرُهُ على ما سِوَاهُ إلَّا وَلَهُ عند الله نُزُلٌ يُعِدُّهُ له فى الجَنَّة كلما غَدَا وراح » [(٤)] . كما أن أحدكم إذا زَارَ مَنْ يحب اجْتَهَدَ فى كرامته .

وقد جاء [(٥)] أبو غلبون هذا من الشام إلى ديار مصر واسْتَوْطَنَهَا ، ومات بها ، وكان يُشار إليه بالزُّهْدِ والعبادة ، وأفعال البِرّ .

---

(١) العنوان من عندنا .

(٢) ورَوَى أبو داود فى سُننه عن أبى أُمامة أن رسول الله ﷺ قال : « صَلَاةٌ فى إِثْرِ صلاةٍ لا لَغْو بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فى عِلِّيِّين » .

[انظر سنن أبى داود ج ٢ ص ٢٧ كتاب الصلاة ، باب صلاة الضحى] .

(٣) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا يستدعيها السياق ، ولم ترد فى « م » .

(٤) فى « م » : « كما » مكان « كلما » تحريف . والنُّزُل : المنزل ، وماهُيِّىء للضيف يأكل فيه وينام . والحديث رواه البخارى فى كتاب الأذان ، باب فضل مَن غدا إلى المسجد ومَنْ راح ، ج ١ ص ١٦٨ طبعة دار الشعب ، ورواه غيره باختلاف يسير فى لفظه .

(٥) فى « م » : « وقد وَرَدَ » .

قبر الشيخ أبى الغنائم كليب بن شَرِيف [١] :

ثم تجىء إلى قبر الشيخ الوَلِىّ كُلَيْبِ بن شَرِيف [٢] الشامى ، يُكْنَى أبا الغنائم ، كان من خيار مشايخ الشام وصلحائهم [٣] . وله كرامات نُقِلَتْ عنه واشتهرت .

حُكِىَ عن أبى محمد عبد الله بن شيبان [٤] - عُرِفَ بالرُّدَيْنِى - أنه قال : « حَجَجْتُ سَنَةً من السنين فى صُحْبَةِ الفقيه « مجلى » وكان معنا الشيخ كليب ، فخَرَجَ على القافِلَةِ جماعَةٌ من « العربان » [٥] قال : فأشرفنا على الهَلَكَة ، فصَاحَ الفقيه « مجلى » : ياشيخ كليب أَدْرِكْنَا ، أَمَا تَرَى ما نحن فيه ؟ فقال : لا تَخَفْ [٦] ، فإنَّ أَمَامَ القافِلَة مَنْ يحرسها [٧] . فما بَرِحَ كليب حتى جاءت جماعة إلى « مجلى » وقالوا : إن « العربان » لم يتعرضوا لأَحَدٍ من الحجاج ، وهَنَّئُوه بالسلامة . فشكَرْنَا الله تعالى على ذلك .

فلما كان فى آخر الليل قَلَّ المَأْمَنُ من القافلة ، واشتد الحر ، فقال الشيخ « مجلى » لإنسانٍ : ائْتِنِى بالشيخ كليب ، فَأَتَاه به ، فقال له : اُنْظُرْ ما وَقَعَ

---

(١) العنوان من عندنا . وعَدَّه القُرشى فى طبقة الفقهاء وفى طبقة الصوفية . [وانظر ترجمته فى كرامات الأولياء ج ٢ ص ٤٤٥ ، والكواكب السيارة ص ٢٠٥ ، وتحفة الأحباب ص ٣٣٩] .

(٢) فى « م » و « ص » : « ابن شرف » .. وفى الكواكب السيارة وتحفة الأحباب : « شريف » مكان « شرف » ، وقال ابن عثمان : هو ابن أشرف . والأول أصح - يعنى : ابن شريف .

(٣) فى كرامات الأولياء وَصَفَه النبهانى بالفقيه المصرى .

(٤) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « أبى محمد بن شيبان » .

(٥) العُرْبان لُغَةٌ فى العربون ، والمراد بها هنا : الأعراب وهى غير عربية . [انظر المصباح المنير ماده : عرب] .

(٦) فى « ص » : « لا تَخَفْ يافقيه » .

(٧) فى « م » : « فإن جبريل أمام القافلة » .

بالناسِ من العطش ! فقال : السَّاعَةَ يُسْقَوْنَ . فَمَا اسْتَتَمَّ كلامه [١] حتى أشْرَفُوا على عين ماءٍ ، فنزلوا وملئوا أسقيتهم ، ثم طلبوا العين فلم يجدوها [٢] .

وتوفى كليب فى سنة ٥٢٢ هـ .

* * *

قبر الشيخ عبد الله بن بَرِّى [٣] :

ثم تجىء إلى قبر الشيخ عبد الله بن برِّى بن عبد الجبَّار بن برِّى ، يُكْنَى أَبَا مُحمد ، المَقْدِسى الأصل ، المصرى الدَّار [٤] ، كان نحويًّا لغويًّا شائعَ الذِّكْرِ ، مشهورًا [٥] بالعلم ، لم يكن فى المصريين مثله . مات سنة ٥٨٢ هـ [٦] .

قرأ كتاب سيبويه عَلَى أبى بكر بن عبد الملك الشَّنْتَرِينى [٧] المقرىء النحوى . وتصَدَّرَ للإقراء بجامع عَمرو بن العاص ، وكانت عنايته تامَّةً فى تصحيح

---

(١) استتم كلامه : أكمَلَهُ وأتَمَّهُ .

(٢) من قوله : « حتى أشرفوا » إلى هنا عن تحفة السخاوى وكرامات الأولياء – وفى « م » : « فما استتم الشيخ كليب كلامه حتى نزلوا على ماء » .

(٣) العنوان من عندنا . [وانظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ٧٣ و ٧٤ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة ج ٢ ص ١١٠ و ١١١ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٣ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٢٧٣ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٥٣٣ ، وإشارة التعيين ص ١٦١ ، ومعجم المؤلفين ج ٦ ص ٣٦ ، وتحفة الأحباب ص ٣٥٣ ، والكواكب السيارة ص ٢٢١ و ٢٢٢ ، وغير ذلك من المراجع] .

(٤) فى الأعلام : « وُلد ، ونشأ ، وتوفى بمصر » .

(٥) فى « م » : « مشهور » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) تاريخ الوفاة ساقط من « م » وأثبتناه عن الأعلام ، وقد ولد سنة ٤٩٩ هـ .

(٧) فى « م » : « الشنتريني » تحريف ، والتصويب من معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٨٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٠٨] .

الكتب ، وكَتَبَ الحواشِي عليها بالأحمر ، وله على صحاح الجوهرى حَواشٍ أَخَذَ فيها عليه ، وشَرَحَ بعضه فيها ، وزيادات أَخَلَّ بها ، ولو تَمَّتْ لكانت [١] عجيبة .

وكان مع علمه وغَزارَةِ فَهْمِه ذا غَفْلَةٍ [٢] ، وسلامة صدرٍ ، وكان لا يهتم بهيئته [٣] .

يحكى المصريون عنه حكايات عجيبة ، منها : أنه اشترى لحماً وخُبْزًا وبَيْضًا وحَطَبًا وحَمَلَ الجميع فى كُمِّه ، فلما جاء [٤] إلى منزله وَجَدَ أهله قد ذهبوا لبعض شأنهم والبابَ مُغْلَقًا ، فتقدم إلى كَوَّةٍ [٥] هناك تنفذ إلى داره ، فجعل يلقى منها الشيءَ بعد الشيء ، ولم يفكر فى تكسيرِ البيض وأُكْلِ اللَّحْم والخبز إذا خَلَتْ به الدار .

وحَكَى أحدهم عنه أنه اشترى عنبًا وجَعَلَهُ فى كُمِّه [٦] ، وجَعَلَ عليه المِخْفَضَة [٧] حتى جَرَى مَاءُ العنب على رِجْلَيْهِ ، فقال لى : أتحِسُّ المَطَر ؟! فَقُلْتُ : لا !

فقال : فَما الذى ينقطُ على رِجْلى ؟ فَتَأَمَّلْتُهُ فإذا هو مِنَ العنب ، فأخبرتُهُ فَخَجِلَ وَاستَحَى .

ويحكون عنه من الحِذْقِ [٨] وَحُسْنِ الجواب عَمَّا يُسْأَلُ عنه ، ومواضع المسائل من كُتُب العلماء مِمَّا يُتَعَجَّبُ منه ، فسبحان الجامع بين الأضداد !

---

(١) فى « م » : « كانت » .

(٢) يعنى : فى غير العِلْم .

(٣) فى « م » : « وكان وسِخَ الثوبِ ، زَرِىَّ الهيئة » .

(٤) فى « م » : « وجَعَل يُحادِثنى ، وهو جاء ... » .

(٥) الكَوَّة : الفتحة فى الجدار (كالنافذة والطاقة) .

(٦) وردت هذه العبارة فى « م » هكذا : « وحكى أنه عنبًا وجعل فى كمه » وهى محرفة وسقط منها الفعل (اشترى) .

(٧) المِخْفَضَة : وعاء المتاع ، كالغرارة ونحوها .

(٨) الحِذْق : المهارة .

وكان إليه التصفح [١] فى ديوان الإنشاء ، لا يصدر كتابٌ عن الدولة إلى ملكٍ من ملوك النواحى إلّا بعد أن يتصفحه ويصلح مافيه من خَلَلٍ خَفِىٍّ ، كما كان يفعل ابن بابشاذ [٢] .

وكان مقيمًا بمعرفة كتاب « سيبويه » [٣] وعِلَلِهِ ، قَيِّمًا باللغة والشواهد .

وقرأ عليه جماعة ، منهم : أبو العباس أحمد بن الحطيئة ، وكان ثقة ، وأبو موسى الجزولى [٤] من تلامذته ، وأجَازَ جماعةً مِمَّنْ أدْرَكَ [٥] عصره مِنَ المسلمين . قال الشيخ شمس الدين محمد بن خِلّكان : قرأتُ ذلك بِخَطِّ أحمد ابن الجوهرى عن خَطِّ حَسَن بن عبد الباق الصِّقِلّى ، عنه .

وله مقدمة سمّاها « اللباب » [٦] ، وحواشيه على الصّحاح فى مُجَلَّدَيْن ، وصَلَ فيه إلى « قوش » من باب الشين المعجمة ، وهو ربع الكتاب ، وكمَّل عليه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن الأنصارى البسطى إلى آخِر الكتاب ، فجاءت التكملة فى ستة [٧] مجلدات ، فصار جُملةُ المُصَنَّف ثمانية [٨] مجلدات ، واسم هذا الكتاب : « التنبيه والإيضاح عَمَّا وقع فى كتاب الصّحاح » [٩] . وهو جَيِّدٌ للغاية .

---

(١) أى : القراءة والمراجعة .

(٢) فى « م » : « كما كان ابن بابشاذ » . وقد سقطت هذه الفقرة من الناسخ سهوًا كما يوحى بذلك السياق ، وقد أثبتناها من « الوفيات » وهو المصدر الذى استمد منه الكاتب مادته [انظر المرجع المذكور ج ٣ ص ١٠٨] .

(٣) فى المصدر السابق : « وكان عارفًا بكتاب سيبويه » .

(٤) هكذا فى الوفيات .. وفى « م » : « والجزولى » .

(٥) فى « م » : « وأجاز لجماعة من أدرك » فيها تحريف .

(٦) فى كشف الظنون (ص ٧٤١) أن اسمه : « اللباب عَلَى ابن الخشّاب » ، وهو ردٌّ على حاشية ابن الخشاب على دُرَّة الغواص [انظر إنْباه الرواة ص ١١١ – حاشية] .

(٧) فى « م » : « ست » لا تصح لُغَةً .

(٨) فى « م » : « ثمان » مثل سابقتها .

(٩) هكذا الاسم فى معجم المؤلفين ، وإشارة التعيين ، وغيرهما .. وفى « م » : « التنبُّه والإفصاح عمّا وقع فى حواشى الصحاح » . وما أثبتناه قاله القفطىّ وغيره .

وقال ابن بَرِّى : كان سَبَبَ تَعَلُّمِى للنحو بَيْتٌ من الشِّعْرِ [١] :

تكادُ يَدِى تَنْدَى إِذَا ما لَمَسْتَهَا   ويَنْبُتُ فى أَطْرَافِهَا الوَرَقُ الْخُضْرُ [٢]

فقيل له : وكيف ذلك ؟ فَذَكَرَ [٣] أنه رأى فيما يراه النائم أَنَّهُ وُلِدَ له [ولد] [٤] كَأَنَّ فى يده رُمْحًا طويلًا فى رأسه قنديل ، وقد عَلَّقَهُ فى صَخْرَة بيت [٥] المَقْدِس ، فلمَّا أصْبَحَ أَخْبَرَ بِرُؤْيَاهُ المُعَبِّرَ [٦] ، فقيل له : إنك تُرْزَقُ ابْنًا يُرْفَعُ ذِكْرُهُ بِعِلْمٍ يتعلَّمُه .

فلما رَزَقَنِى وَبَلَغَ خَمْسَ عشرة سنة [٧] حَضَرَ إلى دُكَّانه رَجُلٌ يُعْرَف بظافر الحدّاد ، ورجل يُعْرَف بابن أبى حصينة ، وكلاهما مشهور بالأدب ، [وكان يقرأ فى قصيدة فلما وَصَلَ] [٨] إلى البيت المذكور كَسَرَ الرَّاء مِنْ « وَرَق » فضحك الرجلان عليه لِلَحْنِهِ .

فتذكرتُ تفسير منامى [٩] ، لَعَلَّ اللهَ يرفَعُ به ذكرى ، فقلتُ له : أَىُّ العلوم تريدُ أنْ تقرأ ؟ فقال لى : أَقْرَأُ فى النحو حتى أَتَعَلَّمَ [١٠] .

قال : فَكُنْتُ أقرأُ على الشيخ أبى بكر محمد بن عبد الملك بن السراج – رحمه الله – ثم أجىء فَأُعَلِّمَهُ [١١] (انتهى) .

---

(١) جاء هذا البيت متداخلًا مع النثر وكأنه منه .
(٢) تَنْدَى : تبتل . والنَّدَى كناية عن الكرم والسَّخاء .
(٣) فى « م » : « فقال : ذَكَرَ لى » .
(٤) مابين المعقوفين زيادة من عندنا لم ترد فى « م » .
(٥) فى « م » : « البيت » .
(٦) المُعَبِّر : الذى يُفسر الرؤيا .
(٧) فى « م » : « وبلغت خمسة عشر سنة » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .
(٨) مابين المعقوفين زيادة من عندنا لاستقامة المعنى . ولم يرد فى « م » .
(٩) فى « م » : « فقال : يابُنَىّ ، منتظر تفسير منامى » .
(١٠) فى « م » : « اقرأ فى النحو حتى تُعلمنى » .
(١١) ذكر ابن الزيات عنه حكايات طريفة ولم ترد هنا ، [انظر الكواكب السيارة ص ٢٢١ و ٢٢٢] .

قبر خلف الصرفندى (١) :

ثم تأتى إلى تربة الشافعى – رضى الله عنه – تجد عند الحائط البرّانى قَبْرَ خَلَف الصرّفَندى (٢) – رحمه الله تعالى .

كان رجلًا صالحاً ، مُجابَ الدَّعْوَة ، والدُّعاء عنده مُجابٌ إنْ شاء الله تعالى .

وتحت رِجْلَيهِ قبرُ شَيْخِهِ ، رُئِى فى المنام وهو يقول : زُورُوا شَيْخِى ، فما أنا شىءٌ (٣) إلّا به .

وهناك قبر الشيخ « مقدام » دليل الحاج . ومنه إلى قبر صاحب الرُّمّانة .

* * *

قبر الشيخ عبد الرَّحمٰن المصينى (٤) المقرئ .

ثم تجىء إلى قبر الشيخ الوَلِىِّ أبى عبد الله عبد الرحمٰن المصينى (٥) المقرئ .

أَحَد القُرَّاء الفضلاء (٦) ، مشهورٌ بالعِلْم والفضل ، سمع الكثير [من الأحاديث] (٧) وحَدَّث عن جماعة ، كأبى (٨) عبد العزيز بن عمر بن أحمد النُّصَيْبِينى ، وغيره .

---

(١) العنوان من عندنا . وقال عنه ابن الجباس : هو خلف بن عبد الله الصرفندى ، كان من العلماء الأخيار ، وكانوا ينقلون أنه مِنْ جُمْلة مَنْ أرادوا نَقْلَهُ عند بناء حائط الإمام الشافعى ، فسمعوا من جانب قبره قائلًا يقول : أتخرجون رجُلًا أن يقول ربى الله . وكان قد عمَّر عمرًا طويلًا .

[انظر المصدر السابق ص ٢١٦] .

(٢) فى « ص » : « البحر فندى » تحريف .

(٣) فى « ص » : « فأنا ما أنا شىء » . وفى الكواكب السيارة : « زوروا شيخى قَبْلى .. » .

(٤) انظر ترجمته فى الكواكب السيارة ص ٢١٧ و ٢١٨ ، وتحفة الأحباب ص ٣٤٩ .

(٥) فى « م » : « عبد الرحمٰن بن أبى عبد الله محمد بن أحمد المصينى » وفى « ص » : « المسينى » بالسين ، والمشهور بالصاد ، وما أثبتناه عن المصدرين السابقين وهو الصحيح ، قاله القرشى .

(٦) فى « ص » : « أحد عُبّاد الله الصالحين » .

(٧) مابين المعقوفتين عن التحفة .

(٨) من هنا إلى قوله « ورجع » عن « م » وساقط من « ص » .

ورَوَى عنه أبو على الحسن بن محمد الحسين الجِيلىّ ، وأبو عَمرو عثمان ابن أبى نصر بن سلامة المقرئ ، وغيرهما من العلماء .

وهو معروف فى الجَبَّانَة بالدِّرْياق ، وأنَّ مَنْ زَارَ قبره حُفِظَ من ذلك اليوم الذى يزوره فيه إلى مثله .

وقيل عنه : إنه قرأ على رَجُلٍ ببلاد المغرب علماً من العلوم ، ثم جاء إلى مصر فوَجَدَ فى مِقْلَمَتِهِ قَلَمًا من أقلام الشيخ ، فرجع ثانيًا إلى بلاد المغرب ، حتى دفع القلمَ إلى صاحِبِه ورجع [1] .

وكان الناسُ يقصدونه فى بيته ويتبرَّكُونَ بِدُعَائه .

وحَكَى ولَدُهُ [2] قال : كان فى جِوَارِنَا رَجُلٌ قَصَّابٌ ، فاشترى كَبْشًا ، فَمَرِضَ الكبشُ فى تلك الليلة ، فأيقنَ الجزَّارُ بموته ، فقال : اللهم إنِّى أُشْهِدُكَ إنْ عُوفِىَ هذا الكبش دَفَعْتُ رأسه وجلده للشيخ عبد الرحمٰن ، فأصبح الكبش سالمًا سليمًا ، فذبحه الجزَّارُ وجاء بجلده إلى الشيخ ، فقال له : وأين الرأس ؟ فقال : نأتى [3] به الساعة . فأتى به ، فقال له : أنت جارى منذ سنين ، وأريد أنْ تكتم عنى ما جرى بينى وبينك . فلم يتحدث بذلك حتى توفى الشيخ [4] .

وحُكى [5] عنه : أنَّ رجلًا كان يعمل على دابَّة ، فوَقَعَتْ منه فى بعض الأيام ، فقال : إنْ قامَتْ دابَّتِى هذه فَأُجْرَتُهَا فى هذا اليوم للشيخ عبد الرحمٰن . فقامَتْ سَوِيَّةً [6] ، فلم يذهبْ آخِرَ النهار بشىءٍ للشيخ ، فلما كان اليوم الثانى

---

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » .

(٢) فى الكواكب السيارة : « حكى وَلَدُهُ عبد الله » .

(٣) فى « ص » : « آتيكَ » .

(٤) فى « ص » : « فلم يتحدث حتى مات فى سنة ثمانٍ وخمسين ومائة » وهذا خطأ ، والصواب : « سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة » . وقد وردت هذه الحكاية فى « ص » باختلاف يسير فى ألفاظها دون المعانى » .

(٥) من هنا إلى آخر الترجمة عن « م » ولم يرد فى « ص » .

(٦) فى « م » : « شوية » تحريف .

وقَفَتْ منه ، فقال : اللهم إنْ قامَتْ دابَّتِى دفَعْتُ أُجْرَتَها اليوم للشيخ . فلما كان اليوم الثالث وقَفَتْ أيضًا ، فاستغاث بالشيخ ، وعَاهَدَ الله أنْ يذهبَ بالأُجْرَةِ على العادة ، فلما كان وقت المساء أخَذَ الأُجْرَةَ المتحصلة فى الأيام الثلاثة وجاء إلى باب الشيخ ، فطَرَقَ البابَ ، فقال له الشيخ : لِمَ لَمْ تَأْتِ [1] مِنْ أول يوم ؟ خُذْ ما جِئْتَ به وَاذْهَبْ ، بارَكَ الله لكَ فيه !

فاستجاب الله تعالى من الشيخ ، وبارك له فى تلك الدراهم إلى أنْ صارتْ أضعافًا مُضَاعَفَةً . وكانت وفاته سنة ٥٥٨ هـ .

* * *

قبر الشيخ أبى الفتح بن بابشاذ [2] :

ثم تَسْلُكُ من جهة القبلة إلى قبر الشيخ أبى الفتح بن بابشاذ [3] داود بن سليمان الجوهرى الواعظ ، رحمة الله عليه ، كان من كبار العلماء المشهورين ، وسمع الحديث الكثير ، وحَدَّثَ عن أبى مسلم محمد بن أحمد الماذَرائى [4] ، وإسماعيل بن الزعفرانى ، ومَنْ فى طبقتهما [5] . وسمع منه جماعة كثيرون . وكانت وفاته بعد الخمسمائة .

* * *

---

(١) فى « م » : « لِمَ لَمْ تأتى » خطأً ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) العنوان من عندنا .

(٣) فى « ص » : « ثم تجىء من القبلة تجد قبر الشيخ ابن بابشاذ » .

(٤) فى « م » : « المارداني » .

(٥) فى « م » و « ص » : « طبقتهم » .

قبر الأمير أحمد بن طولون (١) :

بين مشهد السيدة [نفيسة] (٢) صلوات الله على جدها وأبيها ، وعلى سائر أقاربها وذُرِّيتها ، وبينها وبين وادى موسى عليه السلام تُربَة صغيرة بين الجدران (٣) بها قبر أبى العباس أحمد بن طولون أمير مصر . [وهو أبو العباس أحمد بن طولون التركى ، أمير الشام والثغور . ولَّاه المعتز بالله مصر ، ثم استولى على دمشق ، والشام ، وأنطاكية ، والثغور فى مُدة شُغُل الموفق بن المتوكل بحرب صاحب الزنج] (٤) .

وكان أحمد عادلًا ، جوادًا ، شُجاعًا ، مُتواضعًا ، حَسَن السيرة ، صادقَ العزيمة (٥) ، يباشر الأمور بنفسه ، ويُعمر البلاد ، ويتفقد أحوال رعاياه (٦) ، ويفحص عن أخبارهم ، ويحب أهل العلم ، ويُدنى مجالسهم (٧) ، وكانت له مائدةٌ يحضرها كل يوم العامُّ والخاصُّ ، ويحضرها الأكابرُ والعلماء ، وسائر الناس . وكان كثير الأفضَال ، وافِرَ الإنعام ، وكان له فى كل يوم صَدَقةٌ ، وفى كل شهر ألف دينار للصَّدَقة ، فقال له وكيلُهُ : إنى تأتينى المرأة وعليها الإزار ، وفى يدها خاتم الذهب ، وتطلب منى ، أفأعطيها (٨) ؟ فقال له : مَنْ مَدَّ يَدَهُ إليك فَأَعْطِه (٩) .

---

(١) [انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٣ و ١٧٤ ، والولاة والقضاة ص ٢١٢ وما بعدها ، وانظر الكواكب السيارة ص ٢٧٦ - ٢٧٩ .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(٣) فى « ص » : « بين الخندق والجدران » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ص » .

(٥) قوله : « صادق العزيمة » عن « م » .

(٦) فى « ص » : « ويتفقد رعاياه » وسقط منها قوله : « ويعمر البلاد » فهو عن « م » .

(٧) فى « م » : « بحالتهم » مكان « مَجَالِسِهم » تحريف .

(٨) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « فأعطها » خطأ .

(٩) فى « م » : « أعْطه » .

وبَنَى (١) الجامعَ المنسوبَ إليه بظاهر القاهرة . قال القضاعى فى كتاب الخطط : شَرَعَ فى عمارته سنة ٢٦٤ هـ ، وأنفق على عمارته مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار (٢) ، وكانت نفقتُه فى كل يوم ألف دينار .

وحَسَّنَ له بعضُ التجار التجارة ، فدفع له خمسين ألف دينار ، فرأى فى النوم كأنَّهُ يُمَشِّشُ عَظْمًا (٣) فقال له المُعَبِّر (٤) : لقد سَعَتْ (٥) همَّة مولانا بما لا يُشْبِهُ خَطَرَهُ (٦) . فأَخَذَ الذَّهَبَ من التَّاجِرِ وتَصَدَّقَ به .

وكان صحيح الإسلام [برغم] (٧) أنه كان طائشَ السَّيْفِ ، سَفَّاكاً للدِّماء . قال القضاعى : أُحْصِىَ مَنْ قَتَلَهُمْ (٨) جهرًا فكان جُمْلَتَهُمْ مع من مات [فى حبسه] (٩) ثمانية عشر ألفًا .

وعن محمد بن على المادَرَانىّ (١٠) قال : كُنْتُ أجتازُ بتربة أحمد بن طولون فأَرَى شيخًا يُلازِمُ القبر (١١) ، ثم إنِّى لم أَرَهُ مُدَّةً ، ثم رأيته بعد ذلك ، فسألْتُه عن ذلك ، فقال : كان له علينا بعض العَدْلِ - إنْ لم يكن الكل ، فأَحْبَبْتُ أنْ أَصِلَهُ بالقِرَاءة . قلتُ : فَلِمَ انْقَطَعْتَ ؟ قال : رأيتُه فى النوم وهو يقول : أُحِبُّ ألّا تقرأ عندى ، فما تَمُرُّ بى آيةٌ إلّا قُرِعْتُ بِهَا وقيل لى : أَمَا سَمِعْتَ هذه ؟!

---

(١) من هنا إلى قوله : « سبعة عشر يوماً » - بعد ذلك - عن « م » وساقط من « ص » .
(٢) هكذا فى « م » والوفيات ، والتحفة [انظر تحفة الأحباب ص ٩٣] .
(٣) فى « م » : « يمشمش » عامية ، ومعنى يمشش العظم ، أى : يستخرج منه المخ .
(٤) فى « م » : « العابر » لا تصح . والمعبر : مُفَسِّرُ الأحلام . وقد مرت .
(٥) فى « م » : « سمعت » تحريف .
(٦) أى : بما لا يناسب مكانته .
(٧) مابين المعقوفتين زيادة لم ترد فى « م » .
(٨) فى « م » : « قتله » تحريف .
(٩) مابين المعقوفتين عن الوفيات .
(١٠) فى « م » : « الماردانى » . سبق التعليق عليها .
(١١) فى الكواكب السيارة : « شيخًا عند قبره يقرأ القرآن ملازمًا للقبر » .

وكان أحمد بن طولون من أطيب الناس صوتًا بالقراءة ، فإنه حفظ القرآن وأتقنه ، وطَلَبَ العِلْمَ ، وتقلبت [1] به الأحوال إلى أنْ ملكَ مصر وعُمْرُه أربعون [عامًا] [2] سنة ٢٥٣ هـ فملكها بِضْعَ عشرة سنة [3] . وخَلَّفَ من الذهب الأحمر عشرة آلاف ألف دينار ، ومن المماليك أربعةً وعشرين [4] ألف مملوك ، ومن العبيد خمسة وأربعين ألفًا [5] ، ومن الأحرار أصحاب الجِرايَات الخَدَمَة [6] سبعة آلافٍ وثلاثمائة ، ومن البغال الملونة ألفًا [7] وستمائة ، ومن الجِمَالِ النفريَّة ألفين ومائة . وخَلَّفَ ثلاثة وثلاثين [8] ولدًا ذكرًا وأُنْثَى .

وَوُلِدَ بِسَامَرَّا في شهر رمضان سنة ٢٢٠ هـ ، وكان أبوه مملوكًا ، أهداه نوح بن أسد السَّامَانِيّ [9] إلى المأمون في جُمْلَةِ رقيقٍ . ومات طولون سنة ٢٤٠ هـ . ويقال : إنَّ طولون تَبَنَّى [10] أحمد ، ولمْ يكن ابنه . وكان طُولون تُرْكِيًّا من جنس ظفر عز [11] .

وكان أحمد قد سأل الوزير عُبيد الله بن خَاقان [12] ، فَوَقَّعَ له برزقه على

---

(١) في « م » : « ونقلت » تحريف .

(٢) هكذا في « م » .. وفي الوفيات : « دخل مصر سنة ٢٥٤ هـ » ، وعلى هذا يكون عمره حينئذٍ خمسة وثلاثين عامًا .

(٣) في « م » : « بضعة عشر سنة » خطأً ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) في « م » : « وعشرون » خطأً في اللغة ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) في « م » : « وألف » لا تصح .

(٦) في « م » : « والخدامة » تحريف ، والجرايات : الوكالات .

(٧) في « م » : « ألف » لا تصح .

(٨) في « م » : « وثلاثون » خطأً .

(٩) هو نوح بن أسد السَّاماني ، عامل بخارى .
[انظر الوفيات ج ١ ص ١٧٣] .

(١٠) في « م » : « بُكنا » تحريف . والتصويب من المصدر السابق .

(١١) هكذا في « م » ولم أقف عليه .

(١٢) له ترجمة في الأعلام ، واسمه عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكانت وفاته سنة ٢٦٣ هـ .

الثغر ، وكانت أُمُّه مُقيمةً ، فبلغَهُ أنها باكيةٌ ، فرجع إليها مع رِفْقَةٍ [(١)] ، فخرج عليهم جماعةٌ من الأعراب ، فقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قتال وانتصر عليهم ، وخَلَّصَ من أيديهم أموالًا حَمَلَها إلى المُسْتَعِينِ [(٢)] ، فَحَسُنَ مكانُهُ عنده ، ووَصَلَهُ بِجُمْلَةٍ من المال ، ووَهَبَ له جارية ، هى أم ابنه « خمارويه » ، فلما خَلَعَ الأتراكُ المستعين أمروه بالرحيل [(٣)] إلى « واسط » وقالوا له : مَنْ تختار أنْ يكون فى صُحبتك ؟ فقال : أحمد بن طولون . فبعثوهُ ، فأَحْسَنَ صُحْبَتَهُ ، ثم كَتَبَ الأتراكُ إلى ابن طولون بِقَتْلِ المستعين ، وقالوا : إنْ قَتَلْتَهُ ولَّيْنَاكَ « واسِطًا » [(٤)] . فقال : لا يرانى الله أقتُلُ خليفةً بايعتُهُ . فَأَنْفَذُوا إلى المُستعين سعيدًا الحاجبَ فقتله ، وحَمَلَ رَأْسَهُ إلى بغداد ، فدفن ابن طولون جُثَّتَهُ هناك بعد أن غسَّلَها ، وعاد إلى « سُرَّ مَنْ رأى » فزادت مَحَبَّتُهُ عند الأتراك ، واشتهر بحسن المذهب ، فَوَلَّوهُ مصر نيابةً عن أميرها ، فلما دخَلَها قال : غاية ما وُعِدْتُ على قتل المستعين ولاية « واسط » ، فتركتُ ذلك لأَجْلِ الله تعالى فَوَلَّانى مصر والشام .

وحكى بعضُ المُتَصَوِّفَةِ أنه رأى أحمد بن طولون فى النوم بحالة حَسَنَة وهو يقول : ما ينبغى لِمَنْ سكَنَ الدنيا أن يَحْقِرَ حَسَنَةً فيدفعها ، ولا سيئة فيأتيها ، عَدَلَ بى عن النار إلى الجنة بتثبيتى [(٥)] على مُتَظَلِّمٍ عَيِّ اللِّسان ، شديد التَّهَيُّب ، فسمعتُ منه وصبرتُ عليه حتى قامت حُجَّتُه ، وتقدمتُ بإنصافه ، وما فى الآخِرَة - على رؤساء الدنيا - أَشَدُّ من الحجاب لمُلْتَمِسِ الإنصاف .

وتوفى فى شهر ذى القعدة سنة ٢٧٠ هـ . وقام بعده ولده « خمارويه » . وكان دخوله إلى دمشق لمَّا غلب عليها وسار إليها من مصر فى سنة ٢٦٤ هـ

---

(١) الرفقة : الجماعة المترافقون .
(٢) هو الخليفة العباسى أحمد بن محمد .
(٣) فى « م » : « فاحدوا » مكان « فأمروه بالرحيل » ، تحريف .
(٤) فى « م » : « واسط » .
(٥) أى : بصبرى .

بعد مَوْتِ وَالٍ كان بها يُقَال له « أماجور » [١] ، وأَخَذَ له أموالًا [٢] عظيمة ، وفتحها عنوة . ثم سار إلى « طرسوس » ثم إلى « دمشق » فى هذه السَّنة ، فى آخِرِها ، وخَرَجَ منها حتى بلغ الرَّقة فى طَلَب غلام له هَرَب منه يقال له « لؤلؤ » خرج إلى أحمد المُوَفَّق ، فتوفى بها فى التاريخ [٣] المذكور أعلاه ، وولايته سِتَّ عشرة سنة [٤] ، وشهرٌ ، وسبعة عشر يومًا [٥] .

رَوَى أبو الحَسَن الصَّفَّار قال : كُنَّا عند الشيخ الزاهد الحسن بن سفيان ، رحمه الله ، وقد اجتمع عنده طائفة من أهل الفضل ، ارتحلوا إليه مِنْ أَطْبَاقِ الأرض والبلاد البعيدة ، مُختلفين إلى مَجْلِسِهِ فى الحديث وطَلَبه ، فقال : اسمعوا ما أقول لكم قبل أنْ أشْرَعَ فى الإملاء : قد عَلِمْنَا أنكم طائفة من أبناء النِّعَمِ ، وأنكم [٦] هجرتم أوطانكم ، وفارقتم دياركم وأصحابكم ، وإنِّى مُحَدِّثكم بما [٧] تَحَمَّلْتُهُ فى طلب العِلْم من المشقة والجهد ، وما كَشَفَ الله عنى وعن أصحابى ببركة العِلْم وصَفْوِ العقيدة ، ومن الضيق والضَّنْكِ .

واعلموا أنِّى كُنْتُ فى عنفوان [٨] شَبَابِى ، وارْتَحَلْتُ مِنْ وطنى لطلب العلم وَاسْتِمْلَاءِ الحديث ، فاتَّفَقَ حُلُولى [٩] بأَقْصَى المغرب ، وحلولى بمصر فى تسعة نَفَرٍ من أصحابى من طلبة العِلْم ، وكنا نختلف إلى شيخ كان أَرْفَعَ أهل عصره فى العلم مَنْزِلَةً ، وأَرْوَاهُمْ للحديث ، وأعلاهم إسنادًا ، وكان يملى فى كل

---

(١) هكذا فى « م » ، ولعله مُحَرَّف من « أنوجور » التركى .

(٢) فى « م » : « مالا » .

(٣) فى « م » : « فى تاريخ » .

(٤) فى « م » : « ستة عشر سنة » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) إلى هنا ينتهى الساقط من « ص » والمشار إليه فى ص ٦٥٠ الهامش رقم (١) .

(٦) فى « م » : « وأهل » مكان « وأنكم » تحريف .

(٧) فى « م » : « ما » .

(٨) فى « م » : « عنوان » تحريف .

(٩) فى « م » : « حصولى » تحريف .

يوم مقدارًا يسيرًا من الحديث حتى طالَتِ المُدَّة ، وخَفَّتِ النفقة ، ودَعَتْنَا الضرورة إلى بَيْع ماصَحِبْنَا من ثوب وغيره ، إلى أنْ لم يَبْقَ معنا ما نَتَقَوَّتُ به يومًا واحدًا ، فطَوَيْنَا ثلاثة أيام جوعاً بِشَرِّ حالٍ ، ولم يبق مع أحَدِنَا رَمَق ، وأصبحنا اليوم الرابع بحيث لا قُوَّةَ لأحد مِنَّا من الجهد والجوع ، وأَحْوَجَتِ الضرورةُ إلى كَشْفِ قناع الحشمة ، وبذل الوجه إلى السُّؤال [(١)] ، فلم تَسْمَحْ نفوسُنا لذلك ، ولم تَطِبْ قُلوبُنا به ، وأَنِفَ كُلٌّ مِنَّا مِنْ ذلك ، والضرورة تحوج إلى السؤال [(٢)] ، فوقع اختيارنا على كَتْبِ رقاع باسم كُلِّ واحِدٍ ، فمن ارتفع اسمه منها كان هو القائم بالسُّؤال ، وتَحَصُّلِ القُوتُ له ولأصحابه ، فارتفعت الرقعة التى باسمى ، فتحيرتُ فى أَمْرِى [(٣)] ، وعدلتُ إلى زاوية من المسجد فصليتُ ركعتين ، وقويتُ الاعتقاد فيهما بالإخلاص ، ودعوتُ الله تعالى بأسمائه العِظَام وكلماته الرفيعة لكشف الضُّرِ وسياق الفَرَج ، فلم أفرغ من صلاتى حتى دخَلَ مسجدَنَا شابٌّ حَسَنُ الوَجْه ، طَيِّبُ الرائحة ، نظيفُ الثياب ، يتبعه خادمٌ ، وفى يده منديلٌ ، فقال : مَنْ منكم الحسَن بن سفيان ؟ فرفعتُ رأسى من السَّجْدَةِ وسلمتُ وقلتُ : ماتريد ؟ وما حاجَتُكَ ؟ فقال : إنَّ الأمير أحمد بن طولون يُقْرِئُكم السَّلام ويعتذر إليكم [(٤)] فى الغفلة عن تَفَقُّدِ أحوالكم ، والتقصير الواقع فى رعاية حقوقكم ، وقد بعث بما يغنى نفقة الوقت ، وهو زائركم فى غدٍ بنفسه ، معتذرٌ بلطفه ، ثم وضع بين يَدَىْ كل واحدٍ مِنَّا صُرَّةً فيها مائة دينار .

فَعَجِبْنَا من ذلك وقُلْنَا للشَّابِّ : ما القِصَّة ؟ فقال : إنِّى أَحَدُ خُدَّام أحمد ابن طولون الأمير – الذين هم [(٥)] الخاصَّة – دخَلْتُ عليه فى يومى هذا مُسَلِّمًا

---

(١) فى « م » : « السواد » ومعناها : عامة الناس .

(٢) فى « م » : « السواد » .

(٣) فى « م » : « أمير » تحريف .

(٤) فى « م » : « إليه » لا يصح .

(٥) هكذا فى « م » .. والضمير « هم » يعود على الخُدَّام .

فى جُمْلَة أصحابى ، فقال لنا : إنى أُحِبُّ اليومَ أنْ أَخْلُوَ بنفسى . فانصرفْنَا ، فلما عُدْتُ لم أَسْتَقِرَّ حتى أَتانِى رسوله مسرعاً فى طلبى ، فوجدتُه منفردًا فى بيتٍ ، واضِعًا يمينه على خاصرته لوَجَع داخِلَ أحشائه ، فقال لى : أتعرف ابن سفيان وأصحابه ؟ قلت : لا . قال : فاقصد المَحَلَّة الفلانية والمسجد الفلانى واحمِلْ هذه الصُّرَرَ إليه وإلى أصحابه ، فإنهم منذ ثلاثة أيَّامٍ جياعٌ بحالة ضعيفة ، ومَهِّدْ عُذْرِى وعَرِّفْهُم أنّى الغداة زائرهم .

فسألته عن السبب الذى دعاه [إلى] [1] هذا . فقال : دخلتُ إلى هذا البيت منفردًا على أنى أستريح ساعةً ، فما هدأَتْ عَيْنِى حتى رأيتُ فى المنام فارِسًا فى الهواء [2] مُتَمكِّنًا تَمَكُّنَ مَنْ يمشى على وَجْه الأرض ، وبيده رُمْحٌ وقصبة ، فجعلتُ أَنظر إليه متعجبًا حتى نَزَلَ إلى باب البيت ، ووضَعَ سافِلَةَ الرمح على خاصرتى وقال لى : قُمْ فَأَدْرِك الحسَن بن سفيان وأصحابه ، قُمْ فأدركهم فإنهم منذ ثلاثة أيام جياعٌ فى المسجد الفلانى .

فقلت له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا « رضوان » خازن الجنان ، وقد سَافَلَ رُمْحُهُ خاصِرَتِى ، وأصابنى من ذلك وَجَعٌ شديد ، لا حركَةَ لى معه . ثم قال لى : عَجِّل السَّاعَةَ إيصال هذا المال إليهم ليزول عَنّى هذا الوجع .

قال الحَسَن : فتعجَبْنَا من ذلك ، وشكَرْنَا الله تعالى ، وأصْلَحْنَا أُمُورَنا ، ولمْ تَطِبْ نُفُوسُنا بالمقام حتى يزورنا الأميرُ ، ويَطَّلِعَ الناسُ على ذلك من أسرارنا ، فيكون ذلك سببَ ارتفاعِ اسمٍ ، ويتصل بذلك نوع [3] من الرِّيَاء والسُّمْعَة ، فخرجنا تلك الليلة من مصر ، وأصبح كُلُّ واحدٍ منَّا وَاحِدَ عصره ورفيع دهره فى الفضل .

---

(١) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا .

(٢) فى « م » : « الهوى » .

(٣) فى « م » : « ويتصل من ذلك بنوع » .

فلما أصبح ابن طولون أتى إلى المسجد لزيارتنا وطلبنا ، فَأُخْبِرَ بخروجنا ، فَأَمَرَ بِابْتِياعِ تلك المحلة بأَسْرِهَا ، وأَوْقَفَها على ذلك المنزل وعلى مَنْ ينزل فيه من الغُرباء من أهل العلم والفضل [نَفَقَةً لهم ، حتى لا تَخْتَلَّ أُمورُهم ، ولا يصيبهم من الخَجَل ما أصابنا] [١] .

وذلك كله من صفو الدِّين وقُوَّتِهِ وصحة الاعتقاد .

* * *

قبر الشيخ عَفَّان بن سليمان الخياط [٢] :

قبر الشيخ عفان بن سليمان الخياط – رحمه الله تعالى – بفسطاط مصر ، فى تربة بها ، وقبره يُزَار ، والدُّعاء عنده مُسْتَجاب . وكان له مَعْرُوفٌ للفقراء والمحتاجين ، وله وَقْفٌ إلى الآن يطعم منه الحلوى وغير ذلك . ولم تُعْتَرضْ أَحْبَاسُهُ كما اعْتُرِضَ غيرها مَعَ قِدَمِ العهد بها [٣] .

وهو أبو الحَسَن عَفَّان بن سليمان . [قيل : إنَّ سَبَب غناه] [٤] أنه رأى فى المنام هاتفًا يقول له : ياعَفَّان ، اذْهَبْ إلى بغداد ليحصل لك الغِنَى [٥] . فلم يكترث بهذه الرُّؤْيَا . ثم رأى رؤيا ثانية تدل على ذلك [٦] ، فقال حينئذ : تَعَيَّنَ الذَّهَاب . فرحل إلى بغداد وجلسَ على دُكَّان خياط يخيط عنده [٧] ، فبقى عنده ستة أشهر ، ولم يَرَ أَثَر ذلك المنام الذى رآه فى مصر [٨] .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ص » ولم يرد فى « م » .

(٢) [انظر ترجمته فى تحفة الأحباب ص ١٢٢ وما بعدها] .

(٣) فى « م » : « فيها » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « ص » وساقط من « م » .

(٥) فى « ص » : « تمضى إلى بغداد تستغنى » .

(٦) فى « ص » : « فرآه مرة وأُخرى ، حتى رآه مرارًا » .

(٧) فى « م » : « ثم إنه سافر إلى بغداد وجلس عند خياط بأسوة الصنَّاع » .

(٨) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « فلم يَرَ لرؤياه أثرًا ، فتغيَّر قلبه » .

فَتَغَيَّرَ قَلْبُهُ ، وضَاقَ صَدْرُهُ ، وتَغَيَّرَ حَالُهُ على مُعَلِّمِهِ ، فقال له يومًا : رأَيْتُكَ تَغَيَّرتَ عن الحالة – التى كُنْتَ عليها من الانبساط – أَخْبِرْنى مابكَ ؟!

قال : تَغَرَّبْتُ عن أهلى ووطنى بسبب مَنامٍ رأيْتُهُ ولمْ أَرَ أَثَرَهُ ! فقال له : وَمَا رأَيْتَ ؟ فأَخْبَرَهُ بالمَنَام . فقال له المعلم : إنَّمَا هى أَضْغَاثُ أحلام ، والله إنِّى أَرَى مِثْلَ رؤياكَ هذه سَنِينَ كثيرة ، أَرَى [١] هاتفًا يقول لى : امْضِ إلى الدَّار الفلانية بمصر وخُذْ منها رِزْقَكَ من المحل الفلانى فيها .

فلما قال المعلِّمُ لعَفَّانَ ذلك ، تأَمَّلَ عفان هذه الصِّفَة ، فإذا هى دَارُهُ ، فَوَدَّعَ المعلمَ ورجَعَ إلى مصر ، فحفر الموضع الذى ذَكَرَهُ المعلم ، فوَجَد فيه مالًا كثيرًا ، فاشترى الأَملاكَ والرِباع وعمل فيها [٢] ، وأَعْطَى الفقراء والأَرَامِلَ والمساكينَ ، وعَمَّرَ مسجدًا عظيمًا يصلى فيه ، وعمل بجانب المسجد « تُرْبَة » لدفنه .

رُوِىَ [٣] أَنَّ إماماً كان بمسجده من عباد الله الصالحين ، ما وَقَفَ له فى يومٍ ، ولا سأَلَ حاجَةً ، وما شرب من مائه قَطّ ، ولا أَكَلَ عنده ولا عند أَحَدٍ مطلقًا ، فَاتَّفَقَ أَنَّ الإمام [٤] أَوْدَعَ عنده رَجُلٌ مالًا فى صندوق ، قَدْرُهُ عشرة آلافِ دينارٍ وسافَرَ إلى الحجاز ، وللإمام بناتٌ ، فَزَوَّجَ بَعْضَهُنَّ [٥] ، فلما سَمِعَتْ زَوْجَتُهُ بوقوع العقد أَخَذَتْ من المال المُودَع عند بعلها وجَهَّزَتِ البنات ، فَرَآهَا وهى تُجَهِّزُ ، فقال لها : مِنْ أينَ لَكِ هذا المال الذى تصنعين به ما أَرَى ؟ فقالت له : مِنْ وِرَاثَةٍ [٦] وَرِثْتُهَا . فسكَتَ الإمام .

---

(١) قوله « أَرَى » عن « ص » .

(٢) فى « م » و « ص » : « فيهم » .. والرِّباع : الأراضى الجيدة ، وهى عن « ص » .

(٣) فى « م » : « ومِمَّا نُقل » .. وفى « ص » : « روى أنه كان له مسجد ، له إمام ، يصلى فيه » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ص » : « وكان الإمام زاهدًا عابدًا وَرِعًا ، ما استقضَى حاجةً قط » . وقوله : « فاتفق أن الإمام » عن « ص » ولم يرد فى « م » .

(٥) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « فخُطِبَ بعضهم منه فزوجهم » لاتصح لغة . والصواب « بعضهن » و « فزوجهن » .

(٦) فى « م » : « وارثة » .

فلما رجَعَ الحاجُّ صاحبُ المال إلى الإمام وطَلَبَ وديعته ، فقال : بسم الله ، ثم دخل ليأتيه بالمال ، فلم يجد فى الصندوق شيئًا ! فقال لها : أين المال ؟! قالت له : جَهَّزْتُ به بناتكَ ! فلطم الرجلُ رَأْسهَ ، وخَرَجَ إلى صَاحِبِ المال وقال له : أَمْهِلْنِى إلى الغد . واعتذر إليه بِعُذْرٍ . فتوجَّه الرجلُ إلى داره . وخرج الإمام من ساعته ومَضَى إلى دار عَفَّان ، وطَرَق عليه الباب . فخرج عَفَّانُ مُسرعًا ، فقال له : ما الخبر ؟ فَقَصَّ عليه قصته . فقال له : لاتخفْ ، وَأْتِنِى بالصُّنْدُوقِ . فملأ الأكياسَ كما كانت وربطها ، وأَغْلَقَ الصندوق كما كان ، ودَفَعَهُ للإمام .

فلما أصبح الصباح جاء صاحبُ الوديعة إليه ، فَسَلَّمَ له الإمام صُنْدُوقَهُ [1] ، ففتحه صاحبه ونَظَرَ فيه ، فاخْتَلَفَتْ عليه العَلامَة ، فقال له : ما هذه عَلامَتِى ! فقال له : أَمَا تعلمُ وَزْنَ مالك وعَدَدَهُ ؟ قال : نعم . قال : فَانْظُرْ فإنْ نَقَصَ لكَ شيءٌ فَأَخْبِرْنِى به .

فقال له الرجلُ صاحبُ المال : أَخْبِرْنى ما وَقَعَ فى هذا المال . فقال له : ياهذا ، زِنِ المَالَ فإنْ نَقَصَ شيئًا دفعتُهُ لكَ ! فقال الرجلُ : لا آخُذُ إلَّا مالى بعينه أو تخبرنى بما وقَعَ .

فَحَدَّثَهُ الخَبَر ، فقال له صاحبُ المال : جَزَاكَ الله عنى خيرًا ، وقَبَّلَ رَأْسَهُ ، وقال : اعلمْ أنِّى أَخْرَجْتُ هذا لتجهيزِ بنتٍ فقيرة ، أو أرملة ، أو كسوة عُريان ، وما أَشْبَهَ ذلك ، والآن ، فقد كَفَيْتَنِى هذه المَئُونَة وأَرَحْتَنِى من هذا التعب ، جزاك الله خيرًا ! ثم تَرَكَ المالَ ومَضَى .

فأَخَذَ الإمامُ المالَ وجاءَ به إلى عَفَّانَ وقال له : ياسيدى ، خُذْ مالَكَ ، فَقَدْ سَدَّ الله عنى ، جزاك الله خيرًا ! فقال له عَفَّان : أَنَا قد خرجتُ لله عنه وليس لى به حاجة . فقال الإمام : جزاكَ الله خيرًا ، ثم أَخَذَ المالَ وتَوَجَّهَ إلى منزله .

---

(١) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « حاله » مكان « صندوقه » .

وكان الشيخ عفَّان إذا خرج لصلاة الصبح أَخَذَ فى كُمِّهِ صُرَرًا ففرقها على الناس ، فيها [١] من عشرة دنانير إلى خمسين دينارًا ، فقيل إنه خرج يومًا على جَارِى عادتِه فَوَجَد رجلًا جالسًا مُستندًا إلى الحائط مَهْمُومًا ، فتركَ فى حجره صُرَّةً فيها خمسون دينارًا ، فانْتَبَهَ الرجلُ فوَجَدها فى حجره ، فأخذها وجاء إلى حَانُوتِهِ ، فجاء وكيلُ عفَّان وطالبه بمالٍ عنده لعفَّان ، فَدفَعَ الصُّرَّةَ للوكيل كما هى ، وجَبَا الوكيل عليها [٢] إلى آخر النهار ، وجاء بالمال لعفَّان فَسَلَّمَهُ له ، فأَخذَه عفَّانُ ونَظَر فوجدَ الصُّرَّةَ التى دفَعَها فى أول النهار عادَتْ إليه ، فقال للوكيل : مِمَّنْ أَخَذْتَ هذه ؟ قال : مِنْ فُلانٍ الزَّيَّات . قال : ائْتِنِى به . فلما حَضَرَ قال : مِنْ أينَ لَكَ هذه الصُّرَّةُ ؟ قال : ياسيدى حديثى فيها غريب .. انْكَسَرَ عَلَىَّ مالٌ لوكيلك ، وهو مائة دينار ، فلما كان أمس طَالَبَنِى وأَلَحَّ عَلَىَّ ، فَوَعَدْتُهُ على الغد ، فلما كان تلك الليلة بِتُّ مهمومًا ، ولَمَّا أصبحتُ صليتُ الصُّبْحَ ودعَوْتُ الله – عز وَجَلَّ – وسأَلته أَنْ يُفَرِّجَ عَنِّى ، وأسندتُ ظَهْرِى للمحراب ، فلم أشعر إلَّا وقد استغرقتُ فى النوم ، فلما استيقظتُ وجدتُ هذه الصرة فى حجرى ، فأَخذتُها وفتحتُ دُكَّانى وجلستُ ، فلما جاءنى وكيلك دفعتها له ، وفَرَّجَ الله عنى . فهذا ما كان مِنْ أَمْرِى .

فقال عفَّانُ للوكيل : أَمْحُ ما عَلَى [٣] هذا من المال فى هذه السَّاعة . فَفَعل . ثم إن عفَّانَ دَفَعَ له الصُّرَّةَ وقال له : رَقِّعْ [٤] بهذه حالَكَ . فأَخذَهَا وانصرف شاكرًا .

وقيل : إنَّ الحافظَ الفاطِمِىَّ رأَى فى المنام قائلًا يقول له : ياعبد المجيد ، لِمَ لَمْ تَزُرْ ابنَ سليمان ؟! فَانْتَبَهَ وهو يظنُّ أنه ابن سليمان بن داود ، فَفُسِّرَ له بأنه عفَّان هذا . فركبَ وجاء إلى تُرْبَتِهِ ، ودَعَا عنده من الشباك .

---

(١) فى « م » و « ص » : « فيهم » .
(٢) « عليها » عن « ص » . وجَبَا : جَمَعَ .
(٣) فى « م » : « ماكان » مكان حرف الجر « على » .
(٤) أى : أَصْلِحْ .

وكان لعفَّانَ مكانٌ مرتفعٌ يجلس فيه ، فجلسَ فيه فى بعض الأيام ، وجَاءَتْ له أَحْمَالٌ فَوُضِعَتْ فى الطريق وهو ينظر إليها ، فجاء رَجُلٌ فقير معه إناءٌ فيه شىءٌ من « النيدة » فَعَثَرَ بِعِدْلٍ (١) فسقطَ الإناء من يده وتَبَدَّدَ ما فيه ، فبقى باهتًا . فاستحضَرَهُ عفَّانُ وقال له : ما دَهَاكَ يارَجُل ؟ قال : ياسيدى أنا رَجُلٌ فقيرٌ ، أعملُ فى كل يوم بدرهم وربع درهم ، وأشترى خُبْزًا بذلك لعيالى ، فلما كان اليوم اشتهى الصِّبْيَةُ شيئًا حُلْوًا ، فاشتريتُ لهم هذه « النيدة » التى سَقَطَتْ بما عملتُ ذلك اليوم ، فدهشتُ لذلك ، فلا أنا بالذى أبقيتُ ثمن الخبز ، ولا أنا بالذى قضيتُ شَهْوَةَ الصِّبْيَة .

فبكى عفان وقال له : اذْهَبْ فَكُلُّ عِدْلٍ وَجَدْتَهُ مُلَوَّثًا بشىءٍ من « النِّيدَة » فَخُذْهُ .

فَنَزَل الرجلُ إلى الأَعْدَال فَوَجَدَ « النيدة » قد وَقَعَتْ على عِدْلٍ واحدٍ . فأخذه ومَضَى .

وقيل : إنه بعد هذا كله ، وهذه العطايا (٢) لَمَّا حَانَتْ وفَاتُهُ قال لِصَاحِبٍ له : إذا أنا متُّ ، فَخُذ ابنتى هذه – ولمْ يكن له سواها – فَاتْرُكْهَا فى المسجد وخَلِّ سبيلَها ، فإنَّها وديعتى عند الله تعالى .

فلمَّا توفى فَعَلَ صاحِبُهُ كَمَا أمِرَ (٣) ، فَاتَّفَقَ أنَّ مَحْظِيَّةً من حَظَايَا أمير المؤمنين الخليفة الفاطمى ، دَخَلَتْ إلى الجامع مُتنكرةً فى زِىِّ العَوامِ بِقَصْدِ الفُرْجَة ، فلما رأتْهَا جَلَسَتْ بإزائها طويلًا ، وانتظرتْ مَنْ يطلبها ، فما وجدَتْ أحدًا ، فقالت لها : أَلَكِ والدٌ أو والدة ؟ قالت : لا . فأَخَذَتْهَا ومَضَتْ بها

(١) النيدة : نوع من الحلوى .. والعِدْل : الحِمْل .

(٢) هكذا فى « ص » .. وفى « م » : « بعد هذا الإعطاء » .

(٣) فى « ص » : « ففعل ذلك وتركها فى الجامع » .

إلى القصر فَرَبَّتها ، فَرَأَتْ من بَرَكتِهَا شيئًا كثيرًا ، فأرادَ الخليفةُ تزويجها لابنه ، فَفَتَّشَ عَلَى وليٍّ لها ، ثم إنه وَقَعَ على خبرها ، وعرَفَ أباها ، فحمد الله تعالى ، ثم أنفذ خَلْفَ عَمِّهَا فَحضَرَ ، وعقد لابن الخليفة عليها ، وكبر شأنها .

* * *

مشهد محمد بن أبى بكر الصِّدِّيق – رضى الله عنهما :

مشهد محمد بن أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، ويُعْرَفُ بمسجد « زِمَام » [1] غلامه ، وهو الذى بناه ، ورَأْسُ محمد بن أبى بكر تحت المنارة .

وأُمُّه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ الخَثْعَمِيَّة [2] ، كان قد تزوَّجَها جعفر بن أبى طالب المعروف بالطَّيَّارَ – رضى الله عنه – فولدت له عبد الله ، وعَوْنًا ، ومحمدًا . ثم قُتِلَ جعفرٌ فى غزوة من غزواته ، فتزوجها بعده الصِّدِّيقُ ، رضى الله عنه ، فولدت له محمدَ بنَ أبى بكر هذا . ثم توفى الصِّدِّيقُ عنها فَتَزَوَّجَها بعده علىٌّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فولدت له يحيى – ولا عَقِبَ له [3] .

ونشأ محمدٌ هذا عند علىّ بن أبى طالب ، وكان من خاصَّتِهِ ، وحَضَرَ معه يوم الجَمَل وصِفِّين [4] . ووَلَّاهُ مصر ، فَدَخَلَها فى النصف من شهر رمضان سنة ٣٧ هـ إلى أَنْ بعث معاوية عمرو بن العاص – رضى الله عنهما

---

(١) فى « م » : « غلام زمان » تحريف من الناسخ . [وانظر الكواكب السيارة ص ١٨٤ و ١٨٥ ، وتحفة الأحباب ص ١٢٦ و ١٢٧] .

(٢) انظر ترجمتها فى أسد الغابة ج ٧ ص ١٤ .

(٣) فى « م » : « لم يُعَقِّب » ، أى : لم يترك أولادًا .

(٤) هكذا فى « ص » .. وهذه الجملة فى « م » فيها خلط من الناسخ .

– فى جيوش أهل الشام ، ومعه [(١)] معاوية بن حُدَيْج وأصحابه [(٢)] فى صفر سنة ٣٨ هـ . فَاقْتَتَلُوا ، فانهزمَ محمد بن أبى بكر مع المصريين ، ودَخَلَ فاختبأ فى بيت مَجْنُونَةٍ ، فلما أقبل معاوية بن حُدَيْج فى عَسْكَرِه مَرَّ بالمجنونة صاحبة المنزل وهى قاعدةٌ على الطريق ، وكان لها أخٌ فى الجيش ، فقالت : تُرِيدون قَتْلَ أَخِى ؟ قالوا : ما نَقْتُلُه . قالت : فهذا محمد بن أبى بكر فى داخِلِ بيتى ! فدَخَلُوا عليه فربطُوه بالحبالِ وجَرُّوهُ على الأرض ، فلما جِيءَ به بين يَدَىْ معاوية بن حُدَيْج ، قال له : احْفَظْنِى لأبى بكر . فقال له : قَتَلْتُ من قَوْمِى ثمانين رَجُلًا فى عثمان وأَتْرُكُكَ وأنت صاحبه !

فقتله لأربع بقينَ من صَفَر ، وقيل : لأربع عشرة ليلة خَلَتْ من صفر المذكور سنة ٣٨ هـ . وكان مولده عام حجة الوداع ، ولدته أُمُّهُ بالشجرة عند ذى الحُلَيْفَة حيث [(٣)] أَحْرَمَ رسولُ الله ، ﷺ ، مُتَوَجِّهًا إلى مكة .

ولَمَّا قُتِلَ أَمَرَ به معاويةُ أَنْ يُجَرَّ فى الطريق ويُمَرَّ به على باب دار عَمْرِو ابن العاص ، لِمَا يعلم من كراهته لذلك [(٤)] ، وأَمَرَ به فَأُحْرِقَ بالنار [(٥)] فى جيفة حمار ، ودُفِنَ فى الموضع الذى قُتِلَ فيه . فلما كان بعد سَنَة جاء « زمامٌ » غُلامُهُ فحفر عليه ، فلم يجد سوى رأسه ، فدفنه فى هذا المسجد . ويقال : إن الرأس فى القِبْلَة .

وكانت ولايةُ محمدٍ عَلَى مصر خمسةَ أَشْهُرٍ . وكانت عائشة أُمُّ المؤمنين – رضى الله عنها – قد أنفذتْ أخاها عبد الرحمٰن إلى عمرو بن العاص ، رضى الله عنه ، فى شأن محمد ، فاعتذر بأنَّ الأَمْرَ لمعاوية بن حُدَيْج .

---

(١) فى « ص » : « ومعهم » .
(٢) فى « م » : « وأصحابه مُقَدَّم الجيوش » .
(٣) فى « م » : « حين » .
(٤) فى « ص » : « من كراهته لقتله » .
(٥) فى « م » : « ولمَّا سُحِبَ أُحْرِقَ بالنار » .

ولمّا قُتِلَ محمد ووصلَ خبره إلى المدينة أَمَرَتْ حبيبةُ بنت أبى سفيان ، رضى الله عنهما ، أنْ يُشْوَى كَبْشٌ ، فَشُوِىَ ، وبَعَثَتْ به [(١)] إلى عائشة ، رضى الله عنها ، وقالت : هكذا شُوِىَ أُخُوكِ بمصر ! فلم تأكل عائشةُ رضى الله عنها بعد ذلك الشَّوِىَّ [(٢)] حتى ماتت .

ولمّا بلغَ أسْمَاءَ بنت عميس رضى الله عنها ، خَبَرُ [(٣)] ولدها محمد بن أبى بكر وقَتْله ، وإحراقُه بالنار ، قامت إلى مسجدها وجَلَسَتْ فيه ، وكَظَمَتِ الغيظَ حتى شَخَبَتْ ثَدْيَاهَا دمًا [(٤)] .

ولَمَّا بلغَ عَلِيًّا [(٥)] ، رضى الله عنه ، قَتْلُهُ وإحراقُهُ بالنار [(٦)] ، وَجَدَ عليه وَجْدًا عظيمًا [(٧)] ، وقَامَ خَطِيبًا ، فحمد الله تعالى وأثْنَى عليه ، ثم قال : أَلَا إنَّ مُحَمَّدَ بن أبى بكر قد أُصِيبَ ، رَحِمَهُ الله ، وعند الله نحتسبُه ، أَمَا والله أنْ كانَ لما علمتُ لمَنْ يؤمن بالقضاء ، ويعمل للجزاء ، ويحب هذا [(٨)] المؤمن ، ويبغض شكل الفاجر .

وقيل لعلىٍّ عليه السلام : لقد جَزِعْتَ علَى محمد [بن أبى بكر] [(٩)] جزعًا شديدًا . فقال : أَجَلْ والله ، كان لى ربيبًا ، وكنتُ أعدُّهُ وَلَدًا [(١٠)] .

---

(١) فى « م » : « ثم أرسلته » . وانظر ترجمة حبيبة بنت أبى سفيان فى أسد الغابة ج ٧ ص ٦٠ و ٦١ ، وقال أبو عمر : أظنها حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبى سفيان .. .

(٢) فى « ص » : « الشواء » . والشَّوِىّ : المَشْوِىُّ ، فكلاهما بمعنى واحد .

(٣) فى « ص » : « أمْر » .

(٤) شَخَبَتْ ثَدْيَاهَا دمًا : تفجّرا دمًا . والعبارة هذه عن « ص » .

(٥) فى « م » و « ص » : « على » خطأ ، والصواب بالنصب على المفعولية .

(٦) فى « م » : « ماوقع له » .

(٧) أى : حَزِنَ عليه حُزْنًا عظيمًا .

(٨) فى « م » : « هدى » .

(٩) مابين المعقوفتين عن « ص » .

(١٠) إلى هنا انتهى الكتاب فى « ص » .

وقيل : إنه لمّا بَلَغَهُ قَتْلُهُ بكى عليه وقال : والله لقد كان غلامًا نافعًا ، ورُكْنًا دافعًا ، وسيفًا قاطعًا ، وحبيبًا لنا عَدُوًّا لهم ، ويحزننى عليه شَماتَتُهُمْ به .

ولَمَّا بَلَغَهُ أنهم قالوا : كان عَاقًّا لِوَالِدَيْهِ قال : والله لقد كان بارًّا بِوَالِدَيْهِ ، وسأحتسبه عند الله . وقال : لا أَحَدَ بايَعَنِى عَلَى ما فى نَفْسِهِ إلَّا محمد بن أبى بكر ، فإنه بايعنى على ما فى نفسى .

* * *

وهذا ما انتهى من كتاب « مرشد الزُّوَّار » وحسبنا الله ونعم الوكيل . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

تم تحقيق الكتاب بحمد الله تعالى وعونه ، ويليه « الذيل » الذى أعده المحقق ، ويضم المزارات التى لم يدركها مؤلف « مرشد الزوار » والتى لا تزال قائمة إلى الآن بالجبانة الكبرى والصغرى .

« فهارس الكتاب » (*)

* * *

(*) هذه الفهارس خاصة بمتن الكتاب فقط .

(١)

فهرس الآيـــات القرآنيـــة

الآيـــة	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وعِبادُ الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هَوْنًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾	٦٣	الفرقان	٢٥	٣٥٧
﴿ ونرِيد أنْ نَمُنَّ على الذين استُضْعِفُوا فى الأرضِ ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين * ونُمَكِّنَ لهم فى الأرض ﴾	٥ و ٦	القصص	٢٨	٤١٦
﴿ إنّ المَلأَ يأتمرونَ بكَ ليقتلوك فاخرُجْ إنّى لكَ من الناصحين ﴾	٢٠	القصص	٢٨	٢٦٩
﴿ اشكُرْ لى ولوالديك إلىّ المصير ﴾	١٤	لقمان	٣١	٩٦
﴿ إنّما يريد الله ليُذهِبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾	٣٣	الأحزاب	٣٣	١٨٦، ١٩٣، ٢٥٣
﴿ بالمؤمنين رحيمًا ﴾	٤٣	الأحزاب	٣٣	١٨٦
﴿ يٓس ﴾	١	يٓس	٣٦	٤١
﴿ الذين يحملون العرش ومَنْ حوله يُسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمَنُوا ، ربنا وَسِعْتَ كل شىء رحمةً وعِلْمًا ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وَقِهِم عذابَ الجحيم ﴾	٧	غافر	٤٠	٤٨
﴿ وإذْ يتحاجُّون فى النار ﴾	٤٧	غافر	٤٠	٢٠٨
﴿ فلله الحمدُ ربِّ السمٰوات وربِّ الأرض ربِّ العالمين * وله الكبرياء فى				

* * *

(٢)

« فهرس الأحاديث النبوية »

مطلع الحديث	الصفحة

« حرف الألف – الهمزة »

مطلع الحديث	الصفحة

« حرف الباء »

مطلع الحديث	الصفحة

« حرف التاء »

« حرف الجيم »

« حرف الدّال »

« حرف الزّاى »

« حرف السين »

مطلع الحديث	الصفحة

(حرف الصّاد)

(حرف الضاد)

(حرف العين)

(حرف القاف)

مطلع الحديث	الصفحة

« حرف الكاف »

« حرف اللام »

حرف الميم

مطلع الحديث	الصفحة

« حرف النون »

« حرف الهاء »

« حرف الياء »

* * *

(٣)

« فهرس القوافــى »

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
سأصبرُ	صَبِرِى	الطويل	٣	٧٥
وإنّى لَصَبَّارٌ	الصَّبْرِ	الطويل	٢	٧٩
أَلَمْ تَرَ	ظفرِ	الطويل	٩	٨٠
والمالكىُّ	والسَّفَرَا	البسيط	٢	٤٥٧
لِآل بيت	واشتهرَا	البسيط	٢٣	١٩٠ ، ١٩١
يا مَنْ تَمَلَّكَ	أوزارَا	البسيط	٢	٨٣
هذِى منازلُ	خَطَرٌ	البسيط	٢	٦٨
لله	والسَّهَرِ	البسيط	٣	٤٩٦
مَنْ أَخْمَلَ	ضَجَرِ	البسيط	٢	٥٢٩
متى أنوحُ	أَوْطارِى	البسيط	٤	١٩٦
جِسْمٌ	الحرارة	مخلع البسيط	٢	٤٣٨
لحَانى	عارَا	الوافر	٢	٥٥٢
أَتَذْكُرُ	تثورُ	الوافر	٢	٤٦٣
ولَمْ أَرَ	بقبرِ	الوافر	١	٧٤
يَمَّمْهُ	مغمورَا	الكامل	٤	١٣
أَمَّا القبورُ	قبورُ	الكامل	٣	٧٣
حُكْمُ	قرارِ	الكامل	٢	٤٨٠
اصبِرْ	الدُّهورْ	مجزوء الكامل	٢	٧٩
قد مَضَى	وقُبِرْ	الرَّمَل	١	٤١٧
أيها الرَّبْعُ	خَبَرَا	الرَّمَل	٣	٩٢
يامَنْ	الطَّاهِرَهْ	السريع	١٧	١٨٩ ، ١٩٠
قامَتْ	يا عامِرُ	السريع	٢	٦
ياهاجِرِى	الهَجْرُ	السريع	٤	٧١

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
« قافية السين »				
تَدَرَّعْتُ	أَسَا	الطويل	٢	٧٥
يا بَنِى	قَبَسْ	الرَّمَل	٢	١٨٨
« قافية الضّاد »				
نورٌ	القَضَا	الكامل	٣	١٤
لَمْ يَبْقَ	الفارِضِ	الكامل	٢	٥٤٧
جُزْ بالقرافة	الفارِضِ	الكامل	٣	٥٤٧
مدفونٌ	الفارِضِ	الكامل	٢	٥٥٠
كُنْ	القَضَا	مجزوء الكامل	٥	٧٩
قد أقبل	الرِّضَا	السريع	٤	١٠٦
« قافية الطاء »				
مَنْ ذَا	فَقَطْ	مجزوء الكامل	١	٥٤٩
محمدُ	هَبَطْ	مجزوء الكامل	١	٥٤٩
« قافية العين »				
وكُنَّا	يتصدَّعَا	الطويل	٣	٢٦
ما أحسَنَ	الجَزَعِ	البسيط	٢	٧٥

« قافية النون »

* * *

(٤)

« فهـرس الأعـــلام »

(ت)

(ح)

(ض)

(ط)

(غ)

(ف)

* * *

(٥)

« فهرس الأماكن والبلاد والبقاع »

(ت)

(ك)

(م)

(٦)

« فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف »

(أ)

(غ)

(ف)

* * *

(٧)

« مصادر ومراجع التحقيق والتعليق »

القرآن الكريم (*) .
أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، تحقيق محمد البنا ومحمد عاشور ، دار الشعب – القاهرة ، ١٩٧٠ م .
إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين ، لعبد الباقى اليمانى ، تحقيق د. عبد المجيد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – السعودية ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
الأعلام ، للزركلى ، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٦ م .
الأغانى ، لأبى الفرج الأصبهانى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الشعب – القاهرة ، ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م .
الإكمال ، لابن ماكولا ، دائرة المعارف العثمانية – الهند ١٩٦٢ م .
إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى – القاهرة ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
الأنساب ، للسمعانى ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ، دار الجنان – بيروت ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
البداية والنهاية ، لابن كثير ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس ، للضبّى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى – اللبنانى ، القاهرة ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .
البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل – بيروت .
تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى ، دار الكتب العلمية – بيروت .

(*) يقتضى الترتيب الأبجدى وضع كتاب الله تعالى فى حرف القاف ، وقد قدمناه هنا احترامًا وتقديرًا .

تاريخ الخلفاء ، للسيوطى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
تاريخ الدولة الفاطمية ، للدكتور حسن إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٨١ م .
تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٩ م .
تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات ، لأبى الحسن نور الدين على ابن أحمد السخاوى ، مراجعة لفيف من العلماء ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
تذكرة الحُفَّاظ ، للذهبى ، دار إحياء التراث العربى ، ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م .
تفسير القرآن الكريم ، لمحمود حمزة وآخرين ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢ م .
تهذيب التهذيب ، لابن حَجَر العسقلانى ، طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند – حيدر آباد ١٣٢٥ هـ .
ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، للثعالبى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٥ م .
جامع كرامات الأولياء ، ليوسف النبهانى ، تحقيق إبراهيم عطوة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .
جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسى ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢ م .
حُسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابى الحلبى – القاهرة ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبى نعيم الأصفهانى ، دار الفكر – بيروت .
حياة الصحابة ، لمحمد بن يوسف الكاندهلوى ، المكتبة الإسلامية بالأزهر – القاهرة .
الخطط التوفيقية الجديدة ، لعلى باشا مبارك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٨٠ م .

دائرة المعارف الإسلامية ، لجماعة من المستشرقين ، ترجمة الشنتناوى وآخرين ، دار الشعب – القاهرة .

الدولة الفاطمية فى مصر ، للدكتور أيمن فؤاد سيد ، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

ديوان الإمام علىّ ، للإمام على بن أبى طالب ، تحقيق د. عبد المنعم خفاجى – دار ابن زيدون – بيروت .

ديوان الأمير أبى العباس عبد الله بن المعتز ، تحقيق الدكتور محمد بديع شريف ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٧ م .

ديوان الشافعى ، للإمام محمد بن إدريس الشافعى ، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

ديوان أبى العتاهية ، دار صادر – بيروت ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م .

ديوان ابن الفارض ، تحقيق الدكتور عبد الخالق محمود ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٤ م .

رجال صحيح البخارى ، للكلاباذى ، تحقيق عبد الله الليثى ، دار المعرفة – بيروت ١٩٨٧ م .

رجال صحيح مسلم ، لأبى بكر الأصفهانى ، تحقيق عبد الله الليثى ، دار المعرفة – بيروت ١٩٨٧ م .

الرسالة القشيرية ، لأبى القاسم القشيرى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ، دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٩٧٢ م .

سراج الملوك ، لأبى بكر محمد بن الوليد الطرطوشى ، تحقيق محمد فتحى أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

سنن أبى داود ، لأبى داود السجستانى ، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، المكتبة العلمية – بيروت .

سنن الدّارمى ، للإمام عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمى ، دار إحياء السُّنّة النبوية – القاهرة .

سنن النسائى ، بشرح جلال الدين السيوطى ، دار الكتاب العربى – بيروت .
السيدة نفيسة ، لتوفيق أبى علم ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٧ م .
السيدة نفيسة ، لمحمد شاهين حمزة ، مكتبة الجندى – القاهرة ١٩٧٠ م .
سير أعلام النبلاء ، للذهبى ، تحقيق مجموعة من العلماء ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى ، دار المسيرة – بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢ م .
صحيح البخارى ، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، دار الشعب – القاهرة .
صحيح الترمذى ، بشرح ابن العربى ، دار إحياء الكتاب العربى – بيروت .
صحيح مسلم ، بشرح النووى ، دار إحياء التراث العربى – بيروت ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .
الصّلة ، لابن بشكوال ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى – القاهرة ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .
الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، لأبى الفضل الأدفوى ، تحقيق سعد محمد حسن ، الدار المصرية للتأليف – القاهرة ١٩٦٦ م .
طبقات الأولياء ، لابن الملقن ، تحقيق نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجى – القاهرة ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .
طبقات الحُفّاظ ، للسيوطى ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكى ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، وعبد الفتاح محمد الحلو – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٧٦ م .
طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٨ م .

طبقات الصوفية ، لأبى عبد الرحمٰن السلمى ، تحقيق نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجى – القاهرة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار بيروت – بيروت ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .
الطبقات الكبرى ، للشعرانى ، دار الجيل – بيروت ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
طبقات الفقهاء ، للشيرازى ، بمراجعة وتصحيح خليل الميس ، دار القلم – بيروت .
طبقات المفسرين ، لشمس الدين الداودى ، مراجعة لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
العِبَر فى خبر مَنْ غبر ، للذهبى ، تحقيق أبى هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م .
عمرو بن العاص سلسلة أعلام الصحابة ، بإشراف صابر عبده إبراهيم ، القاهرة – ١٣٧٢ هـ – ١٩٥٣ م .
عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
غزوات الرسول وسراياه ، لابن سعد ، بتقديم أحمد عبد الغفور عطار ، دار بيروت – بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .
فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، لابن حَجَر العسقلانى ، تحقيق عبد العزيز ابن باز وآخرين ، دار المعرفة – بيروت .
فضائل مصر ، للكندى ، تحقيق إبراهيم العدوى ، وعلى محمد عمر ، مكتبة وهبة – القاهرة ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م .
فوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر الكتبى ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ١٩٧٣ م .
قاموس الفارسية ، للدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، دار الكتاب المصرى البنانى – القاهرة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
القاموس المحيط ، للفيروز آبادى ، دار المأمون – القاهرة ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م .
الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير ، بتعليق ومراجعة نخبة من العلماء ، دار الكتاب

العربى – بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
كتاب أدب الدنيا والدين ، لأبى الحسن الماوردى ، بتحقيق وتعليق محمد فتحى أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
كتاب التاريخ الكبير ، للبخارى ، دار الكتب العلمية – بيروت .
كتاب التعريفات للجرجانى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب العربى – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
كتاب الجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم الرازى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند ١٣٧٣ – ١٩٥٣ م .
كتاب الحُلّة السيراء ، لابن الأبّار ، تحقيق د. حسين مؤنس ، دار المعارف – القاهرة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
كتاب السُّنن الكبرى ، للبيهقى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند ١٣٤٤ هـ .
كتاب الضعفاء الصغير ، للبخارى ، تحقيق بوران الضناوى ، عالم الكتب – بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
كتاب الضعفاء الكبير ، للعقيلى ، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
كتاب طبقات المعتزلة ، لأحمد بن يحيى المرتضى ، تحقيق سوسنّه دِيفَلْد فِلْزر ، دار مكتبة الحياة – بيروت .
كتاب فتوح البلدان ، للبلاذرى ، شركة طبع الكتب العربية – القاهرة ١٣١٨ هـ .
كتاب المُحَبَّر ، لابن حبيب ، دار الآفاق الجديدة – بيروت .
كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، للمقريزى ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ١٩٨٧ م .
كتاب نسب قريش ، للمصعب الزبيرى ، نشرة بروفنسال ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢ م .
كتاب الوُلاة وكتاب القُضاة ، لمحمد بن يوسف الكندى ، دار الكتاب الإسلامى – القاهرة .

الكشاف عن حقائق التنزيل ، للزمخشرى ، دار المعرفة - بيروت .
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة - استانبول ١٣١١ هـ .
كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ، القاهرة - ١٣٢٠ هـ تقريبًا .
الكواكب السيَّارة فى ترتيب الزيارة ، لشمس الدين محمد بن الزيات ، المطبعة الأميرية - مصر ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .
لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ م .
مجمع الحِكَم والأمثال فى الشعر العربى ، لأحمد قبش ، دار الرشيد - دمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
المحَرَّر فى غريب كلام العرب ، للهنائى ، تحقيق د. محمد بن أحمد العمرى ، دار المعارف - القاهرة .
مختار الصحاح ، للرازى ، مراجعة وتحقيق لجنة من العلماء ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٣ م .
مروج الذهب ، للمسعودى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
مساجد القاهرة ومدارسها ، للدكتور أحمد فكرى ، دار المعارف - القاهرة .
مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، للدكتورة سعاد ماهر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٧١ م .
المصباح المنير ، للفيومى ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .
المعارف ، لابن قتيبة ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ م .
معجم ألفاظ الصوفية ، للدكتور حسن الشرقاوى ، مؤسسة مختار القاهرة - ١٩٨٧ م .
معجم البلدان ، لياقوت الحموى ، دار بيروت - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى ، دار الشعب - القاهرة ،

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، ترتيب وتنظيم لفيف من المستشرقين ، نشر د. ونسنك ، طبعة بريل - ليدن ١٩٣٦ م .
معجم المؤلفين ، لعمر كحاله ، دار إحياء التراث العربى - بيروت .
المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة - دار المعارف - القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - للذهبى ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٦٩ م .
المُغرب فى حُلَى المَغرب ، لابن سعيد المغربى ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٨ م .
المُغنى فى ضبط أسماء الرجال ، ومعرفة كُنَى الرواة وألقابهم وأنسابهم ، للمحدث محمد بن طاهر بن على الهندى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
المكنون فى مناقب ذى النون ، للسيوطى ، تحقيق عبد الرحمٰن حسن محمود - مكتبة الآداب - القاهرة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
الموطأ ، للإمام مالك ، بتعليق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .
ميزان الاعتدال ، للذهبى ، تحقيق على البجاوى ، دار المعرفة - بيروت .
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .
وَصْف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ، لجومار ، بتعليق الدكتور أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
والموعد الله ، لخالد محمد خالد ، دار ثابت - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت
يتيمة الدهر ، للثعالبى ، المطبعة الحنفية - دمشق .

* * *

(٨)

« فهرس المحتويات »

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

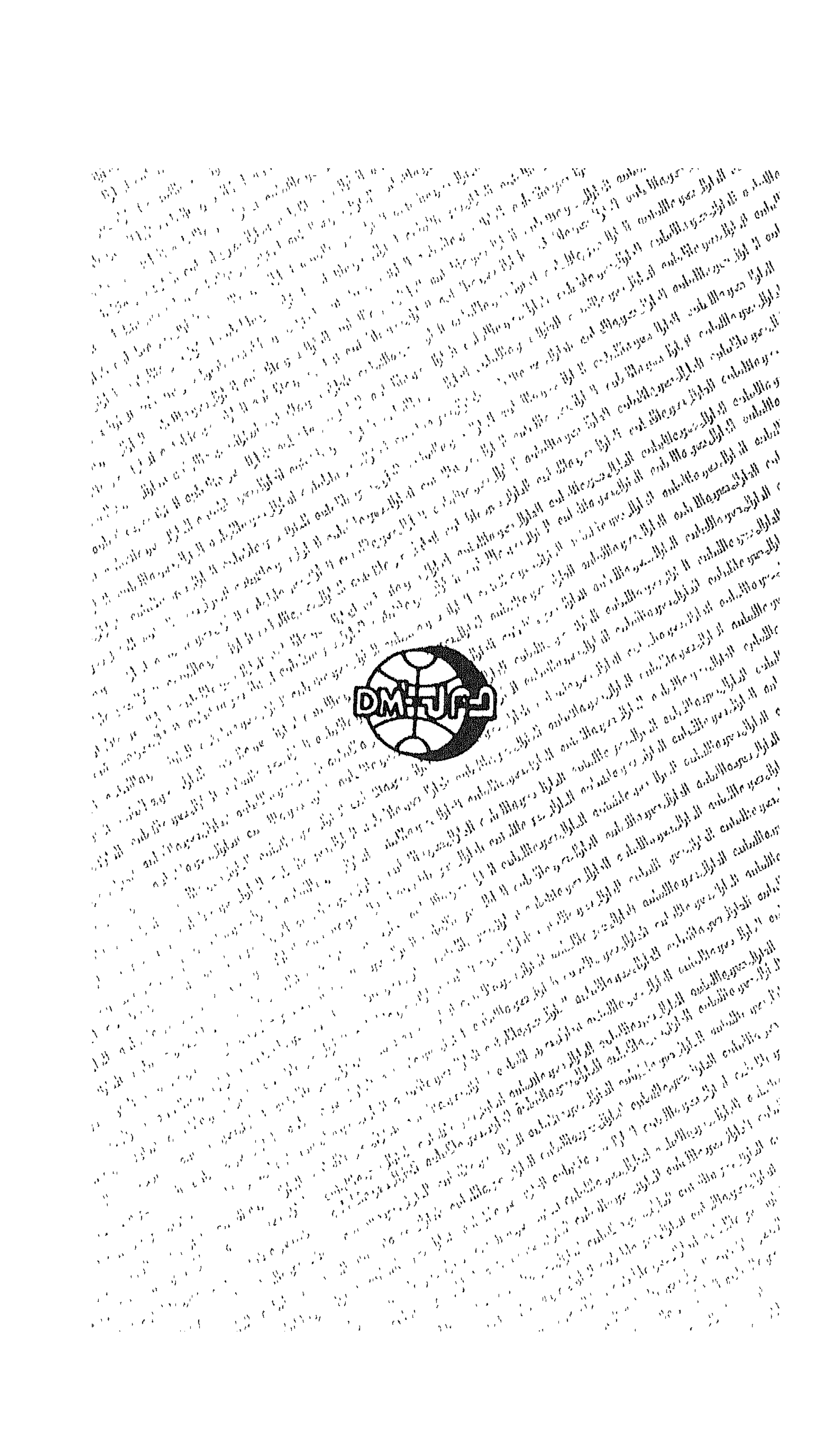
DM